

الاسم عليه

تاریخ وعقائد

تألیف الأستاذ

امکان الاسی طریق

۱۹۴۱ء — ۱۹۸۷ء

احادیث ترجمان السنه

لاهور . پاکستان

جميع الحقوق محفوظة للإدارة

الناشر

أخلاق ترجمان السنة

لاهور . باكستان

الوكيل الوحيد في المملكة

مكتبه بيت السلام

رياض

طبع في

احد برنترز لاهور

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الانبياء وسيد المرسلين وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم الى يوم الدين .

أقدم اليوم الى القراء والباحثين كتاباً آخر في سلسلة الكتب عن الملل والنحل ، وانه لعاشر كتاب حتى اليوم في اللغة العربية ، ولم أجهد نفسي ، ولم أواجه الصعوبات والمتاعب في كتابة الكتب التسعة الاخرى مثلما أجهدت نفسي ، وعانيت المشاق في هذا الكتاب .

أولاً : لأنه مع كثرة من كتب عن الاسماعيلية وحكمهم في المغرب ومصر والبلاد الشرقية الاخرى ، وعن حكاهم وخلفائهم قلما تطرق أحدهم إلى عقائدهم ومعتقداتهم الخاصة بهم ، اللهم إلا النزر اليسير استطراداً ، لا استقلالاً ، من المصريين ، المتقدمين منهم والمتأخرين من المقريزي ، والنويري ، والقلقشندي ، وأبي المحاسن ، وابن إياس الى حسن ابراهيم حسن ، وجمال الدين سرور ، وطه احمد شرف ، وعبد المنعم ماجد ومحمد عبدالله عنان وغيرهم الكثيرون الكثيرون - الذين لهم إرتباط خاص بهؤلاء القوم لتسلطهم على بلادهم قرابة قرنين من الزمان - وغير المصريين من المسلمين والمستشرقين الذين لم يهدفوا بالكتابة عنهم إلا سرد تاريخهم وبيان الوقائع والحوادث التي حدثت في أيامهم ، أو الجوانب الاخرى عن التمدن

والثقافة والحضارة والانشطة العلمية والأحوال الاقتصادية والسياسية والحروب والفتوحات، أللهم إلا ما ذكروا عن الاختلاف في نسب أئمتهم، وهذا أيضاً جزء من التاريخ أكثر من أن يكون له علاقة بالعقائد، وإن كان له بعض العلاقة بها.

فمحور جلّ الكتاب عن الاسماعيلية هو التاريخ، لا العقائد (*).

(*) «وقل من يسلم من المؤرخين من الأخطاء، الذين يكتبون تاريخ طائفة مذهبية ولا يلمون بعقائدها مثل الطائفة الاسماعيلية. فإن أكثر المؤرخين من المصريين وغير المصريين، ومن المسلمين والمستشرقين، وحتى الاسماعيلية المحدثين، وقعوا في الأخطاء الفاحشة عند كتابة تاريخ الاسماعيلية.

فمنها أن كل واحد منهم ذكر علي بن أبي طالب رضي الله عنه الامام الأول، وجعفر بن محمد الامام السادس للاسماعيلية، ثم تحيروا وتخبطوا في بيان السابع - أهو اسماعيل أم محمد بن اسماعيل؟ فقال فريق: ان اسماعيل لم يكن اماماً مع أن الاسماعيلية لا يسمون بالاسماعيلية الا لاعتقادهم بامامة اسماعيل؟

وقال الآخرون: ان الحسن لم يكن اماماً مع الرواية المشهورة الموجودة في جميع كتب الاسماعيلية «والحسن والحسين امامان قاما أو قعدا» ولم يعلموا لعدم معرفتهم بعقائد القوم ومعتقداتهم أن علياً رضي الله عنه ليس بامام عندهم، بل هو اساس للناطق محمد صلى الله عليه وسلم، الامامة اذن تبدأ من الحسن، لا من علي رضي الله عنهم، وعلى ذلك لا يكون جعفر بن محمد إلا الخامس، واسماعيل بن جعفر السادس، ومحمد بن اسماعيل هو السابع، وبه يكمل دور محمد صلوات الله وسلامه عليه، ويسمونه الناطق السابع أيضاً، والنطقاء السبعة عند الاسماعيلية هم أولوا العزم من الرسل، يبدأون من آدم ويتنهون بمحمد بن اسماعيل بن جعفر، وللمسألة تفصيل يأتي في محله من الكتاب ان شاء الله.

ومن الأخطاء الفاحشة في التاريخ الاسماعيلي مما وقع فيه المؤرخون هو ذكر الكفلاء الأربعة من الحفاظ والظافر والفائز والعاقد في عداد الاثمة الاسماعيلية، مع أنهم لا يعدّون منهم بالاتفاق، بل الاسماعيليون المستعليون يعدّونهم من الغاصيين للامامة، غادرين ناكثين.

وأما الاسماعيلية النزارية فهم يضيفون اليهم الأمر والمستعلي أيضاً، وعلى كل فان الأربعة أولئك ليسوا من الاثمة الاسماعيلية بالاتفاق مع ذكر جلّ المؤرخين لهم في عدادهم.

ثانياً: أن القليلين من العلماء والباحثين المتقدمين الذين كتبوا خصيصاً في العقائد الاسماعيلية، غير الغزالي والديلمي والعلوي لم يلمّوا بمعتقدات القوم من جميع جوانبها اضافة الى أن عدداً من كتابات هؤلاء الاعلام قد فقد.

وأما الغزالي ومحمد بن الحسن الديلمي، ويحيى بن حمزة العلوي وغيرهم من علماء السنة والشيعه والزيدية فانهم أيضاً مع عدم احاطتهم جميع الجوانب العقدية لم يبنوا معلوماتهم الا على السماع^(١) كثيراً لعدم تمكنهم من الحصول على كتب القوم، ومن تمكن منهم كالديلمي لم يحصل الا على العدد القليل الضئيل، العدد الذي لا يضمن ولا يغني من جوع للذين يُريدون البحث والتنقيب في العقائد الاسماعيلية.

وأما الجدد منهم، فانهم ينقسمون الى قسمين:

الاسماعيلية، أو اسماعيلية الأهواء والأغراض مثل الهمدانيين حسين الهمداني، وعباس الهمداني، وحسن الأعظمي، ومصطفى غالب،^(٢)، وعارف تامر والمستشرق الروسي أيوانوف وغيرهم فانه لاعبرة بما كتبوه لأنهم

(١) ولذلك تجرأ على بن الوليد الداعي الاسماعيلي المتوفي سنة ٦١٢هـ أن يقول ردّاً على الغزالي بأنه كيف يقول عنهم ما لا يعلم. (أنظر «دامغ الباطل وحترف المناضل» الكتاب الذي ردّ به علي بن الوليد على الغزالي).

(٢) ما رأيت مثل هذا الرجل جريئاً على السرقة والكذب، فانه من الاشخاص الذين يمكن أن يضرب بهم الامثال بسرقة افكار الآخرين وآرائهم، فانه ينقل العبارات الكاملة بدون أن يعزوها الى من ينقلها عنه مضيفاً اياها الى نفسه، وحتى المتعمق في كتبه يعلم تماماً أن فقرة واحدة في كتبه ليست له، بل هي مسروقة أو مأخوذة عن الآخرين بدون نسبتها الى اصحابها. وهكذا نشره كتب الاسماعيلية بدعوى التحقيق فان أكثر ما نشره كان منشوراً من قبل، فلم يكلف نفسه إلا أن يشوّه ذلك الكتاب وينشره باسمه.

وأما بعض الكتب الاخرى التي لم يسبق الى نشرها فنشرها مليئة بالأخطاء، محشوة بالأغلاط، ولا توجد صفحة من صفحاتها إلا وهي مشوهة ممسوخة من كثرة ما وقع فيها من الفحش من الأخطاء.

لم يكتبوا ما كتبوه في المعتقدات الاسماعيلية وعقائدها الا عن تحيز وتعصب للدفاع عن الاسماعيلية وأفكارها وآرائها، ولم يختاروا إلا ما يمجدهم ويقرّبهم الى الطوائف الشيعية الاخرى ويوفق بين آرائهم وأفكارهم بالآراء والأفكار الاسلامية، معرضين عن الآراء التي تشينهم وتعييهم وتشوّه سمعتهم في أعين المسلمين، اللهم إلا شخصاً واحداً وهو الدكتور زاهد علي الهندي^(٣) فانه وحيد من بين القوم، الذي جعل نصب عينيه أو هدفه الحقيقة وقول الحق ولو على نفسه والوالدين والأقربين، ولو أنه أودى وأصيب بسوء في هذا السبيل.

والقسم الثاني: الذين بحثوا العقائد الاسماعيلية، وتنقبوا في كتبهم، وسبروا أغوار فكرهم ومذهبهم ولكنهم مع وفرة علمهم وفطنتهم وذكائهم، واعتنائهم بالكتب الاسماعيلية، لم يصلوا إلى كنه الحقائق المستورة وأصل الأفكار المخفية - وعلى رأسهم الدكتور محمد كامل حسين وغيره ممن حقق الكتب الاسماعيلية العديدة وقدمها بمقدمات علمية ضافية -

ومن جرّأته على الكذب أنه بدأ يلقب نفسه في الأعوام الأخيرة بالدكتور مصرحاً بأنه حصل على الدكتوراة في الفلسفة والتاريخ، مع أنه لم يتخرج من جامعة إطلاقاً دون أن يحصل على شهادة عالية أو عالمية، وتخبّطاته العشوائية في كتاباته في الكتب التي ينسبها إليه تدل على ذلك.

وأكثر من ذلك أن قصة حصوله على الدكتوراة في الفلسفة والتاريخ، وعارف تامر أيضاً قصة مضحكة مبكية، شاهدة ناطقة بجرأة هؤلاء على الكذب الواضح البين عواره وبطلان ما يكتبونه ويظهرونه للناس.

فان جامعة في بلدة من بلاد المشرق وهي كراتشي بباكستان تشتمل على غرفة ضيقة صغيرة واحدة لا تسع الا طاولة وكراسي أربعة، ولا تشتمل الا على شخص واحد هو رئيسها ومروءوسها، ومعلمها ومتعلمها، ومؤسستها وصاحبها وهو من الاسماعيلية أيضاً، هي التي قدم لها للدكتوراة في قسم الدكتوراة بمبلغ من الدولارات، ثم منها أخذت الشهادات للذين لا يحملون ولا الشهادة الثانوية، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم.

(٣) وسوف نذكره بشيء من التفصيل في هذا الخصوص فيما يأتي.

إمّا لعدم وجود الكتب الكافية للقوم، التي تنوّر الرأي، وتبصّر الحقيقة، وتكشف اللثام عن الآراء الحقيقية المستورة في مسألة من المسائل.

وإمّا لعدم التفريق بين الكتب السريّة التي يعبر عنها عند الاسماعيلية بكتب الباطن، وبين الكتب الظاهرية أو كتب الظاهر.

ولذلك نجد هذا القسم من الباحثين يخلطون الحق بالباطل، ولا يفرّقون بين الحابل والنابل وسيجد القارئ أمثلة كثيرة لهذا الخلط منشورة في الأبواب المتفرقة من هذا الكتاب، كما سنذكر بعض الأشياء التي لم نذكرها هناك، في هذه المقدمة لأهميتها وفائدتها.

وعلى هذا لا يستفاد كثيراً من هذا القسم أيضاً ولا يستنار بهم الطريق في الكتابة عن معتقدات القوم.

ثالثاً: صعوبة الحصول على الكتب الاسماعيلية المطبوع منها والمخطوط. أما المطبوع فلعدم انتشارها بين الناس ولقلة العدد المطبوع منها، زيادة على ذلك عدم مبالاة المكتبات العامة في بلاد المسلمين في مساعدة الباحثين والكتاب، وجهل مدرائهم والمشرّفين عليها في هذا الزمان حيث لا يعرفون عن العلم شيئاً إلّا من رحم ربّك، وانعدام روح المساعدة والمساهمة والتشجيع في تبلور الفكر وتنوّر الأذهان وصقل الأفكار، ولنظرهم الى هذه الوظيفة التي لم تكن في سالف الزمان إلّا وظيفة علمية روحية - ولا زالت في الغرب حتى الآن، ويا للأسف - نظرة مادية صرفة لقضاء بعض الوقت بين الكتب بدل المكافآت الشهرية التي يأخذونها، يحملون أوزارها كما يحمل الحمار أسفارا، وانني ذقت الأمرين على أعتاب هذه المكتبات ودهاليزها، وجريا وراء مدرائهم وأمنائهم، فصارت المطبوعات - قليلة العدد وقديمة الطبعة - في حكم المخطوطات، لا يستفيد منها إلّا الأُرصة أو الفيران.

وأما المخطوط فمخطوط، لا يملكها إلّا الأحاد والوصول إليها كالوصول إلى سعاد التي قال فيها الشاعر:

كيف الوصول إلى سعاد ودونها قلل الجبال ودونهن حتوف

وخاصة حينما تكون المخطوطات من كتب الاسماعيلية الذين أخذ كتبهم العهود والمواثيق من أخص الناس إليهم، ومن الذين لأجلهم كتبت هذه الكتب أن لا يعطوها لأحد، ولا يفضوا كلامها إلى الآخرين ولا يفسحوا مجالاً لأحد أن يلقي النظرة على ما فيه كما هو مسطور في أول كل كتاب من كتب الباطن أو الحقيقة، ونحن ننقل ههنا نموذجاً من كتابين، أولهما:

(الأنوار اللطيفة) للداعي الاسماعيلي طاهر بن إبراهيم الحارثي المتوفى سنة ٥٨٤ هـ فيقول في مقدمة كتابه:

«أنا آخذ عهد الله المؤكد، وميثاقه المغلظ المشدد، الذي أخذه على أسمائه النورانيين وصفاته الروحانيين، ملائكته المقربين، وأنبيائه المرسلين، وأوصيائه الطاهرين وأئمتهم الميامين، وحدود دينه أجمعين، من أهل السماوات وأهل الأرضين، على كل من وقع كتابي في يديه، وحصل لديه من خاص وعام، وعالي الرتبة ودان، أن لا قرأه ولا وقف عليه إلا بأمر من ذوي الأمر، ولا أباحه وبذله واطلع عليه إلا من يكون أخانا حقاً يرى برأينا، ويقول في فصل أئمة الحق بقولنا، ويعتقد فيهم كاعتقادنا، العارف بفضل حدودنا، الذين أخرجونا من حنادس الظلمة، ومهاوى الغمة، ونظروا إلينا بعين الرحمة، وأسدلوا علينا أثواب النعمة»^(٤).

وأما صاحب (مسائل مجموعة من الحقائق العالية والدقائق والأسرار السامية) فيقول بعد البسملة والحمدلة:

(٤) «الأنوار اللطيفة» للحارثي الباني ص ٧٨ المدرج في كتاب «الحقائق الخفية» للأعظمي ط الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ١٩٧٠ م.

«أما بعد أيها الأخ أعلى الله في رتب الصالحين درجتك ونور بنور الصافين المسبحين صورتك فقد وقفت على مسائلك التي دلت على تألق جذوة ذكائك وعلوك من منازل العلم وارتقائك وسألت الإجابة عنها وهي أيها الأخ تقتضي جواباً من زبد الحقائق المصونة وسرائر الحكم المكنونة ولب الفوائد المخزونة وأنا أتتحقق أنك أهل لأن تطلع على ذلك وتحقيق بأن تخصص بفضل ما هنالك إلا أنه مما لا يودع بطون الأوراق ولا يجب أن يرمق من العيون الشحمية بالأحداق صيانة له عن إبدائه وبذله وخوفاً عليه أن يقع إلى غير أهله، بل يجب أن يكون قرطاسه الأذن الواعية وقلمه اللسان المترجمة عن جوهرها العالية لكني لما أوثره من الجلاء لبصيرتك والزيادة في إنارة صورتك كتبت لك ذلك في هذه الأوراق وأنا آخذ عهد الله تعالى وعظيم الميثاق الذي أخذه على ملائكته المقربين وأنبيائه المنتجبين وأئمة دينه الهادين وحدودهم الميامين وإلا فأنت بريء منهم أجمعين لا وقف على ذلك إلا أنت أو أولادك لا غيرهم ثم يردّ إلى هذه الكراسة بعد أن تحفظ ما فيها وإن أردت أن تغيب ذلك تركتها عندك مدة ما يحفظ ما فيها ثم أعدتها إليّ، والله على ما نقول وكيل - ثم كتب في آخر الرسالة :

«وهذه الأجوبة أمانة عندك مؤكدة مغلفة مشددة يسألك الله عنها أنك لا نسخت منها حرفاً ولا اطلعت عليها أحداً ولتردّها إلى من يوصلها إليك في هذه النسخة بعد أن تقف على ذلك وتتحققه»^(٥).

ويروون فيه روايات عن جعفر بن محمد أنه قال :

«من أذاع لنا سرّاً أذاقه الله برد الحديد» - وأيضاً «من أذاع لنا سرّاً وأوصلنا بجبال من ذهب لم يزد منا إلا بعداً» - وقال : «الذائع لسرنا كالجاحد له»^(٦).

(٥) «مسائل مجموعة» للداعي الاسماعيلي الكبير ص ٥ و ٥٨ نشر شتروطمان ط المجمع العلمي غوتنغن.

(٦) أنظر «مطالع الشمس في معرفة النفوس» للداعي الاسماعيلي شهاب الدين أبي فراس ص ٣٤ من «أربع رسائل اسماعيلية» ط عارف تامر، بيروت، لبنان ١٩٧٨ م.

وقال داعي الدعاة الاسماعيلي المؤيد الشيرازي المتوفى ٤٧٠ هـ في هذا المعنى:

وإنما باب المعاني مقفل وأكثر الأنام عنها مغفل
مفتاحه أضحي بأيدي خزنه بهم إلهي علمه قد خزنه^(٧)

وقال أيضاً:

للعلم قوم به خصّوا أقامهم ربّ الوري للوري في أرضه علماً^(٨)

فمن كان هذا دينه كيف يمكن الوصول إلى كتبهم؟

ولقد اشتكى من صعوبة الحصول عليها والوصول إليها كل من أراد دراسة هذه الديانة، سواء كان من الإسماعيلية أو من غيرهم.

فها هو ذا الأستاذ آصف علي فيضي محقق كتاب (دعائم الإسلام) للنعمان بن محمد المغربي قاضي القضاة الاسماعيلي يكتب في مقدمة هذا الكتاب، الصعوبات التي واجهها في سبيل تحقيقه ونشره إياه فيقول ذاكراً إحدى النسخ للدعائم:

«وهي النسخة التي يمتلكها الملاجي السردار سيدنا طاهر سيف الدين الداعي المطلق للفرقة البهرة الداودية فقد سمح لي أن أطلع على هذه النسخة النفيسة في بدرى محل - بشارع هورنباي بيومباي - بحضور ومعونة نجله الثاني السيد يوسف نجم الدين في ١٦ يولية سنة ١٩٤٨ م، وبالرغم من أني لم أستطع تحديد حجم النسخة ولا عدد صفحاتها، فإني أستطيع أن أقول: إنها في الحجم الذي به تطبع الكتب على الحجر بإيران، مثل كتاب شرائع الإسلام ومجمع البحرين وغيرهما، وعلى النسخة شروح كثيرة. وهذه

(٧) «ديوان المؤيد الشيرازي» القصيدة الأولى ص ١٩٦ ط محمد كامل حسين، دار الكاتب المصري ١٩٤٩ م.

(٨) أيضاً القصيدة السابعة والخمسون ص ٣٠٧.

النسخة لا تخرج بأي حال من الأحوال من مكتبة الداعي ، وهذا سبب من الأسباب التي جعلتني لم أستطع الاعتماد عليها كثيراً . وقد تفضل قداسة الداعي (الملاحي طاهر سيف الدين) فندب شيخاً من أتباعه ليقابل ما أعدده للنشر بهذه النسخة . ولكن العمل لم يكن منتظماً ، ولم يكن دقيقاً الدقة التي يحتاج إليها مثل هذا العمل العلمي . ويجب أن نصرح بهذه الحقيقة المؤلمة ، وهي أن رجال الطوائف الدينية ليس عندهم فكرة ما عن قواعد تحقيق النصوص ، ويحاولون وضع العراقيل في طريق كل بحث حر أو دراسة علمية ، ويشهرون سلاح التقية في وجه التسهيلات العلمية التي اعتاد أن يقدمها علماء أوربا ، ويكفي أن أقول إنني بدأت العمل في إعداد الجزء الأول من دعائم الإسلام للنشر في أول يناير سنة ١٩٤٤م ومع ذلك لم أتمكن إلا من إلقاء نظرة خاطفة على هذه النسخة النفيسة بعد ثمان سنوات ونصف ، بالرغم من أني أعيش في نفس البلد الذي توجد به النسخة ، وإن من دواعي غبطتي أن أكون صديقاً لصاحب هذه النسخة ، وليس ذلك بمستغرب ، ومهما يكن من شيء ، فإني أشكر قداسة الداعي إذ سمح لي أن أحظى برؤية هذه النسخة مدة ساعة من الزمان برقابة ابنه وفي مقره الرسمي بيدري محل بيومباي ، وأرجو بمرور الزمن ، أن تتغير هذه النظرة المتطرفة غير المعقولة إلى نظرة العقل الناقد الحديث ، وأن تتخذ التقاليد المعروفة بين علماء أوربا التي نلمسها في كتابات المستشرقين^(٩) .

وقبل ذلك ترجى بقوله :

«ونرجو مخلصين أن تزول التقية والستر ، فقد أصبحتا لا قيمة لهما الآن . وصار الكتان أظهر من الشمس لكل من درس فلسفة اليونان . ونرجو أن يستبدل بذلك كله الاتجاه العلمي الخالص ذلك الاتجاه الذي يشجع حرية البحث والدرس في جميع نواحي الدراسات الاسماعيلية»^(١٠) .

(٩) مقدمة «دعائم الإسلام» لأصف علي فيضي ج ١ ص ٢٠ ، ٢١ ط دار المعارف مصر .

(١٠) أيضاً ص ١٥ .

وكتب الدكتور محمد كامل حسين الذي حقق عديداً من الكتب الاسماعيلية، وأخرجها من العدم إلى حيّز الوجود، وعرف بالعطف والحنان على الاسماعيلية والدفاع عن معتقداتهم، والمعتذر عن عقائدهم، كتب عندما كتب عن صعوبة الحصول على الكتب في كتابه الذي أفرده واستقله لمدح الاسماعيلية وتمجيدهم:

«فحرصنا على أن نرجع إلى كتب دعوة الفاطميين وراعنا أن القاهرة التي أنشأها الفاطميون وكانت قاعدة ملكهم الواسع لا تحتفظ بكتاب واحد من كتب الدعوة، فسعيننا إلى البحث في غير مصر، وكان السعي شاقاً عسيراً كلفنا من الجهد والمال الشيء الكثير، وما حيلتنا إذا كانت أكثر كتب الدعوة في حوزة طاهر سيف الدين الذي لقب نفسه بسلطان البهرة وزعم أنه الداعي المطلق لإمام مستور من نسل الأئمة الفاطميين، وهو رجل شحيح بهذه الكتب على الباحثين بدعوى أنها كتب الدعوة السرية ولكن حجته هذه أوهي من بيت العنكبوت فإن الأئمة الفاطميين - الذين ورث دعوتهم - لم يستروا علومهم، بل عملوا على نشرها وإذاعتها: شجعوا العلم والعلماء، وأنشأوا دار العلم وخزائن الكتب ليطلع عليها من يشاء متى يشاء^(١)، وكانوا يطلبون من العلماء تأليف الكتب على النحو الذي سنراه في هذا

(١١) وهذا أيضاً من تعاطف الدكتور مع الاسماعيلية، الذي جعله يخطيء ابن تيمية، وعبد القادر البغدادي، والغزالي وغيرهم، ويرميهم بالانحراف عن الحقيقة، والتمسك بالعصية المذهبية تجاه الاسماعيلية (أنظر مقدمة «ديوان المؤيد الشيرازي» لمحمد كامل حسين ص ١) وإلا فأئمتهم أنفسهم أمروا بكتبتن تعاليمهم وأحكامهم عن المخالفين، ولا المخالفين وحدهم، بل كانوا يكتمون بعض التعاليم والكتب عن الاسماعيلية وخاصتهم بل وخاصة خاصتهم حتى أن قاضي قضاة الاسماعيلية النعمان بن محمد لم يكن يعلم عن كتابات باب أبواب المعز جعفر بن منصور اليماني إلى ما أطلعته على بعض منها الإمام الاسماعيلي المعز بنفسه، واندحش النعمان من قراءته، وخرّ على رجليه مقبلاً إياها (أنظر «عيون الأخبار» للداعي الاسماعيلي المطلق ادريس عماد الدين، السبع السادس ص ٣٩ نسخة خطية).

وقد ذكرنا نص هذه الحادثة في الباب التاسع من هذا الكتاب تحت ترجمة جعفر بن منصور اليماني، وهناك في (سيرة الأستاذ جوذر) نائب الإمام الاسماعيلي القاسم على

الكتاب، فظاهر سيف الدين الآن يعمل عكس ما عمله الأئمة، ويأتي بآراء لم نعهدها في عصر الفاطميين، ولعله يريد أن يظل أتباعه في جهل مطبق حتى يستطيع أن يخدعهم بهذه الآراء الرجعية التي لا سند لها من تقاليد الأئمة ونظمهم، ومن يدري لعله يريد أن يستغل ما عليه أتباعه من جهل بحقيقة الدعوة الفاطمية كي يستولي على أموالهم باسم الدين، شأنه في ذلك شأن كل دجال مشعوذ^(١٢) .

المغرب والمتولي زمام الأمور للمنصور والمعز، فيه بأن المنصور الإمام الاسماعيلي الثالث في دور الظهور أعطى للجوزر كتباً كثيرة من كتبه وكتب الأئمة من آيائه تحتوي على علوم شتى من ظاهر وباطن، وقد أورد منها صفى الجوزر وكتاب العزيز بالله أشياء في كتابه بعد ما صرح ونص: «وقد أثبت في كتابنا هذا من ذلك ما يجب ذكره، وأباح الله ووليه إظهاره، وتركنا ما سوى ذلك كراهة اكتساب الأثام والتجاوز إلى المحظور (سيرة الأستاذ جوزر لأبي علي منصور العزيزي الجوزري ص ٥٣، ٥٤ ط دار الفكر العربي بالقاهرة) .

ومن الطرائف أن هذا الكتاب قدمه وحققه الدكتور محمد كامل حسين مع اشتراك الدكتور محمد عبد الهادي، وأطرف من ذلك أنه قال معلقاً على هذا النص: «يصرح المؤلف هنا بتصريح هام يتصل بمبدأ من مبادئ الدعوة: ذلك أنه ذكر أن بعض ما جاء في الكتب المحفوظة عن الأئمة لم يكتب للامة بل كان محظوراً عليهم وذكر أن في نشره على العامة إثماً - وهذا مبدأ من مبادئ الاسماعيلية في ستر العلم إلا لأهله . . . وإنما أباحوا لأنفسهم ستر العلم إلا لأهله بحديث ينسبونه إلى النبي أنه قال: «يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الجاهلين وانتحال المبطلين وتأويل الغالين» وهم يقتدون في ستر علومهم بقصة النبي موسى مع الرجل الصالح وهي القصة الواردة في القرآن في سورة الكهف ويعلق المؤيد في الدين داعي الدعاة على هذه القصة بقوله: «فإن كان موسى يرد عليه من علم الملكوت ما لا يقوم لاحتماله ويضعف عنه قوة نهوضه فلأن يكون العامة على احتمال ذلك أضعف وأقصر» (تعليقات على الكتاب المذكور تعليق رقم ٥٥ ص ١٦٤، ١٦٥) .

وما أدرى أنسى ذلك أم تناساه في جبههم، وعطفه وحنانه عليهم، والدفاع عنهم وقد قيل قديماً:

حبك الشيء يعمى ويصم

وسقطاته مثل هذه كثيرة جداً، وقد ذكرناها في الأبواب المختلفة من هذا الكتاب كما سنذكر بعضها في المقدمة إن شاء الله .

(١٢) «في أدب مصر الفاطمية» للدكتور محمد كامل حسين ص ٥، ٦ ط دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٧١ م.

وزاد محمد حسن الأعظمي^(١٣) - وهو من الاسماعيلية - الأمر بياناً
ووضوحاً عما قاله الدكتور محمد كامل حسين حيث كتب:

كان شيخ البهرة «طاهر سيف الدين» (والد محمد برهان الدين شيخ
البهرة الحالي) قاسياً في تصرفاته، وبحكم التقاليد كانت جميع الأعمال الدينية
موقوفة على إذن رسمي خاص منه أو من نائبه في كل مدينة أو بلد أو قرية

(١٣) والجدير بالذكر أن السيد الأعظمي لا يقل جرأة في السرقات عن تلميذه مصطفى غالب
الاسماعيلي الذي منحه «الدكتوراه» لعله للحصول على هذه الجرأة.
فإنه ينقل الموضوع بكامله عن الآخرين مضيفاً إلى نفسه دون أن يشير إلى مشقة وعناء
من نهبه وسلبه، ومثال واحد على ذلك «الباب الأول» في كتابه (الحقائق الخفية) في
«عقائد الفاطميين» فإنه سرقة فاضحة حيث أخذ هذا الباب بكامله من مقدمة ديوان
المؤيد الشيرازي للدكتور محمد كامل حسين بدون أدنى تغيير وتبديل في العبارة، وحتى
الجميل والتراكيب اللهم إلا ما يغير «الله» بالرب، و«الرب» باسم الجلالة، ولا غير (قارن
بين صفحة ٢٢ إلى ٥٢ من «الحقائق الخفية» وبين ص ٩٩ وما بعد من مقدمة ديوان
المؤيد).

بينما طبع الأعظمي كتابه سنة ١٩٧٠م، وكامل حسين سنة ١٩٤٩م.
وهذا مما يؤيد أيضاً ما ذكرته آنفاً بأن الكتاب المطبوع اليوم يصير في حكم المخطوط أو
المعدوم إذا مضى عليه وقت، وإلا لما أظن بأن الهيئة المصرية لو علمت ما فعله ويفعله
السيد الاسماعيلي المحترم لما أذنت له أن يعمل ما عمله بأحد الأساتذة المصريين المعروفين
وكتابها البارزين.

وأكثر كتب «حضرت» على هذا المنوال.

وما أكثر هذا النهب وهذا السلب !

وهذه السرقات وهذا الغصب !

من أناس يتعمدون إلى العلم والفكر !

ويتنسبون إلى البحث والتنقيب !

ونحن نصرح ههنا بأنه لا بأس عندنا من الاستفادة والاستئثار من الآخرين واقتباس
عباراتهم ومقولاتهم ولكن بذكر أصحابها وملاكها، والذين أحرقوا في إنشائها وتخليقها
دماء قلوبهم وأعمار مهجهم.

وليس بمقتطف الأفكار دون عزوها إلى أصحابها أقل جناية من مقتطف الأولاد من
آبائهم ظلماً وخفية.

فالله يهدينا إلى سواء السبيل.

يسمى «عاملاً» وكانت مخاطبته شخصياً غير ممكنة، ففي حضوره كان يوجد عدد من الوسطاء، فيوجه الخطاب إلى أحدهم لينقله إليه، وهكذا ينقل عنه الجواب بالواسطة مع أن الجميع حاضرون، وفي قاعة واحدة موجودون. وكان يسلط الأشرار ليتقموا من المتنورين المتحررين الذين كانوا ييوجون بأسرار جده الذي وضع السم للداعي المطلق السادس والأربعين الحق، والذي يعرف عنه هذا يطرد من الجماعة ويسمى «مدعياً».

وقد ثار عليه - كرد الفعل - بعض كبار التجار الأغنياء والمفكرين المتحررين في مدينة «سورت» مسقط رأسه. وقد كتبوا محضراً سجلوا فيه جميع المآخذ والعيوب، ثم قالوا: قد أجمعنا بما ثبت لدينا أنك غير مؤمن. بهذا قررنا اخراجك من جماعة المؤمنين. وقد قطعوا علاقتهم به وبشيعة، وأنشأوا هيئة خاصة لنشر فكرتهم، وأكثرهم يقيمون في مدن بومباي وسورت وناغفور بالهند»^(١٤).

وإذا كان الأمر كذلك فالحصول على كتب القوم من دونه خطر القتاد.

فأضنيت نفسي في ذلك، وصبرت مدة طويلة، وسافرت إلى بلدان بعيدة، وراسلت المعارف والأجانب، الأبعد والأقارب، ويشتت ورجوت، أمني نفسي تارة، وأعرضها أخرى، أقدم على مواصلة البحث والتنقيب وأحجم تارة إلى أن طال بي الأمد وألفت بين هذا الإقدام والإحجام كتابين آخرين عن الشيعة (الشيعة والتشيع، فرق وتاريخ) وكتاب (بين الشيعة وأهل السنة)^(١٥).

إضافة إلى العلل الأخرى التي ذكرتها في بدء الكلام.

(١٤) «الحقائق الخفية عن الشيعة الفاطمية والاثني عشرية» للحسن الأعظمي ص ١٨ ط الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ١٩٧٠ م.

(١٥) هذا غير كتاب «الشيعة والسنة» الذي ألفته سنة ١٩٧٣ م، ألفته ردّاً على الدكتور علي عبد الواحد وإفي، وصدرت طبعته الأولى في القاهرة سنة ١٩٨٥ م.

ففكرت يوماً من الأيام أن أرجىء هذا الموضوع إلى أن أفرغ من بحثي في (الصوفية والتصوف) الذي كنت قد جمعت له كتباً كثيرة تتعلق به، عربية وعجمية، إلى أن فتح الله لي الآفاق. وحصلت على بعض الكتب الاسماعيلية صدفة وبدون مشقة بعد ما تعبت وسمت من الحصول عليها.

ومن غرائب هذا التعب والمشقة أنني سافرت مرة من المرات إلى المملكة العربية السعودية فسمعت أن هناك معرضاً للكتب أقيم في القاهرة في تلك الأيام اشترك فيه كثير من مكاتب العالم والدول العربية التي تعني بنشر كتب التراث والكتب العربية، فطرت إلى القاهرة وبادرت إلى المعرض، وسمعت أن كتاباً للنعمان بن محمد المغربي قاضي القضاة الاسماعيلية (المجالس والمسائرات) بيع في المعرض، وقد طبعته مطبعة تونسية، ففتشت عن الكتاب ودوّرت عليه ولكنه لم يكن لوجود، وسألت عن المكتبة التي باعت نسخها في المعرض، وعن الأشخاص الذين اشتروها ولكن بدون جدوى، فطرت إلى تونس واتصلت بالناشر، وبعد إلحاح وإصرار، والترجى والاغراء فتش في مخازنه - حسب ما قاله - ولكن لم يجد ولا نسخة ولكن زادني علماً، ودلّني مشكوراً بأن المتحف الحكومي جنب جامع القيروان اشترى نسخاً منه فأجد بغيتي فيه وأخذ من عندهم تصوير الكتاب.

ووا أسفي ويا لهفتي أن مدراء المتحف هذا وأمناءه لم يكونوا مختلفين عن المسلمين الآخرين، أمناء المتاحف ومدراء المكتبات فلم يكن عندهم إصغاء ولا استماع اللهم إلا الإصرار والاستكبار. فإنّا لله وإنا إليه راجعون.

وأما حكايات ذهابي وتردادي إلى المركز الاسماعيلي الأغاخاني في كراتشي، والمركز الاسماعيلي البهري المتمثل في الجامعة السيفية بكراتشي أيضاً مع تأثيري ورسوخي وشهرتي وسمعتي وعلاقاتي وروابطي فإنه يطول شرحها ولكن الله عندما أراد - ولكل شيء أجل - فتح لي أبواب السماء «إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون» فدرت الكتب وتكاثرت، واجتمعت في أيام ما كنا نتصور جمعها في أعوام إلى أن اجتمع لدينا ما يقارب ثلاثمائة كتاب صغير وكبير عربي وفارسي، وأردني وإنجليزي من كتب القوم.

«ومن يتق الله يجعل الله مخرجاً له من أمره يسراً».

فالحمد لله على نعمائه حصلت على بعض الكتب عن الاسماعيلية النزارية التي لم ترها عين المسلمين قط، ولم تنلها أيدي المسلمين أبداً، فاستعنت بالله، وخططت خطة، ورسمت المنهج، وأردت أن لا أخرج عن طريقي المعروف، والمعروف لدى قرائي بأن لا أكتب شيئاً إلاً بالفاظ القوم وعباراتهم من كتبهم المعتمدة الموثوقة لديهم، بذكر الصفحات والمجلدات، والطبعات إن كانت مطبوعة، وذكر المخطوط إن كانت خطية، وأن لا أتسرع في الحكم إلاً بعد ما ألم بجميع جوانب الموضوع وأن لا ألتفت إلى ما يقوله المخالفون أو الموافقون، والمعارضون أو المدافعون والمؤيدون فظهرت لنا حقائق طالما خفيت على كثير من الباحثين للاسماعيلية - وما أقلهم - وظهرت لنا أشياء لم نكن نتصورها عكس ما قدمها لنا بعض المرتزقة من الأعاجم، والجهلة من المستشرقين، والسذج من العرب، والمغفلون الطييون من المصريين، من المحدثين غير المتقدمين^(١٦) الذين غرّهم وأغواهم وأوقع بهم مكوث الاسماعيلية برهة من الزمن في مصر وتسلطهم عليها مع قطع النظر عما أذاقهم من الذل والخسف، والهوان وسوء العذاب، وإحراق مدنهم، وهتك عرضهم وسب أسلافهم، وشتم أعيانهم وأكابرهم على رؤوس المنابر والأشهاد، نعم! قطع النظر عن هذا كله بالغوا في مدحهم واطرائهم والثناء عليهم، لمصريتهم، والآخرين لأغراضهم وأهدافهم، والقليلون لعدم بلوغهم إلى كنه الأشياء وإدراكهم حقائق الأمور.

ومن البارزين الذين اشتهروا في الآونة الأخيرة في الاسماعيليات من الناحية العقائدية وكتبوا عنها ولكنهم لم يصيبوا الهدف، ولم يصلوا إلى الحقيقة المغلوقة في الأغلفة الكثيرة المتراكمة، الدكتور محمد كامل حسين فإنه مع احتواء مكتبته على عديد من المخطوطات الاسماعيلية ونشره عدداً من الكتب

(١٦) اللهم إلاً البهائية الإسلامي الكبير الأستاذ محمد عبد الله عنان الذي قلما يوجد له مثال في أبحاثه وتعمقه في المواضيع التي يختارها للكتابة عنها، وقد أنصف القول في كتابه (الحاكم بأمر الله) أو أحداً آخر لم أطلع على ما كتبه في هذا الخصوص.

لم يستطع التفريق بين كتب الظاهر وكتب الباطن، ولم يدرك أن القوم لا يظهرون عقائدهم إلا في الكتب السرية التي يحرم الاطلاع على ما فيها إلا للخاصة وخاصة الخاصة أو لمن يأذن له الإمام الاسماعيلي المعصوم، أو من ينوب عنه ويقوم مقامه كما ذكرناه آنفاً.

وأما كتب الظاهر فيكتبونها للعمامة أي عامة الاسماعيلية وغير الاسماعيلية، ومن تعمق وتفحص، وفتش ونقب، عرف وعلم يقيناً بأن كاتباً واحداً من كتاب الاسماعيلية يكتب في الكتاب الظاهري شيئاً، وفي السري شيئاً آخر، ومثلنا في المباحث الآتية من الكتاب أمثلة كثيرة، ولكن لبيان أخطاء محمد كامل حسين وغيره من الذين انتهجوا منهجه، ودافعوا عن الاسماعيلية وعن عقائدهم التي تخرجهم من الملة الحنيفية البيضاء أو المعتدلين من الشيعة^(١٧) تمسكاً بما كتبوه في كتب الظاهر. تمثل بمثال واحد من الداعي الاسماعيلي المطلق ادريس عماد الدين فإنه يصرح في كتاب ظاهري بأن القائم بأمر الله كان ابناً حقيقياً للمهدي الاسماعيلي، كما كان المهدي ابناً للحسين ابن أحمد الإمام الاسماعيلي المستور، وتكفله عمه سعيد الخير^(١٨).

ولكن نفس هذا الداعي يقول في كتابه السري عكس ما يقوله تماماً في كتابه الظاهري المذكور فيصرح فيه بأن المهدي لم يكن إلا سعيد الخير الذي استكمل القائم، وأن القائم لم يكن ابنه، بل كان ولده المنتسب إليه بتعليمه وإفادته^(١٩).

ومثال آخر ما ذكره في محمد بن إسماعيل بأنه لما مات أبوه إسماعيل بن جعفر كان عمره ستاً وعشرين سنة^(٢٠).

(١٧) - مع العلم أنه لا يوجد في الشيعة اعتدال، في جميع طوائفها وفرقها.

(١٨) - أنظر لذلك «عيون الأخبار وفنون الآثار» للداعي المطلق ادريس عماد الدين، السبع الخامس ص ٨٩ و ١٥٧ ط دار الأندلس بيروت ١٩٧٣م، أيضاً «عيون الأخبار»، السبع الرابع. ص ٤٠٢.

(١٩) - أنظر «زهر المعاني» للداعي أدريس عماد الدين - الباب السابع عشر ص ٦٦، ٦٧ من «المنتخب» لابوانوف ط أجمل بريس بومبي.

(٢٠) - أنظر «عيون الأخبار» ص ٣٥١.

ولكنه نفسه يقول في كتابه السري أن عمره كان ثلاث سنين (٢١).

فهذان المثالان خير دليل على ما يعمل به الاسماعيلية من إخفاء الأشياء عن العامة في الكتب الظاهرية تجنباً عن الإيرادات والاعتراضات، ويظهرونها في الكتب السرية لأمنهم عن افتراس الأمر وسلامتهم عن المطاعن.

فينخدع كثير من الناس الذين لا يعرفون هذا السر.

ثم وإن الدكتور محمد كامل حسين وأمثاله لم يعرفوا بأن هناك كتاباً مخصوصين كانت صلتهم، أيام الحكم الاسماعيلي البلاد السنية، بالشعب السني وطيدة ومباشرة بحكم المنصب والوظيفة، أو دعاة كانوا يعيشون في البيئة السنية بعيدين عن البلاد التي يحكمها الاسماعيليون.

اتسمت كتاباتهم بالحفظ والاحتياط والاتزان نوعاً ما بحكم البيئة وحكم الوظيفة فإنهم ليسوا بعمدة في بيان المعتقدات الاسماعيلية، ولو أنهم أيضاً أظهروا أشياء مكنونة كثيرة أثناء الكتابات بدون الشعور والإدراك، أو أظهروا خباياهم في كتاباتهم السرية التي كتبوها لخاصتهم مثل النعمان بن محمد المغربي، والمؤيد الشيرازي، وحيد الدين الكرمانى وغيرهم الذين بكلامهم يستدل ويستند هؤلاء المنخدعون للرد على من ينتقدهم بالغلو والخروج عن المعتقدات الاسماعيلية.

فإن هؤلاء كثيراً ما حاولوا نفي كلام المعارضين على الاسماعيلية بأن أئمتهم كانوا يدعون علم الغيب، ويؤمنون بتأثير الكواكب، ويقولون بالتناسخ والحلول، أو يعتقدون بعقائد منافية للشريعة الإسلامية الغراء، من ألوهية الأئمة، واتصافهم بأوصاف الرب تبارك وتعالى عما يقوله الظالمون علواً كبيراً.

فلا يلتجئ هؤلاء للرد على هذه الاعتراضات إلا إلى كتابات النعمان ابن محمد وغيره، فمثلاً يقول محمد كامل حسين :

(٢١) - «زهر المعاني» ص ٤٧ من «المنتخب».

«بالرغم من أن الدولة الفاطمية قامت على أساس ديني، واتخذ الأئمة من نسبهم إلى الرسول صلوات الله عليه قوة يؤيدون بها دولتهم وينشرون بها سلطانهم ودعوتهم الدينية، فإن خصوم الفاطميين أخذوا يحاربونهم بنفس سلاحهم فطوراً ينفون نسبهم إلى الرسول، وطوراً آخر يصفون الأئمة الفاطميين بأنهم يؤلهون أنفسهم ويقولون بالحلول والتناسخ وعلم الغيب، وأنهم يذهبون في عقيدتهم مذهباً هو أقرب إلى المذاهب الإباحية، فلم يجد خصوم الفاطميين موبقة إلا رموا بها الفاطميين، نرى ذلك كله في كل كتاب من كتب التاريخ وغير التاريخ من الكتب التي عرضت للدولة الفاطمية والعقائد الفاطمية، ولكننا إذا قرأنا كتب الفاطميين السريّة التي استطعنا الحصول عليها، والتي نعمل على نشرها في «سلسلة مخطوطات الفاطميين» نرى عكس ما كتبه المؤرخون» (٢٢).

ويقول أيضاً:

«الفاطميون إذن لم يعملوا على طرح الأديان وإبطال العبادة كما وهم الكتاب والمؤرخون الذين تحدثوا عن الفاطميين... وشاركوا غيرهم من المسلمين في هذه العبادة الظاهرة، ودعوا إليها دعواتهم إلى عبادتهم الباطنة. وإذا قرأنا كتب الفقه الاسماعيلي مثل كتاب دعائم الاسلام للقاضي النعمان ابن محمد وكتاب المجالس المستنصرية، للداعي ثقة الإمام علم الإسلام وجدنا أن الفقه الاسماعيلي لا يكاد يختلف عن فقه أهل السنة وفقه مالك على وجه خاص، مع أن الاسماعيلية لا يأخذون في أحكامهم الشرعية بالرأي ولا بالقياس، إنما يأخذون بالأحكام التي يشرعها الإمام، ومع ذلك لم يختلفوا عن مذهب أهل السنة إلا في بعض مسائل فرعية» (٢٣).

(٢٢) - أنظر ما كتبه الدكتور محمد كامل حسين في مقدمة «كتاب المهمة في آداب اتباع الأئمة» للنعمان بن محمد المغربي ص ٢٠ ط دار الفكر العربي.

(٢٣) - «في أدب مصر الفاطمية» للدكتور محمد كامل حسين، الباب الأول (عقائد الفاطميين) ص ٣٠.

وقال أيضاً:

وخلاصة القول في العقائد الفاطمية أن الولاية هي محور هذه العقائد، وأن فلسفتهم كلها تدور حول الإمام وتمجيده أكثر من أي شيء آخر. وهم يعتقدون بكل ما يعتقد به غيرهم من المسلمين من موت وحياة وبعث ونشر وثواب وعقاب.

ويقومون بفرائض الدين ويحرمون ما حرمه الله ولا يقولون بالتعطيل أو الإباحة. ولم يعتقدوا التناسخ أو الحلول أو التلاشي» (٢٤).

وأكثر من ذلك عدّهم أنصف الشيعة وأكثرهم اعتدالاً (٢٥).

ثم التجأ للاستناد إلى النعمان وأمثاله مع أن الدكتور لم ينف شيئاً من عقائدهم، ولا دافع عن معتقد من معتقدهم إلا وقد أثبتنا وجوده في كتب القوم أنفسهم كما سيجد القارئ في «باب المعتقدات» و«نسخ الشريعة» و«التأويل الباطني».

ومن الطرائف أن النعمان بن محمد مع كونه قاضي قضاة المعز الإمام الاسماعيلي الرابع في دور الظهور لم يكن يعرف كثيراً عما كتب في كتب الباطن كما ذكرناه آنفاً من كتب القوم فضلاً عن أن يعرفه أحد من غير الاسماعيلية.

وعلى كل فإننا صابرنا طويلاً على جمع الكتب أولاً، كتب الظاهر وكتب الباطن، والكتب التي كتبت عنهم من المسلمين، العرب والعجم، والمستشرقين، ثم قرأتها قراءة تفصيلية دقيقة عميقة واستخراج ما فيها، وجمعها وترتيبها، تنظيمها وتنسيقها في قالب لعله يسر الناظرين.

وإننا على منهجنا لم نعط الاهتمام الأكبر إلا للجانب العقائدي، كما لم نهمل الجانب التاريخي أيضاً لعرض الموضوع في صورة واضحة، ولربطه

(٢٤) - أيضاً ص ٣٦، ٣٧.

(٢٥) - أنظر مقدمة «كتاب الهمة» ص ٢٤، ٢٥.

بالتسلسل التاريخي والزمني، ولو أن الكتاب يغلبه الجانب الاعتقادي أيضاً لأنه هو مطلبنا وغايتنا، ولم يلتفت إليه إلا القليلون بل الأقل من القليل.

فقسمنا الكتاب إلى قسمين: القسم التاريخي ويشتمل على أبواب أربعة.

الباب الأول: نشأة الاسماعيلية ومنشؤها، بحثنا فيه التطورات التي مرّ بها الشيع والمساهمين في هذه التطورات الغلاة الذين استغلوها لأغراضهم وأهدافهم، ثم تجمعهم حول اسماعيل بن جعفر وابنه محمد بن اسماعيل، ودور ميمون القداح وأولاده في تكوين الاسماعيلية وتخليقها وكذلك أئمة دور الستر.

والباب الثاني: الأئمة الاسماعيلية في دور الظهور، ذكرنا واحداً واحداً من المهدي إلى الأمر بميزات عصره وجدّه وجهده في ترويج العقائد الاسماعيلية ومعتقداتها والوسائل والذرائع التي اتخذها لهذا الغرض، ثم الحالة الاعتقادية في زمنه وأيامه.

والباب الثالث: بحثنا فيه نسب الأئمة الاسماعيلية بالتفصيل، وحاولنا الامام بجميع جوانب هذا البحث، والإحاطة بكل ما قيل في هذا الموضوع من الأطراف المختلفة، وسردنا الشواهد الثابتة والأدلة القاطعة في حسم الموضوع.

ثم الباب التاسع الأخير: زعماء الاسماعيلية وفرقها، ذكرنا فيه أهم زعماء هذه الطائفة والفرق التي تفرعت منها.

فهذا هو القسم التاريخي، ولكنه كما يلاحظ مصبغ بصبغة اعتقادية أيضاً، ومعطى له العناية الخاصة.

وأما القسم العقائدي فهو القسم الأكبر ركزنا فيه جهودنا، وكرّسنا فيه عملنا، وأتعبنا فيه قوانا وأضنيّا فيه مطايانا، وأجرينا فيه أشهب قلمنا وهو يشتمل على أبواب خمسة:

الباب الرابع : الاسماعيلية ومعتقداتها، فقد بحثنا فيه أهم المعتقدات الاسماعيلية من الالهيات، والنبوءات، والوصاية، والولاية، والإمامة، والمبدأ، والمعاد، والحلول، والتناسخ والقيامة، والجنة والنار، والثواب، والعقاب، كما فصلنا فيه فصلاً خاصاً لبيان بعض العقائد الشيعية التي يشترك فيها جميع الطوائف الغالية والمتطرفة، من الاعتقاد بتحريف القرآن الكريم، وسباب الصحابة، والتقية وتكفير المسلمين.

قلما وجد بهذا التفصيل وهذا الشمول في كتاب بلغة من لغات العالم ونقل العبارات من كتب القوم أنفسهم بذكر المصادر والمراجع، وهو أكبر باب في الكتاب، وسيجد الباحث والقارئ فيه تفصيلاً مدلاً لكتابات مرتزة الاسماعيلية والمخدوعين بهم.

والباب الخامس : الاسماعيلية ونسخ شريعة محمد صلى الله عليه وسلم، وهذا الباب مبتكر في موضوعه، لم يسبقني إلى الاكتشافات التي اكتشفتها في هذا الباب إلاّ باحث اسماعيلي هندي كبير شرح الله صدره للإسلام، وهو الدكتور زاهد علي، وكان من كبار رجالات الاسماعيلية فكتب كتباً عديدة منها (تبيين المعاني لشرح ديوان ابن هاني) و (تاريخ فاطميين مصر) باللغة الأردية، ولكن كتابه الذي أكسبه الشهرة هو ما كتبه بعنوان (همار، اسماعيلي مذاهب) أي مذاهبنا الاسماعيلية، باللغة الأردية، وكان قصده من كتابة هذا الكتاب إرشاد الاسماعيلية إلى طريق الحق والصواب وإرجاعهم إلى حظيرة الإسلام ولكن كان ردهم عليه قاسياً حيث أرادوا قتله واحراق بيته، لما فيه من كشف لأسرار مذهبهم، التي طالما حاولوا إخفاءها بالتحذيرات والتشديدات والتهديدات، وفعلاً إنه لمحاولة أولية لم يسبق إليها أحد من أبناء الاسماعيلية في شبه القارة الهندية الباكستانية، ويا ليتها تلتها المحاولات الأخرى لكنه لم يتجرأ عليها أحد بعده.

ورجوعاً إلى الموضوع أن الدكتور زاهد علي رحمه الله أتى في هذا الكتاب بأشياء لم تكن معلومة عند الكثيرين من الناس، فمنها اعتقاد الاسماعيلية بجميع طوائفها أن شريعة محمد قد نسخت، نسخها محمد بن

إسماعيل، فلقد استفدنا في هذا المبحث منه كثيراً، وحمداً لله قد أضفنا إليها أشياء وزدنا عليها مصادر ومراجع لم تكن مذكورة في كتابه، فهذا باب طريف وغريب.

والباب السادس: الاسماعيلية والتأويل الباطني وفيه اهتدينا إلى طرائف وغرائب، وأثبتنا فيه أن الاسماعيلية يجعلون الشريعة وأحكامها أضحوكة وألعوبة بالتأويل الباطني وكيف يصرفون الأحكام إلى الإهمال، والعمل إلى التعطيل، ثم أوردنا فيه تعارضات وتناقضات الأئمة الاسماعيلية وأبوابهم المعصومين ما بينهم في تأويل شيء واحد مع ادعاء كل واحد منهم العصمة.

والباب السابع: ماهية الدعوة ونظامها، ذكرنا فيه من كتب القوم الدعوة وحدودها (أي أعضائها) وأركانها، ودعائمها والأسس التي قامت عليها، ثم شكلها وماهيتها وأهدافها والمجالس التي قررت للدعوة، ودور الحكمة التي فتحت وغيرها من خواص المذهب الاسماعيلي ومميزاته.

والباب الثامن: الاسماعيلية مجموعة تعارضات وتناقضات:

خصصنا هذا الباب كما هو مفهوم من العنوان لبيان أن الاسماعيلية ليست لها عقائد ثابتة، وقواعد راسخة، وأسس متينة، وأصول رزينة فإنها مجموعة تعارضات وتناقضات تقول بها غلاة الشيعة والمتطرفون من الناس فإنه لا يوجد مسألة من مسائلهم وقضية من القضايا إلا ويختلف فيها القوم مع ادعائهم أن مذهبهم مأخوذ من المعصومين الذين لا ينطقون عن الهوى.

وذكرنا فيه كثرة التعارض والتناقض الذي قلما يوجد عند مذهب من المذاهب.

فهذا هو القسم الثاني، وهو الذي أخذ الحظ الأوفر والنصيب الأكثر من الكتاب، وهذه هي صورة موجزة عنه، أرجو الله أن ينفع به الخاص والعام، ويستفيد منه الأقارب والأباعد كغيره من مؤلفاتي حيث أن مدار الاستشهاد والاستدلال ليس إلا على كتب القوم أنفسهم بالأمانة العلمية،

ونقل العبارات الكاملة بدون تحريف وتبديل وتغيير - التي به امتازت كتبنا ومؤلفاتنا بفضل من الله وتوفيقه .

وبقي هنالك أمور لا بد من الالتفات إليها .

أولاً : إن هذا الكتاب يشتمل على ذكر اسماعيلية الدور الأول وعقائدهم ومعتقداتهم وتاريخهم وأخبارهم ، وأقصد بذلك اسماعيلية دور التكوين والنشأة إلى آخر دور الظهور الذي ينتهي بقتل الأمر بن المستعلي بن المستنصر ، سنة ٥٢٤ هـ الذين يعبر عنهم بالاسماعيلية القدامى أو الاسماعيلية المتقدمين ، وهذا هو الدور الذي لم يفترق فيه الاسماعيلية إلى الطوائف والفرق المختلفة ، وفعلاً هو ينتهي إلى موت المستنصر سنة ٤٨٧ هـ وتولية المستعلي الخلافة الاسماعيلية ولكننا مديناه إلى الأمر مع ذكر الافتراق الذي وقع في الاسماعيلية بدون التطرق إلى تفاصيلها لانتهاؤ دور الظهور عند جميع الأطراف الاسماعيلية ، ولم يشمل الكتاب اسماعيلية الدور الجديد الذي يبدأ بالحسن الصباح في فارس وقلعة الموت وغيرها من القلاع الجبلية ، وبال دعوة الطيبة تحت رعاية الصليحيين في اليمن ، والعقائد التي تجاهر بها كل من الطائفتين أولاً ، ثم الطوائف الأخرى المتفرعة منها ثانياً ، لأن هذا كله يحتاج إلى كتاب مستقل ، والذي قررنا إصداره في الفرصة المواتية الآتية القريبة إن شاء الله بعد هذا الكتاب ، فيصير هذا الكتاب كالجزء الأول ، والآتي كالجزء الثاني ، ونرجو أن يكون مبتكراً في موضوعه حيث حصلنا على وثائق ومستندات لم تقع في حوزة المسلمين أبداً .

كما لم نبحث في هذا الكتاب عن القرامطة ، ولا عن حركة المهلال الخصيب وعن معتقداتهم مع اتفاقهم مع الاسماعيلية في إمامة محمد بن إسماعيل مع ذكرهم استطراداً أثناء الكلام عن الاسماعيلية ، لا استقلالاً ، لأن الكلام عنهم يطول ويحتاج إلى البحث المستقل والكتاب الخاص بهؤلاء الناس .

ثانياً : زاد حجم الكتاب عن المؤلف ولم نكن نريد أن يزيد ولكننا لم نرد أن نبخل بمعلومات لعلها تكون جديدة لكثير من الناس ، وخاصة في

المكتبة العربية في مجموعة واحدة كهذا الكتاب ولو أننا أسقطنا أشياء كثيرة كنا نريد إدراجها فيه تجنباً عن ضخامته الزائدة مثل مبحث إخوان الصفاء هل هم رجال عديدون مختلفو الأماكن، متفقو الأهواء أم شخص واحد من الأئمة الإسماعيلية المعصومين يظهر بمظر المتعدد كما يصرح به إسماعيلية الدور الجديد، غير أولئك مع عدم ارتباكنا بأنه ليس كما يزعمه هؤلاء ولكنهم إسماعيلية الرأي والفكر بلا ريب، وكذلك مبحث تعاليم الاسماعيلية ومواضيع أخرى لعل الله يهيء لإبرازها أسباباً ومحركات فتظهر في وقتها وأوانها.

ثالثاً: لا نقصد فيما نكتب، ولا نهدف فيما نؤلف إلا تمييز الباطل من الحق، والكذب عن الصدق، والخطأ عن الصحيح؛ والزيف والضلال عن الرشد والصواب، والكفر عن الاسلام، الاسلام الذي ليس إلا عبارة عن كتاب رب العالمين وسنة سيد المرسلين بدون زيادة ولا نقصان، وإبعاد الناس عن الطريق المعوج الملتوي وتنفيرهم عن آراء الرجال الذين لم ينزل الله بهم من سلطان، وارشادهم إلى المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يضل سالكها ولا يهتدي تاركها، وإلى الوحي المتلو وغير المتلو ليعتصم الناس بحبل الله ويتمسكوا بهدى الرسول، ويتركوا حبل الشيطان وهدى الناس، فإننا لسنا من المحايد بين الكفر والإسلام، بل نحن من المنحازين إلى الإسلام ومتجاهرين بهذا الانحياز وغير آبهين ومكترئين بما يلومنا اللاثمون ويعذلنا العاذلون:

عذل العواذل حول قلبي التائه وهوى الأحبة منه في سودائه
أحبه وأحب فيه ملامة إن الملامة فيه من أعدائه

فإننا لا نكتب ما نكتب قاصدين هذا أو ذاك خدمة وحتى للعلم وغير العلم، وإرضاء لفلان، وإغضباً لفلان - ولا جعلنا الله منهم - بل نكتب ما نكتب خدمة للإسلام، وذوداً عن حرماته ومقدساته، نافين عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين - وجعلنا الله منهم - عصبية له

وغيره عليه، رآدين على من يريد تشويه صورته النقية الصافية وتبشيع وجهه
المضيء المنير بخرافاته وترهاته، ويبدعه وشركياته.

فهذا هو الهدف، وهذه هي الحقيقة من البحث والكتابة في الفرق
الضالة، المنحرفة، والطوائف الباغية الخارجة على الإسلام ممن كتبنا عنهم
حتى اليوم ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة.

وما علينا إلا البلاغ المبين، والله ولي التوفيق فهو حسبي ونعم
الوكيل.

إحسان الهي ظهير

لاهور، باكستان

١٢ / شوال ١٤٠٥ هـ، ٣٠ حزيران (يونيو) ١٩٨٥ م

في المنتصف من الليل

الباب الأول

الاسماعيلية نشأتها ومنشؤها

إن التشيع بدأ حينما بدأ بعد استشهاد عثمان رضى الله تعالى عنه وأيام التنازع على خلافة النبي وزعامة المسلمين وإما متهم بين على ومعاوية رضى الله عنهما والتشيع، بمفهومه الأصلي : المطاوعة والمتابعة، المجردة عن أي اختلاف عقائدي وفكرى أصيل، اللهم إلا ما يراه المتشيعون لعل وعلى نفسه أحقيته بالخلافة من معاوية رضى الله عنهما، لا بالتنصيب والتعيين بل لإختيار الأمة وانتخابها إياه، وإجماع أهل الحل والعقد من المهاجرين والأنصار على مبايعته إماما للمسلمين وحاكما لهم كما انتخبوا أبا بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم أجمعين، غير مفرقين بين على ومعاوية من حيث النظريات والمعتقدات، وغير مميزين بينهما بالإيمان وغير الإيمان، متفقين مع أنصار معاوية في الآراء الدينية والأفكار الإسلامية إتفاقا تاما، ومتحدين معهم في الايمانيات إتحاداً كاملاً، اللهم إلا ما حدث بينهم من مشايعة هؤلاء عليا ومناصرة أولئك معاوية، وهذا كله بشهادة على رضى الله تعالى عنه نفسه، وفي كتاب شيعي مشهور حيث يقول مستدلا على أحقيته بالخلافة دون معاوية، وبيان سبب الأحقية والترجيح عليه :

« أنه بايعني القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان على ما بايعوهم عليه، فلم يكن للشاهد أن يختار، ولا للغائب أن يردّ، وإنما الشورى

للمهاجرين والأنصار، فإن اجتمعوا على رجل وسموه إماما كان ذلك لله رضى، فإن خرج عن أمرهم خارج بطعن أو بدعة ردوه إلى ماخرج منه، فإن أبي قاتلوه على اتباعه غير سبيل المؤمنين، وولاه الله ما تولى» (١).

ويقول أيضاً معلناً على رؤوس الأشهاد عدم الاختلاف في العقائد الإسلامية والقواعد الشرعية بينه وشيعته، وبين معاوية وأنصاره، مبيناً وموضحاً سبب الخلاف وعلته في كتاب له كتبه إلى أهل الأمصار يقص فيه ماجرى بينه وبين أهل صفين :

« وكان بدء أمرنا أنا التقينا والقوم من أهل الشام، والظاهر أن ربنا واحد، ونبينا واحد، ودعوتنا في الإسلام واحدة. ولا نستزيدهم في الإيمان بالله والتصديق برسوله ولا يستزيدوننا، الأمر واحد إلا ما اختلفنا فيه من دم عثمان، ونحن منه براء ! » (٢).

وقد أراد أن يؤكد على معاوية وأنصاره الذين لم يختلفوا معه ومع شيعته منازعين الخلافة والإمامة، منكرين مبدأ الشورى، أللهم إلا لدم عثمان، وقد راح هدرا وجبارا، أراد أن يؤكد عليهم عدم علاقته فيه، قريبة أم بعيدة، وتبرؤه الكامل منه، بقوله :

« ولعمري يا معاوية لئن نظرت بعقلك دون هواك لتجدنى أبرأ الناس من دم عثمان، ولتعلمن أنى كنت في عزلة عنه إلا أن تتجنى (٣) فتجنّ ما بدا لك والسلام » (٤).

فهذه العبارات الثلاث، وكلها من « نهج البلاغة » صريحة في معناها بأن الخلاف بين على ومعاوية، وبين شيعتهما، لم يكن إختلاف الدين

(١) « نهج البلاغة » كتاب على إلى معاوية، الكتاب السادس من قسم رسائل أمير المؤمنين ص ٣٦٦، ٣٦٧ ط دار الكتاب اللبناني، بيروت بعناية الدكتور صبحى صالح ١٩٨٠ م.

(٢) أيضاً، كتاب رقم ٥٨ ص ٤٤٨.

(٣) أي تدعى الجناية على من يفعلها.

(٤) « نهج البلاغة » ص ٣٦٧.

والعقيدة، ولا حتى المبادئ والأسس^(٥)، وما كان معاوية يرى نفسه أجدر من على بالخلافة وأليق منه، بل كل ما كان في الأمر كان دم عثمان، مع إقراره بأن علياً لم يشارك فيه ولم يحرض عليه، ولذلك كان رده عليه بقوله :

« كيف أطيع رجلاً أعان على قتل عثمان وهو يزعم أنه لم يقتله ؟

ونحن لا نرد ذلك عليه، ولا نتهمه به، ولكنه آوى قتلة عثمان فيدفعهم إلينا حتى نقتلهم، ثم نحن نجيبكم إلى الطاعة والجماعة »^(٦).

ومرة أخرى قال لأبي الدرداء وأبي أمامة اللذين أرسلهما على رضى الله تعالى عنه إليه ليدعوا إلى الإعراف بخلافته وإمامته، قال لهما : إذهبا إليه فقولاً له :

« فليقدنا من قلته عثمان، ثم أنا أول من بايعه من أهل الشام »^(٧).

وعلى كل فإننا لسنا الآن في صدد بيان الاختلاف الواقع بين على ومعاوية والحروب الدائرة بينهم، بل كل ما نريد أن نبينه ههنا هو أن التشيع في بدئه لم يكن يقصد منه إلا التحزب السياسى لعلى رضى الله تعالى عنه والمشايعه له دون معاوية رضى الله تعالى عنه ومتابعته إياه، دون التطرق إلى العقائد والمعتقدات، ولم يكن هناك فوارق دينية ومعارضات مذهبية بين الأحزاب المتعارضة المتناطحة على الحكم والسلطة والاختيار، كما لم يكن هناك قضية وراثة الإمامة وإختصاصها ببيت دون بيت، كما ذكر ذلك أيضاً فلهوزن المستشرق الألماني :-

(٥) التي إخترعت فيما بعد، وبنى عليها علم الكلام الشيعى، على أن الامامة حق وراثى يتوارثها أولاد على من فاطمة رضى الله عنها، أو مفوضة إلى المسلمين يختارون من يريدونه صالحاً لهم ومتأهلاً لتسيير أمورهم.

(٦) « البداية والنهاية » لابن كثير ج ٧ ص ٢٥٧ ط بيروت، « الكامل » لابن الأثير ج ٣ ص ٢٩٠ ط : دار الكتاب العربى . « كتاب الطبرى » ج ٥ ص ٦ ط مكتبة خياط بيروت.

(٧) « البداية والنهاية » ج ٧ ص ٢٥٩.

« كان القدماء من أنصار على يعدونه في مرتبة مساوية لسائر الخلفاء الراشدين فكان يسلك مع أبي بكر وعمر وكذلك مع عثمان - طالما كان عادلا في خلافته - في سلك واحد، وكان يوضع في مقابل الأمويين المغتصبين للخلافة بوصفه استمرارا للخلافة الشرعية وحقه في الخلافة ناشئ عن أنه كان من أفاضل الصحابة وأنهم وضعوه في القمة وتلقى البيعة من أهل المدينة، ولم ينشأ هذا الحق - أو على الأقل لم ينشأ مباشرة - عن كونه من آل بيت الرسول »^(٨).

ثم تطور التشيع وحصل فيه التغيرات الكثيرة^(٩)، ونهض رجال طامعون طامحون لأغراض وأهداف مختلفة، وجعلوا التشيع قناعا وتسترًا على ما يريدونه ويتغونه، ويتمنونه ويهوونه من تسلط على الحكم، ووصول إلى العروش، وإبتغاء اللذات وهتك للأعراض، وسلب للأموال، وسفك للدماء، وهدم للدين، وسخرية بالعقائد، وإستهزاء بالقيم، وإباحة للمحظورات، وتحليل للمحرمات، وإقامة للفوضى، وعبث لفساد في الأرض وغير ذلك من الأغراض المشثومة والأهداف المشبوهة من نشر الزندقة والإلحاديين المسلمين، وجرهم بالتشكيك والتشوية على المزالق والمهالك.

والحق أن التشيع أصبح مأوى يلجأ إليه كل من أراد هدم الإسلام لعداوة وحقده، وكل من استهدف إدخال تعاليم آبائه من يهودية ونصرانية وزاردشتية وهندية، وكل من كان يقصد إستقلال بلاده والخروج على مملكته. كل هؤلاء كانوا يتخذون حب آل البيت ستارا يضعون وراءه كل ما شاءته أهواؤهم »^(١٠).

(٨) « الخوارج والشيعة » ص ١٧١ ط وكالة المطبوعات، الكويت. ترجمة عن الالمانية الدكتور عبد الرحمن بدوي.

(٩) من أراد الاطلاع على تلك التطورات التي حصلت في التشيع والشيعة على مر الأيام فليرجع إلى كتابنا المختص بهذا الموضوع « الشيعة والتشيع، و فرق وتاريخ » نشر ادارة ترجمان السنة، لاهور باكستان.

(١٠) انظر « فجر الاسلام » لأحمد أمين ص ٢٧٦ ط مكتبة النهضة القاهرة - الطبعة الثامنة

م ١٩٦١

وكان من بين هؤلاء المتقنعين بالتشيع والمستترين وراءه أبناء اليهودية المتحطمة في يثرب وخيبر، والنصارى المهزومة في تبوك إبتداء والروم انتهاء، وأبناء الفرس المكسورين في القادسية وفارس، وأولاد المتعصين الذين والوا المتنبيين الكذابين كالأسود العنسى، ومسيلمة الكذاب، وطليحة الأسدى، وسجاح وغيرهم، الذين لم يؤمنوا بهم، ولم يقاتلوا تحت لوائهم إيماناً بهم وتصديقاً بما يقولون، بل عصبية ليمنيتهم ومضريتهم، كما شاركهم للأسف الشذاذ من الطالبين أيضاً مؤثرين الحياة الدنيا وحطامها على الآخرة ونعيمها، كعبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب^(١١) رغبة في الملك وجمع الأوباش والسفلة حولهم ولكن أكثر الطالبين والطيبين من أولاد على قاوموه بكل شدة، وعارضوه بكل قوة، وتبرأوا من كل متشيع يفارق الجماعة، ويترك الشريعة والعقيدة الصحيحة المبنية على كتاب الرب جل وعلا وسنة النبي صلى الله عليه وسلم، وتجنبوا كل من أراد تفريق المسلمين، وتمزيق جمعهم، وتشيت شملهم، وهدم أركان الإسلام، واعتناق العقائد التى لا تمت إلى الإسلام بصلة، من الرجعة والغيبة والحلول، والتناسخ واجراء النبوة، ونزول الوحى، ومعرفة علم الغيب وامتلاك من القدرة والاختيار غير ما يمتلكه الآخرون، وأيضاً التكلم في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، سلف هذه الأمة، وخيارها المبشرين بالجنة وغيرهم وعلى رأسهم الخلفاء الراشدون الثلاثة أبو بكر وعمر وعثمان وأزواج النبي أمهات المؤمنين، وحتى ابتعد على بن الحسين الملقب بزين العابدين ومن خلفه بعده عن التطلع إلى الحكم والسلطة وصاروا منشغلين بالوعظ والنصيحة والدرس والتدريس والرشد والهداية كما ثبت في الكتب الشيعة نفسها بأن كل من طلب منهم البروز إلى ساحة القتال ومنازعة الحكم عارضوه مسفهين رأيه، طارحين قوله، متبرئين منه وما يقوله، متجنبين

(١١) انظر « فرق الشيعة » للنوختى الشيعى ص ٣٢ وما بعد ط المطبعة الحيدرية - نجف ١٩٣٦ م. وكتاب « المقالات والفرق » لسعيد بن عبد الله القمى الشيعى المتوفى سنة ٣٠١ هـ ص ٣٩ وما بعد ط مطبعة حيدرى طهران - ١٩٦٣ م.

مصاحبته ومجالسته، حتى هجروا الأقباء والأقرباء^(١٢) المتطلعين إلى الحكم والسلطنة إلى أن بلغ الأمر إلى جعفر بن محمد الباقر الملقب بالصادق، فجلس مجلس أبيه سنة أربع عشرة ومائة ولم يكن موقفه مختلفاً عن موقف أبيه محمد الباقر، وعلى زين العابدين، فحصر نفسه في المجالات العلمية، واقتصر على المجالس الدينية مقتفياً آثار آبائه، مقتنعاً بأرائهم وأفكارهم، متفقاً مع الجماعة، محباً لأصحاب جده رسول الله صلى الله عليه وسلم ومتولياً أبا بكر وعمر كما روى السيد مرتضى في كتابه «الشافى» وابن أبى الحديد في شرحه للنهج، الشيعة، عن جعفر بن محمد: «أنه كان يتولاهما ويأتى القبر فيسلم عليهما مع تسليمه على رسول الله صلى الله عليه وآله»^(١٣).

ولم يكن يتولاهما فحسب، بل كان يأمر أتباعه بولايتهما أيضاً كما روى الكليني في كافيهِ عن أبى بصير أنه قال :

« كنت جالسا عند أبى عبد الله (عليه السلام) إذ دخلت علينا أم خالد التي كان قطعها يوسف بن عمر تستأذن عليه فقال أبو عبد الله (عليه السلام): أيسرك أن تسمع كلامها؟ قال: فقلت: نعم، قال فأذن لها، قال: وأجلسنى معه على الطنفسة قال: ثم دخلت فتكلمت فإذا امرأة بليغة فسألته عنها، فقال لها: توليها؟ قالت: فأقول لربى إذا لقيته: إنك أمرتني بولايتهما، قال: نعم،^(١٤)

وذلك مع ابتعاده الكلى عن حلبة السياسة ومعاركها الطاحنة، واجتنابه المطلق عن التطلع إلى الحكم والاختيار، وتباعده عن كل من يطلبه ويتطلع

(١٢) انظر لذلك «الارشاد» للمفيد، اعلام الورى «للطبرسى»، و«مقاتل الطالبين» للأصفهاني، وقد جمعنا مثل هذه الحوادث والروايات في كتابنا «الشيعة والتشيع»، فرق وتاريخ» فمن أراد الاستزادة فليرجع إلى ذلك.

(١٣) كتاب «الشافى» للمرتضى ص ٢٣٨، و«شرح نهج البلاغة» لابن أبى الحديد ج ٤ ص ١٤٠ ط بيروت.

(١٤) كتاب «الروضة من الكافى» للكلينى ج ٨ ص ١٠١ ط ايران.

إليه ، واغضابه الكثيرين من أسرته وأهل بيته على ذلك كزيد بن علي ،
وعبد الله بن الحسن وغيرهما .^(١٥)

كما أنكر صراحة بأنه إمام مفترض الطاعة كما روى ذلك كل من المفيد
والطبرسي وغيرهما عن سعيد السمان أنه قال :

« كنت عند أبي عبد الله إذ دخل عليه رجلان من الزيدية فقالا : أفيكم
إمام مفترض الطاعة ؟ »

قال : فقال : لا ، فقالا : قد أخبرنا عنك الثقة أنك تقول به ؟ وسموا
قوما ، فغضب عليه السلام وقال : ما أمرتهم بهذا «^(١٦) .

ونفى عنه وعن آبائه الصفات التي تجعلهم فوق البشرية ، ومنها معرفة
علم الغيب وما شابهها كما يروى الكليني في « كافي » عن سدير قال : كنت
أنا وأبو بصير ويحيى البزاز ودواد بن كثير في مجلس أبي عبد الله (عليه السلام)
إذ خرج إلينا وهو مغضب ، فلما أخذ مجلسه قال : يا عجباً لأقوام يزعمون أنا
نعلم الغيب ، ما يعلم الغيب إلا الله عز وجل ، لقد هممت بضرب جاريتي
فلانة ، فهربت مني فما علمت في أي بيوت الدار هي «^(١٧) .

إلى غير ذلك من الأمور التي صارت من خواص التشيع ولوازم الشيعة
بعد التفسير والتطوير ولكن الشيعة في ذلك العصر الناقمين على الإسلام ،
والحاقدين على الأمة الإسلامية ، والمفارقين الجماعة ، والمغيرين دين الله ،
والمبدلين للشريعة التي جاء بها محمد صلوات الله وسلامه عليه لم يأسوا ولم
يقنطوا من هذه المعارضات والتصريحات من أهل البيت العلوي ، بل شمروا

(١٥) أنظر « الإرشاد » للمفيد الشيعي المتوفي سنة ٤١٣ هـ ص ٢٦٩ ، و ٢٧٦ ط مكتبة
بصيرق قم - إيران ، أيضاً « اعلام الوري » للطبرسي الشيعي ص ٢٧٨ ط دار الكتب
الاسلامية إيران .

(١٦) « اعلام الوري » للطبرسي الشيعي ص ٢٨٥ ، « الإرشاد » للمفيد ص ٢٧٤ ، أيضاً
« كشف الغمة » للاربل ج ٢ ص ٣٨٢ ط دار الكتاب الاسلامي ، بيروت .

(١٧) كتاب « الحجة من الكافي » للكليني الشيعي ج ١ ص ٢٥٧ ط طهران .

عن ساق جدهم، واشتغلوا بأكثر مما كانوا يشتغلون في السابق، وخاصة لما رأوا الظروف ملائمة والأحوال السياسية المتوترة موالية زمن سقوط خلافة بني أمية وانتقال الحكم منهم إلى بيت بني العباس وإنشغالهم في تنظيم الأمور وتدير الملك وتوطيد السلطان، والإقتصاد منهار بسبب زوال دولة وانتهائها وابتداء أمر دولة أخرى، وعدم وضوح الإتجاه السياسي، وخاصة في العراق، وبالأخص منها الكوفة موطن التشيع، ومعتزك الأساطير، ومجمع الأخلاط من الناس، ومركز الفتن، ومنبع الثورات، فاشتغل المشيعون للبيت العلوي بيت سموم الفتنة والفساد، ونشر الأفكار الأجنبية والإجادية وترويحها بين الناس باسم الدين، وتنظيم الجمعيات السرية الفتاكة، وتكوين الجماعات الهدامة لتشكيك الناس في دينهم، وتشويه معتقداتهم، كما أرسلوا رجالات منهم إلى البارزين من البيت العلوي للتجمع حولهم كي يوهوا الناس أنهم يحملون هذه الآراء والنظريات من أولئك، ويثونها حسب إرشادهم وتعليمهم.

وعلى ذلك نرى مثل أبي الخطاب، وميمون القداح، ومبارك، وبزيع بن موسى الحائك، ومعمر، والمغيرة بن سعيد، وأبي منصور العجلي، وبيان النهدي وغيرهم، فهؤلاء كلهم التفوا حول جعفر، وتجمعوا عنده، وادعوا التشيع، وأصبغوه صبغة تنافي كل الشرائع السماوية والنواميس الإلهية، وخرجوا على تعاليم كتاب الله وإرشادات رسول الله صلى الله عليه وسلم جهرا وعلنا ليمزقوا شمل الأمة، وبعثوا الشيعة من المسلمين فادعى كل واحد منهم حب جعفر والبيت العلوي، وبدأ ينشر أفكارا على حسابه وهو منها برىء.

وكان على رأس هؤلاء كلهم أبو الخطاب الأسدي نسبة إلى مواليه.

حركة الشيعة

وقبل أن نذكر هؤلاء نريد أن نذكر قبلهم بعض الذين سبقوهم من الشيعة الذين لهم جهود معروفة في تأسيس هذه النظريات التي اقتبسها هؤلاء ثم زادوا عليها سوءاً بعد سوء لأن حركتهم هي التي ولدت الاسماعيلية، وعلى أفكارهم عمرت عمارتها، وبني بناؤها وأسست قواعدها، ورتبت أصولها وبعض منهم ساهموا شخصياً في تكوينها ونشأتها وتحليقها وترقيتها وإنتشارها بين الناس.

فالمؤسس الأول للتشيع الذي عرف فيما بعد هو عبد الله بن سبأ^(١٨) الذي أرسله يهود صنعاء إلى المدينة متلبساً بلباس الإسلام، ومتبطناً بالكفر أشد الكفر والنقمة على الإسلام والمسلمين، وهو أول من أسس التشيع الحالي التشيع الذي فرق بين المسلمين وجماعتهم بترويج العقائد التي تختلف تماماً عما يعتقد المسلمون مقتبساً عن كتاب الله عز وجل وسنة النبي صلى الله

(١٨) ولقد أنكر بعض المعاصرين وخاصة الشيعة منهم وجود عبد الله بن سبأ مكذبين الشواهد الواضحة، والبراهين الثابتة، والأدلة القاطعة في وجوده، ولقد فندنا مزاعمهم في كتابنا «الشيعة وأهل البيت» ومن أراد المعرفة فليرجع إليه، كما ذكرنا مساعيه في بث سموم الفتنة والفساد، ونشر أفكاره الغريبة على المجتمع الإسلامي في كتابنا «الشيعة والتشيع، فرق وتاريخ».

عليه وسلم من وصاية على وإمامته وخلافته بعد النبي بلا فصل وغيبته ورجعته وتكفير أبي بكر وعمر وعثمان. وإظهار البراءة من أصحاب النبي، والمجاهرة بسبهم وشتهم (١٩).

فحاربه على رضى الله تعالى عنه وأظهر البراءة منه ولعنه وأراد قتله ولكنه يطلب من أصحابه سيره إلى المدائن ونفاه هناك. (٢٠)

ثم خلفه في تشيعه وعقائده المختار بن أبي عبيد الثقفي، وزاد عليه بانه يوحى إليه، وأن جبريل وميكائيل ينزلان عليه بالوحي وأنه يعلم الغيب (٢١).

ثم نرى التشيع يتخمر في بيت هند بنت المتكلفة الناعية، وليلي بنت قمامة المزنية اللتين قال فيهما الاعمش.

وكلهم شر على أن رأسهم حميدة والبلاء حاضنة الكسف

إلى أن وصل إلى المغيرة بن سعيد العجلي، وبيان بن سمعان، وأبي منصور العجلي الذين كانوا من أصحاب محمد الباقر ويظهرون تشيعهم له وهو منهم برىء. فزادوا في عقائد الشيعة أشياء كثيرة، منها إتصاف على وأولاده بأوصاف لا تليق بالأنبياء والرسل، وأحياناً أغرطوا القول فيه حتى وصفوهم بأوصاف الإله الواحد القهار، كما وصفوا أنفسهم بالإمامة وأحياناً بالرسالة وأباحوا المحرمات، وأتوا بالمنكرات، وأبطلوا الأعمال، وعطلوا

(١٩) انظر لذلك «رجال الكشي» ص ١٠١ ط مؤسسة الاعلمي بکربلاء، «فرق الشيعة» للنويختي ص ٢١، ٢٢ المطبعة الحيدرية، نجف - العراق، كتاب «المقالات والفرق» لسعد القمي ص ٢٠، ٢١ ط مطبعة حيدري طهران، وكتابنا «الشيعة والسنة» ص ٢١ ومابعد ط ادارة ترجمان السنة باكستان ١٩٨٣ م الطبعة الثالثة والعشرون. «تنقيح المقال» للهامقاني ج ٢ ص ١٨٤ ط المطبعة المرتضوية ١٣٥٠.

(٢٠) انظر المراجع المذكورة.

(٢١) «فرق الشيعة» للنويختي ص ٢٣، وكتاب «المقالات والفرق» لسعد القمي انظر «تاريخ الطبري» ص ١٥٣ وكتاب «الحيوان» للجاحظ ج ٢ ص ٢٦٨ أيضاً «تاريخ الطبري» ج ٧ ص ١٤٥.

الشرائع ، وقالوا بتناسخ الأرواح والحلول ، وأن لا ثواب ولا عقاب ،
فتبرأ منهم أهل البيت العلوى وقادتهم وعلى رأسهم محمد الباقر وإبنة جعفر
كما نقل الكشى أن جعفر بن الباقر ذكر عنده المغيرة بن سعيد وما كان يقول
في حق آبائه فقال :

« لعن الله المغيرة بن سعيد ولعن الله يهودية كان يختلف إليها يتعلم منها
السحر والشعبذة والمخاريق ، إن المغيرة كذب على أبى فسلبه الله الإيمان ،
وإن قوما كذبوا على ، ما لهم ، أذاقهم الله حر الحديد ، فوالله ما نحن إلا عبيد
الذي خلقنا واصطفانا ما نقدر على ضر ولا نفع ، إن رحمتنا فبرحمته ، إن عذبنا
فبذنوبنا ، والله ما لنا على الله من حجة ولا معنا من الله براءات وانا لميتون
ومقبورون ومنشرون ومبعوثون وموقوفون ومسئولون ، ويلهم ما لهم ، لعنهم
الله لقد آذوا الله وآذوا رسوله ﷺ في قبره وأمير المؤمنين وفاطمة والحسن
والحسين وعلى بن الحسين ومحمد بن على « رضى الله عنهم » (٢٢) .

ويذكر عقائدهم سعد بن عبد الله القمى والنوبختى ، والقول للأول :

« إن الأئمة آلهة وملائكته وأنبياء ورسل ، وهم الذين تكلموا في الأظلة
والتناسخ في الأرواح والدور والكور في هذه الدار وإبطال القيامة والبعث
والحساب والجنة والنار ، وزعموا أن لادار إلا الدنيا ، وأن القيامة إنما هي
خروج الروح من بدن ودخولها في بدن آخر إن خيراً خيراً ، وإن شراً فشرأ ،
مسرورون في هذه الأبدان أو معذبون فيها من كان منها معذباً ، فالأبدان هي
الجنات ، وهي النيران منقولون في الأجسام الأنسية المنعمة في حياتهم ،
ومنقولون في الردية المشوهة من كلاب ، وقردة ، وخنازير ، وحيات ، وعقارب
وخنافس ، وجعلان ، وغير ذلك من الدواب والأنعام على قدر أعمالهم :
محلولون من بدن إلى بدن معذبون فيها هكذا فهي جهنم ونارهم ، وذلك على
ما يكون منهم من عظيم الذنوب وكبائرهما في إنكارهم لأئمتهم ومعصيتهم
لهم ، إنما يسقط الأبدان ويخرب ، إذا هي مساكنهم فتتلاشى الأبدان وتنفى

(٢٢) انظر « رجال الكشى » ص ١٩٦ تحت عنوان المغيرة بن سعيد .

وترجع الروح في قالب آخر منعم أو معذب، وهذا معنى الرجعة عندهم، وإنما الأبدان قوالب ومساكن بمنزلة الثياب التي يلبسها الناس فتبلى وتتمزق وتطرح ويلبس غيرها وبمنزلة البيوت يعمرها الناس فاذا تركوا وعمرها غيرها خربت والثواب والعقاب على الأرواح دون الأبدان وتأولوا في ذلك قول الله: «في أي صورة ما شاء ركبك». وقوله «وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم» وقوله «وإن من أمة إلا خلا فيها نذير» فجميع الطير والدواب والسباع كانوا أمما وأناساً خلت فيهم نذر من الله، واتخذ عليهم بهم الحجة، من كان منهم صالحاً مقررّاً بما يدعوه من مذهبهم جعل الله روحه بعد وفاته وخراب قلبه وهدم مسكنه في بدن صالح، فأكرمه ونعمه، ومن كان منهم كافراً عاصياً نقل روحه إلى بدن خبيث مشوّه يعذّبه في الدنيا وأهانه وجعله في أقبح صورة، ورزقه أثنى رزق وأفزره، وتأولوا في ذلك قول الله «فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربّ أكرم من وأما إذا ما ابتلاه فقدّر عليه رزقه فيقول ربّ أهانن»، فكذب الله هؤلاء وردّ عليهم قولهم لمعصيتهم إيّاه فقال: «كلا بل لا تكرمون اليّيم» وهو النبي صلى الله عليه وسلم «ولا تحاضون على طعام المسكين» وهو الإمام الوصي «وتأكلون التراث أكلاً لما» لا تخرجون حق الإمام مما رزقكم وأجرى لكم (٢٣).

إلى أن ظهر أبو الخطاب الذي صاحب جعفر بن الباقر مدة وتلمذ عليه، وقبل أن نتكلم عنه نريد أن نذكر رجلاً آخر أثر كثيراً في الشيعة وساهم في تطوّرهم إلى عقائد مخالفة للكتاب والسنة، ودعا الناس إلى الإباحية والإلحاد وهو من الطالبين، وأقصد به عبد الله بن معاوية الذي أشرنا إليه فيما سبق لأنه عند البعض هو أول من تجاهر بالوهمية البشر وأنه قد حلّ فيه، ثم أنه أطلق عنان متبعيه أن يعملوا ما يشاءون ويفعلوا ما

(٢٣) «كتاب المقالات والفرق» لسعد القمي ص ٤٤، ٤٥، والنوبختي ص ٣٦ وما بعد.

يشتهون، وقد استطاع أن يتغلب على فارس ويستولى عليها^(٢٤) وضرب السكة باسمه ونفت نشوة جديدة في نفوس الشيعة وروحاً وثاباً في أجسادهم، المحبين للسلطة والإقتدار والراغبين للحكم والاختيار أن ينتهجوا منهجه ويسلكوا مسكله فتأثر منه الكثيرون، ومنهم أبو الخطاب وتلميذه ميمون القداح وابنه عبد الله الذين هم مدار بحثنا ومركز كلامنا، وكان ظهوره أيضاً في أيام جعفر بن الباقر، ولقد ذكر ذلك كل من تطرق إلى بيان العقائد والأحداث من السنة والشيعة ولكننا نذكره من كتب الشيعة مشيرين إلى وجود ذكره في كتب السنة، فلقد ذكره القمي بقوله :

« وفرقة قالت : أوصى أبو هاشم إلى عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، الخارج بالكوفة، وأمه أم عون بنت عون بن العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، وهو يومئذ غلام صغير، فدفع الوصية إلى صالح بن مدرك وأمره أن يحفظها حتى يبلغ عبد الله بن معاوية، فدفعها إليه، فلما بلغ دفعها إليه، فهو الامام الوصي، وهو عالم بكل شيء، وغلوا فيه وقالوا : إن الله نور وهو في عبد الله بن معاوية ومالت فرقة من الحربية إليهم . . . يقولون من عرف الإمام فليصنع ماشاء . . . وكان سبب ادعاء عبد الله بن معاوية الوصية والإمامة أن الحربية أصحاب عبد الله بن عمر بن الحرب افترقوا فيه لما ادعى وصية أبي هاشم وأن روحه تحولت فيه، وأن الامامة تدور مع الوصية وتثبت بها، كما ثبتت إمامة علي بن أبي طالب بوصية رسول الله إليه، فكان وصيا لذلك دون العباس بن عبد المطلب وسائر الناس من بني هاشم، فصاروا فرقتين :

- فرقة، صدقته على ما ادعى من وصية أبي هاشم وفرقة كذبتة وذلك أنه يعلم ما في الارحام ويعلم الغيب، ومواضع الكنوز وحدوث الدول، وأنه سيملك فينا هو يوماً في منزل رجل بالمدائن وكبراء أصحابه معه إذ دق جلوаз الباب وكان صاحب المنزل وعده حاجة ولم يعرف عبد الله بن عمرو

(٢٤) انظر الطبري ج ٩ تحت حوادث سنة ١٢٩ ص ٩٣.

الأمر، فوثب فزعا وقال : دعيتم أنا كب الشيطان فخرجوا جميعاً وظهر هو إلى دار رجل فاندقت ساقه فخرج صاحب الرجل إلى الرجل، ثم خرج إليهم فقال : لا بأس، فرجع بعضهم وهرب الباقيون فقبل لعبد الله : أنت كيف تكون إماماً ؟ كيف تعلم الغيب وما في الأرحام وأنت ستملك مع هذه الغفلة، وهذا العقل ؟ فكذبوه ثم اجتمع أمرهم على أن يخرجوا إلى المدينة يلتمسون إماماً من بنى هاشم إذا كان لا بد لهم من إمام، فبيناهم بالمدينة متحيزين إذ أتى عبد الله بن معاوية فأخبره خبرهم فأرسل إليهم، فلما دخلوا عليه قريهم وانتسب لهم، وأخبرهم بصفقتهم، وما قدموا له، ورغبهم أن هذا أمر علمه بذاته وطبعه، فقبلوا قوله وصدقوه وادعوا إمامته، وأنه وصى أبى هاشم ثم ادعى أن روح الله تحولت في آدم كما قالت طائفة من النصارى في عيسى بن مريم، وأن تلك الروح لم تنزل تتحول حتى صارت فيه وأنه يحى الموتى، وأنما أطمعه في تصديقهم إياه ما وقف عليه من تصديقهم لابن الحرب، وكان هو من أبين الناس وأفصحهم وأخطبهم وأشعرهم فقبلوه وجعلوه إماماً، ودعوا إليه، فكان أول ما شرع لهم تحريم الختان، وقال إن المختن راغب عن خلق الله ولولا أن الشعر والظفر ميتان وعلى الحى مفارقة الميت ما قلنا ظفراً ولا أخفنا شعراً، وزعم أن الناس لا يزالون يولدون ويموتون أبداً والأخرة هى السماء لمن صار إليها بالعمل الصالح، والأرض بطن الحوت لمن صار إليها بالعمل السيئ وزعموا أنه أحل لهم الميتة والدم ولحم الخنزير والمنخقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وتأولوا في ذلك قول الله « ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات . . . » وأن هذه الآية ناسخة لما قبلها من قوله « حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير . . . » ولكان ما جرم شيئاً من ذلك .

- وزعمت فرقة منهم أنهم لم يستحلوا ذلك من هذه الآية ولكنهم زعموا أن للفرض حداً والامتحان نهاية إذ بلغها العبد سقطت عنه المحنة وذلك أن العبد إذا صلح وظهر وخلص وفارق الادناس ولم يأخذ الأمور على الأهواء لم يجز امتحانه ولم يحسن في المحكمة اختباره، كما أن امتحان الذهب الابريز

المصنفى بالخل والنار خطأ، فكذلك إمتحان الطاهر النظيف الخاص يكون خطأ، وإنما يجوز أن يكون العبد ممتحنا مادام عند ربه ملطخا ممزجا فلذلك يختبر ويفتش فاما إذا نفى وهذب فكل حرام على غيره حلال له وهذا قول قد قال به نسك البصريين مثل همام وحرب النجار وعبد السلام السرّوطى، وقد كان حيا أبو الأسود قد قال به زمانا فلما رجع من سنجان إلى البصرة تركه.

ولقولهم بهذه المذاهب حديث يطول به الكتاب، ولهم في ذلك اعلال كثير، وقد قالوا في عبد الله بن معاوية وما ادّعه من تناسخ الأرواح غير ذلك أشعاراً كثيرة قال بعض أصحابه :

يرى الله منك تلاقى العيون وعار ببدنك لم يخلق
يعنى ما لاقاه المبصر منك مخلوق والروح التي فيك غير مخلوقة. وقال :

وإن شئت انطلقت صمّ الجبال بعزّ وإن شئت لم تنطق
وأصحاب عبد الله بن معاوية يتسمّون المعاوية ويزعمون أن الأرواح تناسخ فإن روح الله جل وعزّ عن ذلك كانت في آدم على مقالة فرقة من النصارى، وزعمت أن الأنبياء كلها آلهة ينتقل الروح من واحد إلى واحد، حتى صارت في محمد صلى الله عليه وسلم، ثم في على ثم في محمد بن الحنفية، ثم في ابنه أبى هاشم، ثم فيه وزعموا أن الدينا لا تنفى أبدا واستحلّوا الزنا وإتيان الرجال في أدبارهم.

فلما قتل أبو مسلم عبد الله بن معاوية في حبسه افترق أصحابه فرقا :
ففرقة منهم ثبتت على إمامة ابن الحرب والقول بالغلو والتناسخ والأظلة والدور وادعوا أن هذه المقالات كان يروها جابر بن عبد الله الأنصارى وجابر بن يزيد الجعفى وأن مذهبها كان هذا، وأبطلوا جميع الفرائض والشرائع والسنن «(٢٥)».

(٢٥) كتاب «المقالات والفرق» لسعد القمى الشيعي ص ٣٩ - إلى ٤٣.

وأضاف النوبختي أن الذين زادوا قوته وشوكته كانوا أصحاب عبد الله بن الحارث وكان أبوه زنديقا من أهل المدائن^(٢٦).

وقد ذكره من السنة غير الطبري البغدادي في (الفرق بين الفرق)^(٢٧)

وأيضاً الرازي في «اعتقادات فرق المسلمين والمشركين»^(٢٨).

فهذا هو عبد الله بن معاوية. وهذه هي آراؤه وأفكاره إلى أن جاء أبو الخطاب.

أبو الخطاب

إن أبا الخطاب محمد بن أبي زينب مقلص^(٢٩) الأجدع أو محمد بن أبي ثور^(٣٠) وكان يكنى بأبي ظبيان وبأبي إسماعيل^(٣١)، له صلة وثيقة بنشأة الإسماعيلية وتكوينها وإيجاد عقائدها ومعتقداتها التي تبنتها فيما بعد حسب ما يراه الكثيرون ممن اعتنوا بالفرق من المتقدمين - وأخص بالذكر الشيعة منهم - والمتأخرين - المستشرقين منهم بوجه أخص -، ولذلك نعطينه أهمية في تطوير التشيع ودوره الذي قام به في نشر أفكاره وآرائه، وما كان يتبناه من المذهب والمسلك.

فإن أوسع من كتب عنه وعن عقائده هو سعد بن عبد الله القمي الشيعي المتوفى سنة ما بين ٢٩٩ هـ - ٣٠١ هـ ويليهِ في هذا الخصوص شيعي

(٢٦) انظر «فرق الشيعة» للنوبختي ص ٣٤.

(٢٧) انظر : «الفرق بين الفرق» للبغدادي ص ٢٥٦.

(٢٨) انظر ص ٥٩ ط دار الكتب العلمية بيروت ١٩٨٢ م.

(٢٩) حسب رواية الأكثر.

(٣٠) حسب رواية المقرئ.

(٣١) انظر «فرق الشيعة» للنوبختي ص ٣٩، ٦٩.

آخر كتب في الفرق وهو معاصره أيضاً النوبختي^(٣٢) المتوفى ما بين سنة ٣٠١ هـ - و ٣١٠ هـ، ولذلك نبدأ بما أورده القمي مع ذكر الإضافات والزيادات من الآخرين الذين تناولوا ذكره وأفكاره من الشيعة والسنة لإلقاء الضوء على نشأة الإسماعيلية، والدور الذي قام به أبو الخطاب، ونظرياته التي صارت أساساً للإسماعيلية وأتباعه الذين احتضنوها وربّوها في حجرهم وأولوها رعايتهم واهتمامهم.

إن سعد بن عبد الله القمي ذكر أبا الخطاب في موضعين من كتابه مثل النوبختي تماماً^(٣٣) أولاً عند ذكر الغلاة من الشيعة بعد الكيسانية، كفرقة مستقلة رقم ١٠١ بعنوان « أصحاب أبي الخطاب »^(٣٤).

وفي الموضع الآخر عند ذكر الإسماعيلية ضمن الفرق التي اختلفت بعد وفاة أبي عبد الله جعفر بن محمد الباقر برقم ١٥٨ بعنوان « الإسماعيلية الخالصة فهم الخطابية أصحاب أبي الخطاب »^(٣٥).

وبذلك يظهر لأول وهلة أن القمي والنوبختي ماكانا يفرقان بين الإسماعيلية والخطابية فخلاصة ما أورده القمي في كتابه أن أبا الخطاب كان في أصحاب جعفر^(٣٦) ورواته^(٣٧)، وادعى أنه جعله قيّمه ووصيه من بعده،

(٣٢) لا كما زعمه برنارد لويس بأن النوبختي أكثر تفصيلاً في الكتابة عن أبي الخطاب وأعماله، لأن القمي ذكر أشياء والروابط بينه وبين الإسماعيلية، التي لم يذكرها النوبختي ولا غيره، ويبدو أن برنارد لويس لم يكن عنده كتاب القمي هذا.

(٣٣) أنظر : « رجال الشيعة » ص ٢٤٦ ط كربلاء.

(٣٤) أنظر « كتاب المقالات والفرق » لسعد عبد الله القمي ص ٥٠ وما بعده.

(٣٥) أيضاً ص ٨١.

(٣٦) ولا أدري من أين أخذ المستشرق الانجليزي برنارد لويس أن أبا الخطاب كان داعية للباقر وابنه جعفر (انظر أصول الإسماعيلية لبرنارد لويس، الطبعة العربية بتحقيق خليل جلو وجاسم الرجب ص ٩٨ ط دار الكتاب العربي مصر).

(٣٧) ان أبا الخطاب كان من أصحاب الصادق مستقيماً في أول أمره « تنقيح المقال » للهاماني ج ٣ ص ١٨٩، وأعتمدوا على مروياته حال استقامته ولأجل ذلك عملت الطائفة بما رواه أبو الخطاب في حالة استقامته، وتركوا ما رواه في حال تخليطه. « نفس المصدر ».

وكانت الأفكار والعقائد التي رَوَّجها بين أصحابه هي :-

أولاً : لا بد في كل عصر من رسولين : ناطق، وصامت، فكان محمد صلى الله عليه وسلم ناطقاً، وعلى صامتا.

ثانياً : إن الامام يتصور في أي صورة شاء.

ثالثاً : من عرف الإمام وضع عنه الأعمال.

رابعاً : إن الله يحل في أبدان الرسل والأئمة، وقد حل هذا النور في عبد المطلب ثم صار في أبي طالب، ثم في محمد، ثم في علي، وأخيراً في جعفر، ثم في أبي الخطاب.

خامساً : إن الأرواح والأجسام لا تموت وتفتي ولكنها تتحول ملائكة.

سادساً : تحليل الشهوات ما حل منها وما حرم من الزنا والسرقة والخمر والربا والدم ولحم الخنزير ونكاح المحرمات ونكاح الرجال، وقالوا : إن كل شيء فرضه الله في القرآن وحرّمه وأحلّه فإنما هو أسماء الرجال .

لذلك لا حاجة إلى الصلاة والصيام والحج وغيره.

سابعاً : إن الإسماعيلية هي مجموعة أفكار أبي الخطاب وأصحابه، كما أنها تجمّع وتحشد من الخطابين المتشعبين بجماعات أربعة : البزيعية، والمعمرية، وأصحاب السرى الأقصم، والعجلية. (٣٨).

فهذا ما قاله القمي، والنوبختي أيضاً.

وزيد الرجالي الشيعي القديم عبد العزيز الكشي الأمر بياناً ووضوحاً حيث يورد في كتابه المشهور روايات عديدة حوله عن جعفر بن الباقر، منها ما رواها عن بشير الدهان أنه قال :

(٣٨) وهم أصحاب الفضل الصيرفي ذكرهم الشهرستاني في ملله (أنظر « الملل والنحل » للشهرستاني على هامش الفصل لابن حزم ص ١٧ ط مكتبة المثنى بغداد).

« كتب أبو عبد الله عليه السلام إلى أبي الخطاب : بلغني أنك تزعم أن الزنا رجل ، وأن الخمر رجل ، أن الصلاة رجل ، والصيام رجل ، والفواحش رجل ، وليس هو كما تقول - وفي رواية - فقال : ما قام الله عز وجل ليخاطب خلقه بما لا يعلمون » (٣٩) .

« وعن عنبسة بن مصعب قال : قال لي أبو عبد الله عليه السلام أي شيء سمعت من أبي الخطاب ؟ قال : سمعته يقول إنك وضعت يدك على صدره وقلت له : عه ولا تنس وأنت تعلم الغيب ، وإنك قلت له : هو عيبة علمنا وموضع سرنا أمين على أحيائنا وأمواتنا . قال : لا والله ما مس شيء من جسدي جسده إلا يده . وأما قوله اني قلت « اعلم الغيب » فوالله الذي لا إله إلا هو ما أعلم الغيب ولا أجري الله في أمواتي ولا باريك لي في أحيائي إن كنت قلت له قال : وقدامه جويزيه سوداء تدرج قال : لقد كان مني إلى أم هذه - أو إلى هذه - بخطة القلم فأتني هذه ، فلو كنت أعلم الغيب ما كانت تأتيني ، ولقد قاسمت مع عبد الله بن الحسن حائطا بيني وبينه فأصابه السهل والشرب وأصابني الجبل ، فلو كنت أعلم الغيب لأصابني السهل والشرب وأصابه الجبل وأما قوله اني قلت « هو عيبة علمنا وموضع سرنا أمين على أحيائنا وأمواتنا ، فلا أجري الله في أمواتي ولا باريك لي في أحيائي إن كنت قلت له شيئا من هذا قط » (٤٠) .

وأيضاً عن مصادف أنه قال :

« لما لبى القوم الذين لبوا بالكوفة دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فأخبرته بذلك فخر ساجدا ودق جؤجؤه بالأرض وبكى وأقبل يلوذ بأصبعه ويقول : بل عبد الله قن داخر ، مرارا كثيرة ثم رفع رأسه ودموعه تسيل على لحيته ، فندمت على إخباري إياه فقلت : جعلت فداك وما عليك أنت من

(٣٩) « معرفة الناقلين عن الأئمة الصادقين » المعروف بـ « رجال الكشي » لأبي عمرو بن عبد العزيز الكشي ص ٢٤٧ ط مؤسسة الاعلمي للمطبوعات - كربلاء .

(٤٠) أيضاً ص ٢٤٨ تحت ذكر أبي الخطاب .

ذا، فقال : يا مصادف إن عيسى لو سكت عما قالت النصارى فيه لكان حقاً على الله أن يصم سمعه ويعمى بصره، ولو سكت عما قال في أبو الخطاب لكان حقاً على الله أن يصم سمعى ويعمى بصرى» (٤١).

وأخيراً ما رواه بطريق على بن الحسان أن أبا عبد الله :

« ذكر عنده جعفر بن واقد ونفر من أصحاب أبي الخطاب فقيل : انه صار إلى يتردد وقال فيهم وهو الذي في السماء آله وفي الأرض إله قال هو الإمام فقال أبو عبد الله عليه السلام لا والله لا يأويني وإياه سقف بيت أبداً، هم شر من اليهود والنصارى والمجوس والذين أشركوا، والله ما صغر عظمة الله تصغيرهم شيئاً قط، وان عزيزاً جال في صدره ما قالت اليهود فمحي الله اسمه من النبوة. والله لو أن عيسى أقربما قالت فيه النصارى لأورثه الله صمماً إلى يوم القيامة، والله لو أقررت بما يقول في « أهل الكوفة لأخذتني الأرض، وما أنا إلا عبد مملوك لا أقدر على ضر شيء ولا نفع شيء » (٤٢).

ويتخلص منها غير ما مر - أن الأئمة يعلمون الغيب - وأنهم آلهة يلبي إليهم بالحج - وإله السماء هو الرب، وإله الأرض هو الإمام - وتبرؤ جعفر الصادق منه ومن تبعه تبرأ كاملاً، والاعتراف بالعبودية المحضه وعدم معرفة الغيب، والإعلان بعدم الاختيار بنفع أحد أو ضره وحتى شخصه نفسه.

فهذا ملخص ما ذكره الشيعة من المتقدمين من أصحاب الفرق والرجال، وتبعهم آخرون من المتأخرين مثل المامقاني (٤٣) والاسترابادي (٤٤) والأردبيلي الحائري (٤٥)، وزاد أن له رواية عن أبي عبد الله جعفر في (تهذيب الأحكام) للطوسي - إحدى الصحاح الأربعة الشيعية في باب فضل

(٤١) أيضاً ص ٢٥٣.

(٤٢) أيضاً ص ٢٥٤، ٢٥٥.

(٤٣) انظر « تنقيح المقال » ج ٣ ص ١٨٩.

(٤٤) انظر « منهج المقال ».

(٤٥) انظر « جامع الرواة » ج ٢ ص ٣.

التجارة. وغيرهم^(٤٦) أللهم إلا ما ذكره الكاتب الوراق الشيعي المشهور ابن النديم في فهرسته نقلا عن أبي رزام ما هو هام وخطير بالنسبة للموضوع، وهو أن الميمونية ميمون القداح وابنه عبد الله وأصحابه المؤسسين الحقيقيين للإسماعيلية مباشرة كانوا من أتباع أبي الخطاب محمد بن أبي زينب^(٤٧).

فان هذا النص له أهميته وخطورته في معرفة الاسماعيلية والعناصر التي تكونت منها مصرحاً، دون الإستنتاج ومقارنة الأفكار والآراء من هؤلاء وأولئك، ولو أن هذه العلاقة المباشرة بين المأمونية والخطابية موجودة في كتب أهل السنة من كتب منهم في الملل والنحل وفي التاريخ أيضاً، وكما أن العقائد التي اعتنقها الإسماعيلية وأظهرتها للناس هي عين تلك العقائد الخطابية كما سنبهنها فيما بعد في محلها.

فان هذه الرواية - ولو أنها سنية المصدر - من كتاب شيعي تؤيدها رواية شيعية نصيرية بأن ميمون كان من اتباع أبي الخطاب^(٤٨).

وذكر ما سنيون عن كتابات النصيرية في مقاله عن سلمان : عقائد وأفكار ميمون القداح شبيهة بآراء أبي الخطاب أيضاً^(٤٩).

وأما كتب السنة فقد أفادت الباحث بأشياء زائدة على ذلك تمكنوا من استفادتها من كتب الشيعة، فإن من أهل السنة من ذكر أبا الخطاب وأصحابه وأفكاره كالأشعري^(٥٠).

(٤٦) انظر كتب رجال الشيعة من النجاشي، والخلاصة للحلي، والخوانساري، ومنتهى المقال وغيرها.

(٤٧) انظر « الفهرست » (لابن النديم ص ٢٦٤ تحت عنوان « الكلام على الإسماعيلية » ط دار المعرفة، بيروت.

(٤٨) انظر مقال ماسنوين عن النصيرية في دائرة المعارف الاسلامية نقلا عن « أصول الإسماعيلية » لبرنارد لويس ص ١٠٤.

(٤٩) انظر مقال ماسنوين سلمان الفارسي والباكر الروحية للإسلام في إيران عن كتاب « شخصيات قلقة في الاسلام » ص ٤١ وما بعد ط مكتبة النهضة القاهرة ١٩٤٦ م.

(٥٠) انظر « مقالات الإسلاميين » ص ١٠ بتصحيح هلموت ريتز ط فرانز شتاينز بقبادن.

والملطى (٥١)

والبغدادى (٥٢)

وابن حزم (٥٣)

والإسفرائينى (٥٤)

والشهراستانى (٥٥)

والرازى (٥٦)

وغيرهم من الذين كتبوا في الفرق.

ومن المؤرخين الجوينى (٥٧)

ورشيد الدين الهمدانى (٥٨)

والمقرئزى (٥٩)

والنويرى (٦٠)

وابن الأثير، وغيرهم الكثيرون الكثيرون.

وملخص ما ورد في هذه الكتب زيادة على ما ذكر في كتب الشيعة أن أبا الخطاب وأصحابه كانوا يقولون : إن لكل ظاهر باطنا، وأن ظاهر القرآن

(٥١) انظر « التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع » ص ١٥٤ وما بعد ط مكتبة الخانجي القاهرة ١٩٤٩ م.

(٥٢) انظر « الفرق بين الفرق » ص ٢٤٧ وما بعد.

(٥٣) انظر « الفصل في الملل والنحل » ج ٤ ص ١٨٧ وما بعد.

(٥٤) انظر « التبصير في الدين » ص ١٢٦ ، ١٢٧ عالم الكتب بيروت.

(٥٥) انظر « الملل والنحل » ج ٢ ص ١٥ على هامش الفصل.

(٥٦) انظر « اعقادات فرق المسلمين والمشركون » ص ٥٨ ط دار الكتب العلمية - بيروت ١٩٨٢ م.

(٥٧) انظر « تاريخ جهانكشاه » ترجمة عربية بقلم الدكتور محمد السعيد ص ١٥٧ ط مؤسسة سجل العرب القاهرة ١٩٧١ م.

(٥٨) انظر « جامع التواريخ » فارسى ص ٩ وما بعد.

(٥٩) انظر « الخطط والآثار » ج ٢ ص ٣٥٢ ط دار صادر بيروت الطبعة الجديدة بالأوفست.

(٦٠) انظر « نهاية الأرب في فنون الأدب » قسم خاص، المدرج في « أخبار القرامطة » لسهيل زكار ص ٣٠٥ وما بعد.

يحتاج للفهم الصحيح إلى التأويل^(٦١).

وقالوا بالتناسخ^(٦٢)

وإن الائمة مفترض طاعتهم على جميع الخلق^(٦٣).

وتكفير أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وخاصة أبا بكر وعمر وعثمان، وتسميتهم بالخمر والميسر والجبت والطاغوت.^(٦٤)

والتصريح بأن أبا الخطاب هو المؤسس الحقيقي للعقائد التي تبنتها الاسماعيلية فيما بعد. وأن ميمون القداح وابنه عبد الله كانا من دعائه وأكابر علماء طائفته^(٦٥).

أو « إن أول من قام بالدعوة الاسماعيلية أبو شاكر ميمون كان من صحب أبي الخطاب محمد بن أبي زينب مولى بنى أسد فألقوا إلى كل من اختصوا به أن لكل شيء من العبادات باطنا، وأن الله تعالى ما أوجب على أوليائه صلاة ولا زكاة، ولا صوما ولا حجا، ولا حرم عليهم شيئا من المحرمات، وأباح لهم نكاح البنات والأخوات، وإنما هذه العبادات عذاب على العامة، وأهل الظاهر، وهى ساقطة عن الخاصة، يقولون ذلك لمن يثقون به ويسكنون إليه^(٦٦) ».

وأيضاً « فلما يش اعداء الاسلام من استئصاله بالقوة أخذوا في وضع الأحاديث الكاذبة وتشكيك ضعفة العقول في دينهم بأمر قد ضبطها المحدثون وأفسدوا الصحيح بالتأويل والطعن عليه ».

(٦١) انظر « الفصل » لابن حزم « والملل » للشهرستانى.

(٦٢) انظر « الخطط » للمقرئى.

(٦٣) انظر « مقالات الإسلاميين للاشعرى.

(٦٤) انظر « التنبيه والرد » للملطى ص ١٥٤ ط مكتبة الخانجى القاهرة.

(٦٥) انظر « جامع التواريخ » الجزء الخاص للإسماعيلية، فارسى من مقدمة الكتاب ص ٩ ط طهران ١٣٣٨ هـ بتحقيق محمد تقى دانش يزوره.

(٦٦) « نهاية الارب » للنويرى القسم الخاص بذكر الإسماعيلية ص ٣٠٥ وما بعد من كتاب « أخبار القرامطة ».

فكان أول من فعل ذلك أبو الخطاب محمد بن أبي زينب مولى بني أسد . وأبو شاعر ميمون بن ديسان صاحب كتاب الميزان في نصرة الزندقة . وغيرهما فالتقوا إلى من وثقوا به أن لكل شيء من العبادات باطناً وأن الله تعالى لم يوجب على أوليائه ومن عرف الائمة والابواب صلاة ولا زكاة ولا غير ذلك ولا حرم عليهم شيئاً ، وأباحوا لهم نكاح الامهات . والاخوات وإنما هذه قيود للعامة ساقطة عن الخاصة ، وكانوا يظهرون التشيع لآل النبي صلى الله عليه وسلم ليستروا أمرهم ويستميلوا العامة ، وتفرق أصحابهم في البلاد وظهروا الزهد والعبادة يغرون الناس بذلك وهم على خلافه ، فقتل أبو الخطاب وجماعة من أصحابه بالكوفة . وكان أصحابه قالوا له : إنا نخاف الجنند فقال لهم : إن اسلحتهم لا تعمل فيكم ، فلما ابتدأوا في ضرب أعناقهم قال له أصحابه : ألم تقل : إن سيوفهم لا تعمل فينا ؟ فقال إذا كان قد أراد الله فما حيلتي ؟ وتفرقت هذه الطائفة في البلاد وتعلموا الشعبذة ، والنانرجيات ، والزور . والنجوم . والكيميا فهم يمتالون على كل قوم بما ينفق عليهم وعلى العامة بإظهار الزهد ، ونشأ لابن ديسان ابن يقال له : عبد الله القداح علمه الحيل واطلعه على أسرار هذه النحلة فحذق وتقدم « (٦٧) » .

وهذه كلها نصوص خطيرة تخبر وتنبئ عن علاقة الإسماعيلية بأبي الخطاب بوساطة ميمون القداح وابنه عبد الله ، كما تزيل اللثام عن العقائد التي بثتها الخطابية بفروعها المختلفة ، وهي عين العقائد التي اعتنقها الإسماعيلية وتولت نشرها بين الناس كما سيلاحظ القارئ في معتقدات الإسماعيلية من هذا الكتاب .

وقبل أن نأتي إلى آخر الكلام في أبي الخطاب والخطابية نريد أن نثبت ههنا ما أورده كتاب إسماعيلي سرى هام هو :

(٦٧) « الكامل » لابن الاثير ج ٦ ص ١٢٥ ، ١٢٦ ، ط دار الكتاب العربي لبنان - الطبعة الثانية ١٩٦٧ م .

« ان المذهب الاسماعيلي هو ما أوجده ذرية أبي الخطاب بتفديتهم أنفسهم على أبناء جعفر الصادق وإسماعيل لكى يبقى مذهبهم ويدوم » (٦٨).

والجدير بالذكر أن الاسماعيلية لم يذكروا في كتبهم أبا الخطاب إلا قليلا مثل ما ذكره النعمان بن محمد المغربي قاضى قضاة الإسماعيلية في (دعائم الاسلام) (٦٩) أو إدريس عماد الدين الداعى المطلق في كتابه « عيون الاخبار » (٧٠).

ولكن الواضح بأن هذين الكتابين من كتب الظاهر، وليس من الكتب السرية فلذلك لا يعتمد عليهما ولا على نقدهما وجرحهما إياه.

وعلى كل، إننى لأرى رأى ماسنيون وفريد ليندر من الباحثين المستشرقين بأن المؤسس الأول للإسماعيلية هو أبو الخطاب، كما أوافق القمى والنوبختى على أن الخطابية هم الإسماعيلية الخالصة.

ولا أرى ميمون القداح إلا أحد الخطايين أو ممن هضم آراء الخطابية وتبناها كاملة مع دهائه ومكره، ويقظته وبعد نظره، ومحافظته على سرّه حيث استطاع أن يبقى نفسه في حاشية جعفر بن الباقر تلميذاً مجتهداً وخادماً مخلصاً، كما كان لأبيه محمد الباقر أيامه، حتى استطاع أن يكون هو وابنه كفلين لإبن جعفر إسماعيل وابنه محمد بن إسماعيل، عكس أبي الخطاب فانه تجاهر بالقول حتى تبرأ منه جعفر ولعنه على رءوس الاشهاد.

(٦٨) « أم الكتاب » المنشور في « إسماعيلية » لإيوانوف ص ٩٧ ليدن برل ١٩٣٦ م.

(٦٩) ج ١ ص ٤٩ ص ٥٠ ط دار المعارف مصر ١٣٨٣ هـ.

(٧٠) « عيون الأخبار » للداعى إدريس عماد الدين السبع الرابع ص ٣٨٧.

إسماعيل بن جعفر وميمون القداح وابناهما

فهذه علاقة ميمون القداح وابنه عبد الله مع أبي الخطاب والخطابية، وقبل أن نذكرهما وسيرتهما ومخططاتهما مع الجهود الجبارة التي بذلها لنشر الإسماعيلية ودمج أفكار الخطابية فيها وبث سمومها، واستيلائهما على الدعوة كاملة والتخلص من محمد بن اسماعيل ثم اغتصاب عبد الله القداح الامامة وانتسابه إلى البيت العلوي.

نريد أن نذكر أن اسماعيل بن جعفر بن الباقر من جانب آخر كان أيضاً ممن استهوته الخطابية وأضلته، خدعته، وأغوته، وافترسته، وأوقعته في حبالها وشراكها، وكان على اتصال وثيق مع أبي الخطاب نفسه، كما كان يعيش في كنف الخطابية وحجرهم، ينهج منهجهم، ويسلك مسلكهم، ويرى رأيهم، ويأق أعمالهم وأفعالهم لذلك تبرأ منه جعفر والده، كما تبرأ من أبي الخطاب والخطابين الآخرين.

ويشهد على اتصاله الوثيق وروابطه المتينة مع الخطابين روايات عديدة مثورة في كتب الشيعة، منها مارواه الكشي عن حماد بن عثمان قال :

« سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول للفضل بن عمر الجعفي :
يا كافر يا مشرك مالك ولايتي، يعني إسماعيل بن جعفر وكان منقطعاً إليه
يقول فيه مع الخطابية ثم رجع بعده » . (٧١).

(٧١) « رجال الكشي » ص ٢٧٢ .

وروى أيضاً عن اسماعيل بن جعفر أنه قال :

قال أبو عبد الله : إيت الفضل وقل له : يا كافر، يا مشرك ! ما تريد إلى ابني تريد أن تقتله ؟ « (٧٢) » .

وكان الفضل بن عمر هذا من المعتمدين لدى جعفر حتى أن الكشي قد ذكر عن ابن أبي عمير :

« ان الشيعة حين أحدث أبو الخطاب ما أحدث خرجوا إلى أبي عبد الله عليه السلام فقالوا : أقم لنا رجلاً نفرع إليه في أمر ديننا وما نحتاج إليه من الأحكام . قال : لا تحتاجون إلى ذلك متى ما احتاج أحدكم عرج إلى وسمع مني وينصرف . فقالوا : لا بد . فقال : قد أقمت عليكم الفضل اسمعوا منه واقلبوا عنه ، فانه لا يقول على الله وعلى إلا الحق » (٧٣) .

ولكنه لم يلبث إلا قليلاً حتى اكتشف حقيقته كما ذكر ذلك الكشي أيضاً :

« فلم يأت عليه كثير شيء حتى شنعوا عليه وعلى أصحابه ، وقالوا : أصحابه لا يصلّون ويشربون النبيذ وهم أصحاب الحمام ويقطعون الطريق ، والفضل يقرّبهم ويدينهم » (٧٤) .

هذا ولقد ذكر الكشي أمره ببعض التفصيل حيث روى عن محمد بن سنان :

« عدة من أهل الكوفة كتبوا إلى الصادق عليه السلام فقالوا : إن الفضل يجالس الشطار وأصحاب الحمام وقوما يشربون الشراب ينبغي أن تكتب إليه وتأمره ألا يجالسهم . فكتب إلى الفضل كتاباً وختمه ودفعه إليهم

(٧٢) أيضاً ص ٢٧٤ .

(٧٣) « رجال الكشي » ص ٢٧٧ .

(٧٤) أيضاً رجال الكشي .

وأمرهم أن يدفعوا الكتاب من أيديهم إلى يد المفضل فجاءوا بالكتاب إلى المفضل منهم زرارة وعبد الله بن بكير ومحمد بن مسلم وأبو بصير وحجر بن زائدة ودفعوا الكتاب إلى المفضل ففكه وقرأه فاذا : « بسم الله الرحمن الرحيم اشتر كذا وكذا واشتر كذا » ولم يذكر فيه قليلا ولا كثيرا مما قالوا فيه ، فلما قرأ الكتاب دفعه إلى زرارة ودفع زرارة إلى محمد بن مسلم حتى دار الكتاب إلى الكل . فقال المفضل : ماذا تقولون ؟ قالوا : هذا مال عظيم حتى ننظر ونجمع ونحمل إليك ثم لم ندرك الا نزال بعد نظر في ذلك ، وأزادوا الانصراف فقال المفضل : تغدوا عندي ، فأجلسهم لغدائه ووجه المفضل إلى أصحابه الذين سعوا بهم ، فجاءوا وقرأ عليهم كتاب أبي عبد الله عليه السلام فرجعوا من عنده ، وجلس هؤلاء ليتغدوا فرجع الفتيان وحمل كل واحد منهم على قدر قوته ألفا وألفين وأقل وأكثر ، فحضرُوا وأحضروا ألفي دينار وعشرة آلاف درهم قبل أن يفرغ هؤلاء من الغداء . فقال لهم المفضل : تأمروني أن أطرد هؤلاء من عندي تظنون أن الله تعالى محتاج إلى صلاتكم وصومكم » (٧٥) .

وهناك رواية أخرى تنبئ بأن المفضل بن عمر كان من أحد المحرضين على أن يجعل إسماعيل في منصب أبيه بعده لما روى عن إسماعيل بن عامر قال :

« دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فوصفت إليه الائمة حتى انتهيت إليه فقلت : إسماعيل من بعدك . فقال : أماذا فلا فقال حماد فقلت لإسماعيل وما دعاك إلى أن تقول وإسماعيل من بعدك ؟ قال : أمرني المفضل بن عمر » (٧٦) .

وقد ذكر الكشي عقيدة المفضل بن عمر وغيره من الخطابين بقوله :

(٧٥) أيضاً ص ٢٧٦ ، ٢٧٧ .

(٧٦) أيضاً ص ٢٧٦ .

« وإنهم يقولون إن جعفر حدثهم أن معرفة الإمام تكفى عن الصوم والصلاة وآله الأرض إمام » (٧٧).

كما ذكر عقيدة المفضل في أبي الخطاب بقوله :

« لقد قتل مع أبي اسماعيل - يعنى أبا الخطاب - سبعون نبيا كلهم رأى وهلك نبينا فيه ، وإن المفضل قال : دخلنا على أبي عبد الله عليه السلام ونحن إثنا عشر رجلا قال : فجعل أبو عبد الله يسلم على رجل رجل منا ويسمى كل رجل منا باسم نبي وقال لبعضنا : السلام عليك يا نوح ، وقال لبعضنا : السلام عليك يا إبراهيم ، وكان آخر من يسلم عليه وقال : السلام عليك يا يونس ، ثم قال لاتخاير بين الانبياء » (٧٨).

والجدير بالذكر أن المفضل بن عمر هذا هو العمدة لروايات إسماعيلة كثيرة يروها الإسماعيلية في كتبهم ، وقد روى عنه النعمان بن محمد المغربي قاضى قضاة الإسماعيلية روايات عديدة في كتبه المختلفة وخاصة في (دعائم الاسلام) أول كتاب فقهي إسماعيلي ، وجعله ممن يرجع ويسكن إليه لأخذ علوم آل البيت العلوى حيث أن جعفرا جعله معتمده (٧٩).

هذا ونرجع إلى موضوعنا الذى كتبنا فيه ونقول : إن صدوق الشيعة ابن بابويه القمى أورد في كتابه (كمال الدين وتمام النعمة) روايات أخرى تصرح أيضاً على اعتناق إسماعيل المبادئ الخطابية ، كما روى عن الحسن بن راشد أنه قال : سألت أبا عبد الله (عليه السلام) فقال : عاص ، لا يشبهنى ولا يشبه أحدا من آبائى .

وأيضاً عن عبيد بن زرارة قال : ذكرت إسماعيل عند أبي عبد الله (عليه السلام) فقال : والله لا يشبهنى ولا يشبه أحدا من آبائى .

(٧٧) أيضاً ص ٢٧٥ .

(٧٨) أيضاً ص ٢٧٤ ، ٢٧٥ .

(٧٩) انظر « دعائم الاسلام » للنعمان بن محمد المغربي المكنى بأبى حنيفة قاضى قضاة الإسماعيلية ص ٥١ ط دار المعارف مصر بتحقيق آصف على فيضى .

وأيضاً عن الوليد بن صبيح قال : جاءني رجل فقال لي : تعال حتى أريك إبن الرجل قال : فذهبت معه ، قال : فجاء بي إلى قوم يشربون فيهم إسماعيل بن جعفر ، قال : فخرجت مغموماً فجئت إلى الحجر فإذا إسماعيل بن جعفر متعلق بالبيت يبكي قد بلّ استار الكعبة بدموعه ، قال : فخرجت أشتدّ فإذا إسماعيل جالس مع القوم فرجعت فإذا هو آخذ بأستار الكعبة قد بلها بدموعه ، قال : فذكرت ذلك لأبي عبد الله (عليه السلام) فقال : لقد ابتلى إبنى بشيطان يتمثل في صورته^(٨٠) .

وقد أورد المامقاني رواية أخرى أن جعفر نهاه عن اعطاء ماله شارب الخمر فلم ينته^(٨١) .

ورواية أخرى في الكشي أيضاً تدل على شرب إسماعيل الخمر^(٨٢) .

وروى الكشي أيضاً عن عنبسة العابد أنه قال :

« كنت مع جعفر بن محمد عليه السلام بباب الخليفة أبي جعفر بالحيرة حين أتى بسام وإسماعيل بن جعفر بن محمد فأدخلوا على أبي جعفر . قال : فأخرج بسام مقتولا وأخرج إسماعيل بن جعفر بن محمد قال : فرفع جعفر رأسه إليه قال : أفعلتها يا فاسق ابشر بالنار »^(٨٣) .

وهناك روايتان أخريان في الكشي ولو أنهما لا تتعلقان بموضوعنا مباشرة ، لكنهما تخبران عن شيء زائد عما ورد في هذه الروايات :

أولاً : عن جرأة إسماعيل وإقدامه .

ثانياً : عن عدم مبالاته واكترائه بأبيه ومجاهرته بالخلاف معه .

(٨٠) كمال الدين وتمام النعمة لابن بابويه القمي ج ١ ص ٧٠ ط دار الكتب الإسلامية طهران ١٣٩٥ هـ .

(٨١) « تنقيح المقال » للمقاماني ج ١ ص ١٨٠ ط طهران .

(٨٢) انظر « رجال الكشي » ص ٤٠١ .

(٨٣) انظر « رجال الكشي » ص ٢١١ .

فالرواية الأولى مارواه الكشي عن المسمعى قال :

« لما أخذ داود بن على المعلى بن خنيس حبسه وأراد قتله فقال له
معلى بن خنيس : أخرجنى إلى الناس فإن لى ديننا كثيراً ومالا حتى أشهد
بذلك ، فأخرج إلى السوق فلما اجتمع الناس قال : يا أيها الناس أنا معلى بن
خنيس فمن عرفنى فقد عرفنى ، اشهدوا أن ما تركت من مال من عین أو دين
أو أمة أو عبد أو دار أو قليل أو كثير فهو لجعفر بن محمد عليه السلام قال :
فشد عليه صاحب شرطة داود فقتله . قال : فلما بلغ ذلك أبا عبد الله عليه
السلام خرج يجر ذيله حتى دخل على داود بن على وإسماعيل ابنه خلفه
فقال : يا داود قتلت مولائى وأخذت مالى . فقال : ما انا قتلت ولا أخذت
مالك . فقال : والله لأدعون الله على من قتل مولائى وأخذ مالى . فقال :
ماقتله ولكن قتله صاحب شرطى . فقال : بإذنك أو بغير إذنك ؟ فقال ؟
بغير إذن . فقال : يا إسماعيل شأنك به . قال : فخرج إسماعيل والسيف معه
حتى قتله في مجلسه » (٨٤) .

والرواية الثانية مارواه الكشي أيضاً عن الفيض بن المختار أنه قال :

قلت لأبي عبد الله : جعلت فداك ماتقول في الأرض أتقبلها من
السلطان ثم أؤاجرها آخرين على أن ما أخرج الله منها من شيء كان من ذلك
النصف أو الثلث أو أقل من ذلك أو أكثر ؟ قال : لا بأس . قال له إسماعيل
ابنه : يا أبت لم تحفظ قال : فقال يابنى أو ليس كذلك أعامل اكرق ، إن
كثيراً ما أقول ألزمنى فلا تفعل . فقام إسماعيل فخرج فقلت : جعلت فداك
وما على إسماعيل ألا يلزمك إذا كنت أفضت إليه ألا يشك من بعدك كما
أفضت إليك بعد أبيك . قال : فقال يافيض إن إسماعيل ليس كأننا من أبى .
قلت : جعلت فداك فقد كنا لانشك أن الرحال ينحط إليه من بعدك وقد
قلت فيه ما قلت فان كان ما يخاف وأسأل الله العافية فإلى من ؟ فامسك
عنى » (٨٥)

(٨٤) أيضاً ص ٣٢٣ ، ٣٢٤ تحت ترجمة معلى بن خنيس .

(٨٥) « رجال الكشي » ص ٣٠٢ تحت ترجمة الفيض المختار .

فهذا ما ورد في كتب الشيعة من روايات عن إسماعيل بن جعفر أنه كان معتنفا للعقائد الخطابية، محاطا بالخطابين، محبا مقربا إليهم، مخالفا لآبيه، ولذلك تبرأ منه جعفر، كما تبرأ من المحيطين به والمجتمعين حوله يؤيد ذلك ما ذكره عطاء ملك الجويني ورشيد الدين الخواجه الهمداني في كتابيهما، فيقول الجويني عند ذكر نشأة الاسماعيلية : إن جعفر الصادق كان له أربعة أولاد أكبرهم إسماعيل الذي كان حفيدا للحسن من جهة أمه وقد نص على إبنه إسماعيل غير أن إسماعيل كان يعاقر الخمر فأنكر جعفر الصادق عليه، وقد روى عنه أنه قال : إن إسماعيل ليس إبنى لكنه شيطان ظهر في صورته، ونقلوا عنه أيضاً أنه قال : يد الله في أمر إسماعيل . . . أما الطائفة المذكورة التي انتقلت من الكيسانية إلى الروافض فقد انضمت إلى إسماعيل وانفصلت عن الروافض وقالوا : الأصل هو النص الأول، ولا يجوز البداء على الله، وكل من يعرف باطن الشريعة لا يعاقب إذا ما أغفل الظاهر، وكل ما يأتيه الإمام من قول أو فعل فهو حق إذا لم يتطرق خلل أو نقصان إلى إسماعيل من جراء شرب الخمر» (٨٦).

وبمثل ذلك قال الهمداني (٨٧).

فهذا هو إسماعيل بن جعفر، وهذه أعماله وأفعاله، وعلاقته مع الشيعة الخطابية وأبي الخطاب أيضاً حيث كانا معاصرين، واستدل بعضهم على أن أبا الخطاب لم يكن يكنى بأبي إسماعيل إلا لأنه كان مربيا لإسماعيل بن جعفر ومتبنيا له بالأبوة الروحانية « وقالوا : إن الاختيار الإلهي بالتبني الروحي هو وحده المعتبر، وعلى هذا لقبوا سلمان . . كما لقبوا خليفته أبا الخطاب بلقب « أبو إسماعيل » (٨٨).

(٨٦) « تاريخ جهانكشاه » ترجمة عربية للدكتور محمد السعيد ص ١٥٣.

(٨٧) انظر « جامع التواريخ » لخواجه رشيد الدين الهمداني قسم خاص بالاسماعيلية ص ٩.

(٨٨) انظر مقال ماسنيون عن سلمان ترجمة عربية للبدوي المدرج في كتاب « شخصيات قلقة في

الاسلام » ص ١٩، أيضا « أصول الاسماعيلية » لبرنارد لويس ترجمة عربية ص ١١٠.

وهذه هي الأسباب التي جعلت جعفر بن محمد الباقر يتبرأ منه ومن أعوانه وأنصاره وجماعته، من أبي الخطاب والمفضل بن عمر وبنان ومبارك وعمرو النبطي وغيرهم، ولعنهم إياه.

وأما قول الشيعة واختلافهم في سبب عزل جعفر إسماعيل عن منصب الإمامة بعده أو عدم عزله إياه أو انتقال الإمامة إليه لكونه إبنه البكر الأكبر، ومنه إلى ولده محمد بن إسماعيل.

أو لعدم انتقالها إليه لموته في حياته وانتقالها إلى موسى الابن الأصغر الآخر.

أو لعدم موت إسماعيل مع إظهار موته، وظهوره في البصرة بعدئذ. أو لموته في حياة أبيه ولكن لعدم رجوع الإمامة إلى أخيه دون إبنه لأن الإمامة لا ترجع للقهقري، ولا تكون في الأخوين بعد الحسنين.

فلقد وردت فيها روايات عديدة متضاربة، نورد زبدتها وعصارتها بإيجاز واختصار.

فيذكر كل من سعد بن عبد الله القمي، وأبي محمد الحسن بن موسى النوبختي، وكذلك محمد بن محمد بن النعمان البغدادي الملقب بالمفيد، وأبي علي الطبرسي، وعلي بن موسى الأربلي وغيرهم من الشيعة الإثني عشرية.

« كان إسماعيل أكبر الإخوة، وكان الشيعة يظنون أنه القائم بعد أبيه والخليفة له من بعده لكنه مات في حياة أبيه بالعريض فحمل إليه بالمدينة، فأمر بوضع سريره على الأرض قبل دفنه مراراً كثيرة، وكان يكشف عن وجهه وينظر إليه يريد بذلك تحقيق وفاته عند الظانين بالخلافة له من بعده، وإزالة الشبهة عنه في حياته فانتقلت الإمامة إلى موسى بن جعفر » (٨٩).

(٨٩) انظر « كتاب المقالات والفرق » لسعد القمي ص ٨٨، ٨٩، أيضاً « فرق الشيعة » للنوبختي ص ٩٩، ١٠٠، أيضاً « الارشاد » للمفيد ص ٢٨٥، أيضاً « اعلام لاوري » للطبرسي ص ٢٩٢، أيضاً « كشف الغمة » للأربلي ج ٢ ص ٣٩٢.

فهذه رواية الشيعة الإثني عشرية قاطبة الذين يعدون موسى بن جعفر وريث أبيه والحائز على الإمامة بعده.

ويوافقهم أهل السنة في مسألة موت إسماعيل في حياة أبيه جعفر بقطع النظر عن وريثه في الإمامة وبدون ذكر من يخلفه بعده^(٩٠).

وأما الاسماعيلية فقد اختلفوا في ذلك اختلافاً كثيراً.

فقال قوم منهم بهذه المقولة أي أن إسماعيل مات في حياة أبيه، منهم النعمان القاضي في كتابه «شرح الاخبار»^(٩١).

وحاتم بن عمران بن زهرة في رسالته «الأصول والأحكام»^(٩٢) وحاتم بن إبراهيم الحامدي في مجالسه^(٩٣) وإدريس عماد الدين في كتابه «عيون الاخبار وفنون الآثار»^(٩٤) والحسن بن نوح الهندي في كتابه «كتاب الازهار ومجمع الانوار»^(٩٥).

وعبد الله المرتضى الإسماعيلي في كتابه «الفلك الدوار»^(٩٦).

ولكنهم مع ذلك قالوا : إن جعفر نص عليه في حياته، فبقيت الإمامة في عقبه كما ذكر كل من النعمان القاضي، وإدريس عماد الدين الداعي، والحسن بن نوح الهندي وغيرهم أن إسماعيل بن جعفر توفي في حياة أبيه جعفر بعد أن قد نص عليه بالإمامة :

(٩٠) انظر «الملل والنحل» للشهرستاني و«ابن خلدون» و«المقرئى» غيرهم.

(٩١) نسخة خطية.

(٩٢) انظر رسالة «الأصول والأحكام» للداعي حاتم بن عمران ص ١٢١ من «خمس رسائل إسماعيلية».

(٩٣) انظر مجالس سيدنا حاتم بن إبراهيم الحامدي ص ١٠٧ من «المنتخب» لايوانوف.

(٩٤) انظر «السبع الرابع» من «عيون الاخبار» للداعي إدريس عماد الدين ص ٣٣٤ ط دار الاندلس بيروت ١٩٧٣ م.

(٩٥) انظر ص ٢٣٤ من «منتخبات اسماعيلية»، تحقيق الدكتور عادل العواء ط : مطبعة الجامعة السورية ١٣٧٨ هـ.

(٩٦) انظر «الفلك الدوار» ص ١٢٥.

« ولم يفارق الدنيا ولم ينتقل عنها (عليه السلام) إلى دار الثواب التي هي خير وأبقى حتى نص على ولده جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) وذلك بأمره وحضرته . وبذلك عرف الإمام جعفر (عليه السلام) خواص شعبيته دون غيرهم سترًا على ولي الزمان ، وخيفة وتقية عليه ، فلم يعرف الأمر في ذلك إلا القليل المخلصون المختصون من الشيعة ، العارفون بسر الإمامة الذين قد علموا أنها لا ترجع إلى الوراء ، ولا تعود القهقري ، ولا تكون إلا في واحد بعد والده إلى ولد عن والد» (٩٧).

وزاد إدريس : وكان الإمام إسماعيل بن جعفر عليه السلام قد اختص عبد الله بن ميمون القداح وأقامه حجة له ولابنه محمد بن إسماعيل عليه السلام ودليلاً عليهما ، وهادياً إليهما ، بأمر الصادق عليه السلام . فخرج عبد الله بن ميمون إلى مكة ، وأظهر الدعوة إلى أهل البيت « (٩٨).

وكان محمد بن إسماعيل قد كبر آنذاك على رأى أكثر القائلين بهذا القول من الإسماعيلية « وكان الإمام محمد بن إسماعيل عليه السلام حين قبض أبوه ابن ست وعشرين سنة » (٩٩).

ولكن عبد الله المرتضى الإسماعيلي يقول : إنه لم يكن مولوداً آنذاك بل كان في بطن أمه « فما لبث إسماعيل بعد النص عليه بالإمامة سوى زمن وجيز حتى توفي فترك زوجه حاملاً (ب محمد الحبيب) ولقد القى على هذا الإمام المصون وهو لا يزال في (زجاجة الدرية) سر الإمامة الذقيق وفيضها العذب الأنيق أمام بضعة من الدعاة والحدود » (١٠٠).

(٩٧) « كتاب الازهار ومجمع الأنوار » ص ٢٣٥ من « منتخبات إسماعيلية » وكذلك « عيون الاخبار » للداعى إدريس ص ٣٣٤ ، ٣٣٥ وأيضاً « شرح الاخبار » للنعمان القاضي . نسخة خطية .

(٩٨) « عيون الاخبار » السبع الرابع للداعى إدريس ص ٣٣٥ .

(٩٩) انظر « عيون الاخبار » السبع الرابع ص ٣٥١ .

(١٠٠) الفلك الدوار ص ١٢٥ .

وقال الآخرون : إن إسماعيل لم يمِت إلا بعد موت إبيه ، ولم يكن تظاهره بالموت إلا خوفاً من سلطان بنى العباس وتسترا عليه عملاً للدعوة في الاخفاء ، ولذلك رُئى إسماعيل بعد التظاهر بالموت بأيام في البصرة ، كما ذكر كل من جعفر بن منصور اليمنى^(١٠١).

والداعى إدريس في كتابه « زهر المعانى »^(١٠٢)

وإبراهيم بن الحسين الحامدى^(١٠٣)

وصاحب كتاب « مسائل مجموعة من الحقائق العالية »^(١٠٤).

والداعى الإسماعيل محمد بن على الصورى^(١٠٥)

والداعى إدريس عماد الدين^(١٠٦).

وصاحب كتاب « دستور المنجمين »^(١٠٧).

وغيرهم من الإسماعيلية النزارية المتأخرين^(١٠٨).

« إن جميع المقامات من نبيّ أو وصيّ أو إمام صلوات الله عليهم جميعاً إذا طرقت مائة العقل الأول بوساطة العاشر وسائر حدود عالم العقل قدر على

(١٠١) انظر « أسرار النطقاء » ص ٨١ من « المنتخب » لإيوانوف « فلما غيَّب شخصه في حياة أبيه سرا من أعدائه ومحنة لأوليائه » (أسرار النطقاء » لجعفر بن منصور اليمنى ص ٨١ من « المنتخب » لإيوانوف ط أجمل بريس بومبى) .

(١٠٢) انظر « زهر المعانى » ص ٤٧ وما بعد .

(١٠٣) انظر « كترالولد » ص ١٩٢ ط دار الاندلس ، بيروت .

(١٠٤) انظر ص ١٥ ، ١٦ من « أربعة كتب اسماعيلية » نشر شتروطمان ط غونتيفغن .

(١٠٥) وكان سلطان بنى العباس في ذلك الوقت شديد البأس وهو الذي أوجب خوف مقتله غيبة اسماعيل قبل وقته

(القصيدة السورية ص ٦٧ ط عارف تامر دمشق ١٩٥٧ م) .

(١٠٦) « ولما ان لاسماعيل الأجل تليسا على الضد لشدة حسده وبغيه » (زهر المعانى » لإدريس عماد الدين ، الباب السابع عشر ص ٤٧ من « المنتخب » لإيوانوف .

(١٠٧) « دستور المنجمين » نقلا عن « أصول الاسماعيلية » لبرنارد لويس ص ١٠٢ .

(١٠٨) انظر « أعلام الاسماعيلية » لمصطفى غالب ص ١٦٥ ط دار يقظة بيروت ١٩٦٤ م ،

و « نور مبین » تاريخ الإسماعيلية باللغة الأردية ، لا . ج . جنارا الإسماعيلي ص ١٢٦ .

أيضاً « موسم بهار » تاريخ الإسماعيلية باللغة الكجراتية ص ١٩٥ .

أن يفعل ما شاء من الأمور المعجزة التي لا يقدر عليها البشر فلما كان مولانا الصادق صلوات الله عليه في زمان أبي جعفر أبي الدوانيق وقد كان ملك الأرض كلها وقال لمولانا الصادق أنا أعلم إنك الإمام الحق وأريد أن تسلم إلى الإمامة بعدك وإلا قتلتك وقتلت جميع أولادك وشيعتك فقال له : إذا حضرني الموت فعلت لك ذلك وقد كان سلم الأمر إلى مولانا اسماعيل في سرّ وإنك تاتم ثم إن بعض المارقين أطلع على ذلك وغدا إلى أبي الدوانيق لعنه الله فاعلمه فاعْتَظ وأمر السيّاف أن يضرب عنق مولانا الصادق إذا أبعد القلنسوة من رأسه فلما وصل مولانا الصادق ودخل جعل أبو الدوانيق لعنه الله يصفرّ لونه ويرتعش وقال لمولانا : هل من حاجة ؟ قال : نعم لا تريد تدعوني إليك حتى آتيك قال نعم وقد كان قبل ذلك لما أخبره المارق بالنص على مولانا اسماعيل قال لمولانا جعفر يعاتبه في ذلك فقال له من أخبرك قال فلان يعني المارق فأحضره وقال له مولانا أحق ما قلت ؟ قال نعم فقال له وإلا خرج من حول الله وقوته إلى حول نفسه وقوتها فقال ثم قام فانقصف ظهره ومات من ساعته إلى لعنة الله وسئل أبو الدوانيق بعد خروج مولانا الصادق كيف لم تبعد القلنسوة حتى يقتله السيّاف فقال إن رأيت تنينا عظيماً يقول إن فعلت ما هممت به بلعتك وقصرك . . والقصة طويلة فلم ير مولانا إلا أنه أمر مولانا اسماعيل بأن يظهر الموت وأقام مسجى ثلاثة أيام ومولانا الصادق يشهد عليه من حضره ثم أمر بدفنه في اليوم الرابع وكان بعد ذلك مرّ في البصرة برجل مقعد فقال له خذ بيدي يابن بنت رسول الله فأخذه فبرىء من ساعته فبلغ خبره إلى أبي الدوانيق فعاتب مولانا الصادق فقال له قد حضر موت اسماعيل عالم كثير فأحضر منهم شهوداً كثيراً فشهدوا بموته وقبره فغفل عن ذلك أبو الدوانيق إلى أن حضرت مولانا الصادق الوفاة فاستودع عند أبي الدوانيق لعنه الله حرمه وقصره وأولاده وأمواله وكان كل ذلك إظهاراً للعجز والمعجز فالمعجز ما أبداه هو ومولانا اسماعيل من الأفعال التي بهرت والقدرة التي ظهرت « (١٠٩) » .

(١٠٩) « مسائل مجموعة من الحقائق العالية » ص ١٥ ، ١٦ من « أربعة كتب اسماعيلية » تحقيق شروطن ط المجمع العلمي غونتيفن .

ونقل ذلك عن الإسماعيلية كل من عطاء ملك الجويني ، والخواجه رشيد الدين الهمداني بقولهما :

« قال القوم الذين ينتسبون إلى إسماعيل إن إسماعيل لم يكن قد مات ولكنهم أعلنوا موته على سبيل التعمية على الناس حتى لا يقصد هو وأتباعه بالقتل . وقال باقي الشيعة لقد كان غرض جعفر هو إظهار بطلان مقالة تلك الطائفة التي انتسبت إلى إسماعيل » (١١٠) .

فهذا هو موقف الإسماعيلية من إسماعيل وإمامته على اختلاف في موته قبل وفاة أبيه أو بعده .

ولقد ذكر هذا الخلاف بين الإسماعيلية أنفسهم كل من النوبختي والقمي من الشيعة ولتمام الفائدة ننقل ما قالاه ، والعبارة للقمي بمفارقات يسيرة من النوبختي ، مع الاتفاق في المعنى والمقصود :

« وفرقة زعمت أن الإمام بعد جعفر ابنه إسماعيل بن جعفر ، وانكرت موت إسماعيل في حياة أبيه ، وقالوا : كان ذلك يلتبس على الناس لأنه خاف عليه نفسه عنهم وزعموا أن إسماعيل لا يموت حتى يملك الأرض ويقوم بأمور الناس ، وأنه هو القائم لأن أباه أشار إليه بالامامة بعده وقلدّهم ذلك له ، وأخبرهم أنه صاحبهم ، والإمام لا يقول إلا الحق ، فلما أظهر موته علمنا أنه قد صدق وأنه القائم لم يمت ، وهذه الفرقة هم الإسماعيلية الخالصة ، وأم إسماعيل وعبد الله ابني جعفر فاطمة بنت الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، وأمها أسماء بنت عقيل بن أبي طالب .

وفرقة ثالثة زعمت أن الإمام بعد جعفر ، محمد بن إسماعيل بن جعفر ، وأمه أم ولد وقالوا : إن الامر كان لإسماعيل في حياة أبيه ، فلما توفي قبل أبيه جعل جعفر بن محمد الأمر لمحمد بن إسماعيل وكان الحق له ، ولا يجوز غير

(١١٠) « تاريخ جهانكشاه » للجويني ، ترجمة عربية ص ١٥٤ ، و « جامع التواريخ » للهمداني ص ١٠ ط فارسي .

ذلك لأنها لا تنتقل من أخ إلى أخ بعد حسن وحسين، ولا يكون إلا في الأعتاب، ولم يكن لإخوة إسماعيل عبد الله وموسى في الإمامة حق كما لم يكن لمحمد بن الحنفية فيها حق مع علي بن الحسين وأصحاب هذه المقالة يسمون المباركة برئيس لهم كان يسمى المبارك مولى إسماعيل بن جعفر.

أما الإسماعيلية الخالصة فهم الخطابية أصحاب أبي الخطاب محمد بن أبي زينب الأسدي الأجدع لعنه الله، وقد دخلت منهم فرقة في فرقة محمد بن إسماعيل وأقروا بموت إسماعيل في حياة أبيه وكانت الخطابية الرؤساء منهم قتلوا مع أبي الخطاب، وكانوا قد لزموا المسجد بالكوفة وأظهروا التعبد ولزم كل رجل منهم إسطوانة، وكانوا يدعون الناس إلى أمرهم سرا فبلغ خبرهم عيسى بن موسى بن علي بن عبد الله بن العباس وكان عاملاً لأبي جعفر المنصور على الكوفة، وأنهم قد أظهروا الإباحات ودعوا الناس إلى نبوة أبي الخطاب، وأنهم مجتمعون في مسجد الكوفة قد لزموا الأساطين يروون الناس أنهم لزموها للعبادة، فبعث إليهم رجلاً من أصحابه في خيل ورجالة ليأخذهم ويأتيه بهم فامتنعوا عليه وحاربوه، وكانوا سبعين رجلاً، فقتلهم جميعاً ولم يفلت منهم أحد إلا رجل واحد أصابته جراحات فسقط بين القتلى فعد فيهم، فلما جن الليل خرج من بينهم فتخلص، وهو أبو سلمة سالم بن مكرم الجمال الملقب بابي خديجة، وذكر بعد ذلك أنه قد تاب ورجع وكان ممن يروى الحديث، وكانت بينهم حرب شديدة بالقصب والحجارة والسكاكين كانت مع بعضهم وجعلوا القصب مكان الرماح وقد كان أبو الخطاب قال لهم قاتلوهم فإن قصبكم يعمل فيهم عمل الرماح وسائر السلاح ورماحهم وسيوفهم وسلاحهم لا يضركم ولا يعمل فيكم ولا يحتك في أبدانكم، فجعل يقدمهم عشرة عشرة للمحاربة، فلما قتل منهم نحو ثلاثين رجلاً صاحوا إليه ياسيدنا ما ترى ما يحل بنا من هؤلاء القوم؟ ولا ترى قصبنا يعمل فيهم ولا يؤثر، وقد يكسر كلّه؟ وقد عمل فينا وقتل من برىء منا. فذكر رواية العامة أنه قال لهم يا قوم إن كان بدا الله فيكم فما ذنبى. وقال رواية الشيعة: إنه قال لهم يا قوم قد بليتتم وامتحتتم وأذن في قتلكم وشهادتكم، فقاتلوا على دينكم واحسابكم ولا تعطوا بأيديكم فتذلّوا، مع أنكم لا تتخلصون من

القتل فموتوا كراما اعزاء واصبروا، فقد وعد الله الصابرين أجرا عظيماً. وأنتم الصابرون، فقاتلوا حتى قتلوا عن آخرهم وأسر أبو الخطاب فأق به إلى عيسى بن موسى فأمر بقتله فضربت عنقه في دار الزق على شاطئ الفرات وأمر بصلبه وصلب أصحابه فصلبوا ثم أمر بعد مدة بإحراقهم فاحرقوا، وبعث برؤوسهم إلى المنصور فأمر بها فصلبت على مدينة بغداد ثلاثة أيام ثم احترقت.

فلما فعل ذلك بهم قال بعض أصحابه : إن أبا الخطاب لم يقتل ولا أسر ولا قتل أحد من أصحابه وإنما لبس على القوم وشبه عليهم لأنه وأصحابه إنما حاربونا من أبي عبد الله جعفر بن محمد، وإنهم خرجوا متفرقين من أبواب المسجد ولم يرههم أحد ولم يخرج منهم أحد وأقبل القوم على قتل بعضهم بعضاً على أنهم يقتلون أصحاب أبي الخطاب وهم يقتلون أنفسهم حتى جن عليهم الليل فلما أصبحوا نظروا في القتلى فوجدوهم كلهم منهم ولم يجدوا من أصحاب أبي الخطاب فيهم قتيلاً ولا جريحاً ولا وجدوا منهم أحداً.

وهذه الفرقة هي التي قالت : إن أبا الخطاب كان نبياً مرسلأ أرسله جعفر، ثم إنه صيره بعد حدوث هذا الأمر من الملائكة، ثم خرج بعد ذلك جماعة ممن قالت بمقالته من أهل الكوفة وغيرهم إلى محمد بن إسماعيل بن جعفر فقالوا بإمامته وأقاموا عليها وهم صنوف من الغلاة.

وفرق كثيرة افترقوا بعد قتل أبي الخطاب على مقالات كثيرة واختلفوا في رئاسات أصحابهم ومذاهبهم، حتى تراقى بعضهم إلى القول بربوبيته وأن الروح التي صارت في آدم ومن بعده من أولى العزم من الرسل صارت فيه.

وقالت فرقة منهم إن روح جعفر بن محمد تحولت عن جعفر في أبي الخطاب ثم تحولت بعد غيبة أبي الخطاب ومصيره في الملائكة في محمد بن إسماعيل ثم ساقوا الإمامة على هذه الصفة في ولد محمد بن إسماعيل.

وتشعبت بعد ذلك فرقة منهم من المباركية ممن قال بإمامة محمد بن إسماعيل تسمى القرامطة سميت بذلك لرئيس كان لهم من أهل السواد من

الانباط كان يلقب بقرمطوية وكانوا في الأصل على مقالة المباركية ثم خالفوهم وقالوا : لا يكون بعد محمد صلى الله عليه وسلم سبعة أئمة : على وهو إمام رسول والحسن والحسين، وعلى بن الحسين، ومحمد بن علي، وجعفر بن محمد، ومحمد بن إسماعيل بن جعفر وهو الامام القاسم المهدي وهو رسول، وهؤلاء رسل أئمة، وزعموا أن النبي (عليه السلام) انقطعت عنه الرسالة في حياته في اليوم الذي أمر فيه بنصب علي بن أبي طالب للناس بغدير خم فصارت الرسالة في ذلك اليوم إلى أمير المؤمنين وفيه، واعتلوا في ذلك بخبر تألوله وهو قول رسول الله « من كنت مولاه فعلى مولاه » وأن هذا القول منه خروج من الرسالة والنبوة وتسليم منه ذلك لعلي بن أبي طالب بأمر الله (*) وأن النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك صار تابعا لعلي محجوبا به،

(*) ولقد قال بهذا القول الكثيرون من الإسماعيلية، منهم النعمان بن محمد المغربي المتوفى سنة ٣٦٣ هـ قاضى القضاة الإسماعيلية الأول في رسالته « المذهبة في الحكمة والتأويل » في جواب سائل سألته :

« وسألت عن السبب الذى أوجب أن النبي صلى الله عليه وسلم كان في بداية أمره يتختم في يمينه فلما كان أو ان نقلته حول خاتمه من يمينه إلى يساره ؟ فاعلم أيدك الله أن سبب تختمه في يمينه في بداية أمره إنما إشارة منه إلى نفسه باستلام منزلة النبوة والنطق وقيامه بتبليغ رسالة ربه كما جرى فيها تقدمه من النطقاء والمرسلين وأنه لم يزل متختما في يمينه أيام حياته دليل على العمل بشريعته وظاهر تنزيله وإقامة دعوة الظاهر حتى نزل من الله تعالى إليه بنصب أساسه ووصيه فبلغ عن أمر ذلك ونصب وصيه يوم غدير خم وأقامه مقامه واستخلفه من بعده حتى حول خاتمه من يمينه إلى يساره وأمر وصيه على بن أبي طالب عليه السلام بأن يختتم باليمين ولا يحوله إلى الشمال فكان ذلك إشارة منه بتسليم المنزلة إلى وصيه فكان الوصى يختتم باليمين دليل على ما قد صار إليه وتختم الرسول بالشمال دليل على انقطاع المواد عنه بتسليم الأمر إلى وصيه » (« الرسالة المذهبية » للنعمان القاضى ص ٨٣ من « خمس رسائل إسماعيلية » ط عارف تامر، دار الانصاف دمشق ١٩٥٦ م) .

[وقال داع إسماعيل قديم آخر :

« إن جعفر الصادق (عليه السلام) قام بالامامة . . . وسلم إلى ولده إسماعيل . . . فقام إسماعيل بذلك ورتب الدعوة، ونصب الحجج وأمرهم بالدعاء له ورفع الأعمال والزكوات والفطر إليه، ففعل الدعاء والحجج ذلك، فانتشر خبره في جميع البلاد، وعلم بتسليم الأمر إليه عيون أبي جعفر الدوانيقي : فرفعوا اليه بأن الصادق (عليه السلام) سلم إلى ولده إسماعيل وأن الصادق قد صار صفرا من الامامة، وأن الدعوة وأمرها كلها إلى =

فلما مضى أمير المؤمنين صارت الامامة والرسالة في الحسن، ثم صارت من الحسن في الحسين، ثم صارت في علي بن الحسن، ثم في محمد بن علي ثم كانت في جعفر بن محمد ثم انقطعت عن جعفر في حياته فصارت في اسماعيل بن جعفر كما انقطعت الرسالة عن محمد في حياته، ثم أن الله بدا له في إمامة جعفر واسماعيل فصيرها عز وجل في محمد بن إسماعيل، واعتلوا في ذلك بخبر روه عن جعفر بن محمد أنه قال « ما رأيت مثل بداء بدا لله في إسماعيل » وزعموا أن محمد بن إسماعيل حتى لم يمت وأنه غائب مستتر في بلاد الروم وأنه القائم المهدي، ومعنى القائم عندهم أنه يبعث بالرسالة وبشريعة جديدة وينسخ بها شريعة محمد، وأن محمد بن إسماعيل من أولى العزم وأولو العزم عندهم سبعة : نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد وعلي ومحمد بن إسماعيل، على معنى أن السموات سبع والأرضين سبع، وأن الإنسان بدنه سبع، يده ورجلاه وبطنه وقلبه ورأسه وأن رأسه سبع عيناه وأذناه ومنخره

إسماعيل » (« كتاب التراتيب » للداعى الإسماعيلى القديم المجهول ص ١٣٥، ١٣٦ من مجموعة « أخبار القرامطة »).

وبمثل ذلك جهر الداعى الإسماعيل حسن بن نوح الهنبدى في كتابه حيث قال : « فلما أظهر النبى مرتبة الوصى عليه السلام بعد نزول » « وأنذر عشيرتك الأقربين » على ما قد ذكرت، انتبه بتلك الإشارة والرمز والتصريح على وصاية على وخلافته، من وفقه الله، واغتتم تمام النعمة واتصل بالوصى ودخل تحت طاعته، وتمسك بحبل ولايته واستفاد منه العلم والحكمة والأسرار الدقيقة وصار من المتجهدين بالحقيقة، وهم قليل، وأكثرهم في طغيانهم يعمهون، ولم يلتفتوا إلى ما بين لهم، ولا يسمعون، كما قال الله تعالى : « صم بكم عمى فهم لا يرجعون » إلى الحق، وصراط أهل الصدق.

فسكت صلى الله عليه وسلم برهة من الزمان، إلى أن اتصل به الأمر من الملك المنان، إلى النبى المؤيد بالقرآن، بالإشارة إلى طاعة الوصى المبين، والترجمان، والآق بفصل الخطاب، بأمره لكافة الأقارب والأصحاب أن يسدوا عن مسجده (عليه السلام) والمحراب، جميع ما قد فتحوه من الأبواب، وتركه باب على الفائق على جميع الأصحاب، بعلو المنزلة وسمو الجنان. وذكر ذلك واضح بين عند أولى الألباب، في كتب التواريخ والسير، في كتاب بعد كتاب (« كتاب الازهار ومجمع الأنوار » للداعى المذكور ص ٢٢٩ من « منتخبات اسماعيلية » تحقيق، الدكتور عادل العوا. ط. مطبعة الجامعة السورية، دمشق ١٩٥٨ م.

وفمه وفيه لسانه وفمه بمنزلة صدره الذي فيه قلبه، والائمة سبع كذلك وقلبهم محمد بن اسماعيل، وأولو العزم سبع، واعتلوا في نسخ شريعة محمد صلى الله عليه وسلم وتبديلها بأخبار روهها.

عن جعفر بن محمد أنه قال « لو قام قائمنا علمتم القرآن جديداً »، وأنه قال : « إن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً فطوبى للغرباء » ونحو ذلك من أخبار القائم وزعموا : أن الله جعل لمحمد بن اسماعيل جنة آدم ومعناها عندهم الإباحة للمحارم وجميع ما خلق في الدنيا، وهو قول الله : « فكلوا منها رغداً حيث شئتم » يعنى محمد بن إسماعيل وأباه إسماعيل « ولا تقربا هذه الشجرة » موسى بن جعفر بن محمد وولده من بعده من ادعى منهم الإمامة، وزعموا أن محمد بن إسماعيل هو خاتم النبيين، الذى حكاه الله في كتابه، وأن الدنيا اثنتا عشرة جزيرة في كل جزيرة حجة وأن الحجج اثنا عشر، ولكل داعية يد، يعنون بذلك أن اليد رجل له دلائل وبراهين يقيمها، كدلائل الرسل ويسمون الحجة الاب، والداعية الام، واليد الابن يضاهون قول النصارى في ثالث ثلاثة أنه الله والمسيح الابن وأمه مريم، فالحجة الأكبر هو الرب وهو الأب والداعية هو الأم، واليد هو الابن، وزعموا أن جميع الاشياء التي فرضها الله على عباده وسنها نبيه صلى الله عليه وسلم فلها ظاهر وباطن وأن جميع ما استعبد الله به العباد في الظاهر من الكتاب والسنة فأمثال مضروبة وتحتها معان هى بطونها وعليها العمل وفيها النجاة وأن ما ظهر منها فهى التي نهى عنها في استعمالها الهلاك وهى جوهر من العذاب الأدنى عذب الله به قوما وأخذهم به، ليشقوا بذلك إذا لم يعرفوا الحق، ولم يقولوا به، ولم يؤمنوا.

وهذا مذهب عامة أصحاب أبى الخطاب واستحلوا مع ذلك استعراض الناس بالسيف، وسفك دمائهم، وأخذ أموالهم، والشهادة عليهم بالكفر والشرك على مذهب البيهسية والأزارقة في الخوارج، واعتلوا في ذلك بقول الله « واقتلوا المشركين حيث وجدتموهم » وقالوا : إن قتلهم يجب أن يكون بمنزلة نحر الهدى والشعائر وتعظيم شعائر الله وتأولوا في قول الله ذلك : « ومن

يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب» ورأوا سبى النساء وقتل الأطفال واعتلوا في ذلك بقوله «لا تذروا الأرض من الكافرين دياراً». وزعموا أنه يجب عليهم أن يبدأوا بقتل من قال بإمامة موسى بن جعفر وولده، ثم قال بالإمامة ممن ليس على قولهم ومذهبهم، ولا يجب عندهم أن يبدأوا بأحد فيقتل إلا من قال بإمامة موسى بن جعفر بن محمد وولده من بعده، فتأولوا في ذلك قول الله: «قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة» فالواجب أن يبدأوا بهؤلاء الذين نصبوا إماماً من ولد جعفر بن محمد غير إسماعيل وابنه محمد ثم بسائر الناس ممن نصب إماماً من بنى هاشم وغيرهم ثم بسائر الناس. وقد كثرت عدد هؤلاء القرامطة ولم يكن لهم شوكة ولا قوة وكان كلهم بسواد الكوفة وكثروا بعد ذلك باليمن ونواحي البحر واليامة وما والاها، ودخل فيهم كثير من العرب فقوى بهم وظهروا أمرهم»^(١١١) فهذا هو إسماعيل ومحمد بن إسماعيل، وهذه هي الطوائف الإسماعيلية، وهذه هي آراؤها وأفكارها المختلفة المتضاربة المتناقضة فيهما وفي إمامتهما.

وأما الآخرون من الشيعة فلقد ذهبوا مذاهب شتى في خليفة جعفر بن محمد الباقر والامام بعده فقال قوم بإمامة ابنه الأكبر بعد إسماعيل، عبد الله الأفتح، وهم الفطحية.

وقالت طائفة بإمامة ابنه محمد بن جعفر، وهذه الفرقة تسمى السمطية.

وقال قوم بإمامة موسى بن جعفر، ثم اختلف القائلون بإمامته إلى خمس فرق: القطعية، والواقفة، والمطورة، والبشرية، والإثنا عشرية^(١١٢).

فهذه هي اختلافات الشيعة في مسألة الإمامة بعد جعفر الملقب بالصادق، ورد كل واحد على الآخر بأدلته وبراهينه التي يعدّها براهين

(١١١) «كتاب المقالات والفرق» لسعد بن عبد الله القمي ص ٨٠ - إلى ٨٦ ومثله في «فرق الشيعة» للنوختي ص ٤٢.

(١١٢) انظر «فرق الشيعة» للنوختي ص ٩٧ وما بعد، و«كتاب المقالات والفرق» لسعد القمي. ص ٨٤.

وأدلة، مع أن هذا الخلاف الواقع بينهم كله يدل على أن القضية كلها مختلفة
مخترة بنصب هذا أو ذاك، وأن القواعد والأمس والضوابط والأصول التي
وضعوها للإمامة لم يضعوها، إلا من تلقاء أنفسهم، والقول بالنص والتعيين
الذي تقولوه لم يخرعوه إلا من قبلهم هم، لم يصدر مثل هذه الأمور عن
جعفر ولا عن محمد الباقر، ولا عمن فوقه من أهل بيت على رضى الله عنه.
كما رووا عن جعفر أنه قال :

« انا أهل بيت صادقون، لا نخلوا من كذاب يكذب علينا عند الناس
يريد أن يسقط صدقنا بكذبه علينا ثم ذكر المغيرة وبزيع الحايك، والسرى،
وأبا الخطاب، ومعمر وبشار الأشعري، وحمزة اليزيدي، وصايد النهدي
وغيرهم، فقال لعنهم الله أجمع وكفانا مثونة كل كذاب » (١١٣).

وإن القصص التي رويت في كتب هؤلاء الفئات منسوبة إلى جعفر لم
يتقول بها أبداً، بل إنها كلها حكايات واهية وأساطير باطلة موضوعة
مصنوعة من قبل المشيعين على اختلاف وجهاتهم وآرائهم عقلاً ونقلًا.

أولاً : لا يتصور عن جعفر - وهو الصادق - أن يقول لكل واحد حسب
ما يهواه ويشتهي معارضاً ومناقضاً لما يقوله للآخرين، فيقول للاسماعيلية :
إن الامام بعدى إسماعيل ثم للآخرين منهم : انه محمد بن اسماعيل، لا
إسماعيل، ويقول للفطحية : إنه عبد الله، ويقول للبشرية : إنه محمد،
ويقول للموسوية : إنه موسى ويقول للآخرين ؛ لا أحد، بل أنا هو الأخير
الذي سيغيب ويرجع في آخر الزمان.

وهذا ممتنع عقلاً أن تصدر مثل هذه الأقوال المتضاربة المتخالفة عن
جعفر وأمثاله.

ثانياً : وأين تلك القواعد والضوابط التي سَوَّغوها لتوارث الإمامة، وقد
تركت وخلّفت في كثير من المواقع، وكسرت وأهملت، مثل كون الإمام أكبر

(١١٣) « منهج المقال » للإستريادى ص ٦٧.

الأولاد، ولقد احتج به الإسماعيلية على الإثني عشرية حيث حوّلوا الإمامة عن الأكبر إلى الأصغر أي عن إسماعيل إلى موسى، ثم هم أنفسهم حوّلوها عن الأكبر، وجعلوها في الأصغر كما فعل ذلك الإمام الإسماعيلي المعز حيث حرم منها الأمير تميم ابنه البكر وجعلها في العزيز بالله ابنه الأصغر وكما فعل المستنصر في المستعلي بدل النزار، وأخيراً كما فعل آغان خان حيث جعل الإمامة في حفيده كريم آغا خان الحالي بدل على ابنه البكر.

وليس هذا فحسب، بل محمد بن إسماعيل بن جعفر أيضاً، حيث حرم ابنه الكبيرين من الإمامة وجعلها في الأصغر منها :

« وقام محمد بن إسماعيل صلوات الله عليه وهو سابع الائمة . . . وكان بالمدينة . . . وكان في عصر الرشيد . . . وأمر بالقبض عليه . . . ولما هدا الطلب صار الإمام في طلب دار هجرته وخلف بالمدينة ولدين خاليين من الإمامة وهما إسماعيل وجعفر، وشخص إلى نيسابور بنفسه منكتما عن ضده وهو يدور ما بينها وبين الديلم وتزوج بنيسابور امرأة فولدت له ولدا فسماه عبد الله وكناه الرضى وعرف عبد الله الإمام . . . ونصب له حججا » (١١٤).

وكذلك الإثنا عشرية ماذا يقولون في تحويل الإمامة عن عبد الله الافطح لو سلّم أن إسماعيل قد مات لأنه كان أكبر الموجودين من أبناء جعفر.

وكذلك لماذا احتاج زين العابدين على بن الحسين، ومحمد الباقر ابنه لثبات إمامتهما إلى المعجزات مقابل محمد الحنفية وزيد بن علي حسب ما يزعمون دون الرجوع واللجوء إلى النص والتعيين.

وهذا إن دلّ على شيء دلّ على أن هذه الاصول والأسس لا أساس لها في توارث الإمامة واستحقاقها، وقد اصطنعوها حسب الضرورة والمقام.

ثالثاً : وكذلك لم يكن هناك نص ولا تعيين لانه لو كان هذا لما كان هذا الخلاف الشديد الذي وقع، وما كانت هذه الفرقة الشديدة التي حصلت،

(١١٤) انظر « زهر المعاني » للداعى ادريس ص ٤٩ من « المنتخب » لا يوانوف.

ولقد أقرّ بذلك الإمام الإسماعيلي في دور الظهور المعز لدين الله بقوله حيث ذكر أبا جعفر محمد بن علي بن الحسين الباقر فقال :

« لقد بذل في عصره من نعم الله عنده وأسبغ منها على العباد ما لم يكن مثله فيما تقدمه إذا وافقه ذلك الوقت وساعده العصر، ثم كان من أبي عبد الله جعفر بن محمد صلوات الله عليه بعده من التضييق الإمساك أمر عظيم بقدر ما تهيأ في زمانه واتجه في عصره وأوانه .

فقلت : لا جرم أن ذلك أوقع الشيعة من بعده في الاختلاف العظيم واختلفوا في ولي الأمر من بعده إفتراقاً كثيراً .

فقال (عليه السلام) : في ذلك سعادة المحققين وشقوة المبطلين .

قالت : يامولاي ، فلو كان أوضح الأمر كما أوضحه أبوه فيه ، وأزال الشبهة عن أوليائه ، وأقام فيهم صاحب الأمر بعده ونص عليه صراحاً ، ألم يكن ذلك أذهب للشبهة وأقطع للاختلاف؟

قال : هيهات ! « لم يكن ذلك زمان ذلك » (١١٥)

ويمثل ذلك قال قاضي القضاة الاسماعيلي في أرجوزته :

«واشتدت الحنة بعد جعفر فانصرف الأمر إلى التستر
وكان قد أقام بعض ولده مقامه لما رأي من جلده
فجعل الأمر له في ستر فلم يكن قالوا بذلك يدري» (١١٦)

رابعاً : إن جعفر بن محمد الباقر نفسه لم يدّع الامامة لشخصه حتى ينقلها إلى أعقبائه وأخلافه ، بل أنكر أشد الإنكار على من زعمها فيه كما ذكرناه سابقاً فيما مضى عن المفيد والطبرسي والأربلي وغيرهم من الشيعة .

(١١٥) «المجالس والمسايرات» للنعمان بن محمد القاضي ، الجزء الرابع ص ١٢٣ ، ١٢٤ ط المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية ١٩٧٨ م .

(١١٦) «الأرجوزة المختارة» للنعمان القاضي ص ١٩١ ط إسماعيل قربان بونا وإلا - مونثريال كندا .

وعلى ذلك قال الجويني رداً على الاسماعيلية والإثنى عشرية بعد ما ذكر وجهة نظر كل واحد منهما بأن جعفر أعلن موت إسماعيل لبطلان مقالة الإسماعيلية، أو أعلنها تعمية على الناس، قال:

«وواقع الأمر أن هذين الرأيين باطلان كلاهما، فقد فسّر كل من الجماعتين هذا الفعل وفق هواه، ولقد كان هدف جعفر هو إبراء ساحته من حوالة دعوى الأمامة التي نسبوها إليه» (١١٧)

وكذلك لم يدّع واحد من آباءه هذه الدعوى ولكن الملتفين حولهم لأغراض وأهداف نسبوا مثل هذه الادعاءات إليهم كذباً ومينا.

نعم! كان هناك رجال من العلويين إدعوا مثل هذه الإدعاءات ولكنهم لم يكتموها عن الآخرين، بل تجاهروا بها وصارحوا الناس بالحكام قاتلوا عليها وقتلوا وركبوا المشائق والاعواد ولكنهم لم يكتموها ولم يخفوها فعل الأبطال وصنع الشجعان والمؤمنين بمقولتهم والمقتنعين بفكرتهم، ومعتقدين بصحة ما يدعونها ويدعون إليها.

ولو لا خوف الخروج من المبحث، والإطالة بالموضوع لسردنا نصوصاً تشهد بما قلناه، وتؤيد ما رأيناه من كل من محمد الباقر، وعلي زين العابدين، والحسين، وعلي بن أبي طالب قبل أن يبايع بالخلافة، من كتب القوم أنفسهم، ولكن من أراد الاستزادة فليرجع إلى كتابنا «الشيعه وأهل البيت» فسيجد هناك بغيته.

والجدير بالذكر أن الدجالين الوضاعين لم يجعلوا أحداً هدفاً لكذبهم مثلما جعلوا جعفر بن محمد الباقر، لذلك ترى كل الفئات المنحرفة، والطوائف الضالة والفرق الباطلة والغلاة الملحدون من الشيعة والباطنية من الاسماعيلية والقرامطة والنصيرية والدروز وغيرها كلهم يتنسبون إلى جعفر، ويسندون آراءهم وأفكارهم إليه - وهو منهم بريء - وبذلك قال الكشي نقلاً عن يحيى بن عبد الحميد أنه قال:

(١١٧) «تاريخ جهانكشاه» للجويني، ترجمة عربية ص ١٥٤.

«قلت لشريك: إن أقواماً يزعمون أن جعفر بن محمد ضعيف الحديث، فقال: أخبرك القصة كان جعفر بن محمد رجلاً صالحاً مسلماً ورعاً، فاكتنفه قوم جهال يدخلون عليه ويخرجون من عنده ويقولون حدثنا جعفر بن محمد ويحدثون بأحاديث كلها منكرات كذب موضوعة علي جعفر ليستأكلوا الناس بذلك ويأخذوا منهم الدراهم، فكانوا يأتون من ذلك بكل منكر، وسمعت العوام بذلك منهم فمنهم من هلك ومنهم من أنكر، وهؤلاء مثل المفضل بن عمر وبنان وعمرو النبطي وغيرهم ذكروا أن جعفر حدثهم أن معرفة الإمام تكفي من الصوم والصلاة، وحدثهم عن أبيه عن جده وأنه حدثهم قبل يوم القيامة، وأن علياً عليه السلام في السحاب يطير مع الريح وأنه كان يتكلم بعد الموت، وأنه كان يتحرك على المغتسل، وأن إله السماء وإله الأرض الإمام، فجعلوا لله شريكاً جهال ضلال، والله ما قال جعفر شيئاً من هذا قط، كان جعفر أتقى لله وأورع من ذلك فسمع الناس ذلك فضعفوه، ولورأيت جعفرًا علمت أنه واحد الناس» (١١٨).

محمد بن إسماعيل وميمون القداح

وعلى كل فإننا نتكلم عندما نتكلم عن الإسماعيلية أو عن الشيعة تنازلاً على ما يقولونه ويذكرونه في كتبهم، وإلا فلنا رأي آخر في الموضوع الذي أشرنا إليه آنفاً، فنقول على مقولة القوم: إن إسماعيل بن جعفر نصب نفسه إماماً بعد أبيه، ثم جعل الإمامة في ولده محمد بن إسماعيل، وكان هو أي محمد بن إسماعيل أول المستورين من الائمة الاسماعيلية على رأي الأكثر (١١٩) أو ثانياً بعد أبيه على رأي البعض (١٢٠).

(١١٨) «رجال الكشي» ص ٢٧٥ تحت ترجمة المفضل بن عمر.

(١١٩) الذين يقولون بموت أبيه في حياة جده جعفر.

(١٢٠) الذين يقولون بأن إسماعيل لم يمت بل استتر خوفاً من سلطان بني العباس.

ويقولون:

«قام إسماعيل بن جعفر صلوات الله عليه المبارك الميمون في كنف أبيه، وهو سادس الاثمة . . . ولما آن لاسماعيل الأجل تلبس على الضد لشدة حسده وبغيه وحرصه في اطفاء نور الله والله متم نوره بما فعله إن شاء الله، وأوصى اسماعيل والده الصادق عم الأمين أن يقيم لولده حجبا ومستودعا كما أوصى هارون موسى أن يقيم لولده كفيلاً فأقام له يوشع بن نون سترًا عليه وحجاباً له، فسلمه، أعنى مولانا محمد بن إسماعيل، إلى ميمون بن غيلان ابن بيدر بن مهران بن سلمان الفارسي قدس الله روحه، قرباه وأخفى شخصه ﷺ وهو ابن ثلاث سنين مع ميمون القداح قدس الله روحه وهو كفيل له ومستودع أمره، وميمون من أولاد سلمان وسلمان من أولاد إسحاق ابن يعقوب أهل الاستيداع والقائمين بالبلاغ والإبلاغ.

وكان إسماعيل في كنف أبيه كما كان محمد جده ﷺ في كنف صاحب الزمان أبي طالب صلوات الله عليه، فأظهر إسماعيل مرضاً وصارت العواد من أهل الحضر والسفار يعودونه، وفي أثناء ذلك يستشهد أبوه من وصل إليه على ذلك ويكتب شهادتهم، فلما أظهر نقلته سجاه ثلاثة أيام وهو يأخذ على ذلك شهادة من وصل إليه يعزیه فيه من بني هاشم وغيرهم. فلما كان في اليوم الثالث أمر بحمله إلى القبر وكشف عن وجهه وقال لمن حضر أليس هذا ولدى إسماعيل فيقولون بلى، فجدد شهادتهم على ذلك، ثم دفنه وراح وكتب إلى أبي الدوانيق يعرفه خبره ووصل إليه أهل الأخبار بعلم ذلك فسره وقطع خاطره عما كان ينوبه ويضمه . . .

فلما كان بعد ذلك ظهر إسماعيل (عليه السلام) بالبصرة، وأقبل إليه الناس يهرعون وهم يقولون: هذا إسماعيل بن جعفر عاد حياً، إلى أن مر بشيخ زمن على دكانه من الشيعة الموالين لآبيه، فقال له يا بن بنت رسول الله خذ بيدي أخذ الله بيدك، فطلع إليه ومسح على ظهره بيده المباركة فثبت ظهره وبرؤ من علته وشاهد الخلق ذلك، وغاب عنهم.

فلما سمع بذلك أبو الدوانيق قال إن سحر آل بني أبي كبشة لعظيم، فأمر بجعفر (عليه السلام)، ولما وصل إليه عاتبه في ذلك فظاهر الصادق ما كتبه الشهود، وكان في المجلس كثير من شهد فشهدوا بذلك فسكن عنه غيظه وراح الصادق . . .

ثم إن الصادق (عليه السلام) أقام موسى بن جعفر حجاباً على محمد بن إسماعيل وعلى من جعله له باباً الذي هو ميمون الستر عليه والكفيل، وكان موسى دارساً في التأويل والحقيقة واجتمع عليه كثير من الشيعة المخالفين للطريقة، فقصدوا الإسم دون المسمى وقنعوا باللفظ دون المعنى، وكتب الصادق منزلة ابن ابنه وأقام له ميمون القداح وابنه عبدالله بن ميمون كفلاء وكتب أمر ذلك عن الخاص والعام إلا على المخلصين العارفين أوجب الله له الولاء وسار ميمون وولده في طلب دار هجرة لولى الأمر يأويها ويقيم الحدود فيها والشيعة في اعتقادهم مختلفون، والفضلاء البالغون منهم لولى أمرهم عارفون أعلمهم ولي الله بمقام صاحب أمرهم فعلموا وأمرهم أن يكتموا ذلك سراً خوفاً للضد فكتموا وقام محمد بن إسماعيل صلوات الله عليه، وهو سابع الأئمة وقائمتهم مقابل لجده على أمير المؤمنين تمام الدور الروحاني والخلق الآخر الذي هو نفس الشيء وروحه ومعناه، وهو تمام الدور الأول ومنه ابتداء الدور الثاني» (١٢١).

ولكن الداعي إدريس يذكر في كتابه «عيون الأخبار» بأن الذي جعله كفيلاً على ابنه هو عبدالله بن ميمون القداح، لا ميمون القداح كما يقول:

«وكان الإمام إسماعيل بن جعفر (عليه السلام) قد اختص عبدالله بن ميمون القداح وأقامه حجة له ولابنه محمد بن إسماعيل (عليه السلام) ودليلاً عليهما، وهادياً إليهما، بأمر الصادق (عليه السلام). فخرج عبدالله بن

(١٢١) أنظر «زهر المعاني» للداعي إدريس عباد الدين ص ٤٧ إلى ٥٣ من «المنتخب» لا يوانوف، ومثل ذلك في «غاية المواليد الثلاثة» للداعي الحسين أبي الخطاب ص ٣٦ من «المنتخب» و«أسرار النطقاء» لجعفر بن منصور اليمن ص ٨١ من «المنتخب» وغيرها من الكتب.

ميمون إلى مكة، وأظهر الدعوة إلى أهل البيت (عليهم السلام) ولم بين أمر ولي الله بل ستره واخفاه وكتمه تقية عليه من الاضداد، وخوفاً من أهل العناد» (١٢٢).

وأما صاحب «دستور المنجمين» فيضيف إلى ما قاله هؤلاء من أن مبارك وهو مولى لمحمد بن اسماعيل جعل مفوضاً إليه أمر امامة محمد بن اسماعيل من قبل أبيه (١٢٣).

وبمثل ذلك ورد في «سياسة نامه» (١٢٤).

واني لا أرى مانعاً بأن يكون هؤلاء كلهم من ميمون القداح، وعبدالله بن ميمون ومبارك - وهؤلاء كلهم من الخطايين كما مر - مفوضين بأمر محمد بن اسماعيل من قبل أبيه حيث كان كل واحد منهم باتصال مباشر معه والمشاركين في أفعاله وآرائه والمساهمين بنشر الافكار الخطائية. وعلى ذلك لا يستبعد من اسماعيل بن جعفر أن يوصى شركاء هؤلاء وأحباءه باحتضانهم ابنه ذاك وأن يجعلوه في أكنافهم. ولقد نقلنا عن الباحثين في الفرق من الشيعة - ويؤيدهم المشتغلون بالفرق من السنة أيضاً - أن الاسماعيلية لم تتكون إلا من الخطائية والمباركية، كما أن أهل السنة ذكروا صراحة علاقة الميمون وابنه باسماعيل وابنه محمد من جانب، وبابي الخطاب من جانب آخر، ولا شك في أن الرجالين الشيعة قد ذكروا ميمون القداح من أصحاب محمد الباقر وابنه جعفر كما ذكروا ابنه عبدالله في أصحاب جعفر، ووثقوهما من هذه الناحية ظانين بأنهما من الشيعة الاثني عشرية (١٢٥).

(١٢٢) «عيون الأخبار» للداعي إدريس عماد الدين السبع الرابع ص ٣٣٥.

(١٢٣) نقلاً عن «أصول الاسماعيلية» لبرنارد لويس ص ١١٥.

(١٢٤) أيضاً ص ١١٤.

(١٢٥) أنظر لذلك «رجال الكشي» ص ٢١٢ و ٢٣٢ و «رجال الطوسي» ص ١٣٥ و ٢٢٥،

و «جامع الرواة» للأردبيلي ج ٢ ص ٢٨٦ و ج ١ ص ٥١٣، و «تنقيح المقال» للهامقاني

ج ٣ ص ٢٦٥ و ج ٢ ص ٢١٩ و «الكنى والألقاب» ج ٣ ص ٤٧.

ولكنهم غفلوا عن دورهما الكبير الذي لعباه في تكوين الاسماعيلية وترويج الأفكار الخطابية، وحملهما على أكتافهما المعارضة الشديدة للموسوية التي امتدت فيما بعد إلى الاثني عشرية.

ولكن أهل السنة كانوا على علم ومعرفة من أمرهما متبهيين لما قاما به من مؤامرات ودسائس لهدم الكيان الاسلامي والعقائد الاسلامية والقضاء على الشريعة التي جاء بها محمد صلوات الله وسلامه عليه وخاصة المعنيين بالفرق منهم والتاريخ أيضاً والرجاليون عامة، ولذلك أكثروا نشر فضائحهما وما قاما به من المكاييد والتدابير لهدم الإسلام والقضاء على الأمة الإسلامية المجيدة، وانشاء فرقة حاقدة حانقة على الإسلام والمسلمين كما سيأتي ذكر ذلك مفصلاً في الباب الثالث من هذا الكتاب عند ذكر نسب الاثمة الاسماعيلية.

وأما الرجاليون فأيضاً لم يوثقوا ولم يعتمدوا عليهما بما علموا من آرائهما وأفكارهما.

وأما قول المستشرق الانجليزي برنارد لويس «بأن الذهبي وثق عبدالله ابن ميمون القداح وجعله حجة» فمبني على الخطأ والجهل تماماً لأن الذهبي وغير الذهبي لم يوثقه إطلاقاً، ولعلّه وهم في فهم كلام الذهبي في كتابه «ميزان الاعتدال» حيث أن الذهبي بدأ كلامه عنه بقوله:

«عبدالله بن ميمون القداح... قال أبو حاتم: متروك، وقال البخاري: ذاهب الحديث، وقال ابن حبان: لا يجوز أن يحتج بما انفرد به» وأنهى كلامه فيه: «قال أبو زرعة: واهي الحديث» (١٢٦)

هذا ولقد ذكر الذهبي أيضاً في سيره أقوالاً عديدة في ذم عبدالله بن ميمون وزندقته (١٢٧).

(١٢٦) انظر «ميزان الاعتدال» للذهبي ج ٢ ص ٥١٢ ط باكستان أوفست.
(١٢٧) انظر «سير أعلام النبلاء» للذهبي ج ١٥ ص ١٤١ وما بعد ط مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٨٣ م.

وكذلك ذكره ابن حجر العسقلاني في كتابه الرجالي الكبير «تهذيب التهذيب»، وأورد فيه آراء أكثر مما أوردتها الذهبي متفقة في تضعيفه وعدم الاحتجاج بمروياته، فيقول في ترجمته:

«عبدالله بن ميمون القداح: قال البخاري: ذاهب الحديث، وقال أبو زرعة: واهي الحديث، وقال الترمذي: منكر الحديث، وقال ابن عدي: عامة ما يروي لا يتابع عليه. . . . وقال النسائي: ضعيف، وقال أبو حاتم: منكر الحديث. . . وقال الحاكم: روى عن عبدالله بن عمر أحاديث موضوعة، وقال أبو نعيم الأصفهاني: روى المناكير» (١٢٨).

فهذا هو توثيق الرجل وحجته عند أهل السنة؟

وأما أصحاب الفرق والتاريخ فقد فصلوا فيه القول كما ذكر المقرئ عن أبي محسن:

«ميمون القداح، وإليه ينسب الميمونية. وكان له مذهب في الغلو. فولد لميمون هذا ابن يقال له: عبدالله كان أحب من أبيه، وأعلم بالخليل، فعمل أبواباً عظيمة من المكر والخديعة على بطلان الإسلام، وكان عارفاً عالماً بجميع الشرائع والسنن، وجميع علوم المذاهب كلها، فرتب ما جعله من المكر في سبع دعوات يتدرج الإنسان من واحدة إلى أخرى حتى ينتهي إلى الأخيرة، فيبقى معري من جميع الأديان، لا يعتقد غير التعطيل والإباحة، ولا يرجو ثواباً، ولا يخشى عقاباً، ويقول إنه على هدى هو وأهل مذهبه، وغيرهم ضال مغفل.

وكان عبدالله بن ميمون يريد بهذا - في الباطن - أن يجعل المخدوعين أمة له، يستمد من أموالهم بالمكر والخديعة. وأما في الظاهر فإنه كان يدعو إلى الإمام من آل البيت: محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق، ليجمع الناس بهذه الحيلة.

(١٢٨) «تهذيب التهذيب» لابن حجر العسقلاني ج ٦ ص ٤٩ ط حيدرآباد ١٣٢٦ هـ.

وكان عبدالله بن ميمون هذا أراد أن يتنبأ فلم يتم له . وأصله من موضع بالاهواز يعرف «بقورج العباس» ثم نزل «عسكر مكرم» وسكن «ساباط أبي نوح» فنال بدعوته مالا . وكان يتستر بالتشيع والعلم ، وصار له دعاة ، وظهر ما هو عليه من التعطيل والإباحة ، والمكر والخديعة فثارت به الشيعة ، والمعتزلة وكبسوا داره ، ففر إلى البصرة ، ومعه رجل من أصحابه يعرف «بالحسين الاهوازي» ، فادعى أنه من ولد عقيل بن أبي طالب ، وأنه يدعو إلى محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق ، ثم اشتهر خبره ، فطلبه العسكريون ، فهرب هو والحسين الاهوازي إلى سلمية من أرض شام ، ليخفي أمره بها ، فولد له بها ابن يقال له «أحمد» (١٢٩) .

هذا ولقد نبحت عن شخصية ميمون وعقبه في ما يأتي في الباب المختص بنسب الاثمة الاسماعيلية كما أشرنا اليه سابقاً .

دور الستر

ولقد ذكرنا فيما سبق أن اسماعيل بن جعفر خلف بعده محمد بن اسماعيل إماماً للشيعة ، وجعل ميمون القداح كفيلاً له ، وهناك عبارة من كتاب اسماعيلي هام للداعي الاسماعيلي خطاب بن الحسن المتوفى سنة ٥٣٣ هـ الذي كان معاصراً للإمام الإسماعيلي المستعلي والمستنصر أيضاً ، يقول فيها :

«وذلك ما روى عن الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) المصدق الأمين في تسليمه الأمر إلى ولده إسماعيل بن جعفر ، وغية اسماعيل وولده محمد بن اسماعيل في حد الطفولية ولم تكن الامامة ترجع القهقري منه كما لم ترجع من غيره ، فأودع حجته المنصوبة بين يدي ميمون القداح مقامه

(١٢٩) «الاتعاط» للمقريزي ج ١ ص ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ .

لولده وأقامه سترا عليه وقدمه بين يديه واستكفله إياه إلى بلوغه أشده سلام الله عليه، فلما بلغ أشده تسلم وديعته» (١٣٠).

وهذه العبارة تنبيء عن أشياء:

أولاً: كان ميمون القداح لمحمد بن إسماعيل مقام الوالد.

ثانياً: كان هو المتغلب على أمره، ومستودعاً لأمامته، وكفياً له.

ثالثاً: عند بلوغ محمد بن إسماعيل أشده استلم الإمامة عن ميمون واسترجعها منه.

ويقول الإسماعيلية: إن محمد بن إسماعيل المولود سنة ١٣٢ هـ بقي مستترا طول حياته، منتقلاً من بلدة إلى بلدة (١٣١) متخفياً، خائفاً من سلطان بني العباس وبطشتهم. ولذلك لقب بمحمد المكنوم، وكان المجاهر بدعوته والقائم بأمره والمتكلم باسمه ميمون القداح وابنه عبد الله بن ميمون (١٣٢).

ومات سنة ١٩٣ هـ في فرغانة (١٣٣)

أو في تدمر (١٣٤) أو في محمود آباد (١٣٥)

بعد أن خلف ولداً إماماً للقوم.

(١٣٠) «غاية المواليد الثلاثة» الباب الرابع ص ٣٦ من «المنتخب» لايوانوف.

(١٣١) «ولم يزل الإمام محمد بن إسماعيل مخفياً مستترا بنفسه ينتقل من بلد إلى بلد من المدينة إلى البري إلى نهاوند إلى كازرون إلى صابور إلى فرغانة» («عيون الأخبار» السبع الرابع ص ٣٥١ وما بعد) أيضاً «زهر المعاني» ص ٥٣ وما بعد من «المنتخب» لايوانوف، أيضاً «أسرار النطقاء» لجعفر بن منصور اليمن ص ١٠٠ من «المنتخب».

(١٣٢) انظر «زهر المعاني» ص ٤٧ من «المنتخب» و«عيون الأخبار» السبع الرابع ص ٣٣٥.

(١٣٣) انظر «عيون الأخبار» السبع الرابع ص ٣٥٦.

(١٣٤) «الفلك الدوار» ص ١٣١.

(١٣٥) «نور مبين» تاريخ الاسماعيلية في الاردية ص ١٣٥.

هذا ما قالته الاسماعيلية، وأما ما يقوله الشيعة فهو:

«كان موسى الكاظم (عليه السلام) يخاف ابن أخيه محمد بن إسماعيل ويبره وهو لا يترك السعي به إلى السلطان من بني العباس.

وقال أبو نصر البخاري: كان محمد بن إسماعيل بن الصادق (عليه السلام) مع عمه موسى الكاظم (عليه السلام) يكتب له السر إلى شيعته في الآفاق، فلما ورد الرشيد الحجاز سعى محمد بن إسماعيل بعمه إلى الرشيد: فقال: أعلمت أن في الأرض خليفتين يجيئ إليهما الخراج؟ فقال الرشيد: ويلك أنا ومن؟ قال: موسى بن جعفر. وأظهر أسرارهم فقبض الرشيد على موسى الكاظم (عليه السلام) وحبسه وكان سبب هلاكه، وحظي محمد بن إسماعيل عند الرشيد وخرج معه إلى العراق ومات ببغداد ودعا عليه موسى بن جعفر (عليه السلام) بدعاء استجاب له الله تعالى فيه وفي أولاده، ولما لم يسمع به، قال: إني حدثني أبي عن أبيه عن جده عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: الرحم إذا قطعت فوصلت ثم قطعت فوصلت ثم قطعت فوصلت ثم قطعت قطعها الله تعالى وإنما أردت أن يقطع الله رحمه من رحمي» (١٣٦).

وأما المؤرخون الآخرون فيقولون: إن محمد بن إسماعيل مات في تنقله إلى البلاد المختلفة «وكان له أولاد تواروا في خراسان ثم توجهوا إلى كندهارا من أعمال ولاية السند واستوطنوها» (١٣٧).

فاستغل القداحيان ميمون وعبدالله هذه الفرصة واغتصبا الأمر،

(١٣٦) «عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب، لجمال الدين بن عنه الدودي الحسيني المتوفى سنة ٨٢٨ هـ ص ٢٣٣، ٢٣٤ ط مطبعة امير قم، الطبعة الثانية ١٩٦١ م.

(١٣٧) انظر «تاريخ جهانكشاه» لعطاء ملك الجويني ط فارسي ص ١٤٨، وترجمة عربية ص ١٥٦، وكذلك «جامع التواريخ» لخواجه رشيد الدين الهمداني، الجزء الخاص بالاسماعيلية فارسي ص ١١ وغيرها من كتب التاريخ.

وخاصة بعد ما كانا مستودعين «لأنهما كانا مأمورين أن يأخذا العهد لنفسهما حجابا على إسماعيل ومحمد بن إسماعيل» (١٣٨).

وانتسب عبدالله بن ميمون إلى آل عقيل عند منازل بياهلة على موال لآل عقيل بن أبي طالب (١٣٩).

ثم ولده أحمد أو محمد على اختلاف في الأقوال ادعى أنه من ولد إسماعيل (١٤٠).

ونرجع مرة أخرى إلى رواية المقرئزي، التي سردناها من قبل - والتي ذكرها جمع من المؤرخين - لذكر القصة كاملة وسرد أسماء من خلف على منصب الإمامة الإسماعيلية بعد محمد بن إسماعيل، فيقول المقرئزي:

«ومات عبدالله بن ميمون - بعد ما ولد له ابن يقال له أحمد - فقام من بعده ابنه أحمد هذا في ترتيب الدعوة، وبعث بالحسين الاهوازي - داعيه - إلى العراق، فلقي حمدان ابن الأشعث المعروف بقرمط بسوار الكوفة. ودعاه إلى مذهبه فأجابه، وقام هناك بالأمر، وإلى قرمط هذا تنسب القرامطة وولد لأحمد بن عبدالله بن ميمون القداح ولدان، هما: الحسين ومحمد - المعروف بأبي الشلعلع -، ثم هلك أحمد فخلفه ابنه الحسين في الدعوة.

فلما هلك الحسين بن أحمد خلفه أخوه محمد بن أحمد - المعروف بأبي الشلعلع -، وكان للحسين ابن اسمه سعيد، فبقيت الدعوة له حتى كبر.

وكان قد بعث محمد هذا داعيين إلى المغرب، وهما: أبو عبدالله - الحسين بن أحمد بن محمد -، وأخوه أبو العباس - محمد بن أحمد بن محمد -،

(١٣٨) انظر كتاب «الترايب» لداعية إسلامي قديم ص ١٣٨ من مجموعة «أخبار القرامطة» جمع وترتيب دكتور سهيل زكاء ص ١٣٨ ط دار حسان دمشق ١٩٨٢ م.

(١٣٩) انظر «نهاية الأرب» للنويري الجزء الخاص بالإسماعيلية ص ٣٠٨ من مجموعة «أخبار القرامطة»، أيضا «الفهرست» لابن النديم ص ٢٦٥ ط دار المعرفة لبنان، أيضا «الفرق بين الفرق» للبغدادي ج ١ ص ٢٧٢، أيضا «التبصير في الدين».

للإسفرائيني. ص ١٤١.

(١٤٠) انظر المراجع المذكورة.

فنزلا في قبيلتين من البربر، وأخذوا على أهلها، وقد كان اشتهر أمرهم بسلامية، وأيسروا، وصار لهم أملاك كثيرة، فبلغ خبرهم السلطان، فبعث في طلبهم، ففر سعيد من سلمية يريد المغرب، وكان على مصر يومئذ عيسى النوشري، فدخل سعيد على النوشري وناداه، فبلغ السلطان خبره، وكان يتقصي عنه، فبعث إلى النوشري بالقبض عليه، فقريء الكتاب وفي المجلس ابن المدبر - وكان مؤاخيا لسعيد. فبعث إليه يحذره، فهرب سعيد، وكبس النوشري داره، فلم يوجد، وسار إلى الإسكندرية، فبعث النوشري إلى والي الإسكندرية بالقبض على سعيد - وكان رجلاً ديلمياً يقال له علي بن وهسودان -.

وكان سعيد خداعاً، فلما قبض عليه ابن وهسودان قال: «إني رجل من آل رسول الله»، فرق له، وأخذ بعض ما كان معه وخلاه، فسار حتى نزل سجلماسة - وهو في زِيّ التجار - فتقرب إلى واليها، وخدمه، وأقام عنده مدة، فبلغ المعتضد خبره، فبعث في طلبه، فلم يقبض عليه وإلى سجلماسة، فورد عليه كتاب آخر، فقبض عليه وجسه، وكان خبره قد اتصل بأبي عبدالله الداعي - الذي تقدم ذكر خروجه هو وأخوه إلى البربر - فسار حينئذ بالبربر إلى سجلماسة، وقتل واليها، وأخذ سعيداً، وصار صاحب الأمر، وتسمى بعبيد الله، وتكنى بأبي محمد، وتلقب بالمهدي، وصار اماماً علوياً من ولد محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق، ولم يلبث الأمير حتى قتل أبا عبدالله الداعي، وتملك البربر، وقلع بني الأغلب ولالة المغرب.

قال: «فعبيد الله - الملقب بالمهدي - هو سعيد بن الحسين بن أحمد بن عبدالله بن ميمون القداح بن ديسان الثنوي الأهوازي، وأصلهم من المجوس». (١٤١)

(١٤١) «اتعاظ الخفاء» للمقريزي ج ١ ص ٣٠ إلى ٣٣، أيضاً «الخطط» للمقريزي ج ١ ص ٣٤٨، مثله في «الفهرست» لابن النديم ص ٣٦٤، ٣٦٥ و«نهاية الإرب» للنويزي ص ٣٠٩، وكتب الفرق أيضاً مثل «الفرق بين الفرق» للبغدادى و«التبصير في الدين» للاسفرائني، و«كشف أسرار الباطنية» لمحمد بن مالك الحمادي ص ١٩٩ الملحق بالتبصير في الدين ط مكتبة المثنى بغداد وغيرها.

هذا وسوف نبحث قضية الأئمة المستورين في باب نسب الأئمة الاسماعيلية، الباب الثالث من هذا الكتاب مفصلاً، ولكن تجدر الإشارة ههنا أن أحداً من الاسماعيلية القدامى من الدعاة والمؤرخين لم يذكر أسماءهم ولا أحوالهم مما يدل على أن الذي ذهب إليه المؤرخون من اغتصاب القداحين الإمامة الاسماعيلية والتسلط عليها هو أمر صحيح.

وأما المتأخرون من الاسماعيلية فلقد اضطربت أقوالهم وآراؤهم في هذا الخصوص حتى اضطرب المؤرخ الاسماعيلي الكبير وداعي الدعاة إدريس عماد الدين أن يقول في كتابه السري عن هؤلاء الأئمة المستورين:

«ان الدعاة في أوضاعهم يسمون هؤلاء الأئمة بأسماء مختلفة ما اتفق في ذلك منها اثنان» (١٤٢).

فهذه شهادة أهل البيت، ومن الشخص الذي يجمع بين الدعوة والتاريخ، وكتبه من أهم المراجع الاسماعيلية التي يعتمد عليها الباحثون والكتاب.

وتجنباً للتكرار لا نريد أن نتعمق في هذا الخصوص ما دمنا أردنا التفصيل في محله.

فخلاصة ما ذكرناه هو أن الاسماعيلية أسست وقامت على الأفكار الخطابية، ساهم فيها كل بقدره من أبي الخطاب ومبارك واسماعيل بن جعفر وأبي غقير وجياد بن الخشعمي وأحمد بن الموصلي وأبي محمد الكوفي وأبي الحسن الترمذي وأسرة القداح - وهم من الخطابية أيضاً - وغيرهم.

وأخيراً هم الذين قاموا بزعامتها وامامتها، مع الآخرين من أبناء المجوس والفرس الحاقدين الحانقين على الإسلام، والمبغضين للمسلمين،

(١٤٢) انظر «زهر المعاني» للداعي إدريس الباب السابع عشر ص ٥٤ من «المنتخب» لا يوانوف.

والتأمرين على الشريعة الإسلامية، والمستترين بستار التشيع والحب لأهل البيت العلوي، وأسسوا لها عقائد ومعتقدات، ووضعوا لها قواعد وأسساً، ولم يكن قصدهم من وراء ذلك إلا هدم الإسلام وتدمير المسلمين والقضاء على الشريعة الإسلامية الغراء. ولقد فصل القول في ذلك الأمير عبدالعزيز بن شداد، ونقل عنه الكثيرون من ابن الأثير وأبي المحاسن ونويري والمقرئزي وغيرهم، وما نحن أولاء ننقل عن النويري قوله:

«وأول من قام منهم أبو شاعر^(١٤٣) ميمون بن ديصان بن سعيد الغضبان، وكان ممن صحب أبا الخطاب محمد بن أبي زينب مولي بني أسد، فألقوا إلى كل من اختصوا به أن لكل شيء من العبادات باطناً، وإن الله تعالى ما أوجب على أوليائه صلاة ولا زكاة، ولا صوماً ولا حجاً، ولا حرم عليهم شيئاً من المحرمات، وأباح لهم نكاح البنات والأخوات، وإنما هذه العبادات عذاب على الأمة، وأهل الظاهر، وهي ساقطة عن الخاصة يقولون ذلك لمن يثقون به ويسكنون إليه، ويقولون في آدم وجميع الأنبياء كذابون محتالون طلاب للرياسة.

(١٤٣) ولقد استنكر المستشرق الروسي أيوانوف اسماعيل النزعة، والذي اشتغل مدة طويلة لدى الطائفة الاسماعيلية في الهند، استنكر هذا اللقب لميمون القداح، ونسب إلى أهل السنة أنهم اختلقوه بمحاولة عقيمة زائفة وبمغالطة تاريخية ظاهرة ليربطوا بين ميمون القداح وولده وبين أبي شاعر الديصاني وولده (انظر The Alleged Founder of Ismailism / المؤسس المزعوم للاسماعيلية. انجليزي ص ٩٩ وما بعد) وبذلك قال الاسماعيلي المعاصر: وتذكر بعض مصادر الأحاديث السنية أن شخصاً كافراً يدعى أبو شاعر الديصاني كان يتصل بالامام جعفر الصادق (تاريخ الدعوة الاسماعيلية ص ١٤٤).

مع أن حضرتهما لم يدريا بأن ذكر أبي شاعر الديصاني لا يوجد في الأحاديث السنية، وأنه لم يكن محاولة عقيمة زائفة منهم، بل ورد ذكره في كتب الأحاديث الشيعية، لا السنة (انظر لذلك «الإرشاد» للمفيد ص ٢٨١ ط مكتبة بصيرتي قم، و«إعلام الوري» للطبرسي ص ٢٩١ ط دار الكتب الاسماعيلية طهران ١٩٧٠م، و«كشف الغمة» للاربلي ج ٢ ص ٣٨٩ ط دار الكتاب الإسلامي بيروت) وغيرها من الكتب الشيعية وكل واحد منهم روى أحاديثه مع أبي عبدالله جعفر.

فاشتدت شوكة هؤلاء في الدولة العباسية، وتفرقوا في البلاد شرقاً وغرباً، يظهرون التقشف والزهد والتصوف وكثرة الصلاة والصيام، يعرفون الناس بذلك، وهم على خلافه، ويذكرون أبا الخطاب إلى أن قامت البينة بالكوفة أن أبا الخطاب، أسقط العبادات وأحل المحارم، فأخذه عيسى بن موسى الهاشمي مع سبعين من أصحابه، فضرب أعناقهم فتفرق بقية أصحابه في البلاد، فصار قوم مما كان على مذهبه إلى نواحي خراسان، وقوم إلى الهند.

· وصار أبو شاذان ميمون بن سعيد إلى بيت المقدس مع جماعة من أصحابه وأخذوا في تعلم الشعبذة والنارنجيات والحيل، ومعرفة الرزق من صنعة النجوم والكيمياء ويحتالون على كل قوم بما يتفق عندهم، وعلى العامة بإظهار الزهد والورع، ونشأ لابن شاذان ابن يقال له عبدالله القداح، علمه الحيل وأطلعته على أسرار هذه النحلة، فتحقق وتقدم، وكانوا يظهرون التشيع، والبكاء على أهل البيت، ويزيدون أكاذيب اخترعوها، يخدعون بها ضعفاء العقول، وكان من كبار الشيعة رجل يسمى محمد بن الحسين بن جهار بختار، الملقب دندان، وهو بنواحي الكرخ والاصفهان له حال واسعة، وضياح عظيمة، وهو المتولى على تلك المواضع وكان يبغض العرب ويذمهم، ويجمع معايبهم، وكان كل من طمع في نواله تقرب إليه بدم العرب، فسمع به عبدالله بن ميمون القداح، وما ينتحله من بغض العرب، وصنعة النجوم، فسار إليه وكان عبدالله يتعاطى الطب وعلاج العين، ويقده الماء النزل فيهبط، ويظهر أنه إنما يفعل ذلك حسبة وتقرباً إلى الله عز وجل، فطار له بهذا الاسم بنواحي أصفهان والجيل، فأحضره دندان، وفاتحه الحديث، فوجده كما يحب ويهوى، وأظهر له عبدالله من مساويء العرب والطعن عليهم أكثر مما عنده، فاشتد إعجابه به، وقال له: مثلك لا ينبغي أن يطب، وإن قدرك يرتفع ويحل عن ذلك، فقال: إنما جعلت هذا ذريعة لما وراءه مما ألقىه إلى الناس، وإلى من أسكن إليه على رفق ومهل من الطعن على الإسلام، وأنا أشير عليك أن لا تظهر ما في نفسك إلى العرب،

ومن يتعصب لهذا الدين، فإن هذا الدين قد غلب على الأديان كلها فما يطيقه ملوك الروم ولا الترك والفرس، والهند مع بأسهم ونجدتهم، وقد علمت شدة بابك صاحب الخرمية وكثرة عساكره، وأنه لما أظهر ما في نفسه من بغض الإسلام، وترك السير بالتشيع والبكاء كما تقول أولاً، قلع أصله فالله الله أن تظهر ما في نفسك، والزم التشيع والبكاء على أهل البيت، فإنك تجد من يساعدك على ذلك من المسلمين، ويقول: هذا هو الإسلام، وادع عليهما عداوة الرسول، وتغيير القرآن وتبديل الأحكام فإنك إذا سببتهما سببت صاحبهما، فإذا استولى لك الطعن عليهما، فقد اشتفيت من محمد، ثم تعمل الحيلة بعد ذلك في استئصال دينه ومن ساعدك على هذا فقد خرج من الاسلام من حيث لا يشعر، ويتم لك كما تريد.

فقال دندان: هذا هو الرأي، ثم قال له عبدالله القداح: إن لي أصحابا وأتباعا أثبتهم في البلاد، فيظهرون التقشف والتصوف، والتشيع ويدعون إلى ما نريده بعد إحكام الأمر فاستصوب دندان ذلك وسر به وبذل لعبدالله القداح ألفي ألف دينار فقبل المال وفرقه في كور الأهواز والبصرة وسواد الكوفة، وبطالقان خراسان، وسلمية من أرض حمص، ثم مات دندان فخرج عبدالله القداح إلى البصرة، وسواد الكوفة وبث الدعاة وتقوى بالمال ودبر الأمر (١٤٤).

دعاة هذا الدور

فهكذا كان الأمر، وهكذا كانت نشأة الاسماعيلية وتكوينها، ومن هؤلاء نمت وترعرعت، ثم وجد لها أنصار وأعوان، دعاة ومبشرون، نشروها في الآفاق، وغزوا بها البلاد، وتسلطوا عليها، وقد ذكرهم الأمير عبدالعزيز بن

(١٤٤) «نهاية الأرب» للنويري الجزء الخاص ص ٣٠٥ إلى ٣٠٨ من «أخبار القرامطة»، أيضاً «الكامل» لابن الأثير تحت حوادث سنة ٢٩٦ ج ٦ ص ١٢٤، أيضاً «الاعتاظ» للمقريزي ج ١ ص ٣٧.

شداد أيضاً وكيفية الوصول إليهم وإدخالهم في الاسماعيلية كما نقل عنه المؤرخون بقوله :

« مات عبدالله ، وكان له جماعة من الولد ، فخلفه منهم ابنه أحمد ، فقام مقام أبيه ، وجرى على قاعدته ، وبث الدعاة واستدعى رجلاً من أهل الكوفة يقال له أبو القاسم الحسن ابن فرح بن حوشب بن زاذان النجار ، وكان هذا الرجل من الإمامية الذين يقولون بامامه موسى بن جعفر ، فنقله إلى القول بامامه اسماعيل بن جعفر ، وكانوا يرصدون من يرد من المشاهد ، وينظرون إليهم ، فمن كان فيه مطمع وجهالة استدعوه ، ولا يستدعون إلا الجهال ومن له بأس وجلد وعشيرة ومال وعز ، ويتجنبون الفقهاء والعلماء والأدباء والعقلاء . وكانوا يطلبون أطراف البلاد .

فقال لهم بعض من ورد عليهم : أن بجيشان والمذيجرة والجند من أرض اليمن رجلاً جد كثير المال والعشيرة يتشيع ، وهذه الناحية شاعر يقال له ابن خيران يسب في شعره أبا بكر وعمر ، والمهاجرين والأنصار على مثل سبيل الحميري الشاعر ، فورد ذلك الرجل المذكور . وهو أبو الخير إلى علي بن الفضل من أهل جيشان من اليمن ، ودخل إلى الحيرة فرأوه يبكي على الحسين بن علي . فلما فرغ من زيارته أخذ الداعي يده وقال له : إني رأيت ما كان منك من البكاء والقلق على صاحب هذا القبر فلو أدركته ما كنت تصنع ؟ قال : كنت أجاهد بين يديه ، وأجعل خدي أرضاً يطأ عليها وأبذل مالي ودمي دونه ، فقال له : أتظن أنه ما بقي لله حجة بعد صاحب هذا القبر ؟ قال : بلى ولكن لا أعرفه بعينه ، قال : فتريده ؟ قال : أي والله . فسكت عنه الداعي ، فقال له علي بن الفضل ما قلت لي هذا القول إلا وأنت عارف به ، فسكت الداعي فقوى ظن ابن الفضل أن هذا الرجل يعرف الإمام والحجة ، فآلح عليه ، وقال : الله الله في أمري أجمع بيني وبينه ، فاني خرجت إلى الحج وجئت إلى هذه الزيارة أريد الله تعالى ، فسكت الداعي وازدادت رغبة ابن الفضل ، فصار يتضرع إليه ويسأله ويقبل يده ، فقال له الداعي : اصبر ولا تعجل وأقم فهذا الأمر لا يتم بسرعة ولا بدله من صبر ومهلة ، فقال ابن

الفضل لأصحابه، ومن كان معه من جيشان: انصرفوا فلي بالكوفة شغل، فانصرفوا وأقام هو واجتمع بالداعي، فقال له: ما عملت في حاجتي؟ فقال انتظري حتى أعود إليك، فانصرف عنه ومضى إلى أحمد بن القداح وعرفه حال ابن الفضل وحرصه على لقاء الحجة، وامام الزمان، وبقي الداعي يرمقه ويراه لا يكاد يبرح من المسجد من غير أن يعلم ابن الفضل به، فلما كان بعد أربعين يوماً أتاه إلى المسجد، وهو جالس، فقال له: أنت بعد ههنا؟ فقال: نعم ولو لم تجيء لأقمت في هذا المسجد إلى أن أموت فعلم الداعي أنه قد قصده، فأخذه وجمع بينه وبين أحمد بن عبد الله بن ميمون. وكان أحمد يقول للحسن بن حوشب الكوفي النجار: يا أبا القاسم هل لك في غربة في الله؟ فيقول: الأمر إليك يا مولاي، فلما اجتمع بابن الفضل، قال له: قد جاء ما كنت تريد أبا القاسم، هذا رجل من أهل اليمن، وهو عظيم الشأن، كثير المال، ومن الشيعة قد أمكنك ما تريد. وثم خلق من الشيعة، فأخرج وعرفهم أنك رسول المهدي، وأنه في هذا الزمان يظهر الباطن، وقل لكل شيء باطن، وإن ورد عليك شيء لا تعلمه فقل لهذا من يعلمه، وليس هذا وقت ذكره.

وجمع بينه وبين ابن الفضل، وخرجا جميعاً إلى أرض اليمن، ونزل ابن حوشب بعدن، وكان فيها قوم من الشيعة يعرفون ببني موسى، وخبرهم عند ابن ميمون، فنزل ابن حوشب بالقرب منهم، وأخذ في بيع ما معه من القماش، ولزم الزهد والتقشف. فقصده بنو موسى، وقالوا له: فيما جئت؟ قال: للتجارة، قالوا: لست بتاجر، وإنما أنت رسول المهدي، وقد بلغنا خبرك، وعرفوه بأنفسهم، فأظهر أمره عليهم، وسار إلى عدن لاعة، وسار ابن الفضل إلى بلده.

ولما وصل ابن حوشب إلى عدن لاعة قوى عزائمهم وقرب أمر المهدي عليهم، وأنه من عندهم يخرج، وأمرهم بالاستكثار من الخيل والسلاح، ولم يزل أمر ابن حوشب يقوى وأخباره ترد على من بالكوفة من الإمامية، وطبقات الشيعة، فيبادرون إليه، ويقول بعضهم لبعض: دار الهجرة، فكبر

عددهم واشتد بأسهم، وأغار على من جاوره، ونهب وسبى، وجبى الأموال وأنفذ إلى من بالكوفة من ولد عبدالله القداح أموالاً عظيمة، وهدايا وطرفا، وكذلك لابن الفضل.

وكانوا أنفذوا إلى المغرب رجلين أحدهما يعرف بالحلواني والآخر بأبي سفيان، وتقدموا إليهما بالوصول إلى أقاصي المغرب، والبعد عن المدن والمنابر، وقالوا لهما: ينزل كل واحد منكما بعيداً من الآخر، وقولا لكل شيء باطن، ونحن فقد قيل لنا: اذهبا فالمغرب أرض بور فاحرثاها واكرباها حتى يأتي صاحب البذر، فتزل أحدهما بأرض كتامة بمدينة مرجنة والآخر سوف جمار، فمالت قلوب أهل تلك النواحي إليهما، وصارا يحملان التحف التي تحمل إليهما إلى ابن القداح، ثم ماتا على قرب بينهما، بعد أن أقاما سنين كثيرة فقال ابن حوشب لابي عبدالله الحسين بن أحمد بن زكريا الشيعي - وكان قد هاجر إليه -: يا أبا عبدالله أرض كتامة من المغرب قد حرثها الحلواني وأبو سفيان وقد ماتا، وليس لها غيرك، وبادر إليها فإنها موطأة ممهدة لك، فخرج أبو عبدالله وأخرج ابن حوشب معه عبدالله بن أبي الملاحف، وأمه بمل، وأوصاه بما يعمل وكيف يحتال، وكان أبا عبدالله قد شاهد أفعال ابن حوشب، عرف تدبيره

وأما أحمد بن عبدالله بن ميمون، فإنه لما قوى أمره، وكثرت أمواله ادعى أنه من ولد عقيل بن أبي طالب، وهم مع هذا يسترون أمرهم، ويخفون أشخاصهم، ويغيرون أسماءهم، وأسماء دعومتهم، ويتنقلون في الأماكن (١٤٥).

وقد أورد الاسماعيلية عن هؤلاء الدعاة عين هذا الخبر حرفاً بحرف

(١٤٥) انظر «نهاية الأرب» للنويري الجزء الخاص بالاسماعيلية ص ٣٠٩ إلى ص ٣١٣ من مجموعة «أخبار القرامطة» و«الكامل» لابن الأثير ج ٦ ص ١٢٥ وما بعد، وكذلك «الاعتاظ» للمقريزي ج ١ ص ٤٧ إلى ٥٥.

سوى ذكر القداحين وباختلاف يسير في الأسماء والألقاب. (١٤٦)

وفي هذا الدور «أرسل أحمد بن عبدالله بن ميمون، الحسين الاهوازي داعية إلى العراق. فلما انتهى إلى الكوفة لقي حمدان بن الاشعث وهو قرمط الذي إليه ينتسب القرامطة فصحبه، واتبعه قرمط، وتابعه كثير من الناس. فلما مات الاهوازي أسند الأمر من بعده إلى أشعث بن حمدان قرمط» (١٤٧).

وكان من كبار أصحابه زكرويه بن مهرويه (١٤٨) والداعي عبدان. ثم خلف هؤلاء أبو سعيد الجنابي وحسن بن زكرويه وأبو طاهر وغيرهم.

فكان على أيديهم فتح اليمن والمغرب وسواد الكوفة ثم البحرين، فتسلط على جزء من اليمن الحسن بن فرح بن حوشب (١٤٩) وعلى الجزء الآخر على بن الفضل، كما تسلط أبو عبدالله الشيعي على المغرب العربي، وأسس الدولة الاسماعيلية هناك، كما تسلط القرامطة على سواد الكوفة أولاً ثم على البحرين وما والاها من البلاد، ثم على البلدان الأخرى ولكن بعد قطعهم العلاقات عن الاسماعيلية هائياً لاستكشافهم أن القداحيين هم الذين اغتصبوا الامامة من محمد بن اسماعيل، وانتسبوا إليه كذباً وزوراً كما سيأتي ذكره في محله.

ولقد ذكر المؤرخون شنائع وفضائح كل واحد من هؤلاء وللمعتقدات الاسماعيلية الأصلية التي ورثوها من الخطابية والمباركية.

(١٤٦) انظر لذلك «افتتاح الدعوة» للقاضي النعمان ص ٣ وما بعد ط الشركة التونسية للتوزيع تونس ١٩٧٥م، أيضاً «عيون الأخبار» للداعي إدريس عماد الدين - السبع الرابع ص ٣٩٦ وما بعد.

(١٤٧) «نهاية الأرب» الجزء الخاص بالاسماعيلية ص ٣١١ من «أخبار القرامطة»، أيضاً «نهاية الأرب» خاص بالقرامطة ج ٢٥ ص ١٨٧، «اتعاظ الحنفاء» للمقريري و «الخطط» أيضاً.

أيضاً «القرامطة» لابن الجوزي.

(١٤٨) ومن الطرائف أن أولاده أيضاً حاولوا محاكاة القداحيين حيث ادّعوا نسبهم إلى محمد بن اسماعيل.

(١٤٩) الحسن بن فرح بن حوشب هو الذي عرف في تاريخ الاسماعيلية بمنصور اليمن.

أما القرامطة فأمرهم مشهور وهو موضوع مستقل خارج عن نطاق بحثنا الآن (١٥٠).

وكذلك الشيعي أبو عبدالله سيأتي ذكره في الباب التالي عند ذكر الاسماعيلية في دور الظهور.

ونريد أن نذكر بعض الحوادث والأخبار عن منصور اليمن وابن الفضل، فيقول الهمداني عنهما:

«وتسمى ابن حوشب بالمنصور من آل أحمد، وتسمى الآخر بالولي. ومكثا مدة يتستران باقامة الشريعة، ثم ظهر منها الاباحة، وليلة الافاضة، وأولاد الصفوة، ونكاح الأمهات والأخوات والبنات والمشاركة في الزوجات، وتعطيل الشرائع، وستم الأنبياء عند التمكن والقدرة، ثم ظهر بين ابن حوشب وبين ابن الفضل من المشائقة وبريء كل واحد من صاحبه، ودعا كل واحد منهما إلى نفسه، بانه اله ورب، وغزا، وقصد العلويين بالمكارة والقتل وسبى الذرية» (١٥١).

وذكر كل من محمد بن مالك اليماني وعلي بن الحسن الخزرجي عن علي ابن الفضل:

«فلما صار علي بن الفضل في صنعاء، أظهر مذهبه الخبيث، ودينه المشؤوم، وارتكبت محظورات الشرع، وادعى النبوة، وكان المؤذن يؤذن في مجلسه: اشهد أن علي بن الفضل رسول الله، وأباح لاصحابه شرب الخمر، ونكاح البنات والاخوات، وسائر المحرمات، وأنشد:

خذي الدف يا هذي والعبي وغني هزاريك ثم اطربي
تولي نبي بني هاشم وهذا نبي بني يعرب
لكل نبي مضي شرعه وهاتا شريعة هذا النبي

(١٥٠) ولعل الله يسر الكتابة عن هؤلاء المارقين السفاهين في كتاب مستقل بمنه وتوفيقه.

(١٥١) تثبت دلائل النبوة للهمداني ص ١٤٨ من مجموعة أخبار القرامطة.

فقد حط عتاً فروض الصلاة وحط الصيام ولم يتعب
إذا الناس صلوا فلا تنهض وإن صوموا فكلي واشربي
ولا تمنعي نفسك المعرسين من الأقربين أو الأجانب
فلم ذا حلت لهذا الغريب وصرت محرمة للأب
ليس الغراس لمن ربه وسقاه في الزمن ومجدب
وما الخمر إلا كماء السما حلال ففقدت من مذهب» (١٥٢)

وكان يخاطب نوابه وأمراءه في كتبه بقوله: «من باسط الأرض وداحيها
ومزلزل الجبال ومرسيها على بن الفضل» (١٥٣).

ولقد أقر بذلك الداعي الاسماعيلي إدريس عماد الدين حيث ذكر عن
علي بن الفضل: «أنه إدعى النبوة فارتكب المحارم، وأتى بالعظائم،
ومال إلى الإباحات وترك الأعمال مقتدياً بالمغيرة وأبي
الخطاب» (١٥٤).

فهؤلاء كانوا هم الدعاة الإسماعيلية في دور الستر، وأولئك كانوا الأئمة
الإسماعيلية المستورين حسب زعم القوم الذين قال الله فيهم وفي أمثالهم:
«وأمل لهم إن كيدي متين».

ويسمى الإسماعيلية بأسماء مختلفة: الاسماعيلية، الباطنية، السبعية،
التعليمية.

فأما الاسماعيلية فلقولهم بامامة اسماعيل بن جعفر.
وأما الباطنية فلقولهم أن لكل ظاهر باطنا.

(١٥٢) المسجد المسبوك فيمن ولي اليمن من الملوك «لعلى بن الحسن الخزرجي ٤٢١، ٤٢٢
من مجموعة أخبار القرامطة»، أيضاً «كشف أسرار الباطنية» لمحمد بن مالك الحمادي
اليمني ص ٢١٠ ملحق بالتبصير في الدين، «كتاب السلوك» للجندي ط كاي.

(١٥٣) «كتاب السلوك» للجندي ص ١٤٨.

(١٥٤) «عيون الأخبار» السبع الخامس ص ٤٠ ط دار الأندلس، بيروت ١٩٧٥ م.

وأما السبعية فلأنهم يعتقدون أن أدوار الامامة سبعة، وأن السابع يكون الناطق، وهو الذي ينقضي به دور الناطق الذي كان قبله، ولتمسكهم بهذا العدد بأن السماوات سبع والكواكب السيارة سبع، والأرضين سبع، والأيام سبع، وأعضاء الإنسان سبع وغير ذلك من الأقوال.

وأما التعليمية فلا بطاهم النظر والاستدلال والرأي والقياس والاكتفاء على تعليم الامام المعصوم. (١٥٥).

(١٥٥) انظر «فضائح الباطنية» للغزالي بتحقيق البدوي ص ١١ وما بعد. ط: الكويت، «بطلان مذهب الباطنية وبطلانه» ص ٢١ وما بعد. نشر شتروطمان الطبعة الثانية ط إدارة ترجمان السنة باكستان.

الباب الثاني

الائمة الاسماعيلية في دور الظهور

ولقد ذكرنا فيما مضى أن منصور اليمن أرسل داعية اسماعيليا إلى المغرب لينشر فيها المذهب الاسماعيلي والعقائد الاسماعيلية، وذلك سنة ٢٨٠ هـ تقريباً^(١) واستطاع هذا الداعي جلب كثير من الناس إلى دعوته وجمعهم حوله حتى طلب الحضور إلى المغرب ممن كان يزعمه إماما بسلمية فوصل إليه أول إمام إسماعيلي في دور الظهور، الذي يسمى نفسه بعبدالله المهدي، وكان وصوله إلى إفريقيا برقادة سنة سبع وتسعين ومائتين^(٢).

«ولم يبق أحد من أهل إفريقيا من العرب والعجم من وجوه الناس وغيرهم إلا استقبلوا المهدي يوم دخوله إفريقية»^(٣).

وقبل ذلك لما أخرجه أبو عبدالله من سجن سجلماسة لم يكن قد رآه وعرفه من قبل، ولم يقع نظره عليه إلا نزل عن فرسه «ونزل الجيش كله وقبّل

(١) كتاب «افتتاح الدعوة» للنعمان القاضي ص ٤٧ ط فرحات الدوشي الشركة التونسية للتوزيع، تونس. و «الكامل» لابن الأثير ج ٦ ص ١٣٣ و «اتعاظ الخفاء» للمقرئ ج ١ ص ٣١، و «تاريخ ابن خلدون» ج ٤ ص ٣٦.

(٢) أنظر «فتاح الدعوة» ص ٢٩٩، أيضاً، سيرة جعفر الحاجب» ص ١٣١. ط ايوانوف مجلة كلية الآداب المجلد الرابع الجزء الثاني ط مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية القاهرة.

(٣) أيضاً المرجع السابق.

أبو عبدالله الأرض، وقبل الناس خلفه حتى انكبّ على فرس المهدي بالله صلوات الله عليه، ثم رفع رأسه فقبل ركاب المهدي (عليه السلام) وقد خنقته العبرة، فأخذ المهدي (عليه السلام) رأس أبي عبدالله وأقبل بوجهه إليه وقال له: أبشر بالخير يا حسين! فاندفع أبو عبدالله بالبكاء ولم يحجر جواباً من شدة ما دخله من هبة المهدي (عليه السلام) والسرور به^(٤).

وبدأ «يمشي بين يدي الإمام ويقول: هذا مولائي ومولاكم أيها المؤمنون»^(٥) وسلم إليه الأمر^(٦).

ولكنه في نفس الوقت لاحظ فيه أشياء إستكرها وقد تحطمت آماله التي كان يعلقها على المهدي، وترعزعت عقيدته التي كان يؤمن بها فيه:

أولاً: ظلّمه بني مدرار الذين أحسنوا إليه وأجاروه وأكرموا وفادته ونزله^(٧). وان واليها اليسع بن مدرار «كان يوجب حقه ويعظمه، وكان يقول: زعمتم أن هذا تاجر؟ والله ما هذا تاجر، لقد رأيت تجار المشرق والمغرب ولكن هذا الرجل عظيم الشأن»^(٨).

ومع معرفته به وبولده وتوجّه عساكر أبي عبدالله إلى بلدته لأجلهما، لم يقتلها ولم يلحقهما بأي ضرر، ولكن المهدي الإسماعيلي ردّ عليه وعلى أهل بيته بما ذكره قاضي القضاة الإسماعيلي وحاجبه جعفر شاهدين لما فعله به بقولهما، واللفظ للأول:

(٤) «سيرة جعفر الحاجب» ص ١٢٥، ١٢٦.

(٥) «فتاح الدعوة للنعمان القاضي» ص ٢٧٩، ومثله في «الكامل» لابن الأثير ج ٦ ص ١٣٤ و«اتعاظ الحنفاء» للمقرئ ج ١ ص ٩٠. و«تاريخ ابن خلدون» ج ٤ ص ٣٦.

(٦) أنظر «البيان المغرب» لابن عذاري المراكشي ص ١٥٣ ط أوفست بتحقيق ج س كولون واي لي فوقاف بروفونسال. الطبعة الثالثة، بيروت ١٩٨٣ م.

(٧) أنظر «افتتاح الدعوة» ص ١٦٥ و«عيون الأخبار» السبع الخامس ص ٩٦، ٩٧.

(٨) «عيون الأخبار» للداعي إدريس عماد الدين السبع الخامس ص ٩٦.

«وأدركت العساكر اليسع بن مدرار ومن هرب معه من أهل بيته، أخذوهم وأتوا بهم إليه (صلى الله عليه وسلم). وأمر بضرب اليسع بن مدرار بالسوط فضرب أربعين سوطاً، وطيف به في العسكر وفي مدينة سجلماسة، واستصفى أمواله وأموال من أعان عليه وهرب معه من أهل بيته، وقتله بعد ذاك وقتلهم»^(٩).

وزاد جعفر الحاجب أن أبا عبد الله الشيعي لما فتح مدينة سجلماسة التي كان فيها المهدي الإسماعيلي بدل أن يؤمن أهل المدينة وهم مسلمون، وفوق ذلك محسنون عليه وعلى ولده، بدل ذلك :

«قال للناس : شأنكم بها، قال، فما تمّ الكلام حتى ركب الناس المدينة من كل الجهات وفتحوها من وقتهم ذلك ونهبت، فنهبوا ونهبنا مع من نهب قال : وقد نهب كتامة المدينة كلها ما خلا الدار التي كان فيها المهدي (عليه السلام) والدار التي كان فيها القائم (عليه السلام) وجلسنا في دهليز دار المهدي (عليه السلام) وقد آوى إلينا عالم من الناس من أهل سجلماسة من رجال ونساء وصبيان في خلق وحصير مجرحين وغير مجرحين، وهم يستجيرون بنا خوفاً على أرواحهم»^(١٠).

وبعد ما نهبوا سجلماسة أحرقوها^(١١)

فكان هذا أول عمل قام به الإمام الإسماعيلي الأول لدور الظهور تجاه المسلمين في أول تسلطه على الحكم وأخذه زمام الأمور بيده.

(٩) «افتتاح الدعوة» للنعمان القاضي ص ٢٨١، و«سيرة جعفر الحاجب» بتغيير يسير ص ١٣١، ومثله في «تاريخ ابن خلدون» ج ٤ ص ٣٧، و«الانعاش» ج ١ ص ٩٢ و«الكامل» لابن الأثير ج ٦ ص ١٣٣.

(١٠) أنظر «سيرة جعفر الحاجب» برواية محمد بن محمد اليامي الإسماعيلي كاتب جعفر الحاجب ص ١٢٦، ١٢٧، ١٢٨.

(١١) أنظر «البيان المغرب» لابن عذاري ج ١ ص ١٥٢.

فارتبك أبو عبدالله الشيعي في أمره وتشكك في مهاديته وخاصة بعد قتله صبياً من صبيانهم، واستباحته أموالهم، وهتكه أعراض نسائهم، واغتصابه أبكار العذارى ممن بالحرّام، أبو عبدالله الشيعي الذي عمل لتمهيد سلطته، وتوطيد أركان ملكه، وبناء صرح دولته طيلة سبعة عشر عاماً في المغرب وحدها، وقد نقل القاضي عبدالجبار الهمداني المتوفى ٤١٥ هـ معاصر المعز الإسماعيلي حفيد المهدي الإسماعيلي، في كتابه ما قاله له :

«قال له أبو عبدالله : قد كانت كتبك ورسائلك تأتيني بأنك مع بني المدار بكل خير وأنك ما نزلت بأكرم منهم، وقد قتلتهم فما أبقيت منهم رجلاً، حتى صبياً من صبيانهم واستباح أموالهم ونساءهم فقال له : هو كما كتبت إليك، ولكن اليسع ما ألحقني لعقة غسل إلا ومعها لعقة صبر، وأما هذا الصبيّ، فإنه جاءني برسالة من عمه، أحمد بن المدار جافية - ثم قال الهمداني :- فكانت هذه أول فضائحه ولها تفصيل طويل» (١٢).

ثانياً: إن أبا عبدالله والمغاربة الذين أتوا معه من القيروان وأفريقيا من أرض المغرب لما دخلوا عليه ورأوه :

«فوجدوا ملابس الحرير والديباج وأواني الذهب والفضة وخسبان رومة وآثار الأئمة أنكروا ذلك في أنفسهم مع بلادة البربر» (١٣).

«ودخل مدينة رقادة وعليه ثوب خزّ أدكن وعمامة مثله، وتحت فرس ورد، وأبو القاسم ابنه خلفه عليه ثوب خزّ خلوقي وعمامة مثله، وتحت فرس أشقر» (١٤).

ثالثاً: استصفى أموال الناس واغتصبها جبراً وقهراً وعنوة وحتى من خاصته ودعاة الإسماعيلية ومشائخها الذين على أكتافهم قامت دولته وسلطنته

(١٢) «تبيّن دلائل النبوة» ج ٢ ص ٥٩٨ بتحقيق الدكتور عبدالكريم عثمان ط: دار العربية، بيروت.

(١٣) نفس المصدر.

(١٤) انظر «البيان المغرب» لابن عذاري ج ١ ص ١٥٨.

كما يقرّ به القاضي الإسماعيلي، والداعي إدريس عماد الدين :

«وأقبل المهديّ (عليه السلام). فلما حاذى بلد كتامة مال إليه ووصل إلى ايكجان. وأمر باحضار الأموال التي كانت على أيدي الدعاة والمشائخ - وكانوا قد دفنوها هناك - فأحضرها إليه. وأمر بقبضها منهم وشدها أحمالاً، وقدم بها. فكان ذلك من أوّل ما أحال القلوب الفاسدة، وتوهّموا أنّهم يكونون كما عوّدهم أبو عبد الله يأمرون وينهون ويقبضون ويسطون»^(١٥).

وكان يستعمل في الحصول على الأموال فنونا وألوانا لكي يتجمع عنده قدر ما يستطيع أن يجمعها، وقد بلغ شرهه وحرصه إلى أن أحد قواده حباسة ابن يوسف لم يكن يفتح مدينة إلا وكان يقتل أهلها ويأخذ أموالهم ويبعث فيهم حتى لما فتح مدينة برقة أعلن فيها:

«من أراد العطاء والرزق الواسع، فليأت! فاكتب عنده جماعة، وأمر العرفاء من كتامة بأن يعرفوهم بأعيانهم، ويرقب كل واحد منهم رجلاً من أولئك المكتبيين عنده، ثم أمرهم أن يحضروا بالغداة لأخذ الأرزاق. فلما حضروا، قتل جميعهم، وكانوا نحواً من ألف رجل، فأمر بجمع جثثهم، ووضع عليها كرسياً، وجلس فوقه، ثم أدخل وجوه أهل البلد، فنظروا إلى ما هالهم من كثرة القتل، ومات منهم ثلاثة من الخوف والرعب. فلما مثل أهل البلد بين يديه، سبّهم، وقال: إن لم تحضروني غداً مائة ألف مثقال، قتلتم أجمعين! فأحضرها له»..... ثم قتل الآخرين وباع نساءهم وأخذ جميع أموالهم»^(١٦).

رابعاً: أنه أسر أهل زيادة الله - حاكم المغرب من قبل العباسيين - وأسرته، وسب نساءه - وكلهن مسلمات مؤمنات.

(١٥) «افتتاح الدعوة» ص ٢٨٨، ٢٨٩ وكذلك ٣٠٩، «عيون الأخبار» للداعي إدريس عماد الدين السبع الخامس ص ١٠٦، ومثله في «الكامل» لابن الأثير ج ٦ ص ١٣٣، و«تاريخ ابن خلدون» ج ٤ ص ٣٦. و«اتعاظ الحنفاء» للمقرئ ج ١ ص ٩١. و«ثبوت دلائل النبوة» للهمداني ج ١ ص ٥٩٩. و«سيرة جعفر الحاجب» ص ١٣١.

(١٦) «البيان المغرب» ج ١ ص ١٧٠.

«لما هرب زيادة الله نصب ديواناً لأموال الهاربين معه، واستصفى أموالهم، وترك ما كان لنسائهم هن، وأمر بسترهن وحفظهن وأمر بطلب نهب رقادة فاسترجع كثير منه من أيدي الناس، وطلبوا فيه، واجتمعت منهم أموال كثيرة» (١٧).

«ولما عرض عليه أولئك الجواري اصطفى بعضهم وأعطى القائم (عليه السلام) منهم، وفرّق أكثرهم على وجوه أهل كتامة» (١٨).

فهذه الأعمال وأفعاله القبيحة الأخرى جعلت أبا عبد الله يرتبك فيه وينشك في مهدويته وكونه من أهل البيت العلوي، وبدأ يقول: «إن أفعاله قبيحة ليست تشبه أفعال المهدي الذي كنت أدعو إليه، وأخشى أن أكون قد غلظت فيه، وعرض لي ما عرض لإبراهيم الخليل - (عليه السلام) - إذ جنّ عليه الليل فرأى كوكباً فقال: هذا ربي» (١٩).

وصار الآخرون يشاركونه في شكوكه وشبهاته ممن حوله من القادة والزعماء وشيوخ الإسماعيلية ودعاتها إلى أن اجتمعوا في رقادة بعد دخوله فيها، وتناقشوا قضيته وتباحثوا أمره، ثم قدّموا شيخ المشايخ هارون بن يوسف ليفاتحه في الموضوع ويظهر إليه ما يختلج في صدورهم تجاهه من الشكوك والشبهات في إمامته ومهدويته. ولقد ذكر الإسماعيليون وعلى رأسهم النعمان بن محمد الذي خدم المهدي الإسماعيلي في آخر حياته أن أبا العباس شقيق أبي عبد الله الشيعي الأكبر:

«زاد في فساده، وأصغى هو إليه وعمل سحره فيه ثم داخل الدعاة والمشايخ وكانوا يعظمونه لما رأوه من تعظيم أبي عبد الله له، وسمعه من بلاغته وعلمه وتفنته، فأخلد كثير منهم إليه وجعل يرمز لهم بعد الرمز إلى أن

(١٧) «افتتاح الدعوة» ص ٣٠٣ و«عيون الأخبار» السبع الخامس ص ١١٤.

(١٨) «افتتاح الدعوة» ص ٣٠٢.

(١٩) «البيان المغرب» ج ١ ص ١٦١، ومثله «سير أعلام النبلاء» للإمام الذهبي ج ١٥ ص ١٤٥، ١٤٦.

صرّح لمن رأى أن كلامه وقع فيه موقعاً، فطعن لهم في الإمامة وأدخل فيها الشبهة وجاءهم من موضع محبوبيهم ودخل إليهم من جهة مرادهم بأن الذي كان يجب لهم ويستحقونه وينبغي أن يسمع لهم أضعاف ما صنع بهم، وذكرهم انتزاع الأموال من أيديهم، وإدخال من أدخل من جملة الرجال معهم من العبيد ومن أهل أفريقية، وغيرهم، وجاءهم من ذلك بضروب يطول ذكرها ومعان يقصر الكتاب عن نهايتها.

وكل ذلك يتصل بالمهدي (عليه السلام)، وهو يعرض عنه، وأبو عبدالله مع ذلك متماثل لم يبلغ الجحود ولا صار إلى حد النفاق إلى أن فشا أن أمير المؤمنين قد انتهى ذلك إليه. فقصّد أبو العباس إلى أبي عبدالله وإلى من استفسده من أصحابه من طريق التحذير والتخويف على أنفسهم وأنهم إن لم يبادروا لأمر بودر إليهم. فاستحكم ذلك من قلوبهم. وزاد في سوء اعتقادهم، وكل ذلك يؤكد مراءه ويشدّ أمره بضروب من الحيل ووجوه من الكيد إلى أن حمل من استفزّه من الدعاة على المباينة بالنفاق والاعلان بالشقاق.

فاستخف هارون بن يوسف الذي كان يقال له: شيخ المشائخ الأربابي إلى أن واجه المهدي بالقول الذي زينه له واستفسده من أجله، فقال للمهدي مواجهة إنّا قد شككنا في أمرك، فأتنا بآية إن كنت المهدي كما قلت. فتعاطم (عليه السلام) ما أتاه من ذلك. فأوقفه على فساد قوله من كتاب الله (عز وجل) وما أتى فيه من ذمّ الأمم عند سؤاهاهم أنبياءهم الآيات، وقال له في ذلك من القول ما يطول ذكره^(٢).

وقد ذكر الإمام الذهبي عن علي بن يوسف القفطي الوزير الإبرادات التي أوردوها بقوله:

(٢٠) «فتاح الدعوة» ص ٣٠٨ إلى ٣١٠، ومثله في «عيون الأخبار» السبع الخامس ص ١١٨، ١١٩.

«حكى الوزير القفطي في سيرة بني عبيد، قال: كان أبو عبدالله الشيعي أحد الدواهي، وذلك أنه جمع مشايخ كتامة ليشككهم في الإمام، فقال: إن الإمام كان بسلمية قد نزل عند يهودي عطار يعرف بعبيد، فقام به وكنم أمره، ثم مات عبيد عن ولدين فأسلمهما وأمهما على يد الإمام، وتزوج بها، وبقي محتفياً. وبقي الإخوان في دكان العطر. فولدت للإمام ابنتين، فعند اجتماعي به سألته أي الاثنين إمامي بعدك؟ فقال: من أتاك منهما فهو إمامك. فسيرت أخي لاحضارهما، فوجد أباهما قد مات هو وابنه الواحد. فأتى بهذا. وقد خفت أن يكون أحد ولدي عبيد.. فقالوا: وما أنكرت منه؟ قال: إن الإمام يعلم الكائنات قبل وقوعها. وهذا قد دخل معه بولدين. ونص الأمر في الصغير بعده، ومات بعد عشرين يوماً، يعني: الولد. ولو كان إماماً لعلم بموته. قالوا: ثم ماذا؟ قل: والإمام لا يلبس الحرير والذهب. وهذا قد لبسهما. وليس له أن يطرأ إلا ما تحقق أمره. وهذا قد وطئ نساء زيادة الله، يعني: متولي المغرب. قال: فشككت كتامة في أمره، وقالوا: فما ترى؟ قال: قبضه ثم نسير من يكئف لنا عن أولاد الإمام على الحقيقة. فاجمعوا أمرهم. وخف كبير كتامة فواجه المهدي، وقال: قد شككنا فيك، فانت بأية. فأجابه بأجوبة، قبلها عقله. وقال: إنكم تيقنتم، واليقين لا يزول إلا بيقين لا بشك. وأن الطفل لم يم، وأنه إمامك، وإنما الأئمة ينتقلون، وقد انتقل لاصلاح جهة أخرى. قال: آمنت، فما لبسك الحرير؟ قال: أنا نائب الشرع أحلل لنفسي ما أريد، وكل الأموال لي، وزيادة الله كان عاصياً» (٢١)

وهذه هي عين تلك الأشياء التي نحن ذكرناها آنفا فيما مرّ.

وأما القاضي عبدالجبار الهمداني فلقد ذكر أن شيخ المشايخ أبا موسى هارون قال للمهدي الإسماعيلي في وجهه: ويلك! أنت الغاوي، لا المهدي، تزني، وتلوط، وتشرب الخمر، وتكذب، وتغدر، وتسفك الدم،

(٢١) «سير اعلام النبلاء» للذهبي ج ١٥ ص ١٤٥، ١٤٦.

وبلك، أي شيء أنت، وابن من أنت؟ قال: قد قال لكم أبو عبدالله الحسين ابن أحمد بن محمد بن زكريا الكوفي الداعية أي أنا المهدي، فجاؤوا بأبي عبدالله، فقالوا له: هذا هو المهدي؟ فقال: لا، فقال له سعيد^(٢٢) (أي المهدي): ألم تقل لأهل العسكر بسجلماسة: هذا هو المهدي الذي كنت أدعوا إليه، فأقبل أبو عبدالله على أبي موسى والجماعة فقال: يا هؤلاء غلظت كما يغلط الناس، أنا رجل من أهل الكوفة من الشيعة، وكنا نذهب إلى إمامة موسى بن جعفر وولده، فرجع ابن حوشب ورجعنا لما مات الحسن العسكري، ووقع علينا من دعانا إلى إمامة محمد بن اسماعيل بن جعفر، ولقيت الإمام من قبل محمد ابن اسماعيل بالكوفة، وودعته وخرجت إلى ابن حوشب باليمن، وبين يدي الإمام بالكوفة غلامان، فقال لي حين ودعته: يا أبا عبدالله، هذان إماماك، فمن دعاك منهما فأجبه، فخرجت إلى اليمن، ومنها إلى مكة، ومنها إليكم إلى المغرب.

وبلغنا أن الإمام قد مات وخلفه ولده، وكانت الكتب تأتيني من هذين، وفيها بعض العلامات التي كانت بيني وبين الإمام، فظننته المهدي وماهو بالمهدي، ولكنه رجل سوء كذاب شرير، عدو الله، وعدو رسوله، وعدو أهل بيته، وعدو الشيعة، وعدو المهدي، فوافق سعيد أبا عبدالله على غدراته وأكاذيبه وكان له في كتامة، وتشاتما وانفرد سعيد ومعه الأموال، وأعمل الحيلة^(٢٣).

وهناك نص في غاية الخطورة في كتاب إسماعيلي قديم ملخصه أن أبا العباس كان يعرف المهدي شخصياً وقد رآه في سلمية، ولما رأى أن المتنقل من سجلماسة مع القائم الذي قد شاهده وراه من قبل «أنكر أبو العباس أخو أبي عبدالله الشيعي إمامة المهدي الظاهر من سجلماسة، لأنه عارف بالمهدي

(٢٢) وكان يسمى سعيد قبل مجيئه إلى المغرب، ولم يتسم بعبدالله أو عبيدالله. إلا بعد وصوله إليها. وسنذكر هذا الموضوع في الباب الثالث مفصلاً إن شاء الله.

(٢٣) «تثبت دلائل النبوة» الجزء الخاص للقاضي عبدالجبار الهمداني ص ١٦١، ١٦٢، ١٦٣ من أخبار القرامطة.

أبي القائم^(٢٤)، فلما رأى الأمر وسوس لأخيه أبي عبدالله الشيعي، وقال: إن هذا الذي يدعى بأنه الإمام، وسلمت مقاليد الملك الذي بيدك إليه، وقلت إنه المهدي المنتظر، ما هو كما قلت ولا الأمر كما توهمت، ولا هو صاحب الأمر، ولقد كنت أنت أحق بالخلافة منه، وأولى بالنيابة^(٢٥).

فلما رأى الإمام الإسماعيلي في دور الظهور عبدالله الإسماعيلي أن أمره قد اكتشف، وسحره قد انتهى ولم يبق أن ينطلي عليهم، قرّر التخلص منهم، من ذلك الرجل الجليل الذي حرث له أرض المغرب وزرعها ليحتني ثمارها، هو ومن ساعده في ذلك «وأخرج من وجهوهم إلى نواحي من البلدان ليفرق جمعهم: فأخرج فيمن أخرج أبازاكي إلى طرابلس - وكان عمه أبو يوسف عاملاً عليها. فلما وصل إليه كتب إليه بقتله. فقتله أبو يوسف عمه صبرا. وبعث برأسه إلى المهدي. وقتل جماعة منهم كذلك بالبلدان وبرقادة بصنوف من القتل، وهرب ابن القديم واستخفى. فظهر عليه، وقتل. وخرج أبو عبدالله وأبو العباس يوما يريدان قصر المهدي على عادتهما. فحمل غزوية ابن يوسف على أبي عبدالله، وجبر بن تماشت على أبي العباس برمح في يد كل واحد منهما فقتل غزوية أبا عبدالله، وحبس أبا العباس فيما بين القصر. وكان قتلها يوم الإثنين صاحبة النهار يوم النصف من جمادي الآخرة سنة ثمان وتسعين ومائتين. واتفق أن كان قتل أبي زاكي في ذلك اليوم. وأمر المهدي (عليه السلام) بدفنها في الجبان^(٢٦).

وكان هذا أيضا مما يعدّ في أعمال المهدي الإسماعيلي الشنيعة التي ارتكبها بعد وصوله إلى الحكم.

(٢٤) وسوف نبحث هذه القضية في الباب الثالث من هذا الكتاب.

(٢٥) انظر «كتاب التراتيب» لداعي إسماعيلي قديم ص ١٤٠، ١٤١ من «أخبار القرامطة» للزكار.

(٢٦) «افتتاح الدعوة» للنعمان المغربي ص ٣١٥، ٣١٦ واللفظ له، أيضا «عيون الأخبار» ص ١٢١، ومثله في «الكامل» لابن الأثير ج ٦ ص ١٣٤ وتاريخ ابن خلدون ج ٤ ص ٦. و«الاعتاظ» ج ١ ص ٩٣ و«البيان المغرب» ج ١ ص ١٦٤ وغيرها.

ثم عمل بهذه السنة السيئة، ولم يسلم منه أحد ساهم في توطيد ملكه، وتمهيد سلطانه، وبناء مجده، ونشر ديانته فسلكوا نفس المصير الذي صار فيه أبو عبد الله الشيعي، وأخوه العباس، وأبوزاكي، وشيخ المشائخ والآخرين. «ثم عمل على قتل جماعة منهم فقتلهم بأصناف من القتل» (٢٧).

ومن جانب آخر ما أن نزل رقادة إلا وأراد ترويج العقائد الإسماعيلية الأصلية المقتبسة من الخطابية.

«سب أصحاب النبي وأزواجه حاشا على بن أبي طالب، والمقداد بن الأسود، وعمار بن ياسر، وسلمان الفارسي، وأبي ذر الغفاري، وزعموا أن صحابة النبي صلى الله عليه وسلم ارتدوا بعده» (٢٨).

«ومدحت الشعراء عبيد الله بالكفر، فاستجازه وكان فيما مدح به شعر لمحمد البديل، كاتب أبي قضاة، وفيه.

جَلَّ بِرُقَادَةَ الْمَسِيحِ حَلَّ بِهَا آدَمَ وَنُوحَ
حَلَّ بِهَا أَحْمَدَ الْمَصْفَى حَلَّ بِهَا الْكَبِشَ وَالذَّبِيحَ
حَلَّ بِهَا اللَّهَ ذُو الْعَالِي وَكُلَّ شَيْءٍ سِوَاهُ رِيحَ

لعنه الله، وغضب عليه، وأخزى القائل والمقول فيه - وكانت ايمان كتامة أول دخولهم افريقية «وحقَّ عالم الغيب والشهادة، مولانا المهدي الذي برقادة» (٢٩).

وأیضا:

«ليهنك أيها الملك الهام قدوم فيه للدهر ابتسام
حططت الرحل في بلد كريم رعته لك الملائكة الكرام

(٢٧) «البيان المغرب» ص ١٦٥.

(٢٨) «البيان المغرب» ج ١ ص ١٥٩، وغير ذلك.

(٢٩) أيضا ص ١٦٠.

لئن عظم الحرام وما يليه كما عظمت مشاهدة العظام
لقد عظمت بأرض الغرب دار بها الصلوات تقبل والصيام
هي المهدية الحرم الموقى كما بتهمة البلد الحرام
كان مقام إبراهيم فيه ثرى قدميك إن عدم المقام
وان لثم الحجيج الركن أضجى لنا بعراض قصركم التثام
لئن شاب الزمان وشاب ملك دعائمه إذا عجمت حطام
ملكك أيها المهدي ملك غلام والزمان به غلام
لك الدنيا ونسلك حيث كنتم فكلكم لها أبدا إمام» (٣٠)

وبث الدعاء:

«وأحضروا الناس بالعنف والشدة ودعوهم إلى مذهبهم فمن أجاب
أحسن إليه، ومن أبي حبس، فلم يدخل في مذهبهم إلا بعض الناس، وهم
فليل، وقتل كثير ممن لم يوافقهم على قولهم» (٣١).

«وقتل عروس المؤذن بمسجد ابن عياش الفقيه بعد أن ضرب بالسياط
وقطع لسانه إذ شهد عليه قوم من المشاركة بأنه أذن ولم يقل «حي على خير
العمل» وكان من المترهدين يطحن بيده ويعمل الحلفاء ويتعيش من
ذلك» (٣٢).

وزاد أبو زيد الدبائغ أنه عمل بين عينيه وطيف به القيروان (٣٣)

كما «أمر بقتل أبي علي الحسن بن المفرج ومحمد الشذني الزاهد إذ رفع
عليهما إليه بتفضيل بعض الصحابة على علي» (٣٤).

(٣٠) أيضا ص ١٨٤.

(٣١) «الانتعاظ» للمقريزي ج ١ ص ٩٢، و«العبر» لابن خلدون ج ٤ ص ٣٦ و«الكامل» لابن
الأثير ج ٦ ص ١٣٣.

(٣٢) «البيان المغرب» ج ١ ص ١٨٢، ١٨٣.

(٣٣) «معالم الايمان في معرفة أهل القيروان» لأبي زيد عبد الرحمن بن محمد الأنصاري الدبائغ
المتوفي سنة ٦٩٦ ج ٣ ص ٥ ط محمد معذور المكتبة العتيقة بتونس.

(٣٤) نفس المصدر ص ١٨٧.

«ضرب محمد بن العباس الهذاء الفقيه بالدرة في الجامع عريانا، وصفع قفاه حتى جرى الدم من رأسه، وبرّح عليه في أسواق القيروان إذ شهد عليه قوم من المشاركة بأنه يطعن على السلطان ويفتي بقول مالك» (٣٥).

كما ضرب وحبس أبو جعفر أحمد بن نصر إمام فقهاء المغرب وتلميذ محمد بن سحنون لافتائه بمذهب مالك، وجعل القيد في رجله وعنقه (٣٦).

وكذلك أبو اسحاق إبراهيم بن محمد المعروف بابن برذان وبابن هذيل «وكانا من العلماء الخاشعين لله. فلما وصلا إليه، وجداه على سرير ملكه جالسا، وعن يمينه أبو عبدالله الشيعي الذي ولاه الملك وسلّم له فيه، وعن يساره أبو العباس أخوه. فقال لهما أبو عبدالله وأخوه: «اشهدا أن هذا رسول الله!» فقالا جميعاً بلفظ واحد: «والله الذي لا إله إلا هو! لوجاءنا هذا، والشمس عن يمينه، والقمر عن يساره، وينطقان، فيقولان إنه رسول الله، ما قلنا إنه هو! فأمر عبيدالله - لعنه الله! - عند ذلك بذبحهما وربطهما في أذنان الخيل، وأن يشق بهما سباط القيروان، ففعل ذلك بهما - رحمة الله عليهما» (٣٧).

وذكر ابن سعدون:

«وخرج في دولة عبيدالله شيخ للسفر، ومعه خيل، فباتوا في مسجد بخیولهم فقيل لهم: «كيف تدخلون خيولكم المسجد؟» فقال لهم الشيخ وأصحابه: «إن أرواثها وأبوالها طاهرة، لأنها خيل المهدي» فقال القيم بالمسجد: «إن الذي يخرج من المهدي نجس فكيف الذي يخرج من خيله؟» فقالوا له «طعنت على المهدي!» وأخذوه وذهبوا به إليه، فأخرجه عشية جمعة، فقتله» (٣٨).

(٣٥) «البيان» ج ١ ص ١٨٨.

(٣٦) «معالم الإيمان» ج ٣ ص ٨.

(٣٧) «تعزية أهل القيروان بما جرى على البلدان من هيجان الفتن وتقلب الزمان» لأبي عبدالله

محمد بن سعدون نقلاً عن «البيان المغرب» لابن عذارى المراكشي ج ١ ص ٢٨٢،

٢٨٣.

(٣٨) أيضاً ص ٢٨٤ ج ١.

فكان ينزل في العساكر على بلد بلد فيستصفي أمواله ويهدم حصونه وقلاعه - ويسبي نساءه وذريته . - (٣٩)

«ويأخذ ما فيه من الأسلحة والأمتعة، ويقتل الرؤساء والوجوه والفقهاء وأصحاب الحديث، ويتخذ جهالهم ويجعل لهم الأحوال والأموال، ويسلطهم على أهل الفضل، ويضع المكوس والضرائب، ويتوصل إلى إزالة النعم، والضييق على المسلمين بكل ما يقدر عليه وما يطول شرحه .

وكان يرسل على الفقهاء والعلماء فيذبحون في فرشهم . وأرسل إلى الروم وسلطهم على المسلمين» (٤٠) .

ونقل الإمام الذهبي عن أبي الحسن القاسبي - علي بن محمد خلف القيرواني المتوفي سنة ٤٠٣ هـ - صاحب «الملخص» - ملخص الموطأ للإمام مالك :

«إن الذين قتلهم عبيد الله وبنوه أربعة آلاف في دار النحر في العذاب من عالم وعابد ليردّهم عن الترضى عن الصحابة فاخترأوا الموت، فقال سهل الشاعر:

وأحلّ دار النحر في أغلاله من كان ذا تقوى وذا صلوات ودفن سائرهم بالمنستير، وهو بلسان الفرنج المعبد الكبير» (٤١) .

وذكر أيضا أن عبيد الله تملك المغرب فلم يكن يفصح بهذا المذهب إلا للخواص فلما تمكن أكثر القتل جدا وسبى الحرير (٤٢) .

وذكر المؤرخون أنه ما سبى أحد من الجبابرة نساء المسلمين، وأسر ذراريهم مثل ما سبى وأسر المهدي الإسماعيلي بالمغرب والإمام الأول

(٣٩) «البيان» في مواضع متفرقة .

(٤٠) «تثبيت دلائل النبوة» للهمداني ج ٢ ص ٥٩٩ .

(٤١) «سير أعلام النبلاء» للذهبي المتوفى ٤٨٨ ج ١٥ ص ١٤٥، أيضا «معالم الإيمان» ج ٣ ص ٣٤ .

(٤٢) «سير أعلام النبلاء» ص ١٥١ .

الإسماعيلي في دور الظهور، كما لم يأت بأعمال الوحشية واللا إنسانية في القتل مثل ما سان يأتي بها، فكان يكثر قطع رؤوس القتلي ويكتب أسماءهم في بطائق ويعلقها في أذانهم، ثم يرميها في الطرق، وكان يأمر بتطويق الأسرى، فيضربون بالمطارق ثم يقطعون أربا أربا^(٤٣).

و«كان يوجّه الدعاة إلى عدة أطراف ويأمرهم بإظهار التشريق - أي مذهب الإسماعيلية بإتيان المنكرات وتحليل المحرمات - فإن وجد الناس محتملين له ومغضين عليه نشروا عنه الأمر وأظهروه، ومرة أرسل منيب بن سليمان المكناس الداعي التشريق بجانب تيهرت، فلما كشف منيب بجبل ونشريس ما أمره عبيدالله به، وكان الرجل يدخل إلى حليلة جاره، فيطأها وزوجها حاضر ينظر إليه، ثم يخرج، فيبصق في وجهه، ويصفع قفاه، ويقول له: «تصبر» فإذا صبر، عدّ كامل الإيمان، وسمّى من الصابرة. فقام عليهم الناس، وقتلوا بعضهم، فكفّوا»^(٤٤).

ولما رأى تصلب الشعب المغربي في التدين والتمسك بمسلك أهل السنة، والتنفّر والإحتقار للديانة الإسماعيلية، والتبعد عن المنكرات والفواحش، وإنكار الخضوع لعبودية المهدي الإسماعيلي والاستسلام للملذات والشهوات، واستباحة المحرمات، والحفاظ على التقاليد الإسلامية والقيم الأخلاقية والثبات عليها بالعزيمة والاستقامة حتى الموت فتراجع عن التجاهر بغيّه وغلوائه، وكفّ عن ترويج أفكاره وعقائده علناً، وجلاء خوفاً أن يثور عليه الناس فأمر بحبس نحو مائتي رجل أظهروا التشريق^(٤٥).

(٤٣) أنظر «البيان المغرب» ص ١٨٢ وفي مواضع متفرقة غير ذلك.

(٤٤) «البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب» ج ١ ص ١٨٥.

(٤٥) أي مذهب أهل الشرق الذي وصل في المغرب بواسطة الشريكين أبي عبدالله وأبي العباس وعبدالله المهدي الإسماعيلي بالقيروان وباجة وتونس وجاهروا بتحليل المحرم، وأكلوا الخنزير، وشربوا الخمر في رمضان جهاراً. وعلم بذلك الخاص والعام حتى عير به أبو القاسم أيام كونه بالفيوم، وكثر القول من الناس في هذا، فكتب عبيدالله إلى عمّاله بهذه المواضع بأن يرفعوهم إليه مقيدين، ثم حبسوا، فمات أكثرهم بالسجن، وكلهم مشهور بافريقية: منهم أحمد البلوى النحاس بالرقيق، كان يصلي إلى رقادة أيام كون عبيدالله =

كما كان يأمر دعاته خارج المغرب في بلاد العراق وفارس بيث هذه الأفكار والمعتقدات بين الناس، وقد ذكر المؤرخون وأصحاب الفرق نص إحدى رسائله التي أرسلها إلى داعية في البحرين، الاحساء والقطيف وما جاورها، ونائبه في هذه البلاد أبي طاهر سليمان بن الحسن القائل:

أنا الداعي للمهدي لاشك غيره وأنا الصارم الضرغام والفارس الذكر^(٤٦)

والذي لم يعقد إمارته إلا بأمر من المهدي الإسماعيلي.

«كان أبو سعيد الجنابي عهد لابنه الأكبر سعيد، وسار به أخوه الأصغر أبو طاهر سليمان فقتله وقام بأمرهم وبايعه العقدانية وجاءه كتاب عبيدالله المهدي بالولاية»^(٤٧).

وقال المستشرق دوزي: إن أبا طاهر كان يدفع الخمس إلى المهدي الإسماعيلي معترفا بإمامته وزعامته ولم يكن يعصيه أمراً^(٤٨) وكان يتجاهر بولائه له حيث كتب كتاباً إلى الخليفة العباسي المقتدر صرح فيه بتدعيته

بها، وهي منه في المغرب، فلما انتقل عبيدالله إلى المهدية، وهي منه في المشرق، صلى إليها. وكان يقول: «لست ممن يعبد من لا يرى» وكان يتصدى لعبيدالله، ويقول له: «أرق إلى السماء! كم تقيم في الأرض وتمشي في الأسواق! وكان يقول لأهل القيروان في عبيدالله: «إنه يعلم سركم ونجواكم» فتقرب إليه رجل يوماً، وهو يقول ذلك، فأخذ أذنه، ونطق فيها: «عبيدالله الذي تقول زان، ابن الزانية! فإن كان يعلم ما قلت لك، فليتصبر!» فصاح صيحة عظيمة، وقال: «يا مسكين! أنه حليم لا يعجل!» ومنهم إبراهيم بن غازي، وكان يأكل في شهر رمضان جهاراً، ويركب الكبائر (البيان المغرب ج ١ ص ١٨٦).

(٤٦) «النجوم الزاهرة» للتغري البردي ج ٣ ص ٣١٧ ط وزارة الثقافة المصرية.

(٤٧) «تاريخ ابن خلدون» ج ٤ ص ٨٨ تحت عنوان «قرامطة البحرين ودولة بني الجنابي منها» ط بيروت.

(٤٨) نقلاً عن «عبيدالله المهدي» للدكتور حسن إبراهيم حسن وطه أحمد شرف ص ٢١٨ ط مكتبة النهضة، القاهرة.

للمهدي الإسماعيلي وأنه من دعائه ونوابه، كما أقر فيه من قتال الحجيج واحراق المساجد. (٤٩).

فيقول المهدي الإسماعيلي في رسالته التي أرسلها إلى داعيه أبي طاهر سليمان هذا:

«إني أوصيك بتشكيك الناس في القرآن والتوراة والزبور والإنجيل، وبدعوتهم إلى إبطال الشرائع، وإلى إبطال المعاد والنشور من القبور، وإبطال الملائكة في السماء، وإبطال الجن في الأرض، وأوصيك بأن تدعوهم إلى القول بأنه قد كان قبل آدم بشر كثير، فإن ذلك عون لك على القول بقدم العالم ولا تكن كصاحب الأمة المنكوسة حين سألوه عن الروح فقال: «الروح من أمري» لما لم يعلم ولم يحضره جواب المسألة، ولا تكن كموسى في دعواه التي لم يكن له عليها برهان سوى المخرقة بحسن الحيلة والشعبذة، ولما لم يجد المحقق في زمانه عنده برهانا قال: (لئن اتخذت إلهاً غيري) وقال لقومه «أنا ربكم الأعلى» لأنه كان صاحب الزمان في وقته وما العجب من شيء كالعجب من رجل يدعى العقل ثم يكون له أخت أو بنت حسناء وليست له زوجة في حسننها فيحرمها على نفسه وينكحها من أجنبي، ولو عقل الجاهل لعلم أنه أحق بأخته وبنته من الأجنبي، وما وجه ذلك إلا أن صاحبهم حرم عليهم الطيبات، وخوفهم بغائب لا يعقل، وهو الاله الذي يزعمونه، وأخبرهم بكون ما لا يروونه أبداً من البعث من القبور والحساب والجنة والنار، حتى استعبدتهم بذلك عاجلاً، وجعلهم له في حياته ولذريته بعد وفاته خولا، واستباح بذلك أموالهم بقوله: «لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى» فكان أمره معهم نقداً، وأمرهم معه نسيئة، وقد استعجل منهم بذل أرواحهم وأموالهم على انتظار موعود لا يكون، وهل الجنة إلا هذه الدنيا ونعيمها؟ وهل النار

(٤٩) انظر «كشف أسرار الباطنية» ص ٢١٢، ٢١٣ الملحق «بالتبصير في الدين» تحقيق الكوثري ط مكتبة الخانجي، وانظر «عبدالله المهدي» ص ٢١٤ وما بعد.

وعذابها إلا ما فيه أصحاب الشرائع من التعب والنصب في الصلاة والصيام
والجهاد والحج؟

ثم قال لسليمان بن الحسن في هذه الرسالة: وأنت وأخوانك هم
الوارثون الذين يرثون الفردوس، وفي هذه الدنيا ورثتم نعيمها ولذاتها
المحرمة على الجاهلين المتمسكين بشرائع أصحاب النواميس، فهنيئاً لكم ما
نلتهم من الراحة عن أمرهم»^(٥٠).

ولم يكن قتل أبي طاهر الحجيج، ونهب إياهم، وسلبه أموالهم ونساءهم
وذرائعهم والعبث في داخل الحرم المكي الشريف يوم التروية، والظلم
والقسوة والوحشية، واقتلاع الحجر الأسود وباب الكعبة ونزع كسوتها وشقها
ونهبها إلا نتيجة لهذه الدعوة الخبيثة وإيعاز منه»^(٥١).

«وفي أيام المهدي عاثت القرامطة بالبحرين وأخذوا الجميع، وقتلوا
وسبوا، واستباحوا ما حرم الله، وقلعوا الحجر الأسود، وكان عبيد الله
يقاتلهم ويحرضهم قاتله الله»^(٥٢).

ثم لم يردّوه بعد اثنتين وعشرين سنة إلا بأمر من حفيده المنصور،
وقالوا:

«أخذناه بأمر، وأعدناه بأمر»^(٥٣).

(٥٠) «الفرق بين الفرق» لعبد القاهر البغدادي المتوفى ٤٢٩ ص ٢٩٦، ٢٩٧ ط مكتبة محمد
علي صبيح، القاهرة.

(٥١) انظر «البداية والنهاية» ج ١١ ص ١٦١ و «تاريخ أخبار القرامطة» لثابت بن سنان الصابي
ص ٥٤ من مجموعة «أخبار القرامطة» للدكتور زكار ط دمشق ١٩٨٢ م و «الكامل لابن
الأثير» ج ٦ ص ٢٠٤ «تاريخ ابن خلدون» ٣١ ص ٣٧٩، «النجوم الزاهرة» للتغري
البردي ج ٣ ص ٢٢٥.

(٥٢) «سير أعلام النبلاء» ج ١٥ ص ١٤٧.

(٥٣) «الكامل» لابن الأثير ج ٦ ص ٣٣٥، «البداية والنهاية» ج ١١ ص ٢٢٣، «تاريخ ابن
خلدون» ج ٣ ص ٣٧٩.

فهذا هو الإمام الإسماعيلي الأول في دور الظهور، والمهدي الإسماعيلي، ومؤسس الدولة الإسماعيلية، وهذه هي سيرته وأفعاله وعقائده التي حفظ لنا التاريخ شيئاً منها، ومن الكثير الكثير، وقد يشهد أعمال دعائه في اليمن والبحرين وفارس أيضاً من علي بن الفضل، والجنابيين وأبي حاتم الرازي وغيرهم على صدق المرويات التي تنبئ وتنبئ عن شناعه وقبائحه وسوء معتقداته.

والجدير بالذكر أن معتقدات الإسماعيلية هذه كانت مشهورة منتشرة بين الناس آنذاك، ولقد أقرّ النعمان بن محمد المغربي الداعي الإسماعيلي الجليل وقاضي قضاة الإسماعيلية أن زيادة الله المتولى على المغرب عندما تنبّه لخطر دعاة الإسماعيلية وتوغلهم في المغرب ثم الحروب التي شنها أبو عبدالله الشيعي لتوطيد ملك الإسماعيلية، نادى في الناس:

«وقد انتهى معشر المسلمين عن هذا الكافر الصنعاني المبدّل لدين الله المحرّف لكتابه، المستحلّ دماء المسلمين بغير حقها المبيح للفروج بخلاف حلّها، مرتكبا للمحارم فيها، الأكل أموالهم مستلبا لها، قد عرفتموه فيما انتهى إليكم عنه. فإنه آوى إلى كتامة برابر أغتنام، وجهال طغام، فاستزلمهم. واستهواهم، واستغواهم: فدعاهم إلى تبديل دين الله، فأجابوه، وتحريف سنة رسوله (صلى الله عليه وآله) فأطاعوه لجهلهم بالدين والسنة، وما أَرادَه الله (عز وجل) بهم من الشقوة والمحنة ولأنهم بمنزلة الحمر النافرة، والأنعام السائمة فما زخرف لهم قبلوه، وما زين لهم اتبعوه، وكل من كانت لهم منهم مسكة أو علم شيئاً من الكتاب والسنة لم يجد غير الهرب إلينا منه بدينه والمقام على حربه، منتجزا وعد الله في هلاكه وقطع شأفته كعادته في أمثاله.

ومن أيسر ما ظهر من كفره وانتشر من قبيح انتحاله وأمره وفشاعنه، وعرف وأطبق عليه من اتبعه إظهار لعنة أبي بكر وعمر صاحبي رسول الله (صلى الله عليه وآله) وصهره وخليفته وضجيعيه وعثمان ذي النورين، زوج ابنتيه، وطلحة والزبير حواريتيه وجماعة من أختيار صحابته (رحمة الله

عليهم). ويزعم أن عليا (رحمة الله عليه) كان يرى ذلك فيهم، ويذهب إليه من أمرهم. وقد برّاه الله من ذلك بحسن الصحابة لهم وجميل العشرة أيام حياته وحياتهم، واتفاقه معهم على ما أرضى الله عنهم. ثم زعم الفاسق أن من لم يذن بذلك ويبره ويقله ويعتقده ويتبرأ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم السابقين فهو خارج من جملة المسلمين، حلال دمه وماله وسبى ذراريه.

ثم شرّع شريعة غير شريعة الإسلام وأسّنة سنة غير سنة محمد (صلى الله عليه وآله) كتمها، وأسرّ أمرها. وأخذ العهود والمواثيق على من أطلعه عليها في كتمانها وترك التفوه بها. وما يدل عليها لثلاث تظهر إلى المسلمين فيستحلوا جهادهم عليها - وافترض الله على كل امرئ دخل في أمره دينارا سبّاه دينار الهجرة ودرهما زعم أنه درهم الفطرة، وجعل لنفسه حقا واجبا في أموال الأمة، وهدم المساجد وقطع الصلاة واستخف بحرمة الدين وبأن من جماعة المسلمين». (٥٤)

وعلى ذلك قال القاضي عياض:

«أجمع العلماء بالقيروان أن حال بني عبيد حال المرتدين والزنادقة» (٥٥)

ونقل عن أبي محمد الكستراتي أنه سئل عمن أكرهه بنو عبيد على الدخول في دعوتهم أو يقتل؟

فقال: يختار القتل ولا يعذر، ويجب الفرار لأن المقام في موضع يطلب من أهله تعطيل الشرائع، لا يجوز» (٥٦).

ومات سنة اثنتين وعشرين وثلاث مائة بعد أن خلّف ولده في الحكم القائم بأمر الله (٥٧).

(٥٤) كتاب «افتتاح الدعوة» للنعمان ص ١٨٦ إلى ١٨٩.

(٥٥) «ترتيب المدارك» ج ٤ ص ٧٢٠، أيضا «سير أعلام النبلاء» ص ١٥١.

(٥٦) أيضا.

(٥٧) انظر «افتتاح الدعوة» ص ٣٢٩، أيضا «عيون الأخبار» السبع الخامس ص ١٥٥.

ولم يصل عليه أحد :

«وكنتم أمير المؤمنين القائم بأمر الله سلام الله عليه خبر وفاته مائتي يوم ثم أظهر نعيه» (٥٨).

ولم يشارك في دفنه غير القائم وواحد من عبيد الصقالبة اسمه جوذر «وذلك لما أراد (القائم) دفن المهدي بالله سلام الله عليه أحضرني دون جميع العالم، وقال لي : وليس إلا أنا وهو على حافة القبر» (٥٩).

«وكانت مدة ظهور إمامته منذ وصل إلى رقادة إلى اليوم الذي نعى فيه أربعاً وعشرين سنة وعشرين يوماً» (٦٠).

القائم : الإمام الإسماعيلي الثاني

«وقام القائم بأمر الله مقام المهدي بعده : واقتفى سيرته وآثاره وأحكامه» (٦١) وعمره يومئذ سبع وأربعون سنة (٦٢).

«فكان أصل النور، وثاني أئمة الظهور مقابلاً لأمر المؤمنين على بن أبي طالب (عليه السلام) فلم يعرفه بحقيقة غير الامام المهدي بالله

(٥٨) «عيون الأخبار» السبع الخامس ص ١٥٥.

(٥٩) «سيرة الاستاذ جوذر» (لابي علي المنصور العيزي الجوزري ط دكتور محمد كامل حسين

ودكتور محمد عبدالحادي شعيرة ص ٣٩ ط دار الفكر العربي - القاهرة، أيضاً «زهر

المعاني» للداعي إدريس عماد الدين الباب السابع عشر ص ٧٢ من «المنتخب لايوانوف

بومبي .

(٦٠) «افتتاح الدعوة» ص ٣٣٠.

(٦١) «افتتاح الدعوة» ص ٣٣١، و«عيون الأخبار» ص ١٥٨.

(٦٢) انظر «كتاب الأزهار وجمع الأنوار» للداعي حسن بن نوح الهندي ص ٢٣٧.

والأئمة من ذريته، كما أنه لم يعرف أمير المؤمنين علي بن أبي طالب غير رسول الله والأئمة من ذريته» (٦٣).

وقال القاضي عبد الجبار الهمداني :

«وزاد شره على شر أبيه أضعافاً مضاعفة، وجاهر بشتيم الأنبياء، فكان ينادي في أسواق إفريقية والمهدية، وهي مدينة كان بناها أبوه وحصنها، فكان يقال: العنوا عائشة وبعلها، العنوا الغار ومن حوى، وقتل الفقهاء والعلماء القتل الذريع، واستولى من بلدان المغرب على أكثر ما استولى عليه أبوه، فإن بلدان المغرب واسعة عظيمة وهي تشبه بخراسان في السعة وكثرة الرجال وهي في يد عدة من الملوك، وكان يقول في هذا: إنه هو الذي يظهر ويملك الأرض، وأنه هو الحجة والمهدي، وكتب إلى أبي طاهر القرمطي المقيم بالبحرين البلاغ السابع، والناموس الأعظم، وهو سر الدعوة وحقيقتها، وحنه على قتل المسلمين، واحراق المساجد والمصاحف، وكان قد كتب هذا الكتاب في حياة أبيه، وكان أبوه في أول أمره يقول: إن هذا يتيم في حجرني وهو علوى من ولد إسماعيل بن جعفر بن محمد، وكان في أول أمره يظن أنه لا يتم له أمر الملك، فلما تمكن وفعل هذا قال: هذا ابني وهو علوى، وشرح ظلم هذا القائم وقسوته وفجوره يطول، وهو أكثر مما أتى أبوه» (٦٤).

ونقل عنه مثله الإمام الذهبي (٦٥).

وذكر الهمداني في موضع آخر:

ولما قام القائم «رجع عنه خاصته وقالوا: هذا أكفر من أبيه... ولعن جميع الأنبياء وأظهر الباطن كله، وبعث الدعاة فدعوا إلى سعيد (المهدي) أنه إله حق، وأنه خالق رازق، وأنه هو الذي فتق ورتق، وهو الذي أحيا

(٦٣) «زهر المعاني» ص ٧٣ من «المنتخب» لإيوانوف.

(٦٤) «تثبيت دلائل النبوة» للقاضي عبد الجبار الهمداني، الجزء الخامس المستخرج منه والمستدرج في «أخبار القرامطة» للدكتور سهيل الزكار ص ١٨١، ١٨٢.

(٦٥) انظر «سير أعلام النبلاء» للذهبي ج ١٥ ص ١٥٢.

وأما، ونكح البنات حتى كان مثل أبي الأسود وأبي طلحة من الدعاة قد نكحوا بناتهم» (٦٦).

« فمن تكلم عذب وقتل، واشتد الأمر على المسلمين » (٦٧).

فتأهبوا للقتال ضده، وفي تلك الأيام خرج مخلد بن كيداد « وكان في ابتداء أمره يتردد في البلدان ويحض من أنس به على القيام على السلطان، وكان بربرياً من زناته من مدينة تودر، وذلك سنة ٣٢٣ ».

« وكان مخلد أبو يزيد أحد أئمة الاباضية بالمغرب، وقرأ على عمار الأعمى، وكان يركب الحمار (٦٩) وقام المسلمون معه وخرج الفقهاء والعباد مع أبي يزيد لحربه - القائم - فركبوا معه ونهضوا إلى القيروان، فدخلها في صفر العام، وأظهر لأهلها خيراً وترحم على أبي بكر وعمر - رضي الله عنهما - ودعا الناس إلى جهاد الشيعة، وأمرهم بقراءة مذهب مالك. فخرج الفقهاء والصلحاء في الأسواق بالصلاة على النبي - ﷺ - وعلى أصحابه، وأزواجه، حتى ركزوا بنودهم عند الجامع. فلما كان يوم الجمعة، اجتمعوا بالمسجد الجامع، وركبوا مع أبي يزيد بالسلاح، ومعهم البنود والطبول، منها بندان أصفران، مكتوب في أحدهما البسملة و« محمد رسول الله » وفي الآخر « نصر من الله وفتح قريب، على يدى الشيخ أبي يزيد ! اللهم. انصر وليك على من سب أولياءك » وبند آخر مكتوب عليه : « قاتلوا أئمة الكفر » الآية. وبند آخر فيه مكتوب : قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصرهم عليهم » وبند آخر مكتوب فيه بعد

(٦٦) « تثبيت دلائل النبوة » ص ١٦٣ من « أخبار القرامطة ».

(٦٧) « البيان المغرب في أخبار الاندلس والمغرب » لأبن عذارى المراكشي ج ١ ص ٢١٦.

(٦٨) « عيون الأخبار وفنون الآثار » للداعي ادريس السبع الخامس، ص ١٧٣ ومثله في

« تثبيت دلائل النبوة » للمهذاني و« سير أعلام النبلاء » للذهبي ج ١٥ ص ١٥٣.

(٦٩) وقد بين القاضي عبد الجبار سبب ركوبه الحمار أنه كان شيخاً كبيراً لا يمكن لكبره وعجزه أن يركب فرسه (انظر « تثبيت دلائل النبوة » ص ١٦٤ من مجموعة « أخبار القرامطة »).

البسملة أيضاً : « محمد رسول الله ، أبو بكر الصديق ، عمر الفاروق »
وبند آخر ، وهو السابع ، فيه : « لا إله إلا الله محمد رسول الله ، إلا تنصروه
فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول
لصاحبه لا تحزن إن الله معنا » . فلما اجتمع الناس ، وحضر الإمام ، وطلع
على المنبر خطب خطبة أبلغ فيها ، وحرّض الناس على جهاد الشيعة ،
وأعلمهم بما لهم فيه من الثواب ، ثم لعن عبيد الله الشيعي وابنه ، ثم نزل ،
فخرج ، وخرج الناس معه لقتال الشيعة الفجار . فلم يزل قاهراً لهم ، غالباً
عليهم ، قاتلاً لجنودهم ، حتي لم يبق لهم من بلاد افريقية إلا اليسير » (٧٠) .

وقد ذكر هذه الخطبة التي خطب بها إمام قيروان يوم ذلك - وهو أحمد بن
محمد بن الوليد - كل من أبي زيد عبد الرحمن بن محمد الأنصاري الدباغ
والإمام الذهبي وغيرهما :

« فلما اجتمع الناس وحضرت صلاة الجمعة طلع الإمام على المنبر - وهو
أحمد بن محمد بن أبي الوليد وكان أبو الفضل المسمى هو الذي أشار به -
وخطب خطبة أبلغ فيها وحرّض الناس على الجهاد وأعلمهم بما لهم فيه من
الثواب وتلا هذه الآية (لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر)
الآية وقال : يا أيها الناس جاهدوا من كفر بالله وزعم أنه رب من دون الله
وغير أحكام الله عز وجل وسبّ نبيه وأصحاب نبيه وأزواج نبيه : فبكأ
الناس بكاء شديداً وقال في خطبته : ألهم إن هذا القرمطي الكافر
الصنعاني المعروف بابن عبيد الله المدعى الربوية من دون الله جاحداً
لنعمتك كافراً بربوبيتك طاعنا على أنبيائك ، ورسلك مكذباً محمداً نبيك
وخيرتك من خلقك ساباً لأصحاب نبيك وأزواج نبيك أمهات المؤمنين
سافكاً لدماء أمته منتهكاً لمحارم أهل ملته افتراء عليك واغتراراً بحلمك
اللهم فالعنه لعنا وبيلا وأخزه خزيّاً طويلاً واغضب عليه بكرة وأصيللاً وأصله
جهنم وساءت مصيراً بعد أن تجعله في دنياه عبرة للسائلين وأحاديث الغابرين

(٧٠) « البيان المغرب » لابن عذاري المراكشي ج ١ ص ٢١٧ ، ٢١٨ ،

وأهلك اللهم متبّعه وشتت كلمته وفرق جماعته واكسر شوكتيه واشف صدور قوم مؤمنين منه ونزل «(٧١)».

وكان سبب خروج فقهاء المسلمين وعلماء أهل السنة وزهادهم لمحاربة القائم الإمام الإسماعيلي أنه كان يأمر دعاة بتجاهر السباب والشتائم على الأنبياء وأصحاب رسول الله خاصة، مع العقائد الخطابية الكفرية الأخرى التي ورثها من أبيه كما يذكر المؤرخون أنه قام المكوكب - أحد دعاة الإسماعيلية الأولى - بقذف الصحابة وبطعن النبي صلى الله عليه وسلم وعلقت عظام رءوس أكباش وحمير وغيرها على أبواب الخوانيت والدروب عليها قراطيس معلقة فيها أسماء يعنون بها رءوس الصحابة رضوان الله عليهم «(٧٢)».

وعوتب بعض العلماء في الخروج مع أبي يزيد الخارجي فقال واحد منهم وهو أبو بكر المالكي : إن الخروج مع أبي يزيد الخارجي وقطع دولة بني عبيد فرض لأن الخوارج من أهل القبلة لا يزول عنهم الإسلام ويرثون ويورثون وبنو عبيد ليسوا كذلك لأنهم مجوس زال عنهم اسم المسلمين فلا يتوارثون معهم ولا ينتسبون إليهم، قال : فمات بالوادي المالح قرب المهديّة ولم توجد له جثة ولا بغلة حمّاه الله منهم حياً وميتاً، وروى أن بعض أقاربه وجده في القتل - وبه رمق - فقال يا بني حول وجهي إلى المهديّة لئلا أموت وأنا مولّ ظهري إلى هؤلاء القوم، فلما مات هدم عليه جرف فأخفاه عنهم وكانوا في غاية الطلب لرأسه «(٧٣)».

وقال الآخر. وهو ربيع القطان : « وكيف لا أفعل وقد سمعت الكفر بأذني ؟ فمن ذلك اني حضرت إشهداً وكان فيه جمع كثير أهل سنة ومشاركة

(٧١) انظر « معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان » ج ٣ ص ٣٣ و « سير أعلام النبلاء » للذهبي ج ١٥ ص ١٥٥ .

(٧٢) انظر « معالم الإيمان » ج ٣ ص ٣٢ و « سير أعلام النبلاء » ج ١٥ ص ١٥٤ .

(٧٣) « معالم الإيمان » ج ٣ ص ٢٩ .

وكان بالقرب منى أبو قضاة الداعي ، فأتى رجل مشرقى من أهل الشرق ومن أعظم المشاركة فقام إليه رجل مشرقى وقال إلى هاهنا ياسيدي إلى جانب رسول الله صلى الله عليه وسلم - يعني أبا قضاة الداعي ويشير بيده إليه - فما أنكر أحد شيئاً من ذلك ! فكيف ينبغي أن أترك القيام عليهم ؟ » (٧٤).

وزاد الدباغ : وركب سعيد القطان فرسه وعليه آلة الحرب وفي عنقه المصحف وحوله جمع من الناس من أهل القيروان متأهبون معتدون لجهاد أعداء الله عليهم آلة الحرب ، فنظر إليهم ربيع القطان فسرّ بهم ، وقال : الحمد لله الذي أحياني حتى أدركت عصاة من المؤمنين اجتمعوا لجهاد أعدائك وأعداء نبيك يارب بأي عمل بأي شيء وصلت إلى هذا ، ثم أخذ في البكاء حتى جرت دموعه على لحيته ثم قال : والله لو رأيكم محمد صلى الله عليه وسلم كثيراً لسرّ بكم ، قال : وكان ممن خرج على بني عبيد فقتل بقرب المهدي بالوادي المالح وقطع رأسه وأتى به إلى أبي القاسم بن عبيد الله في طست فلما كشف عنه فتح الرأس عينيه وفمه فقال أبو القاسم بعدّوه عنى فكان غرض المجوس بنى عبيد أخذ ربيع حياً ليتشفى منه قال الشيخ أبو الحسن القاسى : فلما تلاقوا للقتال أقبل ربيع وهو يطعن فيهم ويضرب وهم يتوقفون عن طعنه طمعاً أن يأخذوه حياً ، فلما أثخنهم بالضرب والطعن عمد إليه جماعة منهم فقتلوه وما تولوا دفنه رحمة الله عليه واستشهد معه أئمة وعباد وصالحون وذلك خمسة وثمانون رجلاً » (٧٥).

وقال أبو إسحاق الفقيه : هم أهل القبلة - يعني الأباضييّن - وأولئك ليسوا أهل القبلة وهم عدو الله ، فإن ظفرنا بهم لم ندخل تحت طاعة أبي يزيد » (٧٦).

وقال أبو ميسرة فقيه عصره في زمانه ، وقد ذهب بصره بعد ما أخرج ابنه محمد مع من خرجوا مع أبي يزيد :

(٧٤) انظر « سير أعلام النبلاء » للذهبي ج ١٥ ص ١٥٤ ، و « معالم الإيمان » ج ٣ ص ٣٢ .

(٧٥) « معالم الإيمان » ج ٣ ص ٣٤ .

(٧٦) « سير أعلام النبلاء » للذهبي ج ١٥ ص ١٥٥ .

أدخلني الله في شفاعة أسود رمى على هؤلاء القوم صخرا» (٧٧)

وقد ذكر الإمام الذهبي :

« أجمع علماء المغرب على محاربة آل عبيد لما شهروه من الكفر الصراح الذي لا حيلة فيه، وقد رأيت في ذلك تواريخ عدة يصدق بعضها بعضاً، وقال أحد الشعراء فيه :

الماكر الغادر الغاوي لشييعته شرّ الزنادق من صحب وتبّاع
العابدين إذن عجلًا يخاطبهم بسحر هاروت من كفر وابداع
لوقيل للروم أنتم مثلهم لبكوا أول لليهود لسدّ وضمغ أسباع» (٧٨)

وكاد أن يقضي على دولة الإسماعيلية حيث هزموا في جميع المدن والبلاد وأخرجوا منها بما فيها من رقادة وقيروان وغيرها من بلاد المغرب وأفريقيا إلى أن انحصر القائم ومن معه بالمهدية « وظهر مغلّد على أكثر المغرب ولم يبق لبنى عبيد سوى المهدية » (٧٩).

« وقد سار إليه بعسكر ثم حل على المهدية، وانتهى إلى بابها ووقف ساعة وقد يغلق الباب دونه » (٨٠).

لولا تحركت نفسه الخارجية وأراد القضاء على الذين صاحبوه وقاتلوا من ورائه أهل السنة .

ومات القائم محصوراً بعد ما وسوس واختلط وزال عقله (٨١) « ممّا نزل به من الذل وقتل الرجال وزوال الملك وجوع من بقى معه بالمهدية في

(٧٧) « معالم الإيمان » ج ٣ ص ٣٧ .

(٧٨) « سير اعلام النبلاء » للذهبي ج ١٥ ص ١٥٦ .

(٧٩) « وفيات الاعيان » لابن خلكان ج ١ ص ١٣٥ و « سير اعلام النبلاء » ج ١٥ ص ١٥٦

(٨٠) « افتتاح الدعوة » ص ٣٣٢، ٣٣٣، أيضاً « المجالس والمسائرات » للنعمان بن محمد القاضي الجزء الثامن العشرون ص ٥٤٢ ط تونس ١٩٧٨ م .

(٨١) « سير اعلام النبلاء » ج ١٥ ص ١٥٢ .

الحصار» (٨٢) سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة (٨٣).

ولم يصل عليه، ولم يعلم بموته إلا بعد مدة خَوْفاً من أبي يزيد مخلد بن كيداد (٨٤) «فكتم المنصور بالله صلوات الله عليه وفاة القائم بأمر الله عليهما السلام عن القريب والبعيد والعدو والمباين والودود ودفنه سرّاً» (٨٥).

وذكر المؤرخون أن المهدي الإسماعيلي أراد تنحيته عن الولاية بعده وإمامة الإسماعيلية وجعلها في ابنه علي أحمد ابن المهدي :

«نكب أبو القاسم إلى مدينة طبنة، وانصرف إلى المهديّة دون أن يلتقى ابن خزر. وقيل إن سبب انصرافه إنما كان لكتاب ورده من قبل ابنه قاسم، يعلمه أن الناس تحدّثوا بمبايعة عبيد الله لابنه أحمد المكنى بأبي علي، وأنه صلى بالناس عيد الفطر وعيد الأضحى فأقلقه ذلك، وقدم المهديّة» (٨٦).

إسماعيل المنصور : الإمام الإسماعيلي الثالث

فخلفه من بعده في الزعامة الإسماعيلية ابنه إسماعيل الملقب بالمنصور بعد ما مات ابنه البكر القاسم الذي كان قد نص عليه القائم باستخلافه على الناس لكنه مات في حياة أبيه «فكان يقال بالقيروان : ما أكثر كذب هؤلاء المشاركة» (٨٧).

(٨٢) «تثبيت دلائل النبوة» للهمداني ج ٢ ص ٦٠٢ ط دكتور عبد الكريم عثمان، بيروت.

(٨٣) «افتتاح الدعوة» ص ٣٣٤، «عيون الأخبار» السبع الخامس ص ٢٣٠، و«كتاب الازهار ومجمع الأنوار» ص ٢٣٧ من «منتخبات إسماعيلية»، «الفلك الدوار» لعبد الله المرتضى الإسماعيلي ص ١٤٩.

(٨٤) انظر «سيرة الاستاذ جوذر» ص ٤٤.

(٨٥) «عيون الأخبار» السبع الخامس ص ٢٣٠، ٢٣١.

(٨٦) «البيان المغرب» ج ١ ص ١٩٣، أيضاً «المجالس والمسايرات» للنعمان بن محمد الإسماعيلي ج ٢ ورقة ٦٢ نقلاً عن الدكتور محمد كامل حسين والدكتور محمد عبد الهادي عن تعليقة رقم ٦٩ ص ١٧١ من «سيرة الاستاذ جوذر».

(٨٧) «تثبيت دلائل النبوة» ج ٢ ص ٦٠١.

ويؤيد ذلك أن القائم لم يكن يريد جعل الإمامة في المنصور وكان ينقم عليه روايات أوردتها النعمان بن محمد المغربي في كتابه (المجالس والمسائرات) منها إرادة القائم جعل الإمامة في المعز لولا صغر سنة، وقوله للمعز :

« اسمع ما أقول لك : إن أخوف ما أتخوفه عليك من أبيك، ما علمه من إيثارى إياك وإيثارك أمرى على أمره، وميلك إلى دونه، وما أعلمه من ميله إلى أمهات إخوتك فأخشى خشية المشفق عليك أن يعدل بهذا الأمر عنك إلى غيرك منهم، وكلا لا يفعل الله ذلك إن شاء الله ! ولكن متى رأيت منه أثره عليك أو ميلا عنك فاصبر من أحله الله محلك وأقامه مقامك. فانت والله صاحبها، ولولا صغر سنك اليوم ما عدتُك » (٨٨).

فقام إسماعيل المنصور سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة، وكان من مواليد سنة ثلاث وثلاثمائة أو اثنتين وثلاثمائة على اختلاف الأقوال.

« وضمن للناس تغيير سيرة أبيه وجده، وأنه لا يتعرض لدياناتهم وحلف على ذلك وأكد وأشهد وأخذ الدعاة الذين كانوا لهم فحلقت لحاهم ونفاهم، وقال لأهل قيروان : من سمعتموه ينال من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقتلوه فاني معكم ومن ورائكم وأطلق المحدثين في الحديث والناس في إقامة التراويح » (٨٩).

فانكشف الناس عن أبي يزيد لإظهاره أباضيته، وأمنوا جانب المنصور، فحاربه المنصور حتى غلبه وقتله سنة ٣٣٦ هـ فسلخ وحشى قطننا وصلب (٩٠).

(٨٨) « المجالس والمسائرات » للنعمان القاضي الجزء الثاني والعشرون ص ٤٦٩ « عيون الاخبار » السبع الخامس ص ٧٢٢٩ ومثله في « سيرة الاستاذ جودر ».

(٨٩) « تثبيت دلائل النبوة » ج ٢ ص ٦٠٢.

(٩٠) « البيان المغرب » ج ١ ص ٢١٨، « سير أعلام النبلاء » للذهبي ج ١٥ ص ١٥٧.

ولما ظفر بأبي يزيد وتغلب عليه أظهر شيئاً مما كان يكتمه « فدخل القيروان وقتل منها خلقاً وعذب الآخرين، ولم يزالوا معه في الامتحان إلى أن هلك » (٩١).

واستعمل وحشية آبائه وعنجهيتهم حيث قتل المخالفين بأنواع من العذاب « وأحرقهم بعد القتل بالنار » (٩٢).

كما عذب قاضي برقة أبا عبد الله محمد بن إسحاق الفقيه المشهور والصالح المعروف لمخالفته المذهب الاسماعيلي في هلال رمضان، وقد نقل القصة صاحب المعالم « أن أبا عبد الله محمد بن إسحاق ولي قضاء برقة لإسماعيل (المنصور) وكان ابن الكافي عاملاً عليها فأتى إليه ابن الكافي فقال له : إن غدا العيد فقال القاضي : إن رثي الهلال الليلة كان ماقلت وإلا فلا، فلا يمكنني أن آمر الناس بالفطر في يوم رمضان واتقلد ذنوبهم، فقال له بهذا وصل إلى كتاب مولاي - يعني إسماعيل - فالتمس الناس الهلال فلم يروه، فأصبح العامل إلى القاضي بالطبول والبنود وهيئة العيد فقال القاضي : والله لا أخرج ولا أصلى ولا أفطر في يوم من أيام رمضان ولو علقت يدي ! فمضى العامل فجعل من خطب وصلى وكتب بما جرى إلى مولاه، فلما وصل إليه الخبر أمر برفع القاضي فلما وصل إلى القيروان قال له : إما أن تتصل بنا ونعفو عنك أو نفعل بك ما قلت : فامتنع من الدخول في دعوته، وقال : افعل ماشئت، فنصب له صاريا عند الباب الأخير من أبواب الجامع الذي يلي درب الهذلي وعلق بيده إليه في الشمس فأقام كذلك ضاجيا في شدة الحر يومه وليلته، فلما كان بالغد مات ولسانه خارج من العطش وهو يطلب من يسقيه الماء فلم يسق خوفا من عامل البلد فلما مات أخذوه وصلبوه بباب أبي الربيع وذلك سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة رحمة الله عليه ورضي عنه » (٩٣).

(٩١) « البيان المغرب » ج ١ ص ٢٢٠.

(٩٢) « المجالس والمسائرات » للنعمان المغربي ص ٢٧٧ وأيضاً الجزء العاشر ص ٢٣٢.

(٩٣) « معالم الإيمان » ج ٣ ص ٤٩.

ومات المنصور في آخر شوال من سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة^(٩٤).
وأيام إمامته سبع سنين وشهر واحد وواحد وعشرون يوماً^(٩٥).

معد بن إسماعيل المعز الإمام الإسماعيلي الرابع

ولى بعد المنصور الزعامة الإسماعيلية وبلاد المغرب ابنه معد المكنى بأبي
تميم الملقب بالمعز لدين الله سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة^(٩٦).
وكان عمره آنذاك أربعاً وعشرين سنة^(٩٧).
أو اثنتين وعشرين^(٩٨).
وأرسل العساكر وسير الجيوش لفتح مصر إلى أن فتحها قائده جوهر سنة
ثمان وخمسين وثلاثمائة^(٩٩).
وخرج إليها سنة إحدى وستين وثلاثمائة^(١٠٠).
ودخلها سنة اثنتين وستين وثلاثمائة^(١٠١).

-
- (٩٤) « افتتاح الدعوة » ص ٣٣٥، و « عيون الاخبار » السبع الخامس ص ٣٤٧.
(٩٥) « كتاب الأزهار » ص ٢٣٧ من « منتخب إسماعيلية ».
(٩٦) أنظر « افتتاح الدعوة » ص ٣٣٥.
(٩٧) « إتعاظ الخفاء » للمقرئى ج ص ١٣٤ و « الكامل » لابن الأثير، وتاريخ ابن
خلدون ج ٤ ص ٤٦.
(٩٨) « البيان المغرب » ج ١ ص ٢٢١.
(٩٩) « الاتعاظ » ج ١ ص ١٣٩، « الكامل » ج ٧ ص ٣٥٢، « البيان المغرب » ج ١
ص ٧١٤٤ « الخطط » ج ١ ص ٣٥٢.
(١٠٠) « الاتعاظ » ج ١ ص ١٤٤، « الخطط » ج ١ ص ٣٥٢، « البيان المغرب » ج ١
ص ٢٢٨.
(١٠١) المراجع المذكورة.

ولم يدخل المعز مصر إلا وقد كثرت الأسئلة حول نسبه، وشك الكثيرون في دعواه بأنه ينتسب إلى البيت العلوي^(١٠٢).

فما أن دخل مصر إلا وأمر بزيادة «حى على خير العمل» في الأذان «وأمر بالكتاب على المشايخ في سائر مدينة مصر: «خير الناس بعد رسول الله أمير المؤمنين على بن أبي طالب» وأثبت اسم المعز لدين الله واسم ابنه عبد الله الأمير^(١٠٣).

وكان يكتم مذهبه إلا عن خاصته مداراة للشعب الذي تسلط عليه ومداهنة لهم^(١٠٤).

وإلا فكان يعتقد نفس المعتقدات التي كان يعتقدوا آباؤه وتوارثوها من الخطابية والباركية المندجة في الاسماعيلية، كما يدعى بأنه أفضل من جميع من سبقه من الائمة الإسماعيلية وحتى على بن أبي طالب ورسول الله صلوات الله وسلامه عليه - عيادا بالله - كما ذكر القاضي الإسماعيلي النعمان عنه أنه سمعه يوماً يقول :

«لوجدت عشرة على ما أحب، لبلغت بهم ما أريد.

فقلت : أفلم يعلم أمير المؤمنين (عليه السلام) أن ذلك لم يكمل لرسول الله (ﷺ) ولا لوصيه على (عليه السلام) ولا وجداه ؟

فقال : هو كذلك، ولكنى رجوت أن أبلغ من ذلك ما لم يبلغه وأجد ما لم يجداه، لأن الله عز وجل بحمده قد مكنتى وجمع عندى من الدنيا والآخرة ما لم يجمعه لمن تقدم من سلفى^(١٠٥).

(١٠٢) وستفصل القول في ذلك في الباب الثالث عند ذكر نسب الائمة الاسماعيلية.

(١٠٣) «الاتعاظ» ج ١ ص ١٨٨، الخطط، ج ١ ص ٣٥٢.

(١٠٤) «الكامل» لابن الأثير ج ٧ ص ٧٤.

(١٠٥) «المجالس والمسائرات» الجزء الثالث ص ١٠٦، ١٠٧ ومثله في الجزء الرابع ص ١٢٦.

وكان مغالياً في إسماعيليته المتضمنة للعقائد الخطابية بعينها، وقد جهر بهذه العقائد لخاصته وأصحابه ودعائه وشيعته باحتياط حيث لم يفش بها أمام الآخرين، ولم يستطع أحد من آبائه أن يراعى هذه المراعاة أمام شعبه الرافضين لديانتهم، والمبغضين لمذهبهم، والمعرضين عن عقائدهم ومعتقداتهم، والمحتقرين لأرائهم وأفكارهم، والكارهين لأسسهم وقواعدهم إلى حد تركوا إتيان المساجد تنفراً من أن يسمعو خطبهم وكلماتهم فرجحوا أن يتركوا المساجد وبدل أن يرتادوها ويستمعوا فيها أقوالهم الفاسدة وآراءهم السيئة وشتائمهم وسبابهم رسول الله وأزواجه أمهات المؤمنين والكفر الصراح والزندقة البواحة كما ذكر المؤرخون^(١٠٦).

هذا وسوف نذكر مقولات المعز ومعتقداته في الباب الرابع عند الحديث عن المعتقدات بالتفصيل نعرض عن إيرادها ههنا تجنباً للتكرار. وإنما سوف نثبت هناك بأن المعز لم يكن يختلف عن آبائه قيد شبر عن معتقداته وعقائده، أللهم إلا في الحزم والإحتياط والمداواة والدهاء، لما لاحظ من ثورات أهل المغرب التالية ضد آبائه لعدم انقيادهم وخضوعهم مذهبياً مع انقيادهم واستسلامهم سياسياً.

وبناء على ذلك نرى أن كثيراً من الناس خدعوا قديماً وحديثاً بسياسة المعز ومكره وتحفظاته حيث ظنوه مختلفاً عمن ورثهم وخلفهم، حتى الدكتور محمد كامل حسين الذي اعتنى عناية خاصة بدراسته الإسماعيلية لم ينتبه لهذا، ووقع في شراكهم وحبائلهم حيث قال :

« ونحن نعلم أن العقائد الإسماعيلية لا يمكن بأية حال من الأحوال أن تدرس على أنها عقائد ثابتة لفرقة موحدة، بل هي عقائد تطورت حسب البيئات والأزمان، لكل بيئة عقائدها، وتطورت العقائد في كل بيئة بمرور الزمن، فاختلقت العقائد الإسماعيلية باختلاف البيئات وتشعبت آراء الإسماعيلية بحيث أصبح من الصعب العسير أن نلم بأطراف العقائد

(١٠٦) انظر « معالم الايمان » للدباغ و « ترتيب المدارك » للقاضي عياض .

الإسماعيلية طوال تاريخها، فمن واجبنا إذن أن نطبق منهج التطور التاريخي في دراسة العقائد والفرق بعامة والإسماعيلية على نحو خاص «(١٠٧).

ثم فرق بين عقائد دور الستر والدور الذي يليه، أي دور الظهور في المغرب، وبين عقائد دور الظهور في مصر وغيرها من البلاد الشرقية الأخرى، الذي يبدأ بالمعزم مع أننا بعد تعمقنا وتعمقنا في العقائد الإسماعيلية لم نجد أي فرق فيها في جميع الأدوار من حيث الأسس والأصول والقواعد والمبادئ، اللهم إلا التعارض والتناقض الذي هو من لوازم الاختلاق والإختراع والإيجاد والاصطناع، وأيضاً عدم التطبيق، والتكاسر والتخاذل عن العمل بها والخضوع لها ومخالفتها في الواقع والعمل.

وسلاحظ القارئ صدق ما قلناه في باب العقائد حيث لم نسرد عقيدة واجدة إلا من كتب الإسماعيلية أنفسهم من أولهم إلى آخرهم.

وخير دليل على ذلك ما ظهر أيضاً في أيام الحاكم بأمر الله من تأليهه، والعقائد الإسماعيلية الخطابية الأخرى جهاراً نتيجة لرسوخها وتمكنها في قلوب الإسماعيلية وأذهانهم، والحاكم لم يظهر إلا في بيئة مصرية، كما أنه من المتأخرين، وكذلك آغاخانية اليوم فإنها معتقة بنفس العقائد التي توارثها آباؤهم من قبل.

والجدير بالذكر أن المعز الممالي والمداهن أيضاً لم يقصر عن بث سمومه في الشعب المصري والشعوب الأخرى التي تسلط عليها وإكراههم وإجبارهم على اعتناق عقائده ومعتقداته غلظة وعنوة، ولكنه لم يتمكن من ذلك لم يمهله أجله، وخير شاهد على هذا ما أورده قاضي قضاته والداعية الإسماعيلي الكبير النعمان الذي جاء به من المغرب إلى مصر معه، في كتابه :

« وذكرت له (المعز) (عليه السلام) يوماً شيئاً : بلغنا عن المهدي بالله صلوات الله عليه : أن رافعاً رفع إلي نصيحة - فيما زعم - فيها أن العامة

(١٠٧) انظر « سيرة الاستاذ جوذر » ص ١٧.

لوطولبوا بمذاهبهم وأجرى الحكم بها عليهم في تركهم توريث ذوى الأرحام، وردّهم كثيراً من ذلك، في قول كثير منهم إلى بيت المال، لكان في ذلك توفير للمال من حيث لا ينكرونه ولا يدفعونه، وأن المهدي صلوات الله عليه أنكر ذلك من قوله واستشاط غضباً عليه، وأمر بطلبه، وقال : ما أراه أراد هذا بما قال إلا الطعن علينا وأن نحكم بخلاف ما أنزل الله تعالى، وإنما أقامنا الله جل ذكره لنقيم دينه لعباده لا أن نتكثر من دنياهم بما يأتي من غير حلّه !

فقال المعز لدين الله : صدق المهدي (عليه السلام) ونصر الله وجهه ورفع درجته ! لا والله ما نحكم في عباد الله إلا بما نزل الله أحبوا ذلك أم كرهوا، رضوا أو سخطوا. ولا ندعهم أن يخالفوا حكم الله لأن الله تعبدنا بذلك، وما نقوموا علينا إلا ذلك. ولو تركناهم وانتحالهم واختيارهم كما تركهم المتغلبون الذين لم يكن قصدهم إلا نيل دنياهم فلم يلتفتوا إلى شيء من إقامة الدين، وتركوا الأئمة مختلفين فيه، لأحبونا وسلّموا لنا كما سلّموا لأولئك ولكن أبى الله عز وجل لنا ذلك بما افترضه علينا من إقامة دينه وتقويم عباده على نهجه ومنعهم من الحكم وإظهار العمل بخلافه» (١٠٨).

وقد ذكر الحافظ ابن كثير أن أبا بكر النابلسي « الزاهد العابد الورع الناسك التقى أحضر بين يدي المعز فقال له : بلغني عنك أنك قلت لو أن معي عشرة أسهم لرميت الروم بتسعة ورميت المصريين بسهم، فقال ما قلت هذا، فظن أنه رجع عن قوله فقال : كيف قلت ؟ قال : قلت ينبغي أن نرميك بتسعة ثم نرميهم بالعاشر. قال : ولم ؟ قال : لأنكم غيرتم دين الأمة وقتلتم الصالحين واطفأتم نور الإلهية، وادعيتهم ما ليس لكم فأمر باشهاره في أول يوم ثم ضرب في اليوم الثاني بالسياط ضرباً شديداً مبرحاً ثم أمر بسلخه في اليوم الثالث، فجاء بيهودي فجعل يسلخه وهو يقرأ القرآن قال اليهودي : فأخذتني رقة عليه، فلما بلغت تلقاء قلبه طعنته بالسكين فمات

(١٠٨) « المجالس والمسائرات » للقاضي النعمان المغربي المتوفى ٣٦٣، الجزء الثالث ص ٩٧.

رحمه الله . فكان يقال له الشهيد وإليه ينسب بنو الشهيد من أهل نابلس إلى اليوم ، ولم تزل فيهم بقايا خير» (١٠٩) .

كما ذكر المؤرخون أنه أراد ادعاء النبوة لنفسه ولكنه خاف من رعيته في المغرب فراجع وأذن مؤذنه فوق صومعة جامع القروان : أشهد أن معدا رسول الله فارتج البلد لذلك (١١٠) .

هذا وكاد أن يخرج البلاد الشرقية من يده بما فيها من مصر عند ما اختلف مع القرامطة ، وترفع وتكبر عليهم ، فأخذوا منه بلدة بلدة حتى حصروه في القاهرة فتنازل من عليائه « وأرضى القرمطية بمال وخذعهم » (١١١) .

وإقرّ بالأتاوة السنوية للقرامطة .

ثم نقل إمامة الإسماعيلية وخلافتهم إلى ابنه الثالث نزار الملقب بالعزیز بالله .

العزیز بالله نزار

وخلف من بعده ابنه الثالث بعد تميم وعبد الله سنة خمس وستين وثلاثمائة ، وكان مولده بالمهدية من القيروان ببلاد المغرب سنة أربع وأربعين أو سنة اثنتين وأربعين وثلاثمائة (١١٢) .

(١٠٩) « البداية والنهاية » ج ١١ ص ٢٨٤ ط بيروت .

(١١٠) أنظر « البيان المغرب » ج ١ ص ٢٨٢ .

(١١١) « النجوم الزاهرة » لأبي المحاسن ج ٤ ص ٧٥ .

(١١٢) « النجوم الزاهرة » ج ٤ ص ١١٢ ، أيضاً « تاريخ ابن أبياس » الجزء الأول القسم الأول ص ١٩٢ ، « الفلك السدوار » ص ١٥٧ ، و « كتاب الأزهار » ص ٢٣٩ من « المنتخبات الإسماعيلية » ، « البيان المغرب » ص ٢٢٩ .

ومات سنة ستّ وثمانين وثلاثمائة بمدينة بلبس (١١٣).

وذكر الإمام الذهبي « وفي أيامه أظهر سبّ الصحابة جهاراً ».

وبمثل ذلك نقل ابن عذارى عن ابن سعدون (١١٤).

وكان قد استوزر في أيامه اليهود والنصارى، وسلّطهم على رقاب المسلمين فوق منهم الأذى البالغ في حقهم (١١٥) فأنكر الناس عليه ذلك حتى أن امرأة كتبت إليه :

« بالذى أعز اليهود بمنشا، والنصارى بابن نسطورس، وأذلّ المسلمين بك إن لانظرت في أمرى » (١١٦).

وكان متسرياً جارية رومية نصرانية من طائفة ملكية، وكان لها نفوذ عظيم في الدولة (١١٧).

كان منها بنته ستّ الملك، والتي كانت تكبر أخاها الحاكم بخمسة عشر عاماً، واختلف المؤرخون في أمّ الحاكم ولده فقال قائل منهم : إنها كانت هي النصرانية أو الأخرى غيرها.

والجدير بالذكر أنه ولد للعزيز قبل الحاكم ولد ومنحه ولاية العهد ولكنه توفي في حياته « (١١٨) ».

واتهمه عبد الجبار القاضي وغيره بأنه أذن للناس بيع الخمر وإقامة دور

(١١٣) أيضاً المصادر المذكورة.

(١١٤) انظر « البيان المغرب » ص ٢٨٥.

(١١٥) انظر « تاريخ ابن اياس » ج ١ ص ١٩٠.

(١١٦) انظر « الكامل » لأبن الاثير ج ٧ ص ١٧٦، و « النجوم الزاهرة » لابن تغرى البردى ص ١١٦، « سير أعلام النبلاء » ج ١٥ ص ١٦٨، « المنتظم » لابن الجوزى ج ٧ ص ١٩٠، « تاريخ ابن اياس » الجزء الأول القسم الأول ص ١٩٦.

(١١٧) « سير البيه المقدسة » نقلا عن « الحاكم بأمر الله » لمحمد عبد الله عنان ص ٨٧.

(١١٨) انظر « نهاية الأرب » الجزء الخاص بالاسماعيلية نقلا عن « الحاكم بأمر الله » ص ٨٨.

الزواني والقوادين ونكاح الذكران وغير ذلك من القبائح . والله أعلم . (١١٩) .

أبو على المنصور الحاكم بأمر الله

وخلفه بعده ابنه الوحيد أبو على المنصور البالغ من العمر الحادية عشرة سنة ، الذي ذكره الذهبي بقوله :

« الإسماعيلي الزنديق المدعى الربوبية » (١٢٠) .

فلقد سلك مسلك آبائه من القتل والفتك بالناس ، وبالتهب والسلب ، وزاد عليهم بأنه أظهر ما كانوا يخفونه ، وتجاهر بما كانوا يكتُمونه من العقائد والمعتقدات والآراء والأفكار عمالة للرعية ومداواة بهم ، وأذاق الشعب المصري الأمرين ، وأذهم ، واحتقرهم ، وصغرهم ، وأهانهم ، وأقام فيهم مذابح ، وقتلهم ، وشردهم ولم يفعل أحد مثل ما فعل بهم هذا الإمام الإسماعيلي السادس في أيام الظهور .

فأمر بسب الصحابة وعلى رأسهم أبو بكر الصديق وعمر الفاروق وأمّهات المؤمنين ، وخاصة الصديقة بنت الصديق رضوان الله عليهم أجمعين ، ولم يكتف بذلك ، بل أمر بكتابة الشتائم على هؤلاء الأكارم على محاريب المساجد ومنار الجوامع « وكتب على المساجد والجوامع سبّ أبي بكر وعمر وعثمان وعائشة وطلحة والزبير ومعاوية وعمر بن العاص رضي الله عنهم في سنة خمس وتسعين وثلاثمائة » (١٢١) .

(١١٩) انظر « تثبيت دلائل النبوة » ج ٢ ص ٦١٢ .

(١٢٠) « سير أعلام النبلاء » ج ١٥ ص ١٧٣ .

(١٢١) « النجوم الزاهرة » ج ٤ ص ١٧٦ ، ١٧٧ ، « البيان المغرب » ج ١ ص ٢٨٦ ، « الكامل » لابن الأثير ج ٧ ص ٣٠٥ ، « تاريخ ابن أياس » الجزء الأول القسم الأول ص ٢٠٠ .

وكتب الإمام الذهبي : « وكان شيطاناً مريداً، جباراً، عنيداً، كثير التلون، سفاكاً للدماء، خبيث النحلة، عظيم المكر . . . كان فرعون زمانه، يخرع كل وقت أحكاماً يلزم الرعية بها، أمر بسب الصحابة رضى الله عنهم وبكتابة ذلك على أبواب المساجد والشوارع وأمر عماله بالسب » (١٢٢).

ولقد أقر بذلك المقرئى المتعاطف مع هؤلاء، والمدافع عنهم كثيراً في مواضع من كتبه، والذي يسميهم الأئمة الفاطميين الخلفاء . . أقر بذلك، وزاد :

« وكتب على أبواب المساجد وعلى الجوامع بمصر وعلى أبواب الخوانيت والحجر والمقابر سب السلف ولعنهم، وأكره الناس على نقش ذلك وكتابته بالأصباغ في سائر المواضع » (١٢٣).

وبلغ بغضه إلى حد أنه منع من أكل الملوخية المحببة لمعاوية بن أبى سفيان، والبالغة المسماة بالجرجير المنسوبة إلى عائشة رضى الله عنها » (١٢٤).

ومنع الناس عن صلاة التراويح « فاجتمع الناس بالجامع العتيق وصل بهم إمام جميع رمضان فأخذه وقتله، ولم يصل أحد التراويح بعد ذلك إلى عشر سنوات » (١٢٥).

وقتل الخلائق صبراً وأحرقهم بالنار بداية من برجوان الذي جعله أبوه وصيه ومدير دولته، والحسن بن عمار أمين الدولة، ومؤدبه أبى سعيد تميم الفارقى، ونهاية إلى أبناء النعمان بن محمد المغربى قاضى القضاة الأول

(١٢٢) « سير أعلام النبلاء » ج ١٥ ص ١٧٤.

(١٢٣) « الخطط » للمقرئى ج ٢ ص ٢٨٦، ومثل ذلك في « انعاظ الخفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء » ج ٢ ص ٥٤ ط المجلس الاعلى للشئون الاسلامية، القاهرة ١٩٧١ م.

(١٢٤) « انعاظ الخفاء » ج ٢ ص ٥٣.

(١٢٥) « الكامل » لابن الاثير ج ٧ ص ٣٠٥ « النجوم الزاهرة » ج ٤ ص ١٧٧. « تاريخ ابن اياس » ج ١ ص ٢٠١ « انعاظ الخفاء » ج ٢ ص ٨٦.

للإسماعيلية، الحسين، وعبد العزيز، وإلى الوزراء والأمراء والقضاة إلى أنه يبلغ عدد ضحاياه ثمانية عشر ألف شخص من مختلف الطبقات (١٢٦).

وقد ذكر المؤرخون أنه كثيراً ما كان يأمر بقطع الألسنة والأيدى قبل القتل كما كان يأمر باحراق الجثث بعد القتل، وقد جاوز ظلمه ووحشيته وقسوته جميع الحدود والأعراف إلى أنه كان يتلذذ بسفك الدماء وقتل الأبرياء، ولا اخال أن حاكماً في التاريخ وسلطاناً في العالم قاربه أوضاعاه في الظلم والعنجهية، ولقد ذكر المقرئ أنه « أمر سنة خمس وتسعين وثلاثمائة جماعة من الأحداث أن يتقافزوا من موضع عال في القصر، ورسم لكل منهم بصلة فحضر جماعة وتقافزوا فمات منهم نحو ثلاثين إنساناً من أجل سقوطهم خارجاً عن الماء على صخر هناك، ووضع لمن قفز ماله » (١٢٧).

كما نقل عن ابن سعيد ما نصّه :

« وقتل الحاكم ركابياً له بحرية في يده على باب جامع عمرو بن العاص وشق بطنه بيده، وعم بالقتل بين وزير وكتب وقاض وطبيب وشاعر ونحوى ومغن ومختار وصاحب ستر وحامى وطباخ وابن عم وصاحب حرب وصاحب خبر ويهودي ونصراني، وقطع حتى أيدى الجوارى في قصره، وكان في مدته القتل والغيلة حتى على الوزراء، وأعيان الدولة يخرج عليهم من يقتلهم ويحرقهم، وخطفت العتائم جهاراً بالنهار، وكان لعبيد الشراء في مدته مصائب وخطوب في الناس، وكان المقتول ربما جر في الأسواق، فأوقع ذلك فتنة عظيمة وواصل الحاكم في ركوبه الوقوف على المعروف بابن الأرزق الشواء ومحدثه بدار فرح، وخلع عليه وأجازه. وفي يوم استدعى الحاكم أحد الركابية السردان المصطنعة ليحضر إلى حانوت ابن الأرزق الشواء، فوقفه بين اثنين ورماه برمح، ثم أضجعه، واستدعى سكيناً فذبحه بيده، ثم استدعى شاطوراً ففرق بين رأسه وجسده، ثم استدعى ماء فغسل

(١٢٦) سيرة البيهة المقدسة « نقلا عن » الحاكم بأمر الله « لمحمد عبد الله عنان » ص ١١٧.

يده بأشنان ثم ركب، وحمل المقتول إلى الشرطة فأقام ثم دفن بالصحرَاء « (١٢٨) ».

وفي سنة اربعمائة أمر بعمارة دار العلم وفرشها، ونقل إليها الكتب العظيمة وأسكنها من شيوخ السنة شيخين يعرف أحدهما بأبي بكر الأنطاكي، خلع عليهما وقربهما، ورسم لهما بحضور مجلسه وملازمته وجمع الفقهاء والمحدثين إليها ثم بدا له بعد ذلك فقتل الفقيه أبا بكر الانطاكي والشيخ الآخر وخلقا كثيراً آخر من أهل السنة، لا لأمر يقتضي ذلك، وفعل ذلك كله في يوم واحد، ومنع من جميع ما كان فعله، وعاد إلى ما كان عليه أولاً من قتل الفقهاء والعلماء وأزيد « (١٢٩) ».

« ومن شناعه أنه كان له عبد أسود طويل عريض، يمشي في ركابه، يقال له « مسعود » فإن وجد أحداً من السوقه غش في بضاعته، أمر ذلك العبد مسعود بأن يفعل به الفاحشة العظمى، وهي اللواط، فيفعل به على دكانه والناس ينظرون إليه، حتى يفرغ من ذلك، والحاكم واقف على رأسه « (١٣٠) ».

وأمر مرة باستباحة مصر وإحراقها وقتل الرجال وسبي النسياء، وقد ذكر هذه الواقعة كثير من المؤرخين ونحن نثبتها عن أبي المحاسن نقلاً عن ابن الصابي :

« كان الحاكم يواصل الركوب ليلاً ونهاراً، ويتصدى له الناس على طبقاتهم، فيقف عليهم ويسمع منهم، فمن أراد قضاء حاجته قضاها في وقته، ومن منعه سقطت المراجعة في أمره، وكان المصريون موتورين منه،

(١٢٧) « الانعاظ » للمقريزي ج ٢ ص ٥٥.

(١٢٨) « انعاظ الحنفاء » للمقريزي ج ٢ ص ١٢٠، ١٢١.

(١٢٩) « النجوم الزاهرة » لأبي المحاسن ص ٢٢٢، ٢٢٣، « سير أعلام النبلاء » ج ١٥

ص ١٧٥، ١٧٦ « العبر » ج ٣ ص ١٠٥، ١٠٦.

(١٣٠) « تاريخ ابن أبياس » ج ١ ص ٢٠١، « سير أعلام النبلاء » ج ١٥ ص ١٧٦.

فكانوا يدسون إليه الرقاع المختومة بالدعاء عليه والسب له ولأسلافه،
والوقوع فيه وفي حرمه، حتى انتهى فعلهم إلى أن عملوا تمثال امرأة من
قراطيس بخف وازار، ونصبوها في بعض الطرق وتركوا في يدها رقعة كأنها
ظلامه، فتقدم الحاكم وأخذها من يدها، فلما فتحها رأى في أولها ما
استعظمه، فقال : انظروا هذه المرأة من هي ؟ فقيل له : إنها معمولة من
قراطيس، فعلم أنهم قد سخروا منه وكان في الرقعة كل قبيح، فعاد من وقته
إلى القاهرة، ونزل في قصره واستدعى القواد والعرفاء، وأمرهم بالمسير إلى
مصر وضربها بالنار ونهبها، وقتل من ظفروا به من أهلها، فتوجه إليها العبيد
والروم والمغاربة وجميع العساكر. وعلم أهل مصر بذلك فاجتمعوا وقتلوا
عن نفوسهم، وأوقفوا النار في أطراف البلد، فاستمرت الحرب بين العبيد
والعامة والرعية ثلاثة أيام، والحاكم يركب في كل يوم إلى القرافة، ويطلع
إلى الجبل ويشاهد النار ويسمع الصياح ويسأل عن ذلك، فيقال له : العبيد
يحرقون مصر وينهبونها، فيظهر التوجع، ويقول : لعنهم الله ! من أمرهم
بهذا، فلما كان اليوم الرابع اجتمع الأشراف والشيوخ إلى الجوامع ورفعوا
المصاحف وضجوا بالبكاء وابتهلوا إلى الله تعالى بالدعاء، فرحهم الأتراك
ورقوا لهم وانحازوا إليهم وقتلوا معهم، وكان أكثرهم مخالطاً لهم ومداخلاً
ومصاهراً، وانفرد العبيد وصار القتال معهم، وعظمت القصة وزادت
الفتنة، واستظهرت كتامة والأتراك عليهم، وراسلوا الحاكم، وقالوا : نحن
عبيد وممالك وهذا البلد بلدك وفيه حرماننا وأموالنا وأولادنا وعقارنا، وما
علمنا أن أهله جنوا جناية تقتضي سوء المقابلة، وتدعو إلى مثل هذه المعاملة !
فإن كان هناك باطن لا نعرفه فأخبرنا به، وانتظرنا حتى نخرج بعيالنا وأموالنا
منه، وإن كان ما عليه هؤلاء العبيد مخالفاً لرأيك فأطلقنا في معاملتهم بما
يعامل به المفسدون والمخالفون. فأجابهم بأنه ما أراد ذلك، ولعن الفاعل له
والأمر به، وقال : أنتم على الصواب في الذب عن المصريين، وقد أذنت
لكم في نصرتهم، والإيقاع بمن تعرض لهم. وأرسل إلى العبيد سرا يقول :
كونوا على أمركم، وحمل إليهم سلاحاً قواهم به. وكان غرضه في هذا أن
يطرح بعضهم على بعض، ويتنقم من فريق بفريق، وعلم القوم بما يفعل،

فراسلته كتامة والأتراك : قد عرفنا غرضك ، وهذا هلاك هذه البلدة وأهلها وهلاكنا معهم ، وما يجوز أن نسلم نفوسنا والمسلمين لفتك الحرير وذهاب المهج . ولئن لم تكفهم لنحرقن القاهرة ، ونستفرن العرب وغيرهم ؟ فلما سمع الرسالة . وكانوا قد استظهروا على العبيد ، ركب حماره ووقف بين الصفيين وأوما للعبيد بالإنصراف فانصرفوا ، واستدعى كتامة والأترك ووجوه المصريين ، واعتذر إليهم ، وحلف أنه برىء مما فعله العبيد وكذب في يمينه ، فقبلوا الأرض بين يديه وشكروه ، وسألوه الأمان لأهل مصر ، فكتب لهم ، وقرىء الأمان على المنابر ، وسكنت الفتنة وفتح الناس أسواقهم وراجعوا معاشهم . واحترق من مصر مقدار ثلثها ، ونهب نصفها ، وتبع المصريون من أخذ أزواجهم وبناتهم وأخواتهم ، وابتاعوهن من العبيد بعد أن فضحوهن ، وقتل بعضهن نفوسهن خوفاً من العار . واستغاث قوم من العلويين الأشراف إلى الحاكم ، وذكروا أن بعض بناتهم في أيدي العبيد على أسوأ حال ، وسألوه أن يستخلصهن ، فقال الحاكم : انظروا ما يطالبونكم به عنهن لاطلقه لكم ، فقال له بعضهم : أراك الله في أهلك وللدك مثل ما رأينا في أهلنا وأولادنا ، فقد أطرحت الديانة والمروءة بأن رضيت لبنات عمك بمثل هذه الفضيحة ، ولم يلحقك منهن امتعاض ولا غيرة . فحلم عنه الحاكم وقال له : أنت أيها الشريف محرج ونحن حقيقون باحتمالك وإلا غضبنا عليك وزاد الأمر على الناس فيما يفجؤهم به حالا بعد حال من كل ما تنخرق به العادات وتفسد الطاعات » (١٣١) .

وزاد عليه الذهبي :

« ولما أمر بحريق مصر واستباحها بعث خادمه ليشاهد الحال فلما رجع قال : كيف رأيت ؟ »

(١٣١) « النجوم الزاهرة » ج ٤ ص ١٨٠ إلى ١٨٣ ، « تاريخ ابن اياس » ج ١ ص ٢٠٨ وما بعد ، « الكامل » لابن الاثير ج ٧ ص ٣٠٥ « البداية والنهاية » ج ١٢ ص ٩ .

قال : لو استباحها طاغية الروم ما زاد على ما رأيت (١٣٢) ف ضرب عنقه « (١٣٣) .

هذا وانني لأرى بأنه لم يذهب هذا المذهب ، ولم يرتكب هذه المظالم إلا لغرض معين وهدف مقصود ، وهو التمهيد والتوطئة لإظهار ما كان يريد من مذهبه المتوارث وعقائده الموروثة القديمة التي أراد إظهارها أبو الخطاب والمبارك والقداحيون وجده المهدي الإسماعيلي وآباؤه من بعدهم ولكنهم لم يتمكنوا لمخالفة الأوساط التي كانوا يعيشونها ، والشعوب التي سلطوا عليها وقهروها ، فأراد من البداية اذلال الشعب المصري وتوهين قواهم لكي لا يقفوا في سبيل دعوته ، ويتنكروا عليه مذهبه وديانته كما فعل به أسلافهم والآخرين ضد آبائه وأجداده .

وعلى ذلك لما رأى أنه قضى على غيرتهم وحميتهم وقد قصرت بهم همتهم

(١٣٢) ولا أدري كيف يستبيح بعض المؤرخين لأنفسهم أن يسبرروا طغيان هذا الإمام الإسماعيل وغدره ودمويته ، ويخترعوا لها المعاذير ، وخاصة المصريين منهم بعد هذه الشائعات والفظائع ، وبعد هذا التنكيل والتذليل والجرائم البشعة والعظائم الفظيعة الشنيعة ؟

وكيف يفتخر المؤرخون المصريون على سلطان هؤلاء وملكهم ؟ وكيف يعدون دورهم من أمثل الادوار وأفضلها بمصر ومن فيها ؟ وكيف يجوز لهم أن يطلبوا بمصرية هؤلاء الطغام وإسلامية هؤلاء الأشرار ولم ير التاريخ وجهاً أسود لمصر وللبلدان الإسلامية من وجه هؤلاء القتلة المردة والتاريخ على ذلك خير شهيد .

وانني لا أرى منصفاً أنصفهم وأعدل القول من المؤرخين المصريين الجدد غير البحثة الأستاذ محمد عبد الله عنان ، فقد أدى للعمل حقّه ، وأظهر تعمقه وتبحره وانصافه في كتابه (الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية) . وإلا فأكثر الكتاب الذين كتبوا في هذا المجال لم يكتبوا إلا لمعاذير اختلقوها ، وتعاليل اخترعوها من عند أنفسهم بدون دليل وبرهان .

ولا أدري لماذا ؟

والله يعلم وهو بكل شيء عليم .

(١٣٣) « سير أعلام النبلاء » ج ١٥ ص ١٧٧ .

أن يقفوا في سبيل طغيانه وقسوته ودمويته ووحشيته إلى أن انتهك أعراضهم، وسلب أموالهم وأراق دماءهم، وقتل أبناءهم، سبى ذراريهم ونساءهم وأذاقهم كل أنواع الخسف والظلم والضميم والإحتقار والإهانة أيقن أنه آن الأوان لإظهار ما كنتم طويلاً، وإعلان ما يخفى دهرًا، والجهر بمذهبه وديانته، فأطلق العنان لدعائه أن يعلنوا على الملأ في المساجد والجوامع وفي المحاريب وعلى المنابر أنه هو الرب والإله.

وقد ذكر هذا كله المؤرخون، ونحن ننقل عن أبي المحاسن نقلًا عن ابن الصابي أنه قال :

« ثم عن له أن يدعى الربوبية، وقرب رجلاً يعرف بالأخرم ساعده على ذلك، وضم إليه طائفة بسطهم للأفعال الخارجة عن الديانة، فلما كان في بعض الأيام خرج الأخرم من القاهرة راكباً في خمسين رجلاً من أصحابه، وقصد مصر ودخل الجامع راكباً دابته، ومعه أصحابه على دوابهم وقاضي القضاة ابن أبي العوام جالس فيه ينظر في الحكم، فنهوا الناس وسلبوهم ثيابهم وسلموا للقاضي رقعة فيها فتوى، وقد صدرت باسم الحاكم الرحمن الرحيم.

فلما قرأها القاضي رفع صوته منكراً، واسترجع وثار الناس بالأخرم وقتلوا أصحابه وهرب هو. وشاع الحديث في دعواه الربوبية، وتقرب إليه جماعة من الجهال، فكانوا إذا لقوه قالوا : السلام عليك يا واحد يا أحد يا محمى يا محيت، وصار له دعاة يدعون أوباش الناس، ومن سخف عقله إلى اعتقاد ذلك، فمال إليه خلق كثير طمعاً في الدنيا والتقرب إليه. وكان اليهودي والنصراني إذا لقيه يقول : إلهى قد رغبت في شريعتي الأولى، فيقول الحاكم : أفعل ما بدا لك، فيرتد عن الإسلام. وزاد هذا الأمر بالناس » (١٣٤).

(١٣٤) « النجوم الزاهرة » لأبي المحاسن ج ٤ ص ١٨٣.

ونقل عن شمس الدين في تاريخه (مرآة الزمان) أنه قال : رأيت في بعض التواريخ بمصر أن رجلاً يعرف بالدرزى قدم مصر . وكان من الباطنية القائلين بالتناسخ ، فاجتمع بالحاكم وساعده على ادعاء الربوبية وصنف له كتاباً ذكر فيه أن روح آدم (عليه السلام) انتقلت إلى علي بن أبي طالب ، وأن روح علي انتقلت إلى أبي الحاكم ، ثم انتقلت إلى الحاكم . فنفق على الحاكم وقربه وفوض الأمور إليه ، وبلغ منه أعلى المراتب ، بحيث أن الوزراء والقواد والعلماء كانوا يقفون على بابه ولا ينقضى لهم شغل إلا على يده . وكان قصد الحاكم الإنقياد إلى الدرزى المذكور فيطيعونه ، فأظهر الدرزى الكتاب الذى فعله وقرأه بجامع القاهرة ، فثار الناس عليه وقصدوا قتله ، فهرب منهم ، وأنكر الحاكم أمره خوفاً من الرعية ، وبعث إليه في السر مالا ، وقال : أخرج إلى الشام وانشر الدعوة في الجبال ، فإن أهلها سريعو الإنقياد . فخرج إلى الشام ، واستألفهم إلى الحاكم وأعطاهم المال ، وقرر في نفوسهم الدرزى التناسخ ، وأباح لهم شرب الخمر والزنا ، وأخذ مال من خالفهم في عقائدهم وإباحة دمه ، وأقامه عندهم يبيح لهم المحظورات إلى أن انتهى « (١٣٥) » .

وقد ذكر ابن خلكان :

« إن الحاكم كان جالساً في مجلسه العام وهو حفل بأعيان دولته ، فقرأ بعض الحاضرين (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسلياً) والقارىء في أثناء ذلك كله يشير إلى الحاكم . فلما فرغ من القراءة قرأ شخص يعرف بابن المشجر (والمشجر بضم الميم وفتح الشين المعجمة والجيم المشددة وبعدها راء مهملة) وكان ابن المشجر رجلاً صالحاً فقراً : (يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له

(١٣٥) أيضاً ص ١٨٤ ، ومثله في « تاريخ ابن اياس » ج ١ ص ٢٠٧ ، « البداية والنهاية » ج ١٢ ص ١٠ « سير أعلام النبلاء » للذهبي ج ١٥ ص ١٨١ ، « اتعاظ الخفاء » ج ٢ ص ١١٣ .

وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه، ضعف الطالب والمطلوب، ما قدروا الله حقَّ قدره إن الله لقويّ عزيز). فلما انتهت قراءته تغير وجه الحاكم، ثم أمر لابن المشجر المذكور بمائة دينار، ولم يطلق للآخر شيئاً. ثم أن بعض أصحاب ابن المشجر، قال له : أنت تعرف خلق الحاكم وكثرة استحالاته وما تأمن أن يحقد عليك (وأنه لا يؤاخذك في هذا الوقت) ثم يؤاخذك بعدها فالمصلحة عندى أن تغيب عنه، فتجهّز ابن المشجر إلى الحج وركب في البحر وغرق، فرآه صاحبه في النوم فسأله عن حاله فقال : ما قصر الرّيان معنا، أرسى بنا على باب الجنة» (١٣٦).

ولقد ذكر ابن عذارى المراكشي عن ابن سعدون بعض العقائد التي أظهرها.

« ثم ولي بعده (أي العزيز) الحاكم، فأظهر مذهبهم، فكان مما أحدث أنه بنى داراً، وجعل لها أبواباً وطباقاً، وجعل فيها قيوداً وأغلالاً، وسماها جهنّم، فمن جنى جناية عنده، قال : « أدخلوه جهنم » وأمر أن يكتب في الشوارع والجوامع بسب الصحابة - رضى الله عنهم - أجمعين. ثم أرسل داعياً إلى مكة، فلما طلع المنبر، وذكر ما ذكر، اقتحم عليه بنو هذيل، فقطع قطعة قطعة، وكسر المنبر، وفنى حتى لم يجتمع من شيء. ثم أرسل رجلاً خراسانياً من بنى عمّه، فضرب الحجر الأسود بدبوس، فقتل من حينه، وأخذته الناس قطعة قطعة، وأحرق بالنار. وأرسل - لعنه الله - إلى مدينة الرسول - ﷺ - من ينبش القبر المعظم، فسمع الناس صائحاً يقول : « القبر ينبش » ففتشه الناس، فوجدوه وأصحابه فقتلوهم، ثم أنه أدعى الربوبية من دون الله، وجعل داعياً يدعو الناس إلى عبادته، وسماه المهديّ، فكتب داعيه الكتاب، وكان اسمه حمزة، وذلك في سنة ٤١٠، وقرىء المبطلين علواً كبيراً ! - « الحمد لمولاي الحاكم وحده ! باسمك اللهم الحاكم بالحق ! » ثم

(١٣٦) « وفيات الأعيان » لابن خلكان ص ٢٩٥ ط دار صادر بيروت بتحقيق الدكتور احسان

تمادى، فقال : « توكلت على إلهي أمير المؤمنين - جل ذكره ! وبه نستعين في جميع الأمور ! » ثم طول في الكتاب بالتخليط : فمرة يجعله أمير المؤمنين، ومرة يجعله الإله، وقال فيه : « وأمرني باسقاط ما لا يلزمكم اعتقاده من الأديان الماضية، والشرائع الدارسة » وذكر أشياء يطول ذكرها. وكانت له راية حمراء تحت قصره، فاجتمع إليه خلق نحو خمسة عشر ألف رجل فيها قيل « (١٣٧) ».

هذا ولقد صرح البحاثة المؤرخ المصري الأستاذ محمد عبد الله عنان أن الحاكم كان وراء هذه الحركة الإلحادية والدعوة إلى ألوهيته وربوبيته، وكان يشجع الدعاة ويشد أزهرهم ويمدهم بالمال والنصح ويسهر على حمايتهم من الكافة، وكان يشرف على توجيه الدعوة ويشارك في تنظيمها وتغذيتها بطريقة فعلية « (١٣٨) ».

وقبل ذلك نقل المقرئ عن ابن أبي طي مثل هذا :

« وكان له سعى في إظهار كلمته، فبعث دعائه إلى خراسان وأقام فيها مذهب الشيعة واستجاب له عالم عظيم، فبعث إلى البلاد بالأموال في استمالة الرجال إلى ما يريد.

وكان أبو عبد الله أبوشكين النجاري الدرزي أول رجل تكلم بدعوته، وأمر برفع ماجاء به الشرع، وسير مذهب به إلى بلاد الشام والساحل، ولهم مذهب في كتمان السر لا يطلعون عليه من ليس منهم. وكان الدرزي يبيح البنات والأمهات والأخوات. فقام الناس عليه بمصر وقتلوه فقتل الحاكم به سبعين رجلاً. وأنفذ الدرزي إلى الحجر الأسود برجل ضربه وكسره

وادعى الربوبية. وقدم رجل يقال له يحيى اللباد، ويعرف بالزورني الاخرم، فساعدته على ذلك، ونشط جماعة على الخروج عن الشريعة.

(١٣٧) « البيان المغرب » ج ١ ص ٢٨٦.

(١٣٨) انظر « الحاكم بأمر الله » لمحمد عبد الله عنان ص ٣٠٦ ط مكتبة الخانجي - القاهرة.

وركب يوماً من القاهرة في خمسين رجلاً من أصحابه إلى مصر، ودخل الجامع بدابته، وأصحابه كذلك، فسلم إلى القاضي رقعة فيها : باسم الحاكم الرحمن الرحيم، فأنكر القاضي ذلك، وثار الناس بهم وقتلوهم، وشاع هذا في الناس فلعنوه. ويقال إنه خرج يوماً وعليه قباء اطلس وفي وسطه سيف، فخلع القباء وقال : هذا الظاهر قد خلعت، ثم جرّد السيف وقال : هذا الباطن قد سللته .

قال : وفي السنة التي أشاع فيها الحاكم أنه يريد أن ينزل في أول رمضان إلى الجامع ومعه الطعام، فمن أبى الأكل قتله، وكان دعائه إذا ركب يقولون : السلام عليك يا واحد يا أحد - ويغنون فيه الغلو المفرط . وادعى أنه حصل له كتاب الجفر «(١٣٩)» .

وقتل في شوال سنة إحدى عشرة وأربعمائة شر قتله دبّرته اخته ست الملك «(١٤٠)» وكانت عمره يوم ذاك ستاً وثلاثين سنة في جبل المقطم . «(١٤١)» .

وقيل : إنه قتل لتطاوله على المعتقدات الإسلامية، وتظاهره بالكفریات، وادعائه ما رسم له مؤسسو الإسماعيلية وبناتها لأنه قبض على شخص وعنده قطعة من جلد رأس الحاكم وقطعة من الفوطة التي كانت عليه، وأقر بأنه قتل الحاكم في جملة أربعة أنفس تفرقوا في البلاد .

ف قيل له : لم قتله ؟

فقال : غيرة لله وللإسلام «(١٤٢)» .

(١٣٩) « اتعاط الحنفاء » ج ٢ ص ١١٧ ، ١١٨ .

(١٤٠) « الكامل » لابن الاثير ج ٧ ص ١٠٥ ، « البداية والنهاية » ج ١٢ ص ١٠ « الخطط »

للمقريزي ج ٢ ص ٢٨٩ ، « اتعاط الحنفاء » للمقريزي ج ٢ ص ١١٧ « تاريخ ابن

خلدون » ج ٤ ص ٦١ ، « اخبار الدول » للقرمان ص ١٩٢ ط مكتبة المتنبى القاهرة ،

ايضاً « سير اعلام النبلاء » للذهبي ج ١٥ ص ١٨٣ ، « وفيات الاعيان » ج ٢

ص ٢٩٧ ، ٢٩٨ .

(١٤١) انظر « المراجع المذكورة » .

(١٤٢) انظر « الخطط » للمقريزي ج ٢ ص ٢٩١ .

بعد أن جعل ولاية عهده والزعامة الإسماعيلية وإمامتهم في عبد
الرحيم بن الياس بن المهدي، أحد أبناء عمومته (١٤٣).

وحرّم ابنه الوحيد عليا الملقب بالظاهر.

قتل الحاكم ولم يعثر على جثته.

الظاهر بن الحاكم

قامت أخت الحاكم ستّ الملك بأمور البلاد، وعزلت عبد الرحيم بن
الياس من ولاية العهد، وأقامت ابنه البالغ من العمر ست عشرة سنة علياً
مقامه، ولقبته بالظاهر وبويع له بالخلافة يوم عيد النحر سنة إحدى عشرة
واربعمئة وعمره ست عشرة سنة (١٤٤).

وكان يشرب الخمر ورخص فيه للناس وفي سماع الغنى وشرب
الفقاع فأقبل الناس على اللهو (١٤٥).

وأيضاً سنة ثمانى عشرة شرب الظاهر الخمر وترخص فيه للناس والغنى
واللهو فأقبل الناس على اللهو (١٤٦).

وبلغ المجنون في عصره إلى حد اضطّر المقيزي المتعاطف مع
الإسماعيلية إلى أن يقول :

(١٤٣) انظر « الخطط » للمقريزي ج ٢ ص ٢٨٨، « الاتعاظ » ج ٢ ص ١٠٠، ١٠١.
« النجوم الزاهرة » ج ٤ ص ١٩٣.

(١٤٤) انظر « الخطط للمقريزي » ج ١ ص ٧٣٥ « الاتعاظ » للمقريزي ج ٢ ص ١٢٤
ومثل ذلك في « وفيات الاعيان » لابن خلكان ص ٤٦٣، ٤٦٤ و « النجوم الزاهرة »
ج ٤ ص ٢٤٧، « البداية والنهاية » لابن كثير ج ١٢ ص ١٠ « الكامل » لابن الاثير
ج ٧ ص ٣٠٥.

(١٤٥) « الخطط » للمقريزي ج ١ ص ٣٥٤.

(١٤٦) « الاتعاظ » للمقريزي ج ٢ ص ١٢٩.

« ولخمس بقين من محرم كان ثالث فصيح النصارى، فاجتمع بقنطرة
المقس من النصارى والمسلمين في الخيام المنصوبة وغيرها خلق كثير طول
نهارهم في لهو وتهتك قبيح، واختلط الرجال بالنساء وهم يعاقرون الخمر،
حتى حملت النساء في قفاف الحمالين من شدة السكر، فكان المنكر شديداً في
هذا اليوم.

وركب الظاهر في موكب إلى المقس بعمامة شرب مفوطة بسواد، وثوب
ديبقي مدير بسواد، فدار هناك طويلاً وعاد «(١٤٧).

وذكر ابن عذارى المراكشى عن ابن سعدون أنه « كان مشتغلاً في
الشرب، منهمكا فيه، يلبس لباس النساء، حتى يظنه الناس إذا مشى معهن
امراً »(١٤٨).

وذكر النويري مثل ذلك انهاكه في الملذات وانغماسه فيها(١٤٩).

وكان وحشياً مثل آبائه، ولقد ذكر المؤرخون أن القحط بلغ ذراه في
عهده ومات الخلق جوعاً في مصر والشام، وقد كثرت الفتن والقلاقل والنهب
والسرقة والسلب لأجل ذلك، وأيام ماكان الناس يموتون جوعاً كان الظاهر
يخرج في موكبه بالرقاصين والمغنين، ولقد صور المقرئ في هذا القحط وعدم
مبالاته به والناس، بقوله :

« واشتد الغلاء والقحط بمصر، فبيع الخبز السميد رطلين بدرهم،
والحملة الدقيق بأربعة دنانير وثلثين، والتليس القمح بثلاثة دنانير، واللحم
أربع أواق بدرهم وعظم الموت سيما في الفقراء، وبلغ بالناس الجهد حتى أن
جزارا طرح عظماً لكلب فطرد رجل الكلب وأخذ العظم منه وابتلعه نيئاً،
وأكل المساكين الصماليخ من القنبيط واقتاتوا باليسير من كسب الرز وكسب

(١٤٧) « الاتعاظ » للمقرئ ج ٢ ص ١٣٧.

(١٤٨) « البيان المغرب » ج ١ ص ٢٨٧.

(١٤٩) انظر « نهاية الارب » الجزء الخاص بأخبار القرامطة.

السمسم، وغلت عامة الحبوب، وغلا الماء لتعذر علف الدواب وعدم من يستقى عليها، وبيعت راوية الجمل بثلاثة دراهم، ورواية البغل بدرهمين واشتدت المسغبة، وقدم الخبر بشدة الموت بدمشق، فمات من أهلها ألف.

وفي نصفه ركب الظاهر وشق مدينة مصر، وخلفه المقودون والمصطنعة، وبين يديه الرقاصون، فاستغاث الناس بضجة واحدة: الجوع يا أمير المؤمنين، الجوع، لم يصنع بنا هكذا أبوك ولا جدك، فإله الله في أمرنا. فارتجت البلد بالضجيج حتى نزل إلى قصر العزيز على البحر، فحضر أبو عبد الله محمد بن جيش بن الصمصامة الكتامي وقد أحتل عقله وحاله، فوقف تحت القصر وشتمه أقبح شتم، وبألف فيما شتم به، فضربه الرقاصون حتى سقط، وجروه برجله وسحبوه إلى السجن بالشرطة، فضربه مثولها ثلاثين درة واعتقله» (١٥٠).

ونقل عن ابن الرقيق أنه قال :

« وكان بمصر من الغلاء والشدة وعدم الاقوات ما لم ير مثله من زمن بعيد، بلغ الخبز، إذا وجد، رطلاه بدرهم، واللحم أربع أواق بدرهم، والرمانة الواحدة بدينار، وكان الناس في كل ناحية يصيحون بالجوع حتى يموتوا، ويكون مع الرجل جملة من الدنانير فيطلب من يشبعه خبزاً فلا يجده، هذا مع الموت الذريع والوباء الفظيع، وورد كتاب بعض ثقات التجار يصف أنه أحصى من مات ممن عرف وكفن ودفن من آخر شهر رمضان إلى بعض ذي القعدة فكانوا مائة ألف وسبعين ألف نفس. وأما الغريب ومن لا يعرف ومن يلقي في النيل ولا يجد من يقبره فأكثر من هذه العدة أضعافاً لا تحصى» (١٥١).

وكان مع هذا المجون والفسوق وعدم المبالاة بها للشعب يرى رأى آبائه

(١٥٠) «الانعاظ» ج ٢ ص ١٦٤، ١٦٥.

(١٥١) أيضاً ص ١٦٤، ١٦٥.

في العصبية المذهبية إلى أن ذكر المقرئ في حوادث سنة ست عشرة وأربعائة :

« فيها أمر الظاهر بنفى من وجد من الفقهاء المالكية وغيرهم . وأمر الدعاة أن يحفظوا الناس كتاب « دعائم الإسلام » وكتاب الوزير يعقوب بن كلس في الفقه على مذهب آل البيت وفرض الظاهر لمن يحفظ ذلك مالا . وجلس الدعاة بالجامع للمناظرة » (١٥٢) .

ومات سنة سبع وعشرين وأربعائة « عن استسقاء طال به من نيف وعشرين سنة ، وكانت مدته خمس عشرة سنة وتسعة أشهر وسبعة عشر يوماً وهو مشغول بملاذه ونزهه وسماع المغنى « وأمور الدولة بيد عمته أولا ، ثم وزيره ثانياً وأخيراً » (١٥٣) .

وذكر في خطه : « وكان مشغولاً باللهم ، فتأنق الناس في أيامه بمصر ، واتخذوا المغنيات والرقاصات ، وبلغوا من ذلك مبلغاً عظيماً » (١٥٤) .

ومات عن ولد له معدّ المكنى بأبى تميم الملقب بالمستنصر ، وعمره يومئذ سبع سنين . وكان عمره يوم وفاته اثنتين وثلاثين سنة إلا أياماً .

المستنصر أبو تميم معد بن الظاهر

وولى أبو تميم معد الملقب بالمستنصر سنة سبع وعشرين وعمره يومئذ سبع سنين وأمه أم ولد كانت أمة سوداء لتاجر يهودي يقال له أبو سعد سهل بن هارون التستري ، فابتاعها منه الظاهر واستولدها المستنصر ، فلما افضت الخلافة إليه استندت أمه أبا سعد ورقته درجة عليا (١٥٥) .

(١٥٢) أيضاً ص ١٧٥ .

(١٥٣) « اتعاظ الخفاء » ج ٢ ص ١٨٢ ، ١٨٣ .

(١٥٤) « الخطط » ج ١ ص ٢٥٥ .

(١٥٥) « الخطط » للمقرئ ص ٣٥٥ .

وقضى الامام الاسماعيلى الثامن في دور الظهور كل حياته محجوراً عليه
ليس له أمر ولا كلمة (١٥٦).

وقاسى محناً عظيمة (١٥٧).

وكان مستهتراً بالعقائد الإسلامية والمعتقدات الدينية « وكان من عاداته
من كل سنة أن يركب على النجب مع النساء والحشم إلى جب عميرة وهو
موضع نزهة . فيخرج إليه بهيئة أنه خارج إلى الحج على سبيل الهزء والمجانة
ومعه الخمر في الروايا عوضاً عن الماء يسقيه الناس ، كما يفعل بالماء في طريق
مكة » (١٥٨).

« أو كأنه ماء زمزم » (١٥٩).

وزاد المقرئى :

« وقد أنشد الشريف أبو الحسين على بن الحسين بن حيدرة العقيلي
المستنصر في ذلك صبيحة يوم عرفة .

قم فانحر الراح يوم النحر بالماء	ولا تضح ضحى إلا بصهباء
وادرك حبيج الندامى قبل نفرهم	إلى منى ، فصفهم مع كل هيفاء
وعج على مكة الروحاء مبتكراً	فطف بها حول ركن العود والناء » (١٦٠)

وقد ذكر ابن عذارى عن ابن سعودن أنه أرسل من كتب السب في
أستار الكعبة في ليلة ظلماء فأصبح الناس فوجدوه فضج المسلمون لذلك ،
وأكثروا البكاء لسب الصحابة رضى الله عنهم (١٦١).

(١٥٦) انظر « النجوم الزاهرة » ج ٥ ص ٢٣ .

(١٥٧) « تاريخ ابن اياس » ج ١ ص ٢١٩ .

(١٥٨) انظر « النجوم الزاهرة » ج ٥ ص ١٧ ، ١٨ .

(١٥٩) « الانتاعظ » ج ٢ ص ٢٦٥ .

(١٦٠) أيضاً .

(١٦١) « البيان المغرب » ج ١ ص ٢٨٧ .

وقال الامام الذهبي :

« وكان سب الصحابة فاشيا في أيامه والسنة غربية مكتومة حتى أنهم منعوا الحافظ ابن اسحاق الحبال من رواية الحديث وهددوه فامتنع » (١٦٢).

فسلط الله عليه الغلاء والقحط إلى حد تجاوز الوصف. وقد ذكره المؤرخون بتفاصيله، ونورد ههنا ما ذكره مؤرخ مصر أبو المحاسن ومثله في (الاتعاض) و (تاريخ ابن اياس) وغيرها، فيقول أبو المحاسن :

هذا والغلاء بمصر يتزايد، حتى أنه جلا من مصر خلق كثير لما حصل بها من الغلاء الزائد عن الحد، والجوع الذي لم يعهد مثله في الدنيا، فانه مات أكثر أهل مصر، وأكل بعضهم بعضاً. وظهروا على بعض الطباخين أنه ذبح عدة من الصبيان والنساء وأكل لحومهم وباعها بعد أن طبخها، وأكلت الدواب بأسرها، فلم يبق لصاحب مصر - أعني المستنصر - سوى ثلاثة افراس بعد أن كانت عشرة آلاف ما بين فرس وجمل ودابة. وبيع الكلب بخمسة دنانير والسنور بثلاثة دنانير، ونزل الوزير أبو المكارم وزير المستنصر على باب القصر عن بغلته وليس معه إلا غلام واحد، فجاء ثلاثة وأخذوا البلغة منه، ولم يقدر الغلام على منعهم لضعفه من الجوع فذبحوها وأكلوها، فأخذوا وصلبوا، فأصبح الناس فلم يروا إلا عظامهم، أكل الناس في تلك الليلة لحومهم. ودخل رجل الحمام فقال له الحمامي : من تريد أن يخدمك سعد الدولة أو عز الدولة أو فخر الدولة ؟ فقال له الرجل : أتهزأ بي ؟ فقال : لا والله، أنظر اليهم، فنظر فاذا أعيان الدولة ورؤساؤها صاروا يخدمون الناس في الحمام لكونهم باعوا جميع موجودهم في الغلاء واحتاجوا إلى الخدمة.

وأعظم من هذا أن المستنصر الخليفة صاحب الترجمة باع جميع موجوده

(١٦٢) « سير اعلام النبلاء » للذهبي ج ١٥ ص ١٩٦ ..

وجميع ماكان في قصره حتى أخرج ثياباً كانت في القصر من زمن الطائع الخليفة العباسي، لما نهب بهاء الدولة دار الخليفة في احدى وثمانين وثلثمائة، وأشياء آخر أخذت في نوبة البساسيري، وكانت هذه الثياب التي خلفاء بني العباس عند خلفاء مصر يحتفظون بها لبغضهم لبني العباس، فكانت هذه الثياب عندهم بمصر بسبب المعيرة لبني العباس.

فلما ضاق الامر على المستنصر أخرجها وباعها بأبخس ثمن لشدة الحاجة. وأخرج المستنصر أيضاً طستا وابريقاً بلوراً يسع الابريق رطلين ماء، والطست أربعة أرطال، وأظنه بالبغدادى، فبيعا باثنى عشر درهما فلوساً، ثم باع المستنصر من هذا البلور ثمانين ألف قطعة.

وأما ما باع من الجواهر والياوقيت والخسروانى فشيء لا يحصى. وأحصى من الثياب التي بيعت في هذا الغلاء من قصر الخليفة ألف ثوب، وعشرون ألف درع، وعشرون ألف سيف محلى، وباع المستنصر حتى ثياب جواريه وتحوت المهود، وكان الجند يأخذون ذلك باقل ثمن، وباع رجل دارا بالقاهرة كان اشتراها قبل ذلك بتسعمائة دينار بعشرين رطل دقيق. وبيعت البيضة بدينار، والإردب القمح بمائة دينار في الأول. ثم عدم وجود القمح أصلاً. وكان السودان يقفون في الازقة يخطفون النساء بالكلايب ويشرحون لحومهن ويأكلونها، واجتازت امرأة بزقاق القناديل بمصر وكانت سميئة، فعلقها السودان بالكلايب وقطعوا من عجزها قطعة، وقعدوا يأكلونها وغفلوا عنها، فخرجت من الدار واستغاثت، فجاء الوالى وكبس الدار فأخرج منها ألوفاً من القتلى، وقتل السودان، واحتاج المستنصر في هذا الغلاء حتى أنه أرسل فأخذ قناديل الفضة والستور من مشهد ابراهيم الخليل (عليه السلام).

وخرجت امرأة من القاهرة في هذا الغلاء ومعها مد جوهر، فقالت : من يأخذ هذا ويعطيني عوضه دقيقاً أو قمحاً، فلم يلتفت إليها أحد، فألقته في الطريق وقالت : هذا ما ينفعني وقت حاجتي فلا حاجة لي به بعد اليوم،

فلم يلتفت إليه أحد وهو مبدد في الطريق» (١٦٣).

وزاد المقریزی :

« وآل أمر الخليفة المستنصر إلى أن صار يجلس على نخ أو حصير، وتعطلت دواوينه وذهب وقاره، وخرج نساء قصوره ناشرات شعورهن يصحن : الجوع الجوع، وهن يردن المسير إلى العراق، فتساقطن عند المصل بظاهر باب النصر من القاهرة، ومتن جوعاً، جاء الوزير يوماً على بغلة فاكلها العامة، فامر بهم فشنقوا، فاجتمع الناس على المشنوقين وأكلوهم. وعدم المستنصر القوت جملة حتى كانت الشريفة بنت صاحب السبيل تبعث إليه كل يوم بقعب من فتيت من جملة ما كان لها من البر والصدقات في سني هذا الغلاء، حتى انفقت مالها كله، وكان يجل عن الاحصاء، في سبيل البر، فلم يكن للمستنصر قوت سوى ما كانت تبعث به اليه، وهو مرة واحدة في اليوم لا يجد غيره، وبعث بأولاده إلى الاطراف لعدم القوت، فسير الأمير عبد الله إلى عكا فترل عند أمير الجيوش، وأرسل الأمير أبا علي معه وبعث الأمير أبا القاسم والد الحافظ إلى عسقلان، سيره أولاً إلى دمياط، ولم يترك عنده سوى ابنه أبي القاسم أحمد ». (١٦٤).

ونزحت أم المستنصر وبناته إلى بغداد خوفاً من أن يمتن جوعاً» (١٦٥).

ويقولون : إنه مات في هذا الغلاء والقحط أكثر أهل الاقليم (١٦٦).

وثلاث أهل مصر عند ابن اياس (١٦٧).

أو النصف (١٦٨).

(١٦٣) « النجوم الزاهرة » ج ٥ ص ١٥، ١٦، ١٧ « تاريخ ابن اياس » ج ١ ص ٢١٦

مابعد « الانتاعظ » ج ٢ ص ٢٧٩ ومابعد .

(١٦٤) انظر « الانتاعظ » ج ٢ ص ٢٩٨ .

(١٦٥) « النجوم الزاهرة » ج ٥ ص ٢ .

(١٦٦) « الانتاعظ » ج ٢ ص ٣٠٠ .

(١٦٧) انظر : « تاريخ ابن اياس » ج ١ ص ٢١٨ .

(١٦٨) المرجع السابق أيضاً .

هذا وفي أيامه قطعت الدعوة الاسماعيلية من المغرب، وكذلك من مكة والمدينة والبلاد الأخرى الكثيرة، وأقيم فيها الدعوة للخليفة العباسي ببغداد. ومات سنة سبع وثمانين وأربعمائة بعد أن ترك الأولاد الأربعة أكبرهم نزار، وأصغرهم أحمد.

أبو القاسم أحمد بن المستنصر المتلقب بالمستعلي

لما مات المستنصر بادر الأفضل قام الوزير أفضل شاهنشاه، وأجلس ابنه الأصغر أحمد على عرش البلاد ولقبه بالمستعلي، وأحضر إليه نزارا وعبد الله واسماعيل أولاد المستنصر، فلما حضروا وشاهدوا أخاهم أحمد وكان أصغرهم، قد جلس على تخت الخلافة أنفوا من ذلك. فأمرهم الأفضل بتقبيل الأرض وقال لهم : تقدموا وقبلوا الأرض لله تعالى ولمولانا المستعلي بالله وبايعوه، فهو الذي نص عليه الامام المستنصر، قبل وفاته، للخلافة بعده، فامتنعوا من ذلك، وقال كل منهم : إن والده وعده بالخلافة، وقال نزار : أن قطعت ما بايعت من هو أصغر سنا مني، وخطّ والذي عندي بأني ولي عهده وأنا أحضره، وخرج مسرعاً ليحضر الخط، فمضى من حيث لا يشعر به أحد وتوجه في خفية إلى الاسكندرية. فلما أبطأ أرسل الأفضل من يستعجله بالحضور، فلم يوجد، وفتش عليه في القصر فلم يوقف له على خبر ولا عرف كيف توجه فاضطرب الأفضل لذلك وانزعج انزعاجاً شديداً.

وقوم يذكرون أن المستنصر كان قد أجلس ابنه أبا المنصور نزاراً، لأنه أكبر أولاده، وجعل إليه ولاية العهد من بعده، فلما قربت وفاته أراد أن يأخذ له البيعة على رجال الدولة، فتقاعد له الأفضل ودافع حتى مات، وذلك أنه كانت بينه وبين نزار مباينة وكان في نفس كل منهما مباينة من الآخر لأمر، منها أن نزارا خرج ذات يوم من بعض أماكن القصر فوجد الأفضل قد دخل

أبواب القصر وهو راكب، فصاح به : « انزل يا ارمى يا نجس » فحقدتها
الأفضل عليه وظهرت كراهة أحدهما للآخر» (١٦٩).

وكان عمره آنذاك عشرين سنة.

وفي أيامه انقسمت الاسماعيلية إلى قسمين : اتباع أخيه الأكبر وعلى
رأسهم الحسن بن صباح وغيره، والمستعلية الذين تبعوه واعترفوا بامامته
وزعامته (١٧٠).

وحارب الأفضل نزارا ومن يواليه وقبض على افتكين ونزار، وأرسلهما
إلى المستعلی فقتل المستعلی افتكين بيده وبني على أخيه نزار حائطاً، وهو تحته
إلى الآن (١٧١).

وقال المقرئزي :

« وفي أيامه اختلت دولتهم وضعف أمرهم ، وانقطعت من أكثر مدن
الشام دعوتهم وانقسمت البلاد الشامية بين الأتراك الواصلين من العراق
وبين الفرنج ، فإنهم ، خذلهم الله ، دخلوا بلاد الشام ، ونزلوا على انطاكية في
ذی القعدة سنة تسعين وأربعمائة وتسلموها في سادس عشر رجب سنة احدى
وتسعين ، وأخذوا معرة النعمان في سنة اثنتين وتسعين ، وأخذوا الرملة ثم
بيت المقدس في شعبان ، ثم استولوا على كثير من بلاد الساحل ، فملكوا
قيسارية في سنة أربع وتسعين وأربعمائة » بعد ما ملكوا عدة بلاد.

وفي أيامه أيضاً افترقت الاسماعيلية فصاروا فرقتين : نزارية ، تعتقد
امامة نزار وتطعن في امامة المستعلی ، وترى أن ولد نزار هم الائمة من بعده
يتوارثونها بالنص والفرقة المستعلوية ، ويرون صحة امامة المستعلی ومن قام

(١٦٩) « اتعاظ الخفاء » ج ٣ ص ١١ ، ١٢ « النجوم الزاهرة » ج ٥ ص ١٤٢ « تاريخ ابن

اياس » ج ١ ص ٢٢٠ وما بعد « الكامل » لابن الاثير ج ٨ ص ١٧٣ .

(١٧٠) وسوف نفصل القول في هذا الباب الأخير « الاسماعيلية : زعمائها وفرقها » .

(١٧١) « النجوم الزاهرة » ج ٥ ص ١٤٤ .

بعده من الخلفاء بمصر. وبسبب ذلك حدثت فتن وقتل الافضل فيما يقال وقتل الأمر، كما يأتي ذكره إن شاء الله تعالى.

ولم يكن للمستعلى سيرة فتذكر، فان الافضل كان يدبر أمر الدولة تدبير سلطنة وملك لا تدبير وزارة» (١٧٢).

وأقام المسيحيون مذابح في المسلمين بالقدس فذبحوا خلقاً وأسروا خلقاً، وسبوا الذراري والنساء وقال الشعراء في هذه الواقعة قصائد كثيرة، منها ما نقله أبو المحاسن :

« احل الكفر بالإسلام ضيماً	يطول عليه للدين النحيب
فحق ضائع وحى مباح	وسيف قاطع ودم صبيب
وكم من مسلم امسى سليباً	ومسلمة لها حرم سليب
وكم من مسجد جعلوه ديراً	على محرابه نصب الصليب
دم الخنزير فيه لهم خلوق	وتحريق المصاحف فيه طيب
أمور لو تأملهن طفل	لطفل في عوارضه المشيب
اتسبى المسلمات بكل ثغر	وعيش المسلبين اذا يطيب
أما لله والإسلام حق	يدافع عنه شبان وشيب
فقل لذوى البصائر حيث كانوا	أجيبوا الله وبحكم أجيبوا» (١٧٣)

ومات المستعلى سنة خمس وتسعين وأربعمائة وعمره سبع وعشرون سنة، وخلف من الأولاد ثلاثة أبو على المنصور، جعفر وعبد الصمد، وقيل : مات مسموماً، وقيل : بل قتل سرّاً (١٧٤)

(١٧٢) «الاتعاض» ج ٣ ص ٢٧، ومثل ذلك في النجوم «الجوم الزاهرة» ج ٥ ص ١٤٥.

(١٧٣) أيضاً ص ١٥١، ١٥٢.

(١٧٤) انظر «الاتعاض» ج ٣ ص ٢٧، ٢٨ «سير اعلام النبلاء» ج ١٥ ص ١٩٧.

وقال أبو المحاسن :

« إنه (أي المستعلى) كان مع تقاعده عن الجهاد وتهاونه في أخذ البلاد متغالياً في الرفض والتشيع ، كان يقع منه الأمور الشنيعة في مآثم عاشوراء ، ويبالغ في النوح والمآثم ويأمر الناس بلبس المسوح وغلق الحوانيت واللطيم والبكاء زيادة عما كان يفعله آباؤه ، مع أن الجميع رافضة ، ولكن التفاوت نوع آخر » (١٧٥)

أبو علي المنصور المتلقب بالآمر

ولى بعد المستعلى امامة الاسماعيلية وزعامتها أبو علي المنصور يوم مات أبوه سنة خمس وتسعين وأربعمائه ، وهو طفل ، له من العمر خمس سنين وأشهر وأيام ، في يوم الثلاثاء سابع عشر صفر سنة خمس وتسعين وأربعمائه حضره الأفضل بن أمير الجيوش وبايع له ونصبه مكان أبيه ونعته بالآمر بإحكام الله وركب الأفضل فرساً وجعل في السرج شيئاً واركبه عليه لينمو شخص الأمر وصار ظهره في حجر الأفضل » (١٧٦).

وكان متظاهراً بالمكر واللهو الجبروت (١٧٧).

ونقل أبو المحاسن عن الذهبي أنه قال :

كان رافضياً كآبائه فاسقاً ، ظالماً ، جباراً ، متظاهراً بالمنكر واللهو ذا كبر وجبروت (١٧٨).

(١٧٥) « النجوم الزاهرة » ج ٥ ص ١٥٣ .

(١٧٦) « الخطط » للمقرئ ج ٢ ص ٢٩٠ .

(١٧٧) « وفيات الاعيان » ج ٥ ص ٣٠٠ .

(١٧٨) « النجوم الزاهرة » ج ٥ ص ١٧٠ .

وقال ابن اياس بترجمته :

« وكان صغير السن ، طائش العقل ، تجاهر بالمنكرات ، واشتغل بسماع الزمور ، وشرب الخمر ، وأنشأ له قصرأ بالروضة ، على شاطئ النيل ، وسماه : الهودج ، وأنشأ حوله بستاناً ، وسماه : المختار ، وصار ينزل إلى ذلك القصر ، واشتغل به عن أحوال المملكة ، وصار الناس مثل الغنم بلا راع ، فعند ذلك اضطربت أحوال مصر » (١٧٩).

وبذلك قال المقرئزي أيضاً :

« وكان جريئاً على سفك الدماء وارتكاب المحظورات واستحسان القبائح » (١٨٠) وقال الذهبي في سيره : كان خبيث المعتقد ، سفاكاً للدماء ، متمرداً ، سفاحاً ، جباراً ، فاحشاً ، فاسقاً ، صادر الخلق (١٨١).

وقتل سنة أربع وعشرين وخمسمائة ، قتله النزاريون على الجسر إلى الجزيرة (١٨٢).

وقال المقرئزي :-

« وكان الأمر كثير الفرج محبا للهو ، فركب في يوم الثلاثاء الرابع من ذي القعدة يريد أن يجرى إلى الهودج الذي بناه بجزيرة مصر لمحبوته البدرية ، ومن العادة في الركوب أن يشاع في ارباب الخدم بالموكب جهة قصد الخليفة حتى لا يتفرقوا عنه ، فعلم النزارية اين يقصد فجاءوا إلى الجزيرة المذكورة ودخلوا فرناً قبالة الطالع من الجسر إلى البر ، ودفعوا إلى الفران دراهم ليعمل لهم فطيراً بسمن وعسل ، فبينما هم في أكله وإذا بالخليفة الأمر قد عبر من

(١٧٩) « تاريخ ابن اياس » ج ١ ص ٢٢١ .

(١٨٠) « الخطط » للمقرئزي ج ٢ ص ٢٩١ .

(١٨١) « سير اعلام النبلاء » للذهبي ج ١٥ ص ١٩٩ .

(١٨٢) « النجوم الزاهرة » ج ٥ ص ١٧٢ « الكامل » لابن الاثير ج ٨ ص ٣٣٢ « سير اعلام

النبلاء » ج ١٥ ص ١٩٩ .

كرسى الجسر بمصر وجاز عليه وقد تفرق عنه الركابية ومن يصونه بسبب ضيق الجسر. فلما طلع من الجسر يريد العبور إلى الجزيرة وثبوا عليه وثبة رجل واحد وضربوه بالسكاكين، وواحد منهم صار خلفه على كفل الدابة وضربه عدة ضربات. فادركهم الناس وقتلوه، وكانوا تسعة، وحمل الأمر في عشارى إلى اللؤلؤة، وكانت أيام النيل، فمات من يومه، وحمل من اللؤلؤة وهو ميت إلى القصر.

وكان عمره يوم قتل أربعاً وثلاثين سنة وتسعة أشهر واثنين وعشرين يوماً، ومدة خلافته تسع وعشرون سنة وثمانية أشهر وخمسة عشر يوماً^(١٨٣). بدون أن يترك خلفاً له وبدون عقب على قول أكثر المؤرخين مثل ابن الاثير^(١٨٤) وابى المحاسن^(١٨٥) وابن خلكان^(١٨٦) والذهبي^(١٨٧) وابن اياس^(١٨٨) وغيرهم.

وترك ولداً ولكن قتله عبد المجيد المتولى بعده على رأى البعض^(١٨٩).

ولكن الاسماعيلية الطيبة أو البهرة أو المستعلية ينكرون هذا، ويقولون : إنه ولد له ولد وسماه الطيب وكنّاه بأبى القاسم وجعل الامامة فيه وأخبر بذلك السيدة خرة الملكة الصليحية ملكة اليمن والراعى ذؤيب.

« وعاد الامام (عليه السلام) إلى قصره ودخل القصر متكئاً على ابن عمه عبد المجيد بن محمد المستنصر بالله ﷺ وأمر عند دخوله القصر باحضار حججه وابوابه والخلعاء من دعائه وأوليائه واصحابه فجدد النص على ولده الامام الطيب ابى القاسم أمير المؤمنين ﷺ وأخذ البيعة له بعد أن كان نص

(١٨٣) « الاتعاظ » للمقرئ ج ٣ ص ١٣٠ ، ١٣١ .

(١٨٤) « الكامل » ج ٨ ص ٢٣٢ .

(١٨٥) « النجوم الزاهرة » ج ٥ ص ٢٣٧ .

(١٨٦) « وفيات الاعيان » ج ٣ ص ٢٣٦ ، ٢٣٧ .

(١٨٧) « سير اعلام النبلا » ج ١٥ ص ٢٠١ .

(١٨٨) « تاريخ ابن اياس » ج ٢ ص ٢٢٤ .

(١٨٩) انظر « الاتعاظ » للمقرئ ج ٣ ص ١٢٨ ، ١٤٦ .

عليه يوم ولادته في السجل الشريف المصدور إلى الحرة الملكة السيدة الطاهرة الرضية الزكية واحدة الزمن . سيدة ملوك اليمن ، عمدة الاسلام ، خالصة الامام ذخيرة الدين ، عدة المؤمنين ، كهف المستجيبين ، وولية أمير المؤمنين ، كافلة أوليائه الميامين السيدة بنت أحمد بن محمد بن القاسم الصليحي ، قدس الله روحها ، ورزقنا شفاعتها ، وأودع ابن عمه عبد المجيد قصره وظاهر ملكه بعد أن أخذ البيعة عليه وتأكيدها أنه حافظ لما في يديه للامام الطيب ابي القاسم أمير المؤمنين ، وسلم إليه جميع ما أمر بأن يؤديه اداء الثقة الأمين . واحضر ابن مدين وكان لديه صلوات الله صاحب المنزلة العلية ، والقائم بالرتبة العظيمة البابية ، الأمين . واستودعه الأمر لولده الامام الطيب ابن القاسم أمير المؤمنين . وأعلم انه مقتول بعده ، وأمره أن يستودع صهره أبا على القائم بعده بالرتبة البابية ، والخالف له في منزلتها السنية ، وأن يكون ذلك الأمر لديه وديعة لولده الامام الطيب عليه السلام وأن يستر بستره ولا يخالف شريف أمره » (١٩٠) .

ولكنهم لم يستطيعوا إثبات وجوده ولا أين كان مكوثه وقيامه بعدئذ ومتى وأين كان وفاته اللهم إلا الخزعبلات والترهات واللجوء إلى الأدلة التي هي أوهى من بيت العنكبوت وإن أوهى البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون .

فعلى الأمر كان نهاية الامامة الاسماعيلية عند طائفة لانه لم يتول بعده إلا الكفلاء الأربعة ، الحافظ عبد المجيد والظافر اسماعيل بن الحافظ والفائز عيسى بن الظافر والعاضد عبد الله بن الحافظ .

فان هؤلاء لا يعدون من الائمة الاسماعيلية على رأى جميع طوائف الاسماعيلية ويعد دورهم دور الكفلاء ، لا دور الائمة . وعلى ذلك كان آخر الائمة في دور الظهور هو الأمر بن المستعلى ، وبه انتهى ذلك الدور ثم بدأ

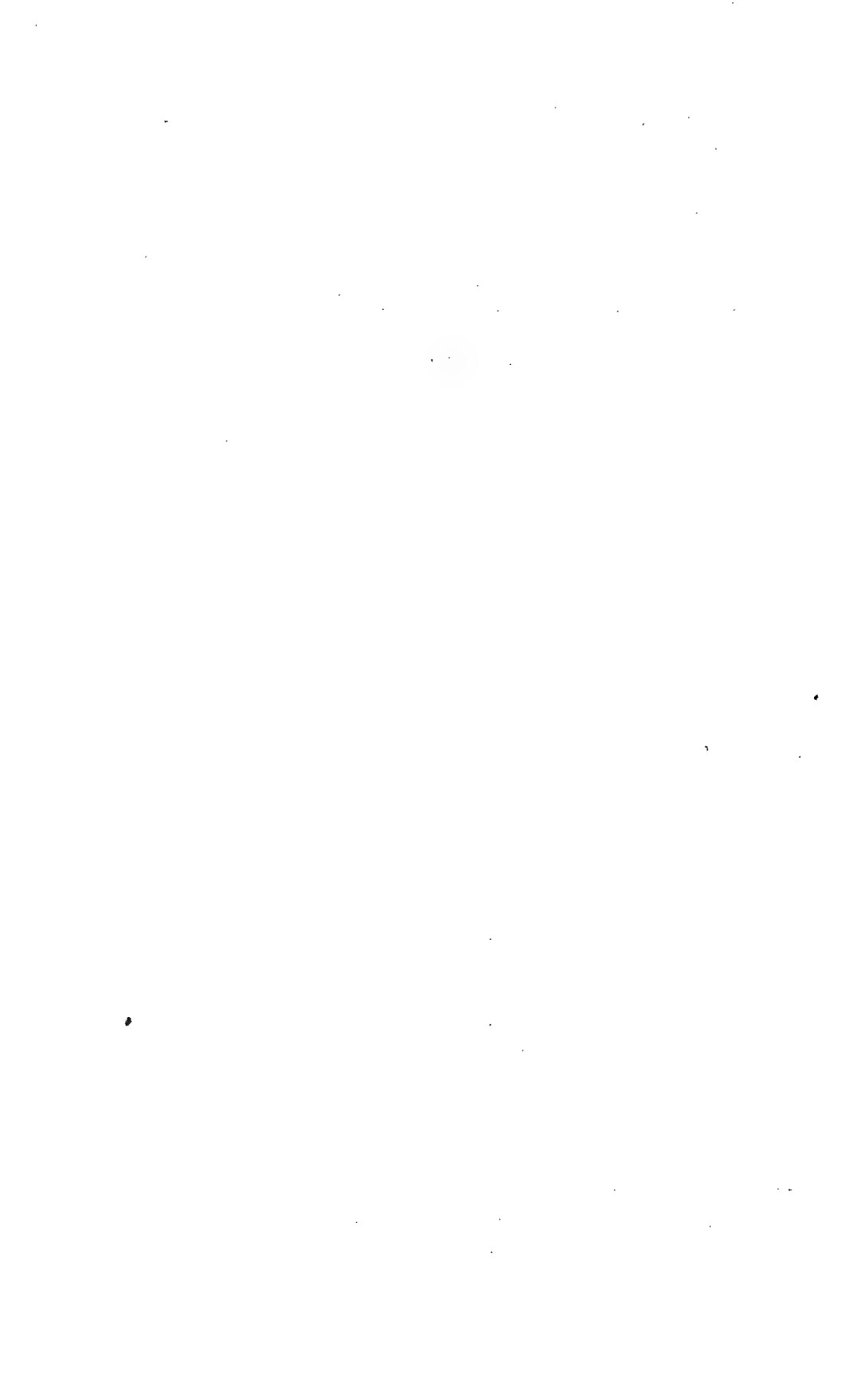
(١٩٠) « كتاب الازهار » للداعى نوح بن حسن الهندى ص ٢٤٣ ، ٢٤٤ ومثله في « عيون الاخبار » للداعى ادريس عماد الدين ، السبع السابع ص ٣٤٨ ، نسخة خطية .

دور الستر مرة ثانية عند من يعتقد بولد الأمر الطيب ابى القاسم وهؤلاء
يسمون الطيبية .

وأما النزارية الطائفة الاسماعيلية الأخرى فانهم يعدّون المستنصر آخر
الائمة في دور الظهور ولا يؤمنون بامامة المستعلى ولا الأمر ابنه (١٩١).

وهكذا انتهى دور ظهور الائمة الاسماعيلية الذي بدأ سنة سبع وتسعين
ومائتين يوم تسلط المهدي الاسماعيلي على المغرب وانتهى سنة أربع وعشرين
وخمسمائة يوم قتل الأمر بدون عقب أو عقب مستتر.

(١٩١) ولقد نذكر بعض هذه الخلافات في الباب الآخر من هذا الكتاب كما سنذكر التفاصيل
في الجزء الثاني من هذا الكتاب فانه مخصص لذكرها وبيانها، إن شاء الله .



الباب الثالث

بسم الله الرحمن الرحيم

نسب الأئمة الاسماعيليين

لا يمكن لأحد من الباحثين الذين يبحثون في الاسماعيلية ويكتبون عنها أن يتجنب مسألة النسب للأئمة الاسماعيلية في دور الكشف والظهور لما لها من أهمية بالغة، حيث أنها أساس هذا المذهب وهذه الديانة، لأننا كما ذكرنا سابقاً أن عامة الشيعة بجميع طوائفها لا يرون الامامة إلا في أولاد علي رضي الله عنه وأعقابيه وأنها منحصرة فيهم إلى يوم القيامة.

« فاختصهم بالفضل والكرامة وجعل الحجة والامامة فيهم فلم تزل عليهم تقتصر^(١) ».

وكل شخص آخر مهما كثرت فضائله، وجلت محاسنه ومناقبه، وعلت حسناته ومآثره ومفاخره لا يستحق الامامة ولا يتأهل لها. وكل من ينتصب أو يتصدى لها أو يدعيها لا يكون إلا مبطلاً ظالماً غاصباً لأنها حق لأسرة مقدسة وبيت مقدس. من بيت علي وفاطمة المعنى والمعبر عنها بأهل البيت كما نقلوا عن جعفر بن محمد أنه قال :

(١) « الارجوزة المختارة » للقاظمي نعمان ص ٣٠ تحقيق اسماعيل قربان ط مونتريال كندا ١٩٧٠.

«أشرك من ترأس علينا أن الرياسة لا تكون إلاننا»^(٢).

ومن كان خارج هذا البيت وهذه الأسرة لا يلتفت إلى أية صفات يتحلل بها وأية مؤهلات يحملها من العلم، والمروءة، والشجاعة، والتقوى، والطهارة وغيرها من مزايا الشرف وخصال الفضيلة، ولاضير إن عدت هذه الأوصاف، بعضها أو كلها فيمن ينتسب إلى تلك الأسرة لأنها تنعم عليه بالعصمة، لا بمعنى أن لا يذنب، ولا يقترب الجريمة، بل المقرفات والسيئات لا تكسبه الأثم ولا تحط عليه وزرا، فالمعصوم من يكون محفوظاً، لا عن المعاصي والمآثم والجرائم، بل المحفوظ من الاعتراض في الدنيا والعقاب في الآخرة، فله أن يفعل ما يشاء ويعمل ما يريد. وخاصة عند الاسماعيلية كما صرح بذلك قاضي قضاة الاسماعيلية الأول نعمان بن محمد المغربي في كتابه (كتاب الهمة في آداب اتباع الأئمة) في فصل خاص عنونه بعنوان : ذكر النهي عن انكار أفعال الأئمة :

« أدّبوا أنفسكم أيها المؤمنون، وانهوها عما تنكره من أفعال الأئمة وسلموا كما أمركم الله تعالى بالتسليم لهم، وأطيعوهم كما افترض الله عليكم طاعتهم، واحذروا خلافهم والاعتراض عليهم »^(٣).

وذكر قبل ذلك أيضاً بالتفصيل والتمثيل :

« فالحذر عباد الله الحذر من انكار ما تروونه وتشاهدونه من أمرهم وفعلهم، واغضائهم، وانكارهم وتصرف الأحوال بهم، وعن أمرهم بالسنتكم أو بقلوبكم أو بخواطر أنفسكم، وعليكم ما حملتم، وسلموا لهم ما حملوا تغبطوا وتسعدوا وتسلموا فمن أنكر هذا على أولياء الله فأنما أنكره على الله تعالى لأن أمر الله تعالى في ذلك قد خولف، كما خولف أمر أولياء الله الذين أمرهم من أمره، ونهيه من نهيه. وما ينكره من أمور الأئمة من لا دين له يرجع إليه، ولا تمييز له يقتصر عليه، ولا عقل له من ذلك

(٢) كتاب الهمة في آداب اتباع الأئمة ص ١٣١ نشر وتحقيق د- محمد كامل حسين ط دار الفكر العربي - القاهرة.

يردعه لو ذكرناه لطال بنا الشرح، وخرج عن مقدار هذا الكتاب وحده
والوصايا فيه والتحذير منه، وقد جاء عن بعض الدعاة إلى الأئمة صلوات
الله عليهم قول يعبر عن جميع ذلك ويأتى على جملة، وذلك أن بعض الأولياء
من خراسان سأل داعيه الاذن له في المصير إلى بعض الأئمة صلى الله عليهم
وسلم فلم يأذن له في ذلك فألح عليه فقال له : ويحك مقامك هاهنا أسلم
لك وأعفى . قال : وكيف ذلك ؟

قال : أنت هاهنا على يقين ومعرفة بامامك والأئمة صلى الله عليهم
وسلم لما ظهروا لظهور أمر الله لم تقم أمورهم إلا بمعاملة أهل الدنيا بالدنيا
وأخشى عليك إن أنت صرت إلى دار الامام أن ترى بعض ذلك فتنكره
بلسانك أو بقلبك فتهلك ويحبط عملك، قال : ماكنت بالذي أنكر شيئاً من
ذلك ماكان . فألح عليه في الاذن فقال : إن لم يكن في ذلك بد فأخذ عليك
العهد كما أخذته أولاً أنك إن رأيت الامام بعينك يزنى ويشرب الخمر ويأتى
الفواحش - وقد أعاذ الله الأئمة من ذلك - أنك لا تنكر ذلك بقلبك ولا
بلسانك، ولا يخالجك الشك فيه أنه صواب وحق، قال : نعم فخذ علىّ،
فأخذ في ذلك عليه، قال الرجل : فوالله لولا ما كان منه إلىّ في ذلك لهلكت
كما قال، ولكن إذا رأيت أمراً أنكره ذكرت ماكان منه «(٣).

وعلى ذلك للنسب أهميته الكبرى في اثبات الامامة وعدمها، وقطع
النظر عن المسببات والمتطلبات .

وزيادة على ذلك حينما يكون الامام مهدياً أيضاً أو مدعياً المهدي بالذات
تزداد أهمية هذه المسألة أكثر من ذلك بكثير، حيث أن المهدي لا يكون
مستنده الأول القطعي، ودليله القاطع البدهى إلا كونه من أهل البيت كما
يسردون في ذلك أحاديث كثيرة كثيرة، وقد خصصت لها مؤلفات ومصنفات
وكتب ورسائل . وسنذكر نبذة من هذه الروايات في محلها من هذا الباب إن
شاء الله .

(٣) « كتاب الهمة » للقاضي النعمان ص ١٣٠ ، ١٣١ . ويأتى تفصيل هذه المسألة في محله إن
شاء الله .

فالأرومة هذه هي محك الصدق والكذب، وسند الاعتبار وعدمه، والفرقان بين الحق والباطل. وبين المحق والمبطل.

وبناء على ذلك نغير الاهتمام الخاص لمسألة النسب. وقبل أن نسرّد الآراء المتعارضة والنصوص المتضاربة في هذا الخصوص نوّد أن نثبت أولاً ما قاله أئمة الأنساب وعارفو الأحساب، وذكره حفظتها من جهابذة هذا الفن ومهرته في أولاد وأعقاب محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق إمام الاسماعيلية الأول المستور الذي إليه ادعى انتسابه، وبطريقه إلى الحسين وفاطمة بنت الرسول صلوات الله وسلامه عليه، المهدي عبيد الله أو عبد الله إمام الاسماعيلية الأول لدور الكشف والظهور، ومؤسس الدولة الفاطمية في المغرب ثم من بعثه في مصر، وبذلك ينجلي كثير من الخفاء والغموض الذي أحاط بهذه المسألة ويسهل الاهتداء إلى الحقيقة والصواب لمن أراد التبصر والهداية.

فيقول النسابة الشهير علي بن حزم الظاهري - وهو معاصر للأئمة الاسماعيلية في دور ظهورهم - تحت ذكر ولد اسماعيل بن جعفر الملقب بالصادق ابن محمد الباقر :

« وولد اسماعيل بن جعفر : علي، ومحمد فقط، وإمامة هذا تدعى القرامطة والغلاة بعد أبيه اسماعيل، وكانت أم محمد هذا أم ولد، وأم علي هذا أم ابراهيم بنت ابراهيم بن هشام . . . فولد محمد بن اسماعيل بن جعفر بن محمد : جعفر واسماعيل لأم ولد، منهم بنو الحسين البغيض بن محمد بن جعفر بن محمد بن اسماعيل بن جعفر بن محمد (الباقر) بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب » (٤).

ويمثل ذلك ذكر النسابة الشيعي المعروف جمال الدين أحمد بن عنبه الحسيني في كتابه (عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب) تحت عنوان :

(٤) « جهرة أنساب العرب »، للحافظ ابن حزم المولد ٣٨٤ المتوفي ٤٥٦ ص ٦٠ ط دار الكتب العلمية اللبنانية الطبعة الأولى ١٩٨٣ م.

عقب محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق : فقال :

« وأعقب محمد بن اسماعيل بن جعفر رجلين : اسماعيل الثاني، وجعفر الشاعر. أما جعفر الشاعر ابن محمد بن اسماعيل فمن ولده بنو البغيض وهو جعفر بن الحسن بن محمد (الملقب بالحبيب) بن جعفر (أي الشاعر) بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق (عليه السلام) وابنه الملقب بنعيش، وهم عدد كثير بمصر، قال الشيخ أبو الحسن العمري : ومنهم من هو بالمغرب، وربما كانوا قد أولدوا، ومن ثم يجب أن لا يكذب من ينسب إليه، بل يطالبه بصحة دعواه، وهم ثلاثة نفر : أحمد أبو الشلعلع، وجعفر، واسماعيل بنو محمد (أي الحبيب) بن جعفر (أي الشاعر) بن محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق »^(٥).

وبذلك قال الكاتب والمؤرخ والنسابة المصري المشهور أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي في كتابه (نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب) عند ذكر نسب المهدي الاسماعيلي أنه :

« ابن محمد الحبيب بن جعفر المصدق بن محمد المكتوم بن اسماعيل الامام ابن جعفر الصادق بن محمد الباقر ابن علي زين العابدين بن الحسين السبط ابن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه »^(٦).

ويمثل ذلك ذكر أكثر أهل العلم والمعرفة بالأنساب في الكتب التي تبحث عن الأنساب والأحساب.

فهذا هو العقب الذي أعقبه اسماعيل بن جعفر الصادق ومحمد بن اسماعيل الامامان الاسماعيليان السادس والسابع، وفي ضوء ذلك نعرض مقولات الاسماعيلية وغير الاسماعيلية الذين حاولوا اثبات نسب المهدي

(٥) « عمده الطالب في » أنساب آل أبي طالب » لابن عنبه المتوفي سنة ٨٢٨ هـ ص ٢٣٤ ط دار الطبعة الحيدرية. نجف.

(٦) « نهاية الأرب للقلقشندي » ص ١٣٧ . ١٣٨ ط مطبعة النجا بغداد ١٩٥٨ م.

الاسماعيلي إلى محمد بن اسماعيل الامام الاسماعيلي المستور الأول، ومنه إلى الحسين بن علي رضي الله عنهم، ونحلل آراءهم، ونضعها في ميزان النقد والدراسة العقلية والنقلية. مع بيان أن الأكثرية الغالبة من أهل السنة من المتقدمين والمتأخرين، والشيعية، وجماعة كبيرة من المستشرقين ينكرون دعوى المهدي وجماعته بأنه من سلالة علي بن أبي طالب وفاطمة رضي الله عنهما، ويرون أنه دعوى ليس له أية صلة بعلي ولا بأولاده، بل هو من أبناء عبد الله بن ميمون القداح الذي مر ذكره مفصلاً في الباب الأول من هذا الكتاب، أو لرجل آخر كما سيأتي مفصلاً.

ونحن أولاً نذكر آراء هذا الفريق من الناس كي «تبدو» وتنجلي خفايا هذا المبحث وحقائقه، فيقول أبو عبد الله محمد بن علي بن رزام الكوفي المعاصر للامام الاسماعيلي الخامس في دور الكشف والظهور المتوفي سنة ٣٨٦ هـ في كتابه الذي ردّ فيه على الاسماعيلية وكشف مذهبهم كما نقل عنه ابن النديم الوراق الشيعي المعتزلي في كتابه (الفهرست) :

«إن عبد الله بن ميمون، ويعرف ميمون بالقداح، وكان من أهل قوزح العباس بقرب مدينة الاهواز وأبوه ميمون الذي ينسب إليه الفرقة المعروفة بالميمونية التي أظهرت اتباع أبي الخطاب محمد بن أبي زينب الذي دعا إلى الإلهية على بن أبي طالب رضي الله عنه وكان ميمون وابنه ديصانيين، وادعى عبد الله أنه نبي مدة طويلة، وكان يظهر الشعابيد، ويذكر أن الأرض تطوى له فيمضي إلى أين أحب في أقرب مدة، وكان يخبر بالاحداث الكائنات في البلدان الشاسعة، وكان له مرتبون في مواضع يرغبهم ويحسن اليهم ويعاونونه على نوااميسه، ومعهم طيور يطلقونها من المواضع المتفرقة إلى الموضع الذي فيه بيت عبد الله فيخبر من حضر بما يكون فَيَتَمَوّه ذلك عليهم وكان انتقل فنزل عسكر مكرم فكبس بها فهرب منها فَنَقِضَتْ له داران في موضع يعرف بساباط أبي نوح فبنيت احدهما مسجداً والأخرى خراب إلى الآن، وصار إلى البصرة فنزل على قوم من أولاد عقيل بن أبي طالب فكبس هناك فهرب إلى سلمية بقرب حمص واشترى هناك ضياعاً وبث الدعاة إلى

سواد الكوفة فأجابه من هذا الموضع رجل يعرف بحمدان ابن الأشعث ويلقب بقرمط لقصر كان في منته وساقه، وكان قرمط هذا أكاراً بقاراً في القرية المعروفة بقس بهرام ورأس قرمط وكان داهياً، ونصب لدعوته عبدان صاحب الكتب المصنفة، وأكثرها منحول إليه، وفرق عبدان الدعاة في سواد الكوفة، وأقام قرمط بكلواذى ونصب له عبد الله بن ميمون رجلاً من ولده يكاثره من الطالقان، وذلك في سنة إحدى وستين ومائتين. ثم مات عبد الله خلفه ابنه محمد بن عبد الله. ثم مات محمد فاختلفت دعائهم وأهل مجلتهم فزعم بعضهم أن أخاه أحمد بن الله خلفه، وزعم آخرون أن الذي خلفه ولد له يسمى أحمد أيضاً، ويلقب بأبي الشلعلع. ثم قام بالدعوة بعد ذلك سعيد بن الحسين بن عبد الله بن ميمون، وكان الحسين مات في حياة أبيه، ومن قبل سعيد انتشرت الدعوة في بني العليص الكلبيين، ولم يزل عبد الله وولده بعد خروجهم من البصرة يدعون أنهم من ولد عقيل وكانوا قد احكموا النسب بالبصرة، فمن ولد عبد الله انتشرت الدعوة في الأرض وقدم الدعاة إلى الرى وطبرستان وخراسان واليمن والاحساء والقطيف وقدس. ثم خرج سعيد إلى مصر فادعى أنه علوى فاطمي وتسمى بعبيد الله وعاشر هناك النوشرى ووجوه أصحاب السلطان وتَحَوَّق في الأموال وبلغ خبره المعتضد فكتب في القبض عليه فهرب إلى المغرب وقد كان دعائه هناك قد غلبت على طائفتين من البربر وكانت له أحاديث معروفة، ووطأ لنفسه ذلك البلد. ثم نظر أن ما ادعاه من نسبه لا يقبل منه، فظهر غلاماً حدثاً وزعم أنه من ولد محمد ابن اسماعيل، وهو الحسن أبو القاسم وهو القيم بالأمر بعد عبيد الله. وفي أيامه ظهر في كثير من اتباعه الاستخفاف بالشرعية والوضع من النبوة فخرج عليه رجل يعرف بابي يزيد المحتسب واسمه مخلد بن كيداد البربري الزناتي من بني يفرن الأباضي النكارى ويعرف بصاحب الحمار فكثر اتباعه ومعاونوه فحاربه وحصره في المهديّة إلى أن مات الحسن في الحصار فقام بعده ابنه اسماعيل.

ويكنى أبا طاهر فأظهر تعظيم الشريعة وأظهر أبو يزيد مذهب الاباضية فأقفل عنه الناس فقتل وصلب، وذلك في سنة ست وثلاثين وثلثمائة. فلما

كان في سنة أربعين ظهر في البلد قريب مما كان ظهر في أيام الحسن من الاستخفاف بالشرع فعاجل الله إسماعيل بالمنية وقام بالأمر بعده ابنه معدّ أبو تميم ثم توفي معدّ بمدينة مصر. وقام بالأمر مكانه ابنه نزار بن معد ويكنى أبا منصور^(٧).

وهناك رواية أخرى عن أخى محسن النسابة العلوى المشهور تشبه هذه الرواية تماماً، والذي عاش في نفس الزمان الذي عاش فيه ابن رزام هذا، وقد ذكره القريري وروايته في كتابه بقوله :

« قد وقفت على مجلدة تشتمل على بضع وعشرين كراسة في الطعن على أنساب الخلفاء الفاطميين تأليف الشريف العابد المعروف بأخى محسن » - والجدير بالذكر أن أخا محسن هذا فاطمي من سلالة محمد بن إسماعيل الذي ينتسب إليه المهدي الإسماعيلي كما سرد نسبه القريري نفسه قائلاً :

« هو محمد بن على الحسين بن أحمد بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق، ويكنى بأبى الحسين، وهو كتاب مفيد - ثم ذكر روايته وهى عين رواية ابن رزام كما صرح بذلك القريري، وزاد عليه أنه قال :-

« ولم يدع سعيد - المسمى عبيد الله - نسباً إلى على ابن أبى طالب إلا من بعد هربه من سليمة، وآبأؤه - من قبله - لم يدعوا هذا النسب ؛ وإنما كانوا يظهرون التشيع والعلم، وأنهم يدعون إلى الإمام محمد بن إسماعيل بن جعفر، وأنه حى لم يميت.

وهذا القول باطل، وباطنهم غير ظاهرهم ؛ وليس يعرف هذا القول إلا لهم ؛ وهم أهل تعطيل وإباحة، وإنما جعلوا علقهم بآل رسول الله باباً للخديعة والمكر.

(٧) « الفهرست » لابن النعيم ص ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٦٦ ط دار المعرفة لبنان، وص ١٨٦، ١٨٧ ط المستشرق غوستاف فلو جل.

ولم يتم لسعيد أمره بالمغرب إلا أنه قال : « أنا من آل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - » فتم له بذلك الحيلة والخديعة، وشاع بين الناس أنه علوى فاطمي من ولد اسماعيل بن جعفر فاستعبدهم بهذا القول وخفى أمر مذهبه عليهم، إلا من كشف له من خاصته ودعائه في تعطيل الباري، والطعن على جميع الأنبياء، وإباحة أنفس أمهم وأموالهم وحریمهم، ومع ما كانوا يظهرون لم يكن لهم جسارة أن يذكروا لهم نسباً على منبر، ولا في مجمع بين الناس، سوى ما يشيعون أنهم من آل رسول الله بغير نسب يتسبونهم تمويهاً على العامة »^(٨).

وبمثل ذلك كتب القاضي أبو بكر الباقلاني رئيس المتكلمين، والناقد البصير، والمؤرخ الكبير، والأصولي الفقيه، في كتابه (كشف الأسرار وهتك الأستار) المتوفي سنة ٤٠٣ هـ، والمعاصر للإمام الاسماعيلي السادس الحاكم بأمر الله :

« القداح جد عبيد الله كان مجوسياً، ودخل عبيد الله المغرب وادعى أنه علوى ولم يعرفه أحد من علماء النسب، وكان باطنياً خبيثاً حريصاً على إزالة ملة الاسلام، أعدم الفقه والعلم ليتمكن من اغراء الخلق، وجاء أولاده على أسلوبه وأباحوا الخمر والفروج وأشاعوا الرفض، وبنوا دعاة فأفسدوا عقائد جبال الشام، كالنصيرية والدروزية. وكان القداح كاذباً مخترقاً، وهو أصل دعاة القرامطة »^(٩).

وفي أيام الحاكم بأمر الله - الامام الاسماعيلي السادس - سنة أربعمائة واثنين صدر محضر من بغداد بتوقيعات كثير من الفقهاء والمتكلمين والقضاة والمحدثين بما فيهم فقهاء الشيعة والعلويين، ينكر جلياً دعوى الاسماعيلية

(٨) « اتعاظ الخفاء » للمقرئ ج ١ ص ٣٤. ٣٥ بتحقيق جمال الدين الشيال ط دار الفكر العربي ١٣٦٧ هـ القاهرة.

(٩) « النجوم الزاهرة » ج ٤ ص ٧٥ لابن تغري بردى الاتابكي ط وزارة الثقافة والارشاد القومي المصري.

بأن المهدي وأولاده من العلويين الفاطميين، وقد أورد هذا المحضر جل المؤرخين إن لم نقل كلهم في كتبهم، ونقله ههنا عن الحافظ ابن كثير، الامام المحدث المؤرخ، كما ذكره تحت حوادث سنة اثنتين وأربعمائة تحت عنوان : ذكر الطعن من أئمة بغداد وعلمائهم وغيرهم من البلاد في نسب الفاطميين وأنهم أدعياء كذبة :

« وفي ربيع الآخر منها كتب هؤلاء ببغداد محاضر تتضمن الطعن والقذح في نسب الفاطميين وهم ملوك مصر وليسوا كذلك، وإنما نسبهم إلى عبيد بن سعد الجرمي، وكتب في ذلك جماعة من العلماء والقضاة والأشراف والعدول، والصالحين والفقهاء، والمحدثين، وشهدوا جميعاً أن الحاكم بمصر هو منصور بن نزار الملقب بالحاكم، حكم الله عليه بالبوار والخزي والدمار، ابن معد بن اسماعيل بن عبد الله بن سعيد، لا أسعده الله، فإنه لما صار إلى بلاد المغرب تسمى بعبيد الله وتلقب بالمهدي، وأن من تقدم من سلفه أدعياء خوارج، لا نسب لهم في ولد علي بن أبي طالب، ولا يتعلقون بسبب وأنه منزّه عن باطلهم، وأن الذي ادعوه إليه باطل وزور، وأنهم لا يعلمون أحداً من أهل بيوتات علي بن أبي طالب توقف عن إطلاق القول في أنهم خوارج كذبة، وقد كان هذا الانكار لباطلهم شائعاً في الحرمين، وفي أول أمرهم بالمغرب منتشرأً انتشاراً يمنع أن يدلس أمرهم على أحد، أو يذهب وهم إلى تصديقهم فيما ادعوه، وأن هذا الحاكم بمصر هو وسلفه كفار فساق فجار، ملحدون زنادقة، معطلون، وللإسلام جاحدون، ولمذهب المجوسية والثنية معتقدون، قد عطّلوا الحدود وأباحوا الفروج، وأحلوا الخمر وسفكوا الدماء، وسبّوا الأنبياء، ولعنوا السلف، وادعوا الربوبية، وكتب في سنة اثنتين وأربعمائة، وقد كتب خطه في المحضر خلق كثير، فمن العلويين : المرتضى والرضي وابن الأزرق الموسوي، وأبو طاهر بن أبي الطيب، ومحمد بن محمد بن عمرو بن أبي يعلى. ومن القضاة أبو محمد بن الأكفاني وأبو القاسم الجزري، وأبو العباس بن الشيوري. ومن الفقهاء أبو حامد الأسفراييني وأبو محمد بن الكفلى، وأبو الحسن القدروي، وأبو عبد الله

الصيمري، وأبو عبد الله البيضاوي، وأبو علي بن حكمان. ومن الشهود أبو القاسم التنوخي في كثير منهم، وكتب فيه خلق كثير. هذه عبارة أبي الفرج ابن الجوزي - ثم علق عليه الحافظ ابن كثير فقال :

ومما يدل على أن هؤلاء أدياء كذبة، كما ذكر هؤلاء السادة العلماء، والأئمة الفضلاء، وأنهم لا نسب لهم إلى علي بن أبي طالب، ولا إلى فاطمة كما يزعمون، قول ابن عمر للحسين بن علي حين أراد الذهاب إلى العراق، وذلك حين كتب عوام أهل الكوفة بالبيعة إليه فقال له ابن عمر : لا تذهب إليهم فاني أخاف عليك أن تقتل، وإن جدك قد خير بين الدنيا والآخرة فاختر الآخرة على الدنيا، وأنت بضعة منه، وإنه والله لا تنالها لا أنت ولا أحد من خلفك ولا من أهل بيتك، فهذا الكلام الحسن الصحيح المتوجه المعقول، من هذا الصحابي الجليل، يقتضي أنه لا يلي الخلافة أحد من أهل البيت إلا محمد بن عبد الله المهدي الذي يكون في آخر الزمان عند نزول عيسى بن مريم، رغبة بهم عن الدنيا، وأن لا يدينسوا بها، ومعلوم أن هؤلاء قد ملكوا ديار مصر مدة طويلة، فدل ذلك دلالة قوية ظاهرة على أنهم ليسوا من أهل البيت، كما نص عليه سادة الفقهاء. وقد صنف القاضي الباقلاني كتاباً في الرد على هؤلاء وسماه « كشف الأسرار وهتك الاستار » بين فيه فضائحهم وقبائحهم، ووضح أمرهم لكل أحد، ووضح أمرهم ينبيء عن مطاوى أفعالهم، وأقوالهم، وقد كان الباقلاني يقول في عبارته عنهم : هم قوم يظهرون الرفض ويبطنون الكفر المحض، والله سبحانه أعلم^(١٠).

وقبل ذلك أيام جد الحاكم بأمر الله، المعز لدين الله - الامام الاسماعيلي الرابع - حدث حادث يشبه ذلك ويؤيد ماذهب إليه المنكرون للنسب الفاطمي للأئمة الاسماعيلية - كما ذكره ابن خلكان في كتابه (وفيات الأعيان). وهذه هي القصة التي ذكرها ابن خلكان نقلاً عن كتاب (الدول المنقطعة) تحت ترجمة ابن طباطبا :

(١٠) « البداية والنهاية » لابن كثير ج ١١ ص ٣٤٥، ٣٤٦، « وسير أعلام النبلاء » للذهبي ج ١٥ ص ١٣٢، ١٣٣، وص ١٧٧، ١٧٨ الطبعة الأولى مؤسسة الرسالة لبنان.

« ولما مات كافور وملك المعز أبو تميم معد بن المنصور العبيدي الديار المصرية على يد القائد جوهر المتقدم ذكره في حرف الجيم، وجاء المعز بعد ذلك من افريقية وكان يطعن نسبه، فلما قرب من البلد وخرج الناس للقائه، اجتمع به جماعة من الأشراف فقال له من بينهم ابن طباطبا المذكور : إلى من يتنسب مولانا ؟

فقال له المعز : سنعقد مجلساً ونجمعكم ونسرد عليكم نسبنا، فلما استقر المعز بالقصر جمع الناس في مجلس عام وجلس لهم وقال : هل بقى من رؤسائكم أحد ؟

فقالوا : لم يبق معتبر، فسل نصل سيفه وقال : هذا نسبي، ونثر عليهم ذهباً كثيراً وقال : هذا حسبي، فقالوا جميعاً : سمعنا وأطعنا » . (١١) .

وبعد القاضي أبى بكر الباقلاني يأتي أسم قاضي القضاة عبد الجبار الهمداني البصرى المتوفى سنة ٤١٥ هـ، والمعاصر للحاكم وابنه الظاهر، ويصرح بأن المهدي ابن يهودي حداد وأن اسمه سعيد، كما يفصل القول في أعماله وأفعاله، ويبين أخلاقه وصفاته، فيقول :

« سعيد الذي زعم أنه ابن الحسين بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن ميمون القداح أن سعيداً هذا ليس هو ابن الحسين وإنما هو ابن امرأة الحسين هذا، وأبوه يهودي حداد من أهل سليمة من أرض الشام، وأن الحسين لما تزوج بأمه حظيت عنده، فأحب ولدها سعيداً هذا، وإنما رغب فيها لفرط جمالها وكمالها .

وكان سعيد ابنها يشبهها في الجمال، وكان له ذكاء وفطنة، فتولى الحسين زوج أمه تربيته وتعليمه وتخرجه على ما يجب ويختار، فقبل منه وأخذ عنه، فعرف حال هذه الدعوة ورجالها وأسرارها ودعاتها، وأين هم وكم هم، وكيف كان أولها وابتداؤها، وزوجة الحسين زوج أمه بنت أبي الشلعلع، وأبو

(١١) « وفيات الأعيان » لابن خلكان تحقيق محمد محيى الدين ج ٢ ص ٢٦٩ ط مكتبة النهضة - القاهرة .

الشلعلع هذا من ولد عبد الله بن ميمون، وكان ذلك، فولدت لسعيد ابناً
فسماه عبد الرحمن.

ثم صار سعيد إلى سجلماسه / من أرض المغرب، وتسمى بعبيد الله
واكتنى بأبي محمد، وأدعى أنه من نواحي الأهواز ومن بناتها ورؤسائها وأنه
هرب هو وأبوه من جور عمرو بن الليث، وأن ضياعهم بكور الأهواز كثيرة،
ولهم بها وأن المواد تأتيه منها، وكان يقول لمن يثق به ويأنس به في ابنه عبد
الرحمن أنه يتيم في حجره، وأنه وصى أبيه، وأن أباه من أهل البيت، وكان
يحتال على اليسع ابن المدرار أمير سجلماسه وعلى أهل بيته بالدعاوى.

فلما تمكن وأمكنته الحيلة بأبي عبد الله الحسين بن أحمد بن زكريا الكوفي
الداعية غدر ببني المدرار، وقد كانوا أجاروه وأحسنوا إليه فغدر بهم ذلك
الغدر الفاحش، فقال له أبو عبد الله: قد كانت كتبك ورسائلك تأتيني
بأنك مع بني المدرار بكل خير وأنت ما نزلت بأكرم منهم، وقد قتلتهم فما
أبقيت منهم رجلاً، حتى قتلت صبيّاً من صبيانهم واستبحت أموالهم
ونساءهم فقال له: هو كما كتبت إليك، ولكن اليسع ما ألعقني لعقة غسل
إلا ومعها لعقة صبر، وأما هذا الصبي، فإنه جاءني برسالة من عمه،
أحمد بن المدرار جافية، فكانت هذه أول فضائحه ولها تفصيل طويل.

وسمى ابنه عبد الرحمن الحسن، ثم لما تمكن وملك قال هو ابني، وسماه
محمدًا، وكناه بأبي القاسم.

ولما أراد الرحيل من سجلماسه إلى القيروان وأفريقية من أرض المغرب
دخل المغاربة أصحاب أبي عبد الله لإخراج رجله، فوجدوا ملابس الحرير
والديباج وأواني الذهب والفضة وخصيان رومة وآثار الانبذة، فأنكروا ذلك
في أنفسهم مع بلادة البربر، وسألوا أبا عبد الله الداعية عن ذلك، وإنما
أنكروا ذلك لأن أبا عبد الله هذا كان مقيماً سنين كثيرة في كتامة يدعوهم إلى
المهدي الذي هو حجة الله ويزعم أنه صاحبه، وكان أبو عبد الله يتقشف
ويلبس الخشن ويأكل الخشب. ويعدّهم عن المهدي بمثل ذلك، فلهذا

أنكروا وسألوا، فقال لهم أبو عبد الله هذه الآثار لأصحابه وأتباعه وكان معه أتباع كثير.

ثم إن أبا عبيد الله بعد قتل أبي موسى هرون بن يونس شيخ المشايخ، وأبى عبد الله الحسن بن أحمد بن زكريا الداعية، وأخيه أبي العباس محمد بن أحمد بن زكريا، وأبى زاكى تمام بن معارك وكان من كبار الشيعة، بعد قتله لهؤلاء وتمكنه بالمغرب، استصفي أهل الثروة وأخذ أموالهم كلها، وأرسل ابنه وجعله ولي العهد بعده والخليفة، وسماه القائم، فكان ينزل في العساكر على بلد بلد فيستصفي أمواله، ويهدم حصونه وقلاع، ويأخذ ما فيه من الأسلحة والأمتعة، ويقتل الرؤساء والوجوه والفقهاء وأصحاب الحديث، ويتخذ جهالهم ويجعل لهم الأحوال والأموال، ويسلطهم على أهل الفضل، ويضع المكوس والضرائب، ويتوصل إلى ازالة النعم، والتضييق على المسلمين بكل ما يقدر عليه وما يطول شرحه.

وكان يرسل على الفقهاء والعلماء فيذبحون في فرشهم. وأرسل إلى الروم وسلطهم على المسلمين. وكان الشيعة ببغداد، مثل بني بسطام، وبني أبي البغل، وآل الفرات، يرجفون أن المهدي قد ظهر بالمغرب، وهو هناك يحى الموتى ويقف على المقبرة فينادي الموتى فيقومون من قبورهم، وكان أبو الحسن محمد بن أحمد النسفى صاحبهم بخراسان، فذكر لنصر بن أحمد مثل ذلك، وأبو حاتم أحمد بن حمدان يذكر مثل ذلك بالري لأسفار بن شيرويه.

وكثرت الروايات عن رسول الله ﷺ وأهل بيته في أن المهدي يظهر بالمغرب ويملك الأرض كلها من أولها إلى آخرها، وينفذ أمره فيها وأحكامه على أهلها في سنة ثلاثئة للهجرة، وهو معنى ما جاء في الحديث من طلوع الشمس من مغربها، وكم كان لهم من الخطب المنسوبة إلى أمير المؤمنين بأن ولده المهدي يظهر من المغرب ويملك الأرض في سنة ثلاثئة للهجرة، وأن هذا موجود في الملاحم «(١٣)».

(١٢) «تثبت دلائل النبوة» للقاضي عبد الجبار الهمداني تحقيق د- عبد الكريم عثمان ص ٥٩٧، ٥٩٨، ٥٩٩ ط دار العربية بيروت.

وأما الامام الاصولى الماهر أبو المنصور عبد القاهر بن طاهر البغدادي المتوفى سنة ٤٢٩ هـ فانه يصرح بكونه من أصل مجوسى ومن أولاد القداح عبد الله بن ميمون كما ذكر بعد ذكر الباطنية ومؤسسها، وبعد ذكر ميمون القداح وجهده لترويج دين المجوسية تحت ستار التشيع وحب آل البيت :

« ثم لما تمادت الأيام بهم ظهر المعروف منهم بسعيد بن الحسين بن أحمد بن عبد الله بن ميمون القداح، فغير أسم نفسه ونسبه، وقال لأتباعه : أنا عبيد الله بن الحسين بن محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق، ثم ظهرت فتنته بالمغرب وأولاده اليوم مستولون على أعمال مصر » (١٣).

وذكر مثل ذلك في كتابه (أصول الدين) (١٤).

وهناك شخص آخر عاصر المستنصر بن الظاهر الاسماعيلى، وهو من اليمن واقصد به محمد بن مالك الخمادى اليماني الفقيه فانه أيضاً قال بمقولة هؤلاء الأعلام ولكنه أضاف إلى ما قالوه من أن المهدي وأولاده من سلالة يهودية حجتين عقليتين وشواهد خارجية تثبت ذلك، فيقول :

« وكان أول أولاد عبيد وهو المهدي ثم (محمد)، وهو القائم ثم (الظاهر) اسماعيل المنصور ثم (المعز) ثم (العزيز) ثم (الحاكم) ثم (الظاهر) ثم (معد المستنصر) هؤلاء الذين ينسبون إليه إلى عصرنا هذا فانتسبوا إلى ولد الحسين بن على بن أبى طالب كرم الله وجهه وانتحالهم إليه انتحال كاذب وليس لهم في ذلك برهان، وأهل الشرف ينكرون ذلك، فانهم لم يجدوا لهم في الشرف أصلاً مذكوراً ولا عرفوا لهم في كتاب الشجرة نسباً مشهوراً، بل الكل يقصيه عن الشرف وينفيهم عن النسب إلا من دخل معهم في كفرهم وضلالتهم فانه يشهد لهم الزور ويساعدهم في جميع الأمور، وقد زعموا أنهم من ولد محمد اسماعيل بن جعفر الصادق، وحاش

(١٣) « الفرق بين الفرق » ص ٢٨٣ تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ط مكتبة محمد على صبيح - القاهرة.

(١٤) أصول الدين ص ٣٢٩ ط باكستان.

لله ما كان لمحمد اسماعيل من ولد، ولا عرف ذلك من الناس أحد بل هم (كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار) .

الدليل على ذلك وبطلان ماذكروه أنهم يقولون معذ المستنصر بن الظاهر بن الحاكم بن العزيز بن المعز بن المنصور بن القائم بن المهدي وهو عبيد بن ميمون ثم يقولون : ابن الأئمة المستورين من ولد اسماعيل بن جعفر الصادق، فإذا سألهم سائل عن هؤلاء المستورين حادوا عن الجواب وكان للسائل لهم الارتباب . وقالوا : هم أئمة قهروا فتستروا ولم يؤمروا باظهارهم ولا ذكرهم لأحد، وهذا من أعظم الشواهد على بطلان ما ذكروه وانتسبوا إليه .

والدليل على أنهم من ولد اليهود، استعمالهم اليهود في الوزارة والرياسة، وتفويضهم اليهم تدبير السياسة مازالوا يحكمون اليهود في دماء المسلمين وأموالهم . وذلك مشهور عنهم يشهد بذلك كل أحد » . (١٥) .

وأما النسابة والمؤرخ والمحقق والفقهاء ابن حزم الظاهري المتوفي سنة ٤٥٦ هـ . فقد بحث مسألة نسبهم في مواضع عديدة من كتابه (الفصل) وكتابه (جهرة أنساب العرب) . نحن ننقل أولاً ما ذكره في كتابه في الأنساب لأنه ذكر هذه القضية حيث البحث الفني المحض دون الالتفات إلى شيء آخر، فيقول بعد ذكر أولاد محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق :

« ادعى عبيد الله القائم بالمغرب أنه أخو حسن البغيض هذا، وشهد له بذلك رجل من بني البغيض، وشهد له أيضاً بذلك جعفر بن محمد بن الحسين بن أبي الجن على بن محمد الشاعر بن علي بن اسماعيل بن جعفر، ومرة ادعى أنه ولد الحسين بن محمد بن اسماعيل بن جعفر : وكل هذه دعوى مفتضحة، لأن محمد بن اسماعيل بن جعفر لم يكن له قط ولد اسمه

(١٥) « كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة » ص ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ بتعليقات الكونرى ط مطبعة الأنوار ١٩٣٩ م .

الحسين، وهذا كذب فاحش، ولأن هذا النسب لا يخفي عل من له أقل علم بالنسب، ولا يجهل أهله إلا جاهل؛ (١٦).

وأما الأسفرائيني المتوفى سنة ٤٧١ هـ، وهو أيضاً من معاصري الاسماعيلية في دور ظهورهم، فيقول ما قاله الآخرون ولكنه يخبرنا بشيء جديد في عقب محمد بن اسماعيل بن جعفر، وهذا رأى جدير بالعناية والاهتمام، ووافقه في رأيه كثير من له معرفة بالأنساب، فيقول وهو يذكر تكوين الباطنية ونشأتها :

« الباطنية وفتنتهم على المسلمين شر من فتنه الدجال، فان فتنه الدجال إنما تدوم أربعين يوماً، وفتنة هؤلاء ظهرت أيام المأمون وهى قائمة بعد، وإنما ظهرت فتنهم عن تدبير جماعة وهم عبد الله بن ميمون القداح وكان مولى جعفر بن محمد الصادق ومحمد بن الحسين المعروف بدندان وجماعة كانوا يدعون (الجهار بجه) الذين كانوا مع الملقب بدندان ومع ميمون بن ديصان كلهم اجتمعوا في سجن العراق ووضعوا مذهب الباطنية. فلما خلصوا من السجن ظهرت دعوتهم وأول من قام بها محمد بن الحسين الملقب بدندان ابتداء الدعوة في اكراد جبال توز حتى دخل في دعوته جماعة من أهل بدين، ثم ان ميمون بن ديصان قصد ناحية المغرب وانتسب إلى عقيل ابن أبى طالب فلما أجابته جماعة ادعى أنه من أولاد محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق فقبله منه جماعة من الجهال الذين لم يعلموا أن محمد بن اسماعيل بن جعفر خرج من الدنيا ولم يعقب وهذا شيء قد اتفق عليه النسابة، ثم ظهر في أتباعه رجل اسمه حمدان قرمط فدعا أهل البحرين وكان أبو سعيد الجنابي الذي تغلب على أهل البحرين من أتباعه وأجابه جماعة، ثم خرج سعيد بن الحسين بن عبد الله بن ميمون بن ديصان القداح إلى المغرب وغير اسمه وتسميه فقال : أنا عبيد الله بن الحسين بن محمد اسماعيل بن جعفر الصادق وأجابه جماعة من أهل المغرب، ثم خرج منهم رجل كان يدعي أبا حاتم إلى

(١٦) « جبهة أنساب العرب » ص ٦٠، ٦١.

أرض الديلم فاجابته منهم جماعة ودخل في دعوتهم من أهل خراسان الحسين بن علي المروزي في الوقت الذي كان يتولى هراة ومروروذ، ولما قتل قام بدعوته فيما وراء النهر محمد بن أحمد النسفى المعروف بالبزدوى. وأبو يعقوب السجزي أقام دعوته بناحية سيجستان. وهذا البرذوى صنف لم كتباً سمي واحداً منها كتاب « المحصول » وآخر كتاب « أساس الدعوة » وآخر كتاب « كشف الأسرار » وآخر كتاب « تأويل الشريعة » وذكر أهل التاريخ أن دعوة الباطنية ظهرت في أيام المأمون وانتشرت في أيام المعتصم، ودخل في دعوتهم من حشم المعتصم رجل يقال له أفشين وكان بسببه يدهن بابك الخرمى حتى هزم عدداً من عساكر المسلمين حتى أجمع أبو دلف العجلي وقواد عبد الله بن ظاهر وهزموا بابك الخرمى وأسروه، وصلب بسر من رأى سنة ثلاث وعشرين ومائتين.

وذكر أهل التواريخ أن الذين وضعوا دين الباطنية كانوا من أولاد المجوس، وكان ميلهم إلى دين أسلافهم ولكنهم لم يقدرُوا على إظهاره مخافة سيوف المسلمين، فوضعوا قواعد على موافقة أساس وضعوه حتى تغتر به الأغمار^(١٧).

هذه هي آراء المعاصرين للمهدى الاسماعيلى وأولاده، الذين أنكروا نسبهم إلى محمد بن اسماعيل ومنه إلى على وفاطمة رضى الله عنهما، وبمقولاتهم قال وتمسك أكثر المؤرخين من السنة وغيرهم مثل ابن خلكان المتوفى سنة ٦٨١ هـ في كتابه (وفيات الأعيان)^(١٨)، وابن واصل المتوفى ٦٩٧ هـ. والذهبي المتوفى سنة ٤٧٨ هـ في كتابه (سير أعلام النبلاء)^(١٩) وابن كثير في كتابه البداية والنهاية^(٢٠) وابن تغرى بردى المتوفى ٨٧٤ هـ في

(١٧) « التبصير في الدين » لأبى المظفر الاسفرائني بتعلقات الكوثرى ص ١٣٣، ١٣٤، ١٣٥ ط مطبعة الخانجي بمصر ومكتبة المثنى ببغداد ١٩٥٥ م.

(١٨) انظر ٢١ ص ٣٠٢.

(١٩) انظر ج ١٥، ١٤١ ط مؤسسة الرسالة بيروت.

(٢٠) انظر ج ١١ ص ٣٤٥.

كتابه (النجوم الزاهرة)^(٢١) والنويرى في كتابه (نهاية الأرب)^(٢٢).
والقلقشندي في كتابه نهاية الأرب^(٢٣) وابن الجوزى في كتابه (القرامطة) .
والسخاوى في كتابه (الضوء اللامع) ، وابن حجر في كتابه (رفع الاصر
عن قضاة مصر) والأمير عز الدين بن باديس صاحب تاريخ افريقيا
والمغرب ، وابن عذارى المراكشى في كتابه (البيان في أخبار المغرب) .

ورأى هذا رأى جماعة من المستشرقين أي أن المهدي الاسماعيلي لم يكن
له أية صلة قريبة ولا بعيدة من النسب الفاطمي ، منهم دى غويه (DE
Goeje) في كتابه MEMOIRES SUR LES CARMATHS DU
BAHRAIM^(٢٤) ونيكلسون (NICHOLSON) في كتابه Religion et Philo-
sophie dans l'Asie^(٢٥) ودوزى (DOZY) في كتابه HISTIRE DES MUSL-
MANS D' ESPAGNE^(٢٦) وبراون (BROWNE) في كتابه Literary History
of Persia وغيرهم الكثيرون الكثيرون .

وبعد سرد هذه الروايات كلها يتطلب منا المقام أن نذكر الفئة القليلة
من أهل السنة ، الذين ذهبوا إلى إثبات نسب المهدي وأولاده إلى بنى فاطمة
بنت محمد صلى الله عليه وسلم ، وخلال ذلك نذكر اعتراضات المؤيدين
لنسب الفاطميين للأئمة الاسماعيلية على الروايات التي أثبتناها من قبل نقلاً
عن المنكرين للنسب واعتراضات المعترضين عليها ، كما سنحاول تبين حقيقة
هذه الايرادات والاعتراضات ، وحقيقة النقد الذي وجهوه إلى منكرى
النسب الفاطمي للمهدي الاسماعيلي .

(٢١) انظر ج ٤ ص ٧٥ .

(٢٢) ج ٣٥ ص ١٣٠ ، ١٣١ .

(٢٣) في مواضع متفرقة .

(٢٤) ص ١ .

(٢٥) انظر ص ٢٧٥ .

(٢٦) انظر ج ١ ص ٨ .

(٢٧) انظر ج ١ ص ١٣٠ .

مؤيدو النسب الفاطمي للمهدي الاسماعيلي من السنة

فأول من أيد نسب المهدي الاسماعيلي وأولاده إلى محمد بن اسماعيل هو المؤرخ البحاثة الفلسفي الكبير ابن خلدون المغربي المتوفي سنة ٨٠٨ هـ، والثاني تقي الدين أحمد بن علي المقرئزي وإليه مال قبل ذلك ابن الأثير المتوفي سنة ٦٣٠ هـ، ولكن لم يتحمس للدفاع عن نسب المهدي أحد مثل تحمس المقرئزي فانه أورد روايات كثيرة عن الذين أنكروا صحة نسبة المهدي إلى محمد بن اسماعيل، وفنّدها حسب زعمه، وردّها واخذة تلو الأخرى، كما أنه اعتمد كثيراً في تصديقه نسب المهدي وتوثيقه على كلام استاذه ابن خلدون، فعلى ذلك نذكر أولاً ما أورده المؤرخ الفلسفي ابن خلدون في هذا الموضوع، فيقول :

« ومن الأخبار الواهية ما يذهب إليه الكثير من المؤرخين والأثبات في العبيديين خلفاء الشيعة بالقيروان والقاهرة من نفهم عن أهل البيت صلوات الله عليهم والطعن في نسبهم إلى إسماعيل الإمام ابن جعفر الصادق يعتمدون في ذلك على أحاديث لفقت للمستضعفين من خلفاء بني العباس تزلفاً إليهم بالقدح فيمن ناصبهم ونفنا في الشتم بعدوهم حسبما نذكر بعض هذه الأحاديث في أخبارهم ويغفلون عن التفطن لشواهد الوقائع وأدلة الأحوال التي اقتضت خلاف ذلك من تكذيب دعواهم والرد عليهم فإنهم متفقون في حديثهم عن مبدأ دولة الشيعة أن أبا عبد الله المحتسب لما

دعا بكتامة للرضى من آل محمد واشتهر خبره وعلم تحويمه على عبيد الله المهدي وابنه أبي القاسم خشياً على أنفسهما فهرباً من المشرق محل الخلافة واجتازا بمصر وأنها خرجا من الاسكندرية في زي التجار ونمى خبرهما إلى عيسى النوشري عامل مصر والاسكندرية فسرّح في طلبهما الخيالة حتى إذا أدركا خفى حالهما على تابعهما بما لبسوا به من الشارة والزي فأفتلوا إلى المغرب وأن المعتضد أوعز إلى الأغالبة أمراء أفريقية بالقيروان وبني مدرار أمراء سجلماسة بأخذ الأفاق عليهما وإذكاء العيون في طلبهما فعثر الإشع صاحب سجلماسة من آل مدرار على خفي مكانها ببلده واعتقلها مرضاة للخليفة هذا قبل أن تظهر الشيعة على الأغالبة بالقيروان ثم كان بعد ذلك ما كان من ظهور دعوتهم بالمغرب وأفريقية ثم باليمن ثم بالاسكندرية ثم بمصر والشام والحجاز وقاسموا بني العباس في ممالك الإسلام شق الأبلمة وكادوا يلجون عليهم مواطنهم ويزايلون من أمرهم ولقد أظهر دعوتهم ببغداد وعراقها الأمير البساسيري من موالى الديلم المتغلبين على خلفاء بني العباس في مغاضبة جرت بينه وبين أمراء العجم وخطب لهم على منابرهما حولاً كاملاً ومازال بنو العباس يغصون بمكانهم ودولتهم وملوك بني أمية وراء البحر ينادون بالويل والحرب منهم وكيف يقع هذا كله لدعى في النسب يكذب في انتحال الأمر وأعتبر حال القرمطي إذ كان دعياً في انتسابه كيف تلاشت دعوته وتفرقت أتباعه وظهر سريعاً خبثهم ومكرهم فساءت عاقبتهم وذاقوا وبال أمرهم ولو كان أمر العبيدين بذلك لعرف ولو بعد مهلة.

ومهما يكن عند امرئ من خليفة وإن خالها تخفى على الناس تعلم فقد اتصلت دولتهم نحو من مائتين وسبعين سنة وملكوا مقام إبراهيم (عليه السلام) ومصلاه وموطن الرسول ﷺ ومدفنه وموقف الحجيج ومهبط الملائكة ثم انقرض أمرهم وشيعتهم في ذلك كله على أتم ما كانوا عليه من الطاعة لهم والحب فيهم واعتقادهم بنسب الإمام إسماعيل بن جعفر الصادق ولقد خرجوا مراراً بعد ذهاب الدولة ودروس أثرها داعين إلى بدعتهم هاتفين بأسماء صبيان من أعقابهم يزعمون استحقاقهم للخلافة ويذهبون إلى

تعيينهم بالوصية عن سلف قبلهم من الأئمة ولو ارتابوا في نسبهم لما ركبوا أعناق الأخطار في الانتصار لهم فصاحب البدعة لا يلبس في أمره ولا يشبه في بدعته ولا يكذب نفسه فيما ينتحله والعجيب من القاضي أبي بكر الباقلاني شيخ النظار من المتكلمين كيف ينجح إلى هذه المقالة المرجوحة ويرى هذا الرأي الضعيف فإن كان ذلك لما كانوا عليه من الإلحاد في الدين والتعمق في الرافضية فليس ذلك بدافع في صدر دعوتهم وليس إثبات منتسبهم بالذي يغني عنهم من الله شيئاً في كفرهم فقد قال تعالى لنوح (عليه السلام) في شأن ابنه إنه ليس من أهلك أنه عمل غير صالح فلا تسألن ما ليس لك به علم وقال ﷺ لفاطمة يعظها يا فاطمة أعملي فلن أغني عنك من الله شيئاً ومتى عرف امرؤ قضية أو استيقن أمراً وجب عليه أن يصدع به والله يقول الحق وهو يهدي السبيل والقوم كانوا في مجال لظنون الدول بهم وتحت رقبة من الطغاة لتوفر شيعتهم وانتشارهم في القاصية بدعوتهم وتكرر خروجهم مرة بعد أخرى فلاذت رجالاتهم بالاختفاء ولم يكادوا يعرفون كما قيل .

فلو تسأل الأيام ما سمي مادرت وأبسن مكاني ما عرفن مكاني

حتى لقد سمي محمد بن إسماعيل الإمام جد عبيد الله المهدي بالمكتوم ستمته بذلك شيعتهم لما اتفقوا عليه من إخفائه حذراً من التغلبين عليهم فتوصل شيعة ابن العباس بذلك عند ظهورهم إلى الطعن في نسبهم وازدلفوا بهذا الرأي القائل للمستضيفين من خلفائهم وأعجب به أولياؤهم وأمراء دولتهم المتولون لحروبهم مع الأعداء يدفعون به عن أنفسهم وسلطانهم معرة العجز عن المقاومة والمدافعة لمن غلبهم على الشام ومصر والحجاز من البربر الكتامين شيعة العبيديين وأهل دعوتهم حتى لقد أسجل القضاء ببغداد بنفيهم عن هذا النسب وشهد بذلك عندهم من أعلام الناس جماعة منهم الشريف الرضي وأخوه المرتضي وابن البطحاوي ومن العلماء أبو حامد الاسفراييني والقدوري والصيمري وابن الأكفاني والأبيوردي وأبو عبد الله بن النعمان فقيه الشيعة وغيرهم من أعلام الأمة ببغداد في يوم مشهود وذلك سنة ستين وأربعمائة في أيام القادر وكانت شهادتهم في ذلك على السماع لما اشتهر

وعرف بين الناس ببغداد وغالبها شيعة بني العباس الطاعنون في هذا النسب فنقله الأخباريون كما سمعوه ورووه حسبا وعوه والحق من ورائه (٢٨).

هذا ولقد ذكر ابن خلدون المهدي الاسماعيل، ونسبه في تاريخه المسمى بكتاب (العبر) تحت عنوان: الاسماعيلية: فقال:

«(واما الاسماعيلية) فزعموا ان الامام بعد جعفر الصادق ابنه اسماعيل وتوفي قبل أبيه وكان أبو جعفر المنصور طلبه فشهد له عامل المدينة بأنه مات وفائدة النص عندهم على اسماعيل وان كان مات قبل أبيه بقاء الامامة في ولده كما نص موسى على هارون صلوات الله عليهما ومات قبله، والنص عندهم لا مرجع وراءه لأن البداء على الله محال، ويقولون في ابنه محمد انه السابع التام من الأئمة الظاهرين وهو أول الأئمة المستورين عندهم الذين يستترون ويظهرون الدعاة وعددهم ثلاثة ولن تخلو الارض منهم عن امام : إما ظاهر بذاته أو مستور فلا بد من ظهور حجته ودعائه، والأئمة يدور عددها عندها على سبعة عدد الاسبوع والسموات والكواكب والنقباء تدور عندهم على اثني عشر وهم يغلطون الأئمة حيث جعلوا عدد النقباء للأئمة وأول الأئمة المستورين عندهم محمد بن اسماعيل وهو محمد المكنوم ثم ابنه جعفر المصدق ثم ابنه محمد الحبيب ثم ابنه عبدالله المهدي صاحب الدولة بافريقية والمغرب التي قام بها أبو عبدالله الشيعي بكتامة وكان من هؤلاء الاسماعيلية القرامطة واستقرت لهم دولة بالبحرين في أبي سعيد الجنابي وبنيه أبي القاسم الحسين ابن فروخ بن حوشب الكوفي داعي اليمن لمحمد الحبيب ثم ابنه عبد الله ويسمى المنصور وكان من الاثني عشرية أولا فلما أبطل ما في أيديهم رجع إلى رأي الاسماعيلية وبعث محمد الحبيب أبو عبدالله إلى اليمن داعية له فلما بلغه عن محمد بن يعفر ملك صنعاء أنه أظهر التوبة والنسك وتخلّى عن الملك فقدم اليمن ووجد بها شيعة يعرفون ببني موسى في عدن لاعة وكان على بن الفضل من أهل اليمن ومن كبار الشيعة وطاهر بن حوشب على أمره وكتب له الامام محمد بالعهد لعبدالله ابنه وأذن له في الحرب فقال بدعوته وبثها في

(٢٨) « مقدمة ابن خلدون ص ٢١، ٢٢، ٢٣ »

اليمن وجيش الجيوش وفتح المدائن وملك صنعاء وأخرج منها بني يعين وفرق الدعاة في اليمن واليامة والبحرين والسند والهند ومصر والمغرب وكان يظهر الدعوة للرضا من آل محمد وبيطن محمداً الحبيب تسترا إلى ان استولى على اليمن وكان من دعائه أبو عبدالله الشيعي صاحب كتامة ومن عنده سار إلى افريقية فوجد في كتامة من الباطنية خلقا كثيرا وكان هذا المذهب هنالك من لدن الدعاة الذين بعثهم جعفر الصادق إلى المغرب أقاموا بافريقية وبشوا فيها الدعوة وتناقله من البرابرة أمم وكان أكثرهم من كتامة فلما جاء أبو عبدالله الشيعي داعية المهدي ووجد هذا المذهب في كتامة فقام على تعليمه وبثه وحياته حتى تم الامر وبويع لعبدالله كما نذكر الان في أخبارهم .

وأولهم عبيدالله المهدي بن محمد الحبيب بن جعفر الصادق بن محمد المكتوم بن جعفر الصادق ولا عبرة بمن أنكر هذا النسب من أهل القيروان وغيرهم وبالمحضر الذي ثبت ببغداد أيام القادر بالطعن في نسبهم وشهد فيه أعلام الأئمة وقد مر ذكرهم فان كتاب المعتضد إلى ابن الاغلب بالقيروان وابن مدرار بسجلماسة يغريهم بالقبض عليه لما سار إلى المغرب شاهد بصحة نسبهم وشعر الشريف الرضي مسجل بذلك والذين شهدوا في المحضر فشهادتهم على السماع وهي ما علمت وقد كان نسبهم ببغداد منكرا عند أعدائهم شيعة بنى العباس منذ مائة سنة قتلون الناس بمذهب أهل الدولة وجاءت شهادة عليه مع أنها شهادة على النفي مع أن طبيعة الوجود في الانقياد اليهم وظهور كلمتهم حتى في مكة والمدينة أدل شيء على صحة نسبهم وأما من يجعل نسبهم في اليهودية والنصرانية لميمون القدح وغيره فكفا ذلك اثما وسفسفة وكان شيعة هؤلاء العبيديين بالمشرق واليمن وافريقية» (٢٩).

هذا ما كتبه ابن خلدون ويشتمل بحثه على بعض الايرادات على من أنكر نسب المهدي إلى بني فاطمة وعلى بعض الاستدلالات على صحة

(٢٩) «كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر» المشهور «بتاريخ ابن خلدون» ج ٤ ص ٣٠ ، ٣١ .

نسبه، كما يشتمل البحث على ذكر نسب المهدي إلى محمد بن اسماعيل وقبل أن نلقى نظرة على ما قاله ابن خلدون وعلى تدليلاته نريد أن نسرّد كلام المقرّيزي أيضاً حول هذا حيث أنه هو الآخر الذي تحمّس للدفاع عن نسب المهدي الاسماعيلي وساق الأدلة على بطلان من يقول يعكس ذلك فانه كتب في اتعاظه بعد ذكر كلام ابن خلدون :

«وأنت إذا سلّمت من العصبية والهوى، وتأمّلت ما قد مرّ ذكره من أقوال الطاعنين في أنساب القوم علمت ما فيها من التعسف والحمل، مع ظهور التلّفيق في الأخبار، وتبين لك منه ما تأبى الطباع السليمة قبوله، ويشهد الحسّ السليم بكذبه : فإنّه قد ثبت أن الله تعالى لا يمدّ الكذاب المفتعل بما يكون سبباً لانحراف الناس إليه، وطاعتهم له على كذبه . قال تعالى - عن نبيه محمد صلى الله عليه وسلم - ﴿ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين، ثم لقطعنا منه الوتين﴾ . وقال تعالى - في الدلالة على صدقه - : ﴿أفلا يرون أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها، أفهم الغالبون﴾ . وقد علم أن الكذب على الله تعالى، والافتراء عليه في دعوى استحقاق الخلافة النبوية على الأمة، والإمامة لهم شرعاً، بكونه من ذرية رسول الله - ﷺ - [على] آل بيته -، من أعظم الجنايات، وأكثر الكبائر، فلا يليق بحكمة الله تعالى أن يظهر من تعاظم ذلك واجترأ عليه، ثم يمهّد في ظهوره بمعونته، ويؤيده بنصره، حتى يملك أكثر مدائن الإسلام، ويورثها بنيه من بعده، وهو تعالى يراه يستظهر بهذه النعم الجليلة على كذبه ويفتن بمخرقته على العباد، ويحدث بباطله الفتن العظيمة والحروب المبيدة في البلاد، ثم يخليه - تعالى - وما تولى من ذلك بباطله من غير أن يشعره شعار الكذابين، ويحلّ به ما من عادته تعالى أن يحلّ بالمفسدين، فيدمره وقومه أجمعين .

كما لا يليق بحكمته تعالى أن يتخذ من دعا إلى دينه وحمل الكافة على عبادته، ولا يؤيده على إعلاء كلمته، بل يسلمه في أيدي أعداء دينه المجاهرين بكفرهم وطغيانهم حتى يزيدهم ذلك كفرّاً إلى كفرهم، وضلالاً إلى ضلالهم، فإن فعله هذا بالصادق في دعائه إليه تعالى كتأييده الكاذب فيها سواء؛ بل الحكمة الإلهية، والعادة الربانية وستة الله التي قد خلت في عباده،

اقتضت أنه تعالى إذا رأى الكذاب يستظهر بالمحافظة على التمسك بالباطل، ويتوصل إلى إقامة دولته بالكذب، ويخليها بالزور في ادعائه نسباً إلى رسول الله - ﷺ - غير صحيح، وصرفه الناس عن طاعة بني العباس - الثابتة أنسابهم، المرضية سيرتهم، العادلة بزعمهم أحكامهم ومذاهبهم - أن يحول بينه وبين همه بذلك، ويسلبه الأسباب التي يتمكن بها من الاحتراز، ويعرضه لما يوقعه في المهالك، ويسلك به سبيل أهل البغي والفساد. خراسان، ونصرهم على عدوهم أي نصر تبين أن دعواهم الانتساب إلى رسول الله - ﷺ - صحيحة؛ وهذا دليل يجب التسليم له، «والله يقول الحق وهو يهدي السبيل».

وقد روى موسى بن عقبة أن هرقل لما سأل أبا سفيان بن حرب عن رسول الله - ﷺ - كان مما قاله: «أترأه كاذباً أو صادقاً؟» قال أبو سفيان: «بل هو كاذب»، قال هرقل: «لا تقولوا ذلك، فإن الكذب لا يظهر به أحد».

وقد نقل عن أئمة آل البيت عليهم السلام الإشارة إلى أمر عبيدالله المهدي، فمن ذلك أن موسى الكاظم بن جعفر الصادق سئل عن: ظهور القائم: متى يكون؟ فقال: «أن ظهور القائم مثله كمثل غمود من نور سقط من السماء إلى الأرض، رأسه بالمغرب، وأسفله بالشرق». وكذلك كان بداية أمر المهدي عبيدالله، فإنه ابتداء في المغرب، وانتهى أمره على يد بنيه إلى المشرق. فإنه ظهر بسجلماسة - ذو الحجة ٢٩٠ - وهي أقصى مسكون المغرب، ودعى للمستنصر - ببغداد - في سنة إحدى وخمسين وأربعمئة.

وكان علي بن محمد بن علي بن موسى الكاظم يقول: «في سنة أربع وخمسين ومائتين ستكشف عنكم الشدة، ويزول عنكم كثير مما تجدون إذا مضت عنكم سنة اثنتين وأربعين». يشير بذلك [إلى] أن البداية من تاريخ وقته، فيكون المراد سنة ٢٩٦ وفي ذي الحجة منها كان ظهور الإمام المهدي بالله - رحمة الله عليه (٣٠).

(٣٠) اتعاظ الحنفاء» للمقرئ ج ١ ص ٧٠ إلى ٧٣.

وقبل ذلك ذكر أولاد اسماعيل بن جعفر وعقبه لبيان نسب المهدي
الاسماعيلي وأسماء آبائه إلى محمد بن اسماعيل، فقال بعد ذكر أولاد علي بن
أبي طالب إلى جعفر الصادق:

«فولد جعفر بن محمد الصادق اسماعيل... وحيث انتهينا إلى ذكر
إسماعيل بن جعفر الصادق بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي
طالب فإنه الغرض، وإليه ينتسب الخلفاء الفاطميون بناة القاهرة، فنقول:

إن إسماعيل بن جعفر الصادق مات في حياة أبيه جعفر سنة ثمان
وثلاثين ومائة، وخلف من الأولاد: محمداً، وعلياً، وفاطمة.

فأما محمد بن إسماعيل فإنه الذي إليه الدعوى؛ وكان له من الولد:
جعفر، وإسماعيل فقط - أمهما أم ولد - :

فولد جعفر بن محمد بن إسماعيل محمداً، وأحمد؛ أما أحمد فلا عقب
له.

وأما محمد فولد جعفرأ، وإسماعيل، والحسن.

وقال أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم: «وولد إسماعيل ابن
جعفر علياً، ومحمداً فقط؛ وإمامة محمد هذا تدعى القرامطة والغلاة بعد أبيه
إسماعيل. فولد محمد بن إسماعيل بن جعفر بن محمد جعفر وإسماعيل، منهم
بنو جعفر البغيض بن الحسن بن محمد الحبيب بن جعفر بن محمد بن
إسماعيل بن جعفر الصادق. وادعى عبيد الله القائم بالمغرب أنه أخو حسن
ابن محمد.

هذا، وشهد له بذلك رجل من بني البغيض، وشهد له أيضاً بذلك
جعفر بن محمد بن الحسين بن أبي الجن علي بن محمد الشاعر بن علي بن
إسماعيل بن جعفر، ومرة ادعى أنه ولد الحسين بن محمد بن إسماعيل بن
جعفر؛ وكل هذه دعوى مفتضحة، لأن محمد بن إسماعيل بن جعفر لم يكن
له قط ولد اسمه الحسين، وهذا كذب فاحش، ولأن مثل هذا النسب لا
يخفى على من له أقل علم بالنسب، ولا يجهل أهله إلا جاهل».

قلت: ما ذكره أبو محمد [بن حزم] من انتسابهم إلى الحسين ابن محمد بن إسماعيل قولاً افتعله معاديه، فقد كان أبو محمد بقرطبة، وملوكها بنو أمية، وهم أعدى أعادي القوم، فنقل ما أشاعه هناك ملوك بلده حتى اشتهر، كما هي عادة الأعداء.

والذي يقوله أهل هذا البيت ويذهبون إليه أن الإمام من ولد جعفر الصادق هو إسماعيل ابنه من بعده، وأن الإمام بعد إسماعيل بن جعفر [هو] ابنه محمد، ويلقبونه «بالمكتوم»، وبعد المكتوم ابنه جعفر بن محمد بن إسماعيل، ويلقبون جعفرًا هذا «بالمصدق»، وبعد جعفر المصدق ابنه محمد الحبيب بن جعفر المصدق بن محمد المكتوم بن إسماعيل الإمام ابن جعفر الصادق.

قالوا: فولد محمد الحبيب عبيد الله بن محمد بن جعفر المصدق بن محمد المكتوم بن الإمام إسماعيل، وعبيد الله هذا هو القائم بالغرب، الملقب بالمهدي، المنسوب إليه سائر الخلفاء الفاطميين بالغرب وبمصر. هذا هو الثابت عندهم في درج نسبهم ثم ذكر أقوال النساين في ذلك فقال:

وقال الشريف محمد بن أسعد بن علي الحسيني الجواني الثقفي: «وأما إسماعيل بن جعفر - يعني الصادق - فعقبه من ابنه: محمد وعلي؛ فأما علي فمن ولده أبو الجن بن الحسين بن علي بن محمد بن علي بن إسماعيل بن جعفر، وهم بدمشق، ويقال لهم: «بنو أبي الجن» - بجيم ونون - وأما محمد ابن إسماعيل فينسب إليه الذين تغلبوا على أفريقيا الغرب، ثم تغلبوا على مصر والشام.

ففي النساين من أثبتهم، وفيهم من نفاهم، وفيهم من أمسك؛ سألت الشريف النسابة جمال الدين أبا جعفر محمد بن عبد العزيز بن أبي القاسم الإدريسي الحسيني بمدينة القاهرة عن هؤلاء، فقال: «المثبتون لأنساب أهل القصر بالقاهرة [هم] شيخ الشرف العبيدي، وابن ملقطة العمري، وأبو عبد الله البخاري؛ والنافون لأنسابهم [هم] الشريف ابن العابد، وابن

وكيع - من أصحاب سحنون - وابن حزم الأندلسي - صاحب كتاب الجماهير في أنساب المشاهير - ؛ والمتوقفون في أنسابهم [هم] محمد المبرقع ، وأخوه الحسن الزيدانيان في جماعة كثيرة من النساين كابن خداع ، وشبل بن تكين ، وغيرهم (٣١) .

ومثل هذا ذكر في كتابه (الخطط والآثار) .

فهذا كل ما في جعبته مع تحمسه الشديد للأئمة الاسماعيلية واندفاعه إليهم ، والجدير بالذكر أن المقرئ وحيد من بين المصريين تقريباً ، الذي أيد النسب الفاطمي للمهدي الاسماعيلي وإلا فإن المؤرخين المصريين عامة ، المتقدمين منهم والمتأخرين إما أنكروا صحة نسب المهدي أو تجنبوا ذكره ، وأطرف من ذلك أن من بين المتأخرين ممن اعتنوا بالعصر الاسماعيلي المصري من علماء مصر وأعلامها انتهجوا نفس ذلك المنهج ، وحتى أن الدكتور حسن إبراهيم حسن الذي ألف عديداً من الكتب عن ذلك العصر ، وبعضاً منها مع زميله طه أحمد شرف أثبت صحة نسبة المهدي إلى إسماعيل بن جعفر في كتاب له (الفاطميون في مصر) وأيد من ذهب إلى ذلك (٣٢) .

ولكنه هو نفسه أنكر نسبه إلى علي وفاطمة في كتابه الذي كتبه خصيصاً لبيان سيرة المهدي ، أعماله وأفعاله ، مع زميله طه أحمد شرف بإسم (عبيد الله المهدي) ، ونسبه إلى عبد الله بن ميمون القداح مع ذكر طريفة أخرى وهي : أن المهدي الاسماعيلي هو من أبناء عبد الله بن ميمون القداح ولكن القائم هو من أبناء إسماعيل بن جعفر الصادق ، (وسوف نتكلم عنها فيما بعد عند محلها من هذا الباب إن شاء الله) (٣٣) .

(٣١) «اتعاظ الخفاء» ج ١ ص ١٥ إلى ١٩ .

(٣٢) أنظر لذلك «الفاطميون في مصر» ص ٦٣ وما بعد .

(٣٣) أنظر كتاب «عبيد الله المهدي» إمام الشيعة الاسماعيلية ومؤسس الدولة الفاطمية في بلاد المغرب تأليف حسن إبراهيم حسن وطه أحمد شرف ص ١٦٩ ط مكتبة النهضة المصرية - القاهرة .

هذا ولقد سبق المقرئزي وابن خلدون في هذا القول ابن الأثير، وإكمالاً للبحث لا يسعنا إلا أن نذكر ما قاله هو في كامله تحت عنوان (ذكر ابتداء الدولة العلوية بإفريقية) :

«هذه دولة اتسعت أكناف مملكتها وطالت مدتها فإنها ملكت أفريقية هذه السنة وانقرضت دولتهم بمصر سنة سبع وستين وخمسة فحتاج أن نستقصي ذكرها فنقول : أول من ولي منهم أبو محمد عبيد الله ، فقيـل : هو محمد بن عبد الله بن ميمون بن محمد بن إسماعيل بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم ، ومن ينسب هذا النسب يجعله عبد الله بن ميمون القداح الذي ينسب إليه القداحية ، وقيل : هو عبيد الله بن أحمد بن إسماعيل الثاني محمد بن إسماعيل بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم ، وقد اختلف العلماء في صحة نسبه فقال هو وأصحابه القائلون بإمامته : إن نسبه صحيح على ما ذكرناه ولم يرتابوا فيه ، وذهب كثير من العلويين العالمين بالانساب إلى موافقتهم أيضاً ، ويشهد بصحة هذا القول ما قاله الشريف الرضي :

ما مقامي على الهوان وعندي	مقول صارم وانف حمى
ألبس الذل في بلاد الأعادي	وبمصر الخليفة العلوي
من أبوه أبي ومولاه مولا	ي إذا ضامني البعيد القصي
لف عرقى بعرقه سيد الد	اس جميعاً محمد وعلي
إن ذلى بذلك الجد عز	وأوامي بذلك الربع ري

وإنما لم يودعها في بعض ديوانه خوفاً ، ولا حجة بما كتبه في المحضر المتضمن القدح في أنسابهم فإن الخوف يحمل على أكثر من هذا ، على أنه قد ورد ما يصدق ما ذكرته ، وهو أن القادر بالله لما بلغته هذه الأبيات أحضر القاضي أبا بكر بن الباقلاني فأرسله إلى الشريف أبي أحمد الموسوي والد الشريف الرضي يقول له : قد عرفت منزلتك منا وما لا نزال عليه من الاعتداد بك بصدق الموالة منك وما تقدم لك في الدولة من مواقف

عمودة، ولا يجوز أن تكون أنت على خليفة ترصاه ويكون ولدك على ما يضادها، وقد بلغنا أنه قال شعراً وهو كذا وكذا فيا ليت شعري على أي مقام ذل أقام؛ وهو ناظر في النقابة والحج وهما من أشرف الأعمال ولو كان بمصر لكان كبعض الرعايا، وأطال القول فحلف أبو أحمد أنه ما علم بذلك وأحضر ولده وقال له في المعنى فأنكر الشعر فقال له: أكتب خطك إلى الخليفة بالاعتذار واذكر فيه أن نسب المصري مدخول وأنه مبدع في نسبة فقال: لا أفعل فقال أبوه: تكذبي في قولي؟ فقال: ما أكذبك ولكني أخاف من الديلم وأخاف من المصري من الدعاة في البلاد فقال أبوه: أتخاف ممن هو بعيد عنك وتراقبه وتسخط من هو قريب وأنت بمرأى منه ومسمع وهو قادر عليك وعلى أهل بيتك، وتردد القول بينهما ولم يكتب الرضي خطه فجرد عليه أبوه وغضب وحلف أنه لا يقيم معه في بلد، فآل الأمر إلى أن حلف الرضي أنه ما قال هذا الشعر واندرجت القصة على هذا ففي امتناع الرضي من الاعتذار ومن أن يكتب طعنًا في نسبهم مع الخوف دليل قوي على صحة نسبهم، وسألت أنا جماعة من أعيان العلويين في نسبة فلم يرتابوا في صحته، وذهب غيرهم إلى أن نسبة مدخول ليس بصحيح، وعدا طائفة منهم إلى أن جعلوا نسبة يهودياً^(٣٤).

هذا وخلاصة ما ذكره هؤلاء الثلاثة، ابن الأثير والمقرئزي وابن خلدون:

أولاً: نسب المهدي الاسماعيلي عبد الله أو عبيد الله صحيح إلى اسماعيل، ومنه إلى علي وفاطمة رضي الله عنهما.

ثانياً: هذه هي الأسماء التي تربطه مع اسماعيل بن جعفر الصادق، محمد الحبيب والد عبيد الله المهدي، جعفر المصدق والد محمد الحبيب،

(٣٤) «الكامل» لابن الأثير ج ٦ ص ١٢٤، ١٢٥ ط دار الكتاب العربي بيروت - لبنان الطبعة الثانية ١٩٦٧م تحت ذكر حوادث سنة ٢٩٦هـ.

محمد المكتوم وإلد جعفر المصدق، ثم اسماعيل بن جعفر الصادق كما قال ابن خلدون :

أول الأئمة المستورين عندهم محمد بن اسماعيل وهو محمد المكتوم، ثم ابنه جعفر المصدق، ثم ابنه محمد الحبيب، ثم ابنه عبد الله المهدي صاحب الدولة بأفريقية والمغرب (٣٥).

وهو عين ما ذكره المقرئ بن بقوله :

«والذي بقوله أهل هذا البيت ويذهبون إليه أن الإمام من ولد جعفر هو - الخ - وذكر نفس الأسماء التي ذكرها ابن خلدون» (٣٦).

ثالثاً: الرد على من أنكر صحة نسبه بدليل أن المهدي لو لم يكن صادقاً في دعوى انتسابه إلى رسول الله لم يكن له في الأرض، ولم نعلم له دولة، ولم يؤيد بنصر الله وتأييده على أعدائه ومناوئيه

رابعاً: تصحيح نسبه من النبوءات التي سبقت ظهوره وتحققت فيه .

خامساً: إن الطاعنين في النسب لم يؤسسوا دعواهم إلا على السماع، وخاصة بعد ما اشتهر بين الناس المحضر الذي كتب ببغداد بطلب من الخليفة العباسي، فإن الناس تأثروا بذلك المحضر وتناقلوا روايته فيما بينهم بدون البحث والتحقيق .

سادساً: إن الطاعنين في النسب سردوا أسماء في ذكر آباء المهدي لم يذكرها هو نفسه وأهل وذووه .

سابعاً: أمر المعتز د أمراء أفريقية بأسر المهدي أصدق شاهد وأوضح دليل على صحة نسبه .

ثامناً: ميول بعض الأمراء إلى المهدي مثل نصر بن أحمد الساماني أمير

(٣٥) «تاريخ ابن خلدون» ج ٤ ص ٣٠.

(٣٦) أنظر «اتعاظ الخنفاء» ص ١٧، ١٨.

خراسان ، ومرداويج بن ذيار الديلمي ، ويوسف بن أبي ساج أمير الري يدل أيضاً على صحة نسبه - كما ذكر ذلك الدكتور حسن ابراهيم^(٣٧) .

تاسعاً: لو كان المهدي دعياً كاذباً في نسبته إلى اسماعيل بن جعفر الصادق لردّ عليه الناس في حينه ، وقضحوه في دعواه ، وعرف كذبه ولو بعد حين .

عاشراً: إن شعر الشريف الرضي في ذكره وذكر ولاية مصر واتفاقه معهم في النسب العلوي أيضاً دلالة قوية على صحة نسب أبيهم المهدي .

فهذا هو ملخص ما قاله ابن خلدون والمقريزي دفاعاً عن صحة النسب ، وردّوا به على منكريه ، فنحن نذكر هذه النقاط واحدة بعد الأخرى . فنقول :

أولاً: إن ابن خلدون والمقريزي لم يصححا نسب المهدي إلى بني فاطمة ، ولم يثبتاه إلا لأن ابن خلدون أراد من وراء ذلك الطعن والتشنيع في آل علي وأولاده كما ذكر ذلك الحافظ ابن حجر العسقلاني ونقل عنه الحافظ السخاوي :

كان ابن خلدون يجزم بصحة نسب بني عبيد الذين كانوا خلفاء بمصر ، وشهروا بالفاطميين إلى علي رضي الله عنه ويخالف غيره في ذلك ، ويدفع ما نقل عن الأئمة من الطعن في نسبهم ، ويقول : إنما كتبوا ذلك المحضر مراعاة للخليفة العباسي .

قال شيخنا : ابن خلدون كان لانحرافه عن آل علي رضي الله عنه يثبت نسبة الفاطميين إليهم ، لما اشتهر من سوء معتقد الفاطميين ، وكون بعضهم نسب إلى الزندقة وادعى الألوهية كالحاكم ، وبعضهم في الغاية من التعصب لمذهب الرافض حتى قتل في زمانهم جمع من أهل السنة ، وكان يصرح بسب

(٣٧) عبيد الله المهدي نقلًا عن «المقفى الكبير» للمقريزي ص ١٤٥ ط مكتبة النهضة المصرية - القاهرة .

الصحابة في جوامعهم ومجامعهم، فإذا كانوا بهذه المثابة وصح أنهم من آل علي على حقيقة، التصق بآل علي العيب، وكان ذلك من أسباب النفرة منهم^(٣٨).

وأما المقريري فلقد أيد نسب المهدي وصححه لأنه كان ينتمي إليهم كما صرح بذلك الإمام السخاوي^(٣٩).

وأما ابن الأثير فلم يبين حكمه إلا على قصيدة منسوبة إلى الشريف الرضي ونحن سنبين حقيقة نسبتها إليه ورأينا فيها.

ثانياً: الأسماء التي أوردها كل من ابن خلدون والمقريري في ذكر سلسلة نسب المهدي تختلف تماماً عن الأسماء التي يذكرها ابن الأثير كما ذكرناه من قبل. فهم إذاً فيما بينهم مختلفون.

ب - إن هؤلاء الثلاثة الذين دافعوا عن نسب المهدي الاسماعيلي وحكموا بصحة نسبه سردوا أسماء في ذكر آباء المهدي لم يذكرها الاسماعيلية أنفسهم، فهم يذكرون أسماء بينه وبين محمد بن اسماعيل بن جعفر الملقب عندهم بالإمام المستور الأول، والمعروف بمحمد المكتوم تخالف تماماً الأسماء التي أوردها هؤلاء كما أنهم يخالفونهم في ذكر عدد الأجيال بينهما (مع اختلافهم فيما بينهم كما سنذكره فيما بعد)، فإن عامة الاسماعيلية يذكرون الأسماء كما يلي:

عبد الله المهدي بن الحسين بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن اسماعيل ابن جعفر كما وردت في (استتار الإمام)^(٤٠) وفي (عيون الأخبار)^(٤١) وغيرها من الكتب.

(٣٨) «الاعلان بالتوبيخ» للسخاوي المتوفي ٩٠٣هـ تحقيق فرانز دوزنشال ط مطبعة العاني.

(٣٩) أنظر «الضوء اللامع» ج ٤ ص ١٤٧، ١٤٨.

(٤٠) أنظر ص ٩٥ نشر ابوانوف.

(٤١) أنظر ص ٨٩ ط دار الأندلس بيروت.

وهذه غير ما ذكره ابن الأثير وابن خلدون والمقرئزي الذي يدعي بأنه يذكر الأسماء كما يذكرها أهل البيت.

ولا أدري من هم أهل البيت عنده، كما أن هناك فرقاً بين عدد الأجيال لأن الثلاثة المذكورين من أهل السنة يذكرون جيلين اثنين بين المهدي الاسماعيلي وبين محمد المكنوم حيث أن عامة الاسماعيليين يذكرون أجيالاً ثلاثة ما بينها.

ج : إن المهدي لم يذكر أبداً في حياته، ولا واحد من أولاده بعده سلسلة نسبهم وأسماء تربط بينهم وبين محمد المكنوم، ولم يرد ذكرهم في كتاب ما، اسماعيلي وغير اسماعيلي ولا واحد من الاسماعيلية القدامى الذين عاصروا المهدي وعاشوه اطلاقاً.

ثالثاً: إن تدليل ابن خلدون والمقرئزي على صحة نسبهم بقيام دولتهم وتمكنهم في الأرض وتغلبهم على المخالفين تدليل واه وسقيم وهو افلاس وفقر وتعر عن الدليل للأسباب التالية:

أ - : لأن التمكن في الأرض والتغلب على الأعداء قد يحصل لصادق وقد يحصل لكاذب، وقد يحصل لظالم ولا يحصل لغيره، وقد أقر بذلك أول قاضي اسماعيلي عاصر المهدي وثلاثة من أولاده القائم والمنصور والمعز، نعمان بن محمد المغربي المتوفى سنة ٣٦٣هـ حيث ذكر في كتابه (المجالس والمسائرات) ناقلاً عن المعز لدين الله الإمام الاسماعيلي المشهور أنه قال:

«إن غلبة السيوف ينالها الحق والمبطل ولكن غلبة الحجة لا تكون إلا لأهله» (٤٢).

وإلا ليحكم على كثير من أنبياء الله الصادقين أنهم لم يكونوا على حق - عياداً بالله - حيث لم تقم لهم دولة ولم يتمكنوا في الأرض ولم يتغلبوا على

(٤٢) «المجالس والمسائرات» للقاضي النعمان بن محمد المغربي ص ١٣٩ ط المطبعة الرسمية - تونس.

الأعداء، بل إن كثيراً منهم قهروا وطردوا من أراضيهم وفريقاً منهم قتلوا بصريح القرآن «فريقاً كذبتهم وفريقاً تقتلون» (٤٣).

وعكس ذلك أن التار وغيرهم من الوحوش الذين أفنوا العباد، ودمروا البلاد، وسعوا في الأرض فساداً، كانوا على حق لتمكنهم في الأرض وغلبتهم على الأعداء؟

ما أشفه هذا القول، وما أفسد هذا الرأي .

ب - : لو كان تمكنهم في الأرض وتغلبهم على البلاد والعباد دليلاً على صحة نسبهم لكان زوال دولتهم وهزيمة عساكرهم وإزالة ملكهم بيد صلاح الدين وعمه شيركوه، وهزائمهم النكراء المتتالية من أعدائهم . وتذلل بعضهم أمام وزرائهم دليلاً على كذب دعواهم وبطلان نسبهم .

ج - : إن المقريري الذي بلغ الذروة في تحمسه بتدليله هذا، لا يُعرف لماذا لم يصرح بعد ذلك بصدق مقولتهم ومذهبهم أيضاً حيث الدليل هو الدليل؟

ولو جعل هذا الدليل معياراً للصحة والصدق لانقلبت الموازين وانعكست المفاهيم .

رابعاً: إن النبوءات التي ذكرها المقريري وأشار إليها ابن خلدون وجعلها دليلاً آخر على صحة نسب المهدي لأوهى من بيت العنكبوت .

فمتى كانت النبوءات ومن رجال غير معصومين لا ينطقون بالوحي دليلاً على صحة الدعاوى وصدقها؟

وأغرب من ذلك أن تكون النبوءة صادرة من رجل منافس لإمام الاسماعيلية السادس اسماعيل بن جعفر ومغتصب حقه وحق ابنه محمد المكنوم، والذي قالت الاسماعيلية فيه :

« ادعى موسى الإمامة لنفسه، وقد قيل فيه كما قيل في زيد بن علي بن الحسين . . . من ادعى الإمامة وليس من أهلها فقد ظلم نفسه وتعدى طوره، وتعاطى ما ليس بأهله، فهو كإبن آدم الذي قتل أخاه، وكإبن نوح الذي أبعد الله منه ونفاه، وإن كان ينسب إلى ذرية النبوة وعقب الإمامة» (٤٤).

ألا يعذر من يرمي المقريري بسوء المعتقد بعد استدلاله هذا من نبوءة موسى بن جعفر على صحة دعوى المهديّة من قبل عبد الله الاسماعيلي.

خامساً: إن الطاعنين في النسب لم يؤسسوا دعواهم على السماع مما اشتهر بين الناس لأجل المحضر الذي كتب ببغداد:

أ - : لأن كثيراً منهم حكموا ببطلان نسبة المهدي إلى اسماعيل بن جعفر ومنه إلى علي وفاطمة قبل أن يصدر هذا المحضر ببغداد. منهم ابن رزام وهو مات قبل صدوره بست عشرة سنة، وكذلك أخو محسن العلوي، وكذلك القاضي أبو بكر الباقلائي وغيرهم الكثيرون.

ب - : وإن الطاعنين في النسب قد بنوا حكمهم على المحكمات واليقينيات، وعلى قواعد معروفة ثابتة في الأنساب، وأصول مشهورة بينة في الأنساب.

ثم لا يعرف نسب أحد إلا بعد ما يذكر اسم أبيه وجده إلى آخره ولكن المهدي الاسماعيلي لم يجرؤ أبداً أن يذكر أسماؤهم، ولا أحد من أتباعه في عصره، بل ثبت عكس ذلك أنه نسب نفسه إلى قبائل عديدة في مختلف الأوقات والظروف، وقد بدر منه أشياء كثيرة جعلت أقرب المقررين إليه يشك في كنهه وحقيقته، وبدأ أبو عبد الله الشيعي وهو الذي فتح بلاد المغرب يتنكر عليه وينكر مهديته (٤٥).

(٤٤) «عيون الأخبار وفنون الآثار» - السبع الرابع ص ٣٣٥، ٣٣٦ تحقيق مصطفى غالب ط دار الأندلس بيروت ١٩٧٣ م.

(٤٥) «عيون الأخبار» - السبع الخامس ص ١٢٠ وما بعد.

سادساً: اتهام الطاعنين بأنهم بنوا الحكم على أسماء ذكروها لأباء المهدي ما لم يذكرها هو نفسه؟ فهل الأسماء التي ذكرها المؤيدون هي عين تلك الأسماء التي ذكرها المهدي وأهله وذووه، أو الاسماعيلية؟ وقد ذكرنا هذا مفصلاً فيما سبق.

سابعاً: أمر المعتضد أمراء أفريقية بأخذ الآفاق على المهدي الاسماعيلي وإذكاء العيون في طلبه لا ينهض دليلاً على كونه من بني فاطمة أيضاً لأن الذي يخاف مناوئة الحكم، ومعاداة الحكام، وقلب الأنظمة، وإثارة الفتن والقلاقل والاضطرابات يترصد له، ويراقب حركاته وسكناته، ويأمر بأخذ الآفاق عليه وإذكاء العيون وأسرره وسجنه سواء انتسب إلى بني فاطمة أو لم ينتسب، ولم يكن محاربة بني العباس العلويين وحدهم، بل أنهم حاربوا كل من وقف في سبيلهم، وقتلوا كل من رأوا منه خطراً على ملكهم وإلا لكان العلويون كلهم أسارى ومسجونين، ولم يكن الأمر كذلك.

وكذلك وقع الأسر على المهدي قبل أن يتحرك بما تحرك، ويعمل بما عمل.

وأما جعل ابن خلدون هذا دليلاً على صحة نسب المهدي إلى بني فاطمة فإنه من الغرائب والعجائب، ولا ندري كيف يقع في مثل هذا مؤرخ فيلسوف كابن خلدون مع قيام أبي عبد الله الشيعي بالهجمات المتتالية والحملات المسلسلة، كأن ابن خلدون نسي أنه لم يصدر مثل هذه الأوامر من الخليفة العباسي في حق أحد غيره من الثائرين والمحاولين التغلب على إقليم وبلدة من أقاليم الدولة العباسية وبلادها، وحقيقة أن هذا التدليل من الدلائل الواهية التي أتى بها لإثبات ما يريد أن يثبت مع علو شأنه ورسوخ قدمه في ميدان التاريخ. ولا عصمة إلا لأنبياء الله ورسله الناطقين بالوحي، فإن لكل عالم زلة، كما أن لكل فارس كبوة، إلا من رحم ربك.

ثامناً: اتجاه ميول بعض أمراء العباسيين إلى المهدي الاسماعيلي أيضاً لا دليل فيه على صحة نسب المهدي كما أراد الاستدلال بذلك المفريزي لأن

كثيراً من الناقمين على الحكم يجدون التسلية فيمن يقوم ضده ويشور على أصحابه، والتاريخ مليء من أمثلة ذلك حتى تاريخ الاسماعيلية أنفسهم. ففي أيام القائم والمنصور حينما قام أبو يزيد مغلد بن كيداد بالثورة ضدهم، وشنّ عليهم الغارات التجأ إليه كثير من أمراء بني عبيد وأنصار الاسماعيلية وأتباعهم كما أقر بذلك المعز لدين الله حفيد المهدي والقاضي النعمان بن محمد المغربي^(٤٦).

تاسعاً: وأما تدليل ابن خلدون بأن المهدي وأولاده من بعده لو كانوا كاذبين في نسبتهم إلى بني فاطمة لعرف أمرهم في حينهم أو بعد مدة فتدليل واه أيضاً حيث يعلم من له معرفة بالتاريخ أن الناس ردّوا دعوى المهدي في نسبته إلى اسماعيل بن جعفر في بدء أمره، وكان أول الرادين عليه أبو العباس الأخ الأكبر لأبي عبد الله الشيعي، وأبو عبد الله الشيعي نفسه مؤسس الدولة الاسماعيلية في المغرب وباني صرحها، وكذلك القرمطي الحسن الأعصم كما سيأتي ذكر هذا كله بعد قليل.

وأما المسلمون السنة فردّوا عليه دعواه في حينه كما ردّ خلفهم على خلفه، وقتل هو وبنوه على ذلك خلقاً كثيراً كما ذكرناه من قبل، والوقائع في ذلك معروفة مشهورة.

والجدير بالذكر أن مسألة نسب الأئمة الاسماعيلية لم تستحدث بعد زمان طويل كما أراد المؤيدون للنسب إيهام الناس، بل أثبتت هذه المسألة في حينها، فالحسن الأعصم القرمطي أعلن من فوق منبر دمشق بأن المعز لدين الله ليس من سلالة اسماعيل بن جعفر، بل هو من أولاد ميمون القداح كما سنذكره بعد قليل مفصلاً إن شاء الله.

وكذلك ذكر المؤرخون أن المعز بن المنصور لما دخل الديار المصرية

(٤٦) أنظر «المجالس والمسايرات» الجزء الثاني تحت عنوان: اغتر كثير من أنصار الأئمة بأبي يزيد ص ٧٢.

اجتمع به جماعة من الأشراف، وكان من بينهم ابن طباطبا، فأنكروا عليه
نسبه (٤٧).

وكان الإنكار عليهم ذائعاً شائعاً حتى أن العزيز بن المعز صعد المنبر أحد
أيام الجمعة في أول خلافته فرأى ورقة على المنبر فيها هذه الأبيات :

انا سمعنا نسباً منكراً يتلى على المنبر في الجامع
إن كنت فيما تدعي صادقاً فاذكر أباً بعد الأب الرابع
وإن ترد تحقيق ما قلته فانسب لنا نفسك كالطائع
أو فدع الأنساب مستورة وادخل بنا في النسب الواسع
فإن أنساب بني هاشم يقصر عنها طمع الطامع (٤٨)

وفي أيامه سأل عضد الدولة البويهى الديلمي الشيعي الأشراف ببغداد
عن نسب العبيدين كما ذكره المقرئ في اتعاظه أن الملك فناخسرو (عضد
الدولة) جمع العلويين ببغداد وقال لهم :

«هذا الذي بمصر يقول : إنه علوي منكم، فقالوا: ليس هو منا، فقال
لهم: ضعوا خطوطكم، فوضعوا خطوطهم بأنه ليس بعلوي، ولا من ولد
أبي طالب. ثم أنفذ إلى نزار بن معد رسولا يقول له: نريد أن نعرف ممن
أنت؟ فعظم ذلك عليه، فذكر أن قاضيه ابن النعمان ساس الأمر لأنه كان
يلي أمر الدعوة والمكاتبة في أمرها، فنسب نزاراً إلى آبائه، وكتب نسبه، وأمر
به أن يقرأ على المنابر، فقرأ على منبر جامع دمشق صدر الكتاب، ثم قال:
نزار العزيز بالله بن معد بن المعز لدين الله بن اسماعيل المنصور بالله بن محمد
القائم بأمر الله بن عبيد الله المهدي بالله بن الأئمة المتحنيين - أوقال:
المستضعفين - وقطع» (٤٩).

(٤٧) «وفيات الأعيان» لابن خلكان ج ٢ ص ٢٦٩.

(٤٨) إيضاح ٢.

(٤٩) «الاتعاظ» ج ١ ص ٣٥، ٣٦.

هذا، ومن ناحية أخرى يذكر المؤرخون أن كل ما جرى بين عبد الرحمن الثالث الأموي أمير الأندلس وبين عزيز بن المعز الخليفة الإسماعيلي في مصر، فأرسل إليه العزيز كتاباً يسبه فيه ويهجوّه فأجابه عبد الرحمن الأموي بكتاب كتبه إليه :

«أما بعد فقد عرفتنا فهجوتنا، ولو عرفناك لأجبناك» (٥٠).

ومثل هذا حدث كثيراً في أدوار مختلفة.

كما أنكّر عليهم نسبهم كثير من العلويين أنفسهم، ومن أولاد إسماعيل ابن جعفر، منهم الشريف أخو محسن النسابة المشهور وغيره.

عاشراً: تدليل ابن خلدون والمقرّيزي بشعر الشريف الرضي ومن قبلهما ابن الأثير الجزري الذي بني كل عمارة تصحيح نسب القوم على شعره ليس بأقوى من تدليلاتهم الأخرى التي بينّا حقيقتها آنفاً، وقبل أن نتكلم في الموضوع نستحسن أن نذكر في اتعاضه، وأشار إليه ابن خلدون في تاريخه :

ما مقامي على الهوان وعندي مقول صارم وأنف حمى
ألبس الذل في بلاد الأعادي ويمصر الخليفة العلوي
من أبوه أبي ومولاه مولا ي إذا ضامني البعيد القصي
لف عرقي بعرقه سيد الد اس جميعاً محمد وعلي
إن ذلي بذلك الجد عز وأوامي بذلك الربع رى (٥١)

فهذه هي الأبيات التي أسس عليها ابن الأثير بناءه لتصحيح نسب القوم مع أنها لا تصلح للتدليل والاحتجاج كما يلي :

أولاً: إن هذه الأبيات مكذوبة على الشريف الرضي من قبل الإسماعيلية، ولأجل ذلك لم يدرجها في ديوانه، ولم يروها الرواة عنه، وهذا من أقوى البراهين بأنه لم يقلها إطلاقاً.

(٥٠) «بتيمة الدهر» للثعالبي ج ١ ص ٢٢٤.

(٥١) «ابن الأثير» ج ٦ ص ١٢٤.

ثانياً: وأكثر من ذلك أنه لما علم بهذه الأبيات أنكرها هو وأبوه، وحلف عليه الأيمان المغلظة كما ذكر ابن كثير:

لما سمع الخليفة القادر بأمر هذه القصيدة انزعج وبعث إلى أبيه الموسوي يعاتبه، فأرسل إلى ابنه رضي فأنكر أن يكون قالها بالمرّة... وتعددت الرسائل من الخليفة إليهم في ذلك وهم ينكرون ذلك حتى بعث الشيخ أبا أحمد الأسفرائيني والقاضي أبا بكر إليهما فحلف لهما بالأيمان المؤكدة أنه ما قالها^(٥٢).

وأقر بذلك كما ذكر ابن الأثير ولم يودعها في ديوانه^(٥٣).

وأكثر من ذلك أن أباه النقيب أبا أحمد نسب هذه الأبيات إلى أعدائه كما أكد إيمانه بقوله:

«أما هذا الشعر فما لم نسمعه منه، ولا رأيناه بخطه، ولا يبعد أن يكون بعض أعدائه نحله إياه وعزاه إليه»^(٥٤).

ثالثاً: إن الشريف الرضي هو من ضمن الأشخاص الذين كتبوا المحضر الذي يتضمن القدر في نسب المهدي الاسماعيلي، ونسب أولاده. ثم وقع عليه بخط يده كما ذكره جمع من المؤرخين، منهم ابن كثير وابن الأثير، وابن تغري بردي الأتابكي، وابن الجوزي، والذهبي، وغيرهم كثيرون.

فكيف يعتمد على مجهول النسبة والمنكر والمرفوض من قبل من ينسب إليه، ويترك المعلوم المقرر، والموثق بخط اليد والتوقيع؟

فالقصيدة أنكرها الشريف الرضي حالفاً بالله بأنها لم تكن من نظمته، والمحضر أثبتته وأقره بتوقيعه.

(٥٢) «البداية والنهاية» لابن كثير ج ١٢ ص ٤ ط دار الفكر بيروت سنة ١٩٧٨ م.

(٥٣) أنظر «ابن الأثير» ج ٦ ص ١٢٥.

(٥٤) «اتعاظ الحنفاء» للمقرئ جمال الدين شبال ج ١ ص ٤٠ ط دار الفكر العربي

١٩٤٨ م.

فالغريب من ابن الأثير أن يتمسك بتلك ويعرض عن هذا.

رابعاً: إن كان الشريف الرضي هذا الرجل في نظر ابن الأثير الذي ينكر صحة نسب المهدي وأولاده إلى بني فاطمة إرضاء للخليفة العباسي ويثبت نسبهم إرضاء للخليفة الاسماعيلي:

كما ينكر نسبة القصيدة إليه خوفاً من خليفة بغداد. فمن كان هذا شأنه وديدنه هل يعتمد على قوله ويصغي إلى كلامه، وهل يصلح للاحتجاج والتدليل.

خامساً: لو سلمت صحة نسبة هذا الشعر إلى الشريف الرضي لا يصلح للتدليل أيضاً لوجهين:

أولاً: إن قوله هذا ليس بكاف لإثبات نسبهم إلى بني فاطمة حيث أن أباه أبا أحمد وهو نقيب العلويين، وأخاه الشريف مرتضى الملقب بعلم الهدى أنكرا نسبهم مع من أنكر من العلويين الآخرين مثل الشريف أخى محسن، والشريف ابن طباطبا وغيرهم الكثيرين الكثيرين.

ثم وقول الشريف الرضي لإثبات نسبهم لا يستند إلى دليل وبرهان.

ثانياً: لا يستبعد - على شرط صحة نسبة القصيدة إليه - أن يكون قالها الشريف اغضباً للخليفة العباسي لحادث حدث أو ملمة ألت. ففي مثل تلك الأحوال والظروف يقول الإنسان أحياناً ما لا يكون في قلبه، مع أن المعروف أن الشريف الرضي كان يخالف المذهب الاسماعيلي وبنائهم في معتقداتهم وآرائهم لكونه من الاثني عشرية الأعداء الحقيقيين للاسماعيليين حيث أن إمامهم السابع هو الذي غصب حق إمامة امامهم السادس اسماعيل ومن بعده الإمام السابع محمد بن اسماعيل. وهذا مع الاحتمال البعيد أن يكون قائل هذه الأبيات الشريف الرضي مع أنه لم يقلها ولم يقر بها.

فهذه هي خلاصة ما قاله ابن خلدون والمقريري وابن الأثير مؤيدو النسب الفاطمي للمهدي وأولاده قد بينا حقيقتها ببعض التفصيل.

وأما ما قاله المنكرون عليهم نسبهم الفاطمي من أهل السنة وهم
الكثيرون الكثيرون فقد أوردنا كلامهم مقدماً.

ويجدر بنا أن نشير ههنا إلى أن المحضر الذي صدر من بغداد في الطعن
على نسب حكام مصر من أولاد المهدي سنة ٤٠٢ هـ، الذي ورد ذكره في
كلام ابن كثير، والذي تكرر صدوره مرة أخرى سنة ٤٤٤ هـ لم يتصدّ الأئمة
الاسماعيلية له بالرد والانكار، ومحاولة إثبات نسبهم وذكر أسماء آباء المهدي.
فافهم فإنه مهم جداً في هذا الموضوع.

والآن نتقل إلى ما قاله الاسماعيلية أنفسهم في هذا الموضوع.

آراء الاسماعيلية في نسب المهدي

قبل أن نذكر آراء الاسماعيلية في نسب المهدي نريد أن نذكر ههنا أنهم مع ادعائهم مشايعة المهدي واتباعه، وأنهم من ذويه وأهله يترددون في اسمه. فبعض منهم يسميه بعبيد الله^(٥٥)، وهو الأشهر، وعلى ذلك سميت دولتهم دولة العبيديين، وبه قال المقرئزي وابن خلدون وابن الأثير، المؤيدون لصحة نسبه من أهل السنة.

والكثير من الاسماعيلية يسميه عبدالله^(٥٦).

والبعض يسميه بسعيد الخير^(٥٧).

وبعض المتأخرين منهم يسمونه بمحمد^(٥٨).

(٥٥) انظر مقدمة «راحة العقل» ص ٢٧.

(٥٦) «كتاب الأزهار» لحسن بن نوح الهندي من منتخبات اسماعيليه للدكتور عادل العوا، افتتاح الدعوة ص ٢٤٩، «زهر المعاني» ص ٦٦ من المنتخب لا يوانوف، «عيون الأخبار» السبع الخامس ص ٨٩، نورمين وغيرها من الكتب.

(٥٧) «غاية الموالي» ص ٣٧ من المنتخب لا يوانوف.

(٥٨) انظر «تاريخ الدعوة الاسماعيلية» لمصطفى غالب الاسماعيلي ص ١٠١ دمشق، أيضاً «الملك الدوار» العبدالله بن المرتضى الاسماعيلي ص ١٤٠.

فهذا هو المهدي الذي يريدون اثبات نسبه إلى اسماعيل بن جعفر، ومنه إلى علي وفاطمة رضى الله عنهما ولكن الآراء المتعارضة، والأقوال المتضاربة المختلفة تزيد الغموض وتكثر الارتياح في صحة نسبه بدل أن تصحح نسبته إلى بني فاطمة، وتؤيد ما يذهب إليه الاسماعيلية، واليكم التفصيل:

يقول خطاب بن الحسن المتوفي سنة ٥٣٣هـ، وهو من كبار الدعاة الاسماعيلية، في كتابه وهو يذكر بدء الامامة من الحسن بن علي ثم استقرارها في جعفر بن محمد، فيقول:

«جعفر بن محمد الصادق (ع) المصدق الأمين في تسليمه الأمر إلى ولده اسماعيل بن جعفر وغيبة اسماعيل، وولده محمد بن اسماعيل في حد الطفولية ولم تكن ترجع الامامة قهقري كما لم ترجع من غيره، فأودع حجته المنسوبة بين يديه مقامه لولده، وأقامه ستراً عليه، وقدمه بين يديه واستكفله إياه إلى بلوغه أشده سلام الله عليه، فلما بلغ أشده تسلم وديعته، ثم جرى الأمر في عقبه خلفاً عن سلف حتى انتهى الأمر به إلى علي بن الحسين بن أحمد بن عبدالله بن محمد بن اسماعيل صلوات الله عليهم أجمعين.

فكان من أمره ما كان من ارسال دعائه الحسين بن فرح بن حوشب المعروف بالمنصور، وانما لقب بذلك لما افتتح له من النصر باليمن، فدخل اليمن وكان من أمره ما ضمته سيرته، وكان بمثابة الفجر المتنفس، وبه كشف الله عز وجل عن الأولياء الغمة وأثار حنادس الظلمة قدس الله روحه ورزقنا شفاعته، ثم اتصل أبو عبدالله صاحب الدعوة بالمغرب عن أمر امامه علي بن الحسين، فأقام عنده في اليمن وشهد معه وقائع كثيرة وجاهد بين يديه، ثم بعثه من أرض اليمن إلى أرض المغرب، فشخص إليها وكان من خبره في طريقه ما ضمنه كتاب (افتتاح الدعوة) بالمغرب، وأظهر الله به دعوة الحق وكان على يديه طلوع الشمس.

وذلك أنه لما أظهر النور باليمن وبلاد المغرب سارولي الله في أرضه على ابن الحسين صلوات الله عليه يريد بلاد المغرب حتى كان في بعض طريقه أظهر الغيبة واستخلف حجته سعيد الملقب بالمهدي سلام الله عليه فثبت

قواعد الدعوة وجرى عليهما من ضدهما بسجلماسة من العمال بالمغرب ما جري، ووقي الله وليه سلام الله عليه من سجنه.

فلما حضرت المهدي النقلة سلم الوديعة إلى مستقرها، وتسلمها محمد ابن علي القائم بأمر الله تعالى، وجرت الامامة في عقبه سلام الله عليه حتى انتهت الامامة إلى مستقرها ومعدنها، واطمأنت بموضعها من الامام المنصور أبي علي الأمر بأحكام الله أمير المؤمنين بالنص عليه كما قدمنا في هذا الباب» (٥٩).

وهذه العبارة واضحة جلية في منظوقها، لا غموض فيها.

وعندما نضيف إلى هذه العبارة عبارة أخرى وردت في كتاب اسماعيلي قديم للقاضي النعمان الذي عاصر المهدي والقائم والمنصور والمعز، وبرواية المعز نفسه - الامام اسماعيلي الرابع في دور الكشف والظهور - يتضح المعنى أكثر وأكثر، فيقول القاضي اسماعيلي النعمان بن محمد المغربي: إن المعز ذكر حديثاً كنا نسمعه أيضاً يؤثر عن المهدي في كاشف محنة مخلد بن كيداد الذي خرج على اسماعيلية، وضاقوا به ذرعاً، قال: ان المهدي ذكر نار الفتنة في بعض أيامه فقال:

«صاحب هذا الأمر في هذا الوقت حمل في بطن أمه، وعن قريب يولد. وكان المنصور (عليه السلام) حَمَلًا في ذلك الوقت. وكان عند المهدي (عليه السلام) حَمَلٌ فولدَ المنصور (عليه السلام) وولد / أبو الحسن للمهدي. وكانت أمه قد قالت - وهي حامل به - للمهدي: إني رأيت كأن القمر في حجرني وأنا أرضعُه. فلما ولد المنصور وأتى به المهدي ليبارك عليه، دعا بأم ولده أبي الحسن وقد ولدته فدفع المنصور إليها. وقال لها: أرضعيه مع ابنك. ففعلت مسرورة بذلك فرحة به. فلما أرضعته، قال لها المهدي (عليه السلام): أتذكرين الرؤيا التي رأيت أنك تُرضعين القمر وهو في حجرك؟

قالت: نعم يا أمير المؤمنين (عليه السلام).

(ف) قال لها المهدي (عليه السلام): فهذا تأويل رؤياك. ثم لم يلبث ابنها أبو

(٥٩) «غاية المواليد الثلاثة» ص ٣٦، ٣٧ من المنتخب لايوانوف.

الحسن أن جَدِرَ فذهب بصره، فأيقنت أن رؤياها كانت للمنصور (عليه السلام) مع تأويل / المهديّ (عليه السلام) لها ذلك.

قال المعزّ (عليه السلام): فكانت بعد ذلك من اليقين والولاية لنا في غاية ما يكون عليه أهل الإخلاص، وكُبُرَتْ وأسْنَتْ وهي على ذلك. وكانت تقول لولّد المهديّ ونسائه بعد وفاته: والله لقد خرج هذا الأمر من هذا القصر - تعني قصر المهديّ بالله (ﷺ) - فلا يعود إليه أبداً. وصار إلى ذلك القصر - تعني قصر القائم بأمر الله - فلا يزال في ذريّة صاحبه ما بقيت الدنيا. وإذا رأت الواحدة من نسائها، قالت: هذه السيدة، لمن كانت منهن قد ولدت إماماً. فيقول لها بناتها: لقد كبرت وخلّطت. فتقول: أما الكبرة فنعم، وأما التخليط فلا، والله ما أنا / بمخلّطة ولكن سمعتُ ذلك من علم الأئمة.

ولم تزل على ذلك حتى ماتت.

قلت: رحمها الله (تع).

قال: نعم، ونفعها اعتقادها» (٦٠).

وهذه العبارة نص في المسألة بأن المهدي لم يكن من بني فاطمة، كما أنه لم يكن ابن امام اسماعيلي من الأئمة المستورين، وكانت أولاده ونسأؤه على معرفة بذلك، وأيضاً لم يكن القائم من ذريته، ولذلك فرق المعز بين ولد المهدي ونسائه، وبين ذرية القائم ونسائه بقوله: «ولد المهدي ونسائه» و«من نسائها»، وهذا واضح وجلي.

ويصرح بذلك الداعي المطلق ادريس عماد الدين في كتابه (زهر المعاني):

«وكان المهدي بالله رابع الخلفاء ومثول المضغة في الدور... فكان شمس الله الطالعة، وآيته الساطعة، والحجاب الأعظم، والباب الأشرف الأكرم،

(٦٠) «كتاب المجالس والمسائرات» للقاضي النعمان بن محمد المتوفي سنة ٣٦٣هـ الجزء الثامن والعشرون ص ٥٤٢، ٥٤٣. ط المطبعة الرسمية - تونس ١٩٧٨م.

حامل أمانة الله ووديعته، ومسلمها إلى القائم بأمر الله ولده المنتسب إليه بتعليمه وافادته، وهو خليفته القائم منه» (٦١).

وأيضاً «وقام المهدي بدعوته أحسن قيام، وأمدّ دعائه في سائر البلدان فأشرقت الأرض بنور ربها، وظهرت أنوار الله من حجبها، وأشار المهدي بالله إلى محمد القائم بأمر الله أمير المؤمنين، ونشر لأهل دعوته فضله المبين، وأدى إليه أمانته، وسلّم إليه رتبته، وأعطاه وديعته التي استودعها الله إياه له يجعل لسائر أولاده فيها نصيباً بل أقر الحق في مقره، وجعله في مستقره توحيد الولي الله وتعريف الشريف مقامه، واقتدى بجده محمد المصطفى في نصه على وصية علي بن أبي طالب يوم الغدير، ولما نعت إليه نفسه، وأن قرب حامه، وكان القائم بأمر الله نور الله الذي تجلّى من أعظم الحجب وبرهانه الذي الإعراب بفضله ندب، فدانت له حدود الدعوة وعرفت أن المهدي بالله لهم إليه أفضل قدوة صلوات الله عليهما وعلى أبنائهما والخير من أوليائهما».

وأيضاً - «ولما توطدت قوانين الدعوة الهادية، سلام الله على وليها، بالمهدية وظهر أهل الكهف من كهف التقية، وأن الأجل وانقضى المهل سلّم الامام المهدي بالله إلى ولده القائم رتبته، وأدى إليه وديعته وأمانته، وأظهر الغيبة وانتقل بجوار ربه والقدوم عليه» (٦٢).

وذكر أيضاً أن المهدي سعيد الخير لم يتسم بالامامة الاسترا على ولي الله القائم بأمر الله وكان هذا معروفاً لدي دعاة الاسماعيلية والخلصاء الأبرار، والمصطفين الأخيار، والعارفين لسر الله كما صرح بذلك في كتابه هذا: «ثم ان الامام صاحب الزمام تقدم للهجرة إلى المغرب والمهدي في كنفه فأظهر النقلة في سفره وأوصى إلى أخيه سعيد الخير واستكفله واستودعه لولده وكفله سعيد الخير، وتسمى بالامامة بأمر الناص عليه ستر على ولي الله

(٦١) «زهر المعاني» للداعي ادريس ص ٦٧ من المنتخب لأيوانوف.

(٦٢) «زهر المعاني» ص ٧١.

واخفاء لمقامه عن أهل دعوته حتى يكون أوان ظهوره وطلوع نوره، وأمر الحدود بذلك وأن يكنوه بالشمس الطالعة سترا على ولي الله ولده القائم من بعده، فلم يطلع أحد عليه ولا وقف على سر الله فيه الا الخلصاء الأبرار المصطفون الأخيار العارفون لسر الله في أوليائه، المطلعون على معرفة ما أظهر لهم من أصفياه حتى اذا آن الميقات ووطدت الدعوة الدعاة، وأشاروا إلى ولي أمرهم الذي أمروا بالإشارة إليه، وأوضحوا فضله لمتبعيهم، ودلّوا عليه، وبشروا بظهور الشمس من غربها، ووعدوا بدنو الميقات لظهورها من استتار حجبها. فقال المهدي صلوات الله عليه وقد انتشرت دعوته في الآفاق، واستدل بواضح براهينه أهل الخلاف فرجعوا إلى الوفاق، فظهر من سجداسة على يد داعيه أبي عبدالله صاحب الدعوة بالمغرب قدس الله روحه، ومعه الامام القائم بأمر الله محمد بن عبد الله المستحق بعده للخلافة، والذي إليه دعوة الأولياء كافة، والمهدي بالله كافل له في كفالته ومشير بعالي مقامه إلى دعوته (٦٣).

وهناك نص هام آخر يشعر بأن المهدي أراد أن يجعل الامام في عقبه ويحرم القائم بأمر الله ولكنه كلما هم باغتصاب الأمر وجعله في بنيه مات ابنه كما ذكره النعمان القاضي عن المعز، قال فيه :

«انه أراد أن يؤثر به من قرب منه ممن لم يجعله الله (عز وجل) له فكلما نصب لذلك واحدا مات واستأثر الله به، إلى أن ذهب أقاربه وأقام صاحب الحق ضرورة اذلم يجد غيره، فقال : الآن يا عم بعد أن فعلت ما فعلت، فتمثل له بقول الشاعر (رجز) :

الله أعطاك التي لا فوقها وكم أرادوا منعها وعوقها
عنك، وبأن الله الا سوقها إليك، حتى طوقوك طوقها
فردّها الله (عز وجل) إلى صاحبها المستقرة فيه وأخرجها من يدي من كانت

مستودعة عنده بعد أن جهد في صرفها إلى من قرب منه جهده. فليس المستقر كالمستودع ولا الوكيل كالموكل ولا الوصي كالموصى عليه، ولا له أن يملك شيئاً مما له في يديه ولا أن يعدل بذلك إلى غيره عنه. هي أمانة الله التي قد استحفظها ووديعته التي أودعها. قال الله جل من قائل: ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتكم بين الناس أن تحكموا بالعدل». (٦٤).

ويؤيد ذلك ما ذكره في (المجالس) ورواه ابن عذارى أيضاً أن القائم علم من ابنه القائم أن الناس يتحدثون بأن المهدي نص بولاية العهد لابنه أبي علي أحمد بن المهدي فقلق القائم لذلك (٦٥).

وعلى ذلك ذهب من ذهب كل من المستشرق الانجليزي المشهور برنارد لويس في كتابه (اصول الاسماعيلية)، والمؤرخ المصري السيد حسن ابراهيم حسن في كتابه (عبيد الله المهدي) إلى أن القائم بأمر الله لم يكن ابناً جسمانياً للمهدي، بل كان ابناً روحياً له، وكان المهدي من نسل ميمون القداح (٦٦).

فهذه حصيلة الروايات من جانب:

أولاً: ان اسماعيل بن جعفر جعل الامامة في محمد ابنه، ومحمد في عبدالله ابنه، وعبدالله في أحمد ابنه، وأحمد في الحسين ابنه، والحسين في علي ابنه.

ثانياً: وعلي بن الحسين هذا هو الذي أرسل دعائه إلى اليمن وغيرها، وبأمره أرسل أبو عبدالله الشيعي إلى المغرب.

(٦٤) «المجالس والمسائرات» الجزء التاسع عشر ص ٤١٠، ٤١١.

(٦٥) «البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب» لابن عذارى المراكشي ج ١ ط دار الثقافة بيروت.

(٦٦) انظر كتاب «أصول الاسماعيلية» لبرنارد لويس الطبعة العربية ترجمة خليل أحمد جلو، وجاسم محمد الرجب ص ١٢٧ وما بعد ط دار الكتاب العربي مصر، وكتاب «عبيد الله المهدي» لحسن ابراهيم حسن مع طه احمد شرف ص ١٥٦ وما بعد.

ثالثاً: وعلى بن الحسين هو الذي تحرك من الشام إلى المغرب على دعوة أبي عبدالله ولكنه قبل وصوله اليهامات في الطريق، وكان معه ابن له محمد ابن علي الملقب بالقائم بأمر الله، وكان صغيراً فاستكفل عليه حجته سعيد الملقب بالمهدي، وجعله مستودعاً عليه.

رابعاً: ان المهدي لم يكن اسمه الحقيقي عبدالله أو عبيدالله، بل كان اسمه سعيداً، فاذن سعيد الخبر والمهدي شخص واحد، لاشخصان مختلفان.

خامساً: ان سعيد الملقب بالمهدي ثبت قواعد الدعوة، وحفظ الامام الحقيقي المستقر محمد بن علي القائم بأمر الله، وزحف إلى بلاد المغرب ففعل ما فعل نيابة ووكالة، لا اصاله واستقلالا واستقرارا.

سادساً: سلم المهدي لدى احتضاره الأمانة التي استؤمن عليها، والوديعة التي استودعت عنده إلى صاحبها ومستقرها محمد بن علي، ثم جرت الامامة في عقبه، لا في عقب المهدي.

سابعاً: ولم يكن القائم الامام المستقر من ولده هو، بل كان من بيت آخر بتصريح احدى نسائه، ويتصریح المعز لدين الله، وياقرار الداعي المطلق ادريس.

ثامناً: حاول المهدي جعل الامامة في اولاده وحرمان القائم منها.

تاسعاً: ان المهدي كان من اولاد ميمون القداح.

عاشراً: وكان الدعاة الاسماعيلية والخلصاء الأبرار، والمصطفون الأخيار على معرفة بذلك كله.

فتلك عشرة كاملة.

هذه هي ثمرة النصوص الاسماعيلية وخلاصتها من أهم كتب القوم أنفسهم من جانب.

ومن جانب آخر يقولون غير ما قاله هؤلاء الأعلام والأعيان، وربما شخص واحد خالف مقولته وناقض كلامه في كتابين مختلفين له، وربما في كتاب واحد.

ومثال ذلك أن ما قاله الداعي المطلق ادريس عماد الدين في كتابه (عيون الأخبار) لمعارض تماماً ما أثبتته في كتابه (زهر المعاني) حول المهدي، ومنه نبداً فنقول:

يذكر الداعي ادريس تحت عنوان (ذكر نبذ مما كان من أمر مولانا الامام المهدي بالله صلوات الله عليه وعلى الأئمة الطاهرين من آبائه وأبنائه وسيرته، وماله من الامتحان والتنقل من مكان إلى مكان حتى قضى الله تعالى بظهوره وعلو دعوته وأخبار ما كان في أيامه إلى انتهاء عمره وتماه): «كان مولد أمير المؤمنين الامام المهدي بالله أبو محمد عبدالله بن الحسين بن أحمد بن عبدالله بن محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق سلام الله عليهم، في سنة ستين ومائتين، في الليلة المصباحة من يوم الاثنين الثاني عشر من شهر شوال، وقيل: بل كان مولده في سنة تسع وخمسين ومائتين، وولد (عليه السلام) بمدينة عسكر مكرم خورستان، ثم ان والده عليهما السلام انتقل به إلى سلمية، وفيها كان منشأه، واستكفل له أبوه عليهما السلام، عمه أبا علي الحكيم، وهو محمد بن أحمد المكنى بسعيد الخير علي ما قدمنا ذكره، وكان عم الامام (عليه السلام) هو الذي أنفذ الداعي المنصور أبا القاسم إلى اليمن بعد وفاة والد المهدي بالله صلوات الله عليهما، وعلى أوليائه الطاهرين» (٦٧).

وفصل القول فيه في السبع الرابع كما أشار بقوله (ما قدمنا ذكره) فلنلق نظرة على ما قدم ذكره، فيقول:

«ولما أنت نقلة الامام الحسين بن أحمد صلوات الله عليه ورضوانه، أقام أخاه محمد بن أحمد الملقب بسعيد الخير رضي الله عنه وصياً على ابنه الامام المهدي

(٦٧) «عيون الأخبار وفنون الآثار في فضائل الأئمة الاطهار» - السبع الخامس ص ٨٨، ٨٩ بتحقيق مصطفى غالب ط دار الأندلس بيروت.

بالله (عليه السلام) كما نص على ذلك مولانا الامام المستنصر بالله عليه الصلاة والسلام في مجالس البيان حيث قال: وان موسى بن عمران (عليه السلام) امر نقباءه باقامة يوشع بن نون وصيا على ولده هرون؛ لان هرون مات في حياة موسى (عليه السلام)، وكان وصيه والامامة في ولده وكان ولده طفلاً، فاحتاج إلى أن اقام وصياً عليه إلى حين بلوغه، فسلم الامر إليه.

وجرى مثل ذلك في أيام الامام المهدي بالله صلوات الله عليه، وذلك أن أباه سلمه إلى وصي اقامه له، وأراد الوصي ان يجعل الامامة في ولد نفسه ويزورها عن الامام المهدي بالله صلوات الله عليه، وكان كل من اشار إليه من ولد نفسه بالامامة يموت، حتى لم يبق لهذا الوصي ولد.

وفتح الله اليمن بالحسن بن فرج بن حوشب الداعي، وعمل ثياباً كتب عليها اسم الامام المهدي بالله صلوات الله عليه فأنشده متمثلاً:

الله أعطاك التي لا فوقها فكم أرادوا صرفها وعوقها
عنك وبأبي الله الا سرقها إليك حتى طوقوك طوقها

فهذا الذي قصه الامام المستنصر من أمر جده المهدي بالله (عليه السلام) هو الحق اليقين، وكانت العاقبة للمتقين، فسلم سعيد الخير الأمر إليه واعترف بفضله، وتنصل مما كان أضمره، من اقامة ولده» (٦٨).

فهذا ما قاله ادريس عماد الدين الداعي المطلق الذي يعد كالمعصوم، في كتابه (عيون الأخبار)، ومثله ورد في كتاب (استتار الامام) (٦٩).

وهذا نقيض ما قيل سابقاً من أوله إلى آخره أن هذا العبارة تنص على:

(٦٨) «عيون الأخبار» - السبع الرابع ص ٤٠٢، ٤٠٣.

(٦٩) «استتار الامام» لأحمد بن ابراهيم النيسابوري ص ٩٥ و ٩٦ نشر ابوانوف ترجمة دكتور محمد كامل حسين - مستخرج من مجلة كلية الآداب، العدد الرابع الجزء الثاني ط مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للأثار الشرقية - القاهرة.

أولاً: ان المهدي لم يكن حجة علي بن الحسين، ولا الحسين نفسه، بل كان ابناً له.

ثانياً: ان الحجة والكفيل كان ابن عم المهدي من قبل أبيه عليه، وهو الذي كان لقبه سعيد الخير، ولم يكن ذلك لقباً للمهدي.

ثالثاً: فسعيد الخير هو الذي أرسل الدعوة إلى اليمن، ومن اليمن أرسل أبو عبدالله الشيعي بأمر منه، لا المهدي ولا أبوه كما ذكر ذلك ادريس. ولا على بن الحسين كما نص على ذلك الخطاب بن الحسين.

رابعاً: قدمات والد المهدي يوم كان عمره ثماني سنين.

خامساً: فعم المهدي أبو علي الحكيم محمد بن أحمد المكني بسعيد الخير هو الذي أراد صرف الامامة عنه فلم يقدر لموت أولاده العشر.

سادساً: ان المهدي تزوج من ابنة عمه هذا، وولد له منها القائم بأمر الله محمد.

سابعاً: فالقائم بأمر الله اذن ليس بولد لعلي بن الحسين، بل هو ولد المهدي الحقيقي، لابنه الروحي بالتعليم والافادة كما صرح بذلك من قبل.

ثامناً: ان المهدي هو الذي ارتحل إلى بلاد المغرب، وفعل بها ما فعل اصالة واستقلالا، لانيابة ووكالة.

تاسعاً: كان المهدي والقائم من بيت واحد، وكان كل واحد منهما اماماً مستقراً، ولم تخرج الامامة من بيت المهدي بل بقيت واستقرت في بيته سواء كان هذا البيت بيتاً قدامياً أو بيتاً علوياً.

التعارض والتناقض

فانقلبت الأمور، وانعكست الأحوال، وتغير الخبر تغيراً كاملاً، وأغرب من ذلك أن شخصاً واحداً هو المصدر للخبرين المتعارضين المتناقضين.

وزيادة على ذلك هناك نص آخر في كتاب اسماعيلي قديم يخبر عكس ما أوردنا سابقاً: «ثم زوج الامام (عليه السلام) قبل وفاته المهدي (عليه السلام) بابنة عمه ام القائم (عليه السلام)» (٧٠).

ومعناه أن والد المهدي لم يمت الا بعد زواج المهدي بأُم القائم، أي بعد بلوغه سنّ الرشد حيث لم يكن الاحتياج إلى المستودع والكفيل.

وحصيلة النص أن المهدي لم يكن كفيلاً للقائم واماماً مستودعاً له، بل كان والده الحقيقي حيث ولد من زوجته، كما أن المهدي لم يحتاج إلى كفيل حيث لم يمت أبوه الا بعد بلوغه سنّ الرشد، فلمن كانت الكفالة اذن؟ التي حصلت ولا شك أنه ورد ذكرها في جميع الكتب الاسماعيلية، القديمة والحديثة تقريباً، حتى المعز ذكر ذلك كما تقدم ذكره.

هذا، ومن الغرائب أن النعمان المغربي القاضي الاسماعيلي الذي أورد في كتابه (المجالس والمسائرات) نصاً خطيراً عن المعز يدل صراحة على أن القائم

(٧٠) انظر «سيرة جعفر الحاجب» ص ١٠٨ نشر ايرانونف.

ليس من ولد المهدي الحقيقي، النص الذي ذكرناه فيما سبق، يورد نفسه في ذلك الكتاب أيضاً نصاً آخر، وعن المعز نفسه يعارض ذلك النص حيث يقول:

«سمعت المعز لدين الله صلوات الله عليه يقول: سمعت المنصور صلوات الله عليه يقول: حضرت مائدة المهدي (عليه السلام) ومعي من ولده، وولد ولده من ولده القائم أبي، صبيان جماعة» (٧١).

هذا وفي كتاب آخر صرح النعمان بينوة القائم للمهدي حيث قال:

«ان المهدي خرج بنفسه وبالامام ابنه القائم من بعده معه وهو يومئذ غلام حدث السن حتى انتهى إلى مصر» (٧٢).

ويوجد مثل هذا التصريح في كتاب آخر قديم أن المنصور بالله ابن القائم ألقى خطبة أظهر فيها موت أبيه القائم فقال فيها ما قال:

«سلام الله وصلواته ورحمته وبركاته وتحياته عليكم يا أمير المؤمنين، يا ابني الهداة المهديين، يا أبتاه يا جداه، يا ابني محمد رسول الله، سلام مسلّم لله فيما قضاه على من فقدكم، صابر على ما امتحنني من بعدكم» (٧٣).

فانظر التناقض البين والتعارض الصريح، والتخليط والتخبيط، ربما في كتاب واحد، وفي الكتب المختلفة المتعددة.

وهناك رواية أخرى تختلف عن جميع الروايات المقدمة التي أوردتها الداعي جعفر بن منصور اليماني المتوفي سنة ٣٦٥هـ في كتابه (الفرائض وحدود الدين) ويقول: «انه تلقاها من المهدي الاسماعيلي نفسه في كتاب أرسله إليه في اليماني ذكر فيه أسماء الأئمة المستورين ونسبه، ولقد نشر هذا

(٧١) «المجالس والمسايرات» ص ١٠٧.

(٧٢) «افتتاح الدعوة» ص ١٤٩.

(٧٣) «سيرة الأستاذ جودر» لأبي علي منصور العزيمي الجوزري بتقديم وتحقيق دكتور محمد كامل حسين ودكتور محمد عبد الهادي شعيرة ص ٥٧ ط دار الفكر العربي مصر.

الكتاب الهمداني باسم (في نسب الخلفاء الفاطميين)، وخلاصة ما جاء فيه أن المهدي لم يكن اماماً ولا ابن امام، بل كان الامام الحقيقي محمد القائم ابن علي بن محمد، وكان سعيد وآباؤه حججاً للأئمة الذين تسموا بمبارك وميمون وسعيد للفأل الحسن في هذه الأسماء» (٧٤).

فهذه الرواية من أقدم الروايات الاسماعيلية في هذا الموضوع، وهي تختلف في مغزاها ومفهومها عن الروايات الكثيرة الكثيرة التي أوردناها في هذا الموضوع حتى الآن مع مشابهتها برواية الخطاب في (غاية الموالي) في بعض الأمور.

هذا من ناحية. ومن ناحية أخرى هناك اختلاف كثير في أسماء آباء المهدي، التي تربطه إلى اسماعيل بن جعفر حسب زعمهم، وكل هذا في كتب الاسماعيلية أنفسهم حيث أن أقدم الدعاة جعفر بن منصور اليمن الذي له مكاتته وشأنه كما نقل الداعي المطلق ادريس عماد الدين:

«إن أبا حنيفة النعمان المغربي، قاضي قضاة الامام المعز لدين الله (عليه السلام)، مرض وهو بمصر، فزاره كثير من علية القوم، ومنهم جعفر، باب أبواب الامام المعز (عليه السلام). ولما أبلى أبو حنيفة النعمان من مرضه، سأله الامام المعز عن زاروه، فذكر أسماءهم جميعاً سوى باب أبواب الامام المعز (عليه السلام)، فأخذ الامام يطرق جعفر، ثم قدم إلى النعمان رسالة، وطلب منه قراءتها، وسأله عن مؤلفها. وقد نالت هذه الرسالة إعجاب القاضي النعمان، حتى إنه قال للامام: إنها من تأليف مولانا، فأجابه الامام بأنها من وضع مولاه الرئيس جعفر بن منصور، فنزل النعمان وذهب إلى دار جعفر بن منصور اليمن وعبر له عن احترامه وتقديره» (٧٥).

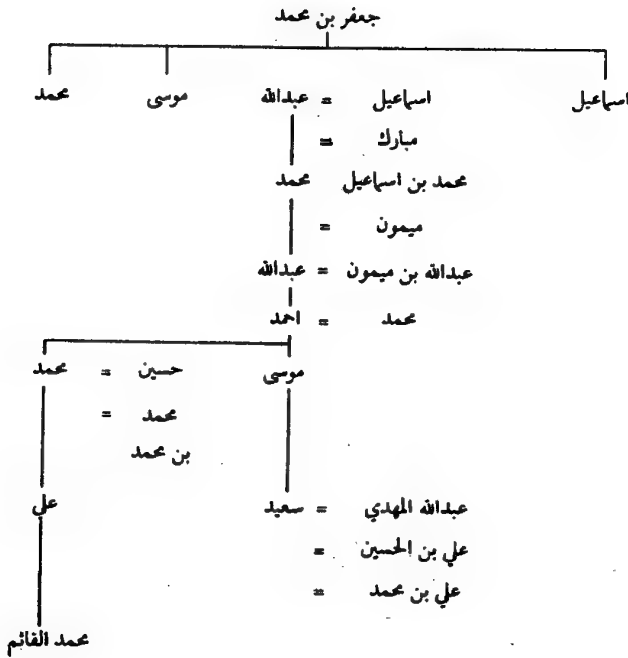
(٧٤) انظر لذلك كتاب «في نسب الخلفاء الفاطميين» بتقديم حسين بن ينفي الله حميداني بتصدير باثر ودورج ط مطبوعات الجامعة الأمريكية بالقاهرة - معهد الدراسات الشرقية ١٩٥٨ م.

(٧٥) «عيون الأخبار للداعي» ادريس عماد الدين السبع السادس ص ٤٦، ٤٧ نسخة خطية.

وكتبه تعدّ من الكتب السرية للدعوة الاسماعيلية، أو من كتب الباطن التي لا تكتب الا للخاصة وخاصة الخاصة، ولا يطلع عليها العامة، فيذكر هذا الداعي في كتابه (الفرائض) أسماء الأئمة المستورين نقلاً عن المهدي نفسه حسب دعواه هكذا:

«جعفر الصادق ابنه اسماعيل، ولم يكن اسماعيل اسمه الحقيقي، بل كان اسمه الحقيقي عبدالله، وكان يلقب أيضاً المبارك. وابنه محمد وكان يلقب بمحمد بن اسماعيل وبالميمون أيضاً. ثم ابنه عبدالله، وكان يلقب أيضاً بعبدالله بن ميمون. ثم ابنه أحمد، وكان يلقب أيضاً بمحمد. ثم ابن أحمد محمد، ومحمد هذا كان يلقب بالحسين وبمحمد بن محمد. ثم ابنه علي. ثم ابنه محمد القائم. وكان المهدي حجة لمحمد القائم هذا» (٧٦).

ونثبت ههنا الجدول الذي أثبتته الفيضى في اللغة الانجليزية لشرح هوامش الرواية التي سردها الداعي جعفر بن منصور اليمنى:



(٧٦) انظر «في نسب الخلفاء الفاطميين» ص ٢٢ وما بعد.

وأما الداعي خطاب بن الحسن فيذكر في كتابه بأن المهدي لم يكن من
سلالة الأئمة المستورين، ثم يذكر الأئمة المستورين:

اسماعيل بن جعفر

محمد

عبدالله

أحمد

الحسين

علي — المهدي كان حجة لعل بن الحسين هذا

محمد القائم (٧٧).

وأما أحمد بن إبراهيم النيسابوري، والداعي ادريس في كتابه
(العيون)، وحيد الدين الكرمانى وغيرهم فيذكرون الاسماء كما تلي:

اسماعيل بن جعفر

محمد

عبدالله

أحمد

الحسين

المهدي (٧٨).

(٧٧) انظر «غاية المواليد» ص ٣٦، ٣٧ من المنتخب.

(٧٨) «استتار الامام» ص ٩٥، «عيون الأخبار» السبع الخامس ص ٨٩، «موسم بهار» تاريخ
الاسماعيلية في اللغة الكجراتية للاسماعيلية ميان محمد علي ص ٣٠٢ وما بعد، «تنبيه
المهدي والمستهدى لاحمد حميد الدين الكرمانى» وشرح القصيدة الشافية» لداع مجهول
ص ٩٤ تحقيق عارف تامر ط دار المشرق - بيروت، «نورمين» في الاردودية وغيرها من
الكتب.

وأما الحسن بن نوح الهندي فقد ذكر أسماء في كتابه (الأزهار) (٧٩) هكذا:

اسماعيل بن جعفر
محمد
عبدالله
محمد
أحمد
الحسين
المهدي (٨٠).

وأما عبدالله المرتضي الاسماعيلي، ومصطفى غالب، وغيرهما من الاسماعيلية الجدد فيذكرون الأسماء كما تلي:

اسماعيل بن جعفر
محمد
أحمد
محمد
عبدالله
محمد المهدي (٨١).

(٧٩) والغريب أن الدكتور عادل العوا الذي نشر هذا الكتاب في مجموعة الكتب الاسماعيلية الأخرى باسم (منتخبات اسماعيلية) غير محمدا بأحمد، كما غير أحمد بالحسين اجتهدا منه «انظر كتاب الأزهار» ص ٢٣٥، ٢٣٦ من (منتخبات اسماعيلية) ط دمشق مع أن ايوانوف صرح بأن حسين بن نوح لعله وجد الأسماء هكذا في كتاب (تنبيه الهادي والمستهدي) في النسخة العتيقة التي كانت عنده، ولعل هذه الأسماء استبدلت في النسخ الجديدة بالأسماء الموجودة الآن (انظر كتاب «THERISEOF THE FATIMIDS BY IVA-» P.46 & 47 «NOW»).

(٨٠) انظر «همارت اسماعيلي مذاهب» باللغة الأردية للدكتور زاهد على ص ١٦٩.

(٨١) «الفلك الدوار» ص ١٤٣، تاريخ الدعوة الاسماعيلية لمصطفى غالب ص ١٣ الطبعة الأولى دمشق.

وقبل أن تنتهي من سرد الأسماء هذه نريد أن نثبت ههنا أن الاسماعيلية يعدّون المهدي الخامس من ولد اسماعيل، ولكن الداعي أحمد حميد الدين الكرمانى المتوفى سنة ٤١١ هـ يصرح في أحد كتبه بأنه كان الرابع من ولد اسماعيل وسلالته وصفوته (٨٢).

فهذه هي الآراء المتضاربة المتناقضة، المتعارضة بعضها مع بعض حول المهدي الاسماعيلي ونسبه وأسماء آبائه، وعدد الأجيال التي تفصل بينه وبين اسماعيل بن جعفر على زعم من يظنه من أولاد اسماعيل من الاسماعيلية أنفسهم.

وان دل هذا التناقض والتعارض الشديد على شيء دلّ على ثغرات لا يمكن ملؤها، وخلل لا يمكن جبره مهما حاول المحاولون، ودبر المدبرون، ومكر الماكرون.

النقد والتحليل

لم تضطرب آراء الاسماعيلية في ذلك، وتختلف اقوالهم الا لمحاولتهم جعل المهدي من البيت العلوي، واعطائهم ظهوره صبغة التقديس حسب نبوءات الرسول ﷺ والأئمة من أهل بيته، وتقريب الفكرة إلى أذهان المسلمين، وترسيخ محبتهم في قلوبهم، واثارة حفيظة نفوسهم للوقوف حوله، والتضحية في سبيله، ولبناء صرح دولته وتوطيد دعائم مملكته والحفاظ عليها، والتصدي لمن يناوئ المهدي، ويعارض سلطانه، ويخالف حكمه، ويعادي حكومته. وهذا مع معرفتهم أصل نسبه وحقيقته بأنه لا ينحدر الا من سلالة ميمون القداح كما ذكر ذلك المؤرخون الكثيرون، وكما ذكر علوي

(٨٢) «المصاييح في اثبات الامامة» لأحمد حميد الدين الكرمانى ص ١٣٩ الطبعة الأولى ط منشورات حمد ١٩٦٩ م.

من أبناء محمد بن اسماعيل بن جعفر، النسابة المشهور أخو محسن، ونقل عنه المقرئ بقوله:

«قد وقفت علي مجلدة تشتمل على بضع وعشرين كراسة في الطعن على أنساب الخلفاء الفاطميين تأليف الشريف العابد المعروف بأبي محسن (الذي عاش في النصف الثاني من القرن الرابع، وكان معاصراً للمعز لدين الله) وهو محمد بن علي بن الحسين بن أحمد بن اسماعيل بن محمد بن اسماعيل ابن جعفر الصادق ويكنى بأبي الحسين، وهو كتاب مفيد» (٨٣).

قال بعد ذكر ميمون القداح:

«فولد لميمون هذا ابن يقال له: عبدالله، كان أخبث من أبيه، وأعلم بالحيل؛ فعمل أبواباً عظيمة من المكر والخديعة على بطلان الإسلام، وكان عارفاً عالماً بجميع الشرائع والسنن، وجميع علوم المذاهب كلها؛ فرتب ما جعله من المكر في سبع دعوات يتدرج الإنسان من واحدة إلى أخرى حتى ينتهي إلى الأخيرة، فيبقى معرّى من جميع الأديان، لا يعتقد غير التعطيل والإباحة، ولا يرجو ثواباً، ولا يخشى عقاباً، ويقول إنه على هدى هو وأهل مذهبه، وغيرهم ضال مغفل.

وكان عبدالله بن ميمون يريد بهذا - في الباطن - أن يجعل المخدوعين أمة له، يستمد من أموالهم بالمكر والخديعة. وأما في الظاهر فإنه [كان] يدعو إلى الإمام من آل البيت: محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق، ليجمع الناس بهذه الحيلة.

وكان عبدالله بن ميمون هذا أراد أن يتنبأ فلم يتم له. وأصله من موضع بالأهواز يُعرف «بقورج العباس»، ثم نزل «عسكر مُكْرَم»، وسكن «ساباط أبي نوح»، فنال بدعوته مالاً. وكان يتستر بالتشيع والعلم، وصار له دعة، وظهر ما هو عليه من التعطيل والإباحة، والمكر والخديعة، فثارت به الشيعة، والمعتزلة، وكبسوا داره، ففر إلى البصرة، ومعه رجل من أصحابه

(٨٣) «الانعاظ للمقرئ» ص ٢٥.

يُعرف «بالحسين الأهوازي»، فادعى أنه من ولد عقيل بن أبي طالب، وأنه يدعوا إلى محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق؛ ثم اشتهر خبره، فطلبه العسكريون، فهرب هو والحسين الأهوازي إلى سليمة [من أرض الشام]، ليخفى أمره بها، فولد له بها ابن يقال له: «أحمد».

ومات عبدالله بن ميمون، فقام من بعده ابنه أحمد هذا في ترتيب الدعوة وبعث بالحسين الأهوازي - داعيه - إلى العراق، فلقى حمدان ابن الأشعث [المعروف بـ] قرمط بسواد الكوفة. [ودعاه إلى مذهبه فأجابته، وقام هناك بالأمر، وإلى قرمط هذا تنسب القرامطة] وولد لأحمد بن عبدالله بن ميمون القдах ولدان، هما: الحسين، ومحمد - المعروف بأبي الشلعلع -، ثم هلك أحمد فخلفه ابنه الحسين في الدعوة.

فلما هلك الحسين بن أحمد خلفه أخوه محمد بن أحمد - المعروف بأبي الشلعلع -؛ وكان للحسين ابن اسمه سعيد، فبقيت الدعوة له حتى كبر.

وكان محمد هذا قد بعث داعيين إلى المغرب، هما: أبو عبدالله - الحسين ابن أحمد بن محمد -، وأخوه أبو العباس - محمد بن أحمد بن محمد -، فنزلا في قبيلتين من البربر، وأخذوا علي أهلها، وقد كان اشتهر أمرهم بسلمية، وأيسروا، وصار لهم أملاك كثيرة، فبلغ خبرهم السلطان، فبعث في طلبهم، ففر سعيد من سلمية يريد المغرب، وكان على مصر يومئذ عيسى النوشري، فدخل سعيد علي النوشري وناداه، فبلغ السلطان خبره، وكان يتقصى عنه، فبعث إلى النوشري بالقبض عليه، فقرأء الكتاب وفي المجلس ابن المدبر - وكان مؤاخيا لسعيد. فبعث إليه يحذره، فهرب سعيد، وكبس النوشري داره، فلم يوجد، وسار إلى الإسكندرية، فبعث النوشري إلى والي الإسكندرية بالقبض على سعيد - وكان رجلا ديلميا يقال له علي بن وهسودان -.

وكان سعيد خداعا، فلما قبض عليه ابن وهسودان قال: «إني رجل من آل رسول الله»، فرق له، وأخذ بعض ما كان معه وخلاه، فسار حتى نزل

سجلماسة - وهو في زىّ التجار - فتقرب إلى واليها، وخدمه، وأقام عنده مدة، فبلغ المعتضد خبره، فبعث في طلبه، فلم يقبض عليه وإلى سجلماسة؛ فورد عليه كتاب آخر، فقبض عليه وحبسه، وكان خبره قد اتصل بأبي عبدالله الداعي - الذي تقدم ذكر خروجه هو وأخواه إلى البربر - فسار حيثنذ بالبربر إلى سجلماسة، وقتل واليها، وأخذ سعيد، وصار صاحب الأمر، وتسمى بعبيد الله وتكنى بأبي محمد، وتلقب، بالمهدي، وصار إماماً علوياً من ولد محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق ولم يلبث الأمر حتى قتل أبا عبدالله الداعي، وتملك البربر، وقلع بني الأغلب ولاية المغرب.

قال: «فعبيد الله - الملقب بالمهدي . . . هو [سعيد] بن الحسين بن أحمد بن عبدالله بن ميمون القداح بن ديصان الثنوى الأهوازي؛ وأصلهم من المجوس».

قال: «وأما سعيد هذا الذي استولي على المغرب، وتسمى بعبيد الله فإنه كان بعد أبيه يتيماً في حجر عمه - الملقب بأبي الشلعلع -، وكان على ترتيب الدعوة بعد أخيه ترتب أمرها لسعيد، فلما هلك، وكبر سعيد، وصار على الدعوة وترتيب الدعاة والرياسة، ظهر أمره، وطلبه المعتضد فهرب إلى المغرب - من سلمية -»

ويقال إنه ترسم بالتعليم كي يخفى أمره، وكان يقول عن محمد إنه ربيب في حجره، وأنه من ولد محمد بن إسماعيل بن جعفر، وذلك لضعف أمره في مبدئه، ولذلك يقال عن محمد بن عبيدالله: «يتيم المعلم».

وزعم آخر أن عبيدالله كان ربيباً في حجر بعض الأشراف، وكان يطلب الإمامة، فلما مات ادعى عبيدالله أنه ابنه؛ وقيل بل كان عبيدالله من أبناء السوق، صاحب علم». انتهى ما ذكره الشريف. (٨٤)

(٨٤) انظر الاتعاظ للمقرئزي، ص ٢٧ إلى ٣٤.

فهذا كان أصلهم المعروف المشهور ولكنهم ادعوا النسب العلوي لخداع الناس وإيقاعهم في حبالهم كما نقل ذلك المقريري أيضاً:

« ولم يدّع سعيد هذا - المسمى عبد الله - نسباً إلى علي بن أبي طالب إلا من بعد هربه من سلمية - وآبؤه - من قبله لم يدّعوا هذا النسب، وإنما كانوا يظهرون التشيع والعلم، وأنهم يدعون إلى الامام محمد بن إسماعيل بن جعفر وأنه حتى لم يمت.

وهذا القول باطل، وباطنهم غير ظاهرهم، وليس يعرف هذا القول الا لهم، وهم أهل تعطيل وإباحة، وإنما جعلوا علقهم بآل رسول الله بابا للخديعة والمكر.

ولم يتم لسعيد أمره بالمغرب إلا أن قال : أنا من آل رسول الله - صلى الله عليه وسلم. فتم له بذلك الحيلة والخديعة، وشاع بين الناس أنه علوي فاطمي من ولد اسماعيل بن جعفر، فاستعبدهم بهذا القول «(٨٥).

وبمثل هذا ذكر الغزالي في كتابه الذي رتبّه على الاسماعيلية (فضائح الباطنية) في الفصل الثاني تحت عنوان (بيان السبب الباعث لهم على نصب هذه الدعوة وإفاضة هذه البدعة) :

« مما تطابق عليه نَقْلُ المقالات أن هذه الدعوة لم يفتتحها منتسب إلى ملة ولا معتقد لنحلة معتضد بنبوة، فإن مساقها ينقاد إلى الانسلاخ من الدين كأنسلاخ الشعرة من العجين. ولكن تشاور جماعة من المجوس والمزدكية، وشرذمة من الثنوية الملحدّين، وطائفة كبيرة من ملحدة الفلاسفة المتقدمين، وضربوا سهام الرأي في استنباط تدبير يخفف عنهم ما نابههم من استيلاء أهل الدين، وينقّس عنهم كربة ما دهاهم من أمر المسلمين، حتى أخرجوا السنتهم عن النطق بما هو معتقد منهم من إنكار الصانع وتكذيب الرسل، وجحد الحشر والنشر والمعاد إلى الله في آخر الأمر، وزعموا أننا بعد عرفنا أن

(٨٥) « الاتعاظ » ص ٣٤، ٣٥.

الأنبياء كلهم مُمَّخَرَّقُونَ ومنمسون : فإنهم يستعبدون الخلق بما يخيّلونه إليهم من فنون الشعبة والزرق - وقد تفاقم أمر محمد، واستطارات في الأقطار دعوته، واتسعت ولايته، واتسقت أسبابه وشوكته حتى استولوا على ملك أسلافنا، وانهمكوا في التنعم في الولايات مستحقّرين عقولنا ؛ وقد طبقوا وجه الأرض ذات الطول والعرض، ولا مطمع في مقاومتهم بقتال، ولا سبيل إلى استنزاهم عما أصروا عليه إلا بمكر واحتيال. ولو شافهناهم بالدعاء إلى مذهبنا لتنمروا علينا، وامتنعوا من الإصغاء إلينا. فسبيلنا أن نتحل عقيدة طائفة من فرقهم هم أركّهم عقولاً وأسخفهم رأياً وألينهم عريكة لقبول المحالات، وأطوعهم للتصديق بالأكاذيب المزخرفات وهم الروافض. ونتحصن بالانتساب إليهم والاعتزاء إلى أهل البيت عن شرهم، نتودد إليهم بما يلائم طبعهم : من ذكر ما تم على سلفهم من الظلم العظيم والذل الهائل، وتبأكي لهم على ما حل بآل محمد - صلى الله عليه وسلم ! - ونتوصل به إلى تطويل اللسان في أئمة سلفهم الذين هم أسوتهم وقودتهم. حتى إذا قَبَحْنَا أحوالهم في أعينهم وما ينقل إليهم شرعهم بنقلهم وروايتهم - اشتد عليهم باب الرجوع إلى الشرع، وسهل علينا استدراجهم إلى الانخلاع عن الدين وإن بقى عندهم معصم من ظواهر القرآن ومتواتر الأخبار أو همنا عندهم أن تلك الظواهر لها أسرار وبواطن، وأن أماراة الأحق الانخداع بظواهرها، وعلامة الفطنة اعتقاد بواطنها، ثم نبث إليهم عقائدنا، ونزعم أنها المراد بظواهر القرآن. ثم إذا تكثرتنا بهؤلاء سهل علينا استدراج سائر الفرق بعد التحيز إلى هؤلاء والتظاهر بنصرهم.

ثم قالوا : طريقنا أن نختار رجلاً ممن يساعدنا على المذهب، ونزعم أنه من أهل البيت، وأنه يجب على كافة الخلق مبايعته وتتبعين عليهم طاعته، فإنه خليفة رسول الله، ومعصوم عن الخطأ والزلل من جهة الله تعالى.

ثم لا نَظْهَر هذه الدعوة على القرب من جوار الخليفة الذي وسمناه بالعصمة، فإن قرب الدار ربما يهتك هذه الأستار ؛ وإذا بعدت الشقة وطالت المسافة فمتى يقدر المستجيب إل الدعوة أن يفش عن حاله، وأن

يطلع على حقيقة أمره ؟ ! ومقصدهم بذلك كله الملك والاستيلاء والتبسط في أموال المسلمين وحريمهم ، والانتقام منهم فيما اعتقدوه فيهم وعاجلوهم به من النهب والسفك ، وأفاضوا عليهم من فنون البلاء .

فهذه غاية مقصدهم ، ومبدأ أمرهم ^(٨٦) .

ويؤيد ما قلناه بأن القوم لم يقصدوا من وراء نسبة المهدي إلى البيت العلوي إلا إسباغ الاجلال والاحترام عليه ، وجلب عواطف الناس وإيقاعهم في خداعهم ومكرهم وضع الكتب العديدة لسرد روايات المهدي واطباقتها على المهدي ، وجعله مصداقها كمحاولة النعمان المغربي وغيره من الكتاب الاسماعيلية القدامى ودعاتها .

فان القاضي الاسماعيلي النعمان وضع كتاباً مستقلاً باسم (شرح الأخبار) لرواية مثل هذه الروايات ، وتغلبه على البلاد وتمكنه في الأرض هو تحقق تلك النبوءات .

فمن الأخبار التي أوردها النعمان وغيره من الاسماعيلية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال :

« لا بد من قائم من ولد فاطمة يقوم من المغرب يقتل الزنادق ، ويملك الترك والخزر والديلم والحبش ، ويؤتي بملوك الروم مصفدين بالحديد ، ولا يقوم راية إلا راية الايمان » ^(٨٧) .

وأيضاً ما روى أن رسول الله قال :

« المهدي رجل من ولدي ، أرى وجهه كالكوكب النذري ، اللون لون عربي ، والجسم جسم اسرائيلي » ^(٨٨) .

(٨٦) « فضائح انباطية » للغزالي ص ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ تحقيق عبد الرحمن بدوي ط مؤسسة دار الكتب الثقافية - الكويت .

(٨٧) « شرح الأخبار » للقاضي النعمان المغربي الجزء الخامس عشر ص ٦ من المنتخب لا يوانوف .

(٨٨) « شرح الأخبار » ص ٧ من المنتخب لا يوانوف .

ويكتب النعمان تحته :

« وكذلك كان المهدي ﷺ وسيما من أجل الرجال وجهاً كأن وجهه كوكب دري كما قال رسول الله في صفته، الكوكب الدرّي هو المضيء من الكواكب وجمعها دراري، وكذلك كان وجه المهدي ﷺ مشرقاً مضيئاً كأنما هو نور يلوح منه لمن نظر إليه، قوله : اللون لون عربي، وكذلك كان لونه كلون رسول الله سيد العرب أبلغ الوجه يشوبه حمرة، وهو الذي يقول له أهل المعرفة بالخلي من العرب الرفق والسعة، ولا يقولون : أبيض في ألوان الناس، وهذا اللون أفضل ألوان الناس عند العرب وهو أكثر ألوان أشrafهم وقوله : الجسم جسم اسرائيلي^(٨٩)، وأجسام بني اسرائيل أجسام جسيمة، وهم في الأكثر والأغلب أجسام من العرب، وكذلك كان المهدي جسيماً وسيماً بساطاً لا يكاد أحد يماشيه إلا قصر عنه وصغر إلى جانبه^(٩٠).

(٨٩) ألا يؤيد هذا من قال بأن المهدي كان ابن حداد يهودي تبناه الحسين كما ذكر ذلك الأمير عبد العزيز صاحب (تاريخ افريقيا والمغرب) :

لما توفي عبد الله ميمون القداح ادعى ولده أنهم من ولد عقيل بن أبي طالب وهم مع هذا يسترون ويسرون أمرهم ويخفون أشخاصهم، وكان ولده أحمد هو المشار إليه منهم فتوفي وخلف ولده محمداً هذا، وكان هو الذي يكتبه الدعاة في البلاد، وتوفي محمد وخلف أحمد، والحسين، فسار الحسين إلى سليمة من أرض حمص، وله بها ودائع، وأموال من ودائع جده عبد الله بن ميمون القداح ووكلاء وغلان، وبقي ببغداد من أولاد القداح أبو الشلعل، وكان الحسين يدعي أنه الوصي وصاحب الأمر، والدعاة بالمغرب يكتبونه ويراسلونه.

واتفق أنه جرى بحضرته حديث النساء بسلمية فوصفوا له امرأة رجل يهودي حداد مات عنها زوجها - وهي في غاية الحسن - فتزوجها - ولها ولد من الحداد يماثلها في الجمال، فأحبها وحسن موقعها معه، وأحب ولدها وأدبه وعلمه فتعلم العلم وصارت له نفس عظيمة وهمة كبيرة.

فمن العلماء من أهل هذه الدعوة من يقول : ان الامام الذي كان بسلمية - وهو الحسين - مات ولم يكن ولد، فعهد إلى ابن حداد يهودي - وهو عبيد الله - وعرفه أسرار الدعوة من قول وفعل وأين الدعاة، وأعطاه الأموال والعلامات، وتقدم إلى أصحابه بطاعته وخدمته وأنه الامام والوصي، وزوجه ابنة عمه أبي الشلعل، وهذا قول أبي القاسم الأبيض العلوي وغيره (الكامل لابن الأثير ص ١٢٨ ، ١٢٩ الجزء السادس ط دار الكتاب العربي - بيروت).

(٩٠) « شرح الأخبار » ص ٧ من المنتخب لايوانوف.

وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال :

« يعطي المهدي قوة عشرة » (٩١).

ورواية أخرى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :

المهدي أجلى الجبهة أفنى الأنف، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً.

ورواية أخرى :

« عن أبي جعفر محمد بن علي أنه قال : يقوم المهدي (عليه السلام) وليس في رأسه ولا لحيته طاقة بيضاء » (٩٢).

ولا بأس أن نذكر ههنا رواية أخرى أوردها الداعي ادريس كذباً على رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال :

« تطلع الشمس من مغربها على رأس الثلاثمائة من هجري ». وهذا حديث مأثور مشهور، ولم تطلع من مغربها في هذا الوقت ولا قبله ولا بعده، وإنما عني بذلك قيام المهدي من ذريته فوعد (ﷺ) بظهوره من المغرب، وعلو دولته، وقد سمى الله عز وجل رسوله محمداً صلى الله عليه وآله وسلم سراجاً، فقال تعالى : « انا ارسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله باذنه وسراجاً منيراً ». وسمى الله عز وجل الشمس سراجاً فقال تعالى : « وجعلنا سراجاً وهاجاً ». وقد تسمى العرب الرجل الفاضل شمساً. قال الشاعر شعراً :

فانك شمس والملوك كواكب اذا طلعت لم يبد منها كوكب

(٩١) أيضاً ص ٩.

(٩٢) أيضاً. وقد أورد هذه الرواية الداعي ادريس في كتابه (العيون) السبع الخامس ص ١٣.

وكان المهدي بالله هو الشمس التي ذكر رسول الله صلى الله عليه انها تطلع من المغرب على رأس الثلاثمائة من هجرته صلى الله عليه وسلم، وكذلك طلع (عليه السلام) في سنة سبع وتسعين ومائتين واستقر قراره في دار ملك المغرب على رأس الثلاثمائة.

ومن قول النبي صلى الله عليه واله وسلم هكذا قال الفهري في قصيدة له يبشر بظهور المهدي (عليه السلام) ودنو أو انه حيث يقول شعرا :

فَعِنْدَ	الْـسِتِّ	وَالْـتَسْعِينَ	قَطَعَ	الْقَوْلَ	وَالْعَذَرَ
لِأَمْرِ	مَا	يَقُولُ	النَّاسَ	بِيعَ	الدَّرَّ
وَصَارَ	الْجَوْهَرَ	الْمَكْنُونَ	عَلَقَا	غَيْرَ	ذِي
بَيْنِهِ	كَانَ	خَلْفَ	الْبَابِ	فَانْقَضَ	عَلَى
					الْوَكْرِ

ففي سنة ست وتسعين غلب الحسين بن زكريا ابو عبد الله الداعي إلى المهدي بالله سلام الله عليه بالمغرب بني الاغلب، وشردهم عن ملكهم، وملك أفريقيا، واقام بها دعوة المهدي بالله صلوات الله عليه «(٩٣)».

فروا هذه الروايات ومثيلاتها لاثبات أن مهديهم هو المهدي الذي بشر الرسول عليه الصلاة والسلام بظهوره وغلبته على البلاد وتسلطه على العباد، كما أنهم حاولوا اثبات نسبه إلى البيت العلوي لأن المهدي المبشر به في الروايات لا يكون إلا من ولد فاطمة، تغطية للحقائق وتعمية للأبصار، وحينما اعترض عليهم بأن الروايات التي تخبر عن المهدي ورد فيها صراحة عن رسول الله أنه قال :

أم أنه لا يذهب الأيام والليالي حتى يتولاها رجل من ولدي من عترتي يواطئ اسمه اسمي، وأسم أبيه اسم أبي، أشبه الناس بخُلقي خُلُقاً وبخُلُقي خُلُقاً. وقد أقر بهذه الرواية الاسماعيلية أنفسهم، وعلى رأسهم

(٩٣) «عيون الاخبار» السبع الخامس ص ٢٧.

النعيمان بن محمد المغربي القاضي^(٩٤). وأيضاً ادريس الداعي^(٩٥) وأيضاً جعفر بن منصور اليمن^(٩٦).

وهذا ليس اسمه محمد، ولا أسم أبيه عبد الله، بل اسمه سعيد أو عبد الله قطع النظر عن النسب فاضطربوا في الجواب، وتاهوا في تيه الحيرة والضلال، فقال قائل منهم :

« نعم، كان اسمه محمد كما كان اسم أبيه عبد الله ».

وقال قائل منهم :

لا، بل كان اسمه عبد الله وابنه محمد وهو المهدي، والقائل المضطرب هذا ليس برجل هين، بل هو النعيمان نفسه أول شخص اسماعيلي عين للقضاء في زمن تغلب الاسماعيلية على البلاد، والذي يعاصر أربعة من الأئمة الاسماعيلية : المهدي والقائم والمنصور والمعز، فيكتب في أرجوزته تحت عنوان (ذكر قيام أمير المؤمنين أبي القاسم محمد بن عبد الله صلوات الله عليه)

بعد ما ذكر عبد الله أو عبيد الله وموته بقوله :

« واختار رب الناس للإمام ما عنده في جنة المقام
فما صلى الله والملائكة عليه في عترته المباركة
ثم كتب :

« وقام بالأمر على تصعب من بعده من لم يزل يقوم به
ذاك أبو القاسم مهدي البشر محمد أفضل كل من غير
صلى عليه وعلى آبائه والقائم المهدي من أبنائه

(٩٤) انظر كتاب « شرح الأخبار » ص ١٦ من المنتخب لأيوانوف.

(٩٥) « عيون الأخبار » ص ٢٩.

(٩٦) « أسرار النطقاء » ص ٩٥ من المنتخب لأيوانوف.

فنحن أن قال الناس أنكرا بمثل ما صدقتمو ماذكرا
من أنه كما ادعى المهدي قلنا بما قد صدق النبي
لأنه قد جاء بالتنزيل وجاء هذا بعد بالتأويل، (٩٧).

ولما اعترض عليهم بالروايات الأخرى التي سردوها وطبقوها على
المهدي عبيد الله مثل ما مر ذكرها سابقاً التجؤا إلى تأويلات كاسدة باردة.

أما عندما اعترض على نسبه وحسبه ولكونه معروفاً من أسرة القداح،
وبدليل أن الأسماء التي يسردونها لأبائه هي الأسماء المعروفة لأبناء البيت
القداحي. اعني : عبد الله والحسين وأحمد وسعيد بتصريح المخالفين كما ورد
ذكرها في رواية أخي محسن وابن رزام وغيرهما من القدامى الذين يطعنون في
نسبهم وأنهم متفقون مع الاسماعيلية في ذكر هذه الأسماء لأباء المهدي فعندئذ
اضطر القوم إلى أن يخترعوا أسماء أخرى لأباء المهدي هرباً من بطشة الحق،
وفرارا من دليل الصدق.

وهذا مع اعترافهم أنفسهم بأن جعفر الصادق جعل ابن القداح وهو
عبد الله كفيلاً وحجة لحفيده محمد بن اسماعيل كما سنذكره قريباً بالتفصيل
إن شاء الله.

وأطرف من ذلك أن الاسماعيلية اخترعوا لأجل ذلك اسطورة أخرى
تخلصاً من المأزق الذي لانجاة منه ماداموا يريدون اثبات نسب الأئمة
الاسماعيلية في دور ظهورهم إلى البيت العلوي وضعوا اسطورة أن المهدي
كان كما قيل حقيقة من بيت قداحي ولكن القائم بأمر الله محمداً لم يكن من
تلك الأسرة، بل كان هو من البيت العلوي، ثم يسردون لاثبات نسبه عين
تلك الأسماء التي يسردونها للمهدي، ثم يقولون : إن هذا الأمر من الأسرار
التي لا يعرفها الا الخلقاء الأبرار، المصطفون الأخيار، العارفون لسر الله في
أوليائه.

(٩٧) « الأرجوزة المختارة » للقاضي النعمان تحقيق اسماعيل قربان بوناوالا ص ١٩٤ معهد
الدراسات الاسلامية بحمل - مونتريال، كندا.

ثم لتقوية هذه الأسطورة وتأكيدھا ينسجون حولھا الأباطيل، ويركبون العبارات وينثرونها هنا وهناك في كتب الظاهر أي الكتب التي تكتب لعامة الناس للتدليل والاستناد والاستشهاد، مثل مقولة احدى نساء المهدي في (المجالس) وغيرها من العبارات الأخرى التي تعارض هذه وتناقضها، وليس القصد من وراء ذلك إلا تضليل الباحث والقاصد لتحري الحقيقة والمعترض أيضاً، حيث يجرى الواحد خلف الأوهام ويذهب الآخر وراء الخيال ثم لا يصل إلى نتيجة.

وخير مثال لهذا ما حصل للباحثين الجدد من المسلمين والمستشرقين والمؤرخين الآخرين من الاسماعيلية وغيرهم مثل حسن ابراهيم حسن الذي أفرغ كل ما كان في جعبته في كتابه الأول (الفاطميون في مصر) الذي حصل به على شهادة الدكتوراه بجامعة لندن.

لأثبت نسب المهدي إلى البيت العلوي ولكنه هو نفسه انقلب على عقبيه في كتابه (عبيد الله المهدي)، ولم يقصر فيه لاثبات أن المهدي من أبناء القداح ولكن محمد القائم بأمر الله - ابنه - ينتمى إلى البيت العلوي.

وكذلك ما حصل للمستشرق برنارد لويس في كتابه (أصول الاسماعيلية) الذي هو الآخر أخذ عليه شهادة الدكتوراه من جامعة لندن حيث صرف جهوده الجبارة لتفليط نسب المهدي وتصحيح نسب القائم بفكرة التبنى الروحي معرضاً عن حشد الروايات والحوادث التاريخية التي تخالف ذلك.

ومن المحاولات الفاشلة أيضاً والسفر الطويل الشاق العريض في متاهات هذا التيه الذي لم يزد في طوله وعرضه إلا عن قصد من دهاء الإسماعيلية محاولة « برنس مامور » الذي سؤد أكثر من مائتين وخمسين صفحة لاثبات ما لا يثبت - ودونه خرط القتاد - جعل القداح واسماعيل شخصية واحدة متشبها ببعض العبارات التي لم تدون في الكتب الاسماعيلية إلا لهذا الهدف والغرض، والتي سنذكر بعضها أيضاً في آخر البحث.

وكذلك تدليلات أيوانوف المتحمس شديد التحمس للدفاع عن الاسماعيليه ونسبهم والمعين لمثل هذا الغرض والمطلب لم يأت بشيء جديد فاصل يفصل بين الحق والباطل .

فهذه هي بعض الثمرات لتلك البذور التي بذرت من قبل الاسماعيليه أنفسهم للتضليل والتمويه والتزوير .

وهذا مع معرفة الاسماعيليه القدامى وكبار دعائها وزعمائها وقادتها حق المعرفة بأن المهدي وورثته من بعده لم يكونوا من البيت العلوي ، بل عكس ذلك كانوا أبناء القداح ، اضافة إلى ذلك بأنه لم يكن هناك أي تفريق بين نسب المهدي ونسب القائم بأمر الله حيث أن الواحد منهما كان من بيت والآخر من بيت آخر .

ولذلك لا نجد أحدا من المتقدمين من أهل السنة وغيرهم من مؤيدي النسب العلوي لهؤلاء ومنكريه من يفرق بين هذا وذاك ، بل الذين أنكروا صحة نسبهم إلى بنى فاطمة أنكروا المهدي وأولاده من القائم إلى آخر من ورث منهم الحكم مثل ابن رزام وأخى محسن ، والباقلاني ، والهمداني ، والبغدادي ، وابن كثير ، والذهبي ، وابن حجر ، والسخاوي وغيرهم الكثيرون .

وأما الذين أيدوا نسبهم إلى البيت العلوي من ابن الأثير ، وابن خلدون ، والمقريزي كذلك لم يفرقوا بين نسب المهدي ونسب غيره من أبنائه وأحفاده ،

ثم لو كان هناك شيء من ذاك لصرح بذلك واحد من الاسماعيليه الذين تصدوا للرد على الطاعنين في النسب بأن مطاعنكم لا ترد إلا في المهدي وحده ، وأما البقية من القائم إلى آخر من تولى الحكم فلا ترد فيه .

وأكثر من ذلك وأطرف أن مسألة الطعن في النسب لم يشتد وطيسها إلا أيام المعز والعزیز والحاكم ، كما لم يكن هدفها إلا هؤلاء ، لا المهدي .

ثم هؤلاء في الزد عليهم لم يكونوا يسردون نسبهم إلى القائم فحسب، بل كانوا يسردونه إلى المهدي، ولم يكن يحصل السكوت والاعراض عن ذكر الأسماء إلا بعد المهدي، لا قبل المهدي.

وإن الحسن الأعصم القرمطي لم يتهم المهدي وحده بأنه من أولاد القداح، بل اتهم المعز بأنه هو من أبناء القداح، لا من أبناء اسماعيل بن جعفر.

كما كان اعتراض حمدان القرمطي على المهدي نفسه.

وقصدنا من ذلك أن هذه المسألة لم تكن خلافة بين الناس في العصر الذي تغلب المهدي فيه على المغرب، وأيام تلك الاسماعيلية مصر وغيرها من البلاد بأن هناك أدنى شبهة، وأضعف شك بأن القائم ليس من أبناء المهدي أو هو من أسرة، وهؤلاء من أسرة أخرى.

وكذلك مسألة التبنّي الروحي، فإن المستشرق برنارد لويس لم يفهم المطلوب والمفهوم منه^(٩٨).

كما لم يفهم قبله ماسنيون^(٩٩).

لأن معنى (سلمان منا أهل البيت) لا يقصد منه أنه ينسب حيث الحسب والنسب إلى محمد الكريم صلوات الله وسلامه عليه، ولم يفهم أحد هذا ممن سمعه من النبي ولا من خلف بعدهم من العرب وحتى اليوم.

فالكل يعلم أن سلمان فارسي، وله حسبه ونسبه، وإلى آبائه ينسب، وأسماءهم تذكر عند الحاجة والبيان، وأن القصد منه فقط التشريف والتكريم، أي الحق بآل البيت حيث الاحترام والاجلال،

وكذلك التلميذ حينما يذكر نسبه لا ينسب إلى المعلم والمرشد والاستاذ، بل كل ينسبه إلى من ولد في فراشه. ولا يوجد من بين العرب شخص، ولا

(٩٨) انظر كتابه «أصول الاسماعيلية» ص ١١٧ وما بعد - ترجمة عربية.

(٩٩) انظر كتابه «سلمان باك» ص ١٦ وما بعد.

في اللغة العربية مثال بين واحداً من الناس نسب إلى معلمه وأستاذه ومرشده عند بيان النسب والحسب.

وأكثر من ذلك أن الله منع في كلامه عن نسبة المتبني لمن يتبناه عند ذكر النسب، مع أن التبنى الجسماني أحق وأجدر أن لا يذكر فيه الأب الحقيقي.

وعلى ذلك كان المسلمون عندما يذكرون زيداً كانوا يذكرونه زيد بن حارثة، وعندما كانوا يريدون نسبته إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يقولون: حبّ النبي.

فعلى ذلك نسبة التشريف غير نسبة الحسب والنسب فاذاً استتاج لويس، وقبله ماسنيون ليس باستتاج مبنى على العمق في الموضوع ومعرفة أسلوب العرب.

وأعرب من ذلك تدليل حسن ابراهيم حسن وطه أحمد شرف على التبنى الروحي من رشيد الدين فيما نقله في كتابه (جامع التواريخ) عن انتساب عبد الله القداح إلى محمد بن اسماعيل حيث ادعى ميمون أنه ابن روحاني للإمام محمد هذا، وأنه الوارث الحقيقي لمحمد بن اسماعيل في امامته، وأن الاسماعيلية لم يعارضوه في دعواه هذا^(١٠٠).

مع أن الاستاذين يعرفان بأن لا علاقة له بالموضوع حيث أن هناك فرقاً كبيراً أن يقال في شخص بأن فلان ابن فلان ابن روحاني لفلان. (و بين أن فلان بن فلان).

ولا أدري ما الذي حرض الاستاذ حسن ابراهيم حسن، والاستاذ طه أحمد شرف - وهما - أن يأتيا بهذا الدليل الذي هو مناقض لتدليلهم. ومخالف لاستدلالهم حيث أن رشيد الدين يصرح بأن عبد الله الابن الروحاني لمحمد بن اسماعيل هو الابن الحقيقي لميمون القداح

(١٠٠) انظر كتاب « عبد الله المهدي » ص ٨٠ مكتبة النهضة المصرية - القاهرة.

ثم زيادة صفة الروحاني ألا تدل على أن الزيادة لها مفهوم غير المفهوم الحقيقي الأصلي. لعله من حرصهما على أن يضيفا شيئاً آخر إلى ما قاله برنارد لويس، وقبله ماسنيون، وقد قيل قديماً : بناء الفاسد على الفاسد فاسد.

وأما قول مامور فلا عبرة به حيث جانب الصواب، . وابتعد عنه كل البعد، فانه تورط فيما تورط من بعض العبارات الاسماعيلية مثل ما نقل النعمان عن المعز في مجالسه أنه أرسل اليه كتاب ذكر أنه الامامة انتقلت عن بعض الأئمة إلى ميمون القداح فقال : « نعم، إن صاحب الحق هو الميمون المبارك السعيد قادح زناد الحكمة ومورى نور الحكمة » (١٠١).

وغيرها من عبارات نرى أنها لم تتركب، ولم تختَر، ولم تنثر في الكتب، ودوّنت فيها إلا عن عمد وقصد لتضليل الناس والضحك على عقولهم.

والا فمحاولة مامور ليست إلا محاولة فاشلة في جعل الميمون ومحمد بن اسماعيل شخصية واحدة (١٠٢).

حيث أن ميمونا قد ثبت وجوده تاريخياً في المصادر السنية والشيعية، حتى الاسماعيلية منها أيضاً، وقبل أن نبدي رأينا الأخير في هذا الموضوع الخطير الذي له أهميته الكبرى في مبحثنا هذا وخاصة في كتابنا الذي لم نكتبه إلا لبيان عقائد القوم أكثر من بيان تاريخهم، ولو أنه قد طال الكلام في هذا نريد أن نذكر ما قاله المستشرقون في هذا الخصوص.

(١٠١) « المجالس والمسائرات » للنعمان القاضي ص ٤١٠، ٤١١،

(١٠٢) أنظر (OLEMICS, 78)

آراء المستشرقين

مع أننا تطرفنا إلى ذكر البعض وآرائهم تطرفاً طفيفاً نسرد هنا ما قاله هؤلاء في هذا الموضوع مع التنبيه ولفت أنظار القراء والباحثين أننا لا نعطي أهمية كبيرة لما يقوله المستشرقون في مثل هذه المباحث عربية المصادر اسلامية المواضيع حيث أننا نعدّه سلعة المفلس والفقير، وأسلحة المدلس والضعيف، مع الاعتراف لجهودهم المبذولة في طبع ونشر كتب التراث القديمة، وخاصة كتب التاريخ والفرق منها، أما استنتاج الآراء واستنباط الأحكام في مسائل شتى من كتب تراثنا الموجودة فلا نرى الاعتماد عليها كثير أو جعلها دليلاً للصدق ومعياراً للحق في وقت كثرفيه التأثير والانفعال، وزاد فيه الانقياد والتسليم لكل ما يأتي من الغرب بين الشرقيين، مع فشل الغرب والغربيين، وظهور افلاسهم، وغروب بريقهم المزور ولعانهم المزيف، وعلى ذلك يرى قارئ كتبنا أننا نادراً ما نذكر كلام أحد المستشرقين للاستناد والاستشهاد أو نبني الحكم على آرائهم ومقولاتهم.

وبعد هذا التنبيه الجدير بأن يتنبه إليه الباحثون، نقول : إن الأكثرية الساحقة من المستشرقين الذين تناولوا موضوع الاسماعيلية أو القرامطة أو الدروز بالبحث والكتابة أنكروا نسب الأئمة الاسماعيلية إلى البيت العلوي، وصرح كثير منهم بأنهم لا ينتسبون إلا إلى القداح وأولاده، بيد أن هناك

البعض منهم عارضوا هذا الرأي . وصححوا نسبهم إلى بنى فاطمة وردّوا على من ينكر ذلك .

وعلى رأسهم المستشرق الروسي ايوانوف^(١٠٣) الذي وقف حياته كلها لنشر الكتب الاسماعيلية والبحث عنها وللدفاع عن الاسماعيلية ، والرد على التهم التي يوجهها اليهم الآخرون من المسلمين أو المستشرقين ، والذي اشتغل مدة طويلة وخاصة أواخر أيامه في الجمعية الاسماعيلية ببومبي بالهند ، فان ايوانوف هذا خصص كتابين مستقلين للبحث والمناقشة في مسألة نسب الفاطميين أولهما (RISE OF THE FATIMIDS) وثانيهما THE ALLEGED FOUNDER OF ISMAILISM .

وخلاصة ما جاء فيها :-

أولاً : أن نسب المهدي الاسماعيلي إلى بنى فاطمة نسب صحيح .

ثانياً : وأن ميمون القداح وولده عبد الله لم يكونا زنديقين ، بل كانا من فقهاء الشيعة الورعين ، ومن تلامذة محمد الباقر وابنه جعفر الصادق ، وقد أطل الكلام في اثبات هذا في كتابه (THE ALLEGED FOUNDER OF ISMAILISM) .

رابعاً : كان من ألقاب عبد الله بن محمد بن اسماعيل الميمون النقيية ، ولذلك حصل الاشتباه بينه وبين عبد الله بن ميمون القداح .

خامساً : انه لم يكن أحد من أبناء القداح مستودعاً للامام لأن مثل ذلك النظام لم يكن موجوداً في وقتها .

سادساً : أن الأئمة الاسماعيلية كتموا نسبهم خوفاً من أعدائهم ، وحتى أيام تسلطهم على بلاد المغرب ومصر والبلاد الشرقية أيضاً ، وأنه كان هذا الاخفاء لأمرين : .

(١٠٣) المستشرق الروسي الكبير (W. IVANOW) ، له مؤلفات كثيرة حول الاسماعيلية سواء ألفها هو أم حقق كتب الاسماعيليين ، ومن أشهر مؤلفاته (IBN AL QADDAH) (RISE OF THE FATIMIDS) TE ALLEGED FOUNDER OF ISMAILISM) .

أ - أن عهد الستر في رأي الاسماعيلية هو أمر مقرر من الله فلا ينبغي كشف هذا العهد.

ب - انهم كانوا يخافون من البلدان المجاورة المعادية لهم لكي لا يلحق الضرر بأقاربهم وذويهم.

فهذه هي خلاصة ما قاله ايوانوف المدافع الكبير والمحامي المتحمس للاسماعيلية ولكنه كما يظهر أن هذه التدليلات كلها تدليلات واهية سخيفة، لا تنهض لاثبات نسب المهدي الاسماعيلي وأولاده إلى بنى فاطمة.

ثم فيها من التعارض ما لا يخفي على باحث متبصر ومحقق بصير حيث أن ايوانوف ينفي نسبهم إلى البيت القداحي، ثم يبرىء ساحة القداحيين من الالحاد والزندقة، وهذا في نفسه يدل أن في الأمر شيئاً لأنه لو لم يكن هذا لما احتاج إلى اثبات اسلامهم وورعهم وتقواهم. وتتلثمذهم على الباقر وجعفر بن الباقر.

ثانياً : أن دليل ايوانوف بأن من ألقاب عبد الله بن محمد بن اسماعيل الميمون النقية، واسناده إلى الداعي الاسماعيلي ادريس عماد الدين ليس إلا تدليلاً ضعيفاً أيضاً حيث أنه لم يثبت هذا في كتاب اسماعيلي آخر بأنه كان من ألقاب عبد الله بن محمد بن اسماعيل الميمون النقية.

وأكثر من ذلك أن وجود عبد الله من أبناء عبد الله بن محمد بن اسماعيل أيضاً أمر مشتبّه ومشكوك فيه كما ذكرنا سابقاً بأنه لم يكن من أبناء محمد بن اسماعيل أحد سمي بهذا الاسم.

ومن الغرائب أن ايوانوف يعتمد على الداعي ادريس في اثبات لقب الميمون لعبد الله بن محمد بن اسماعيل، ولا يعتمد عليه في مسألة المستودع والمستقر، كما أنه لا يلتفت إلى ما ذكره هذا الداعي في كتابه (زهر المعاني) مما يؤيد كون المهدي الاسماعيلي غير الفاطمي.

ثالثاً : ومن الغرائب أيضاً أن ايوانوف ينكر مبدأ استيداع الامامة واستقرارها بحجة أنه لم يكن هذا النظام موجوداً في ذلك الوقت مع أنه مع

كثرة اعتنائه بالكتب الاسماعيلية لم يعرف بأن هذه النظرية ثابتة موجودة في الكتب الاسماعيلية القديمة منها والحديثة ، ولقد أقرّ بذلك الاسماعيليون وأئمتهم ، وحتى دريس عماد الدين ذكر ذلك أيضاً ، كما ذكره الكثيرون الآخرون كما ذكرناه فيما مرّ.

ومن أهم من أقر بهذا المبدأ هو الامام الاسماعيلي المعز لدين الله نفسه كما نقل عنه النعمان القاضي في رواية طويلة ورد فيها :

« زعم أن الامامة انتقلت عن بعض الأئمة إلى ميمون القداح ، وإلى فلان وإلى فلان - لقوم ذكرهم من أفناء الناس - ثم جعل (ﷺ) يتعجب من هذا القول وقال : فاذا كان ذلك كذلك فقد انقطع السبب . . . من أيدينا فصار أخذنا لما أخذناه من الفضل من قبل غيرنا وصاروا أحق به منا ، ولن يجعل الله (عز وجل) ذلك عند الضرورة عند من جعله في يديه من أهل هذا البيت من غير الأعقاب المتصلة إلا مستودعا عندهم غير مستقر فيهم إلى أن يستحق ذلك مستحقه فيأخذه من أيديهم » (١٠٤).

وقد أوردنا هذه الرواية كاملة فيما سبق ونعرض عن ايرادها مرّة أخرى تجنباً للتكرار.

رابعاً : وأخيراً ، إن تدليل ايوانوف علي كتمان نسب الاسماعيلية أيام تسلطهم على البلدان الاسماعيلية لأمرين لتدليل أضعف وأوهى من بيت العنكبوت ، وإن أوهى البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون .

١ - وأيّ أمر هذا ، ومن قال به ، وأين نقل ؟
وفي مثل هذا يقال : إن الشاهد أحرص على الدعوى من المدعى والسن منه .

ب - وأيّ ضرر كان يخافه الاسماعيلية من البلدان المجاورة المعادية لهم بعد افصاحهم عن حقيقة نسبهم ؟ .

(١٠٤) « المجالس والمسائرات » للقاضي النعمان ص ٤١٠ .

وأي خوف كان منهم على أقاربهم وذويهم ؟

وهذا مع ادعائهم المجاهر بأنهم من أبناء محمد بن اسماعيل بن جعفر مع معرفة أن كثيراً من العلويين كانوا يعيشون في البلدان التابعة للخلافة العباسية كما أن العديد من أبناء محمد بن اسماعيل كانوا يعيشون تحت كنف ورعاية الدولة العباسية ولم يتعرض لهم أحد بسوء، بل عكس ذلك أنهم هم الذين ردّوا على اسماعيلية المغرب ومصر ادعاءهم بأنهم من البيت الفاطمي من ولد محمد بن اسماعيل بن جعفر، ونحن أنكرنا عليهم نسبهم من أبناء محمد بن اسماعيل بن جعفر أخو محسن، وابن طباطبا أيضاً وغيرهما.

وهذا كله يثبت بأن تحمس ايوانوف وتدللاته لاثبات نسب الاسماعيلية إلى البيت الفاطمي العلوي لم يكن لها أصل ولا أساس حيث أن المستشرقين الآخرين الكثيرين مثل دى خويه، وفان هامر، ودوزي، وغيرهم قد جعلوا أكبر دليل على كون المهدي وأبنائه من البيت القداحي سكوتهم وصمتهم عن ذكر الأئمة المستورين من آبائهم الذين يربطونهم مع محمد بن اسماعيل.

هذا بالنسبة للمستشرق ايوانوف.

ويقول البروفسور نيكلسن : إن الدولة الفاطمية كانت نتيجة المؤامرة القداحية ضد الإسلام والمسلمين وأبناء القداح هم الذين أقاموا صرح هذه الدولة (١٠٥).

وبمثل ذلك قال دوزي بأن الأئمة الاسماعيلية لا يثبت نسبهم إلا إلى عبد الله بن ميمون القداح (١٠٦).

ورأى وستفلد لا يختلف عن رأيها (١٠٧).

وكذلك عند ماسنيون الخلفاء من نسل ميمون القداح (١٠٨).

NICHOLSIN : LITERARY HISTORY OF THE ARABS, P. 271-272. (١٠٥)

DOZY : HISTOIRE DES MVSULMANS D'ESPAGNE, VOL. 1. P.8. (١٠٦)

Geschichte der Fatimiden. P.14,15. (١٠٧)

(١٠٨) انظر مقدمة أصول الاسماعيلية ص ٨٠.

ويقول جويدى : إن الخلفاء الفاطميين هم أحفاد عبد الله بن
ميمون (١٠٩).

وكذلك كاترميرو، وكويارد ينكرون نسبة الاسماعيلية إلى
الفاطميين (١١٠).

فهذه هي آراء بعض المستشرقين في الموضوع غير من ذكرناهم سابقاً.

(١٠٩) أيضاً ص ٨١.

(١١٠) أيضاً ص ٧٩.

الرأى الأخير

نحن نعتقد أن مامرّ فيه الكافية للوصول إلى الحكم في هذا الموضوع ولكن زيادة للإيضاح، وبياناً للحكم الفاصل القاطع نبدى فيه رأينا الأخير.

أولاً : إن نسب المهدي إلى بنى فاطمة ليس بصحيح ، وأنه ينتمى إلى البيت، القداحى بدون أدنى شك ولا ارتياب .

ثانياً : إن القائم بأمر الله ابنه الحقيقي ، ومن خلفه بعده هم كلهم من أولاد المهدي ، ومن ثم أولاد القداح ،

ثالثاً : إن ذكر البيت العلوي ونسبتهم إلى بنى فاطمة لم يكن إلا لكسب عواطف الناس أيام المهدي لنجاح ثورته ، وأيام أولاده بعده لاختاد الثورات التي تقوم هنا وهناك ، ولإقناع الشعوب المسلمة بأن الامامة والخلافة حق متوارث لهم لكونهم ذرية النبي وعلى .

رابعاً : إن الشعب المسلم المغلوب على أمره في المغرب العربي ، ومن بعده في مصر وبلاد الشرق كانوا يعرفون - وبتعبير صحيح المثقفون منهم والعلماء - بأن نسبتهم إلى اسماعيل بن جعفر ، ومنه إلى فاطمة وعلى نسبة غير صحيحة ، كما أن قادة الاسماعيلية وزعماءها ، ودعاتها وأقطابها ، ومفكريها كانوا يعرفون هذا الشيء حق المعرفة ، وخاصة المتقدمين منهم ، كما أنه الأئمة الاسماعيلية أنفسهم كانوا على علم بذلك .

وكذلك الشعوب المسلمة الأخرى في البلاد غير المغلوبة من قبلهم، وقادتهم، وحكامهم كانوا يعرفون ذلك أيضاً.

زيادة على ذلك القرامطة اخوانهم في المذهب والرأى القائلون بامامة محمد بن اسماعيل بن جعفر، والمتعاونون معهم بادىء ذي بدء كانوا أكثر علماً بذلك :-

بوجوه وأدلة وبراهين وحجج، منها :-

أولاً : أن الحسب والنسب لا يثبت إلا بذكر الآباء والأجداد وذكر أسمائهم وبيان إرتباطهم وعلاقتهم بالذين يريدون إرتباطهم بهم . وان المهدي في حياته قبل تغلب أب عبد الله على المغرب وبعد تغلبه عليها واستلامه الحكم لم يذكرهم اطلاقاً، اللهم إلا الادعاء المحض، والنسبة الصرفة، وإيهام الناس ذلك .

ثانياً : أن واحداً من الدعاة الاسماعيلية القدامى لم يذكر أسماء آبائه بالترتيب، وبذكر الأجيال التي تربط بينه وبين اسماعيل بن جعفر حتى أبي عبد الله الشيعي الذي أقام أول دولة اسماعيلية، وتحمل المشاق والمتاعب، وعانى المعاناة الشديدة، وذل الصعاب في سبيله، بل عكس ذلك ثبت عنه أنه أنكر على المهدي كونه من سلالة عليّ والنبي بعد مارآه وشاهد منه الأعمال غير الجائزة شرعياً، وغير اللائقة خلقاً من اتيانه المنكرات ولبسه الحرير والذهب، واستباحته الحرام كما نقل الذهبي عن الوزير القفطي في (سيرة بني عبيد) أنه قال : إن أبا عبد الله الشيعي جمع مشائخ كتامة وقال لهم فيما قال :

« والامام لا يلبس الحرير والذهب وهذا لبسهما، وليس له أن يطاء إلا ما تحقق أمره، وهذا قد وطىء نساء زيادة الله، يعني : متولي المغرب، قال : فشكت كتامة في أمره » (١١١).

(١١١) « سير أعلام النبلاء » للذهبي ج ١٥ ص ١٤٦ .

ثالثاً : ولقد ثبت في التاريخ أن أبا عبد الله الشيعي ماكان يدعو إلى الاسماعيل في بلاد المغرب، كما أنه لم يؤسس الدولة التي أسسها باسمه، بل كانت دعوته للرضا من آل محمد، كما كانت دعوة منصور اليمن في اليمن (١١٢).

رابعاً : أن المهدي لم ينسب نفسه إلى البيت العلوي قبل وصوله إلى المغرب ولم يحسر على ذلك إلا لعلمه بعد الشقة والمسافة بينه وبين بلاده الأصلية ومقر الخلافة العباسية، وأهل تلك البلاد كانوا على معرفة تامة بالنسب العلوي وفروعه وشعوبه ومواليد هذا البيت وأولاده، أما بلاد المغرب النائية البعيدة فلم يكن فيها أحد يعرف أنساب ذلك البيت وأحسابه لعدم امكانيات الاتصال وسهولة الرسل والوسائل، وخير دليل على ذلك من الكتب الاسماعيلية أنفسهم ماذكروا أن جد المهدي عبد الله بن محمد استطاع أن ينزل في سلمية بين العباسيين متمياً إليهم، ومكث مدة طويلة لم يعرف أحد أنه ليس منهم كما ينص على ذلك الداعي الإسماعيلي ادريس عماد الدين في ترجمته بعد ذكر الحوادث والوقائع التي حصلت له ولاخوته.

ولما سمع الامام عبد الله بن محمد سلام الله عليه ماجرى على اخوته وولده، خرج من الاهواز ومعه ولده أحمد بن عبد الله الذي أهله لخلافته إلى سامراء، وأقام بها مدة وكتب إلى دعائه يخبرهم بسلامته، ثم أنه قصد من سامراء إلى الشام في زبي التجار فنزل سلمية، وابتنى بها داراً سكنها وهو في زبي التجار. وكان فيها قوم هاشميون من بنى العباس وغيرهم فانتسب اليهم، وكان فيهم وفضله بين وهو بزينة التقوى مترين، تدل عليه فضائله وتظهر براهينه ودلائله، وأخفى الامام (عليه السلام) اسمه واسم ولده، ولم يعلم الدعاة في أي جهة هو، فاجتمعوا وافترقوا في طلبه (١١٣).

ومثل ذلك ذكروا عن المهدي نفسه أيضاً كما نص محمد بن محمد اليماني : « وكان (المهدي) يعاشر قوماً من أهل سلمية هاشميين من ولد

(١١٢) انظر « مقدمة ابن خلدون » ص ٢١، « وتاريخ ابن خلدون » ج ٤ ص ٣٣.

(١١٣) « عيون الأخبار » السبع الرابع ص ٣٦٥.

عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم وكان يظهر لهم أنه عباسي، قال : وكانت الأموال والذخائر تجلب من كل بلد من قبل الدعاة اليه إلى سلمية، قال : وكان الامام قد حفر سردابا في الأرض من الصحراء إلى جوف داره بسلمية طوله اثنا عشر ميلا، وكانت الأموال والذخائر تحمل على الجمال فيفتح لها باب السرداب في الليل، وتنزل فيه بأحمالها عليها حتى توضع في داخل الدار وتخرج في الليل ويغمى على باب السرداب بالتراب فلا يدرى به أحد. قال : وكانت الأموال عظيمة حتى يقال انه ماكسب المهدي قدس الله روحه بعد أن فتح الله له إلا نحو ما خلف بسلمية «(١١٤)».

وفي هاتين الروايتين دلالة واضحة على أن المهدي وآباءه كانوا متقليبين في الأنساب، وفي تلك الأيام لم يكن من السهل معرفة الصدق والكذب ممن يتنسب إلى قبيلة أو عشيرة وحتى أهل القبيلة أنفسهم لم يكن بوسعهم معرفة حقيقة من ينتمى اليهم، وينزل فيهم من البلدان البعيدة.

فكيف من ينزل في المغرب الذي لم يكن فيه أحد من بني فاطمة من أولاد اسماعيل بن جعفر الصادق، يتبين الكذب من الصدق ويسأل ممن ينتمى إلى بيته وعشيرته، فكان كذلك من أن وصلت الأخبار إلى البلاد التي فرّ المهدي منها إلا وعرفه الناس وعرفوا الآخرين حقيقته وحقيقة انتسابه إلى البيت العلوي.

خامساً : وأغرب من ذلك كله أن في نسب المهدي انقطاعا حسب تصريحات الاسماعيليين أنفسهم حيث أنهم يذكرون أن أحد آباء المهدي اختفى من دعائه وحججه، وفقد من بين أشياعه وأتباعه فلم يعرفه أحد، ولم يهتد إليه أحد، وتفرق الدعاة في طلبه فوجده أحدهم بعد مدة طويلة وتفقد شديد ولم يكن قد رآه من قبل فأخبره أصحابه، وقد مرّ ذكر هذا فيما سبق (١١٥).

(١١٤) «سيرة الحاجب جعفر» ص ١٠٨.

(١١٥) انظر كتاب «استار الامام» ص ٩٤.

ومن يدري أنه كان هو المفقود أو أحداً غيره ؟

سادساً : إن أقدم المؤرخين الاسماعيليين ، الذي عاصر المهدي وعاشره ، وثلاثة من أولاده الحكام بعده النعمان بن محمد المغربي القاضي ، الذي كتب كتباً كثيرة لبيان الوقائع والأحداث التي حصلت للمهدي في سبيل التغلب على بلاد المغرب وانتشار دعوته في الأفاق ، مثل (افتتاح الدعوة) و (شرح الأخبار) غير ما كتبه في العقائد الاسماعيلية والفقه الاسماعيلي لم يذكر صراحة ولا كناية آباء المهدي وأسماءهم ولا عدد الأجيال التي تفصل بينه وبين اسماعيل بن جعفر مع الحاجة الماسة والاحتياج الشديد إلى ذكر ذلك لأنه قد حصل ما حصل من شك في نسب المهدي وكونه من البيت العلوي لا بداء الريب والشك من قبل أبي عبد الله الشيعي وأخيه الأكبر أبي العباس الذي هو أنخلص المخلصين للمهدي ، والمنقذين إياه من الهلاك وموصله إلى سدة الحكم والملك ، واطهار بعض مشايخ كتامة ما خامر قلوبهم أيام القائم بأمر الله في قضية الامامة والخلافة ولا ثبات موقف الاسماعيلية في أحقية الامامة للفاطميين ، ونقض موقف أهل السنة والجماعة وغيرهم من الفرق الأخرى ، المعتزلة والخوارج والمرجئة وطوائف الشيعة الأخرى غير الاسماعيلية ، ذكر في هذه الأرجوزة أئمة الاسماعيلية بعد علي رضي الله عنه واحداً واحداً إلى جعفر الصادق بالترتيب كما ذكر المهدي الاسماعيلي وابن المهدي محمد القائم بأمر الله لكنه لم يستطع أن يذكر فيها بعد جعفر الصادق آباء المهدي وأسماءهم ، الذين يربطون المهدي بجعفر وليس هذا فحسب ، بل صرح واعترف بعدم استطاعته ذكرهم (كي لا يكشف الأمر الذي كان مكشوفاً) فقال تحت عنوان (ذكر استتار الأئمة بعد جعفر بن محمد صلوات الله عليه) :

« واشتدت المحنة بعد جعفر فانصرف الأمر إلى التستر
وكان قد أقام بعض ولده مقامه لما رأى من جلده
فجعل له الأمر في ستر فلم يكن قالوا بذلك يدري
لخوفه عليه من أعدائه إلا ثقات محض أوليائه

وأهله الذين قد كانوا معه
 لما مضى كلهم لصلبه
 قد دخلوا في جملة الرعية
 وكلهم له دعاة ترى
 يعرفهم في كل عصر وزمن
 والاهم، وكل أوليائهم
 فقام بالأمر، وقاموا أربعة
 مستترين بعده بحسبه
 لشدة المحنة والرزية
 ودعوة في الناس كانت تجري
 وكل حين وأوان، كل من
 يعلم ما علم من أسمائهم^(١١٦)

ولسائل أن يسأل : مادام أولياء الأئمة وأتباعهم كانوا يعرفونهم في كل
 عصر وزمان، وفي كل حين وأوان أما كانوا يعلمون أسماءهم أيام المحنة
 والشدة وأيام الخوف من الأعداء، مع أننا لا نقر أن خوف الأعداء كان
 يجبرهم على التخفي والتستر إلى هذا الحد لأن هناك كثيراً من العلويين كانوا
 يعيشون في الدولة العباسية ظاهرين، مجاهرين لنسبتهم إلى البيت العلوي
 حتى أئمة الاثني عشرية لم يكونوا يخفون أسماءهم ونسبهم وسكناهم،
 وتنقلهم في البلاد، واتصلهم بأتباعهم وأشباعهم، والقاءهم الدروس
 والتعاليم لتلاميذهم، وارشادهم لمريديهم إلى ما يروونه صحيحاً وصالحاً
 حسب روايات الشيعة.

وكذلك الأئمة الاسماعيلية أنفسهم كانوا على اتصال دائم مع دعاةهم
 ومتبعيهم، وكان يجلب إليهم الأموال من الصدقات والزكاة ومن الهدايا
 والنذور كما مر ذلك بالتفصيل فيما سبق من الباب الأول في هذا الكتاب.

فمع أن هؤلاء كلهم كانوا يعرفون أسماء هؤلاء الأئمة مع مسمياتهم
 فلماذا لا يذكر النعمان القاضي أسماءهم.

أخوفا من الفضيحة والاكتشاف ؟ لقرب العهد ومعرفة الجميع أولاد
 جعفر بن محمد بن اسماعيل حفيده، وأسماءهم وفروعهم وبطونهم.

(١١٦) « الأرجوزة المختارة » لنعمان بن محمد المغربي القاضي ص ١٩١.

أو لعلمهم أسماء آباء المهدي الحقيقيين وشخصياتهم، وبيتهم الذي
ينتسبون إليه وولدوا فيه ؟

أما ماذا ؟

ثم ما معنى قول النعمان بعد ذكر هذا كله متصلا :

« ولم يكن يمنعني من ذكرهم	إلا احتفاظي بمصون سرهم
وليس لي بأن أقول جهرا	ما كان قد أدى إلى سرا
وهم على الجملة كانوا استتروا	ولم يكونوا اذ تولوا ظهورا
بل دخلوا في جملة السواد	لخوفهم من سطوة الأعدا
حتى اذا انتهى الكتاب أجله	وصار أمر الله فيمن جعله
بئنة مفتاح قفل الدين	أيده بالنصر والتمكين
فقيام عبد الله وهو الصادق	مهدينا صلى عليه الخالق
... فدان أهل الغرب بالطاعات	له، وبالمشرق في الجهات
ولم يزل مظفرا مؤيدا	بالعزم منصورا على من اعتدى
حتى أداخ كل غاو ناصب	وافتح الشرق مع المغارب» (١١٧).

فأتى سر يمنعني من ذكرهم بعد انتهاء أجل الكتاب، وبعد النصر
والتمكين وظهور المهدي وتملكه بلاد المغرب وبلاد المشرق، وبعد قتله وفتكه
بأعدائه من أهل السنة (المعبر بهم بالناصب) وغيرهم من المخالفين ؟

ثم الزمان زمان القائم، أي الزمن الذي رسخت فيه قواعد الحكم
الاسماعيلي واستقلت دولتهم بعيدة عن تناول العباسيين من جانب، ومن
الأمويين من جانب آخر.

فأتى سرفى سرية أسماء آباء المهدي غير الخوف من افتضاح الأمر
واكتشاف الحقيقة ؟

(١١٧) «الأرجوزة المختارة»، ص ١٩٢ وما بعد.

ثم أكثر من ذلك أن النعمان القاضي الذي عاش بعد هذا مدة طويلة وشاهد انتصار الاسماعيلية على مخالفيهم ومناوئهم، وتغلبهم على البلاد الشرقية، ودخول المعز مصر مظفراً منصوراً وهو في رفقته، وتوسع سلطانه إلى البدان الأخرى، لم يذكر في كتاب مامن كتبه الكثيرة التي كتبها بعد (الأرجوزة) و(افتتاح الدعوة) و(شرح الأخبار) وغيرها من الكتب آباء المهدي ولا أسماؤهم مع تكرار ذكره في الكتب التي كتبها أيام المعز أبا المعز وجده وأبا جده وأسماؤهم إلى المهدي مع ضرورة ذكر آباء المهدي آنذاك حيث أن الناس وخاصة الأشراف منهم بنو اسماعيل بن جعفر كانوا قد بدأوا يتناولون على نسب المعز الخليفة والامام الاسماعيلي وآبائه.

وهذا أكبر دليل على أن الأمر فيه ما فيه.

ولا يخدعن أحد بقول من يقول: إن هذا الأمر كان فيه الأسرار الاسماعيلية التي لا يجوز أن يعرفها أحد وفقاً لحكمة آلهية لا يجوز خرقها^(١١٨).

لو كان الأمر كذلك فكيف جاز بوحها وخرقها للآخرين من بعد النعمان؟

ولا يخفي على أحد ما فيه من ركاكة التعليل وضعفه.

سابعاً: إن انتقاض حمدان قرمط على المهدي وقطع علاقته معه وانفصاله عن الاسماعيلية، ثم اعتراف المهدي أمام مرسوله عبدان من كونه قد أحيا لخير دليل على أنه لم يكن من العلويين، وقد أورد هذه القصة بكاملها النويري في كتابه (نهاية الأرب) حيث يقول:

«وكان قرمط، ي كاتب من بسلمية من الطواغيت فلما توفي من كان في وقته وجلس ابنه من بعده كتب إلى حمدان قُرْمُط كتاباً، فلما ورد عليه الكتاب قرأه أنكر ما فيه، وتبين فيه ومنه ألفاظاً قد تغيرت، وشيئاً ليس هو على

(١١٨) انظر كتاب ايوانوف P.128 Rise of the Fatmids

النظام الأول، فاستراب به وفطن أن حادثة حدثت، فأمر قرمط ابن مليح - وكان داعياً من دعائه - أن يخرج فيتعرف الخبر، فامتنع عليه واعتذر، فأنفذ من أحضر عبدان الداعية من عمله، فلما حضر أنفذه ليتعرف ما حدث من هذا الأمر، ويكشف عن سبب تغيره، فسار عبدان لذلك، فلما وصل عُرف بموت الطاغية الذي كانوا يكاتبونه، فاجتمع بابنه وسأله عن الحجة ومَن الإمام بعده الذي يدعو إليه، فقال الابن : وَمَن الإمام ؟ قال عبدان : محمد بن إسماعيل بن جعفر صاحب الزمان الذي كان أبوك يدعو إليه، وكان حجته، فأنكر ذلك عليه وقال : محمد بن إسماعيل لا أصل له، ولم يكن الإمام غير أبي وهو من ولد ميمون بن ديسان، وأنا أقوم مقامه، فعرف عبدان القصة واستقصى الخبر وعلم أن محمد بن إسماعيل ليس له في الأمر حقيقة، وإنما هو شيء يحتالون به على الناس وأنه ليس من ولد عقيل بن أبي طالب، فرجع عبدان إلى قرمط فعرفه الخبر، فأمر قرمط أن يجمع الدعاة ويعرفهم صورة الأمر وماتبين منه، ويقطع الدعوة، ففعل عبدان ذلك وقطعت الدعوة من ديارهم، ولم يمكنهم قطعها من غير ديارهم، لأنها كانت قد امتدت في سائر الأقطار وامتد شرها، وقطعت الدعاة مكاتبة أصحابهم الذين بسلامة

وكان رجل من أولاد القداح قد نفذ إلى الطالقان يث الدعاة، ونزل بقرمط وهو بسواد الكوفة عند عبوره إلى الطالقان، وكان الدعاة يكاتبونه، فلما انقطعت المكاتبة عن جميع أولاد القداح قطعت عن هذا الذي بالطالقان، فطال انتظاره، فشخص عن الطالقان ليقصد قرمط، وكان قرمط، قد سار إلى كلواذى، فلما وصل إلى كلواذى سأل عن قرمط، فعرف أنه انتقل فلا يُدري أين مضى وما عرف لقرمط بعد ذلك خبر، ولا علمت وفاته ولا ما اتفق له، فقصد ابن القداح سواد الكوفة، فنزل على عبدان، فعتب عليه وعلى جميع الدعاة في انقطاع كتبهم عنه، فعرفه عبدان أنهم قطعوا الدعوة وأنهم لا يعودون فيها وأن أباه كان قد غرهم وادعى نسبه من عقيل بن أبي طالب كذباً ودعا إلى المهدي، فكنا نعمل على ذلك، فلما تبينا

أنه لا أصل لذلك، وعرفا أن أباك من ولد ميمون بن ديصان وأنه صاحب الأمر، بُنينا إلى الله تعالى بما تحمّلناه، وحسبنا ما كفرنا أبوك فتريد أن تردنا كفارًا ؟ ! انصرف عنا إلى موضعك» (١١٩).

هذا وقد تكرر هذا الحادث في خلف حمدان قرمط وهو الحسن الأعصم لخلف المهدي المعز لدين الله حيث لعن المعز على منبر دمشق وأباه، وقال:

هؤلاء من ولد القداح، كذابون، مخترقون، أعداء الإسلام، ونحن أعلم بهم، ومن عندنا خرج جدهم القداح.

ثامناً: احتراز المعز لدين الله عن بيان نسبه وذكر آبائه، ولجوؤه إلى سيفه وذهبه حين دخوله مصر وسؤال ابن طباطبا الشريف العلوي يؤيد عجزه عن اثبات نسبه هو وآبؤه من قبل إلى بني فاطمة.

هذا ولا أدري كيف جاز للدكتور حسن إبراهيم حسن أن يردّد رواية ابن خلكان هذه بقوله:

«وقد أنكر دي سلان (De Slane) بالدليل صحة هذه الرواية لأن المعز لما وصل إلى مصر سنة ٣٦٢هـ (١٩٧٢م) كان ابن طباطبا قد مات سنة ٣٤٨هـ (٩٥٩م) أي قبل أربع عشرة سنة» (١٢٠).

مع أن ابن خلكان نفسه قد ذكر ذلك ثم بين بأن صاحب الواقعة مع المعز كان ولد ابن طباطبا.

وصرح أيضاً أن صاحب هذه الواقعة هو الشريف أبو جعفر مسلم بن عبيد الله الحسيني، أو الشريف أبو اسماعيل إبراهيم بن أحمد الحسيني (١٢١).

(١١٩) «نهاية الأرب للتوحيدي» ج ٢٥ ص ٢٣٠ وما بعد، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٤٠٤هـ.

(١٢٠) انظر «الفاطميون في مصر» و«تاريخ الدولة الفاطمية» ص ٦٣.

(١٢١) انظر «وفيات الأعيان» لابن خلكان ص ٣٧٠.

يعني أن الواقعة قد حصلت لاشك في حصولها ولكن الشك في صاحب الواقعة أهو فلان أم فلان.

تاسعاً: أن كون المعز وآبائه من أولاد القداح كان فاشياً منتشراً بين الناس حتى الدعاة الاسماعيلية أنفسهم كما ذكر النعمان في مجالسه أن أحد الدعاة أرسل كتاباً إلى المعز:

«وكان فيما رأيت في هذا الكتاب أن زعم له فيه أن الإمامة انتقلت عن بعض الأئمة إلى ميمون القداح وإلى فلان وإلى فلان - لقوم ذكرهم من أئمة الناس - ثم جعل (ﷺ) يتعجب من هذا القول وقال: فإذا كان ذلك كذلك فقد انقطع السبب - ونعوذ بالله - من أيدينا فصار أخذنا لما أخذناه من الفضل من قبل غيرنا وصاروا أحق به منا... ثم قال: نعم، إن صاحب الحق هو الميمون المبارك سعيد قادح زناد الحكمة موري نور الحكمة، فإن ذهب من ذهب إلى هذا فنعم» (١٢٢).

وهذه العبارة واضحة في معناها، جلية في مفهومها، وحجة قوية على المعز، لم يستطع نفي من نسبه إلى ميمون القداح إلا بتأويل لا ينهض دليلاً لدحض الشبهة وردّ الاعتراض.

عاشراً: أن جعفر بن منصور اليمن وهو من هو عند الاسماعيلية، وداعي الدعاة للمعز، وسيد القاضي النعمان ومولاه بتصريح من المعز - أقرّ في كتابه (الفرائض وحدود الدين) بأنه لم يحفظ أسماء آباء المهدي من كتاب كتب إليه على انتظام وترتيب (١٢٣).

ثم ذكر فيه الأسماء التي تجعل الشك في صحة نسب المهدي مستيقناً بأن نسبه غير صحيح لما في ذكرهم من تعقيد وتحوير، ومخالفة البعض الآخرين من الاسماعيلية في الأسماء.

(١٢٢) «المجالس والمسايرات» للقاضي النعمان ص ٤٠٩، ٤١٠.

(١٢٣) انظر «في نسب الخلفاء الفاطميين» تقديم الهمداني ص ١١ المنتخب من كتاب «الفرائض وحدود الدين» لجعفر بن منصور اليمن.

إن هذا إلا دليل آخر على ما ذهبنا إليه .

حادي عشر : ويؤيد هذا التغيير والتزوير والتعقيد في الجواب واختلاف الأسماء ما ذكره النعمان أيضا في مجالسه عن رسل أحد دعاة المشرق إلى المعز فسأل أحدهم المعز عن أسماء آبائه فأخبره المعز :
« فإذا هو عنده على خلاف ذلك فيما عرفه .

فقال : نعم ، هذا مما قيل لنا أن الإمام له سبعة أسماء :

اسم جسماني ، واسم نفساني ، واسم روحاني ، واسم طبيعي ، واسم حقيقي ، واسم ظاهر ، واسم باطن
ثم جعل (ﷺ) يتعجب لقوله « (١٢٤) .

إلى غير ذلك من الروايات العديدة المتعارضة المتناقضة في هذا الخصوص كما مرّ سابقاً .

ثاني عشر : إن العزيز بالله بن المعز لدين الله لما جعل هدفا للطعن في نسبه لم يسعه إلا السكوت (١٢٥) ، ولما سئل عن أسماء آبائه لم يستطع ذكرها بعد المهدي إلا أن يقول : أبن الأئمة המתحين ، وقد مر ذكره (١٢٦) .

ثالث عشر : لما صدر المحضر المتضمن للطعن في نسبهم أيام الحاكم بأمر الله سنة ٤٠٢ هـ ، والمحضر الثاني الذي كتب ببغداد أيضا أيام المستنصر بالله سنة ٤٤٤ هـ لم يصدر جوابها في المرتين من مصر من قبل أئمة الاسماعيلية ، لا من قبل الحاكم ، ولا من قبل المستنصر بالردّ الشافي ، واقامة الحجة والبرهام على كذب ما ورد فيها بذكر النسب وشجرته المشتملة على أسماء سلسلة الآباء التي تربط بينهم وبين جعفر الصادق أو ابنه اسماعيل أو

(١٢٤) «المجالس والمسايرات» ص ٤٠٩ .

(١٢٥) انظر «يتيمة الدهر» للثعالبي ج ١ ص ٢٥٥ ، و«سير أعلام النبلاء» للذهبي ج ١٥ ص ١٦٨ .

(١٢٦) «اتعاظ الحنفاء» للمقريزي ص ٣٥ .

ابنه محمد، بل السكوت التام والصمت العميق والوجوم المطلق أثبت لدى من لم يكن عنده ثابتا بأن القوم لا يستطيعون مقارعة الحجة بالحجة، والدليل بالدليل في اثبات نسبهم إلى بني فاطمة وعلي رضي الله عنهما.

رابع عشر: وأهم من هذا كله أن الأسماء التي ذكرت لأبناء المهدي في الكتب الإسماعيلية لم تذكر إلا بعد مدة طويلة، وفي كتب المتأخرين غير المصريين الذين عاشوا بعيدين عن موطن الاختلاف الإسماعيلي الأصلي، من سوريا والمغرب ومصر، وكتب أكثرها بعد انقراض الدولة الإسماعيلية واختفاء وجودها وانطماش آثارها في اليمن والهند وإيران. كما قال المؤرخ المصري المعاصر المشهور الأستاذ محمد عبدالله عنان:

«ومما يلفت النظر، أن فيما خلا رواية أو اثنتين، ترجع إحداهما إلى أوائل القرن الرابع الهجري، وهي رواية الداعي جعفر بن منصور اليمن، عن نسبة المهدي، وترجع الثانية إلى أوائل القرن الخامس، وهي رواية الداعي عميد الدين الكرمانى عن نسبة الحاكم بأمر الله؛ فيما خلا هاتين الروائيتين الموجزتين، اللتين وردتا عرضا في كتابات هذين الداعيين، فإن معظم الروايات الإسماعيلية المفصلة عن الأئمة المستورين، وعن نسبة الخلفاء الفاطميين ترجع إلى عصور متأخرة؛ من ذلك رواية الخطاب المتوفى سنة ٥٣٣هـ (١١٣٨م)، ورواية عماد الدين إدريس المتوفى سنة ٨٧٢هـ (١٤٨٦م)، ورواية الحسن بن نوح المتوفى سنة ٩٣٩هـ (١٥٣٣م)، وقد صدرت معظم هذه الروايات المزكية لنسب الفاطميين عن الدعاة الإسماعيلية في الهند وفارس واليمن، وصدر معظمها حسبا هو ظاهرا، بعد ذهاب الدولة الفاطمية بعصور طويلة؛ ولم تصدر بمصر، لا عن الدعاة الفاطميين أنفسهم، ولا عن المؤرخين المصريين أية رواية تؤيد نسبة الفاطميين لآل البيت بطريق القطع والوضوح. أضف إلى ذلك كله، أن هذه المؤلفات الإسماعيلية، يرجع معظمها إلى مخطوطات حديثة، نسخت في

كتاب (الحاكم بأمر الله) لمحمد عبدالله عنان ص ٧٣، ٧٤ ط مطبعة لجنة التأليف - القاهرة.

الهند واليمن، في القرنين الثاني عشر، والثالث عشر من الهجرة، وهذه النقطة في حد ذاتها مما يلفت النظر.

وإنه ليسوغ لنا أن نتساءل بعد ذلك، عما يحملنا على الشك في أقوال الروايات التاريخية المتوالية التي تأتي نسبة الفاطميين إلى آل البيت؛ وقد أوردنا من هذه الروايات عدة لطائفة متعاقبة من المؤرخين والنسائين، ومنهم أقطاب لا يشك في نزاهتهم، ولا صدق روايتهم، ولم تكن لديهم أية أسباب مذهبية أو سياسية خاصة تحملهم على الطعن في نسب الفاطميين وفي إمامتهم، ومنهم كثيرون لم يكونوا من صنائع بني العباس، ولم يعيشوا في كنفهم، بل ومنهم من أثر عنه الميل إلى الفاطميين والتشيع لهم، ولم يسعه إلا أن ينقل ما كتبه المتقدمون في إنكار نسبتهم. وما الذي يحملنا على الشك مثلاً فيما كتبه رجال أمثال القاضي الباقلاني، وعبد القاهر البغدادي، وابن شداد، وابن خلكان، والنويري، وابن حجر، وابن حزم؟ ويلاحظ أن النظرية الغالبة في التواريخ المصرية، هي الريب في نسب الفاطميين؛ والمؤرخون المصريون، هم بمصريتهم وقربهم من العصر الفاطمي وكونهم أقدر من غيرهم على تحرى مصادر العصر الفاطمي وتراثه، هم أصحاب الرواية الراجحة، والقول المفضل في تلك المسألة الجدلية.

ومن ثم فإننا على ضوء هذه الروايات التاريخية كلها، نشعر بالميل إلى الأخذ برواية المنكرين، ولا نجد في تدليل المؤيدين وشروحهم ما يلقي ضوءاً كافياً أو مقنعاً.

وكيف يُطلب إلينا أن نعدل عن الإصغاء إلى تلك الروايات التاريخية المعقولة الراجحة، لنصغى إلى أقوال طائفة من الدعاة الإسماعيلية المتأخرين، من رواة القرن التاسع والعاشر الهجريين، وقد كتب معظمهم في الهند واليمن، بعيداً عن موطن المصادر والوثائق، واتسمت رواياتهم بطابع الإغراق والأسطورة، فضلاً عن النزعة المذهبية الخاصة؟ وأولئك هم عماد البحوث المستفيضة، التي يحاول بها الأستاذ إيفانوف أن يؤيد نسب الفاطميين

لآل البيت، وأن يدحض أقوال المنكرين، وقصة القداح» (١٢٧).

خامس عشر: ومن الطرائف أن الأسماء المذكورة في الكتب الاسماعيلية مع اختلافها وتضاربها لا يوجد لها ذكر ولا رسم في كتب الأنساب حيث أن كتب الأنساب تصرح بأنه لم يكن لمحمد بن اسماعيل بن جعفر ولد اسمه عبدالله الذي تذكره كتب الاسماعيلية قاطبة، بل كان له ابنان فقط: جعفر واسماعيل، لا غير كما ذكرناه في بداية هذا الباب.

ولا ندري من أين أتوا بعبد الله بن محمد بن اسماعيل أول الأبناء للمهدي الاسماعيلي حسب زعمهم بعد محمد بن اسماعيل، ثم أحمد، ثم الحسين حيث لا يوجد لهم ذكر إطلاقاً في كتب الأنساب.

وهذا وحده في نفسه كاف لدحض ما أدعوه كذباً وزوراً، كما أنه أهم نقطة لحسم النزاع، وقطع الخلاف، وفصل الخطاب في الموضوع.

سادس عشر: أن الأسماء التي سردها الاسماعيليون لأبناء المهدي هي عين تلك الأسماء التي يذكرها المؤرخون لأولاد القداح.

وفي هذا دليل قوي على أن المهدي وأولاده من أسرة القداح لا غير.

سابع عشر: أن سب وشتم الأئمة الاسماعيلية خلفاء رسول الله الثلاثة، أرحامه وأصهاره، وإغراقهم وغلوهم في ذلك، وأمرهم الناس به، وقهرهم وجبرهم عليه أيضاً من الأدلة القاطعة بأن نسبهم إلى علي وفاطمة غير صحيح لأنهم لو كانوا من أولاد علي لراغوا حق قرابتهم من رسول الله وعلي بن أبي طالب أيضاً، وحب علي بن أبي طالب إياهم وتسميته أبناءه بأسمائهم، وتزويجه بناته من البعض وأبناء بعض الآخرين.

ولم يثبت من واحد ممن صح نسبهم إلى علي بن طالب أنه جعل سبابهم وشتمهم ديدنه كما أثبتنا كل ذلك في كتابنا (الشيعه وأهل البيت).

(١٢٧) «الحاكم بأمر الله» ص ٧٣، ٧٤.

وأخيراً قد حصل مثل ما حصل للمهدي في نسبه إلى البيت العلوي بدون أن يثبت ذلك، حصل للحسن بن « كيا أميد » الذي أراد أن ينسب نفسه إلى الأئمة الاسماعيلية حكام مصر دون أن ينسب نفسه إلى أبيه كيا بزرك أميد كما سنذكره في محله في الجزء الثاني من هذا الكتاب إن شاء الله .

وبناء على ما مر من الأدلة الواضحة والحجج الساطعة التي ذكرناها وغيرها مما ذكرت خلال الكلام عند الآخرين في هذا الباب نجزم بأن نسب المهدي وأولاده إلى البيت العلوي ليس بثابت، ومن أراد ذلك فلم يرد إلا تحكما وتجبرا لأن الروايات الاسماعيلية وغيرها من روايات المؤرخين المسلمين وغير المسلمين تؤكد ما قلناه .

الباب الرابع

عقائد الاسماعيلية

إن للاسماعيلية عقائد خاصة يعتقدونها في الله، وفي بدء الخليقة، وفي النبوة، والوصاية، والإمامة، وفي القرآن، وأصحاب النبي، وفي الثواب والعقاب، والقيامة والمعاد، وفي الحلول والتناسخ، أخذوا بعضها من الفلاسفة الملحدين، والبعض منها من القدرية والجبرية والمعتزلة والمعتلة، الفرق التي زاغت عن الجادة المستقيمة، وجانبت منهج السلف الصالح، وتأثروا من الفيشاغورية الحديثة، والأفلاطونية الجديدة، ثم زادوا في المغالاة والتوسع على أولئك في هذه المباحث، وابتعدوا أكثر منهم عن الصواب ومسلك السلف، بل جانبوا القرآن والسنة، وبدل أن يعرضوا الآراء الفلسفية والأفكار الفيشاغورية على كتاب الله وإرشادات الرسول صلى الله عليه وسلم جعلوا هذه الأفكار والآراء معياراً للحق ومحقاً للصدق، فأولوا كل آية تعارض هذه الأفكار، وتحالف هذه الآراء ولو كانت صريحة في معناها لا تحتل التأويل. وكذلك أحاديث رسول الله العظيم صلوات الله وسلامه عليه، الثابتة عنه. فنبذوا القرآن والسنة وراء ظهورهم، وكونوا فكراً باطنياً جديداً مبنيّاً على التأويل المحض الصرف لا علاقة له بالمنطوق واللغة، وأسلوب البيان وسيناق الكلام، محاولين إبعاد الناس عن القرآن الذي يسهّره الله للمذكّرين كي يتذكروا فيه، وعن سنة رسول الله العظيم عليه الصلاة والسلام، التي جعلت بياناً لهذا القرآن، وتشريحاً وتوضيحاً له.

نعم، محاولين ذلك، وقاصدين أن يغيروا دين الله الذي جاء به الرسل وأكمل بمحمد خاتم النبيين وسيد المرسلين ليحل محله دين أرسطو وأفلاطون وفيثاغورث وفلاسفة الاتحاد الآخرين الذين فشلوا في حياتهم أن يجدوا لدينهم رواجاً.

هذا من جانب، ومن جانب آخر دين المجوس والثنية والصابئين والوثنيين الذين أفلت نجومهم بعد طلوع شمس الإسلام المشرق المنير، أرادوا ذلك وما الله بغافل عما يعمل الظالمون، يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون.

وقبل أن ندخل في صميم الموضوع نريد أن نذكر ههنا بأن للاسماعيلية كتباً تنقسم إلى قسمين: كتب الظاهر. وكتب الباطن. أما كتب الظاهر فإنها لم تكتب إلا للناس عامة سواء كانوا اسماعيليين أو غيرهم كي لا يطلع أحد على حقيقة المذهب وأفكاره وتعاليمه.

وأما كتب الباطن والعقيدة التي يدينون بها، ولا يطلع عليها إلا الخاصة الذين جاوزوا المراحل التي وضعت لمعرفة داخل المعتنقين والمعتقدين، ولا يسمح لغير الخاصة أو غير المتعمقين والمختبرين والمجربين أن يطلعوا عليها، أو يلقوا النظرة فيها. وحتى هم أنفسهم لم يكن يسمح لهم باقتناء مثل تلك الكتب وقراءتها إلا بعد أخذ العهود والمواثيق على ألا يعطوا أحداً هذا الكتاب ولا يخبروا بما فيها. كما ذكر ذلك حسين بن علي بن الوليد الداعي الاسماعيلي في بداية كتابه (المبدأ والمعاد) الذي أرسله إلى أحد إخوانه في المذهب والعقيدة والمتعلقين به على طلب منه:

«اعلم أيها الأخ السعيد الموفق الرشيد - أنار الله بصيرتك، وأخلص في موالاة مواليك سريرتك - أنه وصل كتابك، اتصلت في المعاد أسبابك، تسأل الإفادة بما تنال به منقلبك والزلفي والسعادة. فاسعفت سؤالك لما أعلمه من استحقاقك للالتزامك بحبل الولاية للأئمة الراشدين، واعتلاقك بقيامك بالواجبات عليك من شرائط الدين، وانتظامك في سلك العالمين

بالأوامر الشرعية المجتهدين . والذي أشرحه لك في كتابي ، هو من سرّ الملكوت الروحاني المتّصل وحيّا بكلّ مقام نورانيّ ، ومنه إلى حدوده المخلصين الموكّلين باستنقاذ الخلائق من طوفان الضلالة . وهو اكسير النفوس التي يصبغها صبغة الله الحسنة الزكية ، ويصيرها بعد أن كانت حسية بهيمية ناطقة ملكية . فصنه عن كلّ أحد الآ من ذكرته لك ، يصنك الله ؛ واحفظه ، يحفظك الله . وأنا آخذ عليك - وعلى كلّ من أذنت لك بايقافه عليه - عهد الله المسئول المؤكد ، وميثاقه المغلظ المشدد الذي أخذه على ملائكته المقربين وأنبيائه المرسلين وأئمة دينه الهادين وحدودهم الراشدين - صلوات الله عليهم أجمعين ، - والآ فأنت ومن وقف عليه براء منهم أجمعين ، ألا نسخت منه حرفا ولا أقل ولا أكثر ، ولا وقف عليه الا أنت أو من أذنت له بالوقوف عليه ، وأنتك تعيد الى هذه النسخة بعد أن تفرغ من قراءتها . والله على ما نقول وكيل .^(١)

وورد مثل ذلك في كتاب (مسائل مجموعة من الحقائق العالية والدقائق والأسرار السامية) للداعي الإسماعيلي حيث كتب على غلاف الكتاب : (لا يجوز الاطلاع عليها الا باذن من له العقد والحل) ، ثم كتب في مقدمة الرسالة الأولى بعنوان (مسائل في الحقائق وجواباتها الثلاثة عشر) بعد البسملة والحمدلة :

«أيها الأخ أعلى الله في رتب الصالحين درجتك ونور بنور الصافين المسيحين صورتك فقد وقفت على مسائلك التي دلت على تألق جذوة ذكائك وعلوك في منازل العلم وارتقائك وسألت الاجابة عنها وهي أيها الأخ تقتضي جوابا من زيد الحقائق المصونة وسرائر الحكم المكنونة ولب الفوائد المخزونة وانا اتحقق أنك أهل لأن تطلع على ذلك وحقيق بأن تخص بفضل ما هنالك إلا أنه مما لا يودع بطون الأوراق ولا يجب أن يرمق من العيون الشحمية

(١) «رسالة المبدأ والمعاد» لابن الوليد طبع ونشر المستشرق الفرنسي هنري كرين في مجموعة الرسائل الثلاثة الاسماعيلية في إيران واليمن ص ١٠٠ ، ١٠١ ط انستيتوت ايران وفرنسا - ايران - ١٩٦١ م .

بالاحداق صيانة له عن ابدائه وبذله وخوفا عليه ان يقع إلى غير أهله بل يجب أن يكون قرطاسه الأذن الواعية وقلمه اللسان المترجمة عن جواهرها العالية لكنني لما أوثره من الجلاء لبصيرتك والزيادة في إنارة صورتك كتبت لك ذلك في هذه الأوراق وأنا آخذ عليك عهد الله تعالى وعظيم الميثاق الذي أخذه على ملائكته المقربين وأنبيائه المنتجبين وائمة دينه الهادين وحدودهم الميامين وإلا فأنت بريء منهم أجمعين لا وقف على ذلك إلا أنت أو أولادك، لاغيرهم، ثم يرد إلى هذه الكراسة بعد أن تحفظ ما فيها، وإن أردت أن تغيب ذلك تركتها عندك مدة ما يحفظ فيها ثم أعدتها إلى، والله على ما نقول وكيل»^(٢).

وهذا موجود تقريباً في كل كتاب سري وباطني.

وعلى ذلك لازال الاسماعيليون يكتمون هذه الكتب، ولا يظهرونها لأحد كما ذكرنا هذا مفصلاً في مقدمة الكتاب.

فلنرجع إلى موضوعنا فنقول: إن الاسماعيلية لهم كتب ظاهرية، وكتب سرّية. فالكتب السرّية هي التي تبحث عن عقائد الاسماعيلية الخالصة الصحيحة التي يدينون بها ويحملونها لأنها لم تكتب على المداراة والمهاشاة والنفاق الذي طالما يسمونه باسم التقية، خلاف الكتب الظاهرية.

فلأجل ذلك لا اعتماد لبيان العقائد إلا على كتب الباطن أو الحقائق كما يسمونها أيضاً، ولقد ضل كثير من المسلمين السذج الذين كتبوا في عقائد القوم ولم تصل أيديهم إلى هذه الكتب، مكتفين بكتب الظاهر، حيث ظنوا فيهم خيراً، وذهبوا إلى أنه لافرق بينهم وبين المسلمين السنة إلا يسيراً، قد أدّاهم اجتهادهم إليه مع أن الأمر ليس كذلك.

ولقد ضربنا الأمثلة الكثيرة لمثل هذه فيما مرّ في المقدمة.

(٢) ص ٥، ٦ من «أربعة كتب اسماعيلية» بتحقيق المستشرق الألماني شترووطمان ط الجمع العلمي ١٩٤٣ م.

وبناء على ذلك نقول : إن جل اعتمادنا في هذا الباب هو على كتب
الباطن أو الحقائق، على الكتب السرية، ولا عبرة بما ورد مناقضا لها في كتب
الظاهر فنبدأ أولاً ببيان معتقدات الاسماعيلية في الله جل جلاله وعمّ نواله .

الفصل الأول

عقيدتهم في الله

ان الاسماعيلية يعتقدون بأن الله لا يوصف بوصف، ولا يسمى باسم، مخالفين صريح القرآن والسنة، ومؤولين بتأويلات فاسدة باردة كاسدة، بعيدة كل البعد عن منطوقها ومفهومها، سالكين مسلك الثنوين والوثنيين والمجوس، وجاعلين الاله الواحد آلهة متعددة، والرب الواحد أربابا متفرقين متعددين، قائلين بالواحد الممتنع وجوده، مكابرين مجادلين آيات القرآن، الناطق بأسماء الله وصفاته وأحاديث الرسول المعصوم المدعم بالوحي، المثبتة لله أسماؤه الحسنی وصفاته التي تليق بشأنه وجلاله كما يقول الله عز وجل في محكم كتابه:

«ولله الأسماء الحسنی فادعوه بها»^(٣).

وقال: «هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم. هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون. هو الله الخالق البارئ المصور له الأسماء الحسنی يسبح له ما في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم»^(٤).

(٣) سورة الأعراف الآية ١٨٠.

(٤) سورة الحشر الآية ٢٢، ٢٣، ٢٤.

و«أياما تدعو فله الأسماء الحسنى»^(٥).

و«الله لا إله الا هو له الأسماء الحسنى»^(٦).

وذكر أسمائه وصفاته جل جلاله، وتبارك وتعالى شأنه أيضاً في قرآنه المجيد وفرقانه الحميد:

«الله لا إله الا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السموات وما في الأرض من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من عمله الا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤده حفظهما وهو العلي العظيم»^(٧).

و«قل هو الله أحد. الله الصمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد»^(٨).

و«إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين»^(٩).

و«إن الله علیم بذات الصدور»^(١٠).

و«بديع السماوات والأرض وإذا قضى أمراً فانما يقول له كن فيكون»^(١١).

و«تبارك الذي نزل الفرقان علي عبده ليكون للعالمين نذيراً»^(١٢).

و«الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل»^(١٣).

(٥) سورة الاسراء الآية ١١٠.

(٦) سورة طه الآية ٨.

(٧) سورة البقرة الآية ٥٥.

(٨) سورة الاخلاص.

(٩) سورة الذاريات الآية ٥٨.

(١٠) سورة آل عمران الآية ١١٩.

(١١) سورة البقرة الآية ١١٧.

(١٢) سورة الفرقان الآية ١.

(١٣) سورة الزمر الآية ٦٢.

و «هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم . هو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أين ما كنتم والله بما تعملون بصير» (١٥).

و «يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم» (١٦).

و «لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً» (١٧).

و «رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشى ربه» (١٨).

و «ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيماً» (١٩).

و «إن الذين كفروا ينادون لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم إذ تدعون إلى الإيمان فتكفرون» (٢٠).

و «هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وقضى الأمر وإلى الله ترجع الأمور» (٢١).

و «وكلم الله موسى تكليماً» (٢٢).

(١٤) سورة البروج ١٦ .

(١٥) سورة الحديد الآية ٤، ٣ .

(١٦) سورة المائدة الآية ٥٤ .

(١٧) سورة الفتح الآية ١٨ .

(١٨) سورة البينة الآية ٨ .

(١٩) سورة النساء الآية ٩٣ .

(٢٠) سورة غافر الآية ١٠ .

(٢١) سورة البقرة الآية ٢١٠ .

(٢٢) سورة النساء الآية ١٦٤ .

و «جاء ربك والملك صفا صفا» (٢٣) .

و «الله يتوفى الأنفس حين موتها» (٢٤) .

و «وإذا سألك عبادي عني فإني قريب» (٢٥) .

و «يريدون ليطفؤا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون» (٢٦) .

و «إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون» (٢٧) .

و «إن الله كان غفورا رحيما» (٢٨) .

و «إن الله كان سميعا بصيرا» (٢٩) .

و «إن الله بالناس لرءوف رحيم» (٣٠) .

و «ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم» (٣١) .

و «إن الله كان عليما حكيمًا» (٣٢) .

و «إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم والله غفور رحيم» (٣٣) .

(٢٣) سورة الفجر الآية ٢٢ .

(٢٤) سورة الزمر الآية ٤٢ .

(٢٥) سورة البقرة الآية ١٨٦ .

(٢٦) سورة الصف الآية ٨ .

(٢٧) سورة يس الآية ٨٢ .

(٢٨) سورة النساء الآية ٢٣ .

(٢٩) سورة النساء الآية ٥٨ .

(٣٠) سورة البقرة الآية ١٤٣ .

(٣١) سورة محمد الآية ٢٨ .

(٣٢) سورة النساء الآية ١١ .

(٣٣) سورة آل عمران الآية ٣١ .

و «الرحمن علي العرش استوى» (٣٤).

و «بل رفعه الله إليه» (٣٥).

و «ليس كمثله شيء وهو السميع البصير» (٣٦).

و «وكفى بربك هاديا ونصيرا» (٣٧).

و «ومن يظلم منكم نذقه عذابا كبيرا» (٣٨).

وكما ورد في الأحاديث الثابتة عن رسول الله أن كان يناجي ربه ويناديه بأسمائه وصفاته كما ذكر مسلم في صحيحه «عن عائشة رضى الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا قام من الليل يصلي يقول: اللهم رب جبريل وميكائيل واسرافيل، فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون. اهدني لما اختلف فيه من الحق باذنك انك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم» (٣٩).

ولكن الاسماعيلية يقولون عكس ذلك معرضين عن هذا كله بأن التوحيد هو تجريد الله عن جميع الأسماء والصفات، وأن أسماؤه لا تطلق في العالم العلوي الا على العقل الأول، والمبدع الأول، أو السابق، وفي العالم السفلي على الناطق والأساس والامام، وأن الله عز وجل ليس بموجود ولا معدوم:

وبذلك صرح المؤيد في الدين هبة الله الشيرازي داعي الدعاة الاسماعيلي للامام الاسماعيلي المستنصر في كتابه الباطني (المجالس المؤيدية) ونقل عنه ابراهيم بن الحسين الحامدي في كتابه الباطني المشهور الذي يعدّ

(٣٤) سورة طه الآية ٥.

(٣٥) سورة النساء الآية ١٥٨.

(٣٦) سورة الشورى الآية ١١.

(٣٧) سورة الفرقان الآية ٣١.

(٣٨) سورة الفرقان الآية ١٩.

(٣٩) صحيح مسلم.

من أهم الكتب بعد (راحة العقل) للكرماني: «الحمد لله لا يدركه من لا تدركه الأبصار، ولا يحصره من لا تحصره الأفكار، الذي دون تناوله للأفكار أستار، أو لاقدام الأوهام زلل وعثار، فهو سبحانه لا يدخل تحت اسم ولا صفة، ولا يوماً إليه بالاشارة مكيفة، ولا يقال عليه حيا، ولا قادرا، ولا عالما، ولا عاقلا، ولا كاملا، ولا تاما، ولا فاعلا، لأنه مبدع الحي، القادر، العالم، العاقل، التام، الكامل، الفاعل، ولا يقال له ذات، لأن كل ذات حاملة للصفات، كالجسم وأعراضه التسعة، والنفس وصفاتها، ولا يقال انه جوهر، لأن الجوهر ينقسم إلى الجسم، وإلى غير الجسم، ولا يقال عرض لأن العرض محمولا مقبولا، ملازما وزائلا. ولا يقال انه علة، لأن في المعلول بعض آثار العلة، ولا يقال انه قديم، لأن القديم شاهد على هويته بالحديث» (٤٠).

وبذلك قال الكرماني أحمد حميد الدين الملقب بحجة العراقيين وكبير الدعاة للامام الاسماعيلي الحاكم بأمر الله في كتابه (راحة العقل) الذي قلما أذن لشخص الاطلاع عليه الا للخاصة وخاصة الخاصة، قال فيه:

«هو الذي لا اله الا هو محال ليسيته» (٤١) باطل لاهويته اذ لو كان ليسا لكانت الموجودات أيضا ليسا، فلما كانت الموجودات موجودة كانت ليسيته باطلة» (٤٢).

أي أن الله ليس بمعدوم لأنه لو كان معدوما لكانت الموجودات معدومة، وما دامت هي موجودة فكون الله معدوما باطل. ولكن هل هو موجود؟ ينكر الاسماعيلية ذلك أيضاً كما قال الكرماني في المشرع الثاني:

(٤٠) «كنز الولد» ص ١٣، ١٤ ط دار الاندلس بيروت ١٩٧٩ م.

(٤١) اللبس للدلالة على العدم والمعدوم، والأيس للدلالة على الوجود والموجود، لفظتان فلسفتان تستعملان في كتب الكلام والعقائد.

(٤٢) «راحة العقل» للكرماني السور الثاني المشرع الأول ص ١٣٠.

«لما كان الأيس في كونه أيساً محتاجاً إلى ما يستند إليه في الوجود على ما سبق الكلام عليه، وكان هو - عز كبرياؤه - متعالياً عن الحاجة فيما هو هو إلى غير به يتعلق ما به هو هو، كان من ذلك الحكم بأنه تعالى خارج عن أن يكون أيساً لتعلق كون الأيس أيساً بالذي يتأول عليه الذي جعله أيساً، واستحالة الأمر في أن يكون هو تعالى أيساً، ولا هو يحتاج فيما هو هو إلى غير به هو هو فيستند إليه، تكبر عن ذلك وتعزز وتعالى علواً كبيراً» (٤٣).

ويقول أيضاً: «انه تعالى لا ينال بصفة من الصفات، وأنه لا بجسم ولا في جسم» (٤٤).
وأيضاً قال:

«وإذا كانت الأسماء والصفات والألفاظ مشاكلة لما تدل عليه، وكانت الأسماء والألفاظ مؤلفة من الحروف البسيطة التي تبني سائر اللغات منها، والحروف محدثة، كان ما تدل عليه وتوجهه في مثل حالها محدثاً، وإذا كان ما تدل عليه الحروف المركبة في اللغات كلها محدثاً مثلها على ما بينها، وهو تعالى كبرياؤه ليس بمحدث، فقد استبان امتناع الحروف المركبة الحادثة عنها اللغات عن أن يكون لها سلوك في الدلالة على ما يليق بكبريائه» (٤٥).

وأخيراً قال تحت عنوان:
«في أن أصدق قول في التوحيد والتسبيح والتحميد والاثبات ما يكون من قبل نفي الصفات الموجودة في الموجودات وسلبها عنه تعالى»:

«نقول: لما كانت العقول مشتاقة إلى توحيد الله تعالى وتقديسه وتحميده وتمجيده بما هو أهله، وكان لذلك طريقان: طريق من جهة إلحاق الصفات التي لا يكون أشرف منها وإثباتها له. وطريق من جهة نفي الصفات وسلبها

(٤٣) أيضاً المشرع الثاني ص ١٣١.

(٤٤) «راحة العقل» للكرمانى المشرع الثالث من السور الثاني ص ١٣٥.

(٤٥) أيضاً المشرع السادس ص ١٤٥.

عنه ، وكان طريق التوحيد والتمجيد من جهة إثبات الصفات له مؤدياً إلى الكذب على الله تعالى والافتراء عليه بنسب ما لا يليق به إليه وإجرائه مجرى ما دونه من مخترعاته ، كان أصدق ما يعتمد عليه في التوحيد والتمجيد ضد إثبات الصفات وهو نفياً عنه ، فأخذنا معاشر الدعاة الموحدين المتبعين للأئمة الطاهرين في التوحيد والتسبيح طريق نفى الصفات بكونه حقاً وصدقاً: وذلك أنه لما كان الصدق هو إثبات شيء لما هو موجود له ، ونفى شيء عما هو ليس موجود له ، رأينا أننا إن أثبتنا لله تعالى صفة ، وكانت الصفة لا له بل لغيره بكونها مختصة بالموجودات عنه التي هي غيره تعالى الله ، كنا فيه كاذبين . إذ الكذب هو إثبات شيء لما هو ليس له أو نفي شيء عما هو له ، وإننا إن نفينا عنه صفة وكانت تلك الصفة ليست له بل لغيره كنا في ذلك صادقين ، فلزمنا هذه الطريقة على ما رسمت الأدلة المنصوبون للهداية إلى طريق الحق في التوحيد صلوات الله عليهم ، إذ نحن بذلك إذا فعلناه مثبتون مسبحون مقدسون ممجدون حامدون ، بقولنا الصدق وإثباتنا إياه تعالى بلا قصد لصفة ، ولا تناول منا إياه بتشبيه أو تمثيل أو تحديد : وذلك أن في فحوى الكلام ثابتاً معلوماً عند ذوي الذكاء ، ومن هو أخونا حقاً ، إننا إذا قلنا عند الإثبات من طريق النفي هو لا هذا ولا هذا ولا هذا ولا هذا ، وكان كل هذا الذي نفينا مما هو موجود في الخلقة ، فقد ثبت به ما لم تأت الصفة عليه ، وباین جميع الموجودات بما نفينا أن يكون هو تعالى» (٤٦) .

ونقل ابراهيم الحامدي في كتابه عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه بعدما قال في مقدمة الكتاب :

«من لا تجاسره الخواطر ، ولا تحويه المشاعر ، ولا تدركه البصائر ، المنزه عن الأسماء والصفات ، والبريء عن الأشباه في جميع المجالات ، والمتعالى عن مشاكلة أهل الأرضين والسموات» (٤٧) .

(٤٦) أيضاً المشرع السابع ص ١٤٧ ، ١٤٨ .

(٤٧) «كنز الولد» ص ١ .

ونقل عن علي رضي الله عنه :

«ان أول الديانة لله تعالى معرفته ، وكمال معرفته توحيده ، ونظام توحيده نفى الصفات عنه ، واقامة حدوده بشهادة العقول ان كل صفة وموصوف مخلوق وبشهادة الصفة والموصوف جميعا ، ان الحدث الممتنع من الأزل منفي عنه سبحانه . وقال : الكلام فيما لا تدركه جهل ، والمناظرة فيما لا يبلغه العقل خطأ» (٤٨) .

وقال السجستاني الداعية الاسماعيلي الكبير ، وأستاذ الكرمانى ، في كتابه (إثبات النبوءات) :

«فسبحان المتعالى عن إدراك الصفات وإحاطة تصريف اللغات» (٤٩) .

وبمثل ذلك قال أيضاً الحسين بن علي الوليد الداعي المطلق في رسالته (المبدأ والمعاد) :

«أعلم أن غيب الغيوب الذي لا تجاسر نحوه الخواطر ، ولا يدرك بعقد ضمير ، ولا بإحاطة تفكير ، ولا يقع عليه اسم ولا صفة» (٥٠) .

وقال الداعي الاسماعيلي السليمانى ضياء الدين في تفسيره (مزاج التسليم) :

«الحمد لله المتعالى عن السماء والأسماء ، والمتقدس أن يكون له تعالى حد أو رسم» (٥١) .

وهذه عقيدة متفقة بينهم حتى إن النعمان الذي ألف أكثر كتبه في الظاهر ذكر هذه العقيدة في أرجوزته حيث قال عن الله :

(٤٨) أيضاً ص ١٢

(٤٩) «إثبات النبوءات للسجستاني ص ١٦ .

(٥٠) «رسالة المبدأ والمعاد» ، المقدمة من مجموعة (رسالة اسماعيلي درايران وعين ص ١٠١ ، أيضاً (مسائل مجموعة من الحقائق العالية) لداع مجهول ص ٣٠٥ من (أربعة كتب اسماعيلية) .

(٥١) انظر (مزاج التسليم) الجزء الأول من القسم الثالث ص ٥ ، باعتناء وتصحيح المستشرق شترو وطهان ط المجمع العلمي غوتينغن المانيا .

«جل عن التشبيه والتمثيل وعن حدود النعت والصفات والظن والوهم من الجهات» (٥٢).

وعلى ذلك ذكرهم شيخ الاسلام ابن تيمية وعقيدتهم هذه عديدا من المرات في فتاواه، وردّ عليهم عقلا ونقلا فقال:

«وقد علم أن طريقة سلف الأمة وأئمتها اثبات ما أثبتته من الصفات، من غير تكييف ولا تمثيل، ومن غير تحريف ولا تعطيل.

وكذلك ينفون عنه ما نفاه عن نفسه، مع اثبات ما أثبتته من الصفات، من غير إلحاد: لافي أسمائه وآياته، كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ وقال تعالى: (ان الذين يلحدون في آياتنا لا ينفقون علينا أفمن يلقى في النار خير أم من يأتي آمنا يوم القيامة اعملوا ما شئتم) الآية.

فطريقتهم تتضمن اثبات الأسماء والصفات، مع نفي مماثلة المخلوقات: اثباتا بلا تشبيه، وتنزيها بلا تعطيل، كما قال تعالى: ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾.

ففي قوله (ليس كمثله شيء) ردّ للتشبيه والتمثيل، وقوله: ﴿وهو السميع البصير﴾: ردّ للإلحاد والتعطيل» (٥٣).

ثم بعد ذكر الآيات الكثيرة قال:

«فان في ذلك من اثبات ذاته وصفاته على وجه التفصيل، واثبات وحدانيته بنفى التمثيل، ما هدى الله به عباده إلى سواء السبيل فهذه طريقة الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

وأما من زاغ وحاد عن سبيلهم، من الكفار والمشركين، والذين أوتوا الكتاب، ومن دخل في هؤلاء من الصابئة والمتفلسفة، والجهمية والقرامطة

(٥٢) انظر (الأرجوزة المختارة) للنعمان القاضي الاسماعيل ص ٢٩.

(٥٣) «فتاوى شيخ الإسلام» ج ٣ ص ٣ و ٤.

والباطنية ونحوهم : فانهم على ضد ذلك ، يصفونه بالصفات السلبية على وجه التفصيل ، ولا يثبتون الا وجوداً مطلقاً لا حقيقة له عند التحصيل ، وانما يرجع إلى وجود في الأذهان ، يمتنع تحققه في الأعيان .

فقولهم يستلزم غاية التعطيل وغاية التمثيل ؛ فانهم يمثلونه بالمتعنتات ، والمعدومات ، والجمادات ؛ ويعطلون الأسماء والصفات ، تعطيلاً يستلزم نفي الذات .

فغلاتهم يسلبون عنه النقيضين ، فيقولون : لا موجود ولا معدوم ، ولا حي ولا ميت ، ولا عالم ولا جاهل ، لانهم يزعمون أنهم إذا وصفوه بالاثبات شبهوه بالموجودات ، وإذا وصفوه بالنفي شبهوه بالمعدومات ، فسلبوا النقيضين ، وهذا ممتنع في بداهة العقول ، وحرفوا ما أنزل الله من الكتاب ، وما جاء به الرسول ، فوقعوا في شرٍّ مما فرّوا منه ، فانهم شبهوه بالمتعنتات . إذ سلب النقيضين كجمع النقيضين كلاهما من المتعنتات .

وقد علم بالاضطرار أن الوجود لا بدّ له من موجد ، واجب بذاته ، غني عما سواه ، قديم أزلي ، لا يجوز عليه الحدوث ولا العدم ، فوصفه بما يمتنع وجوده ، فضلاً عن الوجوب أو الوجود أو القدم» (٥٤) .

ومثل ذلك ذكر في مقام آخر حيث قال :

«ومذهب سلف الأمة وأئمتها أن يوصف الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم ، من غير تحريف ، ولا تعطيل ؛ ولا تكيف ولا تمثيل .

فلا يجوز نفي صفات الله تعالى التي وصف بها نفسه ؛ ولا يجوز تمثيلها بصفات المخلوقين ؛ بل هو سبحانه (ليس كمثله شيء وهو السمع البصير) ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله .

وقال نعيم بن حماد الخزاعي شيخ البخاري من شبه الله بخلقه فقد كفر. ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر، وليس ما وصف الله به نفسه ورسوله تشبيهاً.

ومذهب السلف بين مذهبين، وهدي بين ضلالتين: إثبات الصفات ونفي مماثلة المخلوقات؛ فقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ رد على أهل التشبيه والتمثيل. وقوله: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ - رد على أهل النفي والتعطيل، فالمثل أعشى، والمعطّل أعمى: المثل يعبد صنماً، والمعطّل يعبد عدماً.

وقد اتفق جميع أهل الإثبات على أن الله حي حقيقة، عليم حقيقة، قدير حقيقة، سميع حقيقة، بصير حقيقة، مريد حقيقة، متكلم حقيقة؛ حتى المعتزلة النفاة للصفات قالوا: إن الله متكلم حقيقة؛ كما قالوا - مع سائر المسلمين - إن الله عليم حقيقة، قدير حقيقة؛ بل ذهب طائفة منهم كأبي العباس الناشئ إلى أن هذه الأسماء حقيقة لله مجاز للخلق.

وأما جمهور المعتزلة مع المتكلمة الصفاتية - من الأشعرية الكلابية، والكرامية، والسلمية، وأتباع الأئمة الأربعة من الحنفية والمالكية والشافعية والحنبلية. وأهل الحديث، والصوفية - فانهم يقولون: إن هذه الأسماء حقيقة للخالق سبحانه وتعالى: وإن كانت تطلق على خلقه حقيقة أيضاً. ويقولون: إن له علماً حقيقة، وقدرة حقيقة، وسمعاً حقيقة، وبصراً حقيقة.

وإنما ينكرون أن تكون هذه الأسماء حقيقة النفاة من القرامطة الاسماعيلية الباطنية، ونحوهم من المتفلسفة الذين ينفون عن الله الأسماء الحسنى، ويقولون: ليس بحي ولا عالم ولا جاهل، ولا قادر ولا عاجز، ولا موجود، ولا معدوم؛ فهؤلاء ومن ضاهاهم ينفون أن تكون له حقيقة! ثم يقول بعضهم: إن هذه الأسماء لبعض المخلوقات، وإنها ليست له حقيقة ولا مجازاً.

وهؤلاء الذين يسميهم المسلمون الملاحدة؛ لأنهم الحدوا في أسماء الله وآياته وقد قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخَفُونَ عَلَيْنَا﴾، وهؤلاء شر من المشركين الذين أخبر الله عنهم بقوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا: وَمَا الرَّحْمَنُ؟ أَنْسَجِدُ لِمَا تَأْمُرُنَا؟ وَزَادَهُمْ نُفُورًا﴾ وقال تعالى: ﴿كَذَلِكَ أَرسلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَلْبِهَا أُمَمٌ لَّتَتَلَوْا عَلَيْهِمْ الذِّكْرَ أَوْحِينَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ؛ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابٌ﴾.

فإن أولئك المشركين إنما انكروا اسم الرحمن فقط، وهم لا ينكرون أسماء الله وصفاته؛ ولهذا كانوا عند المسلمين أكفر من اليهود والنصارى»^(٥٥).

ثم إن الاسماعيلية بعد نفي الأسماء والصفات عن الله تبارك وتعالى مع كونه لا موجوداً ولا معدوماً، احتاجوا إلى أن يخترعوا أو يختلقوا آلهة أخرى لإطلاق الأسماء والصفات التي ورد ذكرها في القرآن والسنة عليهم، فقالوا:

«إن جميع صفات الشرف والجلالة، وما يعبر به في جميع اللغات من الاشارات بنعوت الالهية فإنها واقعة على العقل الأول»^(٥٦).

وقال الداعي الاسماعيلي محمد بن علي الصوري تحت عنوان (القول في التوحيد):

«فكل ما يجري على اللسان من سائر الأفكار والأديان وسائر الأسماء والصفات للمبدع الأول، لا للذات»^(٥٧) ويمثل ذلك قال الداعي الفاطمي طاهر بن إبراهيم الحارثي اليماني المتوفى سنة ٥٨٤هـ، ونقل كذلك عن الكرمانى:

(٥٥) أيضاً ص ١٩٥ و ١٩٦ و ١٩٧.

(٥٦) «رسالة المبدأ والمعاد» ص ١٠١ من (رساله اسماعيلي).

(٥٧) «القصيدة الصورية» لمحمد بن علي الصوري ص ٢٤ ط دمشق ١٩٥٥ م.

«وكان متسبحاً متعالياً أن يقع عليه إشارة مشير، أو يتجاسر نحوه خاطر بتوهم أو تفكير، وكان الاعراب عنه بالله تعالى وبالمبدع وبالهوية المتعالية غير واقعين عليه، هذان الاسمان والصفة، إذ الأسماء والصفات لا تقع إلا على مثلها كما قال أمير المؤمنين: الأسماء والصفات على مثالها تدل، وفي شكلها تحل، وهذه الأسماء والصفات محدثة، والمحدث لا يقع إلا على محدث مثله، كما قال سيدنا حميد الدين: ولما كانت حروف المعجم محدثة، لم تكن تدل إلا على محدث مثلها، وإذا كان القول كذلك كانت هذه الأسماء والصفات منفية عنه تعالى وتكبر، وكانت واقعة على ابداعه الذي هو العقل الأول، والموجود الأول، والسابق، وهو سبحانه متنزه متعال عما يقول الظالمون والجاهلون علواً كبيراً» (٥٨).

وأكثر من ذلك قال الكرمانى كما نقل عنه :

«ان اسم الالهية لا يقع إلا على المبدع الأول» (٥٩).

والعقل الأول يقال له : العقل الكلي، والموجود الأول، والمبدع الأول، والسابق، والقلم، والكلمة وغيرها (٦٠).

والعقل الثاني يطلق عليه النفس الكلية، واللوح، والمبدع الثاني، والتالي. وغيرها إلى آخر ذلك من العقول العشرة التي سوف تبين فلسفتها إن شاء الله في محله من هذا الكتاب.

وكي لا نبتعد عن موضوعنا نختصر القول ونقول: إن الاسماعيلية يقولون بأن العقل الكلي، أو الموجود الأول، أو السابق، يماثله في العالم

(٥٨) «الأنوار اللطيفة في فلسفة المبدأ والمعاد» للداعي الفاطمي طاهر بن إبراهيم الحارثي البياي ص ٧٩ ، ٨٠ ط الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ١٩٧٠ م.

(٥٩) «مسائل مجموعة من الحقائق العالية» ص ١٨٠ ، وذكر الكرمانى هذا أيضاً في كتابه (راحة العقل المشرع السادس من السور الثالث ص ١٩٥).

(٦٠) انظر لذلك (راحة العقل) للكرمانى، و(المجالس المؤيدية) للشيرازي، و(كنز الولد) وغيرها.

السفلي الناطق، كما يماثل العقل الثاني أو التالي الأساس^(٦١). وقد قال الكرمانى في كتابه: «الناطق والأساس مثلاً»^(٦٢) للسابق والتالى^(٦٣).

وبمثل ذلك قال النعمان بن محمد المغربى القاضى الاسماعيلى في كتابه الباطنى (أساس التأويل):

فكان الناطق مثلاً على العقل الكلى في عالم الترتيب والأساس مثلاً على النفس الكلية^(٦٤). وبه قال الحامدى في كتابه الباطنى المشهور (كنز الولد)^(٦٥).

وأيضاً «سيدنا محمد القائم في دار الطبيعة مقام الابداع الأول في علمه، ووصيه الحال منه محل لوح الله المحفوظ من قلمه»^(٦٦).

وقال السجستانى:

«منزلة الرسول في العالم الجسمانى كمنزلة السابق في العالم الروحانى»^(٦٧).

وبناء على ذلك كل الأسماء والصفات التى أطلقت على الموجود الأول، أو العقل الكلى، أو السابق، أو التالى، وكذلك على العقل العاشر عند البعض حيث أنه هو المدبر للكون في العالم العلوى^(٦٨) هي للناطق والأساس ومن قام مقامهما من الأئمة في العالم السفلى، وحتى اسم الجلالة يقع عليه لأن كل خصائص العقل الأول جعلت للامام^(٦٩).

(٦١) انظر «راحة العقل» للكرمانى ص ٣٥٦.

(٦٢) هناك لنظرية المثل والمثول عند الفاطميين سوف نتكلم عنها في محلها.

(٦٣) «كتاب الرياض» ص ١٦٨.

(٦٤) «أساس التأويل» للنعمان ص ٣٦٢ ط دار الثقافة بيروت.

(٦٥) انظر «كنز الولد» من ٦٧ وما بعد.

(٦٦) «مجموعة مسائل» ص ٣١ من أربعة كتب اسماعيلية تحقيق شترووطمان.

(٦٧) «اثبات النبوءات» ص ٥٧.

(٦٨) انظر «مسائل مجموعة» ص ٦ من أربعة كتب اسماعيلية.

(٦٩) مقدمة «راحة العقل» لمصطفى غالب الاسماعيلى ص ٤٠.

وعلى ذلك نقلوا عن محمد الباقر أنه قال :

«ما قيل في الله فهو فينا، وما قيل فينا فهو في البلغاء من شيعتنا» (٧٠).

وأكثر من ذلك وأصرح ما قاله الداعي جعفر بن منصور اليماني في كتابه :

«فكل قائم في عصره فهو اسم الله الذي يدعى به في ذلك العصر كما قال الله عز وجل : والله الأسماء الحسنى فادعوه بها» (٧١).

وبذلك قال المفسر الاسماعيلي ضياء الدين في تفسيره :

«الحمد لله الذي أجرى جميع أموره الجزئية والكلية . . . وصلى الله على رسوله سيدنا محمد من خرق رتب الحجابية . . . وعلى إمام العصر الواقع عليه في عصره اسم الالهية» (٧٢).

كما أن العقل الأول يستحق أن يقع عليه اسم الالهية (٧٣) ولماذا يطلق عليه اسم الالهية؟

يجيب عليه الكرمانى بقوله : «لأن كلا منهم في زمانه قائم مقام الله بقيامه مقام النبي الذي هو قائم مقام الله» (٧٤).

فالعقل الأول، أو المبدع الأول، أو الموجود الأول، أو السابق، أو القلم هو إله، ومتصف بصفات الخالق، والرزاق، والمصور، والباري وغيرها من الصفات، لا الله تبارك وتعالى، وكذلك العقل الثاني، أو الموجود الثاني، أو التالي، أو اللوح، والعقل العاشر.

وكذلك النبي المعبر عنه بالناطق . والصبي، الأساس . والامام .

(٧٠) «كنز الولد» للحامدي ص ١٩٥ .

(٧١) «كتاب الكشف» ص ١٠٩ .

(٧٢) «مزاج التنسيم» تفسير سورة النمل الجزء الخامس من القسم الرابع ص ٣٣٧ .

(٧٣) «المبدأ والمعاد» ص ١٠٣ من (رساله اسماعيلي) تحقيق المستشرق هنري كربين .

(٧٤) «راحة العقل» ص ٥٧٧، أيضا «مسائل مجموعة» ص ١١٣ من أربعة كتب اسماعيلية .

فهؤلاء آلهة الاسماعيلية، لا الله الواحد القهار، وهؤلاء الذين عبر عنهم بالله والخالق، والبارئ، والمصور، والرزاق، والسميع، والعليم في القرآن المجيد والفرقان الحميد.

وأما الله «فهو غيب الغيوب، ليس هو موجود فيوصف، ولا غائب فينعت»^(٧٥).

فالتوحيد عند الاسماعيلية هو اتصاف الخلق بأوصاف الله، وتسمية المخلوق بأسمائه الحسنى - تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً -.

وبذلك صرح الداعي الاسماعيلي ابن الوليد:

«وأعلم أن التوحيد هو معرفة الحدود العالية والدانية، والاعتراف بأن كل حد منهم واحد في مرتبته لا يشاركه فيها سواه»^(٧٦).

وبذلك قال الكرمانى كما نقل عنه طاهر بن إبراهيم الحارثي^(٧٧).

وبمثل ذلك ذكره الحامدي أيضاً نقلاً عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه^(٧٨).

والشرك عندهم هو الدعوة إلى غير الامام، لا إلى غير الله^(٧٩).

وإليكم النصوص والتصريحات من قبل القوم أنفسهم:

يقول الداعي ابن الوليد أن الله في قوله تعالى: شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم:

(٧٥) «الكافية» للداعي الاسماعيلي محمد بن سعد بن داود الرفعة ص ٢٥ من (ثلاث رسائل اسماعيلية) تقديم عارف تامر ط دار الآفاق الجديدة بيروت ١٩٨٣ م.

(٧٦) «رسالة المبدأ والمعاد» ص ١٠١.

(٧٧) انظر ص ٨٠ من (مجموعة الحقائق الخفية) جمع وترتيب محمد حسن الأعظمي ط الهيئة المصرية العامة للطبع والتأليف والنشر القاهرة.

(٧٨) انظر «كنز الولد» ص ١٢.

(٧٩) انظر «كتاب الكشف» لجعفر بن منصور اليمنى ص ١٦٦.

«فكان اسم الله واقعا على العقل الأول، السابق في عالم الابداع، والملائكة تلك العقول المجردة البادرة إلى الاجابة لدعوته، الشاهدة بما شهد به، وقال: أولوا العلم، هو هذا الشخص الفاضل صاحب الجثة الابداعية (أي آدم) وحدوده السبعة والعشرون المجيئون لدعوته، الشاهدون بما شهد به»^(٨٠).

وبه قال الحامدي^(٨١).

وذكر ذلك أيضا ضمن ذكره شهادة آدم:

«شهد الله أنه لا إله إلا هو، فهذه شهادة المبدع الأول الواقع عليه اسم الالهية، ثم قال: والملائكة، الذين شهدوا بمثل ذلك، المنبعث الأول، والعقول الانبعائية، والعاشر، ثم قال: وأولوا العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم، الآية، وهذه الشهادة الثالثة لأهل المغارات الذين وسمهم بالعلم»^(٨٢).

ويقولون أيضا: ان سورة الإخلاص لم تنزل إلا لبيان أوصاف الله الذي هو العقل الأول والموجود الأول - عياذا بالله - لا الله الأحد الصمد. يقول الداعي الاسماعيلي في جواب سؤال ورد إليه في سورة الاخلاص:

«الجواب في ذلك بعون الله سبحانه ومادته ومثله في أرضه صلوات الله عليه وعلى آله وافادته أنه قد سبق القول في الاجوبة المقدمة أنه لما كان من لا تجاسر نحوه الخواطر في حجاب من الجلالة والعظمة ممتنعا أن يعبر عنه بلفظ قول أو عقد ضمير كانت الصفات المتعالية والسمات المتناهية في الشرف واقعة على اشرف مبدعاته وافضل مخترعاته فلذلك أوحى إلى نبيه صلى الله عليه وعلى آله بقوله «قل» يا محمد «هو الله أحد» عني به الاقرار للمبدع

(٨٠) انظر «رسالة المبدأ والمعاد» ص ١١٣ من (رسالة اسماعيلي).

(٨١) انظر «رسالة زهر بذر الحقائق» ص ١٦١، ١٦٢ من (منتخبات اسماعيلية) بتحقيق

الدكتور عادل العواط مطبعة الجامعة السورية دمشق ١٩٥٨ م.

(٨٢) «كنز الولد» ص ١٥٧.

الأول برتبة الوحدة التي امتاز بها عمن سواه وتفرّد بها عن جميع من تلاه ثم قال «الله الصمد» في اللغة هو السيّد المصمود إليه في قضاء الحوائج فامرّه بالاعتراف بكون الابداع مقصد أهل العوالم واليه تمتدّ رغباتهم ومنه تطلب حاجاتهم وهو الغنيّ عنهم وهم الفقراء إليه ثم قال «لم يلد ولم يولد» تعليمًا لنبية صلى الله عليه وعلى آله وأمرا له بتنزيه هذا الحدّ الشريف وتجريده عن أن يكون له سبب أو علة من جنسه بها وُجد كما يكون الوالد علة لولده أو أن يكون هو علة لظهور مولد عنه اضطر إلى ايجاده لغرض يدعوه اليه فيقوم مشابها له كما يكون الولد من عالم الطبيعة مشابها لوالده وحائزا لمرتبته من بعده إذ ليس أحد من العقول ينال مرتبته وذلك كما قال الحكيم في مقامات النور لم يلدوا ففتناسلوا ولم يولدوا فتناسبوا وقوله «ولم يكن له كفوا أحد» إخبار أن هذا المقام العظيم في حجاب من الجلالة أيسر العقول عن رفعته فليس له منها «كفو ولا نظير»^(٨٣).

وكذلك الله، والخالق، والبارئ، والمصور، المذكور في القرآن، لا يراد من هذه الأسماء، ولا يقصد من هذه النعوت إلا العقل الأول والموجود الأول لأنه علة العلل، وموجد الوجود. كما ذكر ذلك الكرمانى^(٨٤):

«فجمع المراتب الثلاث في آية واحدة، ونسبها إلى الأول، فقال: هو الله الخالق البارئ المصور له الأسماء الحسنى، أي له المراتب التي دون ذلك»^(٨٥).

وقال الداعى قيس بن منصور :

« اسمان لطيفان وخاصان، وهى (الله)، و(اله) . . . دليان على

(٨٣) «كثر الولد» الباب التاسع في القول على ظهور الشخص الفاضل من تحت خط الاعتدال ص ١٥٧.

(٨٣) «مسائل مجموعة من الحقائق العالية» ص ٣٩ من (أربعة كتب اسماعيلية).

(٨٤) الملقب بحجة العراقيين، المؤلف الاسماعيلي الكبير، له اسلوب عويص خاص به.

(٨٥) «راحة العقل» للكرمانى ص ٢٥٤.

العقل والنفس ، اذهما أصل العالم العلوى والسفلى ومن فيهما » (٨٦).

وكذلك مذكوره الداعي الاسماعيلي شهاب الدين أبو فراس بأن (الله)
(والاله) اسمان لطيفان دليلان على النفس والعقل البسيطين اللذين هما
أصل العالم السفلى والعلوى ومن فيهما » (٨٧).

ولماذا يدل (الاله) و(الله) على العقل والنفس ؟

يجيب عليه الداعى الاسماعيلي أبو فراس أيضاً في رسالة أخرى له في
مبحث (حدوث العالم ومبتدأ العوالم) بعد بيان أنه محدث ، يقول :

« وان موجدّه اوجدّه ابداعاً لا من شيء ، وأنه سبحانه وتعالى قال له كن
فكان - فيضاً واحداً - فهو العقل الفعّال الأول ، والموجود الأكمل . والحجاب
المفضّل . وظهر عنه التالي مخترعاً من نوره ، ثم ظهرت جميع الموجودات منها
وبها ، فالفيض الأول هو أصل الایجاد ، وهو المبدأ وإليه المعاد ، وهو السابق
صاحب التمام والكمال ، وأشعته جواهر أفراد إبداعية عقلية ، وأشعة التالي
جواهر أزواج تركيبية منها الهیولى الأولى ، والجسم المطلق الكوكبي
والفلكي ، وهم : الأمهات الأربع والمتولدات الثلاث .

وأعلم أيها الأخ البار ، أنار الله بصيرتك ، وجلا بنور الهداية سريرتك .
أن جميع المركبات الجرمانية ثنائية من أشعة الأمر بوساطة السابق ، وجميع
المركبات الجسمانية المتولدة جواهر رباعية تركبت من تلك الجواهر الثنائية
بوساطة الأمهات الأربع وروحانياتها المحركة لها ، وهي جواهر أفراد من
أشعة السابق بوساطة التالي ، وأن مواد التالي من الأمر بوساطة السابق ،
ومواد السابق الهية بوساطة الأمر .

وأعلم أن العالم كله بسيط ومركب ، ظهر من العدم إلى الوجود بوساطة
الاصلين - العقل والنفس - فوجود حركاته من التالي بواسطة الهیولى ، ووجود

(٨٦) « رسالة الأسابيع » للداعى قيس بن منصور الاسماعيلي ص ١٦١ من (خمس رسائل
اسماعيلية) تحقيق عارف تامر ط دار الانصاف ١٩٥٦ م .

(٨٧) « كتاب الايضاح » ص ٨٩ بتقديم عارف تامر ط المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٩٦٤ م .

روحانياتها المحركة له من السابق بواسطة التالي، وعلته الموجودة أصل هذا العالم - وهما الكاف والنون - أمّا الأمر فهو السرّ الالهي المكنون بين هذين الحرفين، فالكاف السابق المحدود المكمل بفيض الجود، وهو علة النون، والتالي أصل تركيب الوجود بمواد السابق، والخلق ينقسم إلى ثلاثة أقسام : عالم روحاني وهو الابداع، وجواهره أفراد، وعالم جرماني وهو الاختراع وجواهره أزواج. وعالم جسماني وجواهره رباعية تركيبة تركبت منها الأزواج. فأولها الجسم المطلق، ثم الافلاك، ثم الكواكب، والاسطقصات الأربعة : النار والهواء والماء والتراب. والمتولدات الثلاثة : المعدن والنبات والحيوان. والانسان هو نهاية العالم الجسماني، وهو البيت الأكمل، والحجاب الأفضل الذي خاطب الله منه الخلق بأوضح خطاب.

واعلم أيها الأخ الكريم ايدك الله بأنوار الفكر ولمعات الذهن، أن العالم بأسره شخص كروي الافلاك، مسيح لباريه، ومقدس لفاطره ومنشيه. عقله السابق، ونفس قدسه التالي، وقلبه الجذ، وقوه حسه ونموه الفتح، وصورة أعضائه الخيال، وعينه الهيولى والصورة وجوارحه السبعة والبروج الاثنا عشر، وشطره الايسر السفلي المعدن والنبات، وشطره الأيمن الحيوان والانسان. ذلك تقدير العزيز العليم.

واعلم علمك الله الحكمة، والهكم الصواب. أن هذا العالم انسان كبير، أصله ومبدأه - السابق المشرق من أنوار الوحدة، وهو العقل، فمنه تأسست الموجودات وتأثرت وظهرت بعجائبها وأنجبت بعضها من بعض، وهو أصل مبدئها ومنشئها، وإليه معادها، وهو سبب اظهار الوجود بأسره، وأنه أصل له نسبتان : عليا وسفلي، وهما الكاف والنون، فالكاف درجة العليا وتسمى الجود، والنون درجة السفلى وتسمى الدين، ومن هاتين النسبتين ظهر عالمان : الخلق والدين فالخلق من نسبة العليا وبه يمد، والدين من نسبة العليا وبها يستمد» (٨٨).

(٨٨) « رسالة مطالع الشمس » ص ١٩ ، ٢٠ من (أربع رسائل اسماعيلية).

ويقول الداعي محمد بن علي السوري :

والحمد لله معلّ العلل ومبدع العقل القديم الأزل
أبدعه بأمره العظيم بلا مثال كان في القديم
وصير الأشياء في هويته مجموعة بأسرها في قدرته
فهو لها أصل كريم يجمع فمنه تبدو وإليه ترجع» (٨٩)

وقال الداعي الاسماعيلي حاتم بن عمران :

« وأما الأصل فهو السابق وقد انبعث منه التالي، وظهر من التالي
الطبائع الأربعة التي هي الذكور والعناصر التي منها الأمهات، فكان منها
الروح الفرد، وظهرت في العالم الحجج في الجزائر وتباينت الأقاليم التي يقوم
فيها مقام الناطق والأساس بالدلالات وأخذ كل ربع من العالم حظه وقسطه
إذا كان العنصر من السابق إلى التالي إلى الناطق إلى الأساس والإمام والحجة
ليقع الصلاح، فهذا سر الله في العالم الذي لأجله أخذت العهود
والمواثيق» (٩٠).

وعلى ذلك صرح الاسماعيلي المعاصر بقوله :

« بواسطة الأصلين السابق والتالي، أو العقل والنفس، وجدت
المخلوقات كلها» (٩١).

وبمثل ذلك قال إخوان الصفاء في الرسالة الثانية من العلوم الناموسية
والشرعية في كيفية أحوال الروحانيين (٩٢).

(٨٩) « القصيدة الصورية » ص ٢٣ تحقيق عارف تامر ١٩٥٥ م.

(٩٠) « رسالة الأصول والأحكام » لحاتم بن عمران ص ١١١ من (خمس رسائل
اسماعيلية).

(٩١) مقدمة « راحة العقل » ص ٣٤.

(٩٢) انظر الرسالة التاسعة والأربعين من (رسائل اخوان الصفاء) ج ٤ ص ١٩٨ ومابعد
ط دار صادر بيروت.

وقالوا في الرسالة الأولى من النفسانيات العقليات « إن الله تعالى لما كان تام الوجود كامل الفضائل ، عالماً بالكائنات قبل كونها ، قادراً على إيجادها متى شاء ، لم يكن من الحكمة أن يحبس تلك الفضائل في ذاته ، فلا يجود بها ولا يفيضها . فإذا بواجب الحكمة أفاض الجود والفضائل منه ، كما يفيض من عين الشمس النور والضياء ، ودام ذلك الفيض منه متصلاً متواتراً غير منقطع ، فيسمى أول ذلك الفيض العقل الفعال ، وهو جوهر بسيط روحاني ، نور محض ، في غاية التهام والكمال والفضائل ، وفيه صور جميع الأشياء ، كما تكون في فكر العالم صور المعلومات .

وفاض من العقل الفعال فيض آخر دونه في الرتبة يسمى العقل المنفعل ، وهي النفس الكلية ، وهي جوهرة روحانية بسيطة قابلة للصور والفضائل من العقل الفعال على الترتيب والنظام ، كما يقبل التلميذ من الأستاذ التعليم .

وفاض من النفس أيضاً فيض آخر دونها في الرتبة يسمى الهيولى الأولى » (٩٣) .

وأما علاقة العقل بالنفس ، والسابق بالتالي ، وأسماؤهما فقد ذكر في جامعة الجامعة :

« إن الذين ذكروا الهيولى والصورة ، عنوا أن العقل صورة النفس وتمامية له ، وإنها هيولى له لقبولها آثاره وإشراقها بنوره . فهو مودعها صورة التهام ومبلغها درجة الكمال .

وأما من قال بالنور والظلمة ، يعني بنور العقل ، فقد يكون هو الذي لا كدر فيه ، والنفس بميلها إلى الطبيعة تظلم عليها سبلها إذا أقبلت عليها وتخلت عن العقل فتكون حيثئذ مظلمة .

(٩٣) أيضاً الرسالة الثانية والثلاثون ج ٣ ص ١٩٦ ، ١٩٧ .

وأما من قال اللوح والقلم فإنما عني به العقل والنفس لأن ما كتبه القلم
لاح في اللوح المحفوظ .

وأما من قال الجوهر والعرض فإنما عني الجوهر إذا كان أبا الجواهر
ومجوهرها وعنصر العناصر ومعصرها ، والنفس بالنسبة إليه وكونها عنه
عرض منه ، وجوهر بالنسبة إلى غيرها ، وغيرها جوهر بالنسبة إلى غيره مما
دونه

وأما من قال الروحاني والجسماني فإنما عني بالروحاني العقل إذ هو روح
القدس المحض الذي لا كدر فيه ولا كثافة تلحقه وعني بالجسماني النفس
بالنسبة إلى العقل لاتحادها بالأجسام وميلها إلى الطبيعة والنفس روحانية
بوجه اقبالها على العقل ، وجسمانية بوجه اقبالها على الطبيعة .

وأما من قال البسط والقبض فإنما عني بسط العقل انواره وفوائده ونعمه
على النفس ، وبالقبض قبض النفس ما تستفيده منه وافادتها من دونه وقبضه
عنها وأخذه منها .

وأما من قال المحبة والشوق فإنه عني بالمحبة اقبال العقل على النفس
بالمحبة إذ هو لها كالآلات .

وأما الشوق فشوقها إلى فوائده وتقليها نعمه .

وأما من قال الحركة والسكون فإنما عني بالحركة العقل لتحريكه بأمر
مبدعه بظهور الأشياء عنه . وبالسكون سكون النفس واطمئنانها به .

وأما من قال الوجود والعقل فإنما عني بوجود العقل الذي هو موجود قبل
فيض الجود من الواحد المعبود لا إله إلا هو ، فهو سبب وجود كل موجود .

وأما العدم ، فقد عني به النفس إذ كانت معدومة من العقل بالنسبة إليه
ويتقدمه عليها وهو أصل وجودها .

وأما من قال الزمان والمكان فإنما عني بالزمان العقل إذ كان هو زمان
الازمنة ودهر الدهور ، وعنه بدت الحركة التي هي أصل الزمان . وعني

بالمكان النفس إذ كانت مكاناً يلقي إليها فيه العقل من فوائده وعند تلقيها ذلك منه واتساعها له فتكون هي المكان وهو المتمكن وهو الزمان وهي المتزمن .

وأما من قال الدنيا والآخرة فانما عني بالدنيا النفس ، إذ كانت سبباً لعبادتها وحياة عالمها ، وبالأخرة العقل إذ هو دار الحياة ومقر الرحمن ومكان أهل الدنيا منه رجوعهم إلى الآخرة . وانصرف النفس إلى العقل ورجوعها إليه .

وأما من قال العلة والمعلول فانما عني بالعلة العقل ، وبالمعلول النفس إذ كان العقل علة النفس وسبب وجودها .

وأما من قال المبدأ والمعاد فانما عني بمبدأ العقل ، إذ هو أصل بداية الأشياء ومعاد النفس ، لأن إليه عودتها وقت استفادتها وقبول مادتها . والذي قال الظاهر والباطن ، فانما عني بالظاهر العقل لظهور آياته وبيان موجوداته ، والباطن النفس لبطون جريان قواها ، وكذا روحانيتها في بواطن المحسوسات ، وخفايا الجسمانيات ، ولطائف الطبيعيات ، فهذا البيان واضح البرهان وقد اتفقت عليه أقوال الحكماء في مقاصدها وأغراضها واختلفت في لغاتها وأقوالها وألفاظها « (٩٤) » .

وأما الناطق والامام فلهما نفس الأسماء والأوصاف والصلاحيات ، من الخلق والرزق والاحياء والامامة وغيرها كما ذكر اخوان الصفاء :

« لما كان الاسمان العلويان قد وقعا على الأصلين اللطيفين في العالم العلوى فقد كان بازائهما الناطق والامام في العالم السفلى » (٩٥) .

(٩٤) « جامعة الجامعة » ص ٦٧ ، ٦٨ ، ٦٩ المنسوبة إلى إخوان الصفاء - ط دار مكتبة الحياة - لبنان .

(٩٥) « جامعة الجامعة » ص ٧٠ .

وبذلك قال الحامدي في كتابه بأن علياً رضي الله عنه هو الله الخالق
الباريء المصور كما كان الحقل كذلك (٩٦).

وأما ما قاله عن الرسول وعلى فإنه بقلمه ولسانه :

« قال الحكيم : أينما ظهرت لك المعجزة فاسجد، أي فاطع، ولم يظهر
من المعجزات لأحد مثل ما ظهر لنبينا محمد ووصيه علي، ومعرفة رسول الله
له والأئمة من ولده، بأنه النهاية الثانية يستحق من الصفات المتناهية بالشرف
ما تستحقه الأولى، وأنه حجابها وبابها، ولسان نطقها وبرهانها. ولذلك
وصف ذاته فقال : أنا الأول وأنا الآخر، وأنا الظاهر وأنا الباطن، وأنا بكل
شيء عليم، أنا الذي سمكت سماءها، ووسطحت أرضها، وأجريت
أنهارها، وأنبت أشجارها، فالنهاية الأولى التي هي المنطقة له. وبذلك بالأول
من عالم الإبداع، والآخر الذي له يتحد بكل مقاوم، هو الظاهر
بالمعجزات، والباطن الذي لا يدرك بالصفات. وسمك سماءها العالية، من
الطبيعات والنطقاء والحدود في سائر الأوقات، وسطح الأرض للمواليد من
معدن ونبات وحيوان، وأنبت الأشجار للأقوات، وأجرى الأنهار في البر
والبحر بتقدير ذات الذوات. فهذا نطق النهاية الأولى على لسان النهاية
الثانية، والنهاية الثانية أيضاً تستحق من الصفات مثل ذلك، فهو الأول في
الإسلام والإيمان، وهو أول باتحاد المتحد به، وهو آخر. أي النهاية الثانية
الظاهرة بالفعل بعد القوة كما ذكرنا » (٩٧).

فالاسماعيلية الذين يقولون عن الله تبارك وتعالى بانه : لا يدخل تحت
اسم ولا صفة، ولا يرمز إليه بالإشارة، ولا يقال عليه حيا ولا قادراً ولا عالماً
ولا كاملاً ولا تاماً ولا فاعلاً : ولا يقال : انه حي بذاته، عالم بذاته : (٩٨).

(٩٦) أنظر « كنز الولد » للحامدي ص ٢٢١.

(٩٧) أيضاً ص ٢٢٠.

(٩٨) « جلاء العقول وزبدة المحصول » لعلي بن الوليد ص ٩٥ من (منتخبات اسماعيلية).

يقولون في علي رضي الله تعالى إنه قال عن نفسه :

« أنا أحيي وأميت ، وأخلّي وأرزق ، وأبرئ الأكمه والأبرص ، وأتبشكم بما تأكلون وتدّخرون في بيوتكم » (٩٩).

وكما نقلوا عنه أيضاً - وهم يكذبون عليه - أنه قال :

« أنا نقلت لأدم (عليه السلام) ، ونوح (عليه السلام) ، وإبراهيم عليه السلام وعيسى (عليه السلام) ، وأنا نبأت النبيين ، وأنا أرسلت المرسلين . . . أنا بكل شيء عليم لما اتصل به النور الجاري اتصالاً كلياً علم به ما كان ، وما هو كائن ، وصار جميع عالم الطبيعة بين يديه كالكرة الملقاة لا يخفى عليه منها خافية ، ومن هذه الجهة قال أيضاً : أن لي منزلة لم تخطر على قلب بشر ، وحدا لم يبلغ معرفته أحد ، أن الربوبية والالهية لا تخطر على قلوب البشر فيعرفها أهل الحقائق منهم ، وأن الخلق بأجمعهم ليعرفون الله بظاهر المعرفة ، وأهل الحقائق منهم يعرفون بحقيقة معرفته ويوحدون من وجد توحيده ، وأن علياً (عليه السلام) لم يعرفه أحد بالجملة بحقيقة معرفته إلا رسول الله (ﷺ) والأئمة من ولده » (١٠٠).

وكما ذكر المؤيد الشيرازي بأن علياً رضي الله عنه قال وهو على منبره :

« أنا الأول ، وأنا الآخر ، وأنا الظاهر ، وأنا الباطن ، وأنا بكل شيء عليم ، وأنا الذي رفعت سماءها ، وأنا الذي دحوت أرضها ، وأنا أنبت أشجارها ، وأنا الذي أجريت أنهارها » (١٠١).

يعني أن علياً هو الرب الحقيقي المتصف بصفاته ، والمتخلي بنعوته ، وكذلك الأئمة من ولده ، لأنه يماثل العقل الثاني أو التالي أو اللوح المحفوظ ، كما كان الرسول يماثل السابق ، أو العقل الأول . وهؤلاء يملكون جميع

(٩٩) « زهر المعاني » للداعي المطلق ادريس ص ٧٧ من (المنتخب) لايوانوف .

(١٠٠) « الأنوار اللطيفة » لابراهيم بن حاتم ص ١٢٥ ، ١٢٦ .

(١٠١) « المجالس المؤيدية » ص ١٤٧ .

الاختيارات والقدرات التي يملكها العقل الأول، أو التالي، أو العقل العاشر.

نعم، هذا ما يعتقدون. كما ذكر الداعي إدريس نقلاً عن علي أنه قال: «أنا اللوح المحفوظ . . . أنا أهلك القرون، وأن ميتنا لم يمّت، وقتيلنا لم يقتل، ولا نلد ولا نولد»^(١٠٢).

وقال جعفر بن منصور اليمن مينا (الرب) في قوله تعالى: (ووجوه يومئذ ناضرة) يعني مشرقة، (إلى ربها ناظرة) يعني أمير المؤمنين صلوات الله عليه^(١٠٣).

وقال أيضاً مينا (الرب) في قوله تعالى: (ارجعي إلى ربك راضية مرضية):

«وفي الباطن في بعض الشرح أن الرب في هذا الموضع أمير المؤمنين»^(١٠٤).

كما أن المقصود من (الرب) في قوله تعالى: (ألم تر إلى ربك كيف مدّ الظل):

والرب هو التالي الدال على الظل الممدود»^(١٠٥).

وكذلك (الرب) في قوله تعالى: (ربّي أهانن) «المسمى به هو رسول الله»^(١٠٦).

كما أن المسمى بالله في قوله تعالى: (ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضات الله) أيضاً على^(١٠٧).

(١٠٢) انظر «زهر المعاني» ص ٧٦ من (المنتخب) لا يوانوف.

(١٠٣) «كتاب الكشف» لجعفر بن منصور اليمن ص ٣٧.

(١٠٤) أيضاً ص ٦٤.

(١٠٥) أيضاً ص ٦٩.

(١٠٦) أيضاً ص ٣١.

(١٠٧) «كتاب الكشف» ص ٣١.

و (الإله) في قوله تعالى: (إلهكم اله واحد) على، ومعنى الآية: الهكم اله واحد، يعنى العين (على) متوحد في مقامه... لا جرم أن الله يعنى الميم (محمد) يعلم ما يسرون وما يعلنون، يعنى من ذلك العصيان في الحديث والقديم» (١٠٨).

وبصراحة أكثر يقولون في علي رضي الله عنه:

«ان الأئمة من قباب النور، دعاهم العين (على) بواسطة أحمد بيته المعمور، فلذلك كان ثانيا لواحدة في جميع الدهور. واعلموا أيها الاخوان أنه لما بلغ المجمع الأحمدى رتبة النطق الالهي ولها توكل احتجب به مولاه بذاته الانزعية المترجة بصورتها وذلك هو الله المتقدس عن الشبه والمثل. وكان ذلك بغير واسطة اسمائه الحسنى الذين هم رؤساء ذلك المجمع الأسنى، وهذه المنزلة هي غاية ما أشرنا إليه من رتب الحجابية المخصوص بها من بين القباب النورانية، وكانت حقيقة خلافته له مشيرة إلى هذه المنزلة السامية. وأما رتبة الإمامة فقد خلفه فيها مولانا الحسين في الأسرار القدسانية» (١٠٩).

هذا وان الألوهية ليست بمقتصرة على الناطق والأساس، أي على النبي والوصى حسب زعم القوم، بل ان الائمة كلهم يملكون اختيارات الألوهية، ويتحلون بأوصاف الربوبية من أولاد على وآبائه.

وخير مثال لذلك ما ورد في رسالة المعز لدين الله إلى الحسن الأعصم القرمطي، وقد نذكر هذه الرسالة في محلها من هذا الباب ولكن نورد هنا مقتطفا واحدا فقط ما يتعلق بموضوعنا، فيقول فيما يقول:

«وليعلم من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد أنا كلمات الله الأزليات وأسمائه التامات وأنواره الشعشعانيات، وأعلامه النيرات، ومصاييحه البينات، وبدائعه المنشآت، وآياته الباهرات، وأقداره النافذات، لا يخرج منا أمر، ولا يخلو منا عصر.

(١٠٨) «مزاج التسليم» سورة النحل - القسم الثالث ص ١١٩.

(١٠٩) أيضا الجزء الثالث من القسم الثالث ص ٩٦، ٩٧.

وأنا لكما قال الله سبحانه وتعالى : ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أين ما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة ان الله بكل شيء عليم .

فاستشعروا النظر فقد نقر في الناقر، وفار التنور، وأتى النذير بين يدي عذاب شديد، فمن شاء فليُنظر، ومن شاء فليَتدبر، وما على الرسول إلا البلاغ المبين» (١١٠) .

ونقلوا عن زين العابدين أنه قال :

«نحن وجوه الرحمن وبيوت الديان . . . أنا كل الكل وغاية الغايات، أنا البريء من المثل الأعلى، ومن الشكل، وأنا بكل شيء محيط» (١١١) .

وكما ذكرنا قبل ذلك عن ابنه محمد الباقر أنه قال :

«ما قيل في الله فهو فينا، وما قيل فينا فهو في البلغاء من شيعتنا» (١١٢) .

وما نقلوه عن أبي الباقر جعفر أنه سئل عن صفة الرب فقال :

«خمس كلمات : الله أحد، محمد الصمد، فاطمة لم تلد الحسن، ولم يولد الحسين، ولم يكن لأمر المؤمنين على بن أبي طالب كفوا أحد، وقول الصادق هذا إشارة إلى لواهيته» (١١٣) .

وعلى ذلك قال المفسر الاسماعيلي ضياء الدين أن المعبر بالله في مواضع عديدة من القرآن هو امام كل زمان (١١٤) .

(١١٠) «اتعاط الحنفاء» للمقرئ ج ١ ص ٢٥٧ ، ٢٥٨ . أيضا (أخبار القرامطة) جمع سهيل

الزكار ص ٣٧٢ ، ٣٧٣ ط دار حسان - دمشق الطبعة الثانية ١٩٨٢ م .

(١١١) «زهر المعاني» للداعي إدريس مخطوط ص ٥١٩ .

(١١٢) «كنز الولده» ص ١٩٥ ، أيضا «تأويل الزكاة» لجعفر بن منصور اليمن مخطوط ص ١٤٠ .

(١١٣) «الشموس الزاهرة» للداعي حاتم بن إبراهيم نقلا عن زاهد على ص ٣٦ .

(١٤٤) انظر لذلك (مزاج التسليم) ص ١٣١ ، ١٩٨ ، ٣٦٠ .

وقال أبو يعقوب السجستاني المتوفى سنة ٣٣١ الداعي الاسماعيلي المشهور في كتابه السري :

«القائم نال بحرفه (الراء) مرتبة الربوبية فصار رباً للأرض» (١١٥).

وقال الداعي شهاب الدين أبو فراس : «إن (الرحمن) في قوله سبحانه جل وعلا : (إلا من أذن له الرحمن) هو القائم» (١١٦).

وأيضاً المراد من قوله تعالى : (والله بكل شيء عليم) هو القائم» (١١٧).

وأيضاً «ان المستوى على العرش هو القائم من أولاد علي» (١١٨).

وأما آبا علي رضي الله عنه فهم كذلك حسب معتقدات الاسماعيلية كما يقول الداعي الاسماعيلي طاهر بن ابراهيم وهو يذكر أبا طالب والد علي .
وعبدالله والد محمد صلوات الله وسلامه عليه :

«فكان لكل واحد منها مقام الهي وهيكل نوراني وقام أبو طالب بالرتب الأربع : الوصاية ، والإمامة ، والنبوة ، والرسالة إلى أن بلغ محمد أشده» (١١٩).

وقال أيضاً : «إن أبا طالب هو أحد الذين صاروا عقولاً مجردة عن النواصيت سفراء بين العقل العاشر ، المدبر لعالم الطبيعة القائم مقام العقل الأول في ذلك العالم . . . وهو بلسان الشريعة جبرائيل الجابر لمحمد أولاً وآخرأ» (٢٠).

(١١٥) «كتاب الاختيار» للسجستاني ص ٥٠ .

(١١٦) «كتاب الايضاح» ص ٥١ .

(١١٧) «مسائل مجموعة من الحقائق العالية» ص ١١٢ من أربعة كتب اسماعيلية .

(١١٨) انظر «رسالة جلاء العقول وزبدة المحصول» لعلي بن الوليد ص ١٤٣ من (منتخبات اسماعيلية) .

(١١٩) «الأنوار اللطيفة» الفصل الخامس من الباب الأول من السراشق الثالث ص ١٣٤ من مجموعة الحقائق الخفية .

(١٢٠) أيضاً الفصل الثالث من الباب الثاني من السراشق الثالث ص ١٢٨ .

وأما عبدالمطلب فقد قالوا فيه :

«وكان رب الوقت عبدالمطلب وهو الذي به المتم قد غلب»^(١٢١)

كما قالوا فيه :

«ان هاشم سلم إلى ولده عبدالمطلب فاجتمعت عنده الرتب الأربع التي اجتمعت عند جده إبراهيم (عليه السلام)، وهي الامامة، والوصاية، والنبوة، والرسالة»^(١٢٢).

ونقلوا أيضاً عن عبدالمطلب أنه قال :

نحن سكان السموات العلى	نقسم الأنوار فيها والظلم
نحن أرسلنا رسولا ناصحا	في قرون من ثمود وارم
نحن دمرنا ثمودا عنوة	ثم عادا قبلها منذ القدم
نحن أرسلنا النبيين إلى	قوم عاد وثمود ولخم
ولنا انزل هديا صالحا	عربي الأصل قرآن الكلم
ولنا التوراة يتلى سرها	ولنا الانجيل يروي للامم
ولدينا عالم يهدى به	وامام عنده فصل الحكم
وكتاب فصلت آياته	فيه أنباء أقاويل الأمم
وعلينا الحق والرسم الذي	رسمت أعضاره فكم وكم
ولنا أمر شريف علمه	ولنا الأنوار من بارى النسم» ^(١٢٣) .

(١٢١) «القصيدة الصورية» للداعي محمد بن علي الصوري ص ٥٦.

(١٢٢) «الأنوار اللطيفة» الباب الأول من السراشق الثالث ص ١٣٤.

(١٢٣) «تاج العقائد» لعلي بن الوليد ص ٥٣، أيضاً «زهر المعاني» ص ٣٦٥ مخطوطة، أيضاً «المجالس المؤيدية» ج ٤، أيضاً «الهفت الشريف» لمفضل الجعفي ص ١٧٩ تحقيق وتقديم مصطفى غالب ط دار الأندلس بيروت الطبعة الثالثة ١٩٧٠. وألفاظ الأبيات له.

وقال الداعي ضياء الدين : «إنه هو المعنى من رب العالمين في قوله : وانه لتنزيل رب العالمين» (١٢٤).

هذا إلى آخر آباء على بن أبي طالب المعلومين الذين ذكرهم الدعاة الاسماعيلية إلى ابراهيم ، ولأجل ذلك قال كبير القوم الكرمانى في كتابه : «وكل منهم في زمانه قائم مقام الله» (١٢٥).

فبناء على ما تقدم ان الاسماعيلية لا يرون بأسا باطلاق الأبوة على الله المتعالى ، ولا باضافة البنوة إليه ، فيقول المؤيد الشيرازي : «نقول في أقوالهم في المسيح أنه ابن الله ، والحواريين أنهم أبناء الله ، فانه لا روعة في هذا القول الا عند أهل الجهل الذين لم يرتعوا في مراتع العلم» (١٢٦).

ولقد بين هذا وجوزه الكرمانى في صورة أخرى حيث قال : «ان العقول في دار الابداع هي التي تهذب الأنفس في عالم الجسم وتصلها اذا تهذبت ذواتها في أمارات الطبيعة وتكسبها المال والبهاء والهيبة والعلاء وتستخلصها وتشفق عليها شفقة الوالد على ولده ، ولذلك قال عيسى بن مريم عليه صلوات الله : (أنا ابن من في السماء) . وهذه صورة تعلق الموجودات بالقوة السارية من عالم الابداع واتصالها بها» (١٢٧).

ويمثل ذلك قال الامام الاسماعيلي المعز لدين الله مبينا معنى الأبوة والبنوة في احدى مناجاته :

«إلهي كنت رتقك قبل أن تظهر في بفتقك ، وأوجدت عني خلقتك ، وصدرت عني دنياك في الذات والاسماء ، والصفات وليست أنا بك متصلاً ، ولا عنك منفصلاً ، اذ أنا بك تبعيض ، وأنا راجع إليك عند النقلة والتفويض ، أنقل

(١٢٤) «مزاج التسليم» ص ٣٢٢.

(١٢٥) «راحة العقل» ص ٥٧٧.

(١٢٦) «المجالس المؤيدية» الجزء الأول ص ١٤٧ ، ١٤٨.

(١٢٧) «راحة العقل» ص ٢٦٥.

الصورة كيف تشاء وأعطي النور الالهي لمن تشاء، بما قدّمت ايديهم ولا ننضمّ
مقال ذرّة.

الهي اني كما انت عظيم في سلطانك، وانا قدرتك وبرهانك، وارادتك
ومكانك، الهي بمعرفة بي استجب وسلم واشرفي ألوانك، واني وجدتك
بعد إذا عرفّني التلاقي» واتلف واضمحل.

الهي وأني من جهلك، وفاز وبقي من عرفني بالبداية وفضلك.

الهي اترى يعرفك سواك، ويدنو منك إلا إياك. أم يعد إليك من خرج
عن طاعتك، وطاعة حدودك وأوليائك.

الهي بك استبدلت ومنك وصلت واليك الهي ليس غيرى ملك
حجاب، فكيف الوصول اليك من غير باب، فانا منك بحيث النهوض
والهمة، وانت انا بحيث انا بالقدرة والعظمة، وحيث انا بك خلقت
أوليائك، وبدعت ملائكتك وأنبياءك، فلما عرفتك، كنت ذلك، اذ ليس
يعرفك سواك، ويدنو منك إلا إياك باتصالك بحدودك وأوليائك.

الهي ان كثرت الاشخاص، فهي انت بلا اختصاص، وانا منك
بديت، لاني بحدودك اهتديت، ان عرشك عليه استويت.

الهي اوجدتني منك في ظاهر الامر بصفة كانت الموجودات على دفعة
واحدة فانت بي باطنا وانا بك ظاهراً.

الهي ظهرت الموجودات كلّها بي، واخترعت مني كل رسول ونبي، وانا
ابن لك وانت أبي، انا منك كالفيض، وشرأقه وليف فليس الفيض غير
الفيض، فقد غاب، واضمحل كلّما في النار وداب.

الهي رامت رؤساء الجهل وأهل العمى والضلال وذوو الانكار
والجحود، وأنهم خرجوا من العدم إلى الوجود، وهم في العدم.

يا الهي وصلت اليك، ومنك دخلت عليك، فانا قدرتك الظاهرة،

وعني ظهرت آياتك الباهرة، إلهي حقني ابتلاؤك، لأنها حلاوة رضائك،
فنفسى منك واليك انتهيت.

الهي ظهرت للخلق حتى يعرفوك من حدودك فحجبتهم عنك لما زادوني
انكارك وذلك أنهم ضلّوا في التكبر عن أبيهم، فلم يجدوا لهم مرشداً ابداً
يهديهم، فظهروك بي لاني انت وكوني بك ظاهر، وأنت في حاضر.

الهي أنا الكرسي والمكان، والوقت والزمان، وأنا منشيء الثقلات وأنا
بك عالم ما يكون وما كان إلهي أنا أسمك، وموجود اسمك، وأنا البشير
إليك، والبدال عليك، وعلى من دال عليك فمن تمسك بحدودك نجاة
والصورة معادة وراء ليس دونك حجاب غيره فقصد لا بله سواك بأوحد،
ولا لك اسم سواي فيستطاع ويعبد، وأنا صاحب البقاء، وعلى ذات
النطق، وأنا في النطق.

الهي قصرت لذاتك انكار الباحثين اذ لم يقصدوا لحجابك، واحجبتهم
عن معرفتك لما عجزوا عن معرفتك.

إلهي أنت ذاتي ونفسي، ومعدني وقديسي، ونطقي وأنسي، إلا فني
اختفيت فأشرق، ربي اقتربت فأبرقت أنا نظرتك بكلمتك الإلهية،
وكلمتك القدسية، وذاتك الأبدية، والذات الأزلية الكلية، ونورك، «وبي
ظهورك، بك ظهرت، وبي نهيت وأمرت، فمن عرفني فقد نزهك، ومن
اتصل إليك بحدودي [فقد عرفك] فقد عرفتك أنا غيري فتكون اعدادك،
ولا أنت غيري فتكون أفرادك، أنا كنت فيك رتقاً، وفي ذلك حقاً، فاطلقتني
ولم تفصلني في وجودي أرجوك تعيد ووقت تطلب فقصد فأنا منك كضوء
السراج من السراج، بلا تبعيض ولا امزاج.

الهي صدق المستجيب لما قال لآبيه إلهي منك بديت، وإلى معرفتك
اهتديت، وإليك توجهت وإليك تبّت وبك منك إليك سعيت، ولو فرطت
فيك لاضمحلت وتلاشيت ولو اقتديت بغيرك أشركت، وتعديت في طاعتي
لك فعرفت ودركت.

الهي كادت نفسى لعظيم امتحانك ان تجهل وتخفى كنه علمك وتكفر حتى القت عناتها بجودة من نور معرفتك، فجذبت وتلطف قداراتها بضوء من علمك فمسكت فيه بعد ما كنت حجت وتبت عندما سليت بنعمتك فتهدّت، بعد [أن] كانت جحدت، فأورثها الثبات بالنعيم المقيم والنجاة من العذاب الهي عجزت المقصرون بنظرهم إليك وقالوا لا يجوز الصفة أن تدرك الصانع فلو علموا أني بك استقرارهم، وأن تصديقهم هو إنكارهم. الهي هل يعرفك من ليس منك ويتفكر إنما هو أنت محال.

الهي لما لم لا تنقل الصورة بما لا تريد، بل في وقت تريد، فلولا نظرك اليها بالمشاكلة لأفقدت، ولولا تعطفك بالمناسبة لأبعدت. الهي لقد خاب من انكر معرفة نفسه منك، ولقد ظلم من لم يعرفك بك، وهو بك ظهر، بي حجابك وفي حجابك استتر، وأنت الناظر بلا حركة الهي تناهوا الجاهلون في طلب معرفة حدودك وطلبوها معرفة في تيجان الملوك، فلما نظروا حدودك نكروك، إلهي ناجتكم المحقون وقالوا يا مبدع الاحد، من غير عدد تختلف الاعداد بك، بقدرة منك، دعوناك فالذي عرفك منك اليك، عاد اليك الهي تحيرت العقول عند طلبتك، اتاهت الأبصار في رؤيتك، الهي قالوا الجاهلون في معرفتك وما تبين فلا عرفوا الهي لقد خاب من نادي سواك ومن عرفك بحقيقة المعرفة تيقن انك دائم، ومن افضل الغنائم،

الهي ظهرت لهم فوق المناثر، فتوهموا انهم حصلوك بالعناصر، فاثبتوا التشبيه والتمثيل، وعدموا التنزيه والتحصيل. الهي عجزوا عن اثبات النفر، ولم يعلموا ما حقيقة الغيان من الخبر، فالنظر حجاب عنك لا لك، والمنظور انت به لا [هو] فيك الهي من قال انه لا يعرفك، فقد عدّمك، ومن عبدك، من غير حدودك، فقد حال إلى غائب معدوم فانا الذي لا تدركه الابصار، وانا ادرك الابصار، وانا اللطيف الخبير، فاللطيف الخبير، صورتي بالصورة المرئية، التي هي الحدود العلوية، الهي بوجود معرفتك اهتديت، وبعدت المقصرين عنك تباركت وتعاليت.

الهي كنت انت والمكان، لان المكان هو اشارة بالفيض وتكرير الفكر
باحضار المكان، والمكان هو المركز هو الدال عليك الهي كلما ظهرت عني
صورة فظهرتها ابداع على اولها اخفيا لانقلها عني وانا فعال لما اريد» (١٢٨)

فهذه هي العقائد الاسماعيلية في الله الذي ليس كمثله شيء وهو
السميع البصير، والذي له الاسماء الحسنى يسبح له ما في السموات والأرض
وهو العزيز الحكيم، الواحد الصمد الذي لا اله سواه، وهو الله الذي لا اله
الا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم. هو الله الذي لا اله الا هو
الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سجن الله عما
يشركون. هو الله الخالق البارئ المصور له الاسماء الحسنى يسبح له ما في
السموات والأرض وهو العزيز الحكيم.

ولكنهم كما قال شيخ الاسلام ابن تيمية:

«وأما من زاع وحاد عن سبيلهم، من الكفار والمشركين، والذين أوتوا
الكتاب ومن دخل في هؤلاء من الصابئة والمتفلسفة، والجهمية والقرامطة
والباطنية ونحوهم: فانهم على ضد ذلك، يصفونه بالصفات السلبية على
وجه التفصيل، ولا يثبتون الا وجوداً مطلقاً لا حقيقة له عند التحصيل، وانما
يرجع إلى وجود في الأذهان، يمتنع تحقيقه في الأعيان.

فقولهم يستلزم غاية التعطيل وغاية التمثيل؛ فانهم يمثلونه بالممتنعات،
والمعدومات، والجمادات؛ ويعطلون الإسماء والصفات، تعطيلاً يستلزم نفى
الذات.

فغلاتهم يسلبون عنه النقيضين، فيقولون: لا موجود ولا معدوم، ولا
حي ولا ميت، ولا عالم ولا جاهل، لانهم يزعمون أنهم إذا وصفوه بالاثبات
شبهوه بالموجودات، وإذا وصفوه بالنفي شبهوه بالمعدومات، فسلبوا

(١٢٨) أجزاء عن العقائد الاسماعيلية جمع المستشرق كوثيار ط باريس ١٨٧٤م ص ٤٨ وما
بعد.

النقيضين، وهذا ممتنع في بداهة العقول، وحرفوا ما أنزل الله من الكتاب، وما جاء به الرسول، فوقعوا في شرٍّ مما فرّوا منه، فانهم شبهوه بالمتنعات، إذ سلب النقيضين كجمع النقيضين، كلاهما من المتنعات» (١٢٩).

وذكر في مقام آخر:

«فان قال الجهمي، والقرمطي، والفلسفي الموافق لهما. أنا أنفي الأسماء والصفات معاً، قيل له: لا يمكنك ان تنفي جميع الاسماء؛ اذا لا بد من اشارة القلب وتعبير اللسان عما تثبت. فان قلت: ثابت موجود محقق، معلوم قديم واجب. اي شيء قلت كنت قد سميت، وهب أنك لا تنطق بلسانك: اما ان تثبت بقلبك موجوداً واجباً قديماً، وحينئذ فتكون الموجودات كلها محدثة ممكنة، وبالاضطرار يعلم ان المحدث الممكن لا يوجد الا بقديم واجب، فصار نفيك له مستلزماً لاثباته، ثم هذا هو الكفر والتعطيل الصريح الذي لا يقول به عاقل.

وان قلت: انا لا أخطر ببالي النظر في ذلك ولا أنطق فيه بلساني. قيل لك: إعراض قلبك عن العلم ولسانك عن النطق لا يقتضي قلب الحقائق ولا عدم الموجودات؛ فان ما كان حقاً موجوداً ثابتاً في نفسه فهو كذلك علمته أو جهلته، وذكرته أو نسيت، وذلك لا يقتضي الا الجهل بالله تعالى والغفلة عن ذكر الله، والاعراض عنه والكفر به، وذلك لا يقتضي انه في نفسه ليس حقاً موجوداً له الأسماء الحسنى والصفات العلى.

ولا ريب ان هذا هو غاية القرامطة الباطنية والمعطلة الدهرية: انهم يبقون في ظلمة الجهل وضلال الكفر؛ لا يعرفون الله ولا يذكرونه، ليس لهم دليل على نفيه ونفى اسمائه وصفاته؛ فان هذا جزم بالنفي وهم لا يجزمون ولا دليل لهم على النفي؛ وقد أعرضوا عن أسمائه وآياته وصاروا جهالاً به؛ كافرين به غافلين عن ذكره؛ موقى القلوب عن معرفته ومحبه وعبادته.

(١٢٩) «فتاوى شيخ الاسلام» ابن تيمية ج ٣ ص ٨٧.

ثم إذا فعلوا ذلك بزعمهم لثلا يقعوا في «التشبيه والتجسيم» قيل لهم :
 ما فررتم إليه شر مما فررتم عنه ! فان الاقرار بالصانع على أي وجه كان خير
 من نفيه . وأيضاً فان هذا العالم المشهود : كالسواء والأرض ، إن كان قديماً
 واجباً بنفسه فقد جعلتم الجسم المشهود قديماً واجباً بنفسه ، وهذا شر مما
 فررتم منه . وإن لم يكن قديماً واجباً بنفسه لزم ان يكون له صانع قديم
 واجب بنفسه ، وحينئذ تتضح معرفته وذكره بأن اثبات الرب بالقلب واللسان
 حق لا ريب فيه سمعاً وعقلاً ؛ فان كان ذلك مستلزماً لما سميتموه تشبيهاً
 وتجسيماً فلازم الحق حق ، وان لم يكن مستلزماً له أمكنكم إثباته بدون هذا
 الكلام . فظهر تناقض النفاة كيف صرفت عليهم الدلالات ، وظهر تناقض
 من يثبت بعض الصفات دون بعض .

فان قالت «النفاة» : انما نفينا الصفات لأن دليلنا على حدوث العالم وإثبات
 الصانع دل على نفيها ؛ فان الصانع اثبتناه بحدوث العالم ، وحدث العالم انما
 اثبتناه بحدوث الأجسام ، والأجسام انما اثبتنا حدوثها بحدوث الصفات التي
 هي الأعراض . أو قالوا : انما اثبتنا حدوثها بحدوث الافعال التي هي
 الحركات ، وان القابل لها لا يخلو منها ، وما لا يخلو من الحوادث فهو حادث ؛
 أو ان ما قبل المجيء والاتيان والنزول كان موصوفاً بالحركة ، وما اتصف
 بالحركة لم يخل منها أو من السكون الذي هو ضدها ، وما لا يخلو من
 الحوادث فهو حادث ، فاذا ثبت حدوث الأجسام قلنا : إن المحدث لا بد له
 من محدث قائبنا الصانع بهذا ؛ فلو وصفناه بالصفات أو بالأفعال القائمة به
 لجاز ان تقوم الافعال والصفات بالقديم وحينئذ فلا يكون دليلاً على حدوث
 الاجسام ، فيبطل دليل اثبات الصانع .

فيقال لهم : الجواب من وجوه :

(احدها) : ان بطلان هذا الدليل المعين لا يستلزم بطلان جميع الادلة ،
 واثبات الصانع له طرق كثيرة لا يمكن ضبط تفاصيلها وإن امكن ضبط
 جملها .

(الثاني): ان هذا الدليل لم يستدل به احد من الصحابة والتابعين ولا من أئمة المسلمين، فلو كانت معرفة الرب عز وجل والايمان به موقوفة عليه للزم انهم كانوا غير عارفين بالله ولا مؤمنين به، وهذا من اعظم الكفر باتفاق المسلمين.

(الثالث): ان الانبياء والمرسلين لم يأمرُوا احداً بسلوك هذا السبيل، فلو كانت المعرفة موقوفة عليه وهي واجبة لكن واجباً، وان كانت مستحبة كان مستحباً، ولو كان واجباً أو مستحباً لشرعه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولو كان مشروعاً لنقلته الصحابة (١٣٠).

ولو أضفنا إلى ما قاله شيخ الاسلام كلام الغزالي والدليمي لزادت المسألة بيانا ووضوحاً. فيقول الغزالي:

«إن مذهب الاسماعيلية ظاهره الرفض، وباطنه الكفر المحض، ومفتتحه حصر مدارك العلوم في قول الإمام المعصوم وعزل العقول عن أن تكون مدركة للحق لما يعتيرها من الشبهات ويتطرق إلى النظر من الاختلافات، وإيجاب لطلب الحق بطريق التعليم والتعلم، وحكم بأن المعلم المعصوم هو المستبصر، وأنه مطلع من جهة الله على جميع أسرار الشرائع: يهدى إلى الحق ويكشف عن المشكلات؛ وأن كل زمان فلا بُدَّ فيه من إمام معصوم يرجع إليه فيما يستبهم من أمور الدين.

هذا مبدأ. دعوتهم ثم إنهم بالآخرة يظهرون ما يناقض الشرع وكأنه غاية مقصدهم، لأن سبيل دعوتهم ليس بمتعين في فن واحد، بل يخاطبون كل فريق بما يوافق رأيه بعد أن يظفروا منهم بالانقياد لهم والموالة لإمامهم: فيوافقون اليهود والنصارى والمجوس على جملة معتقداتهم ويقرون معتقدتهم في الالهيات وقد اتفقت أقاويل نقلة المقالات من غير تردد أنهم قائلون بإلهين قديمين لا أول لوجودهما من حيث الزمان، إلا أن أحدهما علة لوجود الثاني؛ واسم العلة: السابق، واسم المعلول: التالي؛ وأن السابق خلق العالم

(١٣٠) فتاوى شيخ الاسلام ج ٦ ص ٤٧ إلى ٥٠.

بواسطة التالي، لا بنفسه. وقد يسمى الأول: عقلاً، والثاني نفساً. ويزعمون أن الأول هو التام بالفعل، والثاني بالإضافة إليه ناقص، لأنه معلوله. وربما لبسوا على العوام مستدلين بآيات من القرآن عليه، كقوله تعالى «إنا نحن نزلنا...» و«نحن قسمنا...» وزعموا أن هذه إشارة إلى جمع لا يصدر عن واحد، ولذلك قال: «سبح اسم ربك الأعلى» إشارة إلى السابق من الإلهين، فإنه الأعلى، ولولا أن معه إلهاً آخر له العلو أيضاً لما انتظم إطلاق الأعلى. وربما قالوا: الشرع ساهما باسم القلم واللوح. والأول هو القلم، فإن القلم مفيد واللوح مستفيد متأثر، والمفيد فوق المستفيد. وربما قالوا: اسم «التالي»: قدر في لسان الشرع، وهو الذي خلق الله به العالم حيث قال: «إنا كل شيء خلقناه بقدر».

ثم قالوا: السابق لا يوصف بوجود ولا عدم، فإن عدم نفى الوجود سببه، فلا هو موجود ولا هو معدوم، ولا هو معلوم ولا هو مجهول، ولا هو موصوف ولا غير موصوف. وزعموا أن جميع الأسماء منتفية عنه، وكأنهم يتطلعون في الجملة لنفي الصانع؛ فإنهم لو قالوا إنه معدوم لم يقبل منهم، بل منعوا الناس من تسميته موجوداً، وهو عين النفي مع تغيير العبارة؛ لكنهم تحذقوا فسموا هذا النفي تنزيهاً، وسموا مناقضه تشبيهاً حتى تميل القلوب إلى بقوله» (١٣١).

وقال الديلمي:

«واعلم أن مذهبهم الرديء قولهم بالهين هما السابق والتالي، ويقولون: انهما المراد بقوله الرحمن الرحيم، والعلي العظيم والقلم واللوح فالقلم السابق لانه يفيد واللوح التالي لانه يستفيد بل قالوا بالهة عدة وهي العقول العشرة على ما تقدم وان كل واحد منها يعلم ما كان وما سيكون وهذه صفة الاله وكذلك فإن عندهم أن آدم عند وفاته ارتفع وبقي في رتبة العاشر وهو المبدىء لعالم الكون والفساد وان العاشر ارتفعت رتبته عن ذلك المقام الأول وان الامام الذي تلاه لما توفي ارتفع إلى رتبة العاشر التي نقل إليها آدم وارتفع ادم إلى

(١٣١) «فضائح الباطنية» للغزالي ص ٣٧، ٣٨، ٣٩.

رتبة ارفع من تلك الرتبة فانه كلما مضت سبعة أئمة كان السابع منهم يرتفع إلى مقام العاشر ويرتفع العاشر إلى رتبة ارفع من تلك حتى تنتهي الامر إلى على بن ابي طالب فارتفع فكان مقام العاشر وصار مدبر عالم الكون والفساد وكذلك اذا قلنا ان علياً يحى ويميت ويغنى ويفقر كنا صادقين وان بعد على السابع اسماعيل بن جعفر وانه ارتفع حتى صار العاشر يدبر عالم الكون والفساد وعلى هذا القياس يقولون في الأئمة وهذه النكتة حكاها أيضاً الشريف المتقدم ذكره والذي يدل على ابطال ما قالوه أن القول باثبات قد يمين قادرين يقتضى صحة التمايع بينهما وأعجب من ذلك قولهم ان علياً يحى ويميت وهذه لا تشبهه على جاهل فكيف على عاقل لان علياً عليه السلام في حال حياته ما كان يقدر على هذا فكيف بعد مماته ؟ ! وأيضاً ثبت ان الاعداء كانوا ينالون منه في حال الحرب المنال الكبير حتى قتله عدو الله ولا ينال عدوه منه مناله» (١٣٢).

فهذه هي الحقيقة التي ذكرها الديلمي بأن الاسماعيلية لا يعتقدون باله الحق، بل يؤمنون بألهة عديدة من العقول العشرة إلى على واولاده وآبائه أيضاً كما ذكرناه، وأنهم لازالوا على هذا المعتقد بكلا الطائفتين : الأغاخانية والبهرة كما سنبين ذلك بالشواهد والأدلة في الجزء الثاني من هذا الكتاب.

وقبل أن نأتي إلى آخر الكلام في هذا الموضوع نريد أن نثبت ههنا ما ذكره شيخ الاسلام ابن تيمية في فتاواه من بيان اعتقادات أهل السنة والجماعة حول أسماء الله وصفاته.

فقال شيخ الإسلام في بيان عقيدة أهل السنة في الأسماء والصفات :

« فهذا اعتقاد الفرقة الناجية المنورة إلى قيام الساعة - أهل السنة والجماعة - وهو الايمان بالله وملائكته وكتبه، ورسله، والبعث بعد الموت، والايمان بالقدر : خيره وشره.

(١٣٢) «بيان مذهب الباطنية وبطلانه» ص ٣٤، ٣٥ ط ادارة ترجمان السنة - لاهور باكستان
الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ.

ومن الايمان بالله : الايمان بما وصف به نفسه في كتابه، وبما وصفه به رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، بل يؤمنون بأن الله سبحانه : (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) .

فلا ينفون عنه ما وصف به نفسه، ولا يحرفون الكلم عن مواضعه، ولا يلحدون في أسماء الله وآياته، ولا يكيفون ولا يمثلون صفاته بصفات خلقه، لأنه سبحانه لا سمى له، ولا كفوله، ولا ند له، ولا يقاس بخلقه - سبحانه وتعالى - فانه سبحانه أعلم بنفسه وبغيره، وأصدق قيلا، وأحسن حديثا من خلقه،

ثم رسله صادقون مصدقون ؛ بخلاف الذين يقولون عليه ما لا يعلمون، ولهذا قال سبحانه وتعالى : (سبحانه ربك رب العزة عما يصفون* وسلام على المرسلين* والحمد لله رب العالمين) فسبح نفسه عما وصفه به المخالفون للرسول، وسلم على المرسلين، لسلامة ما قالوه من النقص والعيب .

وهو سبحانه قد جمع فيما وصف وسمى به نفسه بين النفي والأثبات، فلا عدول لأهل السنة والجماعة عما جاء به المرسلون ؛ فإنه الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم الله عليهم : من النبيين، والصديقين، والشهداء والصالحين .

وقد دخل في هذه الجملة ما وصف به نفسه في سورة الإخلاص التي تعدل ثلث القرآن، حيث يقول : (قل هو الله أحد* الله الصمد* لم يلد ولم يولد* ولم يكن له كفواً أحد) .

وما وصف به نفسه في أعظم آية في كتابه حيث يقول : (الله لا إله إلا هو الحي القيوم ؛ لا تأخذه سنة ولا نوم، له ما في السموات وما في الأرض، من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه ؟ يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ؛ ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض، ولا

يثوده حفظهما - أي لا يكرثه ولا يثقله - وهو العلي العظيم) ؛ ولهذا كان من قرأ هذه الآية في ليلة لم يزل عليه من الله حافظ ، ولا يقربه شيطان حتى يصبح . وقوله سبحانه : (وتوكل على الحى الذي لا يموت) .

وقوله سبحانه : (هو الأول والآخر والظاهر والباطن . وهو بكل شيء عليم) وقوله : (وهو العليم الخبير) (يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها) (وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو ، ويعلم ما في البر والبحر ، وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ، ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين) وقوله : (وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه) وقوله : (لتعلموا أن الله على كل شيء قدير ، وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً) .

وقوله : (إن الله هو الرزاق ذو القو المتين) وقوله : (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) وقوله : (ان الله نعم اعظكم به إن الله كان سمياً بصيراً) .

وقوله : (ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله) وقوله : (ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر ولو شاء الله ما اقتتلوا ، ولكن الله يفعل ما يريد) وقوله : (أحلت لكم بهيمة الأنعام إلا ما يتلى عليكم غير محلي الصيد وأنتم حرم إن الله يحكم ما يريد) وقوله : (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ، ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعد في السماء) .

وقوله : (وأحسنوا إن الله يحب المحسنين) (وأقسطوا إن الله يحب المقسطين) (فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم إن الله يحب المتقين) (إن الله يحب التوايين ويحب المتطهرين) وقوله : (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) وقوله : (فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه) وقوله : (إن

الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص) . وقوله :
(وهو الغفور الودود) . . .

فالسنة تفسر القرآن وتبينه ، وتدل عليه ، وتعبر عنه ؛ وما وصف
الرسول صلى الله عليه وسلم به ربه عز وجل من الأحاديث الصحاح التي
تلقاها أهل المعرفة بالقبول وجب الإيمان بها كذلك .

مثل قوله صلى الله عليه وسلم : « ينزل ربنا إلى سماء الدنيا كل ليلة ،
حين يبقى ثلث الليل الآخر ، فيقول : من يدعوني فأستجب له ؟ من يسألني
فأعطيه ؟ من يستغفرني فأغفر له ؟ متفق عليه .

وقوله صلى الله عليه وسلم : « الله أشد فرحاً بتوبة عبده من أحدكم
براحلته » الحديث متفق عليه .

وقوله صلى الله عليه وسلم : « يضحك الله إلى رجلين يقتل أحدهما
الآخر كلاهما يدخل الجنة » متفق عليه .

وقوله : « عجب ربنا من قنوط عباده وقرب غيره ، ينظر اليكم أزلين
قنطين ، فيظل يضحك ، يعلم أن فرجكم قريب » حديث حسن .

وقوله صلى الله عليه وسلم « لا تزال جهنم يلقى فيها وهي تقول : هل
من مزيد ؟ حتى يضع رب العزة فيه رجله - وفي رواية : عليها قدمه -
فينزوي بعضها إلى بعض ، وتقول : قط قط ، متفق عليه .

وقوله صلى الله عليه وسلم : « يقول الله تعالى : « يا آدم ! فيقول :
ليبك وسعديك . فينادي بصوت : إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثاً
إلى النار » متفق عليه وقوله : « ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه
وبينه ترجمان » .

وقوله صلى الله عليه وسلم في رقية المريض : « ربنا الله الذي في

السماء، تقدس اسمك، أمرك في السماء والأرض كما رحمتك في السماء اجعل رحمتك في الأرض. اغفر لنا حوبنا وخطايانا، أنت رب الطيبين، أنزل رحمة من رحمتك وشفاء من شفائك على هذا الوجع : فيبراً « حديث حسن . رواه أبو داود وغيره .

وقوله : « ألا تأمنون وأنا أمين من في السماء » حديث صحيح . وقوله : « والعرش فوق الماء والله فوق العرش ، وهو يعلم ما أنتم عليه » حديث حسن رواه أبو داود وغيره . وقوله صلى الله عليه وسلم للجارية : « أين الله ؟ قالت : في السماء . قال : من أنا ؟ قالت أنت رسول الله . قال : أعتقها فإنها مؤمنة رواه مسلم

فإن الفرقة الناجية - أهل السنة والجماعة - يؤمنون بذلك ، كما يؤمنون بما أخبر الله به في كتابه العزيز ، من غير تحريف ولا تعطيل ، ومن غير تكييف ولا تمثيل ؛ بل هم الوسط في فرق الامة ، كما أن الامة هي الوسط في الأمم .

فهم وسط في (باب صفات الله) سبحانه وتعالى بين أهل التعطيل والجهمية ؛ وأهل التمثيل المشبهة .

وهم وسط في (باب أفعال الله تعالى) بين القدرية والجبرية .

وفي باب (وعيد الله) بين المرجئة والوعيدية : من القدرية وغيرهم .

وفي (باب أسماء الإيمان والدين) بين الحرورية والمعتزلة ، وبين المرجئة والجهمية .

(وفي أصحاب رسول الله) صلى الله عليه وسلم : بين الروافض ، الخوارج (١٣٣) .

(١٣٣) « فتاوى شيخ الإسلام » ابن تيمية ج ٣ ص ١٢٩ . وما بعد .

فهذا هو معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله وصفاته كما نقلناه عن شيخ الاسلام ابن تيمية في فتاواه ولكن ليس معناه أن الخلاف بين أهل السنة والاسماعيلية في باب الالهيات يقتصر على نفي الأسماء والصفات وإثباتهما ولكن الخلاف الحقيقي بين المسلمين السنة وبين الاسماعيلية في نفي الذات وإثباته أي ذات الله تبارك وتعالى، وهل هو اله واحد قادر مختار يدبر الأمر من السماء إلى الأرض. ويتصرف فيهما كما أراد، وكيفما شاء. فعال لما يريد. لا يُسأل عما يفعل وهم يسئلون، أم هناك آلهة كثيرون، في السماء آلهة. وفي الأرض آلهة يساعد بعضهم بعضاً كما ذكرناه مفصلاً من كتب القوم أنفسهم بفضل الله وتوفيقه وهو ولي التوفيق.

الفصل الثاني

معتقدهم في النبوة والنبى

ولقد ذكرنا فيما سبق أن العقل الأول، أو المبدع الأول، أو الموجود الأول، أو القلم، والمبدع الثاني، أو الموجود الثاني، أو النفس، أو الكلمة، أو اللوح يمثلهما في العالم السفلي الناطق والأساس. وهما النبى والوصى.

فالنبى عندهم شخص يتحلّى بالخصال الاثنتى عشرة:

- أولاً: أن يكون تام الأعضاء.
- ثانياً: أن يكون جيد الفهم.
- ثالثاً: أن يكون جيد اللفظ.
- رابعاً: أن يكون فطناً ذكياً.
- خامساً: أن يكون حسن العبارة.
- سادساً: أن يكون محباً للعلم والإفادة.
- سابعاً: أن يكون محباً للصدق.
- ثامناً: أن يكون غير شره في الأكل والشرب والنكاح.
- تاسعاً: أن يكون كبير النفس.
- عاشراً: أن يكون زاهداً في الدنيا.
- حادي عشر: أن يكون محباً للعدل.

ثاني عشر: أن يكون قوي العزيمة (١٣٤).

وقالوا:

«إذا اجتمعت هذه الخصال في واحد من البشر، في دور من أدوار القرونات في وقت من الزمان. فإن ذلك الشخص هو المبعوث وصاحب الزمان والإمام للناس ما دام حياً. فإذا بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، ودون التنزيل، ولوح التأويل، وأحكم الشريعة، وأوضح المنهاج، وأقام السنة، وألف شمل الأمة، ثم توفي ومضى إلى سبيله، بقيت تلك الخصال في أمته ورأته منه. وإن اجتمعت تلك الخصال في واحد من أمته، أو جلّها، فهو الذي يصلح أن يكون خليفة في أمته بعد وفاته» (١٣٥).

فاذن النبوة مكتسبة، وبذلك صرحوا حيث قالوا:

«إن العلماء ذكروا أن العلوم ثلاث مراتب: أولها الرياضيات وبعدها الطبيعيات وبعدها الإلهيات. فمن ابتدأ أولاً بتعلم الرياضيات وأحكمها كما ينبغي، سهّل عليه تعلّم الطبيعيات، ومن أحكم الطبيعيات كما ينبغي، سهّل عليه تعلم الإلهيات. فهكذا نقول من يريد أن يهذب نفسه ويهيئها لقبول إلهام الملائكة إذا ابتدأ أولاً فأصلح أخلاقه الرديئة التي نشأ عليها منذ الصبا، ثم سار سيرة عادلة في مُتصرفاته كما رُسم له في الشريعة، ثم نظر في العلوم الحسّية فأحكمها كما يجب، مثل ما ذكرنا في رسالة الحاسّ والمحسوس، ثم نظر في الأمور العقلية فأحكمها كما يجب ليحل بها عن ضميره، والآراء الفاسدة التي اعتقدها قبل البحث عن حقائق الأشياء، كما بيّنا في رسالة العقل والمعقول. فأقول: إن نفسه عند ذلك متهيئة لقبول إلهام الملائكة. وكلما زاد في المعارف استبصاراً، صارت نفسه لقبول إلهام الملائكة

(١٣٤) أنظر «رسائل إخوان الصفاء» ج ٤ الرسالة السابعة والأربعون، الرسالة السادسة من العلوم الناموسية والشرعية في ما هيبة الناموس الإلهي وشرائط النبوة ص ١٢٩.

١٣٠.

(١٣٥) أيضاً ص ١٣٥.

أسهل طبعاً، ولطاعة العقل أشدَّ تشبُّهاً، وإلى السهائية أقرب قرابة . . .
وأعلم أن الحيوانات متفاوتة في شعورها ومعارفها: وذلك أن منها ما له حاسة
واحدة، ومنها ما له حاستان، ومنها ما له ثلاث حواس، ومنها ما له أربع
حواس، ومنها ما له خمس حواس، كما بيّنا في رسالة الحيوانات.

وهكذا أيضاً الناس متفاوتون في معارفهم وعلومهم: وذلك أن من
الناس عقلاء وبلهاء، ومن العقلاء علماء وجهلاء. والعلماء متفاوتون في
درجات العلوم: وذلك أن منهم من يُحسن عدة علوم، ومنهم من هو أكثر
منه، ومنهم دون ذلك. وأن المفيدين في العلوم يتفاوتون في درجاتهم: وذلك
أن منهم من تكون معلوماته كلها جسمانية، ومنهم من تكون معلوماته
روحانية.

وأعلم أن كل عالم تكون أكثر معلوماته روحانية فهو إلى الملائكة أقرب
نسبةً. ومن أجل هذا جعل الله طائفة من بني آدم واسطةً بين الناس وبين
الملائكة، لأن الواسطة هي التي تُناسب أحد الطرفين من جهة، والطرف
الآخر من جهة: وذلك أن الأنبياء، عليهم السلام، كانوا يناسبون الملائكة
بنفوسهم وصفاء جوهرها، ومن جهة أخرى كانوا يناسبون الناس بخلط
أجسامهم.

واعلم يا أخي أن كلام الملائكة إنما هو إشارات وإيماء، وكلام الناس
عبارات وألفاظ. وأما المعاني فهي مشتركة بين الجميع. وكانت الأنبياء تأخذ
الوحي والأنباء عن الملائكة إيماء وإشارات، وذلك بلطافة ذكاء نفوسهم
وصفاء جوهرها. وكانت تعبر عن تلك المعاني للناس باللسان الذي هو عضو
من الجسد لكل أمة بلغتها وبالألفاظ المعروفة بينها.

واعلم يا أخي أن نفسك ملك بالقوة، ويمكن أن تصير ملكاً بالفعل إن
أنت سلكت مسلك الأنبياء وأصحاب النواميس الإلهية، وعملت بوصاياهم
المذكورة في كتبهم، المفروضة في سنن شرائعهم. وإن نفسك أيضاً شيطان

بالقوة يمكن أن تصير يوماً شيطاناً بالفعل إن أنت سلكت مسلك الأشرار والكفار (١٣٦).

وأيضاً: «إن كل إنسان تكون نفسه أصفى جوهرأ، وأذكى فهماً كما بينا في رسالة كيفية الطريق إلى الله تعالى، فكانت أخلاقه وسجاياه لأخلاق الكرام أقرب وأشبه، كما بينا في رسالة الأخلاق، وكان مذهبه واعتقاده باعتقاد الأنبياء ومذهب الحكماء أشدَّ تحقيقاً، كما بينا في رسالة الناموس، وكانت أعماله وسيرته بأفعال الملائكة وسيرتها أشدَّ تشبهاً، كما بينا في رسائل إخوان الصفاء. فأقول إن قبول نفسه إلهام الملائكة والوحي والأنبياء أمكن...»

والدليل على صحة ما قلنا وصايا الأنبياء والحكماء بهذا الأمر: وذلك أن موسى، (عليه السلام)، أوصى أولاد هارون أن يلزموا، بعد قيامهم بشريعة التوراة، خدمة الهيكل المسمى الزمان، ويتعبدوا فيها، ويتركوا لذات نعيم الدنيا واتباع شهوات النفوس، ويقتصروا على ما لا بد منه من القوت، وما يستر العورة من اللباس، ويتركوا ما سوى ذلك من الفضول، كل ذلك كيما تصفو نفوسهم، وتتهذب أخلاقهم، وتصير نفوسهم متهيئة لقبول الوحي والإلهام. وقال لهم: من تعبد منكم على ما رسمت له في هذا الهيكل أربعين سنة مخلصاً جاءه الوحي من الله، عز وجل، ونزلت عليه الملائكة بالروح (١٣٧).

وأما الشريعة فقالوا:

«إن الشريعة الإلهية هي جبلة روحانية تبدو من نفس جزئية في جسد بشري بقوة عقلية تفيض عليها من النفس الكلية بإذن الله تعالى في دروس الأدوار، وقرآن من القرانات، وفي وقت من الأوقات». (١٣٨)

(١٣٦) «رسائل إخوان الصفاء» ج ٤ ص ١٢٠، ١٢١، ١٢٢.

(١٣٧) أيضاً الرسالة الخامسة من العلوم الناموسية - الرسالة السادسة والأربعون ص ١١٦، ١١٧.

(١٣٨) أيضاً ص ١٢٩.

ويوضح السجستاني أبو يعقوب اسحاق الداعي الاسماعيلي أيام المعز لدين الله :

«إن النبوة لا تحدث بغتة في قلب النبي، بل جزء، وعمل بعد عمل، وزيادة بعد نقصان، ونقصان بعد زيادة إلى أن يكمل كونها فتظهر مصورة مجلاة فلا تزال في ارتفاع إلى أن تبلغ منتهاه في الرفعة» (١٣٩).

وأخطر من ذلك ما صرح به السجستاني أيضاً تحت عنوان (كيفية قبول الرسالة من المرسل). فيقول:

«إن القبول قبولان: قبول سمع، وقبول وهم، فالقبول السمعي يكون بالكلام، والقبول الوهمي يكون بالخطرات، والكلام يكون من المتكلم فيه آلات الكلام. والخطرات من متفكر فيه خزائن العقل... فصيح من هذه الجهة أن قبول الرسل قبول وهمي يخطر في أفئدتهم ما أرسلوا به، ثم يؤدون إلى الأمم بلسانهم ولغتهم» (١٤٠).

ثم أجاب عن قول الله تعالى: (وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولاً فيوحي بإذنه ما يشاء إنه على حكيم):

«يعني ما كان للناطق أن يصل إليه خطر من كلمة الله تعالى إلا وحياً، يعني إلا ما يؤيده من جهة السابق أو من وراء حجاب يعني أو ما يؤيده به من جهة السابق من وراء التالي، فالتالي حجاب بين الطبيعة والعقل إذ هو المتوسط بينهما أو يرسل رسولاً فيوحي بإذنه ما شاء يعني أن الناطق إذ رقى إلى حد الناطقية فقد فرض عليه أن يغير بلسانه كما قَدَفَ في قلبه الروح الأمين من صناعة الأشياء ليبلغ بذلك إلى الأمة، فنظرنا في الكلام فوجدنا صوت الموضوع بالاتفاق والاصطلاح دالاً على الزمان، وإذا فرقت أجزاءه لم تدل على شيء من الكلام» (١٤١).

(١٣٩) «كتاب اثبات النبوءات» للسجستاني، الفصل التاسع من المقالة السادسة ص ١١١ ط بيروت - لبنان.

(١٤٠) «اثبات النبوءات» للسجستاني الفصل الثاني من المقالة الخامسة ص ١٤٧، ١٤٨.

(١٤١) أيضاً الفصل الثالث من المقالة الخامسة في كيفية كلام الله ص ١٤٩.

وقال أيضاً في كتابه الآخر :

«هذا وَهُمْ من العوام أن الرسالة إنما هي إرادة الله تعالى أن يرسل رسولاً إلى خلقه فيرسل إليه ملكاً من الملائكة» (١٤٢).

وأما ما يقال بأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يُوحى إليه بواسطة جبرائيل، وجبرائيل هو من الملائكة فليس الأمر كذلك، لأن جبرائيل عند الاسماعيلية ليس بملك من ملائكة الرحمن، الذي خُصص بسفارة الرب إلى أنبيائه، ونزول كلامه إلى رسله، بل هو إما عبارة عن أحد العقول العشرة أو عن الخيال، أو البشر الذي يزعم الاسماعيلية أنه كان يعلم الرسول عليه الصلاة والسلام - عياداً بالله - من اتهام الكفرة المخالفين لرسول الله صلى الله عليه وسلم، المعادين له ولدعوته التي كان يدعوها بأمر من الله ووحيه، الذين أخبر عنهم الرب تبارك وتعالى بقوله :

(ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر) (١٤٣)، وإنهم : (يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون) (١٤٤).

فيقولون :

«إن الإمام نفس، وجبرائيل عقل المكنى عنه بالخيال» (١٤٥).

وأما السجستاني فيقول :

«إن جبرائيل كناية عن ثقة الله الذي لا يجاوزه ولا يعدوه» (١٤٦).

وأما كون جبرائيل بشراً فصرح به الداعي الاسماعيلي طاهر بن ابراهيم الحارثي اليماني :

(١٤٢) «كتاب الافتخار» للسجستاني ص ٦١ ط بيروت لبنان.

(١٤٣) سورة النحل الآية ١٠٣.

(١٤٤) سورة التوبة الآية ٣٠.

(١٤٥) «كنز الولد» للحامدي ص ١٦٥.

(١٤٦) «كتاب الافتخار» للسجستاني ص ٤٤.

«وكان العقل العاشر هو المحتجب لمحمد ﷺ المؤيد له الناظر إليه الممدّد له بوساطة الجدّ والفتح والخيال عند كماله وبلوغه رتبة الحجابية، لأن كل ناطق ووحي وإمام لا بد له من التعليم والترقي رتبة رتبة كما قال الله تعالى: (والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا)، فكان محمد ﷺ آخذاً من أبي بن كعب في حال تعليمه ابتداءً، وهو المكثى عنه بجبرائيل» (١٤٧).

ومعناه أن أبي بن كعب هو الذي كان يعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم - عياداً بالله - وليس هو فحسب.

بل يقولون بكلمة الكفر أكبر من ذلك وأعظم حيث يصرحون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعلمه ويربّيه ويوحّي إليه خمسة، لا أبي بن كعب وحده كما صرح بذلك الحامدي وغيره من الدعاة الاسماعيلية الكبار حيث كذبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال:

تسلّمت من خمسة، وهو علم ما تسلّمه من مراتب النطقاء الخمسة من قبله، فأول من وقع في يده أبي بن كعب، وربّاه بحقيقة الوصاية التي هي حظ آدم فعَلِمَها وقام بها، ثم رفعه إلى زيد بن عمرو فربّاه بمعاني الطهارة التي هي حظ نوح فعَلِمَها وقام بها، ثم رفعه إلى عمرو بن نفيل فربّاه بمعاني الصلوات التي هي حظ ابراهيم فعَلِمَها وقام بها، ثم رفعه عمرو بن نفيل إلى زيد بن أسامة فرباه بمعاني الزكاة التي هي حظ موسى فعَلِمَها وقام بها، ثم رفعه إلى بحيرا الراهب فرباه بمعاني الصيام الذي هو حظ عيسى فعَلِمَها وقام بها، ثم رفعه إلى حجة صاحب الوقت التي هي خديجة بنت خويلد، وذلك بعد مزواجه لها، وقد صار ماهراً في الشرائع ورموزها المراد بها، فرفعت خديجة منزلته، وعلت رتبته في معاني الحج وفرائضه وسننه الذي هو حظه وقسمه من دعائم الدين.

ثم أمرها أمام الوقت بتسليم وديعته إليه، من الرسالة والنبوة، فهؤلاء

(١٤٧) «الأنوار اللطيفة» الفصل الثاني من السراي الثالث ص ١٢٦، ١٢٧.

النطقاء الخمسة الذين تسلّم منهم، والخمسة التي هي بينه وبين ربّه. أي بينه وبين إمام زمانه مريبه وكفيله فهم: أبي بن كعب، وزيد بن عمرو، وعمر وبن نفيل، وزيد بن أسامة، وبحرا الراهب^(١٤٨).

ونظم هذا الداعي الاسماعيلي محمد بن علي الصوري في قصيدته تحت عنوان (القول في محمد):

«ومات للحين أبوه وأمه وكان ذوالكفل الكريم* عمه
حتى إذا توجّ بالجلال وصار في مرتبة الكمال
زوجه خديجة المبجلة لأن منها فاطمة المفضلة
من بعد ما صاحب حيناً ميسرة وهو الذي أفاده وأبصره
ثم أتى زيد وغمرو بعده فاض عليه الفتح والجد»^(١٤٩).

وأما الربّ وإمام الزمان، الذي يقول الاسماعيلية: إن الرسول صرح به في قوله: (أخذت من خمسة، وسلمت إلى خمسة، وبني وبين ربّي خمسة) كما روى ذلك الحارثي اليماني الداعي الاسماعيلي ابراهيم، وأشار إليه الحامدي أيضاً.

فالربّ في قوله عليه الصلاة والسلام أبو طالب لأنه هو الذي أرسله وأقامه، وهو كان امام الوقت الذي كانت خديجة حجته أيضاً كما ذكر ذلك الحارثي واضحاً وجليّاً.

فقال:

«قول ناطق دورنا (ﷺ): أخذت من خمسة، وسلمت إلى خمسة،

(١٤٨) «كنز الولد» للحامدي الباب الحادي عشر بعنوان (القول على الحدود العلوية والسفلية ومعرفة الذين هم أسماء الله الحسنى الذين إذا دعى بهم أجاب خيرته من خلقه) ص ٢١٠، أيضاً (المجالس المستنصرية) ص ٢٥ بتحقيق دكتور محمد كامل حسين ط دار الفكر العربي، أيضاً «كتاب أجزاء عن العقائد الاسماعيلية» للداعي ابراهيم ص ٧٢ ط باريس بتحقيق كويارد.

(١٤٩) رسالة اسماعيلية واحدة «القصيدة الصورية» ص ٥٧.

وبينى وبين ربى خمسة . فالخمسـة الذين أخذ منهم هم الخمسة المتقدمون عليه الذين تعلّم كتبهم المنزلة عليهم، وشرائعهم التي شرعوها، وأوضاعهم التي وضعوها، وتحقق تأويلاتها ومعانيها وحقائقها، فالخمسـة الذين بينه وبين ربه هم الحدود الدينية الذين أخذ منهم، وتعلّم في بدء أمره منهم، ورقوه في مراتب الدين شيئاً بعد شيء إلى أن بلغ ذروتها، وهم : أبى، وزيد بن عمرو، وعمرو بن نفيل، وميسرة، وخديجة بنت خويلد، وهم حدود صاحب الوقت المقيم له المعلى رتبته، المسلم له وهو عمه أبو طالب^(١٥٠).

وخلاصة ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يقمه على منصب النبوة، ولم يبعثه رسولا إلا أبو طالب، كما أنه لم يوح إليه، ولم يعلمه ولم يفده ويصره إلا أبى، وميسرة وزيد بن حارثة، وعمرو بن نفيل، وبحيرة الراهب، مع حجة أبى طالب خديجة رضى الله عنها، فمحمد صلوات الله وسلامه عليه هو رسول الرب أي أبى طالب، وموحى إليه من قبل أبى وغيره، ومُعَلَّم من قبل خديجة - عياذا بالله - .

وهذه نصوص زيادة على ما ذكرناه آنفاً، فيقول الحامدي مفسراً وشارحاً كلام المؤيد الذي نقله في كتابه :

« وقوله (أي المؤيد الشيرازى) بأرباب أدوار تقدمت فيها الأنبياء، والأسباب يدل على أن هذه الأرباب المتقدمة على الأنبياء هم الذين أقاموهم مثل هنيذ مقيم آدم . وهود مقيم لنوح، ومثل صالح لإبراهيم، وآد لسوسى، وخزيجة لعيسى، ومثل أبى طالب لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم . فهذا معناه في أرباب النطقاء، والأسباب هم الأوصياء والأئمة القائمون مقامهم من بعدهم، وحدودهم بيان ذلك قوله : أرباب أدوارٍ فيها تقدمت الأنبياء والأسباب »^(١٥١).

(١٥٠) « الأنوار اللطيفة » الفصل الثاني من السراشق الثالث ص ١٦٠، ١٦١ .

(١٥١) « كنز الولد » للحامدي ص ٢٠٦، ٢٠٧ .

وقال الحارثي اليماني ببيان أوضح من ذلك وأظهر :

« فقام أول نطقاء دور السَّتر وهو آدم (عليه السلام) بأمر ذلك الامام الذي هو صاحب الزمان ولا يزال ذلك كذلك إلى أن يقيم أساساً يخلفه في أمته، وانتقل إلى دار كرامة الله تعالى، وجرت الامامة متسلسلة من امام إلى امام إلى وفاء دوره، وقام بعده الناطق الثاني، وهو نوح (عليه السلام) وقيامه عن أمر إمام زمانه، وهو هود (عليه السلام) وضده عوج بن عنق، فقنن قوانين، وشرع شرعاً غير ذلك الأول، ودعا إلى عبادة ظاهرة، هي رموز واشارات إلى حدود الله، الروحانية والجسمانية، الدالة على توحيدهِ وتنزيهِهِ، إلى وفاء ما عليه من الخدمة، ثم أقام وصية « ساما » (عليه السلام) خلفاً في أمته، ومؤولاً لباطن شريعته، ثم نص عليه، وانتقل إلى دار كرامة الله تعالى وجرت الامامة متسلسلة إلى تمام دوره، وقام ابراهيم (عليه السلام) عن أمر امام زمانه، الذي هو صالح (عليه السلام)، فكان ضده النمرود بن كنعان، فقنن قوانين، وشرع شرعاً جعل فيه رموزاً واشارات، إلى معرفة حدود الله الروحانية والجسمانية الدالة على معرفة توحيد الله وتنزيهِهِ، إلى وفاء ما عليه من الخدمة، وأقام وصية اسماعيل (عليه السلام) وانتقل إلى دار كرامة الله، وجرت الامامة متسلسلة في عقبه إلى وفاء دوره، وقام موسى (عليه السلام) عن أمر امام زمانه الذي هو « أد » (عليه السلام)، وكان ابليس فرعون، قائماً بازائه، ففعل كما فعل من كان قبله إلى وفاء دوره. وقام عيسى (عليه السلام) عن أمر إمام زمانه الذي هو حزيمة (عليه السلام). ففعل كفعل من كان قبله إلى وفاء دوره، وقام محمد (عليه السلام) عن أمر امام زمانه الذي هو أبو طالب وكان له ضدان أبو لهب وأبو جهل، إلى أن أوفى ما عليه من الخدمة، وأكمل قوانين شريعته التي هي رموز واشارات إلى حدود الله تعالى الروحانية والجسمانية الدالة على توحيد الله تعالى وتنزيهِهِ، ثم أقام وصية علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وانتقل إلى دار كرامة الله تعالى » (١٥٢).

(١٥٢) « الأنوار اللطيفة » ص ١٠٨، ١٠٩.

وذكر الحامدي أيضاً في كتابه مفصلاً ما أجمله في شرح وتفسير كلام المؤيد :

« وذلك أنه لما ان قيام الناطق السادس الذي هو ممشول اللحم في الشرائع، وزوجه صاحب الوقت بخديجة بنت خويلد (عليها السلام) وهي حجتة فزاجها علي الظاهر والباطن كما زواج إبراهيم سارة فرفعت (خديجة منزلته)، كما ذكرنا يأمر ولي الأمر، وسلمت إليه رتبة النبوة والرسالة، وهو ما روي أن خديجة أسلمت يوم الاثنين وقت الظهر، وهو اليوم الذي بُعث فيه، والوقت الذي قام به مرسلًا. وقولهم إن علياً أسلم يوم الثلاثاء وقت الظهر بعد مبعثه بيوم، فكان بين إسلام خديجة وإسلام علي خمس صلوات، في خمسة أوقات، والمعني في ذلك أنه لما تسلم من خديجة رتبة النبوة والرسالة في الظاهر المحض، الذي هو حظ النطقاء قبل إسلام علي، ومعنى إسلام علي يعني أن المقام الذي هو صاحب الوقت، لما كان في كهف التقيّة وحُجِب الاستار من قريش وغيرهم، لحسدتهم وتكبرهم، وانكتام الأمر من إسماعيل ابن إبراهيم (عليه السلام) تنبه فأمر حجتة (بنت خويلد خديجة) بإحضارهما، والخمسة حدود الذين هم بينه وبين ربه - الذين تقدم ذكرهم - بأمر الله له ووحيه إليه، أن يستكفل محمداً لعلي رتبة الوصاية والإمامة ويستودعها فيهم له فشرحت خديجة عليه ما أمرت، وبَيَّنَتْ له أنه وصيه ووارث علمه، والذي تجتمع إليه المراتب، وهو مستقر الباطن ومركزه، وأساس الدين، وأخذت عليه عهد الكفالة والوفاء بالوديعة لوصيه من بعده لأنه مقام النور والحجاب المشهور، والباب المستور، الذي اسمه في العصور والدهور، نهاية النهايات وغاية الغايات، صاحب الظهور اللطيف المتسلسل معناه من أول السلالة الشرعية إلى ظهوره مع الرتبة اللحمية، فيسط يده للعهد على ذلك، وأقر بما هنالك، فرضي على بكفالتة ووديعته، وسَلَّمَ الأمر لصاحب الأمر، واستسلم بالدخول تحت طاعته وخدمته، إلى وفاء مدته، فذلك معنى إسلام علي : وهو الرضاء والتسليم بالحقيقة » (١٥٣).

وأما الداعي الاسماعيلي على بن الوليد فقد ذكر في هذا المعنى :

« كان رسول الله صلوات الله عليه مجمعاً لعلومه تلك الظاهرة، ونفخ فيه مقيمته ومؤيده الذي هو عمه الروح الحية التي من نفُخت فيه فقد نال ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة وأعلى قدره على جميع العالمين، وجعله دون الناس مبلّغاً، لما ينزل به الروح الأمين على قلبه، ليكون من المنذرين، بلسان عربي مبين فصار لكل مجمعاً، ولتفرقات الفضائل محلاً وموضعاً، صلى الله عليه وآله وسلّم » (١٥٤).

وبصراحة أكثر ما ذكره المفسر الاسماعيلي ضياء الدين في سورة القصص تحت آية (إن الذي فرض عليك القرآن) ؛

« يعني المولى عمران (١٥٥) بدعائك إلى العين (على) (لراذك إلى معاد) يعني لمريقك بالانضمام إلى العين، وأيضاً أن الحجاب النبوي المقيم لحجابه الوصى رآه العين ينضم إلى ذلك الحجاب الذي أقامه، وذلك كائن في كل دور لموجب الأسباب الأصلية (١٥٦).

وأيضاً ما ذكره تحت قول الله عز وجل : (إنما أمرت أن أعبد ربّ هذه البلدة) قال : (إنما أمرت) أي من عمران (أن أعبد رب هذه البلدة) يعني أن أتوجه بالدعاء إلى العين (يعني على) والبلدة هي دائرته الذي حرّمها يعني دخولها على أهل البغي (وله كل شيء) يعني من التدبير والانشاء والتصوير » (١٥٧).

وعلى ذلك قال شهاب الدين أبو فراس :

« ولما كانت الأعداد مبدأها من الواحد، وعودتها إليه عند انحلالها،

(١٥٤) « الذخيرة في الحقيقة » لعل بن الوليد بتحقيق الأعظمي الفصل الثامن عشر ص ١٠٨ ، ١٠٩ ط دار الثقافة بيروت ١٩٧١ م .

(١٥٥) عمران اسم لأبي طالب .

(١٥٦) تفسير « مزاج التنسيم » سورة القصص الجزء الثالث من القسم الرابع ص ٣٥٩ .

(١٥٧) أيضاً - سورة النحل ص ٣٤٢ .

كذلك الرسل مبدأهم من الامام القائم بدوره في الابتداء . ومنتهاهم إليه في الانتهاء في دور الكشف ، فالامام عِلَّةُ المخترعات ، وبه ترتب الخلق والدين . وعندما تنتهي مدته وتحين فترته ، ينتقل الأمر إلى شخص آخر من دعوته وهو الذي ينص عليه ويشير إليه « (١٥٨) » .

والجدير بالذكر أن أبا طلب هو الثاني بعد نبي الله ابراهيم ، الذي اجتمع فيه الرتب الأربع : الوصاية ، والامامة ، والنبوة ، والرسالة : «وقام أبو طالب بالرتب الأربع إلى أن بلغ محمد أشده» (١٥٩) .

هذا وان الأنبياء لا تكون دعوتهم الا إلى على ، وخاصة نبينا محمد صلوات الله وسلامه عليه لم تكن دعوته حسب زعم الاسماعيلية الا إليه .

وبذلك صرح جعفر بن منصور اليمن باب الأبواب للامام الاسماعيلي المعز لدين الله ، في كتابه الباطني المشهور تحت قوله الله عز وجل : ﴿ ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى إلى الاسلام والله لا يهدي القوم الظالمين ﴾ :

«معنى (ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب) أي على الله سبحانه يتعبد الخلق بما يختارون لأنفسهم (وهو يدعى إلى الاسلام) يعني رسول الله ﷺ يدعوهم إلى اتباع على ، وهو أول من أسلم . فاسمه وطاعته الاسلام» (١٦٠) .

ومثل ذلك قال المفسر الاسماعيلي :

«قال تعالى للميم (لمحمد) فسبح بحمد ربك ، يعني ادع إلى المقام العلوي حمد الرب لك وهو المقام العمراني قبل طلوع الشمس يعني قبل اتصال النص عليه من العاشر» (١٦١) .

(١٥٨) « مطالع الشمس في معرفة النفوس » لشهاب الدين ص ٣٣ من أربع رسائل اسماعيلية .

(١٥٩) « الأنوار اللطيفة » الفصل الخامس من السراشق الثالث من الباب الأول ص ١٢٤ .

(١٦٠) « كتاب الكشف » ص ١٥٨ ، ١٥٩ .

(١٦١) « مزاج التسليم » سورة طه ص ٢١٩ .

وأيضاً: فانما يسرناه بلسانك يعني ايضاح مقام العين (على) في كل دور
لكونك الداعي إليه^(١٦٢).

وأيضاً «وما أرسلناك الا رحمة للعالمين، يعني بايضاح مقام العين،
وكذلك الرحمة لمن اعترف بمقامه في القديم فجرى على ذلك في الحديث. ثم
قال تعالى للميم: قل انما يوحى إلى أنما الحكم، يعني العين (اله واحد) يعني
متوحد في مقام العظمة»^(١٦٣).

ولو أنه قصر في الدعوة إليه لهبط منزلته، وسلبت منه نبوته ورسالته.
كما قال الصوري:

«فأنزل الله على نبيه أن يظهر النص على وصيه
فخاف من أصحابه لعلمه بكيدهم وما نوا من ظلمه
وقيل: لا تشرك فان أشرك ليخبطن الله ما عملت
فقم وبلغ لا تخف فرحمتي تنالك اليوم وكن في عصمتي»^(١٦٤).

وأما أنه إليه الدعوة في كل عصر وزمان فكما قاله صاحب (الكشف):
«قال النبي (عليه السلام): (هذا ذكر من معي وذكر من قبلي) أراد بذلك
أن الذكر الذي معي هو الذكر الذي كان يدعو إليه من كان قبلي وهو العلم
الذي قام به أمير المؤمنين صلوات الله عليه الذي إليه الدعوة في كل عصر
وزمان (بل أكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون) أراد بذلك أصحاب
العقبة لأنهم أعرضوا عن الحق وعن الاقرار به وهو الامام صلوات الله عليه
عنده علم ما يحتاج الناس إليه من جميع البلايا والمنايا والوصايا والأسباب
والأقسام والأجال»^(١٦٥).

(١٦٢) أيضاً تفسير سورة مريم ص ١٩٩.

(١٦٣) أيضاً تفسير الأنبياء ص ٢٣٩.

(١٦٤) «القصيدة الصورية» ص ٦٠.

(١٦٥) «كتاب الكشف» ص ٨٤.

ونقل ابراهيم الحامدي أيضاً عن جعفر بن منصور اليمنى أنه قال :
« ان الله لا يقبل توبة نبي ، ولا اصطفاء وصى ولا امامة ولي ، ولا عمل طاعة
من عامل ولو تقطع في العبادة واجتهد الا بولاية على بن أبى طالب صلوات
الله عليه وآله . فمن أتى بغير ولاية على بن أبى طالب صلوات الله عليه
أسقطت نبوته ووصايته وولايته وصالح عمله ، ولم يقبل الله منه ، ولا زكى
عمله ، وعلى منه السلام من ولد اسماعيل بن ابراهيم ، لامن ولد اسحاق
صلى الله عليهم أجمعين ، وأي فضل أعظم من هذا الذي ماله شريك فيه ،
بل هو مخصوص به وحده .

فكما أن الله واحد أحد فرد صمد ، لا شريك معه في ملكه ، ولا صاحبة
ولا ولد ، كذلك مولانا علي (عليه السلام) واحد في فضله ، أحد فرد صمد
لا شريك له فيه ، ليس له كفوا أحد» (١٦٦) .

وبمثل ذلك قال الحارثي اليماني (١٦٧) .

ومعنى هذا كله أن الأصل هو علي ، لا محمد .

لأن الرتب الأربع لم تجتمع في أحد بعد أبي طالب الا في علي ابنه :
«والذي تجتمع إليه المراتب الأربع ، وهو مستقر الباطن ومركزه وأساس
الدين . . . وانه مقام النور والحجاب المشهور ، والباب المستور ، الذي اسمه
في العصور والدهور نهاية النهايات وغاية الغايات» (١٦٨) .

وقال الحارثي :

«ولما كان أمير المؤمنين بهذه الحالة التي لم يبلغها أحد غيره ، اتصل به العقل
العاشر اتصالاً كلياً ، ولحظته القول الابداعية لحظاً سرمدياً ، ورمته بأشعتها ،
واتصلت به المواد الالهية فوق ما اتصلت بكل مقام قبله» (١٦٩) .

(١٦٦) «كنز الولد» للحامدي ص ٢١٨ .

(١٦٧) «الأنوار اللطيفة» الفصل الثاني من السراشق الثالث الباب الثالث ص ١٢٦ .

(١٦٨) «كنز الولد» ص ٢١٦ ، أيضاً «كتاب الكشف» لجعفر بن منصور اليمنى ص ١٥٨ .

(١٦٩) «الأنوار اللطيفة» الفصل الأول من السراشق الثالث من الباب الثاني ص ١٢٥ .

«وعلي هو الحائز لرتبة الظاهر والباطن» (١٧٠).

«ومعلوم أن محمدا صلى الله عليه وسلم لم يحز الرتبة الظاهر فقط .
وأكثر من ذلك أن محمدا كان مؤيداً بعلي» (١٧١).
«ومنصوراً به» (١٧٢).

وبه عظم شأنه كما قال القاضي النعمان :

«وانما عظم فضله ، وعلت منزلته بوصية على امام المتقين ، صاحب التأويل ، ومبين الشرائع للمرسلين» (١٧٣).
ولم لا يكون كذلك؟

لأنه هو الذي أنبأ النبيين ، وأرسل المرسلين ، وهو بكل شيء عليم
- عيذا بالله - فما قالوا :

«وانه هو مجمع الأنبياء والأولياء والأئمة من أول الأدوار إلى قيامه» (١٧٤).

و«هو الأول والآخر والظاهر والباطن ، وهو الذي سمك السماء ، وسطح الأرض ، وأجرى الأنهار ، وأنبت الأشجار ، وبسببه دارت الأفلاك ، وتناظرت الأملاك ، وتمخدت الطبائع والأمهات ، أذن الله الراعية ، ويده المبسوطة ، المخرج لهم من الظلمات إلى النور» (١٧٥).
«وهو الذي كان ينزل على قلبه» (١٧٦).

(١٧٠) انظر (المسائل المجموعة) ص ١٣٠ من (أربعة كتب اسماعيلية).

(١٧١) «المجالس المؤيدية» للشيرازي ص ١٥٢.

(١٧٢) «أساس التأويل للنعمان القاضي ص ٣٥٧.

(١٧٣) «الرسالة المذهبية» للقاضي النعمان ص ٨٦ من (خمس رسائل اسماعيلية) تحقيق عارف تامر.

(١٧٤) «الأنوار للطيفة» ص ١٢٥ ، ١٢٦.

(١٧٥) «كنز الولد» ص ٢١٧ و ٢١٩.

(١٧٦) «تأويل الزكاة» لمصور اليمن ص ١٦ مخطوط.

وهو الذي قال عنه الرسول (عليه السلام) - كما يكذبون عليه :
« على أبو عترتي ، وسائر عورتي ، ومعرج كربتي ، وغافر خطيئتي » (١٧٧) .

« وأنه كان مولى رسول الله ، ورسول الله عبده » أهـ ، اللهم اني أعوذ بك من نقل هذه الكلمات الكفرية . كما ذكر ذلك الحارثي البياني في كتابه بعد ذكر كلام جعفر بن منصور اليمن الذي ذكرناه سابقاً (أن علياً هو مجمع الأنبياء والأولياء والأئمة من أول الأدوار إلى قيامه) قال :

« ومن هذه الجهة والحالة صح قول الداعي عبدان ، أن الجمعة على خدمة المولى لعبده في هذا الدور ، لأن أصحاب الدعوة الظاهرة في الأدوار الماضية الذي هم أولاد اسحاق (عليه السلام) كانوا حججاً ودعاة وخداماً لأرباب الدعوات الباطنية الذين هم أولاد اسماعيل (عليه السلام) ، واجتمعت أولاد اسحاق عند ناطق الدور (ﷺ) وجب في مزية عدل الله تعالى خدمة أمير المؤمنين لمحمد (ﷺ) قضاء بما سبق من خدمة أولاد اسحاق ، ولأولاد اسماعيل ميزان العدل قائم ، وهذا معني خدمة المولى لعبده ، وقيامه معه بين يديه ، وسعيه معه ، ومحاربتة لأضداده ، وقتله لمن أنكر منزلته ، وجانب عن طاعته ، وجهاده لأهل الكفر المعاندين له ، كما كان خادماً له في دور ابراهيم وموسى وعيسى ، حذوا بحذو ، لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها » (١٧٨) .

واليه أشار الصوري في قصيدته عند ذكر النبي ومحاولة الأعداء قتله :

واقترن السبغض بالخسود به من الكفار واليهود
واجتهدوا في قتله واشتركوا ولو استطاعوا قتله لفتكوا
لكن حماه منهم مولاه فقام بالفدية واجتباه » (١٧٩) .

(١٧٧) « سرائر النطقاء » لجعفر بن منصور اليمن ص ٢٠٩ مخطوط .

(١٧٨) « الأنوار اللطيفة » الفصل الثاني من السرايق الثالث من الباب الثاني ص ١٢٦ .

(١٧٩) « القصيدة الصورية » ص ٥٧ .

فهذه هي حقيقة المعتقدات الاسماعيلية في النبوة والأنبياء والرسول، وقد يأتي ذكر بعض الأشياء التي لم نذكرها ههنا، المتعلقة بالنبوة والأنبياء في مبحث آخر للاحتياج إليها، وعلاقة الموضوع بها.

ونلخص ما ذكرناه ههنا أنهم يعتقدون بـ:

أولاً: ان النبوة مكتسبة، وأن الانسان يستطيع أن يصبح نبياً بعد التحلي بعد الارتياض والمجاهرة.

ثانياً: وهي فيض يفيض من أحد العقول العشرة.

ثالثاً: ان جبرئيل ليس من ملائكة الرحمن.

رابعاً: الرسول تعلم من بشر، وهو المعبر عنه بالوحي.

خامساً: وان القرآن ليس بكلام الرحمن الذي تكلم به الرب جل وعلا، بل هو من كلام الرسول المركب من خطرات النفس.

سادساً: ان الرسول أقامه أبو طالب، وهو الذي جعله رسولا.

سابعاً: وأبو طالب هو إمام الزمان والرب.

ثامناً: ودعوة الرسول صلى الله عليه وسلم ومن سبق من الأنبياء كانت إلى على.

تاسعاً: وعلى هو مرسل الرسل، باعث الأنبياء.

عاشراً: وكان يفضل محمداً ﷺ، بل كان مولى له، وهو عبده.

فهذه هي العقائد الاسماعيلية في النبوة والأنبياء، وفي رسول الله الصادق الأمين، المخالفة لنصوص القرآن وصريح السنة، والمبنية على الكفر المحض، حيث أن الله يقول:

«الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس» (١٨٠).

- و «الله اعلم حيث يجعل رسالته» (١٨١).
- و «هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا» (١٨٢).
- و «إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون» (١٨٣).
- و «ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم» (١٨٤).
- و «إني اصطفتك على الناس برسالاتي وبكلامي» (١٨٥).
- و «ولكن الله يسלט رسله على من يشاء والله على كل شيء قدير» (١٨٦).
- و «تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض» (١٨٧).
- و «يكون الرسول عليكم شهيدا» (١٨٨).
- و «من يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما» (١٨٩).
- و «قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا» (١٩٠).
- و «كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا» (١٩١).
- و «كلم الله موسى تكليما» (١٩٢).

-
- (١٨١) سورة الأنعام الآية ١٢٤.
- (١٨٢) سورة الفتح الآية ٢٨.
- (١٨٣) سورة الحجر الآية ٩.
- (١٨٤) سورة الجن الآية ٢٨.
- (١٨٥) سورة الأعراف الآية ١٤٤.
- (١٨٦) سورة الحشر الآية ٦.
- (١٨٧) سورة البقرة الآية ٢٥٣.
- (١٨٨) سورة البقرة الآية ١٤٣.
- (١٨٩) سورة الأجزاب الآية ٧١.
- (١٩٠) سورة الأعراف الآية ١٥٨.
- (١٩١) سورة البقرة الآية ١٥١.
- (١٩٢) سورة النساء الآية ٦٤.

- «واتبع ما يوحى إليك من ربك» (١٩٣).
- «ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك» (١٩٤).
- «فاستمسك بالذي أوحى إليك إنك على صراط مستقيم» (١٩٥).
- «قل إنما يوحى إليّ أنما إلهكم إله واحد فهل أنتم مسلمون» (١٩٦).
- «واتبع ما يوحى إليك من ربك إن الله كان بما تعملون خبيراً» (١٩٧).
- «ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يلقى بك إلهك وحيه» (١٩٨).
- «وأوحينا إلى موسى أن ألق عصاك فإذا هي تلقف ما يأفكون» (١٩٩).
- «وما أرسلنا من رسول إلا نوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون» (٢٠٠).
- «وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين» (٢٠١).
- «وأرسلناك للناس رسولاً وكفى بالله شهيداً» (٢٠٢).
- «وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدوداً» (٢٠٣).
- «وما على الرسول إلا البلاغ والله يعلم ما تبدون وما تكتمون» (٢٠٤).

-
- (١٩٣) سورة الأحزاب الآية ٢.
- (١٩٤) سورة آل عمران الآية ١٤٤.
- (١٩٥) سورة الزخرف الآية ٤٣.
- (١٩٦) سورة الأنبياء الآية ١٠٨.
- (١٩٧) سورة الأحزاب الآية ٣٣.
- (١٩٨) سورة طه الآية ١١٤.
- (١٩٩) سورة الأعراف الآية ١١٧.
- (٢٠٠) سورة الأنبياء الآية ٢٥.
- (٢٠١) سورة الأنعام الآية ٤٨.
- (٢٠٢) سورة النساء الآية ٧٩.
- (٢٠٣) سورة النساء الآية ٦١.
- (٢٠٤) سورة المائدة الآية ٩٩.

و«وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله» (٢٠٥).

و«ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك وجعلنا لهم أزواجاً وذرية» (٢٠٦).

و«ولقد أرسلنا من قبلك في شيع الأولين» (٢٠٨).

هذا وكم كان شيخ الاسلام صادقاً حيث قال :

«وكثير من أهل الكلام والتصوف لا يكذب الرسل تكذيباً صريحاً، ولا يؤمن بحقيقة النبوة والرسالة، يقر بفضلهم في الجملة مع كونه يقول: ان غيرهم أعلم منهم: أو أنهم لم يبينوا الحق أو لبسوه: أو أن النبوة هي فيض يفيض على النفوس من العقل الفعال من جنس ما يراه النائم، ولا يقر بملائكة مفضلين ولا بالجن ونحو ذلك، فهؤلاء يقولون ببعض صفات الأنبياء دون بعض؛ وبما أوتوه دون بعض، ولا يقولون بجميع ما أوتيهم الأنبياء، وهؤلاء قد يكون أحدهم شراً من اليهود والنصارى الذين أقروا بجميع صفات النبوة لكن كذبوا ببعض الأنبياء؛ فإن الذي أقرب به هؤلاء مما جاءت به الأنبياء أعظم وأكثر؛ إذ كان هؤلاء يقولون بأن الله خلق السموات والأرض في ستة أيام، ويقولون بقيام القيامة، ويقولون بأنه تجب عبادته وحده لا شريك له، ويقولون بالشرائع المتفق عليها. وأولئك يكذبون بهذا، وإنما يقولون ببعض شرع محمد صلى الله عليه وسلم.

ولهذا كان اليهود والنصارى أقل كفراً من الملاحدة الباطنية والمتفلسفة ونحوهم، لكن من كان من اليهود والنصارى قد دخل مع هؤلاء فقد جمع نوعي الكفر؛ إذ لم يؤمن بجميع صفاتهم ولا بجميع أعيانهم، وهؤلاء موجودون في دول الكفار كثيراً، كما يوجد أيضاً في المنتسبين إلى الإسلام من هؤلاء وهؤلاء. إذ كانوا في دولة المسلمين» (٢٠٩).

(٢٠٥) سورة النساء الآية ٦٤.

(٢٠٦) سورة الرعد الآية ٣٨.

(٢٠٧) سورة المائدة الآية ٧٠.

(٢٠٨) سورة الحج الآية ١٠.

(٢٠٩) «مجموعة فتاوى شيخ الإسلام» ابن تيمية ج ١٩ ص ١٨٦، ١٨٧.

وقال أيضاً:

«ان متقدميهم لم يذكروا المقدمات المتلقاة من الأنبياء، ولكن المتأخرون رتبوه على ذلك: إما بطريق الصابئة الذين لبسوا الخيفية بالصائبة: كابن سينا ونحوه، وإما بطريق المتكلمين الذين احسنوا الظن بما ذكره المنطقيون وقرروا إثبات العلم بموجب النبوات به.

أما الأول: فإنه جعل علوم الأنبياء من العلوم الحدسية لقوة صفاء تلك النفوس القدسية وطهارتها، وان قوى النفوس في الحدس لا تقف عند حد. ولا بد للعالم من نظام ينصبه حكيم، فيعطى النفوس المؤيدة من القوة ما تعلم به ما لا يعلمه غيرها بطريق الحدس، ويتمثل لها ما تسمعه وتراه في نفسها من الكلام ومن الملائكة ما لا يسمعه غيرها، ويكون لها من القوة العملية التي تطيعها بها هيولي العالم ما ليس لغيرها، فهذه الخوارق في قوى العلم مع السمع والبصر، وقوة العمل والقدرة: هي النبوة عندهم.

ومعلوم أن الحدس راجع إلى قياس التمثيل، كما تقدم. وأما ما يسمع ويرى في نفسه فهو من جنس الرؤيا، وهذا القدر يحصل مثله لكثير من عوام الناس، وكفارهم، فضلاً عن أولياء الله وأنبيائه. فكيف يجعل ذلك هو غاية النبوة؟ وان كان الذي يشبونه للأنبياء أكمل وأشرف، فهو كملك أقوى من ملك. ولهذا صاروا يقولون: النبوة مكتسبة، ولم يشبوا نزول ملائكة من عند الله إلى من يختاره ويصطفيه من عباده. ولا قصد إلى تكليم شخص معين من رسله؛ كما يذكر عن بعض قدمائهم أنه قال لموسى بن عمران: أنا أصدقك في كل شيء إلا في أن علة العلل كلكم، ما أقدر ان اصدقك في هذا!. ولهذا صار من ضل بمثل هذا الكلام يدعي مساواة الأنبياء والمرسلين أو النقدم عليهم؛ وهذا كثير في كثير من الناس الذين يعتقدون في أنفسهم أنهم أكمل النوع، وهم من أجهل الناس واطلمهم واكفرهم واعظمهم نقاقاً» (٢١٠).

(٢١٠) «فتاوى شيخ الإسلام» ج ٩ ص ١٤، ١٥.

وأخيراً:

فإن قول هؤلاء الزنادقة - وإن كان فيه إيمان من وجه آخر - فهؤلاء موافقون في الحقيقة لمقدمهم الوحيد الذي قال: (إن هذا القول البشري) لكن ذاك كفر به كله ظاهر أو باطنا، وهؤلاء قد يؤمنون به ظاهراً، وقد يؤمنون باطنا ببعض صفاته: من أنه مطاع عظيم، وأنه رئيس النوع الإنساني، وأن هذا الكلام الذي جاء به كلام عظيم القدر، صادر عن نفس صافية كاملة العلم والعمل، لها ثلاث خصائص تنفرد بها عن غيرها.

خصيصة قوة الحدس والعلم، وخصيصة قوة التأثير في العالم السفلي بنفسه. وخصيصة قوة التخيل المطابق للحقائق بحيث يسمع في نفسه الأصوات، ويرى من الصور ما يكون خيلاً للحقائق، وأنه يجوز إضافة كلامه إلى الله، وتسميته كلام الله حيث هو أمر به أمراً خيالياً. وفي الحقيقة عندهم ما يفيض على سائر النفوس الصافية من العلوم والتكلمات هي أيضاً كلام الله مثل ما أنه كلام الله؛ لكن هو أشرف وخطابه دل على أنه رسول الخلق تجب عليهم طاعته، التي أخبرت بها الرسل لكن يطلقون عليه أنه متكلم؛ ولهذا يقولون: إن «النبوة» مكتسبة فطمع غير واحد منهم أن يصير نبياً كما طمع السهروردي وابن سبعين وغيرهما من الملحدين.

وقد بينا أصول أقوالهم وفسادها في غير هذا الموضع مثل كلامنا على إبطال قولهم: إن معجزات الأنبياء قوى نفسانية.

وأما «المعتزلة» ونحوهم فيوافقونهم في أن الله لا يتكلم في الحقيقة التي يعلم الناس أن صاحبها يتكلم [بل كلامه] منفصل عنه، ويزعمون أن ذلك حقيقة، وليس كلامه عندهم إلا أنه خلق في الهواء أو غيره أصواتاً يسمعونها من يشاء من ملائكته وأنبيائه من غير أن يقوم بنفسه كلام لا معنى ولا حروف، وهم يتنازعون في ذلك المخلوق هل هو جسم أو عرض أو لا يوصف بواحد منها.

ولما ظهر هؤلاء تكلم السلف من التابعين وتابعيهم في تكفيرهم والرد عليهم بما هو مشهور عند السلف، واطلع الأئمة الخذاق من العلماء على أن

حقيقة قول هؤلاء هو التعطيل والزندقة، وإن كان عوامهم لا يفهمون ذلك، كما اطلعوا على أن حقيقة قول القرامطة والاسماعيلية هو التعطيل والزندقة، وإن كان عوامهم إنما يدينون بالرفض، وجرت فتنة الجهمية، كما امتحنت الأئمة، وأقام «الامام أحمد» إمام السنة، وصديق الأمة في وقته، وخليفة المرسلين، ووارث النبيين. فثبت الله به الإسلام والقرآن، وحفظ به على الأمة العلم والايمان، ودفع به أهل الكفر والنفاق والطغيان الذين آمنوا ببعض الكتاب وكفروا ببعض» (٢١١).

ولا بأس بذكر ما أورده يحيى بن حمزة العلوي من مذاهبهم، والرد على أقوالهم في هذا الموضوع، فيقول:

«وقولهم في النبوة قريب من مذهب الفلاسفة ولكنهم ضعفوا عن معقول كلام الفلاسفة، فخطبوا فيه، وقالوا: إن النبي عبارة عن شخص فاض عليه من السابق بواسطة التالي قوة قدسية صافية مهيأة لأن تنقش عند الإتصال بالنفس الكلية بما فيها من الجريان، كما يتفق ذلك لبعض النفوس الزكية في المنام، حتى تشاهد (في) مجارى الأحوال في المستقبل. إما صريحاً بعينه، وإما مدرجاً تحت مثال يناسبه مناسبة ما، فيفتقر إلى التعبير والتفسير إلا أن هذا النبي هو المستقبل لذلك في اللحظة. فلذلك يدرك النبي الكليات عند صفاء القوة النبوية، كما سطع مثال المحسوسات في القوة الباصرة من العين عند شروق الشمس على سطوح الأجسام الصقيلة.

وهذا الكلام كله مسترق من كلام الفلاسفة، ولم ينقلوه على وجهه، وأعلم أن كلامهم في النبوة ربما يمكن تنزيل لفظه على وجه مقبول، وبعضه لا وجه له، ولا يعقل، بل يجب أن يكون مردوداً عليهم.

فإذا عرفت ذلك، فلنا: [لنا] معهم في الإفحام مقامات :

(٢١١) «فتاوى شيخ الإسلام» ابن تيمية ج ١٢ ص ٣٥٣، ٣٥٤، ٣٥٥.

المقام الأول:

أنا نطالبهم بمقول حقيقة النبوة وتفسيرها وهم قد زعموا أنها قوة قدسية.

فيقال لهم: ما برهانكم على أن معنى النبوة ما ذكرتم؟ هل عرفتموه بالضرورة، أو بالنظر، أو بالتعليم؟ ولا سبيل [لكم] إلى شيء مما ذكرتموه من هذه الأمور الثلاثة، كما قررناه عليهم فيما سبق، فلا معنى لإعادته.

ثم يقال لهم: ما [ذا] تعنون بهذه القوة القدسية. أتريدون بها أن الله تعالى أظهر عليه المعجزة وخصه بما علمه، واصطفاه على كل الخليقة، وتسمون هذا الاختصاص والاصطفاء قوة قدسية، فهذا مسلم لا ننكره. لكن أخطأتم في تسمية هذا قوة قدسية. فإن هذا يوهم أنه لم يظهر عليه المعجز.

وإن أردتم: أنه لا معنى لنبوته إلا فيضان هذه القوة عليه من جهة السابق بواسطة التالي، من غير حاجة إلى ظهور المعجز، فهذا من خيال العقل وتيه الجهل، فنعوذ بالله من خبط العقل وفساده.

ثم يقال لهم: ولم زعمتم أن فيضان هذه القوة القدسية من جهة السابق بواسطة التالي، أو من النفس الكلية بغير واسطة؟ فإذا كان هذا محتملاً، لم يمكنكم القطع بإضافتها إلى السابق إلا بعد بطلان هذا الاحتمال بدليل. ولا سبيل إليه. وإن قالوا: وهذا لازم لكم، فمع ظهور المعجز عليه، ما يمنعه عن الكذب عندكم؟

قلنا: إن ظهور المعجز عليه قد دلنا على أنه لا بد من تميزه بأمر المكانة لنقطع بصدقه، وهي العصمة. وأنتم لا تعتبرون ظهور المعجز في معنى النبوة. فلهذا كان الالتزام متوجها عليكم.

ثم نقول: إذا زعمتم أن حقيقة النبوة: قوة قدسية حاصلة من جهة السابق بواسطة التالي. فبم تنفصلون عن قول من إخوانكم الفلاسفة: إنها هيئة راسخة نفسية مستمدة لإفاضة العلم من جهة العقل الفعال.

فإن قالوا: إن هذا الكلام وكلامنا الأول في ميزان واحد، لكن خولف في عبارته.

قلنا: فالآن برح الخفاء، وانكشف الغطاء، وظهر أنكم قد كرعتم في بحر ضلالهم، وارتويتهم من أجن خبالهم، وحقيق على من أفضت به آراء الفلاسفة إلى الحيرة. وأورده إتباعهم موارد الهلكة، أن يقف مواقف العي، ويبوء بخسران الصفقة. زعموا أن الحق ما زينته كواذب الوهم والتخمين. وأن الباطل ما قامت عليه أدلة الحق والبراهين، استحسانا لمواقع أنظارهم الردية، وإعجابا بجسر بصائرهم العمية.

تالله: لقد أغرقوا في الجحد والعناد. وتاهوا في مواطن الحيرة والإلحاد «ولو شاء ربك ما فعلوه. فذرهم وما يفترون» فعونك اللهم وتيسيرك، فإننا لم نؤت في تفرقنا إلا من نفوسنا، ولك الحجة البالغة علينا ولو شئت حملتنا على الهداية جبرا. وصرفتنا عن الانصياع في أودية الضلالة قسرا. لكنك أمرت تخييراً. ونهيت تحذيراً «لتجزي كل نفس بما تسعى» لتمييز بين من أطاع وعصى «ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة وإن الله لسميع عليم».

المقام الثاني:

سلمنا لكم أن حقيقة النبوة ما ذكرتم من تهويسكم. فمن حقكم أن تقيموا الدلالة على حكمة الله تعالى. التي هي الأصل في سائر الأفعال الحكيمة والاصطلاحات في التكاليف الشرعية والعقلية من الأفعال والتروك.

والعجب منكم، معاشر الجهال من التعليمية وطبقة أهل الضلال من الإسماعيلية. كيف تشرعون في الكلام في النبوة وأحكامها وتفسيرها، ووجوب الإمامة وغيرها من أنواع الحكم. وتغفلون عن تقرير هذا الأصل العظيم، وهو الحكمة، وتقريرها بأدلتها؟ وما نراكم عنه إلا في غطاء، وفي جميع ما تأتونه في زلل وخطأ. ألا ترى أنه لا يحسن إرسال الأنبياء إلا إذا علم

أن لنا في ارسالهم مصلحة في تعليم الشريعة، وإبلاغ التكليف، والارشاد إلى الدين مما لم يعلم حكمته. فلا معنى لملاحظة المصالح ورعاية أحوال الخلق، والتوخى لمصالحهم في حق من ليس بحكيم. فهذا جهل منكم في الغفلة عن تقرير هذا الأصل فيما دليكم عليه؟ هل عرفتموه بالضرورة أو بالنظر أو بالتعليم؟

ولا سبيل إلى معرفته بشيء من هذه الطرق على مذهبكم. فوضح أنه لا طريق لكم إلى معرفة الحكمة على أصولكم [لأن فيها] إخلال عظيم وميل عن طريق الحق واضح.

المقام الثالث :

لو سلمنا لكم الحكمة. فلا يمكنكم معرفة كون النبي صادقاً إلا بعد العلم بصدق الله، لأنكم إذا لم تعلموا صدقه، جاز أن يكون كاذباً في قوله: إن هذا النبي صادق في قوله. وجاز أيضاً أن نصدق الكاذبين في دعواهم. فما برهانكم على كونه تعالى صادقاً، وأن كل ما آتاكم؛ فهو حق وصدق. هل عرفتموه بضرورة أو نظر أو تعليم؟ ولا سبيل إلى معرفته بالعقل: ضرورة كان أو نظراً، لأن العقول عندهم لا معتمد عليها. ولا سبيل إلى معرفته بالتعليم، لأن التعليم إنما يكون حجة إذا ثبت كونه تعالى صادقاً فيما يقول، لا يجوز عليه الكذب. رمهما جوزنا عليه الكذب، لم نثق بصحة التعليم، وجوزنا أن يكون التعليم خطأ وضلالاً. ونحن الآن ما فرغنا عن هذه القاعدة. فانهضوا الآن [لتقويم] التعليم، وهيهات!! أي يقوم المعوج، ومتى يصح السقيم» (٢١٢).

ومثل ذلك ذكره الغزالي والديلمي.

وهذا آخر ما أردنا ذكره في هذا المبحث.

(٢١٢) «الافحام لأئدة الباطنية الطغام» ليجي بن حمزة العلوي ص ٥٣ وما بعد.

الفصل الثالث

معتقدهم في الوصاية والوصي

يعتقد الاسماعيلية أن مرتبة الوصاية تلي مرتبة النبوة، وليس هناك فرق كبير بين المرتبتين، بل إن واحداً من كبار القوم^(٢١٣) الذي كتب كتابين في تاريخ الاسماعيلية بمصر، وفي عقائد الاسماعيلية، أشار إلى أن المتقدمين كانوا يرون أن الوصي أفضل من النبي، والبعض الآخر كانوا يقولون بالمساواة بينهما بدون تفضيل واحد على آخر، ولقد شاهدنا هذا بأنفسنا بعد ما تعمقنا في البحث في أفكارهم ومعتقداتهم. ولقد وجدنا عبارات صريحة في هذا مما لم تصل إليه يده، أو لم يرد أن يذكرها.

وقبل أن نوردها نريد أن نذكر أن الاسماعيلية القائلين (بأن لكل نبي وصياً) لا يعدّون الوصي إماماً، بل هو فوق الإمام. فالإمامة شيء، والوصاية شيء آخر.

وعلى ذلك التبس هذا الأمر على كثير من الذين اشتغلوا بالكتابة والبحث عن الاسماعيلية من المسلمين والمستشرقين، وحتى الاسماعيلية أنفسهم حيث أنهم يتحIRON عند ذكر الأئمة الاسماعيلية وعددهم، ويتخبطون.

(٢١٣) هو الدكتور زاهد علي مؤلف (تبيين المعاني لديوان ابن هاني) باللغة العربية، و(تاريخ فاطميين مصر) بالأردية. و(هماري اسماعيلي مذاهب) بالأردية.

فبعضهم يقول: إن الإمامة تبدأ من علي، ولكن الحسن لم يكن إماماً، وأن محمد بن اسماعيل الإمام السابع الذي إليه تنسب هذه الطائفة، ويقال لها السبعية.

وبعضهم ي حذفون اسم اسماعيل بن جعفر، ولا يعدونه إماماً. والبعض الآخر يجعلون اسماعيل بن جعفر الإمام السابع، ومحمد بن اسماعيل هو الثامن، مع تصريح الاسماعيلية قاطبة أنه هو السابع، وأنهم لا يدرون أن علياً رضي الله تعالى عنه لم يذكر في الكتب الاسماعيلية، التاريخية منها والعقائدية إلا وصياً الذي يسمى بالأساس والصامت أيضاً، وهو غير الإمام، لأن مرتبة الإمامة عند الاسماعيلية دون مرتبة الوصاية، وليس الإمام كالأساس والصامت.

وهذه إحدى الأغلاط المشهورة التي وقع فيها المعتنون بالبحث والتحقيق عن الاسماعيلية. وسنذكر بعض النصوص في هذا الموضوع في باب مستقل، وهو نظام الدعوة عند الاسماعيلية.

ونرجع الآن إلى موضوعنا، وهو اعتقاد الاسماعيلية بأن لكل نبي وصياً، ووصي رسول الله عليّ، ولا فرق بينهما، وبين رتبتهما كما يقول الكرمانى: «إن الوصي أول منصوب عليه من الحدود في الدورة والدعوة إلى التوحيد، فهو من حيث كونه كاملاً لا فرق بينه وبين الناطق» (٢١٤).

وقال أيضاً: «إن الوصي الذي أقامه (يعني المبدع الأول) مقامه (أي الناطق) وأخبر الله تعالى بأن نفسه كنفس محمد صلى الله عليه وسلم وآله في آية المباهلة، بكونه في الكمال والتمام كهو» (٢١٥).

وعلى ذلك قال علي بن أبي طالب - حسب ما يروونه عنه وهم يكذبون عليه:

(٢١٤) «راحة العقل» المشرع الثاني من السور الرابع» ص ٢١٦.

(٢١٥) نفس المصدر ص ٢١٣.

«أنا ومحمد من نور واحد، من نور الله تعالى، أمر الله ذلك النور أن ينشق إلى نصفين، فقال للنصف الأول: كن محمداً، وللنصف الثاني: كن علياً» (٢١٦).

ونسب علي بن الوليد هذا القول إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالألفاظ المختلفة، وهذا نصه:

«قال النبي لعلي صلوات الله عليهما وعلى آلهما: لم أزل أنا وأنت يا علي من نور واحد نتقل من الأصلاب الطاهرة إلى أن اتصلنا بصلب عبد المطلب، وانقسم ذلك النور نصفين في عبد الله وأبي طالب فقال الله تعالى: يا هذا كن محمداً، ويا هذا كن علياً، ثم ظهر محمد صلى الله عليه وعلى آله عن عبد الله كظهور عبد الله عن عبد المطلب، وظهر علي صلى الله عليه وعلى آله عن أبي طالب كظهور أبي طالب عن عبد المطلب، وكان ما فيه قسط من النور الإلهي والسر المعنوي، وما يعقلها إلا العالمون، وجرت الإمامة في ولد علي وفاطمة بنت محمد عن أمر محمد وعلي لأمر يقصر عنه الفهم، ولا يعلمه إلا الراسخون في العلم، فظهر من بينهما الحسن (عليه السلام)» (٢١٧).

ومثل هذا ذكره الداعي الاسماعيلي حسن بن نوح الهندي في (كتاب الأزهار ومجمع الأنوار) (٢١٨).

وأورد القوم رواية أخرى في ذلك عن رسول الله أيضاً أنه قال: «إن الله تعالى خلقي وعلي نوراً بين يدي العرش، نسيح الله، ونقدسه قبل أن يخلق آدم بألفي عام، فلما خلق آدم أسكننا في صلبه، ثم نقلنا من

(٢١٦) «الأنوار اللطيفة» للحارثي الفصل الثالث من السراشق الثالث من الباب الثاني ص ١٢٧.

(٢١٧) «رسالة تحفة المرتاد وغصة الأضداد» لعلي بن الوليد ص ١٦٨ من (أربعة كتب اسماعيلية) تصحيح ونشر شتروطن ط المجمع العلمي غوتنبرغ.

(٢١٨) أنظر صفحة ٢٢٤ من كتاب (منتخبات اسماعيلية).

صلب طيب، إلى بطن طاهر، لا تحتك فينا عاهة، حتى أسكننا صلب ابراهيم، ثم نقلنا من الأصلاب الطاهرة إلى الأرحام الزكية، لا يمسننا عار الجاهلية، حتى أسكننا صلب عبد المطلب، ثم افترق النور من عبد المطلب ثلاثاً، ثلثان في عبد الله، وثلث في أبي طالب، فخرجت من ظهر عبد الله، وخرج علي من ظهر أبي طالب، ثم اجتمع النور مني ومن علي في فاطمة (رضي الله عنها)، فخرج منها الحسن، والحسين رضي الله عنهما، فهما نوران من نور رب العالمين^(٢١٩).

وهناك رواية أخرى في كتاب اسماعيلي سري لداعي الدعاة ادريس عماد الدين، لا تقل طرفاة عن هذه الروايات، وأنها لتكشف عما يعتقده الاسماعيلية في علي بن أبي طالب، ومرتبته، وشأنه، مع مقارنته ومكانته وشأنه بمحمد صلوات الله وسلامه عليه، فيقول الداعي ادريس:

«وكان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلى الله عليه وسلم أول القائمين في المقام الأعظم في دُور محمد صلى الله عليه وسلم، وكان الإمام القائم بأمر الله أول قائم قام بعد المهدي بالله صلوات الله عليه، فكان له الفضل العظيم والمقام الكريم فإنه لا يستكمل عبد حقيقة الإيمان حتى يعرفني بحقيقة معرفتي بالنورانية فإذا عرفني بهذه الصفة فقد امتحن الله قلبه للإيمان وشرح صدره وصار عارفاً مستبشراً، ومن قصر عن ذلك فهو شاك مرتاب، يا سلمان قال لك جُنْدَب في هذه الساعة فَم بنا نسأله عن معرفته بالنورانية، فقال لبيك كذا كان، فعرفنا النورانية ومعرفة الله فقال صلى الله عليه وسلم وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلوة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة، يقول وما أمروا إلا بتوحيد وهو إخلاص العبادة، وقوله حنفاء يعني الاقرار بنسوة محمد صلى الله عليه وسلم لأنه صاحب الحنيفة، ويقيموا الصلوة هي ولايتي، من أقامها أقام الصلاة، لقوله واستعينوا بالصبر والصلوة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين، ولم يقل الله تعالى

(٢١٩) «تاج العقائد ومعادن الفوائد» ص ٥٤ ط مؤسسة عز الدين بيروت.

وإنهما الكبيران لأن أكثر الناس مقرّون بنبوّة محمد صلى الله عليه وسلم وقليل من الناس من يقرّ بولايتي إلا من كان من الخاشعين، وكذلك قال وبشر معطلة وقصر مُشيد فالقصر هو رسول الله صلى الله عليه وسلم، والبشرانا، عطّلوا والله ولايتي، وقوله ويؤتون الزكوة، فهي الاقرار بالأئمة من ذريتي، وهو الزكاة من استكمل ذلك فهو علي دين القيّمة وسابّين لكما بعون الله يا سلمان وجنّدت.

أنا ومحمد نورٌ واحدٌ من نور الله، أمر الله ذلك النور لينشقّ نصفين، فقال للنصف الأول كن محمداً، وللنصف الثاني كن علياً، فلهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليّ مني وأنا منه، ولا يؤدى عني إلا علي، يا سلمان ويا جنّدت فصار محمد نبيّ الله المصطفى وصرت أنا وصي محمد المرتضى، وصار محمد الناطق وصرت الصامت، وصار محمد المنذر وصرت الهادي، وصار محمد صاحب الجنة وصرت صاحب النار، أقول للنار لك هذا وهذا لي، وصار محمد صاحب الرحمة وصرت صاحب الرجفة، وصار محمد صاحب الدلالات وصرت صاحب الآيات، وصار محمد خاتم النبيين وصرت خاتم الوصيين، أنا اهلكت القرون الأولى وأنا النبا العظيم الذي هم فيه مختلفون، وصار محمد صاحب الدعوة وصرت صاحب السيف، وأنا الأمر من الله يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده، فالأمر من روح الله، ولا يعطى ذلك إلا النبي والوصي، فمن أعطاه الله من روحه أبانه من الناس ورفعته فوق الخلق وفوض إليه القدرة، فأحيا وأمات وعلم ما كان وما يكون بذلك الروح وعلم ما في السماء وعرج إلى السماء ونزل إلى الأرض، يا سلمان ويا مجنّدت وصار محمد الذكر وصرت أنا الكتاب لقول الله عز وجل قد أنزل الله إليكم ذكراً رسولاً، وقال لقد أنزلنا إليكم كتاباً فيه ذكركم، ومحمد حجة الله على الخلق وأنا حجّته رفعني وأعطاني ما لم يعط أحداً كما أمر الله بقوله يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس.

فعقد لي وأخذ بيعتي وأنا اللوح المحفوظ وألهمني الله ما فيه، يا سلمان ويا

جُنْدَبُ مُحَمَّدٍ يَسُ وَأَنَا الْقُرْآنُ الْحَكِيمُ، وَمُحَمَّدُ نُونٌ وَأَنَا الْقَلَمُ، وَمُحَمَّدُ طُهُ وَأَنَا الْقُرْآنُ، وَمُحَمَّدُ الْيَاقُوتَةُ الصَّفْرَاءُ وَأَنَا الْيَاقُوتَةُ الْحُمْرَاءُ، وَلَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَ مُحَمَّدٍ فَرْقٌ، أَنَا مُحَمَّدٌ وَمُحَمَّدٌ أَنَا، أَنَا مِنْهُ وَهُوَ مِنِّي، بِقَوْلِهِ: مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ، وَمُحَمَّدٌ آلاءُ اللَّهِ الْأَكْبَرِ وَأَنَا آلاءُ اللَّهِ الْأَكْرَمِ، لِقَوْلِهِ: فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ، يَا سَلَمَانَ وَيَا جُنْدَبَ إِنَّ مِيتَنَا لَمْ يَمُتْ وَقَتِيلُنَا، لَمْ يَقْتُلْ، وَلَا نَلْدُ وَلَا نُولَدُ.

قَالَ جَابِرٌ فَقَبِّلْتُ الْأَرْضَ بَيْنَ يَدَيْهِ إِعْظَامًا لَهُ لَمَّا سَمِعْتُ، وَقُلْتُ يَا مُوَلَايَ قَدْ اشْتَكَلَ عَلَيَّ مِمَّا سَمِعْتُكَ تَكَلَّمَ بِهِ قَوْلُكَ أَنَا أَهْلَكْتُ الْقُرُونِ الْأُولَى وَقَوْلُكَ فِي الْبَابِ الثَّانِي أَنَّ مِيتَنَا لَمْ يَمُتْ وَقَتِيلُنَا لَمْ يَقْتُلْ، فَقَالَ يَا جَابِرُ أَنَا الْأَمْرُ مِنَ اللَّهِ لِأَنَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ يُلْقَى الرُّوحُ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَلَمَّا أَمَرَنِي اللَّهُ بِقَوْلِهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُورُ، بِنَجَاةِ نُوحٍ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) نَجَيْتِهِ وَقَوْلِهِ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا، وَأَمَّا قَوْلِي أَنَّ مِيتَنَا لَمْ يَمُتْ، لِأَنَّهُ مِنْ رُوحِ اللَّهِ وَقَتِيلُنَا لَمْ يَقْتُلْ، وَأَنَا مُوَلَايَ كُلِّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ مِمَّنْ مَضَى وَمَنْ بَقِيَ، يَا سَلَمَانَ وَيَا جُنْدَبَ، فَلَمَّا أُبَيِّدْتُ بِمَا أُبَيِّدْتُ بِهِ الْأَنْبِيَاءَ مِنَ الرُّوحِ نَطَقْتُ عَلَى لِسَانِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ فِي الْمَهْدِ، قَادِمٍ وَثِيثٍ وَنُوحٍ وَسَامٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَاسْمَاعِيلَ وَمُوسَى وَيُوشَعَ وَعِيسَى وَشَمْعُونَ وَمُحَمَّدَ، وَإِنَّ كُلَّنَا وَاحِدٌ وَمَنْ رَأَى فَقَدْ رَأَى جَمِيعَهُمْ، وَأَنَا عَبْدٌ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ، فَلَا تُسَمِّنَا أَرْبَابًا وَقُولُوا فِي فَضْلِنَا مَا شِئْتُمْ لِأَنَّ أَبْوَابَ اللَّهِ وَحُجَّجَهُ وَأَمَنَّاؤُهُ عَلَى خَلْقِهِ وَخُلَفَاؤُهُ وَأُئِمَّةُ دِينِهِ وَوَجْهَ اللَّهِ وَجَنِبَهُ وَأَمْرَ اللَّهِ وَصِرَاطَهُ، بِنَا يَعْذِبُ وَبِنَا يَثِيبُ، اخْتَرْنَا مِنْ بَيْنِ خَلْقِهِ، وَطَهَرْنَا وَاصْطَفَانَا، فَلَوْ قَالَ فِي ذَلِكَ قَائِلٌ لَمْ أَوْيَمَ أَوْ عَمَّ أَوْ فِيمَ لَكُفْرٌ لِأَنَّهُ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ، يَا سَلَمَانَ وَيَا جُنْدَبَ مِنْ أَمْنٍ بِمَا قُلْتُ وَأَوْضَحْتُ وَشَرَحْتُ وَفَسَّرْتُ فَهُوَ مُؤْمِنٌ امْتَحَنَ اللَّهُ قَلْبَهُ لِلْإِيمَانِ وَإِذَا مَيَّزَ ظَاهِرَ قَوْلِي وَبَاطِنَهُ فَهُوَ عَارِفٌ مُسْتَبْصِرٌ بِالْغِ كَامِلٌ، وَمَنْ شَكَّ فِيهِ وَارْتَابَ وَجَحَدَ وَوَقَفَ فَهُوَ ضَالٌّ مُقَصِّرٌ» (٢٢٠).

(٢٢٠) «زهر المعاني» للداعي ادریس ص ٧٣ وما بعد من (المنتخب) لایرانوف.

فهذا هو الوصي وعلاقته بالنبي ، ومقامه ومكانته وشأنه ومرتبته ، عند الاسماعيليه بأنه مثل النبي ، لا فرق بينهما ،

وكذلك الوصاية مثل النبوة ، لا فرق بينهما ،

وقد أوضح ذلك الداعي الاسماعيلي الحسين بن علي بن الوليد في رسالته وصرح به حيث يقول :

« وكانت مرتبة النبي مرتبة العقل السابق في وقته ، ومرتبة أمير المؤمنين في الدين معه مرتبة الانبعاث الأول في عالمه . والنبي مثل الذَّكْر في الدين ، وأمير المؤمنين معه مثل الأنثى القابلة منه ، والنبي مثل السماء ، وأمير المؤمنين معه مثل الأرض . فلما انتقل النبي ﷺ صار أمير المؤمنين بعده قائماً في عالم الدين مقام العقل الأول ، وحجته مقام المنبعث الأول .

فالذي يجب أن يعتقد أنه قد صار النبي وأمير المؤمنين في منزلة واحدة . « لا فضل لاحد منهما على الآخر ، بل قد تساويا كما قال النبي ﷺ : أنا وأنت يا علي كهاتين ، وجمع بين أصبعيه المسمَّحتين من يديه اليمنى واليسرى ، وقال : (لا أقول كهاتين) وجمع بين المسمَّحة والوسطى سبقت احدهما الأخرى ، فمن اعتقد في أحدهما أنه أفضل من الآخر ، فقد غلافه وقصر في الثاني ، فلا تعتقد الا هذا ، فلغنه الله على من يعتقد خلافه » (٢٢١) .

وبمثل ذلك قال السجستاني أبو يعقوب :

« لما كان الناطق يأتي لينسخ شريعة ما قبله باظهار شريعة جديدة ، كذلك يكون الصامت فيأتي لنسخ التأويل الذي قبله ، وأنه لا بد للناطق من صامت يكون قريباً منه وأساساً له . وقد جاء بالقرآن الكريم : (ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه أخاه هارون وزيراً) فدلَّت هذه الآية وغيرها من الآيات على أنه لا بد لكل ناطق من صامت يحتاج إلى مشورته) في أمور

(٢٢١) « المبدأ والمعاد » ص ١٢٤ ، ١٢٥ من (رسالة اسماعيلي) تحقيق المستشرق هنري كرين .

الدين والدنيا وما يجب فيه من الحكمة الالهية والعناية الربانية وقد وجب أن يكون الصامت قد اطلع مثل الناطق على جميع الأسرار النبوية ليتمكنه مؤازرته ومعاونته ومعاوضته بتنفيذ أحكامها» (٢٢٢).

ويمثل ذلك قال الداعي حاتم بن عمران في رسالته مبيناً علاقة الصامت بالناطق ومعناها فيقول :

« أعلم أيها الأخ البار الرحيم أنه جاء بالقرآن الكريم : (لقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه أخاه هارون وزيراً) ، فدلّت هذه الآية وغيرها من الآيات على أنه يكون لك ناطق صامت يحتاج إلى مشورته في أمور الدين والدنيا وما يجب فيه من الحكمة الالهية والعناية الربانية وقد وجب أن يكون الصامت قد اطلع مثل الناطق على جميع الأسرار النبوية ليتمكنه مؤازرته ومعاونته ومعاوضته بتنفيذ أحكامها وكل العلماء اتفقوا على أن الله سبحانه وتعالى أنزل فرائضه في الشرائع مجملة وغير مفسرة ومقسمة ففسرها وقسمها الرسول ظاهرياً ووضع كل شيء منها في موضعه ، ثم أنه عهد بتقسيمها وتفصيلها - باطنياً إلى وزير صامت يعرض عليه من التأليف ما يكون له القوة والفاعلية وقد لا يكمل الدور إلا باثنين صامت وناطق ، ولقد وجدنا الخلق من الابداع قد استقر على اصلين احدهما ناطق وهو السابق والآخر صامت وهو التالي وكذلك الهيولى والصورة في الاشياء المركبة ناطق وصامت فالهيولى ناطق والصورة صامت وكذلك الافلاك صامت والكواكب ناطق ، وكذلك البرد صامت والحر ناطق والليل صامت النهار ناطق وقد لا تخرج الاثار من برد الرطوبة بل بالحر من اجتماع الاثنين وكذلك الذكر ناطق والانثى صامت وكذلك المركز صامت والخط المحيط ناطق وهذا لمثل النفي والاثبات في الشهادة فالنفي صامت والاثبات ناطق إذ انه ينطق عن اثبات الوجدانية وكذلك في الصلوات خفي وجهر فالخفي صامت والجهر ناطق وكذلك الايمان معرفة بالقلب وعمل بالجوارح فالمعرفة بالقلب صامت والعمل

(٢٢٢) « إثبات النبوءات » للداعي الاسماعيلي أبي يعقوب السجستاني الفصل العاشر .

بالجوارح ناطق لظهورها واعلانها وكذلك الآيات المحكمات في القرآن ناطق والمتشابه صامت ؛ لأنه يحتاج إلى بيان ومرشد وقد قرن الله تعالى وصي الدور الناطق بالصامت فقال في قصة نوح « اصنع الفلك بأعيننا ووحينا » وقال في قصة موسى « فarsله معي اني اخاف أن يكذبون » وقال : (وأرسلنا موسى واخاه هرون) وقال : (وجعلنا ابن مريم وامه آية) وقال في قصة محمد « أفمن كان على بينة من ربه) يعني محمد وبتلوه شاهد يعني علياً ومن قبله كتاب موسى اماماً ورحمة يعني دور موسى ومنزلة هرون دليل على دور محمد ووصيه على عليهما السلام وقوله : فلا تكن في مرية منه إنه الحق من ربك اي أنه الذي اقامه التالي شريكاً في اقامة الملة ولكن أكثر الناس لا يعلمون » (٢٢٣).

وعلى ذلك روى النعمان القاضي كذباً على رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال :

« مابعث الله نبياً قبلي إلا اخبره الله بى وبعلي وصي ، وأمر أن يأخذ البيعة لى وله على أهل ملته والأئمة من ذريته ، وبشرهم بنا » (٢٢٤).

إن الكرمانى له مكانته السامية عند الاسماعيلية ، وكتابه (راحة العقل) من أهم الكتب في الحقائق التي لا يسمح لكل واحد أن يطلع عليه إلا بعد إذن خاص من الذي إليه الأمر من الامام أو داعى الدعاة ، فننقل منه أيضاً ما قاله في هذا الموضوع فيقول الكرمانى :

« ويوجب كون الناطق قائماً بتربية الوصى وتعليمه وتبليغه كما له في عالم الدين بأن العقول المفارقة معنية بالأنفس في دار الطبيعة وخاصة النفس العاقلة ، وكون الوصى لو لم يكن عاملاً بالشرع وأحكامه ولا تابعاً للأوامر

(٢٢٣) « رسالة الأصول والأحكام » ص ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٣ . من (خمس رسائل اسماعلية) تحقيق عارف تامر .

(٢٢٤) « تأويل الدعائم » للنعمان القاضي تحقيق الأعظم ج ١ ص ٣٣٦ ط دار المعارف - مصر .

الإلهية لما كانت نفسه تنال كمالها، بأن النفس الحسية إن لم تفعل في المحسوسات لا تتصور المعقولات التي فيها كمالها. وكون نفس الوصي أولاً لا كنفس النبي صلى الله عليه وعلى آله وبتعليمها وعملها صارت مشابهة له فكانتا شبيهين، ولذلك شبه النبي صلى الله عليه وعلى آله نفسه بنفسه فقال عنه الله لما أمر بالمباهلة : « وأنفسنا وأنفسكم » بأن النفس الحسية لا تشبه المعقولات وعند تصورها بعلمها وعملها تصير مثلها فتكون شبيهها. وكون الوصي عند كماله وقيامه برتبته قائماً بالفعل فلا يشبهه عليه شيء من الأمور الشرعية والسياسية والأحكام ظاهراً وباطناً ولا يحتاج فيها إلى غيره كما كان من قبل محتاجاً إلى النبي، بأن النفس الناطقة في بلوغها كمالها استغناؤها عن غيرها. وكون الوصي قائماً بذاته في مرتبته ثابتاً لا يسلبه أحد ما شرفه الله به » (٢٢٥).

وأخيراً ننقل ما ذكره هبة الله الشيرازي في مجلس خاص عقده لبيان شأن الوصاية ومقام الوصي، فيقول :

« قوله تعالى « وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور » . . إلى قوله تعالى « وموعظة للمتقين » عني به ميثاق الوصاية للوصي كميثاق يوم الغدير حيث قال النبي (ﷺ) « ألتست أولى بكم من أنفسكم » قالوا : اللهم بلى . قال : اللهم اشهد على إقرارهم . ثم قال : « فمن كنت مولاه فعلى مولاه » فهذا هو الميثاق المأخوذ في دور موسى لوصيه أولاً . وفي دور النبي (ﷺ) لوصيه آخر، وقوله تعالى « ورفعنا فوقكم الطور » والطور جبل، والجبال أوتاد الأرض ومثلها في الباطن الحجج الذين هم أوتاد الدين . كالجبال للأرض . واشرف الحجج حجة الناطق (ﷺ) الذي هو أساسه، وهو الطور الذي أقسم الله عز وجل به، ولو لا كان الطور بهذه المثابة في الشرف لامتنع أن يقسم الله تعالى بجبل حماد، فليس للجمادات هذه القدرة . وسوى ذلك فإن الطور هو الجبل الذي كان موضع مناجاة الله تعالى لموسى وحامل

(٢٢٥) « راحة العقل » للكرماني ص ٤٨٢ ، ٤٨٣ .

جسمه، وهذا الشرط بوصى موسى في دوره، ولوصى محمد (ﷺ) في دوره
الليق وأشبهه منه من الجبل الذي يسمى الطور، فالوصاية حامل النبوة ومقر
استقرار قدمها والاستقلال بأعبائها وأثقائها. ولا يصح المناجاة التي هي
الاعتلاق بالحدود العلوية والارتباط بالأعيان الروحانية إلا من جهتها، وقوله
سبحانه « ورفعنا فوقكم الطور » يعني أقمنا الوصي ليكون لكم ظلاً ومعقلاً
وحرزاً ومثابة لعقولكم وأمناً. وقوله « خذوا ما آتيناكم بقوة » من جملة ما
أنعم الله سبحانه على القوم مما يأكلون ويشربون. والشئ المشار إلى أخذه
بالقوة ليس يكاد يعرف في متعارف القول وجهه، فإذا رجع به إلى بيان
التأويل كانت العلوم الحقيقة الصادرة عن الوصي (ﷺ) يحتاج حملها إلى
نفس قوية مهيأة لقبولها، موطأة لورودها عليها كما قال بعض الأئمة
الصادقين « عِلْمُنَا صَعْبٌ مُسْتَصْعَبٌ، سر مستسر لا يحمله إلا ملك مقرب،
أو نبي مرسل أو مؤمن قد امتحن الله قلبه للايمان وشرح به صدره ». فقد
بان وجه قوله سبحانه « خذوا ما آتيناكم بقوة » ولولا هذا الحكم لكان
القول لا يأوى إلى علاقة ولا يتمسك من الصحة بوثاقة. وقوله تعالى
« واذكروا ما فيه لعلكم تتقون » المعنى فيه أن الكلام التأويلي إنما هو موزانة
الدين بالآفاق والأنفس. فمن اطلع عليه بحقيقته كان مطلعاً على الآفاق
والأنفس كقول الله سبحانه « وفي الأرض آيات للموقنين وفي أنفكمس أفلا
تبصرون » فمن أجل ذلك قال تعالى « واذكروا ما فيه لعلكم تتقون » وقوله
سبحانه « ثم توليتكم من بعد ذلك فلولا فضل الله عليكم ورحمته لكنتم من
الخاسرين » معناه أنكم بعد أخذ ميثاق الوصاية وعقد البيعة نكصتم على
أعقابكم وارتددتم عن دينكم « ولولا فضل الله عليكم ورحمته » بأن جعل
أسباب الامامة موصولة فيأوى إلى الاعتلاق بها من لاذ بالتوبة وندم على
الخطيئة وانتبه من الرقدة « لكنتم من الخاسرين » الذين خسروا انفسهم
وشوهوا صورهم واعتاضوا عن الملكوتية سيطنة » (٢٢٦).

(٢٢٦) « المجلس الحادى والسبعون من المائة الثانية من (المجالس المؤيدية) ، المدرج في
كتاب (المجالس المستنصرية) للداعى علم الاسلام ثقة الامام ص ٢٢٢ ، ٢٢٣
تحقيق دكتور محمد كامل حسين ط دار الفكر العربي - مصر.

وهذا كله لدى من يعتقد أن النبي والوصي مستويان، . لا فرق بينهما،
وأن النبوة والوصاية، لا مفاضلة بينهما.

ولكن هناك من يعتقد من الاسماعيلية، ومن الفرق الشيعية الأخرى
عموماً، أن علياً أفضل من النبي لأنه هو مقصود الدعوة ومرادها، ولم تكن
دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا إليه، كما لم يؤخذ الميثاق من جميع
الأنبياء والمرسلين إلا للاقرار به وبوصايته وولايته. كما مرّ ذلك فيما سبق، وإن
العبادة لا تقبل إلا باتباعه هو، وبإقرار ولايته كما قال جعفر بن منصور
اليمن :

« و (صدّوا عن السبيل) يعني صدّوا عن علي، وهو سبيل الله الذي لا
تقبل العبادة إلا باتباعه » (٢٢٧).

وكما ذكر الحسن بن نوح الهندي :

لو أن عبداً أتى بالصالحات غداً	بورد كل نبي مرسل وولى
وصام ما صام صوام بلا ملل	وقام مقام قوام بلا كل
وعاش في الناس آلاف مؤلفة	عار عن الذنب معصوماً عن الزلل
ما كان ذلك يوم الحشر منتفعاً	الأحب أمير المؤمنين علي» (٢٢٨).

وبعبارة صريحة أكثر ما قاله صاحب (الكشف):

« قال الله عز وجل : (الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم)
قال : السبيل الواسع هو أمير المؤمنين صلوات الله عليه، وهو الصراط
المستقيم، فمن كفر بولايته ولقى الله بذلك أحبط الله عمله وأضل سعيه،
وجعله هباء منثوراً، وأكبّه على وجهه في النار، وإنه ليوافي الرجل منهم يوم
القيامة ولو أن له أعمالاً كالجبال الرواسي ولم يلق الله بولاية أمير المؤمنين فلا

(٢٧٧) « كتاب الكشف » لجعفر منصور اليمن ص ١٧٥ .

(٢٢٨) « كتاب الأزهار وجمع الأنوار » ص ٢٢٣ من (منتخبات اسماعيلية).

ينفعه عمله، وقال الله عز وجل: وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثوراً» (٢٢٩).

لأنه هو:

«النافخ روح التأويل في جسم الشريعة» (٢٣٠).

وهو: «المفرج كرب الرسول وهمه، سيف الله المسلول، وخيرته المقبول، المعجزة الباهرة، والقدرة القاهرة، لسان صدق جده ابراهيم صلى الله عليه وسلم. نبأ الله العظيم، والسهم الكريم، الذي تحركت المتحركات لظهوره، وسرت العناية الالهية لظهوره، ودارت لسيبه الأفلاك، وسبحت الأملاك، صالح المؤمنين، وأمين المتقين، وقائد الغر المحجلين، حوض الكوثر، والقمر الأزهر، فلما ظهر بهر، وقام فقهر، وأعزّ الاسلام ونصر، وأمدّه الله بلواء حمده والظفر، فأكمل به الدين، وأباد به الملحدين، وأيد به الموحدين، المثل المضروب للأولين والآخرين» (٢٣١).

وهو «كشاف الكرب عن وجه الرسول، وأمواج الردى المتلاطم» (٢٣٢)

وكيف لا يكون وهو الذي في السماء اله وفي الأرض اله» (٢٣٣).

ويقولون فيه أكثر من ذلك أن رسول الله ﷺ كان يوماً جالساً بين أصحابه:

(٢٢٩) «كتاب الكشف ص ٢٠.

(٢٣٠) رسالة (الايضاح والتبيين في كيفية تسلسل ولادة الجسم والدين) لعلي بن الوليد من (أربعة كتب اسماعيلية).

(٢٣١) «كنز الولد» للحامدي ص ٢.

(٢٣٢) «المجالس المؤيدية» للشيرازي ج ١ ص ٢٥٨ المجلس الثاني والخمسون ط دار الأندلس.

(٢٣٣) انظر «سائر النطقاء» لجعفر بن منصور اليمن مخطوط، ومثله في كتاب (كنز الولد) للحامدي ص ٢٢٥.

«واذ بسائر يرون خياله، فقال لهم الرسول: من أحب منكم أن ينظر إلى آدم وعلمه، ونوح في فهمه، وإبراهيم في حلمه، وموسى في مناجاته، وعيسى في معجزاته وستته، وإلى محمد في تمامه وكمالهِ وجماله فليُنظر إلى هذا الرجل المقبل، اذن هو، واذ هو، على صلوات الله عليه وآله» (٢٣٤).

هذا وأكثر من ذلك ما يروونه أن رسول الله ﷺ قد صدر عنه الذنوب بدليل قوله تعالى: (ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر)، وأن علياً لم يصدر منه ذنب إطلاقاً (٢٣٥).

ويروون كذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال:

«لما عرج بي إلى السماء أريت فيها شخصاً على مثال أخي علي، فقلت: سبقني أخي علي؟ فقليل: لا، وإنما الملائكة لما اشتاقت إلى رؤيته جعل الله ملكاً يشبهه، فهي إذا اشتاقت إليه نظرت إلى هذا» (٢٣٦).

وجعفر بن منصور اليماني روى هذه الرواية كاملة في كتابه عن رسول الله ﷺ أنه قال:

«لما عرج بي إلى السماء الرابعة رأيت علياً جالساً على كرسى الكرامة، والملائكة حافون به يعظمونه ويعبدونه ويسبحونه ويقدمونه، فقلت لحبيبي جبرئيل: سبقني أخي علي إلى هذا المقام؟

فقال لي: يا محمد، ان الملائكة شكت إلى الله شدة شوقها إلى علي لعلمها بعلوه ومنزلته، وسألت النظر إليه، فخلق الله هذا الملك على صورة علي وألزمهم طاعته. فكلما اشتاقوا إلى علي نظروا إلى هذا فيعبدونه ويسبحونه ويقدمونه، وذلك قوله عز وجل: ﴿هو الذي في السماء اله وفي

(٢٣٤) انظر «كتر الولد» للحامدي ص ٢٢٤، ٢٢٥.

(٢٣٥) انظر (تأويل الزكاة) لجعفر بن منصور اليماني ص ١٤٩ وما بعد - مخطوط.

(٢٣٦) «مسائل مجموعة من الحقائق العالية» ص ١١٨ من (أربعة كتب اسماعيلية).

الأرض اله وهو الحكيم العليم»، وقد قال رسول الله ﷺ : النظر إلى وجهه على عبادة» (٢٣٧).

وقد روى آخر هذه الرواية الحامدي، وقال في آخرها:

«ولاية على حسنة لا يضر معها سيئة» (٢٣٨).

وهناك رواية أخرى رواها الداعي (علم الاسلام وثقة الامام) في المجالس المستنصرية بقوله:

«عن رسول الله ﷺ أنه قال لا عرابي سأله عن ولاية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ فذكر له مناقب كان منها أن قال له : اذا كان يوم القيامة يؤتي بمنبري فينصب عن يمين العرش، ويؤتي بمنبر ابراهيم فينصب عن يمين العرش، يا أعرابي، والعرش له يمينان، فمنبري عن يمين ومنبر ابراهيم (عليه السلام) عن يمين، ثم يؤتي بكرسي عالٍ معروف بكرسي الكرامة فينصب بين المنبرين، فأنا عن يمين العرش على منبري، وابراهيم عن يمين العرش على منبره، وعلي (ﷺ) على كرسي الكرامة، وأصحابي الذين لم يبدلوا حولي، وشيعة علي المحقون حوله، فما قولك في وصي بين حبيب وخليل، يا أعرابي، أحب عليا حق حبه فما هبط علي جبرئيل (عليه السلام) الا سألتني عن علي وشيعته، ولا عرج من عندي الا قال: اقرأ عليا مني السلام» (٢٣٩).

وأما كون علي رضي الله عنه الخالق، والمحيي والمميت، ومرسل الرسل، ومجرى الأنهار المتصف بأوصاف غيرها لاتليق الا بالرب جل جلاله وعم نزاله، فقد مر ذكره فيما تقدم.

وننقل هنا روايات أخرى لم نوردها من قبل، منها ما رواوا عن علي رضي الله عنه أنه قال:

(٢٣٧) «سائر النطقاء» لجعفر بن منصور اليمن ص ٢٧٢، ٢٨٣ - مخطوط.

(٢٣٨) «كنز الولد» للحامدي ص ٢٢١.

(٢٣٩) «المجالس المستنصرية» ص ٩٣.

«سلوني عما كان وعما يكون إلى يوم القيامة» (٢٤٠).

وأيضاً «لا يشتبه على الوصى شيء من الأمور الشرعية والسياسية والأحكام» (٢٤١).

ويعتقدون في علي رضي الله عنه أنه يستطيع أن يتشخص كيف شاء، فيقول أحد دعائهم في كتابه (مسائل مجموعة من الحقائق العالية) جواباً عن سؤال من سأل في علي رضي الله عنه أنه كيف كان يقتل يمينه وشماله، وخلفه وقدامه وهو شخص واحد، فإذا كانت معجزة فكيف بيان هذه المعجزة؟.

يجيب عليه أحد دعائهم بقوله :

«ان هذه منه صلوات الله عليه من جملة المعجزات التي تقدم ذكرها التي لا يقدر عليها الا الرسول الوصي والأئمة صلوات الله عليهم أجمعين، وفي ضمن كل واحد منهم صلوات الله عليهم من الصور ما لا يحصى العدد، كل صورة منها قادرة على التشخص وعلى الانفراد أي وقت شاءت، وقد جاءت الرواية عن أصحاب رسول الله ﷺ، وعلى آله أنه لما كان في يوم أحد، واشتد القتال خرجت من عند رسول الله ﷺ وعلى آله وهو واقف، ووحيه معه في بعض المواضع، فلما وصلت العسكر رأيت رسول الله ﷺ وعلى آله وعلياً (عليه السلام) يحملان في عسكر المشركين فيلقيان الميمنة على الميسرة، والميسرة على الميمنة، ثم عدت إلى حيث عهدتهما فوجدتهما قاعدين ما تغير منها شيء».

فهذه الرواية تؤكد ما تقدم ذكره من التشخص بما شاءوا أي وقت شاءوا صلوات الله عليهم» (٢٤٢).

(٢٤٠) «المجالس المؤيدة» ص ٢٢٣ وإيضاً (الحقائق الخفية) ص ٢٤.

(٢٤١) «راحة العقل» للكرماني ص ٤٨٣.

(٢٤٢) «مسائل مجموعة من الحقائق العالية» ص ١٢٣ من (أربعة كتب اسماعيلية).

كما إنهم يقولون :

«إن قسط الناطق تلاوة القرآن ، وقسط الوصى شرح التأويل» (٢٤٣).

وقالوا :

«علي هو المبين مشكلات ما أتى به الرسول ﷺ» (٢٤٤).

وقال الشيرازي :

«لولا الوصى (عليه السلام) لما كان للمعارف الالهية وجود» (٢٤٥).

وأخيراً نذكر ما قالوا :

«قام النبي صلى الله عليه وآله بتبليغ الظاهر ، وصرف إلى وصيه نصف الدين وهو الباطن» (٢٤٦).

وعلى ذلك يقولون :

«ان عليا (عليه الصلاة) لم يعرفه أحد بالجملة حقيقة معرفته الا رسول الله صلى الله عليه وآله» (٢٤٧).

ورووا مثل ذلك عن علي نفسه أنه قال :

«ما عرف رتبتي الا رسول الله» (٢٤٨).

فهذا هو الوصي ، وهذه هي الوصاية عند الاسماعيلية .

وقد أعرضنا عن ذكر روايات كثيرة جداً في هذا الموضوع تجنباً للإطالة .

(٢٤٣) أيضاً ص ٤٢ .

(٢٤٤) «كتاب الأزهار» ص ١٨٥ من (منتخبات اسماعيلية) .

(٢٤٥) «المجالس المؤيدية» ص ١٤٤ .

(٢٤٦) المراجع السابقة .

(٢٤٧) المراجع السابقة .

(٢٤٨) المراجع السابقة .

الفصل الرابع

معتقدهم في الامامة والائمة

إن الامامة أصل من أصول الإسلام وقطب الدين وأساسه لدى الاسماعيلية، ودعامة من دعائمه^(٢٤٩)، وهي :

«فرض من الله سبحانه، أكمل به الدين، فلا يتم الدين إلا به، ولا يصح الإيمان بالله وبالرسول إلا بالإيمان بالامام، والحجة، ويدل على فرض الامامة اجماع الامة على أن الدين والشرعية لا يقومان إلا بالامام، وهذا حق لأنه سبحانه وتعالى لا يترك الخلق سدى، ولا يمنعهم هذه الفريضة التي لا تسوغ الهداية إلا بها، وإن الرسول نصّ على ذلك نصا تشهد به الامة كافة»^(٢٥٠).

ويروون روايات كثيرة لذكر أهميتها، وبيان حيثيتها. منها ما رواه النعمان بن محمد المغربي الفقيه الاسماعيلي عن محمد الباقر أنه قال :

«بني الإسلام على سبع دعائم : الولاية، وهي أفضلها، وبها وبالولي

(٢٤٩) وثبات الامامة، لأحمد بن إبراهيم النيسابوري، المقدمة، أيضا (مطالع الشموس) لشهاب الدين أبي فراس ص ١٥ من (أربع رسائل اسماعيلية) ط بيروت.

(٢٥٠) وتاج العقائد ومعدن الفوائد للداعي الاسماعيلي علي بن محمد الوليد ص ٦٥، ٦٦ ط مؤسسة عز الدين - بيروت - لبنان ١٩٨٢ م.

يوصل إلى معرفتها. والطهارة، والصلاة، والزكاة، والصوم، والحج،
والجهاد» (٢٥١).

وقال شرف على الاسماعيل: «ان الولاية خاتمة دعائم الاسلام» (٢٥٢).
وكيف أنها خاتمة الفرائض؟ يبينها الكرمانى بقوله:

«لما كان موجودا من حكمة البارى تعالى كبرياؤه أن كل ما خلقه غير
عالم ولا قادر، قد وكل به عالما قادرا يحفظه ويرعاه على هيئة ولولاه لتعطل،
وقرنها مثل العالم الكبير الذي هو الدنيا بأفلاكها ونجومها وأركانها التي
خلقها غير عالمة ولا قادرة، فوكل بها ملائكة مقرين يحفظون نظامها، وقرن
بينها، ولهم العلم والقدرة ولولاهم لتعطلت. ومثل العالم الصغير الذي هو
شخص البشر بأيديه وأرجله، ورؤوسه، وأحشائه، الذي خلقه الله تعالى
غير عالم ولا قادر، فجعل أمره إلى النفس تسوسه وتحفظ نظامه إلى الوقت
المقدر له، وقرن بينهما.

وهي عالمة قادرة، ولولاهما لتعطل كما يتعطل إذا فارقت، وكان ما جاء به
سيد الأنبياء وخاتمهم محمد ﷺ عن الله تعالى من الشريعة عالما برأسه، وكان
هذا العالم عالم الوضع بما يجمعه من الصلاة، والزكاة، والحج، وغيرها.
صورة أعمال، والأعمال أفعال، والأفعال غير عالمة بذاتها، وجب في الحكمة
من حيث وجب حفظها، ولا تعطلت أن أمرها إلى من يحفظها ويرعاها
كغيرها من العوالم.

ولذلك كانت ولاية الامام آخر الفرائض. فتم عالم الشرع به، وأخبر
الله تعالى حين فرضها فقال: (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم
نعمتي) (٢٥٣).

(٢٥١) «دعائم الإسلام» للقساى النعمان تحقيق آصف عهل أصغر فيضى ج ١ ص ٢ ط دار
المعارف مصر ١٩٦٣م، أيضا «تأويل الدعائم» ج ١ ص ٥١ ط دار المعارف مصر.

(٢٥٢) «عيون المعارف» لشرف على ط مطبعة محمدى بمبى.

(٢٥٣) «المصابيح في اثبات الإمامة» لأحمد حميد الدين الكرمانى المصباح الأول من المقالة الثانية
ص ٨٠ ط منشورات حمد - بيروت.

وقد ذكر المؤيد الشيرازي هذه الامامة التي يعبر عنها أحياناً بالولاية، وفرضيتها وأهميتها بتعبير آخر، فقال:

«فلو أن رجلاً عمل بفرائض الله تعالى والسنة التي جاء بها رسول الله ﷺ كلها، ثم لم يقرن بعمله اعتقاد ولاية الرسول [الآتي بها] لم يغن عنه ما عمل فتياً، ولم يتبع غير سبيل أهل النار سبيلاً، إذ ولاية الرسول كالمركز الذي تدور عليه دائرة الفرائض، فلا يصح وجودها إلا بوجوده، ولا تثبت صحتها إلا بصحته، وإذا كانت هذه نصبة الرسول في حياته كانت نصبة من يوليه أمر دينه مثلها في مماته؛ يدل عليه قول ﷺ للناس: «أست أولى بكم من أنفسكم؟ وفحواه الاذكار بقول الله سبحانه: «النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم».

فحين قالوا: نعم. قال صلى الله عليه وسلم: اللهم اشهد على اقرارهم. ثم قال: فمن كنت مولاه فهذا علي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، وأدر الحق معه حيث دار. الخبر المعروف؛ وكمثل ذلك تنصيب من يليه ومن يلي من يليه، ما انتقلت الولاية من واحد إلى واحد، وورثها ولد عن والد، فقد دلت الآية والعقل على أن الولاية هي الأصل الذي عليه موضوع الفرائض.

وهنا قول آخر: أن قول الله سبحانه لرسوله ﷺ في هذا الشأن: «وان لم تفعل فما بلغت رسالته» موجب بالضرورة شرطياً وهو أن من لم يقبل من الرسول ﷺ فرض الولاية آخرأ فكأنه لم يقبل منه فرائض الصلاة والزكاة وغيرها أولاً؛ ليقع الأمران سواء عند المقابلة، فالرسول إذا لم يبلغ الرسالة الآخرة فكأنه ما بلغ الأولى، والأمة أيضاً إذا لم يقبلوا منه الرسالة الآخرة فكأنما ما قبلوا الأولى في شأن الصلاة والزكاة وغيرهما مثلاً بمثل.

وقول آخر معلوم: أن الفرائض التي فرضها الله سبحانه في كتابه سوف يعرض لها من عوارض الأمور ما يعللها ويبطلها، ويدخل نقصاً عليها، كمثل الصلاة التي يستولي عليها النقص بالمرض، فيجعل قيامها قعوداً، أو

قعودها اضطجاعاً، وكمثل الزكاة التي يبطلها عدم المال، وكمثل الصوم الذي يبطل بعله السفر، وحيض الحائض، وعلة العليل؛ وكمثل الحج الذي يبطله عدم الاستطاعة والولاية هي الفريضة الثابتة التي لا شيء يبطلها ولا علة بحال من الأحوال تعلها. فقد دل ذلك على كونها أصل الفرائض وقطبها وقوامها، والتي لا تمتد أيدي العلل نحوها، وقول آخر: أن الله تعالى قسم فرائض دينه أقساماً فجعل الصلاة والصوم من الإنسان تكليف جسده، والزكاة تكليف ماله، والحج والجهاد تكليف جسده وماله، وجعل الولاية من بين الجميع تكليف قلبه الذي هو أمير الجوارح كلها إخباراً عن كون الولاية أميرة الفرائض كلها، إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو القى السمع وهو شهيد». (٢٥٤)

وإنها: «أبلغ منه من الله سبحانه على عباده وكرامة» (٢٥٥).

ولا تقبل العبادات إلا بالإقرار بها وبولاية أصحابها «الأئمة الطاهرين، سفن النجاة، وماء ينبيع الحياة، الذين بولايتهم تقبل الطهارات والصلاة والزكاة، وسائر الأعمال الصالحات المفروضات منها والمسنونات» (٢٥٦).

الأئمة الذين هم: «أعمدة الحق وأعضاؤه، وشموس الدين وأطواده الذين هدم الله بهم أركان الضلال، وبين من مكانهم الحرام والحلال، ولا يقبل الله عملاً من أعمال العباد» (٢٥٧).

وقال جعفر بن منصور اليماني:

«لا دين إلا بطاعة عليّ وولايته، ولا نعمة تامة إلا مودته ومحبه، ولا قبل

(٢٥٤) «المجالس المؤيدية» لهبة الله الشيرازي ص ٢٦، ٢٧ ط دار الأندلس - بيروت.

(٢٥٥) «نخفة المرتاد وغصة الأضداد» لعلي بن محمد بن الوليد ص ١٦٠ من (أربعة كتب اسماعيلية).

(٢٥٦) «كتاب الأزهار» لحسن بن نوح الهندي الجزء الأول ص ١٨٥ من (منتخبات اسماعيلية) بتحقيق الدكتور عادل العواط مطبعة الجامعة السورية - دمشق ١٩٥٨ م.

(٢٥٧) «الرسالة الواعظة» للداعي حميد الدين الكرمانى تحقيق دكتور محمد كامل حسين ص ١٥ ط القاهرة.

للأمة فرض ولا سنة، ولا عمل مفترض إلا بطاعة زوج البتول، وموالاته
وحبته والأئمة من ولده يرثون مقامه وفضله» (٢٥٨).

وبمثل ذلك قال أول قاض اسماعيلي (٢٥٩).

وقال في كتاب المهمة في آداب اتباع الأئمة:

«ويلزم من أقر بالله ورسوله ولم يعترف بامامة أولياء الله وأوصياء رسوله
ولو عبد الله على ذلك أيام حياته وطول مدته، لكان ممن قال الله جل ذكره:
(وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثوراً)، وكذلك هو إن أطاع
الله ورسوله بزعمه، وعصى إمامه أو كذب به فهو آثم في معصيته غير مقبولة
منه طاعة الله وطاعة رسوله ولا عمله مع جحده إمامه ومعصيته، إذ كان الله
عز وجل جمع تلك الطاعات، وافترضها ووصلها فلم يقطعها، وجمعها فلم
يفرق بينها، فمن وفي الله بعهدده ولرسوله وأوليائه فهو ممن قال الله تعالى:
(فسيوّيته أجراً عظيماً)، فالأجر العظيم الجنة، ومن نقض عهد الله من ميثاقه
وقطع ما أمر الله به أن يوصل فهو من الخاسرين الذين وصفهم الله عز وجل
في كتابه: (وهم الذين خسروا في الدنيا والآخرة)، خسروا رضاء الأئمة
عنهم في الدنيا، ورضاء الله عنهم في الآخرة، وصاروا إلى عذابه لقطعهم
هذه الطاعة التي أمر الله عز وجل بها أن توصل، فبالوفاء بعهد الله وعهد
أنبيائه وأوليائه وطاعتهم استحق المؤمنون اسم الإيمان، واستوجبوا ثواب
ربهم الذي وعدهم إياه في كتابه» (٢٦٠).

وذكر كذلك أيضاً الداعي الاسماعيلي على بن الوليد في آخر قصيدته
التي قالها في مدح أئمتيه:

«بآل طه أنا العبد المقرَّبُ أن لا دين إلا لمن كنتم له أمرا
لأنكم فلك طوفان الضلال بكم نجاة شيعتكم منه بغير مرا

(٢٥٨) «سرائر النطقاء» لجعفر بن منصور اليمني نقلًا من هامش الرسالة الواعظة ص ١٥.

(٢٥٩) أنظر «تأويل الدعائم» ج ١ ص ٦٠، و«تأويل الدعائم» ج ٣ ص ٨٧.

(٢٦٠) «كتاب المهمة» ص ٤٧، ٤٨.

بحبكم تقبل الأعمال ان قبلت
ومن قلاك لم يعلق بحبلكم
أنا المقصر في علمي وفي عملي
أسلمت نفسي اليكم وهي خائفة
لكنها وثقت منكم بكونكم
ويغفر الذنب للعاصين إن غفرا
ففي غد سوف يصلي راغبا سقرا
أرجو بحبلكم تميم ما قصر
عظيم ذنب لها عن ذاتها صدرا
يوم الشفاعة في العقبى لها وزراً» (٢٦١).

فالامامة ركن أساسي من أركان الدين (٢٦٢).

والامام مفروض الطاعة كما قال المعز :

« إن الله قد فضلنا وشرّفنا، واختصنا، واصطفانا، واجتباننا، وافترض طاعتنا على جميع خلقه، وجعلنا أئمة لجميع عباده، وأسبابهم لديه، ووسائلهم إليه، والوسائط بينهم وبينه، وكفى بهذا فضلاً وشرفاً » (٢٦٣).

وقال أيضاً :

« يانعمان، نحن أبواب الله والوسائل إليه، فمن تقرب بنا قبل، ومن توسل بنا وصل » (٢٦٤).

وبذلك قال النعمان في كتابه (الهمة في آداب اتباع الأئمة) :

« فأخبر جل ثناؤه أن مغفرته لمن ظلم نفسه لا تكون إلا من قبل أوليائه إذ هم أبواب رحمته، وأسباب مغفرته لعباده، ومن استشفع بهم شفّع، ومن استرحم بهم رحّم، ومن توسل بهم وصل، والذي جعل الله عز وجل من ذلك لرسوله صلى الله عليه وعلى آله فهو لمن وصل طاعته بطاعة الأئمة من أهل بيته، ولو لم يكن ذلك لا نقطعت رحمة الله عز وجل عن عباده وارتفعت

(٢٦١) الرسائل الاسماعيلية المختصرة جمع شتروطمان ص ١٦٢.

(٢٦٢) مصطفى غالب (تاريخ الدعوة الاسلامية) ص ٤٠.

(٢٦٣) كتاب « المجالس والمسائرات » للقاضي النعمان المغربي الجزء التاسع عشر ص ٤٢٠

ط المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية ١٩٧٨ م.

(٢٦٤) أيضاً الجزء الثاني ص ٧٢.

مغفرته لخلقه، وسدّت أبواب التوبة دونهم، وعدموا عفوه عنهم، كلا إن الله جل ثناؤه لم يخل أرضه من حجة على عباده، ومفزع وملاذ لخلقه، وباب لرحمته ودليل عليه لبريته رافة منه لعباده لئلا يكون عليه حجة لأحد من خلقه أن يقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير، ولم نجد لما جهلناه من عليم به ولا خبير، ولا مفزع نلجأ إليه في استغفار ذنوبنا» (٢٦٥).

ومن لم يعرف الامام فقد مات ميتة جاهلية كما نقلوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من مات ولم يعرف امام زمانه مات ميتة جاهلية » (٢٦٦).

وروا عن جعفر أنه قال :

« الجاهلية جاهليتان : جاهلية كفر، وجاهلية ضلال . أما جاهلية الكفر فما كان قبل مبعث النبي (ﷺ) ، أما جاهلية الضلالة فهي من جهل امام زمانه فضل عن معالم دينه وغرق في طوفان البدع والضلالات » (٢٦٧).

وذكر القاضي النعمان عن جعفر أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« من مات لا يعرف امام دهره مات ميتة جاهلية، فقال (عليه السلام) : إماماً حياً؟

قيل له : لم نسمع حياً، قال قد قال والله ذلك، يعني رسول الله (ﷺ) (٢٦٨).

وبمثل ذلك نقلوا أيضاً عن زين العابدين أنه سئل عن معرفة الله فقال : « معرفة الله معرفة امام الزمان » (٢٦٩).

(٢٦٥) «كتاب الهمّة» ص ٥٠، ٥١.

(٢٦٦) «المجالس المؤيدية» للشيرازي ص ١١٩ ط دار الاندلس بيروت، «رسالة الأسابيع» لقيس بن منصور ص ١٧٨ من (خمس رسائل الاسماعيلية).

(٢٦٧) «المجالس المؤيدية» ص ١١٩.

(٢٦٨) «دعائم الاسلام» للنعمان المغربي ص ٢٧ ط دار المعارف مصر ١٣٨٣ هـ.

(٢٦٩) «هفت باب ابو اسحاق» ط ايوانوف الباب الخامس ص ٣٧.

ولا تخلو الأرض من إمام أبداً، ظاهر أم مستور كما ذكر الداعي
الاسماعيلي على بن محمد بن الوليد :

« ويعتقد أن الأرض لا تخلو من حجة لله فيها، من نبي، أو وصي، أو
امام، يقوم المسائل، ويقيم الحدود، ويحفظ المراسيم، ويمنع الفساد في
الشرع، ويقبل الأعمال، ويزكي الأفعال، وتقام به الحجة على الطالب،
ويزيل المشكلات إذا حلت على المتعلمين، ويركز الأمة بعد غيبة نبيها، إذا
كان شخصه غير مستقر البقاء في العالم محفوظ النسب، معروف الولادة،
متبع دين آبائه، لا يرجع عن أقوامهم، ولا يقوم غيرهم، ولا يكون مأمون
خلاف غيره، ولا مشير في الفضيلة إلى سواه، متبوع لا تابع، مقصود لا
قاصد، مرغوب في حكمه، وصحة أفعاله، وتعاليمه، وهدايته » (٢٧٠).

وقال الداعي حسن بن نوح :

« ان الأرض لا تخلو طرفة عين من قائم لله بحق، لهداية عباد الله
وخلقه اما ظاهراً مشهوراً، أو باطناً مستوراً » (٢٧١).

وقال الداعي المطلق حاتم بن ابراهيم : لا يخلو عصر من إمام الخلق
يدعوهم إلى الالتزام من دينه » (٢٧٢).

وقالوا :

« إن نور الامامة غير منقطع وان توارى بالحجاب » (٢٧٣).

وقال السجستاني في شرح قوله تعالى : « يوم ندعو كل اناس بإمامهم »

(٢٧٠) « تاج العقائد » لعلي بن محمد الوليد المتوفي ٦١٢ هـ ط مؤسسة عز الدين - بيروت،
(٢٧١) « كتاب الأزار » لحسن بن نوح ص ١٨٩ من (منتخبات اسماعيلية) تحقيق دكتور
عادل العوا.

(٢٧٢) « تحفة القلوب » لحاتم بن ابراهيم، نسخة خطية ص ٢.

(٢٧٣) « رسالة الايضاح والتبيين » لعلي بن محمد بن الوليد ص ١٤٩ من (أربعة كتب
اسماعيلية).

« وجب أن يكون الامام في كل زمان ظاهراً أو مستوراً » (٢٧٤).

ولا يكون أحد اماماً إلا من أولاد علي، الحسن والحسين، ثم في أولاد الحسين، لا في أولاد الحسن، ثم في أولاد اسماعيل بن جعفر، لا في أولاد أحد غيره (٢٧٥).

ولا يكون الواحد منهم غير معصوم كما قال الكرمانى :

« إن الحاجة إلى الامام إنما كانت لأن يكون قائماً مقام الرسول (ﷺ) فيما كان يتعلق به من أمر الدين، وحفظ نظامه.

ولما كانت الحاجة إلى القائم مقام الرسول (ﷺ) لذلك، وكان لو جاز أن يكون غير معصوم لا يقع من أن يسلك بالأمة غير سبيل النبي (ﷺ) في بعض أحكامه أو كلها وكان ذلك مؤدياً إلى الظلم، وحمل الناس على شق العصا ومفارقة الجماعة، وجب أن يكون معصوماً فتكون عصمته سبب ائتلاف الجماعة » (٢٧٦).

وعلى ذلك قال المعز لدين الله الامام الاسماعيلي :

« فالحمد لله الذي منّ علينا بالعصمة، ولم يجعل لنا فيها حرّمة علينا من شهوة » (٢٧٧).

ويكون الامام عالماً بما كان وما يكون كما قال القاضي النعمان :

-
- (٢٧٤) « كتاب الافتخار » لأبي يعقوب السجستاني ص ٧٠ ط بيروت.
- (٢٧٥) أنظر « دعائم الاسلام » - باب ايجاب الصلاة على محمد وعلى آل محمد صلى الله عليهم أجمعين وأنهم أهل بيته وانتقال الامامة فيهم، ج ١ ص ٢٨ وما بعد، وكذلك (المصابيح في اثبات الامامة) المصباح الخامس من المقالة الثانية ص ١٠٩ وما بعد.
- « والأرجوزة المختارة » للقاضي النعمان ص ٣٠.
- (٢٧٦) « المصابيح في اثبات الامامة » للكرمانى المصباح الثاني من المقالة الثانية في اثبات عصمة الامام ووجوبها ص ٩٦، ٩٧.
- (٢٧٧) المجالس والمسائرات للقاضي النعمان الجزء التاسع عشر ص ٤١٨ ط تونس.

« وجاء عن أولياء الله من الاخبار عما كان ويكون من أمر العباد » (٢٧٨).

وقال الكرمانى في ذكر الحاكم بأمر الله :

« له معجزة بل معجزات ، واخبار بالكائنات قبل كونها وظهارا للعلوم المكنونة » (٢٧٩).

وقال المؤيد في الدين هبة الله الشيرازي :

« الأئمة يعلمون من أمر المبدأ والمعاد ما حجبته الله عن كافة العباد » (٢٨٠).

وروى النعمان القاضي عن المعز لدين الله أنه قال :

« لقد كان القائم بأمر الله قدس الله روحه ليأخذني وأنا في سنّ الأطفال فيضميني إلى صدره ويقبل ما بين عيني ويقول : أنت أبو تميم ، ويحمد الله ، وما كنت أدري يومئذ بذلك .

ثم قال : أفمن أودعه الله علم ما يكون يجهل فضله . . . فكيف بمن علّمه الله علم ما يكون مما لم يكن بعد » (٢٨١).

وقال النعمان أيضاً :

« وقول المعز (عليه السلام) : ان عندنا علم ما يطلب ، كقول جده على (عليه السلام) : سلوني قبل أن تفقدوني ، فوالذي فلق الحبة وبرأ النسمة لا تسألوني عن علم ما كان وما يكون ، وعن علم ما لا تعلمون إلا أخبركم به ،

(٢٧٨) « تأويل الدعائم » للقاضي النعمان ج ١ ص ١٤٥ .

(٢٧٩) « المصاييح في اثبات الامامة » للكرمانى باب في وجوب امامة الحاكم بأمر الله ص ١٤٠ .

(٢٨٠) « المجالس المؤيدية » لهبة الله الشيرازي ص ٤٤١ .

(٢٨١) « المجالس والمسائرات » للقاضي النعمان ص ٤٠٤ تحت عنوان (الأئمة يعلمون ما يكون قبل أن يكون) .

عَلَّمْنِيهِ النَّبِيُّ الصَّادِقُ عَنِ الرُّوحِ الْأَمِينِ عَنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَكَقَوْلِ جَدِّهِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) : « أَنْ الْعِلْمَ الَّذِينَ نَزَلَ بِهِ آدَمُ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) لَمْ يَرْفَعْ، وَانَّهُ يَتَوَارَثُ وَهُوَ فِينَا نَتَوَارَثُهُ » (٢٨٢).

وَلَا بَأْسَ أَنْ نَذْكُرَ هُنَا مَارَوَاهُ الدَّاعِي حَاتِمُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ عَنْ جَعْفَرٍ أَنَّهُ قَالَ : « إِنَّ الْمَلَائِكَةَ يَنْزِلُونَ عَلَيْنَا وَيَتَكَلَّمُونَ فَرَشْنًا » (٢٨٣).

وَقَالَ الْمُؤَيَّدُ فِي دِينِ اللَّهِ الشَّيرَازِيُّ فِي دِيَوَانِهِ الْمُسْتَنْصَرِ بِاللَّهِ الْإِمَامِ الْأَسْمَاعِيلِيِّ : « لَهُ مَلَائِكَةُ السَّمَاءِ جَمْعِيًّا » (٢٨٤).

وَيَجِبُ أَنْ يَكُونَ الْإِمَامُ مَنْصُوصًا عَلَيْهِ وَمَعِينًا مِنْ قِبَلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، كَمَا ذَكَرَ الْقَاضِي النُّعْمَانُ تَحْتَ عُنْوَانِ (لَيْسَ لِلنَّاسِ أَنْ يَقِيمُوا لَهُمْ إِمَامًا فَتَجِبَ طَاعَتُهُ، بَلِ الْإِمَامَةُ نَصٌّ وَتَعْيِينَ فَلَوْ كَانَ لِلنَّاسِ أَنْ يَقِيمُوا لَهُمْ إِمَامًا فَتَجِبَ طَاعَتُهُ بِأَقَامَتِهِمْ إِيَّاهُ لَوَجِبَ كَذَلِكَ أَنْ يَقِيمُوا نَبِيًّا وَهَاهُنَا تَعَالَى اللَّهُ عَنْ قَوْلِ الْمُضِلِّينَ الظَّالِمِينَ » (٢٨٥).

وَقَالَ الْكُرْمَانِيُّ :

« لَمَّا كَانَ أَقَامَةُ الْحُدُودِ عَلَى الْأُمَّةِ إِلَى الْإِمَامِ مِنْ دُونِهَا، وَكَانَ إِذَا كَانَ أَقَامَةُ الْحُدُودِ الَّتِي هِيَ بَعْضُ الرُّسُومِ الشَّرْعِيَّةِ الْمَبْسُوطَةِ إِلَى الْإِمَامِ مِنْ دُونِ الْأُمَّةِ، كَانَتْ أَقَامَةُ الْإِمَامِ الَّذِي بِهِ تَتَعَلَّقُ كُلُّ أُمُورِ الشَّرِيعَةِ، وَمَقَامُهُ مَقَامُ رَبِّ الْعَالَمِينَ أَوْلَى أَنْ لَا يَكُونَ إِلَى الْأُمَّةِ، كَانَ مِنْ ذَلِكَ الْإِجْبَابُ بِأَنْ الْاِخْتِيَارَ مِنْهَا بَاطِلٌ، إِذَا اخْتِيَارَ الْأُمَّةُ إِمَامَهَا بَاطِلٌ » (٢٨٦).

(٢٨٢) « الْمَجَالِسُ وَالْمَسَائِرَاتُ » لِلْقَاضِي النُّعْمَانِ ص ٢٧٢.

(٢٨٣) « تَحْفَةُ الْقُلُوبِ » لِلدَّاعِي حَاتِمِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ نَسْخَةُ خَطِيَّةٍ ص ٩٦.

(٢٨٤) انْظُرْ « دِيَوَانَ الْمُؤَيَّدِ فِي دِينِ اللَّهِ » ص ٢٤٤.

(٢٨٥) « الْمَجَالِسُ وَالْمَسَائِرَاتُ » لِلْقَاضِي النُّعْمَانِ الْجُزْءُ السَّابِعُ ص ١٨٣.

(٢٨٦) « الْمَصَابِيحُ فِي اثْبَاتِ الْإِمَامَةِ » لِلْكُرْمَانِيِّ الْمَقَالَةُ الثَّانِيَّةُ فِي بَطْلَانِ اخْتِيَارِ الْأُمَّةِ إِمَامًا

وقال النعمان :

« إن الامامة بالنص والتوقيف الذي لا تدخل على القائل به حجة ، ولا تلزمه معه لخصمه علة » (٢٨٧).

وقال مؤلف (الهداية الأمرية) في شرح قول الله تعالى : (فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون) :

« هذه الآية عند أهل التأويل هي بيان أمثال هؤلاء الذين يعملون في اختيار الأئمة على آرائهم جهلاً بحدود الله ، وافتراء على الله والكتاب الذي كتبه بأيديهم مثل الامام الذي اختاروا برأيهم ورأي الماكرين من مقدميهم الخ » (٢٨٨).

ويكون الإمام أفضل ممن سبقه كما قال أبو يعقوب السجستاني في كتابه :

« لما كانت الإمامة متولدة من النبوة ثم وجدت الإمامة تزداد عند كل إمام شرفاً وفضلاً ويظهر ذلك عند بلوغ الإمامة إلى السابع من الأئمة فإنه يصير ناطقاً ، فلو لم يكن فيه من الفضل والشرف ما ليس في الأئمة الذين تقدموه لم يبلغ إلى مرتبته الناطقية ، وإذا كان للسابع من الأئمة الفضل والشرف على من تقدمه ظاهراً كان للسابع أيضاً الفضل على من تقدمه ، وللخامس كذلك الفضل على من تقدمه إلى أن ينتهي الأمر إلى أول الائماء » (٢٨٩).

وقال القاضي النعمان :

« لا يأتي إمام إلا أعطاه الله فضل الإمام الذي مضى قبله ، وعلمه ،

(٢٨٧) « دعائم الاسلام » للقاضي النعمان ج ١ ص ٤٢ ، تحقيق آصف على فيض ط دار المعارف ١٩٦٣ م .

(٢٨٨) « الهداية الأمرية » ص ٦ تحقيق آصف على فيض ط الهند .

(٢٨٩) « كتاب إثبات النبوات » للسجستاني - الفصل السابع من المقالة الخامسة ص ١٦٦ ط المطبعة الكاثوليكية بيروت - لبنان .

وحكمته، وزاده مثل ستة أسباع ذلك» (٢٩٠).

ولا يعترض على الإمام كما مرّ بيانه في باب النسب من هذا الكتاب عن النعمان القاضي أنه قال:

«أدّبوا أنفسكم أيها المؤمنون، وانهبوا عما تنكره من أفعال الأئمة... وسلّموا كما أمركم الله تعالى بالتسليم لهم، وأطيعوهم كما افترض الله عليكم طاعتهم، وأحذروا خلافهم والاعتراض عليهم» (٢٩١).

ولا يكون الإمام من لا عقب له كما قال الكرمانى:
«إن الإمامة لما كانت في عقب جعفر (عليه السلام)، وكان الإمام لا ينص على من يجعله إماماً إلا بعد أن يعلم أنه يصلح لها، وكان أول ما يستصلح للإمام في إمامته أن يكون لا عقبياً، ثم وجود عقبه ونسله. إذ من كان لا عقب له لا يستحق الإمامة» (٢٩٢).

وعلى ذلك قالوا: «إن الإمام يستخرج ولده وينصّ عليه» (٢٩٣).

ولا يكون أحد إماماً في الدنيا وأبوه حيّ كما ذكر ذلك القاضي النعمان في كتابه تأويل الدعائم (٢٩٤).

وأخيراً نذكر أنهم يعتقدون أن الإمام يستطيع أن يتجسد في صورة أيّ شخص شاء كما قالوا:

«إن الأئمة صلوات الله عليهم هم من الفضل والشرف وعلو المنزلة ما يقدرّون به على اظهار المعجزات الخارقة للعادات، ويتشخصون للبشر كيف شاءوا بأي شخص أرادوا على ما يقتضيه الزمان وتوجبه سياستهم وظهور

(٢٩٠) «المجالس والمسايرات».

(٢٩١) «كتاب الهمة» باب ذكر النهي عن إنكار أفعال الأئمة ص ١٣١ نشر وتحقيق كامل حسين ط دار الفكر العربي القاهرة.

(٢٩٢) «المصابيح في اثبات الإمامة» للكرمانى ص ١٣١.

(٢٩٣) أنظر (مسائل مجموعة من الحقائق العالية) ص ٧٥ من (أربعة كتب اسماعيلية).

(٢٩٤) انظر ج ٢ ص ١٠٦.

مولانا اسماعيل بن جعفر صلوات الله عليهما معجزة أظهرها لبيّن بها فضله وعالي مرتبته، وذلك مما أقدرهم عليه المحتجب بهم (٢٩٥).

فهذا هو الإمام عند الاسماعيلية، الذي قال عنه عبد الله المرتضى الاسماعيلي:

«أما الإمام فهو الإمام المعصوم، أو قطب دائرة الوجود، أو الألف المتحرك، أو قطب الغوث، أو مظهر عين الجمع، أو مجموع المظاهر، أو النبا العظيم، أو باب حطة، أو سفينة النجاة، أو صاحب العصر، أو الصراط المستقيم، أو روح الوجود إنه لذو نعوت جمّة وصفات عديدة قلما يدركها إلا الحكيم الخبير» (٢٩٦).

وقال الداعي الاسماعيلي حاتم بن ابراهيم:

«الإمامة شاخحة البيان، ناصبة الأركان كما قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام): إن لي منزلة ما عرفها إلا رسول الله والأئمة من ولده، ونحن نذكر طرفاً مما جاء عن أئمة الحق عليهم السلام نوضح به عالي منازلهم وسامي مراتبهم وما يجب لهم وأن نعتقد فيهم من ذلك ما قال مولانا المعز لدين الله (عليه السلام): في خطبة له وهو:

الحمد لله موحد الأحاد، أدلة على وحدانيته، ومجدد الأمجاد بمجد ربوبيته، مؤزل الأزل بأزل لاهوتيته... أحمدته على ما به أفردنا وخصّنا وانتجنا بحرف اللام في الظلال، وأبرزنا في أشخاص بلا مثال، وجعلنا سبب العز سلطانه الكبير المتعال، فنحن أبوابه وخزانه ووجهه وجنبه ويداه المسبوطتان في عبادته، نحن باب حطته الذي من دخله غفرت ذنوبه، وكشفت كروبه، ونحن باب إلى بيته المعمور، وسقفه المرفوع، والصراط المستقيم، والنبأ العظيم...

(٢٩٥) «مسائل مجموعة من الحقائق العالية» ص ١٢٠ من (أربعة كتب اسماعيلية).

أيها الناس، قد بينا لكم ذكراً فاذكروا تمام النعمة عليكم بنا، وكمال الدين الذي رضي الله لكم ديناً، دين الإسلام... ونحن كماله وتمامه ومنتهاه، إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً، إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير. لم يزل يظهر الله بظهورنا في كل وقت وأوان سلطاناً ليظهر بنقصه فضلنا، وبفساده صلاحنا... اللهم أغفر لي وللمؤمنين والمؤمنات ولا تزد الظالمين إلا تباراً، والسلام عليّ يوم ولدت ويوم أموت، ويوم أبعث حياً في الكون بشراً شريفاً، وفي المعاد نوراً إلهياً لطيفاً، منه بدأ وإليه يعود» (٢٩٧).

وليس هذا فحسب، بل وأكثر من ذلك حيث يقول المعز الاسماعيلي هذا:

«نحن النجباء الأبرار، المصطفون الأخيار، نجل محمد سيد النبيين وخاتم المرسلين، لا ينكر حقنا إلا معاند، ولا يدفعه إلا مكابر، ولا يجمله إلا جاهل، ولا يدّعيه إلا ظالم. خصصنا بولادة النبي والوصي، وأورثنا الإمامة، وأعطينا الكرامة، وفضلنا على العالمين. ولو شئنا أن نقول إنا كنا مع آدم لقلنا، لأن الله تعالى لما خلق آدم (عليه السلام) نظر فرأى في ساق العرش مكتوباً: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، أيده بعليّ وأورثته به. فقد ذكرنا الله عزّ وجل قبل أن يخلق آدم، فمن يدّعي هذا معنا، أو من يدّعي فيه فضلنا؟» (٢٩٨).

وعلى ذلك خاطبه الشاعر الاسماعيلي المغربي المشهور ابن هانيء في قصيدة قالها في مدحه بالقيروان:

«هذا ضمير النشأة الأولى التي بدأ الآلة وغيبها الكونون
من أجل هذا قدر المقدور في أم الكتاب وكون التكوين

(٢٩٦) «الفلك الدوار» لعبدالله المرتضى ص ٢٨.

(٢٩٧) «تحفة القلوب» - نسخة خطية ص ٨٩، ٩٠، ٩١.

(٢٩٨) «المجالس والمسائرات» ص ٢٠٩، ٢١٠.

وبذا تلقى آدم من ربه وفاء ليونس اليقطين» (٢٩٩)

وقال أيضاً في قصيدته التي قالها في مدحه، وهنته بها بشهر رمضان :

«ملك إذا نطقت علاه بمدحه خرس الوفود وأفحم الخطباء
هو علة الدنيا ومن خلقت له ولعلة ما كانت الأشياء
من شعلة القبس التي كانت على موسى وقد نارت به الظلماء
من معدن التقديس وهم سلالة من جوهر الملكوت وهو ضياء» (٣٠٠)

ويمثل ذلك قال ابن المعز لدين الله الاسماعيلي الأمير تميم الذي كان ولي عهده ثم أبعدته، قال هذا في أخيه العزيز بالله - الإمام الاسماعيلي :

«ما أنت دون ملوك العالمين سوى روح من القدس في جسم من البشر
نور لنظيف تناهي فيك جوهره تناهيا جاز حد الشمس والقمر
معنى من العلة الأولى التي سبقت خلق الهيولي ويسط الأرض والمدر
فأنت بالله دون الخلق متصل وأنت لله فيهم خير مؤتمر» (٣٠١)

وليس ذلك فحسب بل يقول المعز نفسه أيضاً كما نقله عنه الداعي الإسماعيلي في مناجاته التي نقلناها في الالهيات :

«إلهي كنت رتقك قبل أن تظهر في بغتقك، وأوجدت عني خلقك،
وصدرت عني دنياك في الذات والأسماء والصفات، ولست أنا بك متصلاً،
ولا عنك منفصلاً، إذ أنا بك تبعيض... وأنا قدرتك وبرهانك، واراذك
ومكانك» (٣٠٢).

(٢٩٩) أنظر «ديوان ابن هاني» القصيدة ٥٣ الأبيات ٢٤، ٢٥، ٢٦ ص ٧٣٣ بتحقيق وتشريح الدكتور زاهد على ط مطبعة المعارف ١٣٥٢هـ.

(٣٠٠) أنظر «ديوان ابن هاني» الأبيات ٣٤ وما بعد ص ١٥، ١٦.

(٣٠١) «ديوان تميم بن المعز لدين الله» قافية الراء ص ٢٢٤، ٢٢٥ تحقيق محمد حسن الأعظمي ط دار الثقافة بيروت لبنان ١٩٧٠م.

(٣٠٢) «أجزاء عن العقائد الاسماعيلية» للداعي إبراهيم ص ٤٨ جمع وتحقيق المشرق كوثيارد ط باريس.

يعني أن الإمام هو الإله المتجسد في صورته كما ذكر ذلك وأقربيه
الحامدي، ونقل ذلك أيضاً عن إخوان الصفاء، وجعفر بن منصور اليماني
حيث قال:

«ان اتصال الصورة الروحانية الظاهرة من الباب، وأفعالها بها، واتصال
الإبداع بها، خصوصاً لها وبها لغيرها، وظهورها بالحدود، واتصال الإبداع
بمبدعه سبحانه، وإنها سلسلة مرتبطة بعضها ببعض، أبداً سرمداً، على ما
قال الحكيم: أعلم أن الغيب سبحانه متحد بإبداعه، ناطق به، محتجب به،
وهو اسمه الأعظم، والمسمى الأعظم، والمسمى لجميع الموجودات، الداعي
إلى ذاته بذاته، الأول قبل كل شيء، والآخر بعد كل شيء، الناص من
الإمام الماضي على الإمام الآتي في آخر دقيقة، والظاهر في الحال لكونه المسلم
المتسلم، الذي لا يغيب طرفه عين، أبدي سرمدي، أزلي الغاية، يظهر بما
شاء كيف يشاء، بأجل هياكله النورانية وأدناها إليه بحدوده الروحانية.

فالمبدع إذا أراد إظهار المعجزة حرك تلك الصورة المجردة النورانية التي
لا تحد ولا توصف ولا تدرك، ولا تجري عليها عوارض الفناء الانبعاثية،
الانبعاث الثاني الموجودة بالغلاف الذي هو الإمام، والصورة هي الإمامة،
سطع نورها وأشرق ظهورها، فحجبت الغلاف حتى لا يُرى، ولا يعاين
الأنوار، يخطف الأبصار، على سبيل من يمد بنظره إلى نور الشمس يكمه،
ويرتد طرفه خاسئاً، وهو حسير. والمثل بالمثل وذلك أيضاً بتأثير نور الإبداع
فيه، تجلية به؛ فالإبداع لا يجب أن يوصف بالحلول والسكون بل كما قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك: وأيم والله قلب أشرق لله، فأشرق الله
منه.

وقال جعفر بن منصور اليماني في بعض أوضاعه: الحمد لله ذي العلو
والسلطان، والكبرياء والبرهان، كل يوم هو في شأن لا يشغله شأن عن
شأن، ظاهره إمامة، وباطنه غيب، لا يدرك، وهو آية الحدود، السبعة،
حتى يقال إمام مفترض الطاعة، وهو البشرية والإنسية، والجنية والملكية،
والظاهر والباطن، والصفة.

ولما تمت هذه الحدود قيل له إنه الإمام، كما قيل في التنزيل: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾. وتفسير ذلك أنه علينا سلامة، ظهر في بشرية الخلق كما يشاء، بلا أعراض. وأمّا الإنسانية فيأنس إليه كل شيء بطاعته، والأشياء، هم النقباء، والنجباء، والموحدون. وأمّا الجنة فهي جن علمه كل شيء. ومعنى الجن فهو الإحاطة بالأشياء، وأمّا الظاهر فإظهاره على الأشياء بقدرته. وأمّا الباطن فهو حاضر في السرائر عالم في الضمائر. وأمّا الصفة فهو الموصوف بكل اللغات، حتى يعرف الطير في وكره، والوحش في غابته. والملكية، فملك كل شيء وعلا عليهم فلم يخرج أحد من تحت طاعتهم له، وتسليمهم إليه، من الجن والإنس، والطير والهوام. وكل ما خلق وذراً وبرأ، فإنه مالك الأشياء كلها منه بدأت وإليه تعود، سبحانه لا هوته المحجوب عنا، وعن ناسوته المظهر لنا. ظهر لخلقه بخلقه، من حيث خلقه. فقد ظهر نفس المعنى أن لا هوته المحجوب هو الإبداع الذي هو المبدع. وناسوته المظهر لنا هوتلك الصورة المجردة، وظهوره لخلقه بخلقه يعني بالغلاف، لأنه في حد الخلق» (٣٠٣).

وعلى ذلك فالاسماعيلية كانوا يخاطبون أئمتهم مخاطبة العبد لربه، ويصفونهم بأوصاف الإله القادر المختار، فأبيات ابن هانيء مشهورة معروفة التي قالها في المعز الاسماعيلي:

ماشئت لا ما شاءت الأقدار	فاحكم فأنت الواحد القهار
وكأنما أنت النبي محمد	وكان أنصارك الأنصار
أنت الذي كنت تبشرنا به	في كتبها الأحبار والأخبار
هذا امام المتقين ومن به	قد دَوَّخَ الطغيان والكفار
هذا الذي ترجى النجاة بحبه	وبه يحط الأصر والأوزار
هذا الذي تجدى شفاعته غدا	حقاً، وتحمد إن تراه النار» (٣٠٤).

(٣٠٣) «كنز الولد» للحامدي ص ١٩٣، ١٩٤، ١٩٥ ط دار الأندلس.

(٣٠٤) «ديوان ابن هانيء» القصيدة الرابعة والعشرون ص ٣٦٥.

وكتب مصطفى غالب الاسماعيلي :

«الاسماعيلية يعتبرون من حيث الظاهر أن الأئمة من البشر ولكن في التأويلات الباطنية يسبغون عليه وجه الله، ويد الله، وجنب الله، وأنه هو الذي يحاسب الناس يوم القيامة، وهو الصراط المستقيم، والذكر الحكيم، إلى غير ذلك من الصفات» (٣٠٥).

ويمثل ذلك نقلوا عن محمد الباقر أنه قال :

«نحن الأئمة أولياء الله، لا يفتر علينا من علمه شيء لافي الأرض، ولا في السماء، نحن يد الله وجنبه، ونحن وجه الله وعينه، وأينما نظر المؤمن يرانا، ان شئنا شاء الله، ولا تلقه الا إلى أهله، وأحمد الله الذي اصطفانا من جلته نور قدرته، ووهبنا سرّ علم مشيئته» (٣٠٦).

ويمثل ذلك قال الداعي الاسماعيلي المؤيد الشيرازي في المستنصر بن الظاهر بن الحاكم - الامام الاسماعيلي في دور الظهور :

«أمستنصر ايا ولي الاله	به، ما جدا مالكا للرقاب
لأمرك وجهت وجهي حنيفا	وأسلمت نفسي في كل باب
فوجهك وجه الاله المنير	ونورك من نوره كالخجاب
يداك يد الله مبسوطتان	وأنت له الجنب غير ارتياب
إليك المآب، عليك الحساب	فطوبى لمن نال حسن المآب
وأنت المنيب لأهل الثواب	وأنت المعاقب أهل العقاب
فذاك ابن مرسى الذي لم يزل	إلى عز طاعتكم ذا انتساب
وما زال آباؤه في العبيد	سراة العبيد وخير الصحاب
عليك السلام مدى الدهر ما	بدا الروض من وابل ذى انسكاب» (٣٠٧).

(٣٠٥) «تاريخ الدعوة الاسماعيلي» ص ٤٠ ط بيروت.

(٣٠٦) «المفت الشريف» تحقيق مصطفى غالب الاسماعيلي ط دار الأندلس - بيروت لبنان ١٩٨٠ م.

(٣٠٧) «ديوان المؤيد في الدين» داعي الدعاة القصيدة الحادية عشرة الأبيات ٣٤ إلى ٤٢ ص ٢٣١ تقديم محمد كامل حسين ط دار الكتاب المصري - القاهرة ١٩٤٩ م.

وقال في المستنصر وآبائه أيضاً:

«من نور ربي خلقوا طابوا وطاب الخلق» (٣٠٨).

وقال:

«مولانا الامام ابي نعيم
قسيم النار مولانا معد
وهو المستنصر المنصور مول
ونجم السعد للتالين ذكرنا
نجوم في ظلام البر تهدي
نجوم يستضاء بهم رجوم
هو الذكر الحكيم الحي قامت
هو (البلد الأمين) عليه دلت
ورحمة ربنا فينا تجلت
وليس سواه يسأل عن نعيم

هديت إلى صراط مستقيم
وجنات العلى وابن القسم
هو القسم العظيم من العظيم
وعراف المواقع للنجوم
ولج البحر في الليل البهيم
لشيطان يعاديه رجيم
دلائله من الذكر الحكيم
معاني (الركن) منه (الخطيم)
وذاك الفضل من رب رحيم
إذا وقع السؤال عن النعيم» (٣٠٩).

وقال المؤيد أيضاً في أمامه:

«له الحكم في جسمي الذي هوربه
ونفسي لها أعلى الذرى فمتى ابتغى
فظل الامام الفاطمي يحوطها
امام هو البحر المحيط وكل من
امام به لا ذ البرية كلهم
تخر لذكراه الملائك سجدا
هو السيد المستنصر الماجد الذي

ألا فلينل منه الذي هونائل
تناولها بالخسف والحيل
وتكنفها من أياد جزائل تناول
سواه إليه بالقياس جداول
إذا ناههم هول من الدهر هائل
كما لاسمه في الأرض تعنو القبائل
يحق به حق ويبطل باطل

(٣٠٨) «ديوان المؤيد الشيرازي» القصيدة الخامسة والعشرون ص ٢٦٤.

(٣٠٩) أيضاً القصيدة الثانية والخمسون ص ٣٠٠.

هو البيت بيت للاله مقدس وسيف لهام الكفر والشرك فاصل
هو الوجه وجه الله والجنب جنبه من الوحي قد قامت عليه الدلائل» (٣١٠).

وقال ابن هاني في المعز:

«شهدت لأهل البيت أن لا مشاعر اذا لم تكن منهم وأن لا مناسك
وماكنه هذا النور نور جبينه ولكن نور الله فيه مشارك» (٣١١).

وقال الأمير تميم في الامام الاسماعيلي العزيز بالله ابن المعز أخيه:

«ملك تزيد طباعه كرما على خلق المعز وشيعة المنصور
أنا عبدك المخلوق منك وانني لجميل ما أوليت ألف شكور» (٣١٢).

وقال فيه أيضاً:

«هذه فضائلك التي قد نزلت بالنص في أي الكتاب المنزل
عجبا لأبصار تراك ولودرت مقدار فضلك كنّ عنك بمعزل» (٣١٣).

وبمثل ذلك قال المؤيد الشيرازي في الامام الاسماعيلي المعز أنه حجة الله، وكعبة الله، المقام المحمود، والحاضر الموجود- ثم قال:

«وله الرتبة التي قال فيها الله للمصطفى دنا فتدلى
وله الخوض فهو يسقى مو اليه رحيقا، وضده يتقلّى
وله القائمون لله بالقس ط هداة كانوا إلى الله سبلا
صاحب المعجزات، والمظهر الآ يات في العالمين قولاً وفعلاً» (٣١٤).

(٣١٠) «ديوان المؤيد الشيرازي» القصيدة التاسعة والخمسون ص ٣١١، ٣١٢.

(٣١١) «ديوان ابن هاني» القصيدة السابعة والثلاثون الأبيات ٢٢ و ٢٩ ج ٢ ص ٥٠٩ و ٥١١.

(٣١٢) «ديوان الأمير تميم بن المعز» قافية الراء ص ٢٠٩.

(٣١٣) أيضاً قافية اللام ص ٣١٤.

(٣١٤) «ديوان المؤيد في دين الله» القصيدة الحادية والعشرون الأبيات ١٢ إلى ١٥ ص ٣١٤.

وقال المؤيد أيضاً في المستنصر:

وسيفه بين الأعادي يشهر
توجد فيه فهو الامام
مولى به بيت الهدى معمور^(٣١٥).

وله المقام والصفاء والشعر
تأملوا من هذه الأعلام
أجل هو المستنصر المنصور

وقال أيضاً في المستنصر:

من بلقياه اخضر العود رطباً
مستقلاً، وأمره مستتباً
بعد اذ قام منهن قطباً
بعد فرط الهمود حباً وأباً
فائضاً في الأنام سكباً فسكباً
سيد العالمين عجباً وعرباً
ضلّ في شأنه أخو اللب لباً
أهل شرك، ولا نسّميك ربّاً
أم لنعليك ليتنى كنت ترباً^(٣١٦).

والامام المستنصر العائد، الذي
وبه عالم الملائك أسمى
واستقامت أفلاكه دائرات
وبه الأرض أنبتت باهتزاز
وبه ماء رحمة الله أسمى
حبذا مصر بالامام معد
يا مسيحاً يكلم الناس طفلاً
لست دون المسيح، سمّاه ربّاً
ترب نعليك ليتنه كحل عيني

ونقلوا عن جعفر بن محمد أنه قال:

«ما عرف الله أحدا غاية فضلنا إلا مقدار شعرة بيضاء في ثور أسود»^(٣١٧).

ونقل مصطفى غالب الاسماعيلي أشعارا في مدح الأمر بأحكام الله من

أحد الشعراء:

بشر في العين الا أنه
جل أن تدركه أعيننا
عن طريق العقل نور الهدى
وتعالى أن نراه جسدا
تدرك الأفكار فيه بانينا
كادم من أجلاله أن يعبداه^(٣١٨).

(٣١٥) أيضاً القصيدة الثانية ص ٢٠٦.

(٣١٦) القصيدة الخامسة عشرة الأبيات ٢٧ و ٣١ إلى ٣٨ ص ٢٤١.

(٣١٧) «الهفت الشريف» بتحقيق مصطفى غالب ص ١٧٧.

(٣١٨) مرجع سابق.

وأما السجود بين أيديهم فقد ذكر القاضي الاسماعيلي النعمان المغربي أنه من لوازم الآداب للأئمة، فلقد ذكر في كتابه (الهمة في آداب اتباع الأئمة) تحت عنوان (ذكر الآداب في السلام على الأئمة صلوات الله عليهم والكلام بين أيديهم):

«تعظيم الأئمة صلوات الله عليهم من تعظيم الله عز وجل، إنه إن ما يراد من تعظيم طاعته، ويتغنى مرضاته لا شريك له، وقد رأينا أوصياءهم وولاة عهودهم يقبلون الأرض في سلامهم عليهم بين أيديهم إجلالا لهم وعلمًا بقدرهم ومعرفة بما أوجب الله لهم، فأتباعهم أحق من اقتدى في ذلك بهم ويتقرب إلى الله بتعظيم أوليائه غير مستكفين ولا مستكبرين عنه، والرعاع وأوباش الناس والعوام ينكرون ذلك ويرونه سجودا من دون الله لهم تعالى عن قولهم ونزه أوليائه عن افترائهم عليهم، وللسجود حقيقة هي غير تقبيل الأرض عند كل من نظرهم شيء من العلم من مؤالف أو مخالف، لا يرون من قبل الأرض في صلواته ساجدا حتى يأتي بحقيقة السجود على جبهته وأنفه وينويه نية سجوده على أنه لو سجد ساجد لولى من أولياء الله إعظاما لله لم يكن ذلك بمنكر... فينبغي لمن واجه الإمام عليه السلام أن يبدأ بالسلام عليه، ثم يقبل الأرض بين يديه، ويعتقد ذلك تعظيما له وتقربا إلى الله عز وجل به ويقول في السلام عليه قبل انحطاطه لتقبيل الأرض: «السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته» ويكون ذلك بحيث يراه الإمام وإن كان المسلم بحيث يسمع رد الإمام عليه السلام لم ينحط إلى الأرض لتقبيلها إلا بعد فراغ رد الإمام عليه السلام، ثم إذا قبل الأرض قام فإن حضر لأمر يريد الكلام فيه مما يجب وينبغي لمثله أن يتكلم به، وكان ممن ينبغي لمثله الكلام بين يدي الأئمة تكلم وإلا استأذن في الكلام، فإن أذن له الإمام تكلم، وإن لم يأذن له انصرف» (٣١٩).

(٣١٩) كتاب الهمة في آداب اتباع الأئمة للنعمان القاضي ص ١٠٤ وما بعد ط دار الفكر العربي بتحقيق محمد كامل حسين.

وقال أيضاً:

«القيام بين يدي الأئمة أولياء الله لمن عرف حقهم واعتقد إمامتهم واعتقد قيامه ذلك تعظيماً لهم وإجلالاً لمكانهم عبادة يتقرب بها إلى الله الذي أوجب تعظيمهم وإجلالهم، كما كان القيام في الصلاة لله تعالى تعظيماً له. قال جل ثناؤه: «وقوموا لله قانتين» فينبغي لمن قام ذلك القيام أن يجعله لله تعالى قربة يتقرب بها إليه وينوي ذلك ويعتقده بقلبه ويحل مقامهم في صدره، ويرى أن ذلك القيام فيه حظ عظيم لنفسه إذ كان مما يتقرب به إلى ربه، ويرجو لديه ثوابه، ولا يرى أن الجلوس لديهم أفضل من القيام بين أيديهم، ولا أن ذلك أدنى إليهم، ولا أن أحداً يستحقه عندهم، فإذا عرف ذلك واعتقده وأضمره وقصده ثم أمره بالجلوس إكراماً له أو لأمر ما رآه فليجلس معترفاً في ذلك بفضل نعمتهم عليه، ويشكر على ذلك بما أمكنه ولا يتهاون ولا يستصغر بقدر النعمة والمنة فيه فإنه قدر جليل الدرجة وفصل عظيم المنزلة، ثم لا يعتقد ويرى أن ذلك قد صار له رسماً جارياً لا يزول عنه، ورتبة واجبة له، وأنه ليس لأحد من عباد الله على أحد من أوليائه بحق ولا إن أنالوه معروفاً صار له عليهم ضربة لازب، وإنما هم في الإنعام على عباد الله كما قال جل ثناؤه: «هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب» فإذا أحبوا أنعموا وتطولوا، وإذا أمسكوا لم ينبغ أن يستعجزوا ولا يبخلوا. وكذلك ينبغي أن تراض النفوس لهم على المحنة والرضا وعند المنع والعطاء، وعند أحوال الشدة وفي حالات الرخاء. فإن صنعوا صنيع معروفاً إلى واحد وجب شكرهم عليه، ولم ينبغ أن يرى المصنوع ذلك به أنه جدير به ولا مستحق إياه، ولا أن يستشرف نفسه بعد ذلك إليه، فإن عادوا به عليه ضاعف الشكر واعترف بالتقصير وعدم الاستحقاق، وإذا لم تكن لهم عودة إلى ذلك أداب نفسه في شكر ما تقدم لهم عنده واعترف فيه بعجزه، ورأي أنه لو زيد من ذلك لكان أثقل لحمله وأحرى أن لا يقوم بأعباء ما يجب فيه عليه. فإذا قام القائم بين يدي الإمام فليقم قائماً معتدلاً كقيامه في الصلاة وليرم ببصره إلى الأرض إجلالاً وهيبة له، ناظراً إلى الإمام من تحت طرفه، ويخفض جناحه، نظر من يرى أن نظره إليه عبادة، فقد جاء ذلك في الحديث

المؤثور، ولا يلتفت ببصره ولا يقلق في وقوفه ولا يعث بيده، ولكن يرسلها إرسالاً، أو يضع يمينه على شماله تحت صدره» (٣٢٠).

وبمثل ذلك ذكر النعمان أيضاً في كتابه (المجالس والمسائرات) حيث قال:

«ولما استقضى المنصور بالله (عليه السلام) بالمنصورية وأقامت بها كنت إذا وقفت للسلام عليه، قُبلت الأرض بين يديه تعظيماً له واجلالاً لمكانه. فقال لي مراراً كثيرة: لا تفعل مثل هذا يا نعمان، وأنا كل ذلك أفعله وأرى أن نهيه ذلك ليس بنهي كراهية إذ كان المعز صلوات الله عليه يومئذ يفعله ومن دونه من الخاصة وسائر الناس خلا من يجهل حقه من الرعاع الذين لا يعقلون. فكرهت الدخول في جملتهم والكون في ذلك معهم . . . ورأيت أن أمر المنصور (عليه السلام) لي مع بيان المعز بترك تقبيل الأرض أمر اختبار وامتحان كأمر الله عز وجل إبراهيم صلى الله عليه وآله بذبح إسماعيل ابنه ليمتحن صبره ويختبر أمره. ولا جرم أنني عدت إلى ذلك كما أمرني المعز (عليه السلام) فما أنكره بعد ذلك عليّ أيام حياته صلوات الله عليه ورحمته وبركاته» (٣٢١).

هذا ومثل ذلك ذكر عن نفسه الداعي الاسماعيلي الكبير المؤيد الشيرازي وهو يذكر دخوله على المستنصر - الامام الاسماعيلي - بقوله:

«فدخلت إلى مجلس الخلافة في آخر يوم من شعبان سنة تسع وثلاثين وأربعمائة وكنت في مسافة ما بين السقيفة الشريفة والمكان الذي ألح فيه أنوار الطلعة الشريفة النبوية. . . .

فلم تقع عيني عليه إلا وقد أخذتني الروعة، وغلبتني العبرة، وتمثل في نفسي أنني بين رسول الله وأمير المؤمنين صلى الله عليهما مائل، وبوجهي إلى وجهيها مقابل، واجتهدت عند وقوعي إلى الأرض ساجدا لولي السجود

(٣٢٠) أيضاً ص ١٠٩، ١١٠.

(٣٢١) «المجالس والمسائرات» ص ٥٨، ٥٩.

ومستحقه، أن يشفعه لساني بشفاعة حسنة بنطقه، فوجدته بعجمة المهابة معقولاً، وعن مزية الخطابة معزولاً، ولما رفعت رأسي من السجود، وجمعت عليّ أثوابي للعود، رأيت بنانا يشير إليّ بالقيام لبعض الحاضرين في ذلك المقام، فقطب أمير المؤمنين - خلد الله ملكه - وجهه عليه زجراً، على أنني ما رفعت به رأساً ولا جعلت له قدراً، ومكثت بحضرته ساعة لا ينبعث لساني بنطق، ولا يهندي لقلول، وكلما استطرد الحاضرون مني كلاماً ازدادت اعجاباً، ولعقبة العي اقتحاما وهو - خلد الله ملكه - يقول: دعوه حتى يهدأ ويستأنس» (٣٢٢).

هذا ومثل هذا كثير جداً.

وهذه العبارات الواضحة، والنصوص الصريحة ان دلت على شيء دلت على أن الإله لدى الاسماعيلية إمام، والامام اله، وقد ذكرنا نصوصاً كثيرة من كتب القوم أنفسهم لبيان وإثبات هذا في مبحث الالهيات.

واكتفاء بها وتجنباً للإطالة والملل نورد ههنا أخيراً ما ذكره الكرمانى صاحب أكبر وأعظم كتاب سرى اسماعيلي:

«وكلّ منهم «الأئمة» في زمانه مقام الله بقيامه مقام النبي الذي هو القائم مقام الله» (٣٢٣).

وعلى ذلك قال البدخشاني الاسماعيلي في كتابه الفارسي: «ان ما ورد في القرآن (كل شيء هالك إلا وجهه) المقصود منه وجه الامام» (٣٢٤).

(٣٢٢) «سيرة المؤيد في الدين» داعي الدعاة ترجمة حياته بتحقيق محمد كامل حسين ص ٨٥ ط دار الكتاب المصري ١٩٤٩ م.

(٣٢٣) «راحة العقل» للكرمانى ص ٥٧٧، أيضاً مسائل مجموعة من الحقائق العالية ص ١١٢ من أربعة كتب اسماعيلية.

(٣٢٤) كتاب «مى وشش صحيفة» لسهراب ولي بدخشاني المؤلف سنة ٨٥٦ هـ بتصحيح هو شنك آجاقى ط مطبعة كيهان - طهران ١٩٦١ م.

وقال المفسر الاسماعيلي :

«إنما يبلوكم الله به ، يعني امام الزمان بالاختبار والامتحان» (٣٢٥).

وقال في قوله تعالى : (ومن يهن الله) يعني امام كل زمان بمعاندة حجه
(فما له من مكرم) يعني في معاده - ثم قال تعالى : (ان الله) يعني صاحب كل
عصر يفعل ما يشاء» (٣٢٦).

إلى آخره من الخرافات .

(٣٢٥) «مزاج التسليم» لضيء الدين الاسماعيلي سورة النحل ص ١٣١ ط غونتيغن - ألمانيا.
(٣٢٦) أيضا سورة الحج ص ٢٤٦.

الفصل الخامس

المبدأ والمعاد

ان الذين تكلموا من الاسماعيلية في المبدأ والمعاد هم قليلون جدا بالنسبة للمسائل الأخرى حيث أن هذه المباحث تعدّ من علم الحقائق لا يطلع عليها إلا القليلون المعدودون الذين بلغوا الغاية القصوى والمرتب العليا، وتعمقوا في مذهب الباطن، وهم أيضا لم يتكلموا في هذه المباحث إلا في كتب سرية خالصة يعبر عنها بكتب الباطن أو بكتب الحقيقة، وأنها محرمة إلا على الذين سمح لهم وأذن بالاطلاع عليها من قبل الأئمة أو الدعاة المطلقين للأئمة، ولا يحق لأحد مهما كان شأنه ومقامه أن يتناول هذه الكتب ويمسها، وينظر فيها، ويطلع على مطالبها ومقاصدها، كما لا يحق لأحد من المأذونين أن يناول تلك الكتب أو واحدا منها التي أذن له بالنظر فيها ومطالعتها أن يعطيها لأحد غيره، أو يخبره بما قرأ منها.

وأهم هذه الكتب التي تعدّ من كتب الحقيقة هي (كنز الولد) للداعي إبراهيم بن حسين الحامدي المتوفى ٦٦٧هـ.

(الشموس الزاهرة) للداعي حاتم بن إبراهيم المتوفى ٥٩٦هـ.

(الأنوار اللطيفة) للداعي طاهر بن إبراهيم الحارثي اليماني المتوفى

٥٨٤هـ.

(الذخيرة في الحقيقة) للداعي علي بن الوليد المتوفى ٦١٤هـ.

و(المبدأ والمعاد) للداعي حسين بن علي بن محمد بن الوليد المتوفي ٦٦٧هـ. وغيرهما من الكتب.

كما أنه ورد ذكر هذه المباحث في الكتاب الباطني الدقيق (راحة العقل) للداعي أحمد حميد الدين الكرمانى المتوفي ٤٤١هـ.

وكذلك في كتاب (الافتخار) للداعي أبي يعقوب اسحاق السجستاني المتوفي ٣٣١هـ.

وكذلك في بعض كتب. جعفر بن منصور اليمنى، والمؤيد الشيرازي المتوفي ٤٧٠هـ.

كما أن هناك رسالة مستقلة في النظم (سمط الحقائق) للداعي علي بن حنظلة المتوفي ٦٢٦هـ.

و(لب اللباب) لعبد على عماد الدين المتوفى في القرن الحادى عشر.

كما أن هناك بحوثا عديدة في هذه المسائل في (رسائل اخوان الصفاء) المنسوبة إلى الإمام الاسماعيلي أحمد بن عبدالله بن محمد بن اسماعيل حسب دعوى الاسماعيلية، كما أن هناك كتبا فارسية عديدة للاسماعيلية تبحث في مثل هذه المباحث، وتعدّ من كتب الحقائق مثل (هفت باب أبو اسحاق).

و(سى وشش صحيفة) لسهراب ولي بدخشاني.

و(زاد المسافرين) لناصرى خسرو.

و(كلشن راز).

وغيرها من الكتب للدعاة الاسماعيلية الفرس.

ومن الطرائف أن الاسماعيلية لم يأتوا بشيء جديد في هذه المباحث إلا ما التقطوه من موائد الأفلاطونية الحديثة، والفيثاغورية الجديدة، ومن الفلاسفة الذين لم يفوزوا بتصوير الهى، ولم يهتدوا بهدي النبوة، ولم يتمسكوا بالوحي والكتب السماوية فضلّوا وأضلّوا.

فإن القوم مع ادعائهم الدعاوي الفارغة لم يتلمذوا إلا على الملاحدة والفلاسفة التائهين الهائمين على وجوههم في تيه الحيرة والضلالة، والبعيدون كل البعد عن نور الله ونور الايمان، ثم هم مع ذلك مختلفون ما بينهم في هذه المباحث باختلاف لا يغمض الطرف عنه، وسنذكره عند سرد العبارات وبيان المذهب.

ويحذر بنا أن تذكر ههنا أن كثيراً من المتقدمين الذين تكلموا في عقائد الاسماعيلية لم يتناولوا مبحث المبدأ في كتبهم مع أنهم تكلموا في عقيدتهم في المعاد وأمور الآخرة من البغدادى، والشهرستاني، وابن مالك الهمداني، والغزالي، وابن حمزة العلوي وغيرهم، اللهم إلا الاشارات التي لا تشبع ولا تغنى من جوع، لعلها لعدم حصول المعلومات الكافية في هذا الباب لشدة محافظة القوم على الكتب التي تبحث في هذا المباحث وسترها واخفائها عن أعين الناس الأبعد والأقارب.

ثم إن الأسلوب الذي استعمله الاسماعيليون في مثل هذه الأبحاث أسلوب عويص وعقيم جداً. فالبعض منهم يحاول محاولة متعمدة محسوسة أن يأتي بعبارات غامضة، وتراكيب معقدة، وألفاظ متنافرة، واصطلاحات مشتركة المعاني كي لا يصل الباحث إلى نتيجة قطعية حتمية، وزيادة عليه مصطلحات فلسفية يونانية، فلذلك يصعب على الكاتب أن يقدم إلى القراء أفكارهم وآراءهم في هذا الخصوص واضحة جلية يفهمها العامي وطالب العلم، اللهم إلا من تبصرو وتعقل وأمعن النظر في فهمها.

ونحن نحاول أن نختار من الكتب المختلفة عبارات سهلة كي لا يشكل على القاري فهم الموضوع.

تعتقد الاسماعيلية :

«ان الخلق ينقسم إلى ثلاثة أقسام : عالم روحاني وهو الابداع، وجواهره أفراد. وعالم جرماني وهو الاختراع وجواهره أزواج. وعالم جسماني وجواهره رباعية تركيبية تركبت منها الأزواج. فأولها الجسم المطلق، ثم الأفلاك، ثم

الكواكب، والاسطقصات الأربعة: النار والهواء والماء والتراب. والمتولدات الثلاثة: المعدن والنبات والحيوان.

والإنسان هو نهاية العالم الجسماني، وهو البيت الأكمل، والحجاب الأفضل الذي خاطب الله منه الخلق بأوضح خطاب... وان العالم بأسره شخص كروي الأفلاك، مسبح لباريه، مقدس لفاطره ومنشيه، عقله السابق، ونفس قدسه التالي، وقلبه الجد، وقوة حسه وغموه الفتح، وصورة أعضائه الخيال، وعيناه الهيولي والصورة، وجوارحه السبعة والبروج الإثنا عشر، وشطره الأيسر السفلي المعدن والنبات، وشطره الأيمن الحيوان والإنسان. ذلك تقدير العزيز العليم» (٣٢٧).

ثم يقولون: أول موجود هو العقل.

«أول ما خلق الله تعالى العقل، فقال له: أقبل فأقبل، ثم قال له: أدبر فأدبر، ثم قال له: وعزّي وجلالي، ما خلقت خلقاً أجلاً منك، بك أثيب، وبك أعاقب» (٣٢٨).

ويقول اخوان الصفاء:

«العقل هو أول موجود فاض من وجود الباري عز وجل» (٣٢٩).

وأيضاً «ان أول شيء اخترعه الله جل ثناؤه، وأوجد جوهره بسيط روحاني في غاية التمام والكمال والفضل، فيه صور جميع الأشياء يسمى العقل الفعال، وأن من ذلك الجوهر فاض جوهر آخر دونه في الرتبة يسمى النفس الكلية» (٣٣٠).

(٣٢٧) مطلع الشموس للداعي شهاب الدين أبي فراس ص ٢٠ من (أربع رسائل اسماعيلية) ط دار مكتبة الحياة بيروت - لبنان.

(٣٢٨) «المجالس المؤيدة» للشيرازي المجلس الأول من المائة الأولى ص ٦.

(٣٢٩) «رسائل إخوان الصفاء» الرسالة الأولى من القسم الثالث وهي الرسالة الثانية والثلاثون ج ٣ ص ١٨١.

(٣٣٠) أيضاً ص ١٨٧.

ويعتدل ذلك قال السجستاني :

«العقل وهو أول خلق ظهر من أمر الله تعالى، وسمى العقل لأنه لما تجرد المبدع عن سمات الربوبين، وتعرى عن صفات المخلوقين، وذلك أجد تسبيح وأنزه معرفة وأقدس علم، ولم يوجد الباري تعالى في أول الخلق غير العقل» (٣٣١).

وبذلك قال الآخرون ولكنهم اختلفوا فيما بعد حيث أن اخوان الصفاء يقولون: إن العقل وجد عن طريق الفيض، ولكن الكرمانى في كتابه راحة العقل (٣٣٢).

والمؤيد الشيرازى في ديوانه (٣٣٣).

والحارثى اليماني في كتابه (الأنوار اللطيفة) (٣٣٤).

ومحمد بن علي الصوري في كتابه القصيدة الصورية (٣٣٥).

وشهاب الدين في كتابه كتاب الايضاح (٣٣٦).

وغيرهم يقولون: انه وجد ابداعا، لا فيضا كما يقوله فلاسفة الأفلاطونية الحديثون، واخوان الصفاء تبعاهم.

وأما الكرمانى فلم يكتف بهذا القول فحسب، بل رد على القائلين (٣٣٧) بالفيض، وناقش رأيهم في فصل مستقل من كتابه الباطنى الكبير، فيقول في

(٣٣١) «رسالة تحفة المستجيبين» للداعي أبى يعقوب السجستاني ص ١٣ من (ثلاث رسائل اسماعيلية) ط دار الآفاق الجديدة بيروت ١٩٨٣ م.

(٣٣٢) المشرع الثانى من السور الثالث ص ١٧١.

(٣٣٣) أنظر «القصيدة الثابتة» ص ١٩٩.

(٣٣٤) أنظر الباب الأول ص ٨٣.

(٣٣٥) انظر ص ٢٣.

(٣٣٦) انظر ص ١٠٤.

(٣٣٧) ولا ندرى كيف يقول الاسماعيلية إن كاتب رسائل اخوان المصفاة هو الإمام الاسماعيلي أحمد بن عبد الله بن محمد بن اسماعيل، ثم يخالفونه في رأيه مع أن الإمام معصوم لا يخطئ عندهم، وليس لأحد مهما بلغ شأنه ومنزلته أن يخالف الإمام. وهذا من أحد الأدلة أن الاسماعيلية لم يكونوا على هذا الرأي.

المشرع الثاني من السور الثالث تحت عنوان (في كون وجوده عن المتعالي سبحانه لا عن طريق الفيض كما يقول الفلاسفة، بل عن طريق الابداع)، فيقول:

«إننا إن اعتقدنا أن وجود الموجودات هو عن المتعالي عن الصفات سبحانه على سبيل الفيض لا على سبيل الإبداع، كنا قد صورنا أنفسنا من وجوده بما لا يطابق ما عليه عينه وحقه لما يلزم ويجب به من وجود ما يعلل المتعالي عن الصفات سبحانه ما وجوده محال: وذلك أن من شأن الفيض أن يكون من جنس ما منه يفيض ومشاركاً له ومناسباً، ويكون الفيض من جهة ما هو فيض معين ما يفيض منه الفيض بكونه كذات الفيض، إذ ما يفيض منه الفيض فيه من طبيعة الفيض مثل ما في الفيض من طبيعته، ولا فرقاً بينهما من هذه الجهة، كما أن الضوء الذي هو فيض من عين الشمس من جهة ما هو ضوء معين الشمس التي منها فاض الضوء بكونها كذات الفيض، إذ ذات الشمس يوجد فيها من الضوء مثل ما فاض عنها، ولا فرقاً بينهما من هذه الجهة، فيصير الذي منه يفيض الفيض متكرراً بما يشاركه فيه الفيض وما يختص به هو مما لا يشاركه فتكون ذاته من شيئين: شيء تشاركاً فيه فلم يتبايناً فيه، وشيء وقع به التباين بينهما، وحصلت الغيرة التي لولها لما أمكن أن يقال ذاك غير هذا، وهذا غير ذاك. والذي يكون متكرراً فتكره الحاجة بعض تلك الأشياء التي بها كانت الكثرة في وجوده إلى البعض الآخر، الذي لولاه لما وجدا جميعاً، وهما جميعاً في الوجود ووجودهما باستناد الواحد منهما إلى الآخر ووقوعهما تحت القدرة الجامعة لهما، ويقتضي ذلك أن يكون المتعالي سبحانه - إن كان ما وجد عنه فيضاً - متكرراً واقعاً تحت قدرة غيره في وجوده، وأن يتقدم عليه ما وجوده محال، وإذا كان المتعالي سبحانه هوته لا عن هوية هي غيرها، فقد تعالى عن أن يكون موصوفاً بقله أو كثرة فقد بطل أن يكون من شيئين، وإذا بطل أن يكون من شيئين بطل أن يكون ما وجد عنه فيضاً، فيكون موجباً لما فاض عنه كثرة عنها ذاته ثم أن من الأوائل في العقل وأحكامه أن الذي يكون أبسط، وأعرى من آيات الكثرة، وأقوم بذاته فهو أشرف من غيره، وعلى هذه القضية فالفيض أبسط من الذي فاض

منه بكونه شيئاً واحداً، وكون الذي فاض منه شيئين بأحدهما يشارك الفيض، وبالأخر يختص فيبانيه ويلزم من ذلك أن يكون الفيض أولى بأن يكون متقدماً على الذي فاض منه لشرفه عليه بقلّة الكثرة فيه ووجود الكثرة في ذلك، وإذا كان كونه فيضاً موجباً أن يكون هو أشرف من الذي فاض منه الذي هو المتعالي عن الصفات سبحانه، فأبي مجال أعظم من اعتقاد شيء هو بالضد بما عليه أمره. ثم أن الفيض لا يكون إلا عن تمامية ذات ما يفيض منه، والمتعالي سبحانه قد تسبح عن أن يكون تماماً أو تاماً فيقع الاشتراك به بينه وبين غيره في معنى من المعاني. فيلزم من ذلك وجود ما عنه تكون هويته إذ التمام مشارك للتمام، والتمام مشارك للتمام ومناسب، والمشاركة والمناسبة بين شيئين يقتضيان ما يتقدم عليهما، ولو كان للمتعالى سبحانه مشاركة مع غيره في شيء من الأشياء أو مناسبة لا تقتضى ما يتقدم عليهما، ثم لو كان للمتقدم أيضاً مشاركة مع غيره في شيء من الأشياء لا تقتضى ما يتقدم عليهما، ويستندان في الوجود إليه كلاهما فتؤدي الحال في ذلك إلى أمر في نهايته يوجب أن لا توجد الموجودات. فلما كان هذا باطلاً محالاً بطل أن يكون الموجود عن المتعالى سبحانه فيضاً. ثم لو كان الموجود الأول الذي هو العقل الأول فيضاً عن المتعالى سبحانه وعظم كبريائه لوجب أن تكون العقول الخارجة عنه من القوة إلى الفعل في دار لطبيعة التي هي عقول النطق والأسس والأئمة من جنس العقل الأول ومشاكله في قيامها بالفعل ونيلها التمامية، وكون العقل الأول فيضاً، وكون الفيض من جنس المتعالى عن الصفات سبحانه أن لا يعتاض عليها الوجه في تناول المتعالى سبحانه إنشاء عنه بما يليق به من الصفات ولا بعجز عن ذلك، ولكانت العقول تستحق أن تسبح بالتسبيحات الموجهة نحوه تعالى كبريائه من حيث نفى الصفات بكونها مثله، ولما كانت للعقول في دار الطبيعة الخارجة - إلى الفعل التي هي عقول الأنبياء صلوات الله عليهم - لا تستحق أن يقال عليها بأنها متعالية عن الصفات والإضافات والموصوفات بكونها بما يوصف وينعت، وهي المقررة بالقصور عن الإنشاء عن الله سبحانه بما يستحقه وهي المسيحة للمتعالى بنفى الصفات ونعت الموصوفات عنه، تعالى الله علواً كبيراً، كان من ذلك الحكم

بأن العقل الأول مثل هذه العقل في عجزها عن تناول المتعالي سبحانه بصفة موجودة في إبداعه، وتشكلها في تقديسها وتسبيحها إياه عن سمات اختراعه. وإذا كان العقل الأول بهذه الصفة وقد جمع ذاته عن ذلك لعجزه، تعالى الله وتكبر ولأسائه العظمة والجلال والقدرة والسناء والرفعة والبهاء والنور والعلاء فقد بطل أن يكون ما وجد عن المتعالي سبحانه فيضاً، فلما بطل أن يكون «ما وجد عن المتعالي» فيضاً لم يبق إلا أن يكون إبداعاً» (٣٣٨).

هذا. ثم هناك اختلاف آخر في مبحث المبدأ حيث الأولية والأسبقية، وحيث أنه وجد عالم الإبداع دفعة واحدة أم بترتيب، وأيضاً هل وجد العقل والزمان معا دفعة واحدة أم وجد العقل ولا زمان.

فيقول الحامدي، وعلى بن محمد بن محمد بن الوليد، والحارثي اليماني، والحسين بن علي بن محمد بن الوليد، وعلي بن حنظلة: ان عالم الابداع وجد دفعة واحدة. يقول الحامدي:

«إن الله تعالى أبدع عالم الأمر دفعة واحدة بلا زمان». (٣٣٩)

ويقول علي بن الوليد:

«ان الله تعالى أبدع عالم الأمر دفعة واحدة، في غاية التساوي في كماتهم، الأول، وابداعهم الأفضل، لم يجعل سبحانه لأحد شرفاً على سواه، ولا اختص منهم في ذلك الوجود واحداً، بأن ميزهم على غيره، وأعلاه، بل جمعت الكل منهم سمة التساوي والتكافي، وعدم فيهم اسم التباين والتنافي، وكل ذلك غاية العدل من مبدعهم» (٣٤٠).

ويقول الحارثي اليماني:

«ان الله تعالى الذي لا تتجاسر نحوه الخواطر، ولا تسمو إليه الأوهام والضماير أبدع عالم الابداع المكني عنه بعالم الأمر وعالم العقل وعالم القدس

(٣٣٨) «راحة العقل» للكرماني ص ١٧١ إلى ١٧٤.

(٣٣٩) «زهر بذر الحقائق» ص ١٦١ من (منتخبات اسماعيلية).

وعالم الصفاء وعالم اللطافة والعالم الروحاني جميعا معا دفعة واحدة من غير شيء تقدمهم فيكون لهم هيولى أولى، ولا مع شيء صاحبهم، فيكون مماثلا لهم ومشاكلا، ولا على شيء أقلهم، فيكون لهم مكانا أول... أوجدتهم أشباحا صورية محضة نورانية، ذوات قامات ألفية، كالقامات الانسانية البشرية، مباينة لأنفسها الهيولانية، وأجسامها اللحمية الدموية، اذ هي كثافة ظلمانية وتلك لطائف روحانية قدسانية، فأوجد تلك الأشباح النورانية متساوية في الكمال الأول، الذي هو الوجود والحياة، والقوة والقدرة، لا تخالف فيها ولا تفاضل ولا تباين بينها ولا تمايل، فيما دق وجل وكثر وقل، عدلا منه عز وجل، اذ العادل يتساوى عدله، والفاضل يعم فضله، كما أخبر الكتاب الكريم من قول العلي العظيم: (لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً) (٣٤١).

وقال الحسن بن علي بن محمد بن الوليد:

«أعلم أن غيب الغيوب - جل وعلا - أبدع عالم الابداع دفعة واحدة بلا زمان ولا مكان صوراً نورانية كثيرة لا يحصيها العدد، متساوين في الكمال الأول والوجود الأول، الذي هو الحياة والقدرة والقوة. وكان ذلك بموجب عدله تعالى أن جعلهم سواء لافضل لأحد منهم على الآخر.

وكانوا في الكثرة على حال لا يحصى عددها دليلا على أن العقول لا تحيط بمبلغ فضله وجوده تعالى. فهم يسمون عالم الابداع، والعالم الروحاني، لكونهم أرواحا نورانية لا كثافة فيها ولا تجسيم، ولا يحويها مكان ولا احتاج مبدعها إلى زمان» (٣٤٢).

ونظم هذا الداعي علي بن حنظلة في أبياته حيث قال:

«أبدع ما أبدع من غير سبب ولا لمس حاجة ولا أرب

(٣٤٠) «الذخيرة في الحقيقة» لعلي بن الوليد ص ٢٤.

(٣٤١) «الأنوار اللطيفة» ص ٨٣.

(٣٤٢) «رسالة المبدأ والمعاد» ص ١٠٢ من (سه رسالة اسماعيلي).

من غير شيء لا ولا في شيء ولا لشيء جال في الروى
أشخاص نور كلهم في الذات والعلم والقدرة والحياة
والفضل والعزة والثناء في مبتدأ الابداع بالسواء
من غير تأخير ولا تقديم وذاك فعل العادل الرحيم
أبدعهم على سبيل الدفعة كما أبان الجلنار طلعة
أو كدخول الضوء بيتاً مظلماً لا بمثال كان قد تقدما
ولا زمان كان ما كان ولا أبدعهم في خلا ولا ملا
اذ هذه قضية الأجسام لنقصها عن رتبة التسام» (٣٤٣).

ومما يزيد الأمر خطورة أن الحامدى نسب هذا الرأي إلى الامام
الاسماعيلي القائم بأمر الله، القائم مقام العقل في العالم السفلى، والمعصوم
بعضمة ذاتية أنه قال:

«ان عالم الابداع الذي صورنا كون ظهوره معاً دفعة واحدة لم يسبقه
أوله آخره ولا آخره أوله، فكان وجوده معاً مثل حب التين المجتمع في كل
حبة منه ما لا يحصى» (٣٤٤).

هذا من جهة، ومن طرف آخر يقول اخوان الصفاء، والمؤيد
الشيرازي، والكرماني، والسجستاني وغيرهم: إن عالم الابداع ظهر بترتيب،
فيقول اخوان الصفاء:

«كما أن من تكرار الواحد نشوء العدد وتزايد، كذلك من فيض الباري
وجوده نشأة الخلائق وتماها وكما لها؛ وكما أن الاثنين هو أول عدد نشأ من
تكرار الواحد، كذلك العقل هو أول موجود فاض من وجود الباري عز
وجل؛ وكما أن الثلاثة ترتبت بعد الاثنين، كذلك النفس ترتبت بعد العقل؛
وكما أن الأربعة ترتبت بعد الثلاثة، كذلك الهيولى ترتبت بعد النفس؛ وكما

(٣٤٣) «سمط الحقائق» لعل بن حنظلة ص ٢٧.

(٣٤٤) «كنز الولد» للحامدى الباب الثاني في القول على الابداع الذي هو المبدع الاول.

أن الخمسة ترتبت بعد الأربعة، كذلك الطبيعة ترتبت بعد الهيولى؛ وكما أن الستة ترتبت بعد الخمسة، كذلك الجسم ترتب بعد الطبيعة؛ وكما أن السبعة ترتبت بعد الستة، كذلك الأفلاك ترتبت بعد وجود الجسم؛ وكما أن الثمانية ترتبت بعد السبعة، كذلك الأركان ترتبت بعد الفلك؛ وكما أن التسعة ترتبت بعد الثمانية، كذلك المولدات ترتبت بعد الأركان؛ وكما أن التسعة آخر مرتبة الأحاد، كذلك المولدات آخر مرتبة الموجودات الكليات وهي المعادن والنبات والحيوان. فالمعادن كالعشرات، والنبات كالمئين، والحيوان كالآلوف، والمزاج كالواحد» (٣٤٥).

وقالوا أيضاً:

«اعلم أن علة وجود العقل هو وجود الباري، عز وجل، وفيضه الذي فاض منه. وعلة بقاء العقل هو إمداد الباري، عز وجل، له بالوجود والفيض الذي فاض أولاً. وعلة تمامية العقل هي قبول ذلك الفيض والفضائل واستمداده من الباري تعالى. وعلة كمال العقل هي إفاضة ذلك الفيض والفضائل على النفس بما استفاده من الباري عز وجل. فبقاء العقل إذاً علة لوجود النفس، وتامة العقل علة لبقاء النفس، وكماله علة لتامة النفس، وبقاء النفس علة لوجود الهيولى، وتامة النفس علة لبقاء الهيولى. فمتى كملت النفس تمت الهيولى. وهذا هو الغرض الأقصى في رباط النفس بالهيولى، ومن أجل هذا دوران الفلك وتكوين الكائنات لتكمل النفس بإظهار فضائلها في الهيولى، وتتم الهيولى بقبول ذلك. ولو لم يكن هذا هكذا لكان دوران الفلك عبثاً.

واعلم يا أخي أن العقل إنما قبل فيض الباري تعالى وفضائله التي هي البقاء والتهام والكمال دفعة واحدة بلا زمان ولا حركة ولا نصب لقربه من الباري، عز وجل، وشدة روحانيته. فأما النفس فإنه لما كان وجودها من

(٣٤٥) «رسالة إخوان الصفاء» - الرسالة الأولى من القسم الثالث ج ٣ ص ١٨١.

الباري، جل ثناؤه، بتوسط العقل، صارت رتبها دون العقل، وصارت ناقصة في قبول الفضائل» (٣٤٦).

ويقول الكرمانى :

«فالمبدع الأول (العقل الأول) علة لوجود الموجودات الكائنة كالواحد الذي هو أول الأعداد . . . كان المبدع الأول الذي هو الابداع علة لوجود الموجودات، ثم وجود الشيء عن الشيء لا يكون الا بكون ذلك الشيء الذي وجد عنه هذا الشيء في غاية الكمال ونهاية التمام . . . ولما كان الابداع الذي هو المبدع الأول غاية الكمال ونهاية التمام والفناء والفضل كان علة لوجود ماسواه، ثم لما كان المبدع الأول هو الحي الأول، ولا يكون حيا ما لا يفعل كان المبدع الأول فاعلا، واذا كان فاعلا والفعل علة لوجود مفعوله فالمبدع الأول علة لوجود ما سواه، فهو المحرك الأول والعلة الأولى، ثم انه لا يحتاج في اصدار الأفعال إلى غيره لكماله اذ فعله في ذاته، وذاته لذاته مادة فيها يفعل، وذاته في ذاته صورة بها يعمل، وما يكون وجوده هذا الوجود فلا يحتاج لغيره في الفعل» (٣٤٧).

ومثل ذلك قال :

«وليس في الموجودات ما هو غاية لكل غاية، ومتقدم على متقدم غير الابداع الذي هو المبدع الأول والموجود الأول فهو علة لوجود ما سواه، ثم ان الابداع الذي هو المبدع السابق في كل شيء لو لم يكن علة لوجود ماسواه لما كان للموجودات وجوده» (٣٤٨).

وهذا الموضوع منتشر في كتابه مثل ما ذكر في مقام آخر :

«ان العقل الأول الذي هو المبدع الأول لما كان وجوده عن المتعالى سبحانه ابداعا، وكان عقلا باببداع الله تعالى اياه كذلك، وكان في كونه عقلا

(٣٤٦) أيضاً ص ١٨٥ .

(٣٤٧) «راحة العقل» المشرع السابع من السور الثالث ص ٢٠٠، ٢٠١ .

(٣٤٨) أيضاً .

ومعقولاً له ذاته، لزمته بكونه عقلاً نسبة، وبكونه معقولاً نسبة أخرى، وكان من جهة كونه عقلاً أشرف من جهة كونه معقولاً بكونه من تلك الجهة - أعني كونه عقلاً - فرداً منتسباً إلى المتعالى سبحانه، ومن هذه الجهة - أعني كونه معقولاً - زوجاً منتسباً إلى ذاته، وكان علة لوجود الموجودات، وكان من الكمال والتمام على النهاية التي يستغنى بها عن الغير في اصدار الفعل إلى الوجود» (٣٤٩).

وبمثل ذلك قال في كتابه (الرياض في الحكم بين الصادين صاحب الاصلاح والنصرة) (٣٥٠).

وبذلك قال السجستاني أيضاً:

«العقل أول خلق ظهر من أمر الله . . . ولم يوجد الباري تعالى في أول الخلق غير العقل . . . ويضاف إلى العقل اسم القلم . . . والعرش . . . والسابق . . . والقضاء . . . والهيولى . . . ثم النفس فانها الخلق الثاني المنبجس من الخلق الأول، ويقال للنفس اللوح . . . والملك . . . والثاني . . . والتالي . . . والقدر . . . والصورة . . . الخ .

وقال:

العقل لا يسبقه شيء من الموجود . . . فاز العقل يشبه الواحد الذي هو يشبه الأعداد ولم يسبقه شيء من الأعداد لا من الأفراد ولا من الأزواج، بل الأعداد كلها إنما تنكسر بالواحد ومن الواحد» (٣٥١).

ويقول:

«كيف يتوهم قبل العقل شيئية، والعقل هو شيئية الأشياء كلها، وشيئية الأشياء كلها هو العقل؟ ولو جاز توهم شيئية قبل العقل، والعقل شيئية

(٣٤٩) «راحة العقل» للكرماني ص ٢١٢.

(٣٥٠) انظر ص ٩٩.

(٣٥١) «كتاب النبائع» للسجستاني - الينوع الخامس ص ٢٣ من (سه رسالة اسماعيلي).

الأشياء كلها، كان العقل اذن قبل ذاته. والشيء لا يكون قبل ذاته، فاذن توهم شيئية قبل العقل ممتنع» (٣٥٢).

وكذلك محمد بن علي الصوري (٣٥٣).

«وأما كون العقل مقدما على الزمان فقد ذكر فيه الكرمانى رأى الرازى ورأى السجستانى ثم رأيه فيه، فيقول فى الفضل السابع والثلاثين من الباب الأول:

«قال صاحب الاصلاح (أى الداعى أبو حاتم الرازى):

ان البارى تعالى ابدع العقل والزمان معاً فى دفعة واحدة. قال صاحب النصر (أى السجستانى): من المعلوم ان الزمان هو مقدار الحركة، والحركة انما هى الأفلاك، فيجب من هذا القول ان تكون الافلاك والزمان المتولد من حركاتها قد كانت مع العقل فى دفعة واحدة، وجاز ان نقول ان المتمكن والكائنات الفاسدة كانت مع العقل دفعة واحدة، وان جاز ان نقول ان العقل والزمان كانا معاً فى دفعة واحدة، فيجب من هذا القياس ان يكون الزمان ينال من الفضائل والأنوار المفاضة على العقل مثل ما يناله العقل فيكون تاماً، وذلك محال، وان جاز القول ان العقل والزمان كانا معاً فى دفعة واحدة فهما لا يخلوان من ان يكونا شيئين اثنين أو شيئاً واحداً، فان كانا شيئاً واحداً فلفظ الجمع يقع على الشيء الواحد من جهة الاسامى لأنه من المحال ان نقول ان الحجر كان مع الصخر، والمدينة كانت مع السكين، وان كانا هما شيئين اثنين، فالعقل لما أبدع عقل ذاته بغير زمان أو بزمان، فاذا عقل ذاته بغير زمان فقد كان والزمان، وليس وان كان انما عقل ذاته بزمان، فالزمان متقدم عليه، وما يتقدم العقل فليس هو الزمان بل الأزل والأزلية:

(٣٥٢) أيضاً الينوب السادس ص ٢٥.

(٣٥٣) انظر القصيدة الصورية ص ٢٤.

ونقول:

ان محصول قوله وان كان قاصراً في الادلاء والدلالة ان وجود الزمان مع العقل محال، وهو صحيح عندنا في المذهب وقد تقدم من القول في استحالة وجود شيء مع العقل الأول ما هو كاف في الدلالة على ان الأمر بخلاف ما ذكره صاحب الاصلاح في هذا النصل، الا أن صاحب النصرة في قوله ان الذي يتقدم على العقل فليس هو الزمان بل الأزل والأزلية فقد اخطأ، فلا وجود لشيء متقدم على العقل الأول بما بيناه فيما تقدم من القول في كتابنا هذا وفي كتاب «راحة العقل» والذي يصح وعليه فان قانون الاعتقاد والمذهب لمن الأزل والأزلية يلزم عالم الابداع على ما بيناه في الرسالة المعروفة (بالروضة)، وفيما أوردناه فيها غنى عن التطويل» (٣٥٤).

فهذا هو الاختلاف الجوهرى الثانى بين الدعاة الاسماعيلية وأئمتهم في بدء الخلق، وهناك اختلافات أخرى مثل هذه مع ادعاء القوم بأن علومهم مقتبسة من الأئمة المعصومين الذين لا يخطئون ولا يغلطون.

ومن الغرائب أن كل طرف من الأطراف المختلفة يدعم أقواله وآراءه بأقوال المعصومين وآرائهم ونحن أشرنا إلى ذلك، وسوف نذكر هذه الخلافات والتناقضات في باب مستقل ان شاء الله.

وصدق الرب جل وعلا، ومن أصدق من الله قيلا:

«ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا» (٣٥٥).

ونرجع إلى الموضوع فنقول: ان الاسماعيلية يعتقدون أن الله أبداع أول ما أبداع العقل، أو فاض عنه العقل، ثم أنشئت صور نورانية كثيرة سواء من العقل أو من غيب الغيوب على اختلاف في الأقوال:

(٣٥٤) «كتاب الرياض» للكرمانى ص ٩٧، ٩٨ ط دار الثقافة بيروت.

(٣٥٥) سورة النساء الآية ٨٢.

«ثم ان صورة من تلك الصور المبدعة نظر إلى ذاته إلى أبناء جنسه، وتفكر فيهم، فهجم بفكرته من ذاته بغير معلّم ولا ملهم، وعلم أن له ولهم مبدعا هو بخلافهم يعجز عن ادراكه، فنفى الالهية عنه وعن أبناء جنسه، وشهد بها لمبدعه، واستحق بهذا الفعل أن يسمى (أولا) و(سابقا)، وهو المسمى بالعقل الأول، والمبدع الأول، والقلم» (٣٥٦).

ومثله في الأنوار اللطيفة (٣٥٧).

وفي (سمط الحقائق) و(القصيدة الصورية) وغيرها من الكتب.

وحصل له علم ما كان وما سيكون، ووقع عليه اسم الالهية:

«فهو الحق الحقيقة، وهو الوجود الأول، وهو الموجود الأول، وهو الوحدية والواحد، وهو الأزل، وهو الأزلية، وهو العلم وهو العالم الأول، وهو القدرة وهو القادر الأول، وهو الحياة وهو الحي الأول» (٣٥٨).

«ثم انه فطن لما فطن له العقل الأول صورتان من تلك الصور، فنظرا كنظره، ونفيا الالهية عن ذاتها، واعترفا بها لمبدعهما، واعترفا للسابق عليهما بالفضل وشرف السبق، وسميا بفعلهما ذلك منبعثين لأنها انبعثا مقتدين بالأول وفعله.

«وكان أحدهما أسبق من الآخر إلى ذلك التسييح والتقديس والتوحيد، واستحق لسبقه أن اتخذ العقل الأول السابق له باباً وحجاباً يخاطب منه من دونه، وأمده من المادة - التي طرقت من مبدعه - بما شرف به على المنبعث الثاني وعلى كافة أبناء جنسه، وعلم بذلك ما كان و(ما) سيكون، وهو المسمى بـ «النفس الكلية» وبـ «الانبعاث الأول» وبـ «اللوح».

(٣٥٦) «رسالة المبدأ والمعاد» لحسين بن علي بن محمد بن الوليد ص ١٠٣ من (سه رسالة اسماعيلي).

(٣٥٧) انظر ص ٨٣، ٨٤.

(٣٥٨) «راحة العقل» المشروع الخامس من السور الثالث ص ٨٩.

ولم يعترف المنبعث الثاني بفضل السبق للمنبعث الأول، وتوهم أنه مساو له. فكان ذلك التوهم خطأ أكسبه تأخراً عن مرتبته وانحطاطاً عن منزلته. ثم ان العقل الأول دعا جميع عالم الابداع إلى توحيد مبدعهم وتسبيحه. وكان دعاؤه لهم بالمنبعث الأول الذي قد صار حجاباً له وباباً. فأجابه من تلك الصور المبدعة سبعة عقول كل واحد منهم بعد الثاني، وفي ضمن كل عقل منهم من تلك الصور المبدعة عالم لا يحصيها العدد، هو لهم - ذلك العقل - كالرئيس والامام والقُدوة لسبقه عليهم، وهم له كالاتباع والمقتدين به. فصارت مراتب عالم الابداع تسعة: العقل الأول والانبعث الأول والسبعة العقول المجيبة للدعوة.

ثم ان المنبعث الثاني لما سقط عن مرتبته بما كان من توهمه وسبق العقل باجابتها واعتراف كل مسبق منهم بفضل سابقه، لاذ المنبعث الثاني بآخر تلك العقول - وهو التاسع - مستخبراً له عن حالته وما الذي حطه عن رتبته. فأعلمه أن الذي حطه عن رتبته هو توهمه المساواة لسابقه. قتشفع به إلى من هو فوقه، وشفع له من فوقه إلى من فوقه، حتى انتهت الشفاعة إلى العقل الثاني الذي هو المنبعث الأول.

فعلم أن المنبعث الثاني قد ندم على ما سبق منه، وإن لم يتعمد ذلك ولا أصبر. فتاب عليه من زلته وغفر له خطئته، وأمهه من فيض المادة الأزلية التي اتصلت به من سابقه، التي أمد بها جميع تلك العقول عند اجابتها. فزال به عن المنبعث الثاني تلك الظلمة الحادثة عن ذلك الوهم الفاسد وفارقتة. وعلم بتلك المادة ما كان وما سيكون، وترتب في المرتبة العاشرة؛ فصار بعد أن كان ثانياً في الانبعث ثالثاً في العدد، عاشراً في الرتبة. وحصل له بتلك المادة ولجميع العقول السابقة عليه الكمال الثاني والوجود الثاني الذي به تأزلوا وعصموا وأمنوا من الاستحالة والفناء.

وكان قد بقي من تلك الصور الابداعية عالم لا يحصيهم العدد تأخروا عن الاجابة للدعوة مع تلك العقول، وتخلفوا مقتدين في تخلفهم العاشر. فلما تاب واتصلت به المادة كما قلنا بشفاعة تلك العقول - وهي الكلمات التي

تلقاها آدم من ربه، لأنه آدم الروحاني الذي قال الله فيه «فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه انه هو التواب الرحيم» - قيل له حينئذ «اقبل على المقتدين بك في التخلف، فادعهم وخلصهم عما وقعوا فيه، فانه من كسر عظما، فعليه جبره».

فعطف على أولئك المتخلفين وقال لهم «انا قد زلنا وأخطأنا في تركنا الاعتراف بفضل السابق علينا، وقد ثبت عما سلف مني فتوبوا انتم تسعدوا وتفوزوا». فقالوا بأجمعهم «لا فضل لهم علينا ولا لك، لأننا كلنا ابداع المبدع تعالى أبدعنا سواء». فلما قالوا ذلك، أظلمت ذواتهم بعد انارتها. فلما نظروا إلى ما أصابهم من الظلمة، أنكروها واستوحشوا منها، والتأم بعضهم إلى بعض، وهم المكئي عنهم بـ «الهيولي الأولى» (٣٥٩).

فهكذا خلق عالم الابداع.
ومثل ذلك في الأنوار اللطيفة (٣٦٠).
وغيرها من الكتب.

ثم قال:

«تحركت هذه الصور تحركا يريدون به التلافي مما وقعوا فيه. فحدث من حركتهم تلك في ذواتهم الطول الأول. فأنكروه واستوحشوا منه أعظم مما سلف. فتحركوا حركة ثانية حدث منها العرض الأول. فأنكروا ذلك أيضاً وتحركوا (حركة) ثالثة حصل منها العمق الأول. فصاروا جسماً واحداً ممتزجاً بعضه ببعض. فكانت تلك الحركات من حكمة العاشر المتولى لتدبيرهم، لأنه علم بما ظهر له منهم من العصيان، أنه لا خلاص لهم في عالم الصفاء لأنه عالم منزّه عن المخالفة والعصيان. فحركهم حتى صاروا جسماً كلياً ليجعل منه لهم ادارات وآلات يستخلصهم (بها)، ودعوة يقيمها لنجاة من يقبل منهم أولاً فأولاً، كما سنبينه بعد ذلك ان شاء الله.

(٣٥٩) «رسالة المبدأ والمعاد» ص ١٠٣ وما بعد.

(٣٦٠) انظر ص ٨٦ وما بعد.

وذلك أنهم كانوا في عصيانهم للعاشر متفاوتين في الضائير. فمنهم النادم المستغفر، ومنهم الشاك المتحير، ومنهم المصر المستكبر. فلما صار الكل جسماً واحداً وهبط عن عالم الصفاء للكثافة التي أصابته - لأنه من شأن كل كثيف الهبوط ومن شأن اللطيف الصعود والعلو، - فجعل الحكيم المدبر أصفى الهابط أفلاكاً وكواكب وأوسطه أمهات، وأكثفه صخرة تسمى المركز، وهي بأسفل الأرض. وكان ذلك من العدل والحكمة أن جعل كل فريق حيث يستحقه لسابق نيته وضميره.

فلما هوت الكثافة ساقطة، وقد كان حدث عند تلك الحركات الأولى من المتحرك أوتاد الفلك وهي الطالع - وهو البرج الذي يكون في أفق المشرق، - والغارب - وهو البرج الذي يكون في أفق المغرب، - والعاشر - وهو البرج الذي يكون في وسط السماء، - والرابع - وهو البرج الذي يكون تحت الأرض - فلما هوت تلك الكثافة، وتجذبتها تلك الأوتاد من جهاتها، وقطبا الفلك من جهة الشمال والجنوب، فوقفت في وسط الفلك وصار الفلك محيطاً بها من جميع جهاتها، والأرض وما عليها واقفة في وسطه كمثلي مع البيضة الأصفر المحيط به البياض والقشر من جميع جهاته» (٣٦١).

وبعد ذلك انفتق الجو وترتبت الأفلاك تسعة أفلاك، كل فلك منها في ضمن الآخر. والفلك المحيط يحيط بالجميع (و) يحرك جميع الأفلاك في كل يوم وليلة حركة كلية الهية بقوة المدبر ومادته من المشرق إلى المغرب. وترتبت الأفلاك السبعة السيارة كل كوكب منها في فلك وصارت جميع النجوم في الفلك الثامن المسمى « فلك البروج » مقسمة اثني عشر قسماً، كل قسم منها برج. وصار الفلك التاسع خالياً لا شيء فيه من البروج والكواكب للطفاته وشرفه.

فلما تحرك الفلك الحركة الأولى، رمت الكواكب بأشعتها نحو الأرض، وقد كان بقى على وجهها شيء من جنس الفلك، فجذبته الكواكب إلى

(٣٦١) «المبدأ والمعاد» ص ١٠٦ من (سه رسالة اسماعيلي).

ذواتها، وسيَرته لها أصدافاً مشرقة، وهو النور الذي يدركه البصر من النجوم، والآ فهي كانت قبلُ وهمية كالأفلاك لا تراها الأبصار. فجعل المدبّر تلك الأصداف بحكمته لانارة العالم الظلمانيّ الجسمانيّ، ولأن تدرك حواسّ البشر ذلك، فيحقّ عندهم قدرة المدبّر - تعالى من أقدره - وصحة وجود العالم الفلكيّ.

ولما تحركّ الفلك، صار ما يليه من الجوّ المنفتق - الذي في ضمن فلك القمر - في نهاية الحرارة واليبس، وذلك طبع النار، فسُمي الأثير، وهو احدى الأمّهات الأربع وأولها، وهو مركز النار ومعدنها، إلا أنها فيه غير مرئية بالأبصار، ولو ظهر ضوءها، لمنع الأبصار عن إدراك عالم الأفلاك، فكان احتجاب ضوءها حكمة من المدبّر - تعالى من أقدره لذلك - ثم صار ما يلي الأثير من الجوّ حارّاً رطباً لبعده عن الحركة الفلكيّة، فاعتدل، فسُمي الهواء الذي هو ثاني الأمّهات الأربع. ثم صار ما يلي ذلك من الجوّ بارداً رطباً سيّلاً، هو مركز الماء وهو ثالث الأمّهات الأربع، ثم كانت الأرض وما يليها من الجوّ في نهاية البرد واليبس لشدة بعدها عن الفلك، وهو رابع الأمّهات «(٣٦٣)».

فهذه خلقة العالم الجرمانى.

وأما العالم الجسماني فقال :

« فلما أراد المدبّر أن يجعل الأرض مقراً لظهور ما يظهره من المواليد - التي هي المعدن والنبات والحيوان - وكانت وما يليها من الجوّ في نهاية الافراط في البرد واليبس، فحركّ الفلك، فرمت الكواكب بأشعتها نحو الأرض، وقد كانت صخرة صلدة لشدة بردها ويبسها، فلم تجد الأشعة فيها منفذاً لصلابتها، فرجعت منعكسة، فسخت وجه الأرض وما يليها من الهواء، وصيرته معتدلاً بين الحرّ والبرد واليبوسة والرطوبة، وسُمي ذلك «كرة

(٣٦٢) « المبدأ والمعاد » ص ١٠٨، ١٠٩.

النسيم « وهو بالحقيقة مركز الماء الذي عنه يحدث ، كما سنذكره فيما بعد ، ان شاء الله . وكما انعكاس الأشعة إلى حدّ ما سخن (من) الهواء ، وبقي ذلك الهواء الذي لم تبلغه أشعة الكواكب راجعة على طبعه الأوّل بارداً يابساً ، وهو أعلى مركز النسيم ، ويسمى « كرة الزمهرير » .

ثم إنّ المدبر - تعالى (من أقدره) - صرف تدبير العالم إلى زحل بمادته في تحريكه للفلك ، فدبّر العالم ألف سنة . فامتزجت الطبائع المذكورة بعضها ببعض ، وحدثت البخارات والضباب والأمطار المتواترة غير النافعة ، وصارت الأرض بحرّاً مواجاً ، وتحمّر في ذلك الألف ما يشاكل طبع زحل من الحديد والأحجار ، وصارت الأرض مغمورة بالمياه ، وميّز كل جنس من الأشياء إلى جنسه ، وخر خمائر السودان والوزاع وأهل الشقاء والنكال أجمع .

ثم إنّ المشتري رافد زحل في التدبير ألف سنة ثانية ، فجفّف بحرارته أكثر الرطوبات ، وميّز ما يشاكل طبعه من الأشياء المحمودّة عمّا مازجها من المذموم ، وخر الخمائر التي تشاكل طبيعته الشريفة من أهل الدين والعفاف ؛ ونبت في دوره أوّل النبات ؛ ودبّ الدبيب ، وحدث النمل والوزغ وبنات وردان .

ثم إنّ المريخ رافد زحل في التدبير ألف سنة ثالثة . وهما نجما الفلك - أعني زحل والمريخ - فجفّف المريخ بحرارته أكثر تلك الرطوبات ونشفها ، وفتت الجبال المنعقدة في ألف زحل وصيرها رملاً ؛ وظهر في وقته صغار الحيوانات الشريرة كالفار والسنانير وما يشاكل ذلك من السباع والهوام وذوات السموم ؛ وخر خمائر القوادم والأجناد والشجعان ، ومن المعدن والنبات ما يشاكل طبعهما .

ثم إنّ الشمس رافدت زحل في التدبير ألف سنة رابعة . فأزالت تلك الظلم والضباب من وجه الأرض ، وعدلت الأمطار بعض الاعتدال ، وخرت خمائر العظماء وما يجانسها من الأشياء الشريفة كالياقوت والذهب وما يجانسها من الحيوانات ، واعتدل الجو بعض الاعتدال .

ثم إن الزهرة رافدات زحل ألف سنة خامسة . فخمزت خوائر العرب والنساء وأهل اللهو والطرب : ونبعت العيون المعذبة ؛ فنزلت الأمطار معتدلة : وظهر في تدبيرها الأشجار المثمرة الطيبة الروائح ، وظهرت الطير وانتشرت في الهواء ، وتكونت الحيوانات المعتدلة النافعة ، وكل ذلك مقدمة لظهور الشخص البشري .

أما خلقه الانسان فنذكره أيضاً من رسالة (المبدأ والمعاد) ، فيقول حسين بن الوليد في الفصل الثاني في الابتداء البشري :-

ثم إن المدبر تعالى حرّك الفلك ، فصعدت البخارات الحادثة من صفو المعدن والنبات والحيوان ، فصارت غيوماً ، ثم انهلّت على وجه الأرض أمطاراً صافية معتدلة ، وخدّدت الأرض خدداً غير عميقة وقد صفا ذلك الماء في عمقها ، ثم صعد بخاراً على أشرف والطف وأصفى من الأول ، فأنهل مطراً كثيراً نظير منى الرجل . فوقع في تلك المغارات والخدد التي شبيهة بأرحام النساء ، فمازج الماء الكائن فيها المشاكل لماء المرأة ، فصار شيئاً واحداً .

ثم أسخنته حرارة الأرض ، فصعد ، هارباً من الحرّ ، فلاحقه برد النسيم من خارج الخدد ، فهبط منه هارباً ، ثم لم يزل يهبط تارة ويصعد تارة ، وهو يقتصر ويتلطف وينعقد ويتكوّن في مراتب الخلقة مدّة تسعة أشهر بتدبير المدبر وتأثير قوى الكواكب والأفلاك فيه إلى أن كملت له المدّة . ثم فتح عينيه وحواسّه ، واستنشق النسيم ، واتّصلت به الحياة المحيية الحسيّة بواسطة النسيم . فتمدد تارة وقعد تارة ، وجعل يتمرّغ ببدنه في ذلك الماء الذي تكوّن منه ، ويجتذبه بمسامّ بدنه وقد صار دهناً .

ثم طلب الغذاء من فمه ، وقد كان أولاً يغتدى بسرته من صفو ذلك الدهن ، فجعل يمتص أصبعه الإبهام ، فأجرى الله له فيها لبناً خالصاً سائغاً للشاربين ، فاغتذي به ، فجعل ينام تارة ويقعد تارة إلى أن كمل له سنة ، ثم قام ، وهو يومئذ في كبر جثته كمثل ابن أربع سنين ، وذلك لكبر الأبوين

اللذين هما السماء والأرض . فمشى وتناول بما قرب منه من الغذاء من التين والعنب والفواكه التي قد كان قدّمها له المدبر سبحانه وكان هذا النشوء الحادث في جميع جزائر الأرض الأثنتا عشرة . وتكوّن من فضلات تلك المياه إناث ، وكان النشوء الأوّل كلّهم ذكوراً .

وكان المدبر تعالى قد ميّز من تلك المياه أصفافها وأشرفها وأفضلها ، وساقه إلى أشرف البقاع في أوّل الكون ، وهي جزيرة « سرنديب » ، لأنها موضع الاعتدال من الأرض يومئذ . في تلك الخدد في تلك الجزيرة ثمانية وعشرون شخصاً هم في الشرف والفضل على سائر البشر بمنزلة الياقوت الأحمر في شرفه على الأحجار ، وفيهم - أعني الثمانية وعشرين شخصاً - شخص واحد له عليهم من الشرف والفضل ما للياقوت الأحمر على الأحجار ، وهو زبدة العالم وصفوته وخلاصه .

وهذا الشرف الحاصل لهذه الثمانية والعشرين شخصاً على سائر البشر وللواحد على السبعة والعشرين ، وهو من أجل صفاء النية وكثرة الندم على الخطيئة عند دعوة العاشر لهم ، فكان هذا الواحد هو صفوة العالم وزبدته وخلاصته وأشرفه ، فلما ظهر من تلك الخدد كظهور أبناء جنسه ، نظر من ذاته بذاته من غير معلّم ولا ملهم إلى العالم ، فرأى سماء مبنية وأرضاً مدحية وأصنافاً من الخلائق مختلفة .

فعلم بفكرته وهجم بذاته على الحقّ . فعلم أنّ له ولأبناء جنسه وللعالم كافة مبدعاً هو بخلافهم ، فنفى الألّهية عنه وعنهم ، وأقرّ بها لمبدعهم وشهد بها لخالقهم . فقام في العالم الداني مقام السابق الأوّل في العالم الروحاني . فاتّصل به قسطه من المادّة والتأييد عن السابق الأوّل بوساطة سائر العقول الابداعية وبواسطة حدّه الموجد له المستخرج له من عالم الطبيعة ، الذي هو العاشر مدبر عالم الطبيعة . فشرف بتلك المادّة التي واصلته على أبناء جنسه ، وعلم بها ما كان وما سيكون » (٣٦٣) .

(٣٦٣) أيضاً ص ١١٣ .

« ثم انه ظهر في هذه المغارات الظاهرة منها تلك الأشخاص المذكرة، أشخاص اناث بعقبها على هيئتها لكنها أقل منها حرارة وأكثر برودة، وهيأت لها، ومثلت لها طلباً للمناكحة لظهور أمثالها من النشوء البشري الذي هو الغرض المقصود ».

فهذه هي خلقه العوالم الثلاث .

ومعلوم أن هذه الأفكار والآراء في خلقه الكون والبشر تخالف تماماً ما أخبر الله به في كلامه المحكم وما ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . لا نحتاج لإثبات ذلك إلى شواهد وبراهين من الكتاب فانها معلومة مشهورة لكل صغير وكبير، وجاهل ومتعلم .

المعاد

وأما معتقدات الاسماعيلية في المعاد فلا تختلف عن عقائدهم في المبدأ وفي بُعدها عن تعاليم الاسلام، المقتبسة من القرآن والسنة، بل اعتقاداتهم كلها مبنية على معتقدات الهندوس والمجوس واليهود والفلاسفة الملاحدة، والقائلين بالتناسخ والحلول، ونحن نحاول إثبات ذلك في هذا الفصل من كتب الحقائق للإسماعيلية ولو أنهم ينكرون هذه المعتقدات في كتب الظاهر ويردّون عليها، ونهج منهج الفصل السابق في هذا الفصل أي اختيار عبارات سهلة الفهم، غير معقدة ودقيقة كي لا يصعب على الباحث والقارئ إدراك الحقيقة التي هي مكتشفة ظاهرة، فنبداً بالموت عند الاسماعيلية .

(٣٦٤) « الأنوار العظيمة » للحارثي البجلي ص ١٠١ .

إلى اين يصير الانسان بعد الموت ؟

يعتقد الاسماعيلية أن الناس ينقسمون إلى قسمين : مؤمنين ومنحرفين ، أو أولياء ومخالفين أو الأضداد ، فالمؤمن والولي والصالح « من كان مقيماً على ولاية إمام الزمان ، طائعاً للحدود ، موحداً للمعبود ، والمنحرف والمخالف والضد عن عائد حدود الدين ، وأظهر المنافرة للحدود ، وخرج عن ولاية إمام الزمان وطاعته ، أو فارق حرم الدعوة الاسلامية وانعزل عنه وتشكك في الحق اليقين وخرج بعد دخوله فيه منه » (٣٦٥).

ثم كل واحد منهم على درجات في الموالاة والمعاندة .

فالمؤمنون على قسمين عند الحارثي اليباني تكون أحوالهم بعد الموت كما يبينه ويوضحه بقوله :

إن أهل الحق على ضربين ، أحدهما : أهل المعارف الحقيقية ، والعلوم الألهية ، والأعمال الصالحة ، والموالاة لجميع الائمة من ناطق الدور ووصيه ، إلى امام الزمان وحدوده ، وهؤلاء هم الذين يكونون عند مفارقتهم لكثائفهم ، الأعضاء الرئيسية من ذلك الهيكل النوراني الذي هو هيكل

(٣٦٥) « الذخيرة في الحقيقة » لعلي بن الوليد - الفصل السادس والعشرون ط دار الثقافة لبنان

١٩٧١ م .

الإمام (عليه السلام)، وعلى قدر مبلغ كل واحد منهم في العلم والمعرفة والولاء يكون علوه في ذلك الهيكل النوراني، ويتلوهم أهل الولاء المحض، والأعمال الصالحة في ذلك الهيكل، فيكون كل واحد منهم في موضعه الذي يستحقه هذه لطائفهم دون كثائفهم، فأما كثائفهم، فتكون محفوظة في أعز عز، وأحرز حرز، وذلك أنها تعود إلى السحيق، بعد مفارقة لطائفهم، ثم إلى المزاج والمرتج، ثم تعود إلى الأرض أمطاراً، ثم تطف إلى أن تحلل بخاراً، ويصعد إلى فلك البروج في أماكنها، وينحدر ذلك من البروج إلى الأرض، ثم يصير تراباً سحيقاً، ثم ترتقى إلى أن تصير في القامة الألفية انساناً، وذلك الصاعد الكائن خلفاً للمنحدر، هو قسم اللحم والجلد والمخ والأعصاب والعروق، وأما قسم العظام فبقي في الأرض مدة طويلة بسبب صلابتها وشدتها، ثم ينحل شيئاً بعد شيء، ويصير بخاراً متلطفاً، ثم يصعد إلى المزاج والمرتج.

وينصب مطراً إلى البحار، والمغارات الطيبة من بقاع الأرض، فينعقد يواقيت ودررا ولؤلؤا، ويصير منقسماً إلى تيجان الملوك، وإلى خزائنتهم وإلى أيدي الرجال وإلى نحور العذارى، وجميع ذلك بنظر من العناية الإلهية، وتديرها وتركها كل شيء من ذلك في موضعه اللائق به. ولا يزال ذلك مصوناً معززا مكرماً محفوظاً محبواً، عند الخلائق أجمع العالم منهم والجاهل والولى والمتكبر برهة من الدهر إلى أوان عودته، ثم يصير إلى السحيق، ويرتقى شيئاً بعد شيء إلى أن يظهر بالقامات الألفية شخوصاً انسانية، وقد تنخمر منها لها وانفعل بتدبير الكواكب ونظر من العناية الإلهية نفوس كالأولة وقد تطلعت وانفعلت وهي أحد أعضاء تلك الأجسام عضو من أعضائه الشريفة، قد اذن له بالخلاص والصعود فيتلطف ويتخمر وينفعل ويقبل، فيكون نفساً لذلك الجسم تقديراً من حكيم جميل.

فعند كمال هذه الأشخاص وبلوغها الحلم تدعى فتجيب ويؤخذ عليها العهد الكريم، وترتقى في الرتب الدينية والمعارف الحقيقية شيئاً بعد شيء من غير أن يدخلها شك ولا يعرض لها شبهة بل تكون جارية في مضمار

الصعود، سالمة من العوائق والدواجن إلى أن يبلغ مالها أن تبلغه وهو مبلغها الذي بلغته في أول وهلة عند كونها وظهورها بالجثة الابداعية لا قصورها عن ذلك المبلغ، ولا نفوذ لها عنه بل لكل واحد بلوغ رتبته التي كانت، فالباب يعود باباً، والحجة يعود حجة، وداعى البلاغ يعود داعى البلاغ، والداعى المطلق يعود داعياً مطلقاً، والمحصور محصوراً والمأذون المطلق مأذوناً مطلقاً، والمحصور محصوراً والمؤمن البالغ مؤمناً بالغاً، والمستجيب مستجيباً وكل على حالته الأولى لا يعدوها وإن بلغ في العلم فوق ما كان مبلغه قادمًا فلا صعود له عن تلك الرتبة أبداً، ولا يزالون كذلك كلما صفت نفس وصعدت إلى عالم الصفا، انبعث في جسمها المتخلف نفس أخرى بتدبير المديرات ونظر من العناية الالهية، تلك النفس المنبعثة هي عضو من أعضاء ذلك الجسم، قد استحق الصعود، فنظر إليه وعنى فيه حتى استخرج نفساً لذلك الجسم، واتصل به من مركز الحس ما يلائمه عند الولادة الجسمانية، فيكونان ذاتاً واحدة على ما سبق به القول. وهؤلاء هم الذين أعرب عنهم الكتاب الكريم بقوله تعالى «قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون، والذين هم للزكاة فاعلون، والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين، فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون» ولما بلغوا هذه المبالغ الشريفة فلم يكن لهم أن يخالفوا شيئاً مما انتظمته هذه الآية، اذ هي سماتهم ظاهرها وباطنها لا سمات غيرهم، جعلنا الله ممن خص بهذه السمات، ولا عدل بنا عنهم، بحق محمد وآله الطاهرين.

أما الضرب الثاني فهم أهل الولاء المتعلقون بشيء من العلوم الدينية، والحكم الالهية، التاركون للعبادة الظاهرة، الممتدة أيديهم إلى شيء مما حظرت الشريعة، فيكون ولاؤهم وما علموه من علم، غير ضائعين، إنما ارتكابهم لتلك المحظورات، وقطعهم للأعمال الموضوعات حجاب، قد حجب بين نفوسهم وبين أكثر المعارف الحقيقية، والأنوار الالهية، فلم يتصلوا منها إلا بأيسر شيء، فتجوهرت به نفوسهم، وفارقت موضوعاتها

عند نقلتها، فيكون من ذلك الهيكل النوراني، والمقام الألهي القدساني، منها ما هو بمنزلة الظفر من الجسم، ومنها ما هو بمنزلة الشعر، ومنها ما هو بمنزلة سفالة القدمين، وكل منهم على قدر ما يستحقه يكون موضعه من ذلك الهيكل الشريف، وعلى قدر الأعمال والعلوم. وصدق الولاء لناطق الدور ووصيه والأئمة من ولدهما، وامام الزمان خصوصاً، وحدود دينه - يكون التفاصيل عدلاً من الله تعالى، وكذلك يكون تفاضل نفوسهم الريحية، أعنى الفريقين جميعاً في الناسوت الذي هو غلاف ذلك الهيكل النوراني حدوا بحذو، ولا تغادر فيه صغيرة ولا كبيرة.

وأما أجسام هؤلاء، فلا بلوغ لها إلى مبالغ أجسام أهل الضرب الأول، بل تبقى مرتبة بتلك الأفعال القبيحة التي تعدت إليها واقدمت عليها من غير حلها، فيقتص منه بجميع ما أسلفته وفعلته من قليل وكثير ويسلك بها في شيء من صرط العذاب، ومطامير العقاب الأدنى، وتعرق بالنار المصفية إلى أن يكمل ما عليها من المظالم، واستؤنف بها العمل والترقى إلى أن تظهر إلى القامة الألفية، من السحيق والمزاج والممتزج، ثم إلى الأغذية والنطف على ما سبق به القول، ثم تدعي فتجيب، وتتصل إلى حدها الذي بلغته أولاً» (٣٦٦).

هذا ومثل هذا في رسالة المبدأ والمعاد (٣٦٧).

وأيضاً في كتاب (الذخيرة في الحقيقة) لعلي بن محمد بن الوليد المتوفي ٦١٢ هـ (٣٦٨).

(٣٦٦) « الأنوار اللطيفة » للداعي الاسماعيلي طاهر بن ابراهيم الحارثي الباني المتوفي ٥٨٤ هـ ص ١٣١ إلى ١٣٣، الباب الثالث من السراشق الثالث الفصل الأول إلى الفصل الرابع ط الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ١٩٧٠ م.

(٣٦٧) انظر ص ١١٦ وما بعد من (سه رسالة اسماعيلي) تصحيح المستشرق الفرنسي هنري كربين.

(٣٦٨) انظر ص ١٢٥.

وذكر ذلك أيضاً الداعى الاسماعيلي على بن حنظلة المتوفي سنة ٦٢٦ هـ
في كتابه (سمط الحقائق) (٣٦٩).

وأيضاً إبراهيم بن الحسين الحامدي في كتابه (كتر الولد) (٣٧٠).

وأما معاد المخالفين أو المنحرفين أو الأضداد فيقولون :

«أن المخالف للحق المعادي تحصل عنده من عداوة أهل الحق وأعمال
أهل الشر صورة ظلماتية . فإذا كان عند موته تجردت له تلك الظلمة ،
فأفرغته وارعبته ، واستوحش منها وارتاع بالترائي . وذلك أول عذابه ، كما أن
سرور المؤمن بترائي صورته واشراقها عند موته أول ثوابه . ثم أن تلك
الصورة الظلماتية تفارق نفس الضد ، وتجول في الأفق ، تطلب الصعود ، فلا
يمكنها ؛ وتطلب الرجوع إلى ذلك الجسم ، فلا يمكنها . فتجول في الهواء . . .
إلى أن يوافق من يستحق أو يحل فيه من امرأة جاهلة أو صبي أو من يشاكله ؛
فيدخله ويصرعه ويصير ينطق على لسانه ويوسوس له ويأمر بالمعاصي ، وربما
زال عنه ، وربما لازمه إلى أن يموت ذلك المصروع .

وفارقه ذلك التصور ، وصار يأوي مع أشكاله من الصور الخبيثة إلى
البوادي والقفار وإلى المواضع الوسخة والبوايع والسواقي والشعاب ،
ويتراءى للناس في مناماتهم ، ويحرضهم على أفعال الخنى وعداوة الحق . وهذه
الصور هم الجن المذمومون والشياطين والعفاريت المتمردون الضارون للبشر
المحدثون فيهم الأحداث والصرع ، الذين تطردهم الرقي والعزائم وقراءة
القرآن ، فيهربون وينصرفون به .

ولا يزال كل صورة منهم تجول في الأماكن الموحشة ما شاء المدبر . ثم
تصعد بعد ذلك إلى ذنب التنين ، وهي ظلمة تسمى الرأس ، والذنب
خارجة من نطاق الفلك ، وأصلها من أحسن تلك الظلمة الهابطة بالخطيئة

(٣٦٩) انظر ص ٤٧ وما بعد .

(٣٧٠) انظر الباب الثالث عشر من كتاب (كتر الولد) ص ٢٩٤ وما بعد .

من عالم الابداع . وهذه الظلمة - التي هي الرأس - والذنب هي مغناطيس لهذه الصورة الشيطانية الخبيثة لما بينهم من المناسبة، وهي مركزها، فتقيم هنالك، ويكون فيها من الأفعال الضارة بالعالم ما يطول شرحه .

ثم يصير بعد ذلك إلى برزخ العذاب الأدنى، ثم إلى العذاب الأكبر . فربما أن يكون منهم من ذنوبه قليلة، فيجيب دعوة بعض الأنبياء - عليهم السلام - فيسلم ويقيم يخدم كما هو مجرد في معونة الأولياء وتخليص من وقع في شدة منهم . ثم إذا وفي واستحق المجازاة، لحق بالسحيق . ثم جاء في برازخ الصعود المحدودة من المعدن والنبات والحيوان إلى أن يحصل في الصور البشرية . ثم يستجيب ويصعد . وهذه جملة القول في التصور . هذا معاد النفس، وأما معاد الجسم فيقول :

القول على معاد جسم الضد ونفسه . وذلك أنه إذا فارقه التصور وقبر جسمه، بعد أن تشيع نفسه فيه ولا تفارقه، فإن نفسه تشيع في جسمه ولا يفارقه غير التصور، وباقي النسيم الذي كان يستنفسه - وهو يسمى نفساً هوائية - تفارق أجسام الحيوان كلها عند الموت، فإذا دفن وأنتن وتمزق في التراب، لحق كل قسم منه بقسم من الأمهات : بخار الصفراء بالنار، والدم بالهواء، والبلغم بالماء، والسوداء بالتراب . . . بقدرته المدبر تعالى .

ثم يجتمع ما صعد منه، فيكون مطراً ويقع في جملة غيره، ويلحق ما ينحل منه إلى التراب الذي بقي منه . فيكون منه نبات يغتذى به بعض من يستحق أن يكون عنده ويعبر منه من أجناس برازخ العذاب . فأولها مثل الزنج ومن يشاكلهم . فإذا اغتذى الذكر والأنثى بشيء منه، ظهر ذلك الغذاء خبيثاً مثل والديه ويقيم مدة ما يستحق الإقامة . ثم يموت وتشيع نفسه في جسمه، وهي تعكس أولاً، وتصير عند العودة نفسه في جسمه قد تكثفت بالمعاصي، فتصير جسماً له . ثم يموت وينحل مثل المرة الأولى، ويصير نباتاً، ويغتذيه من يستحق الكون عنده مثل النسناس والعدار والدب .

ثم يموت بعد ذلك ويستحيل مثل المرة الأولى، ويصير إلى أسفل من ذلك يغتذيه مثل القرد والكلب؛ وجملة القول أنه يصير في سائر الصورة

المذمومة من الحيوان. تمّ إذا استوفى < . . . > في برازخ العذاب في النبات، يصير نباتاً سماً قاتلاً مهلكاً. فكّلما استحال وتهشم، صار إلى أسفل من ذلك، إلى أن يستوفى برازخ النبات. ثمّ يرجع إلى المعادن المذمومة مثل الزاج والكبريت والحديد والرصاص وما يشاكل ذلك. ثمّ يستوفى ما يستحقّه في المعادن . . . وهذا يختص بالأضداد الكبار وأهل المعاصي الكبار والخبثاء الأشرار. فأما سائر الهمج والرعاع، فلا يصلون إلى ذلك لعدل الله سبحانه، لأنّه يجازي كلّ أحد بقدر فعله، بل إنّ الميت من الهمج والرعاع إذا مات، شاعت نفسه في جسمه ولم يفارقه إلّا الهوائية التي ذكرت. ثمّ يتحلّل ويصير من البرازخ المذكورة فيما يستحقّه منها على قدر عمله، ان استحقّ بعضها أو كلّها. ثمّ يرجع صاعداً بالاستحالة والولادة إلى الصور البشريّة، وتعرض عليه الدعوة. فإن استجاب، خلص؛ وإلّا، ردّ إلى ما يستحقّه باكتسابه في المرّة الثانية، لأنّ العدل لا يظلم العباد ولا يخلف الميعاد، والغرض كلّ في انشاء الحلقة استخلاصها ممّا وقعت فيه من الخطيئة والإنكار. فمن تخلص صعد، ومن أبى وعاند الحدود، ارتكس وهبط» (٣٧١).

ومثل ذلك ورد في (الأنوار اللطيفة) لطاهر بن إبراهيم (٣٧٢).

وأيضاً في (الذخيرة في الحقيقة) لعلي بن الوليد (٣٧٣).

وأيضاً في (كنز الولد) لإبراهيم الحامدي (٣٧٤).

وورد مثله كذلك في كتاب فارسي (هفت باب أبو اسحاق) للداعي أبو اسحاق قوهستاني (٣٧٥).

(٣٧١) «رسالة المبدأ والمعاد» ص ١٢٥ وما بعد من «سه رسالة اسماعيلي» الفصل الخامس.

(٣٧٢) انظر الباب الرابع من السراشق الثالث ص ١٣٥ وما بعد.

(٣٧٣) انظر الفصل السابع والعشرين بعنوان (مصير المخالفين) ص ١٢٦ وما بعد.

(٣٧٤) انظر الباب الرابع عشر ص ٢٩٤ وما بعد.

(٣٧٥) انظر باب ششم بعنوان (در بعد عودن روحاني وجسماني ومبدأ ومعاد) ط مطبعة

حيدري طهران ١٩٥٧ م.

وأيضاً في كتاب فارسي آخر (سي وشش صحيفة) للداعي سهراب ولي بدخشاني (٣٧٦).

وقد نظم هذا الاعتقاد الداعي علي بن حنظلة في كتابه سمط الحقائق (٣٧٧).

وانظر لذلك أيضاً (مسائل مجموعة من الحقائق العالية) (٣٧٨).

الحلول والتناسخ

وهذه هي عين عقيدة التناسخ، وعين ما يعتقد الهندوس، ومعلوم أنه قل من يؤمن بعقيدة التناسخ ولا يؤمن بالحلول.

ولقد أقرّ بهذه العقائد وجاهر بها الأئمة الاسماعيلية المعصومون - حسب زعم القوم - ودعاتهم البارزون في كتب الحقائق، ولو أنهم ظاهروا مخالفة هذه العقائد وعدم الإيمان بها في كتب الظاهر، واتهموا مخالفهم بأنهم هم الذين كذبوا عليهم، وألصقوا بهم التهم الكاذبة المختلفة باعتقادهم مثل هذه العقائد وأنهم منها براء، وقد انخدع بأقوالهم الظاهرة بعض من كتب عنهم من المسلمين والمستشرقين لعدم التعمق في كتبهم السرية أو كتب الباطن كما يسمونها.

وها نحن ننقل اثباتاً لما قد ثبت فيما مرّ نصوصاً صريحة في معتقداتهم الحقيقية الأصلية التي طالما خفيت على الناس في هذا الخصوص زيادة على ما

(٣٧٦) انظر ص ٥١ ط مطبعة قيهان طهران.

(٣٧٧) انظر ص ٤٨ وما بعد تحت عنوان (القول على المعاد المذموم).

(٣٧٨) انظر ص ٥٦ من أربعة كتب اسماعيلية.

أوردناها في معاد المؤمنين والمخالفين، فينقلون عن علي رضي الله عنه - وهو الأساس القائم مقام الله عند الاسماعيلية - (٣٧٨) أنه قال :

«أنا ومحمد نور واحد من نور الله . . . أنا صاحب الرجفة، صاحب الآيات . . . أنا أهلك القرون الأولى، وأنا النبا العظيم الذي هم فيه مختلفون . . . أنا الكتاب . . . أنا اللوح المحفوظ . . . وأنا القرآن الحكيم . . . أنا محمد ومحمد أنا . . . ان ميتنا لم يميت وقتيلنا لم يقتل، ولا نلد ولا نولد . . . وأنا الذي نجيت نوحا . . . ونطقت على لسان عيسى بن مريم في المهد، فآدم، وشيث، ونوح، وسام، وإبراهيم، واسماعيل، وموسى، ويوشع، وعيسى، وشمعون، ومحمد، وأنا كلنا واحد . . . أنا أحيى وأميت، وأخلق وأرزق، وأبرئ الأكمه والأبرص . . . وكذلك الأئمة المحقون من ولدى، لأننا كلنا شيء واحد يظهر في كل زمان» (٣٨٠).

وكيف يمكن أن يكون الشخص الواحد متشخصا في أشخاص عديدين، ومتصورا هذه الصور الكثيرة؟ يجيبون عليه بقولهم :

إن الأئمة يتشخصون للبشر كيف شاءوا بأي شخص أرادوا على ما يقتضيه الزمان وتوجه سياستهم . وظهور مولانا اسماعيل بن جعفر صلوات الله عليهما معجزة أظهرها ليبين بها فضله وعالي رتبته، وذلك مما أقدرهم عليه المحتجب بهم فاعلم ذلك» (٣٨١).

هذا ولقد أورد الاسماعيلي المعاصر مصطفى غالب في كتابه الدعائي (تاريخ الدعوة الاسماعيلية) خطبة كاملة لعلي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه بعدما قدمها بهذه العبارة :

(٣٧٩) انظر «راحة العقل» ص ٥٧٧ وغيره من الكتب . كما بينا ذلك في باب الوصي والوصاية من هذا الكتاب .

(٣٨٠) «زهر المعاني» للداعي ادريس عماد الدين الباب السابع عشر ص ٧٤ وما بعد من (المنتخب من بعض الكتب الاسماعيلية) لأيوانوف ط اجل بريس يومىء .

(٣٨١) «مسائل مجموعة من الحقائق العالية» ص ١٢٠ من أربعة كتب اسماعيلية .

«وقد تمكنت من الحصول على نسخة خطية من خطبة البيان المشهورة أقدمها للقراء نظراً لما لهذه الخطبة من مكانة سامية في القلوب» (٣٨٢).

وذكر أنه نقل هذه الخطبة من كتاب (رسالة مختصرة في تحقيق اعتقاد الاسماعيلية) للداعي الاسماعيلي سليمان درويش كما ذكر الناشر أنه يوجد لها مخطوطتان بباريس أرسل إليه صورة عنها (٣٨٣).

وهذا نص الشاهد من هذه الخطبة الطويلة، نوره بتسامه لما له من أهمية، ولما للخطبة من مكانة سامية في قلوب الاسماعيلية، فينقلون عن على رضى الله عنه أنه قال بعد كلام طويل:

«أنا سر الأسرار، أنا شجرة الأنوار، أنا دليل السموات، أنا أنيس المسبحات، أنا خليل جبرائيل، أنا قائد الأملاك، أنا سمندل الأفلاك، أنا سائق الرعد، أنا شاهد العهد، أنا سرير الصراح، أنا حفيظ الألواح، أنا قطب الديحور أنا البيت المعمور، أنا محرك العواصف، أنا مزن السحاب، أنا نور الغياهب، أنا شرف الدوائر، أنا مؤثر المآثر، أنا الميثاق، أنا عصام الشواهد، أنا سهام الفراق، أنا شعاع العساعس، أنا جوف الشوامس، أنا فلك اللجج، أنا حجة الحجج، أنا الأمم، أنا فضيل الزمم، أنا سبب الاسباب، أنا أمين السحاب، أنا مسود الخلائق، أنا محقق الحقائق، أنا جوهر القدم، أنا مرتب الحكم، أنا منية الأمل، أنا عالم العوالم، أنا شريف الذات، أنا محدث الشتات؟ أنا الاول والآخر، أنا الباطن والظاهر، أنا البرق اللموع، أنا السقف المرفوغ، أنا قمر السرطان، أنا زحل الثواقب، أنا غفير الشرطين، أنا ميزان البطين، أنا حمل الاكليل، أنا عطارد التفصيل، أنا قوس العراك، أنا خرقد السماك، أنا مريخ القرآن، أنا عيوق الميزان، أنا حارس الاستراق، أنا جناح البراق، أنا جامع الآيات، أنا سرير الخفيات، أنا ساجر البحر، أنا قسطاس القطر، أنا صاحب الحديد، أنا امير

(٣٨٢) «تاريخ الدعوة الاسماعيلية» ص ٤٤ لمصطفى غالب ط دمشق سورية.

(٣٨٣) أيضاً ص ٢٢٩.

النيرين، انا محط القصاص، انا خلاصة الاخلاص، انا شمالال الخيال، انا
 مقدم الآمال، انا مفجر الانهار، انا معذب الثمار، انا مفيض الفرات، انا
 معرب التوراة، انا ملك ابن ملك، انا هدية الملك، انا مبين الصحف، انا
 يافث الكشف، انا ذخيرة الشكور، انا مفصح الزبور انا مؤول التأويل، انا
 مفسر الانجيل، انا أم الكتاب، انا فصل الخطاب، انا صراط الحمد، انا
 اساس المجد انا منجد البررة، انا فصول البقرة، انا مثقل الميزان، انا صفوة
 آل عمران، انا علم الأعلام، انا جملة الانعام، انا تبيان النساء، ألفة
 الآلاف، انا رجل الاعراف، انا محجة القال، انا صاحب الانفال، انا مائدة
 الكشف، انا توبة الثقف، انا صادق المثل، انا راسخ الجبل، انا سر
 ابراهيم، انا ثعبان الكليم، انا علانية المعبود، انا صف هود، انا نخلة
 الخليل، انا مبعوث بني إسرائيل، انا مخاطب الكهف، انا محبوب الصف،
 انا ولي الاولياء، انا ورثة الانبياء، انا حجة الحجج، انا موصوف المؤمنين .
 انا نور المسبحين . انا الفرقان، انا البرهان، انا عقود الكرهن، انا عماد
 المركن، انا امير الترك، انا شملاص الشرك، انا جنبثا الزنج، انا جرجس
 الفرنج، انا عقد الايمان، انا زركم الفيلان، انا برستم الروس، انا لولش
 الشدوس، انا سلمه المكا، انا دودين الخكا، انا بدر البروج، انا شنشا
 الكروج، انا حاتم الأعاجم، انا دوشان التراجم، انا أوربا الزبور، انا
 حجاب العقور، انا إيليا الأنجيل، انا جنة الغزاة، انا كاسي العراة، انا
 مؤاخي يوشع وموسى، انا ميمون رضى عيسى، انا دملاخ الفرس، انا عماد
 الانس، انا شديد القوى، انا حامل اللواء، انا إمام المحشر، انا ساقى
 الكوثر، انا قسيم الجفان، انا مشاطر النيران، انا يعثوب الدين، انا إمام
 المتقين، انا وارث المختار، انا مبيد الكفرة، انا نور الائمة البررة، انا قالع
 الباب، انا مفرق الأحزاب، انا صاحب البيعتين، انا رب بدر وحنين، انا
 حافظ الكلمات، انا مخاطب الأموات، انا مكلم الثعبان، انا رب آلاء
 الرحمن، انا الضارب بالسيفين، انا الطاعن بالرحمين، انا ليث الزحام، انا
 إنس الهوام، انا الجوهرة الثمينة، انا باب المدينة، انا وارث العلوم، انا
 هيولي النجوم، انا مفسر البيئات، انا أمانة ياسين، انا حاء الخواميم، انا

سابق الزمر، انا آية القمر، انا صاحب النجم، انا جانب الطور، انا باطن الصور، انا عتيد قاف، انا وازع الاحقاف، انا منازل الصافات، انا سهام الذاريات، انا فاطر النافعة، انا متلو سبأ والواقعة، انا أمانة الأحزاب، انا مكنون الحجاب، انا وعد الوعيد، انا مثال الحديد، انا وفاق الآفاق، انا علامة الطلاق، انا النون والقلم، انا مصباح الظلم، انا سؤال متى، انا ممدوح هل أتى، انا النبأ العظيم، انا الصراط المستقيم، انا زمام الطول، انا محكم الفضل، انا عذوبة الفطر، انا هلال الشهر، انا لؤلؤ الاهداف، انا جبل قاف، انا سر الحروف، انا نور الظروف، انا الجبل الراسخ، انا العلم الشامخ، انا مفتاح الغيوب، انا مصباح القلوب، انا نور الارواح، انا روح الاشباح، انا الفارس الكرار، انا نصرة الأنصار، انا السيف المسلول، انا الشهيد المقتول، انا جامع القرآن، انا تبيان البيان، انا شقيق الرسول، انا بعل البتول، انا عمود الإسلام، انا مكسر الاصنام، انا صاحب الاذن، انا قاتل الجن، انا ساقى العطاش، انا نائم الفراش، انا شيث البراهمة، انا سعد اليعاقبة، انا ازوهن البطارق، انا كور المفارق، انا بطرس الروم، انا سيد الاشموم، انا حقيق الارمن، انا أمين المأمن. انا صالح المؤمنين، انا إمام المعلمين، انا غاب الكنور انا مشكاة النور، انا إمام الفتوة، انا كنز اسرار النبوة، انا المطلع على اخبار الاولين، انا صاحب الآية، انا قطب الاقطاب، انا حبيب الاحباب، انا مهدي الزمان، انا عيسى الاوان، انا والله وجه الله، انا اسد الله، انا سيد العرب، انا كاشف الكرب، انا الذي قيل في حقه، لافتي إلا علي، انا الذي قيل في شأنه انت مني بمنزلة هارون من موسى، انا ليث بني غالب، انا علي بن أبي طالب» (٣٨٤).

وهذه الخطبة ليست بغريبة بألفاظها ومدلولاتها على من تعمق في العقائد الاسماعيلية وسبر غورها، وصابر على إكتشاف أسرارها من الكتب السرية

(٣٨٤) «تاريخ الدعوة الاسماعيلية» لمصطفى غالب الاسماعيلي ص ٤٤، ٤٥، ٤٦، وأيضاً ص ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٣٥، انظر كذلك «الانسان الكامل» للدكتور عبدالرحمن بدوي ص ١٣٩ وما بعد، الطبعة الثانية ط وكالة المطبوعات الكويت.

الباطنية التي لازالت محرمة على عامة الاسماعيلية وخاصتها، اللهم الا من أذن له وصار من أخص الخواص، وأقرب المقربين إلى الدعاة المطلقين الذين لهم النيابة المطلقة للأئمة المعصومين - فضلاً عن غير الاسماعيليين أو المخالفين والأضداد والمنحرفين حسب مصطلحات القوم.

فهذه الشواهد لهذه الخطبة من الكتب الاسماعيلية الأخرى، والنصوص التي تثبت عقيدة القوم في التناسخ والحلول. يروى جعفر بن منصور اليمن عن جابر الجعفي أنه قال:

«سمعت سيدي ومولاي أبا جعفر الباقر محمد بن علي صلوات الله عليه يرفع هذا الخبر عن آبائه عن أمير المؤمنين أنه قام على منبر الكوفة فقال:

أيها الناس أنا المسيح الذي أبرئ الأكمه والأبرص، وأخلق الطير، وأذهب الغمام - ومعنى ذلك المسيح الثاني - أنا هو وهو أنا. فقام إليه رجل فقال: يا أمير المؤمنين التوراة أعجمية أم عربية؟

فقال: بل أعجمية وتأويلها عربي، ان المسيح هو القائم بالحق، وهو ملك الدنيا والآخرة، ويصدق ذلك قول الله عز وجل: ﴿والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حياً﴾، وعيسى بن مريم هو مني، وأنا منه، وهو كلمة الله الكبرى، وهو الشاهد وأنا المشهود على الغائبات» (٣٨٥).

وذكر أيضاً:

«وعاد وشمود، وقوم ابراهيم وقوم نوح، الأول منهم أبوبكر، الثاني منهم عمر، الثالث منهم عثمان، الرابع منهم طلحة، وأصحاب مدين وأصحاب الرس أصحاب الجمل والنهروان، وأصحاب فرعون موسى معاوية وأصحابه بنو أمية، والكور الثاني فرعون وهامان وقارون الأول أبوبكر، الثاني عمر، الثالث عثمان، وكذا في كل قرن، ألا ترى إلى قوله: (فأملت للذين كفروا ثم أخذتهم فكيف كان نكير).

(٣٨٥) «كتاب الكشف» لجعفر بن منصور اليمن نشر شتروطنان ص ٨ ط دار الفكر العربي القاهرة ١٩٥٢ م.

ومن ذلك أن رجلا من الشيعة قام إلى أمير المؤمنين وهو يخطب بالكوفة فقال: يا مير المؤمنين ما لقيت من هذه الأمة؟

فقال: والذي فلق الحبة وبرأ النسمة الذي لقيت من الأمم السالفة أكثر مما لقيت من هذه الأمة، فوجب على قوله أنه هو الأول والآخر» (٣٨٦).

وقال المؤيد الشيرازي:

«ان عليا رضي الله عنه هو قسيم الجنة والنار، على الكرار، ليث يوم الهياج، وضوء صاحب المعراج، مبطل الأبطال، والقائل وهو أصدق من قال: انا الزلزال والخسوف، وأنا مروع الألف، من ذا الذي يناطقني أو يفاجئني، أو يرد على قولي» (٣٨٧).

ومثل ذلك يروون عن جعفر بن الباقر أنه قال:

«أنا من نور الله نظقت على لسان عيسى بن مريم في المهد، فآدم وشيث ونوح وسام وإبراهيم وإسماعيل وموسى ويوشع وعيسى وشمعون ومحمد كلنا واحد، من رأنا فقد رأهم... أنا أحيى وأميت وأخلق وأرزق، وأبرئ الأكمه والأبرص، وأنبئكم بما تأكلون وتدخرون في بيوتكم باذن ربي، وكذلك الأئمة المحقون من ولدي لأننا كلنا شيء واحد» (٣٨٨).

هذا ولقد نقلنا مناجاة المعز لدين الله من كتاب الداعي إبراهيم، وفيها يقول الامام الاسماعيلي المزعوم صراحة:

«إلهي كنت رتلك قبل أن تظهر في بفتك، وأوجدت عني خلقك، وصدرت عني دنياك... ولست أنا بك متصلا ولا عنك منفصلا... اني كما أنت عظيم في سلطانك، وأنا قدرتك وبرهانك وارادتك ومكانك، وأنت أنا

(٣٨٦) أيضاً ص ١٠، ١١.

(٣٨٧) «المجالس المؤيدية» للشيرازي المجلس السابع والثلاثون المائة الأولى ج ١ ص ١٨٥ بيروت.

(٣٨٨) «كتاب بيت الدعوة الإسلامية» نسخة خطية ص ١٠ نقلنا عن «تاريخ الدعوة الاسماعيلية» ص ٨١ و ٨٢ لمصطفى غالب.

بحيث أنا في القدرة والعظمة، وحيث أنا خلقت بقدرتك أوليائك، وبدعت أنبياءك... فأنت بي باطنا، وأنا بك ظاهراً... الهى، ظهرت الموجودات كلها بي، واخترعت مني كل رسول ونبي - إلى آخر الكلام» (٣٨٩).

ويقول في فصل من فصول هذا الكتاب نقلاً عن راشد الدين بن سنان السوري الداعي الاسماعيلي الكبير أنه قال :

« أيها الرفقاء غبنا عنكم غيبتين، غيبة تمكين، وغيبة تكوين، واحتجبنا عن أرض معرفتكم فضجت الأرض وتقلقلت السموات وقالت يا بارى البرايا الغفور فظهرت بآدم، وكانت الدعوة حواه فحوينا على قلوب المؤمنين الذين ضجت أرض قلوبهم شوقاً إلينا، فنظرنا في سماء نفوسهم رحمة منا، فمضى دور آدم ودعوته ونفدت رحمة منا في الخلائق حجته ثم ظهرت بدور نوح، فغرقت الخلائق في دعوتي فنجأ برحمتي ولطفي من آمن بمعرفتي وهلك من الخلائق من انكر حجتي.

ثم ظهرت في دور ابراهيم على ثلاث مقالات كوكب وقمر وشمس خرقت السفينة وقتلت الغلام، واقمت للجدار جدار الدعوة فنجأ بلطفى ورحمتى من آمن بدعوتي. وخاطبت موسى بخطاب ظاهر غير محجوب وانا باب للسائل هارون ثم ظهرت بالسيد المسيح فمسحت بيدي الكريمة عن اولادي الذنوب فأول تلميذ قام بين يدي يوحنا المعمدان، وكنت بالظاهر شمعون ثم ظهرت بعلي الزمان وسترت بمحمد وكان المتكلم عن معرفتي سلمان، ثم ذرابو الذر الحقيقي في أولاد الدعوة القديمة بقيام قائم القيامة حاضراً موجوداً فما تم لكم الدين حتى ظهرت عليكم براشد الدين فعرفني من عرفني وأنكرني من أنكرني فالحق جار والمحقون جارون، معهداً في كل دور وزمان.

(٣٨٩) «أجزاء عن العقائد الاسماعيلية»، كتاب الداعي ابراهيم ص ٤٨ وما بعد تقديم المستشرق الفرنسي كويشارد ط اميريل نيشنل بريس - باريس ١٧٨٤ م.

وأنا صاحب الكون ما خلت الدار من افراخ القدم انا الشاهد والناظر،
ولّى الرحمة في الأول والآخر، فلا يغرّنكم تقلّب الصور، تقولون فلان مضى
وفلان انا اقول لكم أن تجعلوا الوجوه كلها وجهاً واحداً ما يكون في الوجود
حاضراً موجوداً صاحب الوجود لا تخرجوا عن أمر ولّى عهدكم من عربها
وعجمها وتركها ورومها فانا المدير ولّى الامر والارادة، فمن عرفني باطناً قد
تمسّك بالحق ولا تكمل معرفتي بغير ما اقول عبدي أطعني وأعرفني حقّ
معرفتي اجعلك مثلي حياً لا تموت وغنياً لا تفقر وعزيزاً لا تذّل اسمعوا
وأدعوا تنتفعوا انا الحاضر وأنتم الحاضرون بحضرتي أنا القريب الذي لا
أغيب فان عذبتكم فبعدي، وان عفوت عنكم فبكرمي وبفضلي، أنا
صاحب الرحمة وولّى الغفر والحق المبين، والحمد لله ربّ العالمين» (٣٩٠).

ونقلوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال :

« من عرف نفسه عرف ربّه، وأيضاً عرفت ربّي برّبّي، فقال : أشار
لأنك لست أنت، إنما أنت بالهوانت، لا هو داخل فيك، ولا هو خارج
منك، ولا أنت خارج منه » (٣٩١).

وبمثل ذلك نقل القاضي النعمان في كتاب ظاهري بطريق غير مكشوف
عن المعز لدين أنه قال :

« نحن النجباء الأبرار المصطفون الأخيار... خصصنا بولادة النبي
والوصي، وأورثنا الامامة، وأعطينا الكرامة، وفضلنا على العالمين، ولو شئنا
أن نقول : كنا مع آدم لقلنا » (٣٩٢).

(٣٩٠) أيضاً ص ١٧ وما بعد.

(٣٩١) أيضاً ص ٦٦.

(٣٩٢) « المجالس والمسائرات » للقاضي النعمان المغربي المكنى بأبي حنيفة ص ٢٠٩، ٢١٠

ط تونس ١٩٧٨ م.

« ويمثل ذلك ذكر القلقشندي عن ابن المعز العزيز بالله :

« أنا ابن رسول الله غير مدافع تنقلت في الأدوار من قبل آدم » (٣٩٣)

وهناك روايات أخرى كثيرة أوردتها الداعي الاسماعيلي الأجل ابراهيم بن الحسين الحامدي ، وغيره تدل دلالات واضحة على التناسخ والحلول ، منها ما ذكرنا في مختلف الفصول ، ومن عبارات نوردها ههنا ، يقول ابراهيم الحامدي :

« قال مولانا الصادق صلوات الله عليه : ظاهرنا امامة ، وباطننا غيب لا يدرك . وقد روى أن مولانا أمير المؤمنين صلى الله عليه وسلم ظهر لسلمان ولأبي ذر بالنورانية . وكذلك مولانا الحسين صلى الله عليه وسلم ، ظهر لجابر بن عبد الله . وكذلك الباقر صلى الله عليه وسلم ، سأله سائل عن ظهور موالينا الميم والعين . فأخبره وظهر له فيهم كظهورهم . وما ظهر أحد منهم بتلك الصورة الأولى إلا ويقول عند تمام فعله ؛ لا تدعونا آلهة ، وقولوا في فضلنا ما شئتم أن تحتمل عقولكم ذلك ، إن هذا إلا بعض آيات ربك ، ما قيل في الله فهو فينا ، وما قيل فينا فهو في البلغاء من شيعتنا .

وقد وصف ذلك صاحب الأبيات في كتاب الابتداء والانتهاء واصفاً للصورة الروحانية وللصورة الغلافية بصفات حقيقة حيث يقول شعراً :

باهر المعجزات الله والد	ه لها فاعل وليس سواء
مثلوه بما يرى فيه جهراً	ثم قاسوه بالذي قد نراه
بعد ما أعلم الوري أنه الفا	عل لا غيره تعالي علاه
يججب الحجب عندما يظهر الأم	ر على الخلق والحجاب خداه
إن ذاك المثال ممثوله المح	دث أبداه للعيون نراه
عز من في ضياه يبصر الشكل	وجهل الجهول عنه عماه
فإذا ما الغطاء زال عن الخلق	فثم المرید يعطي مناه

(٣٩٣) نقلاً عن هامش « المجالس والمسايرات » ص ٢١٠ .

وقال أيضاً :

خاب من لم يراكم فيرى الد ه عيانا بمن تمثّل فيه
أنتم للعيون حجب إذا ما وحد الخلق منكم من يليه
فمتى أظهر العظيم عظيماً غيب الحجب فاعلاً بالشبيه
منكم الملك والملائك فيكم يا غيوباً من البناء البنيه

وكذلك قال مولانا أمير المؤمنين صلى الله عليه وسلم في الحجاب ، ما هو

البرهان :

نحنُ في الله لا حلول ولكن مثل ما في الضياء ينظر ظلاً
نحن أجزا مطالع النور لما طلع النور بالمغيب كلاً
نحنُ لا في السورى لآل خفي ويذاك الخفي يشرق إلّا
نحن أذن البيوت منكم وفيكم من علينا من الغيوب تدلّ
نحن منكم لكم وفي النور نور عزّ من يستمد منه وجلاً

وقال بعض الحدود البلغاء قس وغفر له :

بالميم والعين والحائين والفاء نيلي لما أنا راجيه والفائي
بالخمسة الحجب اللاتي بها احتجبت ذات الذوات فأبدت نور لآلاء
مطالع النور من كان الظهور بها للمنصت السامع الواعي وللراثي
« تلك المقامات عند العارفين بها وسيلتي في معادي يوم رجعتني » (٣٩٤).

وأيضاً :

« هم الأولى بهم تجلّى ربنا لخلقه سبحانه من عز وجل » (٣٩٥).

وهناك عبارة أخرى :

« فان النفوس الطاهرة الفاضلة من الحدود المؤمنين اذا فارقت

(٣٩٤) « كنز الولد » ص ١٩٥ ، ١٩٦ ، ١٩٧٠ .

(٣٩٥) أيضاً ص ١٩٨ .

أجسامها، وصعدت في الأسباب وتدرجت في دخول الأبواب، ارتقاء إلى أن تبلغ الباب الذي هو مجموعها، وبرزخها الأدنى فإن العناية الإلهية تعتمد إلى تحريك الشمس لسريان قواها إلى أجسامهم الشفافة، عند نقلة كل شخص منهم، فتخمرها وتمزجها، ثم تجمع تلك القوى من الجسم حتى يكون مجتمعاً على سبيل فعلها أولاً، وهو نقطة في الرحم، أربع طبائع، فتخمره كما يخمر اللبن الحليب لإخراج الزبدة الشائعة فيه. فكذلك تخمر النطفة حتى تكون علفة، ثم مضغة، ثم تستخرج الزبدة التي هي النامية، التي فيها الحسية بالقوة، فكذلك تخمر الجسم ثلاثة أيام، ثم تستخرج باقي تلك الزبدة، التي هي الريحية، فتخرق الحجب إلى القمر وتسلم تلك الجملة إلى الشمس يوم الاجتماع، والشمس تحفظ كل ما صعد إليها، من جميع كل جسم ينتقل صاحبه، جسماً بعد جسم لأنها المجمع الطبيعي، والباب الجسماني، وعلى ذلك فإن اللطائف تتوارد إلى باب المقام، لطيفاً بعد لطيف، وتلك الآثارات تتوارد إلى الشمس، من كثيف بعد كثيف.

فإذا آن الوقت لولادة الإمام عليه السلام ليخلف المقام الأول، إذا تم التمام، دفعت الشمس ما اجتمع إليها، وقد صارت جملة واحدة قابلة للانفعال، أعضاء جسدانية نامية حية، إلى الزهرة، ثم إلى عطارد، ثم إلى القمر، ثم تدفعه سعود هذه الكواكب السعيدة إلى قرار حفيظ في شيء من الفواكه، فيكون وقوعه عليه مثل وقوع الطل، فينشفه، وسبب الله تعالى ذلك للمقام الكريم عليه السلام، صاحب ذلك العصر والأوان، فيغتذي به غلافه الجسداني، وبعض من قد علم الله من أزواجه، مستحقاً لذلك.

ثم تكون الجملة ولداً تاماً، كاملاً تاماً طاهراً، شريفاً في الساعة التي يغتذي بتلك الجملة والده، وتظهر له الإشارة، وهو التجلي به، وظهور النور به، فيشير به من ساعته، ويشير إليه. وهذا القول هو سر الإمامة، والمشئة؛ وصار ذلك المولود جسمه حياً، جوهرياً، مضيئاً، يتشكل بالأشكال، والألوان، ويتراءى بالصفات المختلفة، ويكون ولي عهد الإمامة، الذي يظهر به الظاهر به العجز والقدرة وقتاً بعد وقت، ويظهر به

أيضاً المعجز والضعف، لأن لا يقال فيه بالإلهية، وهو الملك المقرب، الموكول إليه أمر العالم الديني الذي به تتعلّق الأنفس وبه تستمد في دار الحس، وهو بجسمه المشار إليه باسم الغلاف، يشاهد أن لكل فاكهة طيبة غلاًفاً، مثل الجوز، والموز، واللوز، والتين، والنانجيل، وأمثالها. فهذه غلافات طبيعية، وجواهرها، ولبابها، نفوس حية، عالمة قادرة؛ التي هي معنى الغلاف، وزبدته المستخرجة من تلك الفضلات، وهذا الغلاف أيضاً يسمى كافورياً « ضوء صورياً » حساً كله، سمعاً كله، بصرأً كله، شأً كله، نطقاً كله، لمسأً كله، نخيلاً كله، فطنة كله، فكرة كله، وهماً كله تمييزاً كله، حفظاً كله.

وبرهان ذلك ما روي أن عيسى صلى الله عليه وسلم ظهر من قبره بعد ثلاثة أيام، وظهر لتلامذته في جبل الزيتون ثلاثة أيام. وما رواه جعفر بن منصور اليماني: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أقام بقبره سوى ثلاثة أيام. وما روي في أن أسما عيل بن جعفر عليه السلام ظهر بالبصرة بعد ثلاثة أيام من قبره. إنّه وذلك الغلاف كما قدمناه ذكره إذا ولد، ووفت له سني التربية، انتقل الباب الذي هو مجمع الصور اللطيفة الروحانية، وجذبتها العناية الإلهية التي هي النور الساري الجاري، من النهاية الإلهية الأولية، الحافظ على وجودها، عمود شعشعانية، مجردة انبعاثية، قائمة بالفعل. ثم وصلت بينها وبين معنى ذلك الغلاف المستخرج المدرج، الذي هو من جملته وشكله، فتمتزج بذلك اللطيف، وتتحد بذلك الغلاف، وتحتجب به كما يصعد المستفيد إلى المفيد، سواء بسواء.

ولهذا معنى النسب، والسبب، الذي فرق أهل الإلحاد والكفر بينهما (٣٩٦).

ونظن أن هذه النصوص التي أوردناها في هذا الفصل لكافية لبيان ومعرفة عقيدة القوم في التناسخ والحلول.

هذا ولقد ذكر المفضل بن عمر الجعفي في كتابه (الهفت الشريف) عن جعفر بن الباقر أنه قال :

«ان الله خلق للعصاة سبعة أبدان يترددون فيها ثم ينقلبون إلى غيرها» (٣٩٧).

ويروي المفضل هذا عن جعفر أيضا أنه قال له :

«إنه ليلقاك الرجل في بدنه وأنت تظن أنه آدمي ، وإنما هو قرد أو كلب أو خنزير أو دُب فاشتبه ذلك على الناس» (٣٩٨).

وروى أيضا عنه أنه قال :

«وقوله تعالى أيضاً : «وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم» . قال العالم : يعني أن كل دابة في الأرض وفي السماء قد كانت أمم قبلكم . ثم قال : ان عدونا ليمسخ في كل شيء خالف الصورة الانسانية حتى إذا عاد أحدهم يقتل الف قتلة ويذبح ألف ذبحة ويموت ألف ميتة . وأما أولياء الله وأتباعهم المؤمنون خلصهم الله من المسوخية وجعل ذلك عقوبة لاعدائهم ان ذلك هو العذاب الأدي . وأما العذاب الأكبر فعند قيام القائم حتى ينتقم كل ولي من الأعداء . قال العالم : أول ما ينكس إليه الكافر إنما يصير في الأنعام حتى يمر بكل شيء في البر من العذاب ، ثم يصير أنه يمر في البحر ، ثم في الجو والهواء ، حتى في كل شيء يدب ويدرج حتى يصير أضيق من قم الخياط ، لقوله تعالى : «وكذلك نجزي الظالمين» . فهذه علة أرواح الكافرين تجعل في المركبات إلى قيام القائم . وقال العالم : وأما الذي لم يكن فيه روح الحياة مثل الحجر والشجر والماء والملح وغيره مما لا يدب ولا يدرج ومما يتحلل من ابدان المؤمن والكافر ، فكل شيء رأيته أو سمعته أو شممته وله طعم طيب ورائحة زكية أو ملامسة لينة أو مطعم أو مشرب ، فإن ذلك مما يتحلل من ابدان المؤمنين وكلما خالف هذه الأشياء إلى غيرها من نتن

(٣٩٧) «الهفت الشريف» للمفضل الجعفي ص ٢٦ ط دار الأندلس الطبعة الثالثة ١٩٨٠ م .

(٣٩٨) أيضا ص ٣٦

أو مر أو كزيه أو مما يكرهه الإنسان في شمه أو في منظره أو في ذوقه أو في ملامسته في جميع الحالات، فإن ذلك مما يتحلل من ابدان الكافرين وليس للكافرين أظهر ولاهم فيه أنعم من بدن الإنسانية الذي هو فيها، فإذا استوفى دولته أخرجه من بدنه هذا إلى أنجس الابدان وأشرها» (٣٩٩).

وقال إخوان الصفاء:

«من استراح من المعاد والسترداد... صار في جملة الملائكة المقربين» (٤٠٠).

والمفسر الاسماعيلي أيضا يذكر هذا التناسخ في تفسيره كثيراً مثل ما يقول تحت قوله تعالى: «فزادتهم رجسا إلى رجسهم»: «يعنى في ظهورهم في النسوخية في الكرات» (٤٠١).
وأيضاً: «عذاب الله، وهو تدحرجهم في القوالب» (٤٠٢).

وأيضاً يقول:

«لجنهم سبعة أبواب: معناه سبع دركات، الدرك الأول هم الزنج والبربر، والدرك الثاني يسمى العكس في قصص القردة والنسناس، والثالث في قصص السباع» (٤٠٣).

وقال:

«فأولئك الذين لهم سوء العذاب: يعنى في القوالب الممنوخة» (٤٠٤).

(٣٩٩) أيضا ص ٦٦، ٦٧.

(٤٠٠) «جامعة الجامعة» لإخوان الصفاء ص ١٨٢ تحقيق عارف تامر.

(٤٠١) تفسير «مزاج التسليم» لضياء الدين الاسماعيلي ص ١٣ تحقيق شروطن ط غونتيغن.

(٤٠٢) أيضا ص ٨٠.

(٤٠٣) أيضا ص ١٠٩.

(٤٠٤) ٣٢٦.

ويقول الاسماعيلي محمود شبستري :

وقد سألوا وقالوا ما النهاية ف قيل : هي الرجوع إلى البداية» (٤٠٥).

وأخيراً نذكر ما قالوا :

«ان جميع الأئمة يصيرون ذاتا واحدة (أي عند الرجعة)، وكل منهم قادر على الانفصال» (٤٠٦).

القيامة

وأما القيامة عند الإسماعيلية فإنهم يقصدون بها قيام القائم كما يقول إخوان الصفاء :

«أعلم أن صاحب الدور السابع المؤيد بسعة اللطافة في المعارف هو الغاية، وبه تكون النهاية وقيام القيامة» (٤٠٧) :

وبمثل ذلك قال الداعي الاسماعيلي شمس الدين بن أحمد عن القيامة، هي :

«قيام النفوس الجزئية المفارقة للمدركات الحسية والآلات الجسدانية، وقيام الشرائع والأديان بظهور صاحب الزمان» (٤٠٨).

(٤٠٥) «بعض ازتاويلات كلشن» راز لمحمود شبستري ص ١٣٩ من «مه رسالة اسماعيلي»؟

(٤٠٦) «مسائل مجموعة من الحقائق العالية ص ٤٩ من أربعة كتب اسماعيلية.

(٤٠٧) «جامعة الجامعة» الفصل الخامس والثلاثون ص ١٧٤ ط دار مكتبة الحياة لبنان، أيضا

«سى وتش صحيفة» لسهراب بدخشاني ص ٥٣، أيضا «هفت باب ابو اسحاق» باب
ينجم ص ٣٤، أيضا «روضة التسنيم» لنصير الدين طوسي تصحيح أيوانوف فارسي
ص ٨٦ ط مطبعة اجمل بومبي ١٩٥٠ م.

(٤٠٨) «رسالة الدستور ودعوة المؤمنين للحضور» ص ٦٩ من «أربع رسائل اسماعيلية» نشر
عار تامر ط دار مكتبة الحياة لبنان ١٩٧٨ م.

ويقول الداعي حاتم بن إبراهيم الحامدي :

«إن البعث بعثنان : فالبعث الأول هو بعث الصورة الحاصلة للمستفيد من المفيد فينبعث العلوم الالهية والمعارف الربانية . وأما البعث الثاني فهو النقلة إلى حدّه . قال النبي صلى الله عليه وسلم : من مات فقد قامت قيامته ، وصار أيضا بتلك النقلة في عالم ثان وبعث عند قيام القائم على ذكره السلام . وذلك هو البعث الحقيقي والنشور لأهل الحق ، ولأهل الباطل للجزاء» (٤٠٩) .

وعلى ذلك يبين جعفر بن منصور اليمن الداعي الاسماعيلي الكبير معنى يوم الفصل ، ويوم النفخ في الصور بقوله :

«إن يوم الفصل كان ميقاتا» يوم الفصل هو المهدي صلى الله عليه الذي يفصل الله به بين الحق والباطل والمؤمن والكافر ، وهو ميقات أمر الله ونهايته ، وسابع النطقاء السبعة ، يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجا ، يعني يوم يعلن بالدعوة إليه ، وقد ظهر أمره فتأتون أفواجا ، فوجا بعد فوج رغبة ورهبة» (٤١٠) .

ثم يبين معاني علامات يوم القيامة بقوله :

«وفتحت السماء فكانت أبوابا ، يعني وكشف علم الأئمة الباطن المستور فيكون فيها مقامات أبواب يعلمه منهم كل سائل وطالب ، وسيرت الجبال فكانت سرابا ، يعني وسيرت الحجج أمروا أن يظهروا سيرة الحق عند ظهور المهدي ويسيروا بها ، فكانت سرابا ، يعني فكان الحجج مثل السراب يومئذ من انقيادهم وطاعتهم وظهور أمرهم بعد امتناعهم عن الإظهار بالستر والكتمان» (٤١١) .

(٤٠٩) «زهر بذر الحقائق» للداعي حاتم بن إبراهيم الحامدي ص ١٧٧ من (متخبات اسماعيلية) .

(٤١٠) «كتاب الكشف لجعفر بن منصور اليمن ص ١٧٠ نشر شتروطمان ط دار الفكر العربي .

(٤١١) أيضا .

ورود في كتاب اسماعيلي باطني قديم آخر أن يوم ظهور القائم هو يوم التناد ويوم التلاق، ويوم الأزفة، ويوم التغابن، والساعة، والقيامة، وكذلك الصاخة والغاشية وغيرها من الألفاظ المماثلة لها كلها تنبيء عن يوم ظهور الناطق السابع القائم كما يقول ابن حوشب الداعي الاسماعيلي الذي فتح اليمن وأقام فيها الدعوة الاسماعيلية، وهو من مؤسسي هذه الديانة، والوالد الأكبر لجعفر وهو يعدد سور القرآن :

«بعد سورة الفرقان ست سور، والسابعة سورة السجدة، وفيها ذكر القيامة فدلّت على تمام السبعة المتمين بالعدد، وكذلك على سابع النطقاء بذكر القيامة، [ويستأنف العدد] بعد سورة السجدة فبعدها سورة الأحزاب أولها «يا أيها النبي إئتق الله» فهو محمد ﷺ ثم بعد سورة الأحزاب ست سور والسابعة سورة غافر وهي أول الحواميم، وفيها ذكر التناد ويوم التلاق، وفيها «وأنذرهم يوم الأزفة» وهذا كله وقت ظهور سابع النطقاء، فدلّت على تمام السبعة المتمين بالعدد، ودلّت على سابع النطقاء... ثم يستأنف العدد بعد سورة الفتح فبعدها سورة الحجرات وأولها «يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله» وهو محمد، وبعدها ست سور والسابعة سورة الواقعة وبما ذكر عند وقوعها وهو وقت ظهور سابع النطقاء... ثم بعد سورة الحديد ست سور، والسابعة سورة التغابن، ويوم التغابن يوم القيامة، فدلّت على السبعة المتمين بالعدد، ودلّت على سابع النطقاء بذكر يوم القيامة؛ ثم بعد سورة التغابن: سورة الطلاق أولها «يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن» فيها ذكر محمد؛ ثم بعد سورة الطلاق ست سور والسابعة سورة الجن وفيها «حتى إذا رأوا ما يوعدون فسيعلمون من أضعف ناصراً وأقل عدداً، قل إن أدري أقريب ما توعدون أم يجعل له ربي أمداً» فقله «ما توعدون» فهو وقت ظهور سابع النطقاء، وهو الساعة: وقال «وما يدريك لعل الساعة قريب» فدلّت سورة الجن على السبعة المتمين بالعدد، ودلّت على سابع النطقاء بما فيها، ثم بعد سورة الجن سورة المزمل وهو مخاطبة لمحمد ﷺ، ثم بعدها ست سور والسابعة «عبس وتولى» وفيها

«فإذا جاءت الصاخة» وهو وقت ظهور سابع النطقاء، بذكر الصاخة وهو وقت الظهور؛ ثم بعد سورة عيس، سورة «إذا الشمس كورت» والشمس دليل على الناطق وهو محمد، ثم بعدها ست سور والسابعة سورة الغاشية أولها «هل أتاك حديث الغاشية» وهو وقت ظهور سابع النطقاء فدلّت على تمام السبعة المتمين بالعدد، ودلت على سابع النطقاء بذكر الغاشية وقت ظهوره» (٤١٢).

ويمثل ذلك قال القاضي الإسماعيلي النعمان المغربي في كتابه الباطني تحت قول الله عز وجل: (ونفخ في الصور فصعق من في السموات والأرض):

«فالنفخ في الصور هو ما يأتي به سابع النطقاء عليه السلام والصور الشرعية وسماها صور لأنها محيططة بجميع الشرائع ومعنى قوله ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا ما شاء الله فالسموات هم النطقاء ومن فيها من أهل الظاهر والأرض في منزلة الأسس ومن فيها من أهل الباطن الذين ستروا الأمر ثم استأنف بعد ذلك بقوله إلا من شاء الله وهم المؤمنون الصابرون على البأساء والضراء فهذه الكشفة الأولى التي تجري على يد القائم وأما الثانية فهو قوله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون وأشرقت الأرض بنور ربها الآية. . . فذلك عند اتصاله في النفس وهي المنزلة التي بها الكمال والتمام وفي المنزلة يظهر له جميع الحدود العلوية الكروية وذلك ان قيل إن له منزلتين يظهر بها في الجسمية والروحانية وإذا ظهر بهذه المنزلة حاسب أهل الجسمية وأهل الروحانية وهو ظهوره في العالم السفلي والعالم العلوي وأما ما سألت عنه عن الذي له من المنزلة وسائر النطقاء وحدودهم في ذلك العالم بعد الارتقاء من هذه الدار فأعلم أن منزلة القائم سلام الله عليه في العالم الروحاني أنه مالك لجميع الحدود كلها ألا ترى إلى قول الله تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار وعرضوا على ربك صفاً لقد جئتمونا

(٤١٢) «كتاب الرشيد والهداية» لابن حوشب منصور اليمن ص ١٩٣ وما بعد المطبوع مع المنتخبات لأيوأوف ج ١ ط مطبعة برل - ليدن هولندا ١٩٤٨ م.

كما خلقناكم أول مرة وقوله للمنافقين هذا يوم الفصل جمعناكم والأولين فإن كان لكم كيد فكيدوني وقوله يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن وقوله إن الأولين والآخرين لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم وقوله هل ينظرون إلا أن ياتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وقضي الأمر وإلى الله ترجع الأمور فهذه إشارة كلها إليه» (٤١٣).

ويقول الداعي حاتم بن عمران مبيّنًا الأيام وما تدلّ عليه :

«خلق الله تعالى السموات والأرض في ستة أيام فكان دليل تلك الستة نطقاء كما سبق أن بيّناه، فأول الأيام يوم الأحد فهو لآدم لأنه أول من تعبد الله في دور الستر وقام بالرسالة، وعلمه الله بهذه الأيام الستة عدد النطقاء والأئمة.

ويوم الاثنين وهو لنوح لأنه تالى النطقاء الذي أجرى الله منه الحكمة.

والثلاثاء لإبراهيم لأنه جاء ثالث النطقاء وجمع الله فيه علومه . . . ويوم الجمعة لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم لأنه جمع علم من مضى من أولى العزم والرسل والأوصياء إلى يوم القيامة، وليجمع الله شمله ويملكه الأرض كلها شرقها وغربها بلا منازع له بظهور صاحب يوم السبت الذي هو القائم، وهو من نسله عليه الصلاة والسلام، وبه تحتتم أمور الدنيا وتفتح الآخرة، وتتضاعف الأعمال، ويجازي أصحاب السيئات» (٤١٤).

ويمثل ذلك قال الداعي علي بن محمد بن الوليد، وزاد «أنه هو اليوم الآخر، واليوم المعلوم المبشر به، والمعبر عن النشأة الأخرى والخلق الجديد، ويوم ندعو كل أناس بامامهم» (٤١٥).

(٤١٣) «الرسالة المذهبة» للفاضل النعمان ص ٧٤، ٧٥ من (خمس رسائل اسماعيلية) نشر عارف تامر ط بيروت.

(٤١٤) «رسالة الأصول والأحكام» للداعي حاتم بن عمران ص ١١٦ من خمس رسائل اسماعيلية.

(٤١٥) انظر «كتاب جلاء العقول وزبدة المحصول» ص ١٣٤، ١٣٥ من منتخبات اسماعيلية ط دمشق.

وأضاف شهاب الدين أبو فراس على تلك الأيام يوماً آخر، وهو (يوم) يقوم الروح والملائكة صفاء لا يتكلمون الا من أذن له الرحمن وقال صواباً، «وان الرحمن في هذه الآية هو القائم بهويته البسيطة» (٤١٦).

ويوم ظهوره هو يوم الفصل كما صرح بذلك أبو يعقوب إسحاق السجستاني (٤١٧).

واليوم الآخر أيضاً (٤١٨).

وأخيراً نقل ما قاله إبراهيم بن الحسين الحامدي :

«يعني إذا تجردت الصور بكماله فجمعت، سطع فيها أنوار الملكوت، ولا يكون لكل منها إلا بقدر الآلة التي حصلت لها بالاكساب. فإنه لا أنساب هنالك في الدنيا.

قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾. أي أشار إلى صاحب الدور السابع الذي يحصل في الوجود آخر دور حين ينبعث في عالم الطبيعة أولاً كما تنبعت أصحاب الأدوار فيطيعونه إشارة إلى صاحب الدور السابع الخاتم للأدوار الذي به يتم الخلق، فيفتح أولاً في دار الطبيعة باب الجزاء، وفي الآخرة ثانياً، وهو النفخ الأول. يريد به أول كما نفخ في أصحاب الأدوار أولاً، فصعق من في السموات ومن في الأرض. إلا من كان عارفاً بمرتبته، ومؤمناً به من قبل ذلك، قائلاً به، كما قال تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾. وهذا هو يعني به النفخ الأول، والجزء الأول في دار الطبيعة الذي ذكره حصول الأنفس بالمجمع الأدنى، الذي هو باب الإمام عليه السلام، كما بينا ذلك، قال تعالى: ﴿ثُمَّ نَفْخُ فِيهِ أُخْرَى﴾. إلى قوله:

(٤١٦) انظر «كتاب الايضاح» لشهاب الدين أبي فراس بتقديم عارف تامر ط المطبعة الكاثوليكية بيروت.

(٤١٧) أنظر «كتاب اثبات النبوات» الفصل الثالث من المقالة الثالثة ص ٩٢ ط المطبعة الكاثوليكية بيروت.

(٤١٨) انظر «كتاب الكشف» الرسالة الثالثة ص ٥٢.

﴿وجيء بالنبيين والشهداء﴾ أي كل أهل ملة، وحكم بينهم بالحق فيما كانوا متعلقين به، فلا يبقى علم إلا ويتعلمه أهل الأرض بمكانه، ولا يترك أمر يتقرب بعبادته إلا بالعبادة الناسخة لما سبقها، فيحكم في ذلك بما ينفذ من نور التأيد فتصير الصور كلها صورة واحدة تجمع الصور فيحصل تمامها في الصفحة العليا من السموات على باب الحجاب» (٤١٩).

من هو الناطق السابع؟

فالناطق السابع عند الاسماعيلية هو محمد بن اسماعيل، والذي يعدّه الاسماعيلية ناسخاً لشرعة محمد صلى الله عليه وسلم كما سيأتي بيانه إن شاء الله لأنه هو متمّ دور الناطق السادس محمد صلوات الله عليه حسب زعم الاسماعيلية، وبقيامه قامت قيامة الشريعة التي جاء بها محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم. ويصرح بذلك الكثيرون الكثيرون من الدعاة الاسماعيلية وأئمتهم، ومنهم الداعي إدريس عماد الدين كما ذكر ذلك في كتابه الباطني (زهر المعاني):

فيقول: «فقام محمد بن اسماعيل صلوات الله عليه وهو سابع الأئمة وقائمهم مقابل لجده عليّ أمير المؤمنين تمام الدور الروحاني والخلق الآخر الذي هو نفس الشيء وروحه ومعناه، وهو تمام الدور الأول، ومنه ابتداء الدور الثاني... فقام محمد باللسان وصمت عنه السيف إلى بلوغ الكتاب أجله، فأظهر العلوم، وبين الحقائق، وكشف لخلصائه منها السر المكتوم، فظهرت منه حقائق ومعجزات، ودلائل وآيات، لم تظهر في الأئمة من قبله، ولا قام أحد من الأئمة كمثله، لأنه السابع صاحب القوة والظهور، والضياء والنور، ومبين العلم المستور.

(٤١٩) «كنز الولد» لابراهيم لابراهيم بن الحسين الحامدي تحقيق مصطفى غالب ص ٣٣٣ ط دار الأندلس بيروت.

وكان محمد بن اسماعيل متم الدور المنتهية إليه غاية الشرائع المختومة به، المشتمل على مراتب حدودها، المحيط بعلومهم. وهو القائم بالقوة، صاحب الكشف الأولى، لأن القائم بالفعل هو القائم الكلي، الذي هو صاحب الكشف الأخرى والبطشة العظمى، قائم القيامة الكبرى، لأن القيامات كثيرة، أولها المأذون المكفوف، ثم المأذون المطلق، ثم الداعي المحرم، ثم الداعي المطلق، ثم داعي البلاغ، ثم الحجة، وغايتها الباب». وإنما كانت هذه الحدود قيامات، كقيام كل واحد منهم بما يتصل من الصور المجردة المفارقة للأجسام الصائرة إلى أفقه المعروفة به.

ويتلو هذه القيامات قائم قيامة كبرى، وهو المقام الذي هو الامام عليه أفضل السلام، فهو قائم القيامة ونهاية النهايات، وكل واحد من ذكرنا قائم بنسبة إلى من دونه. ويتلوها جميعاً قائم القيامة الكبرى، صاحب البطشة العظمى، المجتمعة عنده جميع المقامات، وهو لهم غاية الغايات الشريفة، الجامع لها. . وإنما وقع عليه إسم الناطق السابع لنطقه بالأمر الإلهي، وجمعه للفضل الذي هو إليه متناهي، وليس بمتم ولا رسول، بل هو منفرد برتبة الوحدة، وقد تم التمام، واتسق النظام. وإنما خص محمد بن اسماعيل بذلك، لانتظامه في سلك مقامات دور الستر، لأنك إذا عدت آدم ووصيه وائمة دوره، كان خاتمهم الناطق، وهو توح عليه السلام. . وهو الناطق الخاتم للنطقاء، وكان وصيه عليه السلام بالفضل منفرداً، وإذا عدت الأئمة في دوره، كان محمد بن اسماعيل سابعهم، وللسابع قوة على من تقدمه. فلذلك صار ناطقاً وخاتماً للأسبوع وقائماً؛ وهو ناسخ شريعة صاحب الدور السادس» (٤٢٠).

وبذلك قال الداعي حاتم بن عمران بن زهرة أن محمد بن اسماعيل:

(٤٢٠) «زهر المعاني» ص ٥٣ وما بعد نقلاً عن كتاب تاريخ الدعوة الاسماعيلية للاسماعيلي المعاصر من ١٣٥، ١٣٦، ١٣٧.

«عظمت دعوته حتى قال بعض المستجيبين عنه أنه صاحب
القيامة» (٤٢١).

وقال أيضاً:

«كان قائم الدور السابع محمد بن إسماعيل» (٤٢٢).
وسياتي بيان ذلك أيضاً في فصل نسخ الشريعة.

الى القائم يكون الحساب ومنه يكون الجزاء والعقاب

وبعد تصريح الاسماعيلية أن القيامة هي قيام القائم يصرحون بأن
القائم هو الذي يكون إليه الحساب، وهو الذي يجازي ويعاقب لأنه هو الله
الواحد القهار الذي نزل فيه (لمن الملك اليوم لله الواحد القهار) (٤٢٣).

و«لأنه هوربّ يوم الكشف المستوى على العرش» (٤٢٤).

ويصرح بذلك على بن الوليد حيث يقول:

«ما حكى القرآن الكريم، وخبر الرسول صلى الله عليه وآله من صفة
العرش واستواء الرب عليه وجيئه في ظل من الغمام والملائكة للمجازاة
والمحاسبة، والإثابة والمعاقبة فكان ذلك يصح ظاهرة في قائم القيامة على

(٤٢١) «رسالة الأصول والأحكام» لحاتم بن عمران ص ١٢١ من خمس رسائل اسماعيلية.

(٤٢٢) أيضاً ص ١٢٥.

(٤٢٣) أنظر «الرسالة المذهبية» للنعمان القاضي ص ٧٥ من «خمس رسائل اسماعيلية».

(٤٢٤) انظر «كتاب الايضاح» للداعي شهاب الدين أبي فراس ص ٨ ط المطبعة الكاثوليكية -
لبنان.

ذكره السلام المستوفي قوى السموات والأرض الستة الذين هم النطقاء الستة في مدة أدوارهم الستة، المكنى عنهم بخلق السموات والأرض في ستة أيام ومجيئه في ظلل من الغمام والملائكة بروزه على ذكره السلام بمن في ضمنه من الصور القدسانية والهياكل النورانية لكافة الخلق يوم فصل القضاء والمحاسبة لهم على سوابق أفعالهم والمجازاة لهم على سواف مقدماتهم ثم ان القائم على ذكره السلام قد جرى عنه بوساطته مما طرق من مادة مبدعه نور سار أفاضه على كافة النطقاء الستة ومن في ضمنهم من المؤمنين ما لا يهتدي عقولنا إلى تصوره، ولا تستطيع ألسنتنا العبارة عنه، فشخص كل ناطق لأهل دوره، ووصى لأهل عصره، وامام لأهل زمانه، وكل واحد لأهل صقع، فيوافقون كل أحد على ماسبق منه من صغير أمر وكبير، ويقرئونهم كتابهم، وذلك شخصهم لهم صورهم التي تصورونها في دار الدنيا، وعرضها عليهم من خير وشر، وكبير وصغير وقمطير، ولا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، ووجدوا ما عملوا حاضرا، ولا يظلم ربك أحدا.

يصح ذلك ما ورد من كلام سيدنا المؤيد أعلى الله قدسه، في المجلس الرابع والستين من المائة الخامسة، وأوردنا في تفسير الظاهر من ذكر النبأ العظيم، وانه هو القيامة التي يجلس الله تعالى فيها على عرشه لفصل القضاء، والقيام بثواب المحسنين، وعقاب المسيئين. ويقول ما قيل: عرفت شيئا وغابت عنك أشياء، إلى قوله: فإن الذي بهذا المثابة هو قائم القيامة على ذكره السلام، المجموعة له قوى الأنبياء والأوصياء والأئمة وأرباب التأيد كلهم، فيظهر في شخص جسماني موجود محدود. قلنا إن كل شيء طائع من شرف الإنتهاء إليه لأنهم الأنبياء، وهو النبأ العظيم، وأسماءهم وأنباؤهم مشتقة من اسمه، ورسومهم منساقة إلى رسمه. والله تعالى المنزه أن يشبه بخلقه البروحاني والجسماني إلى قوله: والقائم عليه السلام صاحب المنزلة التي أوردناها، والمستوى على عرشه لفصل القضاء، المكنى عنه بقوله تعالى: وجاء ربك والملك صفاً صفاً، فصيح بهذا القول، وانكشف عن هذا السر، حقيقة ما دعا إليه الأنبياء صلوات الله عليهم.

وكان الرب المنيب المعاقب البارز لفصل القضاء والمحاسب، هو القائم على ذكره السلام» (٤٢٥).

وقبل ذلك قال أيضا :

«ان قائم الدور الأكبر والقيامة الكبرى، وهو الذي يكون بيده الثواب والعقاب . . . إليه المتقلب والمآب» (٤٢٦).

وبذلك قال الداعي الاسماعيلي القديم أبو يعقوب اسحاق السجستاني :

«إن القيامة التي دعا إليها المرسلون موسومة بيوم الحساب والمتعارف من الحساب أنه إحصاء الشيء الذي بلغ إلى غايته ونهايته وتحصيل المدخل والمخرج واثبات ما حصل منهما ثم وجدت الرسل في وضعهم النواميس لم يحاسب أحد منهم قوم الرسول المتقدم بل وضعوا أشياء هي أحوج إلى المحاسبة من وضع الرسول المتقدم إذ ليس لأحد منهم هو النهاية، فلما بلغ الأمر إلى القائم عليه السلام ألزم الأمم السالفة بمحاسبة ما ألزموا أنفسهم من استعمال نواميس رسلهم والمطالبة لهم بإحصاء حقائقها . . . فمن هذه قلنا : ان نهاية الرسل إلى القائم سلام الله على ذكره إذ هو الموصوف بالمحاسبة ويوم الحساب، ثم هي أعنى القيامة موسومة بيوم الجزاء، والجزاء إنما يكون بعد العمل للرسل الذين يقدمونه وليس كلهم ولا واحد منهم جاز أمته بما لزم من العلم بل أخبرهم أن اليوم الذي يثبت لهم الجزاء فيه بما عملوا هو اليوم الآخر وأنه يوجب عليهم الإيمان بالله واليوم الآخر كما قال الله تعالى : (وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وأنفقوا مما رزقهم الله وكان الله بهم عليماً) إذ هو النهاية والغاية والحدود الجسمانية كلها داخلة فيه

(٤٢٥) «رسالة جلاء العقول وزبدة المحصول» لعلي بن الوليد الباب الثالث ص ١٤٣ وما بعد من (منتخبات اسماعيلية)، أيضا «مسائل مجموعة من الحقائق العالية» ص ٤٦ من (أربعة كتب اسماعيلة).

(٤٢٦) «جلاء العقول» لعلي بن الوليد ص ١٣٦، أيضا «الأنوار اللطيفة» للحارثي السبائي ص ١١٠.

ومن آمن بذلك اليوم حق الايمان فقد آمن بما دونه من الأيام التي يجب
الايمان بها إذ أن حقيقة الايمان بذلك اليوم هو الوقوف على جميع الحدود
والواقف على جميع الحدود مرهوبا .

فإذن نهاية الكل من الرسل إلى القائم عليه السلام وسم يومها بيوم
الجمع» (٤٢٧).

«والقيامة موسومة أيضا بيوم الفصل، لأن الفصل إنما يكون بعد
الخصومة والمنازعة فيفصل بين الخصمين والمتنازعين باقامة الحق،
والمخاصمات إنما تكون بين أهل الشرائع فيما ينتحلونه ويتقلدونه من الديانات
فيكفر بعضهم بعضا، وترى كل فرقة منهاجها وصاحبها، فإذا بلغت
الخصومات والمنازعات إلى غايتها ونهايتها ظهر القائم بالحق فيفصل بين أهل
الأديان بالكشف عن حقائق ما ينتحلونه ولا يبقى لهم خصومة ولا منازعة،
وقال الله تعالى: (وأشرق الأرض بنور ربها) يعني أشرقت التأويلات
والحقائق التي عليها استقرار النفوس الزكية بنور ربها عني به القائم ووضع
الكتاب وجيء بالبينين والشهداء وقضى بينهم بالحق وهم لا يظلمون، يعني
وألزم أهل الأديان الرجوع إلى الحقائق والقرار عليها» (٤٢٨).

«القائم من القيامة وهي موسومة بيوم الفصل لأن الفصل إنما يكون بعد
الخصومة والمنازعة، وهكذا القائم يفصل بين أهل الأديان ويظهر الحقائق،
والقائم ألزم أهل الأديان الرجوع إلى الحقائق والقرار عليها» (٤٢٩).

وذكر جعفر بن منصور اليمن تحت قول الله عز وجل: (أفمن حق عليه
كلمة العذاب أفأنت تنقذ من في النار):

(٤٢٧) «اثبات النبوءات» الفصل الثامن من المقالة الخامسة ص ١٦٦ ، ١٦٧ .

(٤٢٨) أيضا ص ١٦٨ ، ١٦٩ .

(٤٢٩) أيضا الفصل التاسع المقالة السادسة ص ١٩١ .

«من خصم في ذلك اليوم وتحقق عليه ولاية الظالمين أخذه سيف القائم صلوات الله عليه ولم يكن له (أي للنبي) أن ينقذه من النار» (٤٣٠).

وبمثل ذلك كتب المفسر الاسماعيلي ضياء الدين تحت قول الله عز وجل :
(ويوم يحشرهم) :

يعنى للحساب لدى القائم المنتظر» (٤٣١).

وكتب النعمان المغربي القاضي :

«إن القائم له ثلاث حدود: حد الجسماني، وحد القيامة في الروحاني،
وحده الحساب» (٤٣٢).

وأيضاً ما نقلناه سابقاً عنه أنه قال :

«إن للقائم منزلتين يظهر بهما في الجسمانية والروحانية، وإذا ظهر بهذه
المنزلة حاسب أهل الجسمانية وأهل الروحانية، وهو ظهوره في العالم السفلي
والعالم العلوي» (٤٣٣).

الثواب والعقاب والجنة والنار

وأما الثواب والعقاب والجنة والنار، وكذلك منكرو نكير، والحشر
والنشر فلها معانٍ ومفاهيم ومدلولات تخالف تماماً ما يعتقده المسلمون وماورد
في القرآن والسنة مثل اختلافهم معهم في المبدأ والمعاد، والقيامة، ومن يكون
إليه الحساب.

(٤٣٠) «كتاب الكشف» لجعفر بن منصور اليماني نشر شروطمان ص ٧٦ ط دار الفكر العربي.

(٤٣١) «مزاج التسليم» الجزء الأول من القسم الثالث ص ٢٣ بتصحيح شروطمان ط المجمع العلمي. غونتيفن.

(٤٣٢) «الرسالة المذهبية» للقاضي النعمان ص ٧١ من (خمس رسائل اسماعيلية) ط دار الانصاف.

(٤٣٣) أيضاً ص ٧٤.

فمن الثواب والعقاب يقول الداعي الاسماعيلي في جواب سائل سألته :
« ما حقيقة الثواب والعقاب ؟ »

فقال : « الجواب ، اعلم أن حقيقة عقابها فنقصها عن بلوغ كما لها وإدراك مجدها ، ودليل ذلك أن الجسم إذا أكملت آلاته ، وتمت جوارحه وأدواته ، وأقبلت عليه طبيعته ، وحكم بها وتصرف في جميع الكائنات وأحاط بها بما علا ودنا فأحسّ بذلك غاية السرور ، وإذا لم يكن كذلك قصر عن بلوغه وضجر وتألم .

ومن وجه آخر أن حقيقة الثواب نظر النفس إلى مولاها من حيث قدرتها وقربها منه وجوارها في حضرة قدسه .

وحقيقة عقابها احتجابها عنه وبعدها منه لقوله تعالى : (كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون . ثم انهم لصالوا الجحيم . ثم يقال هذا الذي كنتم به تكذبون) .

ومن وجه آخر أن نظرا عجب مجدها هو غاية مناهها وأقصى منتهاها وقربها منه هو نهاية سرورها وبعدها عنه هو حسرتها وعدم نظرها هو ألمها وعقابها » (٤٣٤) .

ويقول الداعي علي بن الوليد :

« أما الثواب والعقاب كان كما وصفه الله من الأنهار الجارية والخور والأطعمة والأشربة إشارة في الثواب الأدنى إلى ما يحصل للنفوس من الفوائد العلمية في الدعوة التأويلية ، فكان الأنهار أمثال ما يجري من العلماء من نشر الفوائد العلمية في مستفيديهم ، والخور أمثالهم ما يصورونهم به من الصور القدسية التي تحار في حسنها الأفكار ، وتقصر عن وصفها الألسن ، ولا تكتنفها الحدود والأفكار ، وهي التي تزوج النفوس فتصفها ، وتشرف عليها

(٤٣٤) « أجزاء عن العقائد الاسماعيلية » للداعي الاسماعيلي ابراهيم ط المستشرق كوؤيارد - باريس ١٨٧٤ م .

وترفع قدرها في أهل عليين والفوائد التي تشتهي الأنفس، وتلذ الأعين، هو ما يطلعونا عليه من الحقائق الشاهد محسوسها لمعقولها، ومثلها لمثولها، وتبرهن فروعها على صحة أصولها، وهي ماتشتهيه الأنفس التي هي حدود الدين، وتلذ الأعين الذين هم أعين الحق للناظرين، ولذلك قالت الحدود: «ان الدعوة جنة بالقوة تؤدي إلى الجنة بالفعل...» وأما العقاب الأدنى فهو ما يدخل على النفوس المخالفة للحق من الشكوك والشبهات، وما يحل بها من الألم عند الاستفهامات والسؤالات إذا سمعت أي الكتاب والتبس عليها فيه نهج الصواب، ونظرت في مختلف آياته، وتفاوت عباراته، والنزع وعجائب موضوعاته، تلاطمت بها أمواج الشكوك في زاخر بحره، ورمت بها الحيرة والظلام إلى أسفل قعره، فهي تارة تهب طالبة حل مشكلة، وتارة تحبذ، وحيناً تذكي نار شوقها بحثاً عن طيات ذلك، وحيناً تحمد. فهي تتعجل من آلام ما تخلدها حنادس الظلام حتى يهجم عليها الموت وهي أغفل ما كانت عنه، ونفسها أوحش ما كانت منه، ثم ترد قناطر العكوس، وصراط الهبوط، وإدراك النحوس، إلى أوان اليوم المعلوم، وحضور الأجل المحتوم، ويكون حصول العقاب الأكبر لها عند قيام القائم على ذكره السلام، وهو مالا سبيل إلى وصفه. لأن أول ذلك وأهونه أنهم يذبحون كما تذبح الضحايا ذبحاً، ويطرحون على وجوه الصحراء طرْحاً» (٤٣٥).

وأما الداعي الاسماعيلي القديم أويعقوب السجستاني فيقول في كتابه (الينابيع) مبيناً حقيقة الثواب تحت عنوان (إن الثواب هو العلم):

«لما كان قصارى الثواب إنما هي اللذة وكانت اللذة الحسية منقطعة زائلة، وجب أن تكون التي ينالها المثاب أزلية غير فانية، باقية غير منقطعة. وليست لذة بسيطة باقية على حالاتها غير لذة العلم. كان من هذا القول وجوب لذة العلم للمثاب في دار البقاء، كما قال الله - عز وجل - «أكلها دائم وظلها تلك عقبى الذين اتقوا.»

(٤٣٥) «جلاء العقول وزبدة المحصول» لعلي بن الوليد ١٥١، ١٥٢ من منتخبات إسماعيلية.

وأيضاً فإن اللذات الحسية ليس وجودها من موضع واحد، بل في مواضع مختلفة. والمثل في ذلك أن اللذات المثالية بحاسة البصر بين إدراك الألوان والصور والأشكال، إذا فسدت تلك الحاسة، لا تدرك بحاسة السمع والشم والذوق واللمس. وكذلك اللذات المدركة بحاسة السمع من إدراك الأصوات والألحان والتأليف والنغم، إذا فسدت تلك الحاسة، لا تدرك بحاسة البصر والشم والذوق واللمس. وهكذا اللذات المدركة بحاسة الشم من إدراك الأرايح والطيب، إذا فقدت تلك الحاسة، لم تدرك بحاسة البصر والسمع والذوق واللمس. وكذلك الذوق واللمس على ما ذكرنا. ثم وجدت العلم إذا امتد في الوقوف على المعلومات لاصابة اللذات النسبية، فسيبيله في باب الدرك سبيل واحد، فيلتذ به من جهة واحدة أنواع كثيرة لا يحصى عددها، ولا يفقد منه شيء يكون يعتقد أنه فقد لذة العلم. فإذا الثواب في دار البقاء هو العلم لا الحس ولا الأشياء الحسية.

وأيضاً فإن العلم لا يبید بل یزید وینمو عند کل استنباط ویتکثر، والحس یفسد وینقص ویضمحل بذاته عند الاستعمال ویستحیل، کالمأكولات والمشروبات اللذيذة تستحيل من جهتها وحالتها، فتصير بحالة يتألم الإنسان منها أن يمسه أو يتناولها. واللذة العلمية إذا استعملها، أشهى وأطيب مما كان قبله.

فإذن الثواب هو العلم لا الحس» (٤٣٦).

ويقول الداعي الاسماعيلي الفارسي بأن الثواب هو معرفة قائم القيامة ومتابعته، والعقاب جهله القائم ومعصيته وعدم معرفته لأنه لم يبعث الأنبياء إلا لكي يبشروا الخلق، ويهدوهم إلى قائم القيامة، قال الله عز وجل: عم يتساءلون عن النبأ العظيم الذي هم فيه مختلفون كلا سيعلمون ثم كلا سيعلمون... وانه هو سبب خلق العالم. فمن عرفه فقد وجد الثواب

(٤٣٦) «كتاب الينايع» للسجستاني النبوع السابع والعشرون ص ٦٥، ٦٦، ٦٧ من (سه رساله اسماعيلي).

الأبدى والراحة السرمدية، ومن لم يعرفه فهو الذي حصل له العذاب الأبدى والشقاوة الأزلية، وهو الذي ورد ذكره في القرآن: ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضلّ ضلالاً بعيداً (٤٣٧).

وأما ناصر خسرو الاسماعيلي الفارسي فيقول:

«ان الثواب الشخص هو حصوله على وجوده الحقيقي، والعقاب هو عدم الحصول عليه، والوجود الحقيقي للإنسان هو اتحاده بذات الخالق كي يبقى موجوداً، وبصير أدياً، وهذا هو الثواب، وعدم اتحاده بذات الرب يؤدي إلى عدم حصوله على الوجود فيجرّه إلى العدم ولا يصل إليه فيبقى أبداً الدهر بين الوجود والعدم، وهذا هو العذاب كما قال الله عز وجل: إنه من يأت ربه مجرماً فإن له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى (٤٣٨).

وأما الداعي حاتم بن إبراهيم الحامدي فلقد أعرض عن ذكر الثواب والعقاب قائلاً:

وأما الثواب والعقاب فلا يمكن في هذا جواب لعلّ ذلك» (٤٣٩).

ومرة قال:

«ولولا الخوف أن تقع أسرار أولياء الله في أيدي الأراذل الذين يكفرون أهل الحق لبيّنّا ذلك شافياً» (٤٤٠).

وأما منكرو نكير فيقول عنهما الداعي الاسماعيلي الحارثي النيزاني:

«ان في الكلام المتعارف عند أهل الظاهر أن لا بدّ من مبشر وبشير لأهل الخير، ومنكر ونكير لأهل الشر... والقول في ذلك أن كل ناطق دور وصيه

(٤٣٧) انظر «سى وشش صحيفة» للداعي الاسماعيلي سهراب ولي بدخشاني، صحيفة بيست

وسوم در اشارات بثواب وعقاب ص ٤٧ ، ٤٨ .

(٤٣٨) «زاد المسافرين» لناصر خسرو ص ٤٨٤ ، ٤٨٥ ط مطبع كاوياني برلين - ألمانيا .

(٤٣٩) انظر كتابه «زهر بذر الحقائق» ص ١٧٧ .

(٤٤٠) أيضاً ص ١٧٦ .

هما الملكان المشار اليهما في عصرهما بمبشر وبشير لأوليائهما، وبمنكر ونكير لأضدادهما، وكذلك كل امام زمان وحجته، فهو مبشر وبشير لأوليائه، ومنكر ونكير لأضداده، وعلى هذا القول ينطوي الأمر في كل وقت وزمان ولذلك قال أمير المؤمنين على:

«يا حارهمدان من يمت يرني من مؤمن أو منافق عجلا
يعرفني طرفه وأعرفه باسمه والكنى ومافعلا»

وحقيقة أن خيال كل مقام من ناطق ووصى وامام في كل واحد منهم يحرك عمود النور الذي هو الساري من عالم القدس المتصل بصورة كل ولي عهد صاحب الزمان على، فيتخيل للمنتقل عند آخر دقيقة من عمره علمه الالهي وعمله الصالح شخصا نورانيا فيسّر به ويتهيج بسببه، ويغبط عند معانيته، ويعلم حينئذ أنه صائر إلى خير، ويفارق في الوقت والحين... . فذلك حقيقة مبشر وبشير للولي، وأما الضد، فإن المغناطيس الخبيث المظلم الذي هو العقدتان بحركة المقام لهما يحركان علمه الابليسي وعمله الخبيث الذي كان يعمل به ويعتقده في أهل الحق، ويكنه لهم من العداوة ويضمّره فيهم من المناصب والبغض لهم، والأعمال القبيحة، وهو صورته التي ابنت من ذلك شيئا بعد شيء، فيتخيل له في آخر دقيقة من عمره شخصا مظلماً مشوهاً، على أقبح ما يكون وأشوهه فينكره وبفزعه ويقلقه ويهوله، ثم يفظع عند ذلك، وقد علم من أهل الشر، وهذه حقيقة منكر ونكير» (٤٤١).

وبمثل ذلك ذكر علي بن الوليد «أن كل ناطق ووصيه هما الملكان المشار إليهما بمبشر وبشير للأولياء ومنكر ونكير للأضداد اللعناء الأشقياء» (٤٤٢).

(٤٤١) «الأنوار اللطيفة» للحارثي البيازي ص ١٤٧، ١٤٨ الفصل الثالث والرابع الباب الأول من السراقد الرابع.

(٤٤٢) «الذخيرة في الحقيقة» الفصل الحادي والثلاثون ص ١٤٤ ط دار الثقافة لبنان ١٩٧١ م.

وأما الجنة والنار فبيّن حقيقتها الداعي الاسماعيلي أبو يعقوب إسحاق السجستاني بقوله :

« الجنة والنار لفظتان تقتضيان معنيين : أحدهما لأهل الثواب ، والآخر لأهل العقاب . فنظرنا في كل واحد من هذين اللفظتين بما يقتضيه في المعنى . فوجدنا الجنّات تقع على اسم البستان الذي هو مزين بالأشجار المثمرة والرياحين الطيبة والمياه الجارية ، لكي يكون للحسّ فيها سكون وراحة ودعة . كذلك العلوم والفوائد العقلية والنفسية أنما هو بستان التمييز ، قد زين بالنطقاء والأسس والأئمة واللوّاحق وبعلمهم الجارية من قبلهم وبحكمهم الطيبة الشهية ، التي تكون للصور الخفية فيها سلوة وسرور وراحة وأنس ودعة ؛ غير أنّ علومهم الجارية ههنا أنما هي علوم مشوبة باللفاظ وعبارات ، لا ينبىء عن هويتها إلا الوقت المقدّر لها . فإذا بلغت غاياتها واستقرّت في هويتها ورمّت بثقلها ، استقرّت بأحسن هيئة وأشرف رتبة بما « لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر » .

ومثال ذلك الأغذية التي بها قوام الحياة في الأبدان ، فانها حياة لها ؛ غير ان الحياة فيها مستورة في قشورها ووقاياتها ؛ فإذا استقرّت في هويتها ورمّت بسفلها ، استقرّت بأحسن هيئة وأشرف رتبة ، ولا يملّ البدن تلك الحياة أبداً ، ولا يتعب في امساكها (بل يملّ) من قبل أن رمت بسفلها من قبل نيل الأغذية ويتعبه استعمالها . كذلك العلوم الجارية من النطقاء المشوبة بالالفاظ والعبارات تملّ النفس الاستعمال لها ، ويصيبها التعب والنصب في حفظها . فإذا ألقت عنها قشورها ، صارت في غاية اللطافة والبعد من الملالة والنصب والتعب .

وأما النار فإنها مستعملة في صلاح المعيشة وطبخ الأشياء النية ؛ غير أنها تفسد الصور الطبيعية وتجعلها مجهولة بحيث لا توقف على صورة ذي صورة . كذلك الشرائع الناموسية المعراة عن العلوم مستعملة لإصلاح العالم الطبيعي وقوام الخلق بها ؛ غير أن الاصطلاء بها والاستعمال لها يفسد الصورة اللطيفة ويوقع الشبهة والالتباس ؛ غير أنها إذا برزت بهويتها ، نراها في غاية

الإيلام للأنفس المتعلقة بها ما «لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر».

ومثله كالسموم القاتلة، فإنها قد أخرجتها الطبيعة لصالح الخلق في بعض الأوقات الداعية إليها. فإذا أدامها الانسان، أفسدت حياته وقطعت عنه لذات هذا العالم الحسيّ. غير أنّ النار ههنا موجودة في كلّ موضع ولا يخلو منها موضع. والجنة غير موجودة في كلّ مكان، بل في مكان دون مكان. وفي الأمكنة التي توجد (فيها) الجنة، عليها موكل لا يأذن لكلّ أحد (في) الدخول فيها. وأمّا النار فإنّها ظاهرة نيرة مبذولة لكلّ أحد. كذلك الشرائع المقلّدة موجودة في كلّ مكان، لا يخلو منها قوم من الأقوام. وأمّا العلوم المخصصة بها أقوام، فلا يتهيأ لأحد الوصول إليها إلّا بإذن الهادي العالم الموكل بها. وأمّا الشريعة فإنّها ظاهرة نيرة مكشوفة مبذولة لكلّ طالب، فاعرفه» (٤٤٣).

ويقول الداعي الفارسي سهراب ولي بدخشاني: «إن الجنة عبارة عن البقاء والمعرفة في العالم المعقول وعن اللذات في العالم المحسوس، وعلى ذلك أن الجنة هي كناية عن أهل الحق والبقاء وهم أرباب التأويل الذين يعرفون حقائق التنزيل، وعن أهل اللذات الذين هم أصحاب الجاه والمال، وأن أبواب الجنة الثمانية عبارة عن القوى التي يملكها الانسان ويدرك بها المحسوسات والموهومات والمعقولات، وأنها هي الحواس الخمسة والخيال والوهم والعقل. وخازن الجنة هو الشخص الذي يكون هواه تبعاً لعقله» (٤٤٤).

(٤٤٣) «كتاب البنايع» للسجستاني النبيوع الثامن والعشرون في معنى الجنة والنار ص ٦٧ و٦٨ و٦٩.

(٤٤٤) كتاب فارسي «سي وشش صحيفة» لسهراب ولي بدخشاني صحيفة سي وسوم دربيان بهشت ودرهائي بهشت ص ٦٢، ٦٣.

وأما الجحيم فيقول هذا الداعي :

«إن الجحيم عبارة عن الباطل والفناء والألم، وأهل الجحيم هم أهل الباطل وأهل الفناء والألم، وأن أبواب الجحيم السبعة كما ورد في القرآن : (لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم) وأن هذه الأبواب السبعة هي الحواس الخمسة الطاهرة والخيال والوهم» (٤٤٥).

ويقول أبو إسحاق القوهستاني : «إن الجنة شخص يدعو الخلق إلى الخالق، وأن الجحيم أيضاً شخص يبعد الناس عن الله وعن ألوهيته، وأهل الجنة هم الذين يتحدثون في ذات الله، وأهل النار الذين يهربون من الاتحاد في ذات الله» (٤٤٦).

ويقول الداعي عبدان :

«إن الجنة هي العقل، وأبوابها الثمانية هي النفس والحروف العلوية السبعة» (٤٤٧).

ويقول داع اسماعيلي آخر :

«إن أبواب الجنة الثمانية هم الأئمة السبعة، والقائم على ذكره السلام، وأبواب النار السبعة هم أضداد الأئمة السبعة، والقائم لا ضد له لقهره الأضداد عند قيامه» (٤٤٨).

ويقول الداعي قيس بن منصور :

«إن أهل الجنة هم الأنس بالفعل، وأرضهم الروحانية هي القائم،

(٤٤٥) أيضاً «صحيفة سي وششم» ص ٦٧، ٨٦٨.

(٤٤٦) «هفت باب أبو اسحاق» باب ششم ص ٤٧، ٤٨.

(٤٤٧) «شجرة اليقين» للداعي عبدان ص ١٣٨ نشر عارف تامرط دار الآفاق الجديدة ١٩٨٢ م.

(٤٤٨) «مسائل مجموعة من الحقائق العالية» ص ٧٣ من (أربعة كتب اسماعيلية) نشر المستشرق شتروطن ط المجمع العلمي غوتنغن.

وماؤهم الروحاني هو النفس، وهوأؤهم العقل، والكلمة للعقل والنفس،
والقائم في المقام الأعلى من النار» (٤٤٩).

هذا وقد ذكر الجنة والنار والثواب والعقاب والحشر والنشر وغيرها من
أمور الآخرة كلأها الداعي الاسماعيلي شمس الدين بن أحمد الطيبي بقوله:

«والقبر فهو الصورة الجسمانية، والهاكل الجرمانية، وأما عذاب القبر
فهو تأثر النفس بسبب ما يظهر عليها من الصور الهيولانية المخالفة للطبائع،
وذلك على سبيل التغيير، وأما إتيان منكر ونكير، فهو إستيلاء القوة الشهوانية
والغضبية الداعيتين إلى الهلاك، وأما الحشر فهو إنحطاط النفوس في سلك
إنقيادها وإنجبارها إلى ما فيه ذاتها وحقيقتها:

[يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَأُونَ
كِتَابَهُمْ وَلَا يُطْلَمُونَ قَتِيلًا].

وأما النشر فهو ظهور النفوس في عالم بعد عالم على وفق مكتسباتها،
وأما تأويل القيامة، فقيام النفوس الجزئية المفارقة للمدركات الحسية،
والآلات الجسدانية، وقيام الشرائع والأديان، بظهور صاحب الزمان، وقيام
الدور بروز النفس الكلية لمحاسبة النفوس الجزئية، وقيام القيامة بكمال
الإخلاص والنجاة، واستراحة النفوس بأجمعها من الإيراد والإصدار،
واتصالها بعالم القدس، ومحل الأنوار، وانقضاء مدة الساعات الكبيرة،
 واجتماع السيارات بعد افتراقها في نقطة الاعتدال الأولى بقيامة الكل،
وانقضاء البعثتين، وانطباق المنطقتين، وحصول العلم والقدرة للنفس في
العالمين، وفقدان التفاوت في الأصول، وخلع الهيولي لباس الصورة،
والاستغناء عن موجبات الضرورة، واتخاذ العالم بنوعه وأصله، وتحقيق
قوله، وإليه يرجع الأمر كله، وأما الكتاب فهو لوح الضمير، ومحل ما حررنا
به النفس من التصديق والتصوير، وقراءته هي المعاينة والمشاهدة النفسية
لمعلوماتها المكتسبة، فإذا كانت العلوم البرهانية، والحقائق القطعية مأخوذة

(٤٤٩) «رسالة الأسابيع» لقيس بن منصور الداديني ص ١٧٢ من (خمس رسائل اسماعيلية).

من قبل النفس باليمين تكون هي الطرف الأعلى في الهدى واليقين، وإذا كانت التصورات الوهمية والتصديقات الظنيّة، والشكوك الجدلية، والاعتقادات التقليدية مأخوذة من قبل النفس بالشمال، تكون في الطرف الأدنى من الضلال والتخمين، وأما الحساب فهو توقف النفس الكلية العالية للنفوس الجزئية على ما صدر منها من الأقوال والأفعال والأعمال عند استعمالها آلات الصورة والأشكال، بالقوى الأربعة المركبة، ومنها القوى الانسانية وهي الملكية، فإن تغلبت عليها استحققت حسن الثواب، وأمنت من سوء العقاب، وارتقت سائحة في فضاء الأفلاك، متصرفة في العوالم التي هي دونها، واندرجت في العروج إلى مستقرها الروحاني، وعالمها النوراني، وان تغلبت عليها القوى الثلاثة منعتها من الانبعاث، وسارت بها إلى موضع العقاب، عندئذ تكون قد رجعت بخيبة المآب، وانطلقت إلى ظل ذي ثلاث شعب، وسجنت في قبور الذل والتعب، وأما الميزان فهو الآلة التي يستعملها العقل الدّراك المحيط المميز المركب من البسيط، وأما الصراط فهو البرزخ، ومعبر النفس إلى العالم الأعلى من الأدنى، وأما معنى الجنة فهي العوالم الثمانية: أولها جنة الميراث وهي رتبة الانسانية، والثانية جنة عدن وهي الرتبة الملكية، وثالثها جنة الخلد وهي العوالم الفلكية، ورابعها الجنة العالية وهي العوالم الروحانية المجردة من العوالم الجرمانية، وخامسها جنة الفردوس وهي النفسانية، وسادسها جنة النعيم وهي عالم العلم، وسابعها جنة رضوان وهي عالم العقل، وثامنها جنة المأوى وهي عالم الأمر الذي منه بدت العوالم وإليه معادها، أما درجات الجنة فهي مراتب العلوم ومقادير المفهوم في كل مقام، وأما اللذات والنعيمات، فهي جولان النفوس في فضاء معارها وابتهاجها عند الحصول في مشاهدتها ومواقعها، وأما الأرائك والظل والنهارق والحلل، فهي مظاهر النفوس في الصور المتفاضلة، وخلعها للصور المخالفة، وتلبسها بالأشخاص المشاكلة، وأما الأبارق والأكواب والساقي والكأس والشراب فهي آلات المدارك وأدوات المخالطة بعلوم الملكوت والملائكة، والساقي هو إمام الدور الدائر، والكأس ما ألفه الناطق من الظواهر، والشراب المظهر من تأويل التنزيل، وكشف المستور، وأما النار

فهي العوامل السبعة المتولدة من الثلاثة أركان أولها: لظى وهي كرة الأثير، ثم الجحيم مركز الهواء والزمهرير، ثم السعير مقر الماء، ثم الهاوية مكان الغبار، ثم جهنم عالم الحيوان غير الإنسان ثم مقر مرتبة النبات، ثم سجيل منزلة المعدن ودرجاته وأجرامه الكثيفة والثقيلة، وأهلها هم النفوس الجزئية القائمة في الآيات بالباطل، والاعتقادات الرديئة، وأما العذاب، والعقاب فما تجده من الآلام والأوجاع والاسقام ومفارقة المؤلفات بهجوم الحوادث والنكبات، والزبانية فهي صور أهل الشكوك والجهالات، وأشخاص أهل الضلالات والخيالات، ومظاهر الآراء الباطلة، والاعتقادات الرديئة، وشجرة الزقوم الانتساب إلى الأضواء، والاجتناء من ثمرة الكفر والعناد، وطعام غسيل اعتقاد ما لا يطيقه العقل والدين، وتقلب أصحاب الشبهات والتخمين، وشراب الحميم الاحكام والمخالفة للحق اليقين، وأما المصير والرجوع إلى الله تعالى فهو انتهاء جميع النسب والاضافات التي بين البسائط والمركبات من العوالم الروحانية والجسمانية واللطائف والكثائف إلى الأربعة الحاملة إشارة الكلمة على المرتبة المشار إليها بحروف الله المتصل بالأمر الذي هو معنى رجوع المركبات العددية، أو معرفة مرتبة الامام، ومشاهدة أنواره المحيطة بالخاص والعام، ومطالعة آثار البسيط على المعاني والأجسام» (٤٥٠)

ولا بأس أن نذكر أخيراً أن الداعي الكبر القديم. أبا يعقوب السجستاني قد أنكر القيامة والبعث والنشور وانشقاق السماء وانفطار الأرض وانتثار الكواكب وغيرها من علامات الساعة واستهزأ بها، كما أنكر الجنة والنار بمعناها الحقيقي، وقال مخاطباً مخالفه:

«إذا كان أمر القيامة على ما وصفتموه وخلد الأبرار والفجار في النعيم والجحيم ماذا بقي من ربوبيته؟

وفي أي شيء يستعمل قدرته؟» (٤٥١).

(٤٥٠) «الدستور ودعوة المؤمنين للحضور» لشمس الدين بن أحمد بن يعقوب الطيبي ص ٦٨

وما بعد من أربع رسائل اسماعيلية ط دار مكتبة الحياة بيروت.

(٤٥١) انظر «كتاب الافتخار» لأبي يعقوب إسحاق السجستاني ص ٨٢ ط بيروت.

وهناك عقائد أخرى وافق فيها لاسماعيلية الطوائف الشيعية الأخرى، نذكرها ههنا إتماماً لهذا الباب، فمنها: الاعتقاد بتحريف القرآن الكريم فيصرح القاضي النعمان بهذه العقيدة في كتابه (أساس التأويل) قائلاً:

«ولما غاب رسول الله ستروا مرتبة أساسه صلوات الله عليه وكنتموا نص الرسول وبيعته التي بايعوه بغدير خم واتبعوا إبليس وقابيل والسامري حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة وجلسوا مجلسه وتسموا باسمه وادعوا منزلته من الخلافة وأمرة المؤمنين وتعلقوا بالظاهر وصرفوه فأقام الأساس صلوات الله عليه عليهم الحجة بالقرآن الذي نزل على محمد ﷺ لما جمعه وجاءهم به فقالوا حسبنا ما معنا من كتاب الله ولا حاجة لنا إلى ما معك فأخذوه وانصرف عنهم ولم يجد له ناصراً ولا معيناً واشتدت عليه المحنة وكثر أذاهم له حتى هـموا بقتله في صلاته لأن الضد الأول أمر خالد بن الوليد إذا صلى عليه السلام معهم في الصف الأول وقال له إذا سلمت فاضرب علياً وهو في الصلاة في تسبيحه فاقتله وتكون فيها سداً فلما صلى تفكر في قوة بني هاشم وقال ربما لا يتم لخالد قتله فيختلف عليه الناس ويرجعوا عن بيعته فيقتل، فأطال جلوسه قبل التسليم حتى كادت أن تطلع فعندئذ قال: لا يفعل خالد ما أمرته به برفيع صوته ثم سلم فقال علي صلوات الله عليه لخالد ويلك أو كنت تفعلها ومد يده إلى طوقه ومسكه فما قدر أحد على خلاصه من يده حتى أقسموا عليه بمحمد ﷺ فأقسموا عليه فخلاه من يده» (٤٥٢).

وقد مثل جعفر بن منصور اليمن للتحريف في القرآن أمثلة عديدة فيقول:

«وقد خاب من حمل ظلماً ظلم آل محمد» هكذا أنزلت هذه الآية» (٤٥٣).

وأما قول الله عز وجل: «إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحفظون».

(٤٥٢) «أساس التأويل» للقاضي النعمان.

(٤٥٣) «كتاب الكشف» ص ٧٨.

فيجيب عنه مفسرهم الكبير حيث يقول :

«إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون» (أي من التغيير في معانيه) (٤٥٤).

إذ من المعروف أنهم يعتقدون أن معانيه محفوظة ، مصونة لدى أئمتهم ودعاتهم .

وإضافة إلى ذلك فإن الاسماعيلية يعتقدون بأن القرآن الكريم من تأليف النبي ﷺ ولم ينزل به جبريل كما هو معتقد المسلمين فيذكر داعيهم الكبير أبو يعقوب إسحاق السجستاني في كتابه :

«ألف النبي كتابه (القرآن) مما استفاده من العالم الروحاني» (٤٥٥).

وهناك روايات أخرى يروونها، وقد ذكرناها فيما سبق في فصل «اعتقادهم في النبوة» مثل «تسلمت من خمسة وسلمت إلى خمسة» وغيرها يستدلون منها أن القرآن الكريم لم ينزل به جبريل وإنما تسلم من رجال أو عقول.

فهذا هو اعتقادهم في كتاب الله القرآن الكريم بأنه من كلام الرسول ﷺ ومحرف فيه :

وأما معتقدتهم في الصحبة وعلى رأسهم أبو بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم أجمعين فيقول جعفر بن منصور اليماني في تفسير قول الله عز وجل : «فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج» :

«هم أبو بكر وعمر وعثمان» (٤٥٦).

ويفسر الآية «وكان الشيطان للانسان خذولاً» (أي عمر لأبي بكر) (٤٥٧).

(٤٥٤) انظر «مزاج التنسيم» ص ١٠٦ .

(٤٥٥) إثبات النبوءات» للسجستاني ص ١٥٧ .

(٤٥٦) «كتاب الكشف» لجعفر بن منصور اليماني ص ١٢٥ .

(٤٥٧) أيضاً ص ٣٠ ، «سرائر النطقاء» لجعفر بن منصور اليماني ، نسخة خطية .

كما أنه يقول:

«إن القائم يصلب أبا بكر وعمر» (٤٥٨).

ويقول:

«ألا انهم هم السفهاء» أي الأول من الظلمة والثاني ومن آمن بهما» (٤٥٩).

وأن كتابه (الكشف) لمتلىء من مثل هذه السباب والشتائم، والتفسيق والتكفير.

وأما القاضي النعمان فكفر أبا بكر وعمر رضي الله عنهما حيث قال:

«كفر أبو بكر بنصبه عمر * وكفره لما أتى عنه الخبر» (٤٦٠).

ويقول:

«كان أبو بكر وعمر وعثمان جاهلين بأحكام الدين» (٤٦١).

وكذب علي حيث قال:

«قال علي في أهل صفين: والله ما أسلموا ولكن استسلموا، وأسروا الكفر» (٤٦٢).

وحكي المؤيد الشيرازي قصة غريبة تدل على كفر أبي بكر وعمر وبقية الصحابة رضي الله عنهم ملخصها أن أبا بكر كان حجة لإحدى الجزائر وكان يطمع أن يكون هو آخر الأنبياء ولكن الله أرسل محمداً ﷺ، فاضطرب أبو بكر ولم يجد بداً من إيمانه بمحمد ﷺ طمعاً في الوصاية، ولكن الله نصّ علي، فعزم أبو بكر وعمر وغيرهما على اغتصاب حق الوصاية من علي، فلما

(٤٥٨) أيضاً ص ٣٤.

(٤٥٩) أيضاً ص ٦.

(٤٦٠) «الأرجوزة المختارة» للقاضي النعمان ص ٩٩.

(٤٦١) «المجالس والمسائرات» للقاضي النعمان ص ٣٧٩.

(٤٦٢) أيضاً ص ٢٣٥.

علم بذلك رسول الله ﷺ دعاهم فحلفوا أنهم ما قالوا فأنزل الله هذه الآية :
«يخلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم وهموا
بما لم ينالوا» (٤٦٣).

ويقول كذلك في تفسير الآية :

«ومن يكن الشيطان له قريناً فساء قريناً» إن الشيطان هو عمر» (٤٦٤).

ويقول الكرمانى :

«ترك النبي ﷺ قومه وفيهم المنافقون، ومضلون، والمبطلون . . . لم
يساعد الزمان علياً فغلبته الأضداد وقعدوا مكانه» (٤٦٥).

وأما الحامدي فيقول في كتابه :

«من الصحابة من أقرؤا بنبوة النبي وخالفوا علياً فلم ينفعهم إقرارهم
بالرسول» (٤٦٦).

ولعن أحد دعائهم أبا بكر وعمر رضي الله عنهما في رسالته حيث قال :

«أبو بكر لعنة الله عليه، عمر لعنة الله عليه — عياذاً بالله —» (٤٦٧).

ويقول السجستاني :

«لما انتقلت الإمامة والخلافة من أهل بيت النبوة إلى تميم وعدي وأمّية
أتت بسفك الدماء واستحلال الفروج» (٤٦٨).

(٤٦٣) «شرح الرسائل» ج ٢ ص ١٦٣ نقلاً عن مقدمة «ديوان المؤيد الشيرازي» لمحمد كامل حسين.

(٤٦٤) «المجالس المؤيدية» ج ٢ ص ١٣٦.

(٤٦٥) «راحة العقل» للكرمانى ص ٥٠٠.

(٤٦٦) «كنز الولد» للحامدي ص ٩٩.

(٤٦٧) «كتاب الإزهار» لحسن بن نوح الهندي منتخبات اسماعيلية ص ٢٢١.

(٤٦٨) «إثبات النبوءات» للسجستاني ص ١٥٩.

وأما مفسرهم ضياء الدين الاسماعيلى فقد كَفَر الصحابة، وشتهم، وسبهم في مواضع كثيرة لا تعد ولا تحصى، من كتابه (مزاج التنسيم) فانه طبق جميع آيات الكفر والضلال على أخيار هذه الأمة وأسلافها، فمثلاً يقول تحت تفسير قول الله عز وجل: «وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الأرض»:

«هم: الثلاثة ومعاذ وعبيدة وسالم وعبد الرحمن ومعاوية وعمرو وطلحة والزبير . . . إنهم رأس الضلالة في كل دور من أدوار الست» (٤٦٩).

ويقول:

«الزاني لا ينكح إلا زانية: يعني الأول والثاني . . . فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة» أي عند نبشهم من قبورهم لدى تعليقهم في جذوع النخل» (٤٧٠).

وغير ذلك من الآيات الكثيرة الكثيرة.

هذا هو اعتقادهم في صحابة الرسول ﷺ.

وأما التقية فيروون فيها روايات كثيرة عن أئمتهم، منها الرواية المشهورة: قال جعفر: التقية ديني ودين آبائي . . . (٤٧١).

ورواية أخرى ذكرها جعفر بن منصور اليمنى في كتابه:

قال الأئمة: اكنتموا سرنا، ومن أذاع سرنا فقد جحد حقنا» (٤٧٢).

وأما رأيهم في مخالفيتهم فهم يعتقدون بتكفيرهم وتفسيقهم ولعنهم فيقول جعفر بن منصور اليمنى:

(٤٦٩) «مزاج التنسيم» لضياء الدين ص ٣٣٥.

(٤٧٠) أيضاً ص ٢٧٧.

(٤٧١) «أسرار النطقاء» لجعفر بن منصور اليمنى ص ٩٢ من «المنتخب»، أيضاً «الأنوار

اللطيفة» ص ١٤٤، أيضاً «المجالس المريدية» ص ٤٠٣.

(٤٧٢) «كتاب الكشف» ص ٣.

الذين كفروا سواء عليهم . . . أراد به الأضداد ومن اتبعهم» (٤٧٣).

ويقول السجستاني مخاطباً لمخالفهم:

«على جميع الوجوه الكفر لكم لازم» (٤٧٤).

وقالوا:

«أهل الباطل (أي المخالفون) أمثال الكلاب» (٤٧٥).

وقال النعمان المغربي: المخالفون: اتبعوا أهواءهم وخالفوا كتاب

الله» (٤٧٦).

وقال أحد دعائهم: يأجوج ومأجوج هم أمثال أهل الظاهر (٤٧٧).

ويخاطب السجستاني مخالفهم ويقول:

«إن مدّ الله أعماركم سترون ما تحسون به نتن أنفسكم وطهارة

أنفسنا» (٤٧٨).

كما أن المؤيد الشيرازي سمي المسلمين الذين يخالفون ديانتهم بأولاد

الزنا (٤٧٩).

وذلك لانكارهم علماً فانه بمنزلة أم للمسلمين ويستدلّون لذلك بما

ينسبونه إلى الرسول ﷺ أنه قال: «أنا وأنت يا علي أبوا المؤمنين» فقد أنكر

المسلمون علماً فإذن هم أولاد الزنا» (٤٨٠).

(٤٧٣) أيضاً ص ٤ و ٦.

(٤٧٤) «الافتخار» للسجستاني ص ١٨.

(٤٧٥) «كتاب الكشف» ص ٩٦.

(٤٧٦) «اختلاف أصول المذاهب» للنعمان المغربي ص ٣٨ ط دار الأندلس، بيروت.

(٤٧٧) «مسائل مجموعة من الحقائق العالية» ص ١٣٠ من «أربعة كتب اسماعيلية».

(٤٧٨) «كتاب الافتخار» ص ١٣١.

(٤٧٩) انظر «القصيدة الأربعون من ديوان المؤيد الشيرازي» ص ٢٨٤.

(٤٨٠) انظر «المجالس المؤيدية» للشيرازي ج ١ ص ١٣١.

وأخيراً نذكر ما قالوه في الخلفاء الراشدين الثلاثة ومن اتبعهم :
«الأضداد الثلاثة وتابعيهم لعنهم الله» (٤٨١).

فهذه هي نظرتهم إلى المسلمين المخالفين لمذهبهم وديانتهم .
هذا آخر ما أردنا إيراده في هذا الباب . والله يهدينا إلى سواء السبيل .

(٤٨١) «مسائل مجموعة من الحقائق العالية» ص ١١٧ من «أربعة كتب اسماعيلية» .

الباب السادس

الاسماعيلية والتأويل الباطني

من الخصائص التي يختص بها الاسماعيلية، ويعدونها من مفاخرهم هي تمسكهم بالتأويل الباطني قائلين: إنه لا بد لكل محسوس من ظاهر وباطن، فظاهره ما تقع الحواس عليه، وباطنه ما يحويه ويحيط العلم به بأنه فيه، وظاهره مشتمل عليه^(١).

مستدلين بقول الله عز وجل: «هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وآخر متشابهات - إلى قوله تعالى: وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم»^(٢).

وبما نسبوه إلى رسول الله ﷺ:

«ما نزلت عليّ من القرآن آية إلا ولها ظهر وبطن»^(٣).

وروى أبو حاتم الرازي عن رسول الله ﷺ أنه قال:

(١) كتاب «أساس التأويل» للنعمان القاضي ص ٢٨ ط دار الثقافة بيروت.

(٢) سورة آل عمران الآية ٧.

(٣) انظر «أساس التأويل» ص ٢٩، ٣٠ أيضاً المجالس المؤيدية للشيرازي ج ١ ص ٣٤٩ ط دار الأندلس بيروت.

«ما نزلت عليّ آية إلا ولها ظهر وبطن، ولكل حرف حدّ، ولكل حدّ مطلع»^(٤).

ثم قسّموا الظاهر والباطن بين الرسول والوصي حيث قالوا:
«كانت الدعوة الظاهرة قسط الرسول صلوات الله عليه، والدعوة الباطنة قسط وصيه الذي فاض منه عليه جزيل الانعام»^(٥).

وفرّقوا بين الظاهر والباطن إلى حدّ أن قالوا:

«إن الظاهر هو الشريعة، والباطن هو الحقيقة، وصاحب الشريعة هو الرسول محمد صلوات الله عليه، وصاحب الحقيقة هو الوصيّ عليّ بن أبي طالب»^(٦).

وهكذا جعلوا عليّاً رضي الله عنه شريك الرسول في نبوته وشريعته كاذبين على الرسول ﷺ أنه قال:

أنا صاحب التنزيل: وعليّ صاحب التأويل»^(٧).

فجعلوا تبليغ نصف الدين إلى الرسول عليه الصلاة والسلام، وتبليغ النصف الآخر إلى عليّ رضي الله عنه الذي هو الوصيّ والأساس كما صرّح بذلك الداعي الاسماعيلي:

(٤) «أعلام النبوة» لأبي حاتم الرازي تحقيق صلاح الصادي ط انجمن فلسفة إيران ١٣٩٧ هـ.

(٥) «كتاب الذخيرة» في الحقيقة للداعي علي بن الوليد المتوفي سنة ٦١٢ هـ ص ١١٣ ط دار الثقافة بيروت ١٩٧١ م.

(٦) انظر «الافتخار» للداعي أبي يعقوب إسحاق السجستاني ص ٧١ ط لبنان.

(٧) «سيرة المؤيد في الدين» ص ١٧ تقديم محمد كامل حسين ط دار الكاتب المصري، أيضاً كتاب الكشف لجعفر بن منصور اليماني ص ٦٥ نشر شتروطنهان ط دار الفكر العربي القاهرة ١٩٤٩ م، أيضاً «مذكرات داعي الدعاة» ص ٣٥ تحقيق عارف تامر ط مؤسسة عز الدين بيروت، أيضاً «فصل من الرشد والهداية» لابن حوشب منصور اليماني ص ٢١١ من «COLECTANEA»، نشر الجمعية الاسماعيلية ط لندن - هولندا.

إن علي بن أبي طالب هو مثل الليل لكونه صاحب التأويل، ومنزلة الرسول منزلة النهار لأنه صاحب التنزيل الظاهر، ولما كان الدين ظاهراً وباطناً قام النبي صلى الله عليه وآله بتبليغ الظاهر، وصرف إلى وصيه نصف الدين وهو الباطن^(٨).

فما دام صاحب التأويل مبلغاً نصف الدين ومالكه فلا يقل شأنه ومقامه عن صاحب التنزيل الذي يملك تبليغ نصف الدين الآخر، بل يكون عارفاً بكل ما عرفه صاحب التنزيل، وعالماً بما علمه، ومطلعاً على ما اطلع عليه، بل يفوقه في أشياء حيث هو يعرف كنه الأشياء ومغزاها، ويطلع عليها المستحقين المستجيبين، ولا يبوح بها عند غيرهم وقت ما لا احتياج لصاحب الظاهر إلى هذه الأمور لملكه الأمور الظاهرة التي لا تحتاج إلى الاخفاء والكتان.

ولقد صرح بكل ذلك كبير القوم أبو يعقوب إسحاق السجستاني الداعي الأجل في كتابه (إثبات النبوءات) تحت عنوان (أن الدور لا يكون إلا من اثنين: صامت وناطق) فيقول:

لما كان الناطق يأتي لينسخ شريعة ما قبله بإظهار شريعة جديدة، كذلك يكون الصامت فيأتي لنسخ التأويل الذي قبله، وأنه لا بد للناطق من صامت يكون قريباً منه وأساساً له. وقد جاء بالقرآن الكريم: (ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه أخاه هارون وزيراً) فدلّت هذه الآية وغيرها من الآيات على أنه لا بد لكل ناطق من صامت يحتاج إلى مشورته في أمور الدين والدنيا وما يجب فيه من الحكمة الإلهية والعناية الربانية، وقد وجب أن يكون الصامت قد اطلع مثل الناطق على جميع الأسرار النبوية ليتمكنه موازته ومعاونته ومعاوضته بتنفيذ أحكامها.

(٨) «مسائل مجموعة من الحقائق العالية» ص ٢٩، ٣٠ من (أربعة كتب اسماعيلية). لشرطوان ط المجمع العلمي غونتيفن.

وقد اتفق جميع العلماء على أن الله سبحانه وتعالى أنزل فرائضه في الشرائع مجملة وغير مقسمة ففسرها وقسمها الرسول ظاهرياً ووضع كل شيء منها في موضعه ثم عهد بتقسيمها وتفصيلها باطنياً إلى صامت يعرض عليه من التأليف ما يكون له القوة والفاعلية، وقد لا يكمل الدور إلاً باثنين صامت وناطق، وقد رأينا الخلق من الابداع قد استقرّ على أصليين: ناطق وهو السابق، وصامت وهو التالي^(٩).

ولا يكون نصب صاحب التأويل واصطفاء واختياره إلاً من قبل الله عز وجل كما يكون اصطفاء صاحب التنزيل واختياره^(١٠).

ولا يكمل الدين إلاً به لا بغيره كما ذكره جعفر بن منصور اليمني:

«إن حجة محمد وهو علي صاحب التأويل صلوات الله عليه ينفع الروح في الأجسام، ومعناه في الباطن أنه يلقي العلم الباطن على العلم الظاهر فيثبت بذلك الدين القيم ويكمل بإذن الله، ويحيى بذلك العلم الأموات بالجهل، والروح مثل العلم والعمل مثل الجسم، وكل جسم لا روح فيه فهو ميت، وكل عمل لا علم معه هو جسد لا روح فيه، فالجاهل ميت حتى يحييه صاحب الحق بعلم الحق^(١١).

فالعلم والروح هو الباطن، والعمل هو جسد بلا روح، واعتقاد بلا علم كما قال إخوان الصفاء^(١٢).

وعلى ذلك قال الكرمانى:

(٩) «إثبات النبوءات» للسجستاني الفصل العاشر من المقالة السادسة ص ١٩١، ١٩٢ ط المطبعة الكاثوليكية ١٩٦٦ لبنان.

(١٠) انظر «كتاب الكشف» لجعفر بن منصور اليمني ص ٦٦ تحقيق شتروطمان ط دار الفكر العربي.

(١١) «كتاب الكشف» ص ٦٨.

(١٢) انظر «رسائل أخوان الصفاء» ج ١ ص ٧٨.

«إن أهل الظاهر العابدون بالعمل فقط، وإن أهل الباطن هم العالمون بالعلم»^(١٣).

و «منكر صاحب التأويل كافر»^(١٤).

كما كفروا كل من لا يؤمن بالباطن، فيقول جعفر بن منصور اليمنى :
«من عمل بالباطن والظاهر فهو منا، ومن عمل بالظاهر دون الباطن فالكلب خير منه، وليس منا»^(١٥).

ويقول النعمان القاضي :

«ومن أقام الظاهر وحده دون الباطن كان كمن قال رسول الله ﷺ : إنه لا خلاق له، ومن قال الله سبحانه : «إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً أولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم»، والخلاق في اللغة : النصيب من الحظ الصالح فمن اقتصر على الظاهر وحده دون الباطن لم يكن له نصيب من الحظ الصالح في الدنيا ولا في الآخرة، والشرى الذي ذكره الله عز وجل أنه اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم هو البيعة للرسول في وقته وإمام كل زمان من بعده، كما نص على ذلك سبحانه في هذه الآيات بقوله : «فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به» وقوله : «إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً» هو العهد المأخوذ في البيعة، فمن اشترى به ثمناً قليلاً من أعراض الدنيا بمخالفة ما أخذ عليه فيه لم يكن له نصيب من الحظ الصالح في الآخرة كما أخبر الله سبحانه بذلك فيما تلوناه من كتابه وبيناه فيما تقدم من كتابنا هذا من وجوب إقامة الظاهر والباطن، وأنه لا يجزى إقامة أحدهما دون الآخر»^(١٦).

(١٣) انظر «راحة العقل» ص ٢٧٥ ط دار الأندلس بيروت.

(١٤) كتاب الكشف ص ٦٨.

(١٥) كتاب الفترات والقراءات لجعفر بن منصور اليمنى ص ٦٦ نسخة خطية.

(١٦) تأويل الدعائم للنعمان القاضي ج ٣ ص ٢٧١ ط دار المعارف مصر.

وروى أيضاً عن علي رضي الله عنه أنه قال :

«من عبد الاسم دون المعنى فقد كفر» (١٧).

وكتب آخر تحت قول الله عز وجل : (ومن الناس من يعبد الله على

حرف) :

من عبد الله تعالى بظاهر دون باطن ، أو بباطن دون ظاهر فهو ممن يعبد

على حرف (١٨).

فالعاملون بالظاهر والمتمسكون به والقائمون عليه هم المسلمون عامة .

وأما المتمسكون بالباطن والمعتقدون بالتأويل فهم الاسماعيلية الذين

سمّوا بالباطنية أيضاً لقولهم هذا .

كما أنهم قالوا : إن رسول الله ﷺ معجزته ظاهر القرآن ، وتأويله معجزة

لعلي رضي الله عنه ، ثم وسعوا فيه وعمموه على أولاده فقالوا :

فجعل عز وجل ظاهر القرآن معجزة رسوله ، وباطنه معجزة للأئمة من

أهل بيته لا يوجد إلا عندهم ، ولا يستطيع أحد أن يأتي بظاهر الكتاب غير

محمد رسول الله ﷺ جدّهم ، ولا أن يأتي بباطنه غير الأئمة من ذريته ، وهو

علم متوافر بينهم ، مستودع فيهم ، يخاطبون كل قوم منه بمقدار ما يفهمون ،

ويعطون كل أحد منه ما يستحقون ، ويمنعون منه من يجب منعه ، ويدفعون

عنه من استحق دفعه لقول العزيز الوهاب : هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير

حساب (١٩).

ومعنى هذا وما سبق أن رسول الله ﷺ لم يبلغ دين الله إلى الخلق إلا

قسماً منه مع قطع النظر أنه بلغ إلى من يستحقه أو لا يستحقه ، وأن علياً

(١٧) الرسالة المذهبة للفاضل النعمان ص ٣٨ من خمس رسائل اسماعيلية ط دار الأنصاف .

(١٨) المجالس المستنصرية ص ٣٩ تحقيق محمد كامل حسين ط دار الفكر العربي مصر .

(١٩) «أساس التأويل» للنعمان ص ٣١ ، ٣٢ باب جوامع من القول في تثبيت التأويل وباطن ما جاء في الحديث والتزويل .

رضي الله عنه هو الذي بلغ القسم الآخر ولمن يستحقه ويستأهله خاصة،
وبتبلغه كمل الابلاغ، وبقيامه كمل الدين.

وهكذا اشترك هو والنبي ﷺ في أداء الرسالة التي حملاها كلاهما دون
الآخر، وصار القشر والجسم نصيب الرسول، واللب والروح حظّ على،
وعلى ذلك يقال له الأساس بمعنى أنه هو الأصل والمقصود، كما أن الأساس
يكون أصلاً للعمارة وسوساً للشجرة، ولذلك يكفر من يؤمن بالقشر والجسم
ولا يؤمن باللب والروح.

وبناء على ذلك أن الإيمان بالناطق والرسول ودعوته لا يكفيان لإدخال
الكافر في الاسلام، بل لا بدّ مع ذلك الإيمان بالأساس والصامت، فهو
معيّار الإيمان، وعلى دعوته المدار للفوز والفلاح.

ويظهر من هذا التقسيم أيضاً أن الرسول ﷺ صامت عن الباطن، كما
أن علياً رضي الله عنه ساكت عن الظاهر:

«الناطق هو صاحب الشريعة، والصامت هو أساس الشريعة في عهد
الناطق وصاحب تأويلها، فالرسول ينطق بالظاهر، والأساس صامت عنه
أي عن الظاهر مؤدى للباطن . . . فالناطق بإزاء القلم، والصامت بإزاء
اللوح» (٢٠).

ومعناه أن علياً لا يأمر الناس بالصلاة والزكاة والصوم والحج
وبالتكاليف الشرعية الأخرى سواء أتوا بها أم لم يأتوا، وعملوا بها أم لم
يعملوا، فإن عليه تبليغ الباطن وتعليم التأويل لا غير.

كما أن الرسول ﷺ ساكت عن العلم والباطن نهائياً ليس عليه بيانه،
والافصاح به كما صرّح بذلك جعفر بن منصور اليمني:

الناطق نطق بالظاهر، وأعجم بالباطن فلم يفصح به (٢١).

(٢٠) أيضاً ص ٤٠، ٤١.

(٢١) «كتاب الشواهد والبيان» ص ٥١ - نسخة خطية.

A^{٢٢٢}] وإن كان الأمر كذلك فما معنى إذن أن الرسول عليه الصلاة والسلام أرسل إلى الناس كافة، وأنه رسول الجميع، ودعوته إلى الخلق عامة، وأنه خاتم النبيين، في قول الله عز وجل:

«وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً» (٢٢).

و«قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً» (٢٣).

و«قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني» (٢٤).

وقول الله عز وجل: «ما كان محمد أباً أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين» (٢٥).

وغير ذلك من الآيات الكثيرة الكثيرة في هذا المعنى.

ثم وما الفائدة من دعوة الرسول ﷺ عامة الناس إلى دين الله، واكتفاء علي رضي الله عنه وأولاده بعده بدعوتهم الخاصة وخاصة الخاصة، وبعد أخذ المواثيق والعهود ما دامت النجاة مقتصرة على من يقبل التأويل والباطن، التأويل الذي ليست له أية مناسبة قرينة ولا بعيدة بالظاهر من حيث اللفظ والمعنى، والباطن الذي لا دلالة عليه من الكلام، من سياقه وسباقه ومدلوله.

أو لم يكن هدف القوم من هذا كله صرف الناس عن الشريعة وتعطيلها، وإبعادهم عن الرسول ﷺ ودعوته الحقيقية بالتستر وراء علي وأولاده وهم منهم براء، حيث لا يقولون ما يقولون من التأويل والباطن إلا من عند أنفسهم مختلقين مخترعين، متقولين على الطيبين من أهل بيت علي ظلماً وباطلاً، بهتاناً وزوراً، بأقوال لم يتفوهوا بها أبداً.

(٢٢) سورة سبأ الآية ٢٨.

(٢٣) سورة الأعراف الآية ١٥٨.

(٢٤) سورة يوسف الآية ١٠٨.

(٢٥) سورة الأحزاب الآية ٤٠.

وبذلك قال كل من الغزالي، والدليمي، والعلوي، فيقول الدليمي تحت عنوان (ذكر طرف من تأويلاتهم الباطنية):

«اعلم أن مذهبهم في الجملة أنه لا بد لكل ظاهر من باطن وهو المقصود في الحقيقة وهو بمنزلة اللب والظاهر بمنزلة القشر وعمّوا بذلك جميع الكلام وأنواع الأجسام ولم يعتبروا المطابقة بين الظاهر والباطن بل تأويلاتهم لا تناسب الظاهر من حيث الحقيقة والمجاز ولم يقتصروا مع ذلك على تأويل واحد بل أثبتوا تأويلاً للتأويل وجعلوا للعبارة الواحدة أيضاً تأويلات عدّة حتى ذكر صاحب «المبتدأ والمنتهى» وهو من أكابرهم في الكفر والضلالات والعمى قال وقد روى عن موالينا عليهم السلام أنا نقول الكلمة لها سبعة وجوه فقال قائل سبعة وجوه فقال سبعون فقال القائل سبعون فقال سبعمائة فكل ما أرتج على قارئه وخفيت معرفته ودقت عليه اشارته وكُنّا بقربه فليسألنا عنه أو من يعلم أنه أعلم منه من أبناء جنسه ثم يحمل هذا العلم، ومتى كان الأمر على ما ذكره فلا يمكن الوقوف على المراد بالكلام أصلاً والحال هذه ولعلّ السائل لو قال له سبعمائة لقال سبعة آلاف ثم كذلك لأن كل ذلك قد خرج عن الحصر لعدم المطابقة وهذا يحقق لكل ذي تمييز أن غرض القوم ما قدمناه من الخلع عن الدين والسلخ عن دين المرسلين صلوات الله عليهم أجمعين وقد قال تعالى «ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة أليس في جهنم مثوى للمتكبرين» (٢٦).

وقال الغزالي:

«انهم لما عجزوا عن صرف الخلق عن القرآن والسنة صرفوهم عن المراد بهما إلى مخاريق زخرفوها، واستفادوا بما انتزعوه من نفوسهم من مقتضى الألفاظ إبطال معاني الشرع، وبما زخرفوه من التأويلات تنفيذ انقيادهم للمبايعة والموالة، وأنهم لو صرّحوا بالنفي المحض والتكذيب المجرد لم

(٢٦) «بيان مذهب الباطنية وبطلانه» للدليمي ص ٣٩، ٤٠ ط إدارة ترجمان السنة لاهور باكستان.

يحظوا بموالاة الموالين، وكانوا أول المقصودين المقتولين» (٢٧).

ويمثل ذلك قال العلوي :

«أعلم أنهم لما عجزوا عن صرف الخلق عن التصديق، عمدوا بلطف الاحتيال، ودقة الاستدراج، فصرفوا ظواهر الشرع ونصوصه إلى هذيانات لفقوها، وتهويسات جمعوها وزوّروها، ليستفيدوا بذلك إبطال معاني الشرع وهدم أساسه، وأوقعوا في نفوسهم أنهم لو صرّحوا بالنفي المحض والتكذيب الصرف، لم يثقوا بانقياد الخلق لفصلا لا تهم، ولا بإصغاء سمع أحد إلى جهالاتهم. فقالوا: كل ما ورد من التكاليف، والحشر والنشر، وضائر النصوص، والظواهر، وجميع المعجزات، فهي بأجمعها أمثلة ورسوم إلى بواطن مكذوبة، وأمور محرفة موهومة» (٢٨).

والدليل على أن تأويلاتهم وباطنهم لا علاقة لها بظاهر الكلام، ولا سبابة وسبابة، ولا مدلوله ومطلوبه هو ما أثبتوه في كتبهم الباطنية وكتب التأويل من العجائب والغرائب البعيدة كل البعد عن الكلام الأصلي ومعناه الحقيقي والمفهوم المتبادر إلى الذهن.

وكذلك أن التأويلات التي أتى بها هؤلاء الناس أتوا بها من عند أنفسهم، لم يقل بها علي رضي الله عنه، الذي يقولون إنه هو صاحب التأويل، لوجود التعارض والتناقض في تأويل شيء واحد صادر عن أكابرهم في كتبهم المختلفة، التعارضات والتناقضات التي بلغت إلى حد لا يمكن التوفيق بينها، والتي جعلت أحد المثنيين عليهم والمجيبين لهم يضطر ويقول:

نستطيع أن ندرك كثرة الاختلافات التي كانت بين الدعاة، ولا نستطيع أن نعلل وجود هذه الاختلافات في حين أن الفاطميين صرّحوا مراراً أن

(٢٧) «فضائح الباطنية» للإمام الغزالي الباب الخامس الفصل الأول ص ٥٥ ط الكويت.

(٢٨) «الافحام لأفئدة الباطنية الطغام» الافحام الرابع ص ٧١ ط منشأة المعارف - الاسكندرية.

علمهم مأخوذ من الإمام المعصوم الذي أودعه الله أسرار دينه وأسرار خلقه (٢٩).

وإليك بيان ما قلناه من كتب القوم من التأويل البعيد الغريب الذي لا ينهض الكلام به، والتعارض والتناقض في تأويل شيء واحد.

نظرية المثل والممثول

وقبل أن نسرد النصوص نريد أن نلفت أنظار الباحثين والقراء إلى أن هناك إصطلاحاً إسماعيلياً خاصاً للتأويل، وهو: المثل والممثول. فالمثل هو الكلام الدال على شيء، والممثول هو مقصود الكلام الباطني الذي يدل عليه. فمثلاً يقول الاسماعيلية إن المبدع الأول وهو القلم يدل على الناطق، والمبدع الثاني وهو اللوح يدل على الأساس. فالمبدع الأول والقلم، والمبدع الثاني واللوحة مثل، والناطق والأساس ممثولان، وكذلك يقولون إن صلاة الظهر مثل على النبي، وصلاة العصر مثل على عليّ، فالظهر مثل والعصر مثل أيضاً، والنبي ممثول للظهر، كما أن علياً ممثول للعصر، فالظاهر مثل والباطن ممثول.

ويقول المؤيد الشيرازي مبيناً معنى المثل والممثول:

خلق الله أمثالاً وممثولات، فجسم الانسان مثل ونفسه ممثول، والدنيا مثل والآخره ممثول، وأن هذه الأعلام التي خلقها الله تعالى وجعل قوام الحياة بها من الشمس والقمر والنجوم لها ذوات قائمة يحل منها محل المثل، وأن قواها الباطنية التي تؤثر في المسموعات هي ممثول تلك الأمثال (٣٠).

(٢٩) انظر مقدمة «ديوان المؤيد» الشيرازي لمحمد كامل حسين ص ٩٧ ط دار الكاتب المصري القاهرة ١٩٤٩ م.

(٣٠) «المجالس المؤيدية» المجلد الثاني المجلس السابع.

وبمثل ذلك قال في ديوانه :

والذي قال في الكتاب تعالى مثل ذاك تحته ممثول^(٣١).

وجاء في كتاب (المجالس المستنصرية) :

معشر المؤمنين إن الله تعالى ضرب لكم الأمثال جملاً وتفصيلاً، ولم يستح من صغر الأمثال إذا بين به ممثولاً، وجعل ظاهر القرآن على باطنه دليلاً^(٣٢).

ويقول الدكتور محمد كامل حسين مبيناً التأويل وعلاقته بالمثل والممثول وأصل هذه النظرية ومصدرها ومأخذها، فيقول :

«القاعدة في التأويل عند الإسماعيلية هي تطبيق المثل والمثول، فظاهر القرآن مثل، وباطنه ممثولات. والظاهر هو هذه المعاني التي يعرفها العامة وينطق بها علماء أهل السنة. والباطن هو هذه المعاني التي يستخلصها الوصي والأئمة من أهل البيت دون سواهم من سائر المسلمين، وعلى الرغم من أن الإسماعيلية أتوا بأدلة من القرآن الكريم على التأويل وعلى نظرية المثل والمثول فإن هذه النظرية وإن كانت قد صبغت بالصبغة الإسلامية فإنها هي نظرية المثل الأفلاطونية القديمة، أدخلوها في عقيدتهم بعد أن غيروا فيها بما يتفق مع تعاليمهم وعقائدهم الإسلامية، ويخيل إلى أن فكرة التأويل الباطن على هذا النحو الذي نراه عند الإسماعيلية لم تعرف لدى المسلمين قبل عصر الترجمة والحركة العلمية التي ظهرت في عصر المأمون العباسي وبعده. وبعد أن ترجمت الكتب الفلسفية اليونانية، فالمعروف أن بعض فلاسفة الإسكندرية وعلى الأخص فيلون وتلاميذه حاولوا تأويل التوراة تأويلاً باطنياً — إن صح هذا التعبير — وأن القديس أوغسطين هو أول من حاول تأويل الإنجيل تأويلاً باطنياً كذلك. وجاء الإسماعيلية وأخذوا فكرة التأويل مما نقل

(٣١) ديوان المؤيد الشيرازي القصيدة الخامسة ص ٢١٧ تحقيق محمد كامل حسين ط دار الكاتب المصري — مصر ١٩٤٩ م.

(٣٢) «المجالس المستنصرية» ص ٩٨، ٩٩ تحقيق محمد كامل حسين ط دار الفكر العربي.

إلى العرب من آثار هؤلاء الفلاسفة، ولكنهم صبغوا تأويلهم بالصبغة الإسلامية كعادتهم دائماً في كل ما أخذوه عن العلوم والفلسفة الأجنبية. ومع ذلك كله لم يستطع الإسماعيلية أن يتخلوا جملة عما أخذوه من العلوم والفلسفة الأجنبية، فقد ظهرت في تأويلاتهم آثار هذه العلوم والفلسفة كما ظهر تأثرهم بالعقائد والأديان القديمة التي غمرت العالم قبل الإسلام وبعده. ويخيل إلى كذلك أنهم لم يتخذوا هذا التأويل الباطن إلا إمعاناً منهم في زيادة شرف علي بن أبي طالب والأئمة. وخصهم بميزات تبعدهم بعض البعد من سائر البشر، فكان الولاية هي المحور الذي تدور عليه جميع العقائد الفاطمية، فتأويلاتهم وفلسفتهم في الابتداع والخلق، وكل عقيدة في النفس والعقل كلها تنتهي إلى نتيجة واحدة وهي الوصي والأئمة» (٣٣).

فهذا هو الاصطلاح الاسماعيلي الخاص في التأويل. كان من اللزام أن يعرفه القراء قبل الدخول في المبحث الأصلي وهو التأويل عند الباطنية لورود ذكره كثيراً في هذا المبحث.

تأويل كلمة الشهادة

ونشر الآن في ذكر التأويل الاسماعيلي، ونبدأ من دعائم الاسلام الخمسة أي كلمة الشهادة، والصلاة، والزكاة، والصوم، والحج. وأولها كلمة الشهادة، يقول في تأويلها المؤيد الشيرازي:

«إن هذه الكلمة التي هي كلمة الاخلاص كلمة جامعة حاصرة لجميع خلق الله سبحانه من عالم العقل، وعالم النفس، وعالم الأفلاك، وعالم الطبيعة على صغر حجمها، ونضارة جرمها... إن مثلها مثل النطفة التي

(٣٣) «في أدب مصر الفاطمية» للدكتور محمد كامل حسين ص ٢٨ ط دار الفكر العربي ١٩٧٠م القاهرة.

هي على قلتها حاصرة للأشكال الظاهرة والباطنية من الصور الانسانية المتشكلة بأشكال عالم الجسم من حيث كونها مولودة بعقله ونفسه حتى أنها من حيث الفكر تحيط بالعوالم وما فيها إحاطة خط الدائرة بمركزها» (٣٤).

ويقول:

«إن هذه الكلمة نفى في الأول، وإثبات في الآخر، فالنفي في قولنا لا إله، والاثبات في قولنا إلا الله . . . فالنفي والإثبات من قول لا إله إلا الله فصلان، وتركيب الكلمة جميعها من ثلاثة أحرف ألف ولام وهاء، وإنما كثرت من جهة التكرار، يكون جملة ما قلناه خمسة فصول، وفيها أربع كلمات: لا كلمة، إله كلمة، إلا كلمة، الله كلمة. وفيها سبعة مقاطع. لا واحد، إله اثنان، إلا اثنان، الله اثنان، فتلك سبعة. وعدد الحروف جميعها اثنا عشر، فيكون جملتها ثمانية وعشرين، ونحن نقيم أمثلتها من السماء والأرض وتقطيع الأيام والانسان الذي هو العالم الصغير، ومن القرآن الذي هو عالم الدين بإذن الله تعالى ليعرف تقابل بعضها ببعض، وشهادة بعضها لبعض، ذلك تقدير العزيز العليم.

إن أمثلتها من السماء في النفي والإثبات الكواكب الثابتة وغير الثابتة، والأحرف الثلاثة التي منها تركيب الكلمة، الجواهر الثلاثة، الشمس والقمر والنجوم، والكلمات الأربع: الحرارة، والبرودة، واليوسه، والرطوبة؛ والمقاطع السبعة المدبرات السبعة، والحروف الاثنا عشر، والبروج الاثنا عشر، فذلك ثمانية وعشرون. ونحن نقيم أمثلتها من الأرض، فالنفي والاثبات العامر والخراب، الجواهر الثلاثة: الطول والعرض والعمق، والكلمات الأربع: التراب والمعادن والنبات والحيوان. والمقاطع السبعة، الأقاليم السبعة، الحروف الاثني عشر، الجزائر الاثني عشر، فذلك ثمانية وعشرون. أمثلتها من الأيام النفي والاثبات الليل والنهار. والجواهر الثلاثة، الماضي والحال والمستقبل، الكلمات الأربع، الفصول الأربعة،

(٣٤) «المجالس المؤيدية» ج ١ المجلس التاسع ص ٤٢ ط دار الأندلس بيروت.

شتاء، وصيف، وربيع وخريف؛ المقاطع السبعة: الأيام السبعة من الأحد إلى السبت، الحروف الاثني عشر، الشهور الاثني عشر، فذلك ثمانية وعشرون. أمثلتها من الانسان الذي هو العالم الصغير، النفي والاثبات، الجسد والروح، الجواهر الثلاثة، النماء والحس والنطق، الكلمات الأربع الاخلاط الأربعة التي هي: الصفراء، والسوداء، والبلغم، والدم؛ المقاطع السبعة الأعضاء الرئيسية التي هي: اليدان والرجلان والظهر والبطن والرأس الحروف الاثني عشر الجوارح الاثني عشر التي هي الساقان والركبتان والفخذان، والزندان، والمرفقان، والعضدان، فذلك ثمانية وعشرون. أمثلتها من القرآن النفي والاثبات، المحكم والمتشابه؛ الجواهر الثلاثة ثلاث طاعات مقرون بعضها ببعض: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ». الكلمات الأربع مثل أنهار الجنة الأربعة، المقاطع السبعة سبع سموات، وسبع شداد، وسبع بقرات سمان، وسبع عجاف، الحروف الاثني عشر «وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا» «فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا» فذلك ثمانية وعشرون» (٣٥).

فهذا هو تأويل كلمة الشهادة من المؤيد الشيرازي داعي الدعاة الاسماعيلي.

وأما قاضي قضاة الاسماعيلية النعمان المغربي فيقول في تأويلها:

وجدت الشهادة على فصلين: أحدهما نفي وثانيهما إثبات، فقوله (لا إله) نفي، و (إلا الله) إثبات، وكل فصل منهما كلمتان، الأولى منهما متصلة بالثانية، ودونها، والثانية أعلى منها، وكذلك الفصل الذي هو إثبات أعلى من الفصل الذي قبله، والذي هو النفي، فمثل الحد الأخير الذي هو الاثبات في الباطن، مثل على الحد العلوي ومثل الحد الذي هو النفي في الباطن مثل على الحد السفلي، ومثل الكلمة الأخيرة من الفصل الأخير (أي الاثبات) مثل على الحدود العلوية، ومثل التي قبلها مثل الحد الذي يليه،

(٣٥) أيضاً ص ٤٥، ٤٦، ٤٧.

ومثل الكلمة الثانية من الفصل الأول في الباطن مثل على الحدود السفلية،
ومثل التي قبلها مثل على الحد المتصل به دونه .

فالكلمتان المتصلتان في حد الاثبات وحد النفي لكلمتين مستعملتين .
وهما لا وإلا والكلمتان المتصلتان بهما من الحدين أعلى وأجل ، وهما إله والله ،
فقد دلّ ذلك على أشرف الحدود العلوية والسفلية ، وإن كان كل واحد من
الآخرين متصل به ودونه وأقلّ حروف منه ، وأن الكلمة الأخيرة حملت ثلاثة
أحرف جمعت فيها كافة حروف الشهادة وهي : الألف واللام والهاء . . .
فالحد العلوي القلم ، ودونه اللوح ، وهما الحدان العلويان أقام الله عز وجل
بإزاء هذين الحدين العلويين الروحانيين حدين آخرين سفليين جسمانيين ،
وهما الناطق والصامت . . . فالكلمات الأربعة للشهادة مثل لهذه الحدود
الأربعة فمن أقامهم وعرفهم وقبل عنهم وشهد لهم كان مكملًا لحدودهم من
الشهادة ، وقد جمعتهم الشهادة وجمعوا حدودها . . . ثم إذا نظرنا إلى عدد
حروفها وماتدل عليه وتشهد له فكانت (لا إله إلا الله) سبعة فصول ، وذلك
دليل ومثل على سبعة نطقاء ، والسبعة الأئمة في دور كل ناطق . . .
والسماوات السبعة مثل للسبعة النطقاء ، والأرضين السبعة مثل للحجج
السبعة ، وأمثالهم أيضاً السبعة النجوم المدبرّات التي ذكرها الله عز وجل في
كتابه فقال : فالمدبرّات أمراً . . .

وحروف الشهادة اثنا عشر حرفاً ، وأمثالهم في السموات البروج الاثني
عشر ، وأمثالهم من الأرض الجزائر الاثنتا عشرة ، لكل واحد منهم جزيرة ،
 وأمثالهم من الروحانيين الاثنا عشر الملائكة الرسل أولي الأجنحة لأنهم
برسالة صاحب الأمر يتوجهون ، وأجنتهم الدعاة ، لأن كل واحد منهم
يبعث إلى إحدى الجزائر حدّاً له لقوله عز وجل : (الحمد لله فاطر السموات
والأرض جاعل الملائكة رسلاً أولى أجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد في الخلق
ما يشاء إن الله على كل شيء قدير) ، فهم أي الحدود الاثنا عشر في العالم
السفلي نظير الملائكة في العالم العلوي لقوله تعالى : (ومن كل شيء خلقنا
زوجين اثنين) .

فالسبعة، والاثنا عشر مجموعة تسعة عشر، وهم الذين عناهم الله عز وجل بقوله: (عليها تسعة عشر)، وقد جمعهم الشهادة، فمن عرفهم واعتقد بولايتهم، وعمل بما أخذه عنهم، فهو مؤمن من أهل الجنة مقبول الشهادة . . . وهذه هي الشهادة قد بينا حدودها على الأصول وتتصل بها شهادة ثانية على الفروع، وهي (محمد رسول الله ﷺ)، وهي ثلاث كلمات مثل الثلاثة الحدود الروحانيين العلويين الفرعيين، وهم: اسرافيل وميكائيل وجبرائيل، وهي كذلك مثل الثلاثة الحدود الجسمانيين الأرضيين بعد الناطق والأساس، وهم: الامام والحجة واللاحق، وهي أيضاً ستة فصول مثل النطق الستة أولى العزم وقد ذكرناهم، وهي كذلك اثني عشر حرفاً مثل اللواحق الاثني عشر، وقد مضى ذكرهم، فالشهادة لله عز وجل هي الدرجة العليا، وهي الأصول والشهادة للرسول ﷺ هي الدرجة الدنيا، وهي الفروع.

وقد دخلت أي الحدود العليا والدنيا في حروف الشهادة» (٣٦).

وأما الداعي الاسماعيلي الخطير أبو يعقوب إسحاق فهو يؤولها بتأويل آخر غريب، فيقول في كتابه (الينابيع) في الينبوع الثلاثين في معنى الشهادة:

«قول النبي صلى الله عليه وعلى آله: (لا إله إلا الله مفتاح الجنة) هو أن الجنة كلمة الله التي بها أبدع الأشياء التي هي في الجنة من أيسية. لا يوجد في شيء من الأشياء محض الكلمة التي هي إبداع الشيء لا من شيء. ولو وجدت في شيء من الأشياء، أمكن أن يكون ذلك الشيء إبداعاً لا من شيء. وليست توجد هذه الفضيلة في شيء من الأشياء ليحتمل هذه الفضيلة لكلمته - جلّ وتعالى، - فهي جنة بالحقيقة.

والكلمات الأربع من الشهادة - التي هي مفاتيحها - الأصول الأربعة: الأصلان والأساسان. فالسابق مفتاح جميع الآيسيات من الروحاني

(٣٦) «أساس التأويل» للنعمان بن محمد المغربي قاضي قضاة الدولة العبيدية في المغرب والقاهرة أيام المهدي الاسماعيلي وأبنائه: القائم، والمنصور، والمعز ص ٣٨ وما بعد.

والجسماني، إذ كلّ أيس هو مثل ما جمع السابق في هويته بإبداع المبدع إياه فيه، أعني بالسابق فتح جميع الآيسيات من الكلمة. والتالي مفتاح جميع الأشياء ذوات النظم والتأليف بمقدار حظّه من الكلمة، إذ الأشياء المنظومة المؤلفة لا تنوّهم إلّا مصوّرة في الأنفس اللطيفة قبل ظهورها منظومة مؤلفة، أعني بالتالي فتح جميع الأشياء المركّبة المنظومة.

والناطق مفتاح جميع الألفاظ المنطقية المعبرة عن الفضائل العقلية والمركّبات النفسية المخيرة عن صور الكوائن الفلكية؛ فيه - أعني بالناطق - فتح جميع السياسات الشرعية من الكلمة. والأساس مفتاح جميع ما آل إليه (من) الآيسيات العقلية والمركّبات النفسية والسياسات الناطقية. وهو الذي يضع كل شيء موضعه، وبه - أعني الأساس - فتح جميع التأويلات العلمية من الكلمة.

ف «لا» من الشهادة شطرية الأساس حرفان، نصف حروف «الله» التي هي شطرية السابق، إذ «الله» أربعة أحرف، وهو - أعني «لا» - كلمة النفي و«الله» كلمة الإثبات، على أنّ الأساس هو الذي أبرز نصف ما جرى من السابق في الناطق، والناطق هو الذي أبرز الظاهر من الحقيقة والشرعية من التأويل، وهو الذي احتاج إلى نفي الشبهات عن التوحيد. والسابق لا ينصف ما برز المبدع فيه، بل أخرجه في غاية الكمال. فلذلك صارت كلمته أربعة أحرف، إذ الأربعة أكمل الأعداد. وهو الذي أثبت الصانع حيث أقرّ بالالهية. و«اله» شطرية الناطق، إذ هو خليفة السابق في العالم الجسماني وفي «إله» نقصان حرف واحد من «الله» وهو «لام»، على أنّ الناطق لم ينل التمامية كما نالها السابق، وهو صاحب المراتب الثلاث من الرسالة والوصاية والإمامة. و«إلا» شطرية التالي، وهي كلمة الاستثناء، على أن التالي مثل السابق في إظهار الآيسيات الجسمانية، لا في باب الآيسيات الروحانية.

وهذه الكلمات الأربع الدلالة على الأصول الأربعة: إذا جمعتها، انفتح لك من المبدع جميع الأشياء. والمفتاح لا يفتح الباب بنفسه، بل يجب أن يكون له فاتح يفتحه، كذلك لا يتهياً لأحد أن يقف على مراتب الأصول

الأربعة التي هي مفتاح كلمة المبدع إلا بفاتح هادٍ من مَتَم أو لاحق أو جناح. وإن سقطت من المفاتيح شظية واحدة، لا يتهيأ للفاتح أن يفتح الباب. كذلك إن كان الفاتح الهادي منكراً مرتبة واحدٍ من الأصول الأربعة — من السابق والتالي والناطق والأساس — لم يتهيأ أن يفتح للمرتاد شيئاً من معالم دينه. فإن أخذ في مفاتحه مع الإنكار، إنما يتعب نفسه ولا تزيد مفاتحه إلا عناء وانغلاقاً، كما أنه إذا همَّ صاحب المفتاح الذي سقطت شظيته، أن يفتح الباب بذلك المفتاح، لم يمكنه ذلك وأتعب نفسه، بل ربما أزال الغلق عن موضعه من كثرة التحريك. فلهذا المعنى قال رسول الله — صلى الله عليه وآله — «لا إله إلا الله مفتاح الجنة» (٣٧).

ثم طَبَّق كلمة الشهادة على صليب النصرى فيقول:

«إن الشهادة مبنية على النفي والاثبات، فالابتداء بالنفي والانتهاى إلى الاثبات. وكذلك الصليب خشبتان: خشبة ثابتة لذاتها، وخشبة أخرى ليس لها ثبات إلا بثبات أخرى. والشهادة أربع كلمات؛ كذلك الصليب له أربعة أطراف. فالطرف الذي هو ثابت في الأرض، منزلته منزلة صاحب التأويل الذي يستقرّ عليه نفوس المرتادين. فالطرف الذي يقابله علوًّا في الجوّ، منزلته منزلة صاحب التأييد الذي عليه يستقرّ نفوس المؤيدين. والطرفان اللذان في الوسط يمينٌ ويسرةٌ على التالى والناطق، اللذين أحدهما صاحب التركيب والآخر صاحب التأليف، أحدهما مقابل الآخر، والطرف القائم على السابق الممدّد لجميع الحروف.

الشهادة سبعة فصول؛ كذلك الصليب أربع زوايا وثلاث نهايات. والزوايا الأربع والنهايات الثلاث دليلة على الأتماء السبعة في دوره، كما دلّت الفصول السبعة في الشهادة على أئمة دور ناطقنا — على السلام — وكلّ طرف منها له ثلاثة أطراف، تكون الجملة اثني عشر؛ كذلك الشهادة اثنا عشر

(٣٧) «كتاب الينايع» للسجستاني ص ٧٠، ٧١، ٧٢ من «سه رساله اسماعيلي» تحقيق المستشرق هنري كربين ط انستيتو ايران وفرنسه تهران.

المشرق والمغرب والجنوب والشمال سبعة أقاليم اثنتا عشرة جزيرة، الفلك قسماً النصف المتطاطيء والنصف المرتفع أربع نقط وفيه سبعة أفلاك فيها السبعة الكواكب السيارة اثنا عشر برجاً على مقابلة الشهادة، ولا إله إلا الله مجمله لا إمام إلا إمام العصر» (٣٩).

ويقول جعفر بن منصور اليمن كما نقل عنه الديلمي :

« لا إله إلا الله بنيت على أربع كلمات اسمين لطيفين خاصين وهما إله والله، وكلمتين غامضتين جاريتين في كلام الناس لا وإلا أحدهما نفى والآخر إثبات فدلّ ذلك على المشهود بمعرفة من وراء أربعة حدود كثيفين ولطيفين والاسمان اللطيفان هما على العقل والنفس البسيطين في العالم العلوي والكثيفان في العالم السفلي وهما الناطق والأساس أي النبي والوصي وأنها بيان لهذا العالم السفلي، وجه آخر: هي أربع كلمات لا دليل على الداعي إله دليل على الحجّة إلا دليل على الإمام الله دليل على الأساس، وجه آخر: لا دليل على السابق إله دليل على التالي إلا دليل على الناطق الله دليل على الأساس، وجه آخر لا دليل على النار الكلية وهي الأثير إله دليل على الهواء إلا دليل على الماء الله دليل على الأرض - إلى آخر ما ذكره.

ثم قال في الفصول ومن سبعة فصول لا إله إلا الله دليل على الأئمة السبعة وهي اثنا عشر حرفاً دليل على الحجج الاثني عشر، وكذلك في العالم الاثنان نصف خراب ونصف عمران والأربعة في العالم المشرق والمغرب والجنوب والشمال، والسبعة في العالم سبعة أقاليم والاثنا عشر اثنتا عشرة جزيرة، واعلم أن هذه التأويلات موضحة بنفي الصانع في كل واحد منها، قال لا إله إلا الله كلمة واحدة وقطعتان وأربعة وسبعة واثنا عشر كذلك في الانسان رأسه واحد نصفان نصف قدام عامر ونصف خراب من خلف والأربعة القفا واللحيان والصدغان والسبعة العينان والأذنان والمنخران والفم

(٣٩) تأويل الشريعة للمعز لدين الله ص ٤ نسخة خطية.

وحروفها اثنا عشر عين ثلاثة أحرف إذن ثلاثة أحرف منخر أربعة أحرف،
فم حرفان، فهذه اثنا عشر حرفاً مكتوب بخطّ الباري على وجه كل إنسان.

ثم قال: محمد رسول الله حروفها أيضاً اثنا عشر محمد أربعة حروف،
رسول أربعة حروف، الله أربعة حروف، محمد أيضاً، نصفه نفي ونصفه
إثبات» (٤٠).

فهذه هي تأويلاتهم لكلمة الشهادة، البعيدة كل البعد عن ألفاظها
الظاهرة من حيث الحقيقة والمجاز أيضاً، ولا دلالة فيها إطلاقاً على ما ذهبوا
إليها من منطوقها ومدلولها.

وهذه هي بعض الاختلافات التي تحصل عندهم في تأويل كلام واحد
مع ادعائهم بأن التأويل مأخوذ عن الامام المعصوم الذي لا يخطئ ولا
يغلط، والذي يأخذُ رأساً بطريق الوحي والإلهام من الله، وقد صدق الله عز
وجل حيث قال:

«... ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً» (٤١).

وما أصدق ما قاله الديلمي بعد ذكر تأويلهم الشهادة:

هذا تأويلهم الفاسد الرديء الذي يذهب إليه الباطنية الاسماعيلية ولا
يناسبه الخطاب، ولا يدل عليه سنة ولا كتاب، وهو باطل عند أولي
الألباب، خارج عن الحق والصواب... وان تأويلاتهم نهاية الاختلاف
لأنها على غير أصل معلوم، بل هي عوارض خواطر رديئة وسوانح أفكار
فاسدة، ونحن نشير إلى جمل تكشف لذوي البصيرة، أنهم أبعد الناس عن
الصواب (٤٢).

(٤٠) «كتاب الرضاع» لجعفر بن منصور اليمن المنقول من «بيان مذهب الباطنية وبطلانه»
ص ٤١، ٤٢ ط دار إدارة ترجمان السنة لاهور باكستان.

(٤١) سورة النساء الآية ٨٢.

(٤٢) «بيان مذهب الباطنية وبطلانه» للديلمي ص ٤٣.

وبعد هذا ننتقل إلى العبادات وأولها الصلاة، وللصلاة سوابق ولواحق، فرائض وسنن ومستحبات، ولكل منها تأويل باطني إسماعيلي حسب مقررهم:

«لكل فريضة من فرائض الدين تأويل باطني لا يعلمه إلا الأئمة وكبار حججهم ودعاتهم وحدودهم» (٤٣).

فأول سوابق الصلاة هي الطهارة، والطهارة تكون من الأحداث، فيذكرها وتأويلاتها النعمان المغربي بقوله:

«ذكر الأحداث التي توجب الوضوء، وأن الذي ينقض الوضوء ويوجب الطهارة في الظاهر الغائط والريح تخرج من الدبر، والبول والمذي وهو الماء الرقيق يخرج من القبل لشهوة الجماع من غير جماع، والنوم الغالب . . . وموجب الغسل الجماع والاحتلام والحيض . . . فمثل الغائط مثل الكفر . . . ومثل البول مثل الشرك . . . ومثل الريح مثل النفاق . . . ومثل النوم مثل الغفلة . . . ومثل المذي الخارج من القبل مثل الشك . . . ومثل الجماع في الباطن مثل اجتماع المؤمن المستفيد مع من يفيد العلم والحكمة، وسماعه ذلك منه، فتلك المجامعة الباطنة، ومثل لسان المتكلم فيها مثل الذكر، ومثل الأذن مثل الفرج، ومثل الماء الدافق الذي يكون في الظاهر عن الجماع مثل العلم الذي يخرج من اللسان إلى الأذنين، فإن صار إلى القلب فوعاه كان مثله مثل وصول الماء إلى الرحم ويكون الجنين بقدرة الله فيه عن ذلك، كذلك تكون الحياة في القلب إذا وعي العلم والحكمة وعمل بهما وإن سمع ذلك من يسمعه فلم يعه كان بمنزلة الماء الذي يكون غن الجماع لا يصل إلى الرحم فأكثر ما يكون منه اللذة عن الجماع ثم لا يكون له نتيجة، كذلك الذي يسمع ما لا يعيه من الحكمة وكذلك إن وصل إلى الرحم ولم تخدمه الطبيعة فسد كذلك يكون في الباطن ما سمع من العلم والحكمة وحفظ ثم نسي فذهب فلا ينتفع به سامعه.

(٤٣) انظر «تاريخ الدعوة الإسماعيلية» لمصطفى غالب الإسماعيلي ص ٤٢ ط دار الأندلس بيروت.

ومثل من لا يسمع ما يلقي إليه بتركه الإقبال عليه واشتغاله عنه مثل الوطء في غير الفرج يتلذذ هو بذلك ويذهب ما يلقيه من الماء فيفسد، كذلك يتلذذ القائل المؤدي للعلم والحكمة بما يقوله وينتفع به ولا يتلذذ به ولا يفيد من يقال له إذا لم يسمعه ولم يقبل عليه .

ومثل الوطء بلا إنزال في الظاهر مثل المفيد يعرض ويرمز من العلم والحكمة بما لم يبينه .

ومثل الاحتلام مثل المفيد يلقي ما يلقيه من العلم والحكمة وهو في غفلة وعن غير إقبال على ذلك بقلبه كما يكون في الظاهر من النائم الذي مثله في الباطن مثل الغافل وإذا كان ذلك كذلك لم ينتفع السامع به ولم يصل إلى قلبه ولم تعه أذن كما لا يكون من الاحتلام حبل ولا يصل الماء منه إلى الرحم، ومن هذا قول بعض الحكماء إن الكلام إذا خرج من القلب وقع في القلب وإذا خرج من اللسان لم يتجاوز الأذن .

ومثل الطهارة في الظاهر من كل ما خرج من القبل مثل كل ما يكون من الكلام من المفيد وإن لم يصل ذلك إلى المستفيد كما لا يصل إلى الفرج كل ما يخرج من الذكر مثل الدم والدود والحصى وأشباه ذلك مما يوجب الوضوء في الظاهر .

ومثل الطهارة مما يخرج من الدبر غير الغائط مثل ما يكون من أحداث الإنسان غير الكفر من المعاصي والذنوب والخطايا التي يجب التطهر منها من العلم بالتوبة والانتصال والمراجعة .

ومثل الحيض في النساء مثل الأحداث السوء في المستفيدين يوجب ذلك عليهم إذا اتصلوا وتابوا منها التطهر من العلم بالتثبت والتوقي من الرجوع إليها لأن مثل المستفيدين أمثال النساء .

ومثل غسل الكافر إذا أسلم بالماء الظاهر مثل الداخل في الإيمان من العلم مما يشبه على ما أمر به .

ومثل غسل الميت قبل أن يكفن ويحمل إلى قبره في وجهه من وجوه التأويل مثل من كفر بعد إيمانه لأن الموت الظاهر مثله في الباطن مثل الكفر» (٤٤).

هذا ثم يبين تأويل بيت الخلاء، ولطرافته ننقله ههنا بنصه وفصه بما فيها من الكذب الصريح على النبي صلوات الله وسلامه عليه، فيقول النعمان الاسماعيلي هذا:

«الماء مثله مثل العلم وبيت الخلاء مثله مثل الدعوة فيها يتخلى من الكفر والشرك والنفاق، وقد ذكرنا أن أمثالها أمثال الغائط والريح والبول تخرج من الدبر والقبل وفيها يتطهر بالعلم من ذلك ومن كل معصية.

ومن ذلك ما روى عن رسول الله ﷺ أنه نظر إلى بيت الخلاء فقال لعلي رضي الله عنه يا علي إن لهذا البيت اثني عشر حدًا من لم يعرفها لم يستكمل حقائق الإيمان ولا عرفني ولا عرفك حق المعرفة أولها أن لا يدخله الداخل إلا بحذاء يعني بنعل ومثل النعل مثل الظاهر يعني أنه لا يدخل الدعوة إلا من كان على ظاهر دين الإسلام، فإذا دخله قدم رجله اليسرى يعني أن دخول الدعوة إنما يكون من قبل الحجة لأن أمر الدعوة إليه، ثم يستر رأسه حتى يخرج منه، والقبلة مثلها مثل إمام لا يواجهه بكفر، ولا بشرك ويتكىء إذا تغوط على رجله اليسرى أي يعتمد في البراءة من الكفر على الحجة الذي له أمر الدعوة، ولا يطيل الجلوس فيه يعني لا يطيل التلبث على الباطل بل يسرع البراءة منه، ولا يتجمر برجيع ولا عظم يعني ولا يتطهر بنجاسة ولا بميئة أي ولا يتطهر إلا بعلم ولي زمانه لا بعلم أهل الباطل ويستجمر وترأ يعني يجعل اعتماده في الطهارة على علم إمام زمانه وحجته وبابه ويستنجيء بيده اليسرى ولا يصب الماء فوق الغائط، ولكن يتنحى عنه ثم يستنجيء ويتوضأ، وقد ذكرنا معنى باطن ذلك، ولا يتكلم حتى يخرج منه يعني إنصات

(٤٤) «تأويل الدعائم» للنعمان القاضي ج ١ ص ٧٩ وما بعد نشر محمد حسن الأعظمي ط دار المعارف مصر.

المأخوذ عليه فاستماعه لما يقال له ، وإذا خرج قدم رجله اليمنى يعني يجعل اعتماده على إمام زمانه ، وهذا باطن هذه الحدود الاثني عشر وظاهرها آداب في ظاهر الطهارة ينبغي استعمالها ومن لم يعرفها لم يستكمل حقائق الإيمان كما قال رسول الله ﷺ ولم يعرفه ولم يعرف وصيه إذا لم يعرف باطن ذلك لأنه لا يعرفها حق المعرفة ولا يستكمل حقائق الإيمان إلا من صار إلى دعوة الحق» (٤٥).

فانظر إلى ما يقوله القوم ، وما أقبحهم ، وما أقدر ما قالوه !
وكيف ضربوا المثل القبيح للدعوة ، كما أنهم على أي شيء مثلوا الناطق والوصي ، وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على خبث سريرتهم وسوء ما يضمرونه تجاه الشريعة الاسلامية النقية البيضاء ، وما الله بغافل عما يعملون .

وأما الاستنجاء فقالوا :

«الاستنجاء بالحجارة والمدر مثله في الباطن مثل الاستمتاع بعلم المأذونين . . . والاستنجاء بالخرق وما أشبهها من الصوف والقطن والكتان وأشباه ذلك مثله في الباطن مثل الاستمتاع بظاهر علم الأئمة .

والاستنجاء بالعجم والبعر والعظام ، والعجم النوى مثله مثل باطن أهل الظاهر ، وتأويلهم الذي أحدثوه بآرائهم ، والبعر مثل أحداثهم ، والعظام أمثالهم لأنهم أموات في الباطن فليس يجوز التطهر بشيء من علمهم ولا بشيء مما أحدثوه من آرائهم ، ويستنجي بغير ذلك» (٤٦).

وأما الوضوء فقالوا :

«هو البراءة من الأضداد الذين ادعوا الإمامة» (٤٧).

(٤٥) «تأويل الدعائم» ج ١ ص ٨٤ .

(٤٦) أيضاً ص ٩٠ ، ٩١ .

(٤٧) «كتاب الافتخار» لأبي يعقوب اسحاق السجستاني ص ١١٠ ط بيروت .

وأما المضمضة والاستنشاق فباطن ذلك ومثله أن الفم في الباطن مثله مثل الناطق الذي هو النبي ﷺ في وقته والإمام في عصره .

ومثل الأنف مثل أساس النبي ومثل حجة الإمام ، وغسل الوجه مثل الإقرار بإمام الزمن وبالسبعة النطقاء والسبعة الأئمة . . . وغسل اليدين إلى المرفقين وهما منتهى حديهما إقرار كذلك ، ومعرفة بحدودهما من أولهما إلى آخرهما . . . ومسح الرأس مثل أن يستر الباطن وأن لا يظهر منه شيئاً . . . والمسح على الأذنين الإقرار بالأساس والحجة وظاهرهما وباطنهما . . . والمسح على الرجلين هو الإقرار بالإمام والحجة (٤٨) .

إلى آخر ذلك من الخرافات والهديانات .

تأويل الصلاة ومتعلقاتها

وأما الأذان والإقامة فقالوا :

«تأويل الأذان والإقامة في الباطن الدعاء أي دعوة الحق التي مثلها على ما تقدم من القول في الباطن مثل الصلاة الظاهرة التي يدعي إليها بالأذان فكذلك باطنها التي هي دعوة الحق يدعو إليها الدعاء وهم أمثال المؤذنين في الظاهر» (٤٩) .

ثم ذكر النعمان القاضي الاسماعيلي موضحاً معنى الأذان بقوله :

إن علياً صلى الله عليه وسلم قال :

«ما آسى على شيء إلا أني كنت وددت أن لو سألت رسول الله ﷺ الأذان للحسن والحسين ﷺ تأويله أنه كان أحب ﷺ أن لو قد سأل رسول

(٤٨) «تأويل الدعائم» ج ١ ص ٩٤ .

(٤٩) «تأويل الدعائم» ج ١ ص ٢٠٨ ، وكذلك «كتاب الافتخار» لأبي يعقوب إسحاق السجستاني ص ١١٦ .

الله ﷺ أن يدعو للحسن الحسين في الظاهر وينص عليهما بالإمامة من بعده كما دعا إليه هو بذلك ونص عليه في الظاهر يوم غدیر خم وغيره وأمر بالأذان بأن الصلاة جامعة لذلك وحتى اجتمع الناس إليه وقام فيهم بولايته وإن كان قد عهد في ذلك إليه وعرفه كيف تنتقل الإمامة في ذريته وأسر ذلك في الباطن إليه فانه عليه الصلاة والسلام كان أحب أن يسأل ذلك منه ﷺ ظاهراً ليؤكد بذلك إمامة الأئمة من ذريته وإن كنت تأكدت فذلك هو الأذان الذي كان أحب أن يسأله من رسول الله ﷺ ليخبر الناس به كما قال تعالى : «وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر أن الله بريء من المشركين ورسوله» يعني أخبار من الله ومن رسوله ﷺ بذلك ، وكذلك قوله : «فأذن مؤذن بينهم» يعني أخبر بخبر والأذان في اللغة الأخبار بالشيء يقول أذنت بكذا وكذا أي أعلمت به وأذنتي فلان بكذا أي أعلمني به قال تعالى : «وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم . . .» وقال : «فقل آذنتكم على سواء» وكذلك المؤذن في الباطن الذي هو داعي الحق يخبر الناس ويعلمهم بأمر دينهم والمؤذن في الظاهر يخبر الناس بالصلاة وإن وقتها قد حضر .

ويتلو ذلك قول الصادق ﷺ : الأذان والإقامة مثنى مثنى ، تأويل ذلك أن الأذان مثله مثل الدعاء إلى حجته وهو ولي أمر الأمة من بعده الذي يقيمه لذلك في حياته ويصير مقامه له بعد وفاته» (٥٠) .

وأما الصلاة فالمراد منها عند القوم هي :

«الطاعة لأمر المؤمنين (أي علي) والأئمة الذين اصطفاهم الله من ولده» (٥١) .

وقال السجستاني أبو يعقوب إسحاق .

«الصلاة عندنا ولاية الأولياء الذين يجب على الخلق طاعتهم» (٥٢) .

(٥٠) «تأويل الدعائم» المجلس الثاني من الجزء الرابع ص ٢١٣ ، ٢١٤ .

(٥١) انظر «كتاب الكشف» لجعفر بن منصور اليماني ص ٢٨ نشر شتروطاف .

(٥٢) «كتاب الافتخار» ص ١١٦ .

وقال الحامدي إبراهيم بن الحسين:

«الصلاة بالحقيقة هي الاتصال بالإمام»^(٥٣).

ونقل عن حميد الدين الكرمانى أنه قال:

«إن الصلاة في التأويل تصرف على وجوه كثيرة، فمنها الطاعة، ومنها تعلم العلم، ومنها الدخول في العهد والإحرام، ومنها الرحمة، ومنها ظاهر الشريعة، ومنها إقامة الدعوة، ومنها الصورة الروحانية»^(٥٤).

إن الداعي طاهر بن إبراهيم الحارثي، وصاحب (المجالس المستنصرية)، وضياء الدين إسماعيل بن هبة الله ذكروا أن إقامة الدعوة هي ممثول الصلاة الظاهرية^(٥٥).

وبمثل ذلك قال المؤيد الشيرازي إن الصلاة: «مثل على إقامة الدعوة التي هي سبب وصل ما أمر الله به أن يوصل من المراتب الروحانية والجسمانية ومراتب الجداول العلوية والسفلية»^(٥٦).

وليس المقصود من الدعوة إلا الدعوة إلى ولاية علي رضي الله عنه والأئمة الاسماعيلية حسب زعم القوم كما يقول المفسر الاسماعيلي قوله عز وجل: (وكان يأمر أهله بالصلاة).

(٥٣) «كنز الولد» لإبراهيم بن الحسين الحامدي ص ٢٨٦ ط دار الأندلس بيروت، أيضاً هفت باب أبو اسحاق لأبي إسحاق قوهستاني ص ٥٣ ط طهران.

(٥٤) «كنز الولد» ص ٢٨٧.

(٥٥) انظر «الأنوار اللطيفة» لطاهر بن إبراهيم الحارثي الياني، الفصل الرابع من السرداق الأول الباب الأول. «مجموعة الحقائق الخفية عن الشيعة الفاطمية والاثنى عشرية» للأعظمي ص ٨١ ط الهيئة المصرية العامة، و«المجالس المستنصرية» ص ٢١٤ ط دار الفكر العربي القاهرة، «المزاج التنسيم» التفسير الاسماعيلي ص ٢٨٨ ط المجمع العلمي غونتيفن.

(٥٦) «المجالس المؤيدية» للمؤيد الشيرازي المجلس السابع والستون من المائة الثانية ص ٢١٤ ملحق «بالمجالس المستنصرية» ط دار الفكر العربي.

«يعني أهل النسبة الأشرف في البقعة المقدسة (بالصلوة والزكاة) يعني بالدعاء إلى الميم والعين، بنشر العلوم في تلك الحضرة بإيضاح مقام المجمعين والمحمدي والعلوي»^(٥٧).

ويقول الداعي ادريس نقلاً عن علي رضي الله عنه وهو يكذب عليه أنه قال :

«ويقيموا الصلاة، هي ولايتي، من إقامها إقام الصلاة»^(٥٨).

وبمثل ذلك قال جعفر بن منصور اليماني :

«الصلاة هي مثل العين المعين نشرها التي لا تغيرها الاغصان، وهي الدعوة إلى صاحب الحق في كل عصر وزمان صلى الله عليه وعلى آله^(٥٩)».

وقال في مقام آخر :

«الصلاة : الحسين والأئمة من ولده»^(٦٠).

وأورد مثله المفضل الجعفي حيث قال :

«الصلاة أمير المؤمنين، والزكاة معرفته»^(٦١).

ونقل عن جعفر أنه قال :

«إقامة الصلاة هي معرفتنا»^(٦٢).

هذا ولقد فصل القول في ذلك النعمان المغربي حيث قال في المجلس الخامس من الجزء الثالث من (تأويل الدعائم) تحت عنوان «ذكر الصلاة وتأويلها في الباطن وتأويل حدودها» :

(٥٧) «مزاج التنسيم» سورة مريم ص ١٩٤ .

(٥٨) «زهر المغاني» للداعي ادريس ص ٧٤ من «المتخب» لايوانوف ط بومبي .

(٥٩) «كتاب الكشف» ص ٥٥ ، ٥٦ .

(٦٠) أيضاً ص ٢١ . للمفضل الجعفي أيضاً .

(٦١) «الفتح الشريف» ص ٤٠ ط

(٦٢) أيضاً

«الصلاة في التأويل مثلها مثل الدعوة ولذلك جاء فيما يؤثر من الدعاء عند سماع الأذان الذي هو مثل الدعاء إليها أن يقول من سمع المؤذن: لبيك يا داعي الله وليس كل مؤذن يؤذن للصلاة داعي الله ولكن الداعي إلى الله الرسول في عصره وكل إمام من بعده في زمنه من أقامه الرسول والإمام إلى الدعاء إلى ما أتى به عن الله ومن ذلك قوله تعالى: «يا قومنا أجبوا داعي الله وآمنوا به» حكاية عمن أمر قومه بأن يجيبوا دعوة رسول الله ﷺ وقال: «ومن لم يجب داعي الله فليس بمعجز في الأرض» وقال: «وأنه لما قام عبدالله يدعو» يعني رسول الله ﷺ فأولياء الله هم الدعاة والهداة والمنذرون وإلى صاحب الزمان منهم كانت الإشارة عند سماع الأذان يقول من سمع ذلك: لبيك داعي الله لأن الصلاة التي دعا ذلك المؤذن إليها هي ظاهر باطن الدعوة إليه وهي واجبة كوجوب الصلاة على جميع أهل الشريعة وعلى كل من بلغته الدعوة ظاهرة وباطنة، ومن ذلك أيضاً ما يؤثر في الدعاء عند سماع إقامة الصلاة والقيام بها إليها من قول الداعي في ذلك الدعاء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة فجاء بذكر الدعوة مع الصلاة إذ كانت باطنها ومن ذلك قول الله: «إن الصلاة تنهي عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر» فالنهي عن الفواحش إنما هو في باطن الصلاة وهي الدعوة وفيها يكون الأمر والنهي» (٦٣).

ثم قال:

«إفترض الله خمس صلوات في الليل والنهار تأويل ذلك أن الخمس الصلوات في الليل والنهار في كل يوم وليلة مثلها في الباطن مثل الخمس الدعوات لأولى العزم من الرسل الذين صبروا على ما أمروا به ودعوا إليه قال تعالى لمحمد ﷺ: «فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل» ففعل وصبر فكان منهم وأولوا العزم من الرسل خمسة، أولهم نوح ثم ابراهيم ثم

(٦٣) تأويل الدعائم للنعمان المغربي قاضي قضاة الامام الاسماعيلي المعز لدين الله ج ١ ص ١٧٦ ، ١٧٧ ط دار المعارف مصر.

موسى ثم عيسى ثم محمد ﷺ فأما آدم ﷺ فلم يكن من أولى العزم قال تعالى: «ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فني ولم نجد له عزماً» فلما كانت الصلاة كما ذكرنا في الجملة مثلاً للدعوة الحق جعلت الصلاة في كل يوم وليلة في شريعة محمد ﷺ خمس صلوات كل صلاة منها مثل للدعوة كل واحد من أولى العزم الذين قدمنا ذكرهم فصلاة الظهر وهي الصلاة الأولى مثل لدعوة نوح ﷺ وهي الدعوة الأولى وهو أول أولى العزم من الرسل والعصر مثل لدعوة ابراهيم ﷺ وهو ثاني أولى العزم وهي الصلاة الثانية والمغرب وهي الصلاة الثالثة مثل لدعوة موسى ﷺ وهي الدعوة الثالثة وهو ثالث أولى العزم والعشاء الآخرة مثل لدعوة عيسى ﷺ وهي الدعوة الرابعة وهو الرابع من أولى العزم وهي الصلاة الرابعة والفجر وهي الصلاة الخامسة مثل لدعوة محمد ﷺ وهي الدعوة الخامسة وهو خامس أولى العزم» (٦٤).

ومن الغرائب أن النعمان القاضي هونفسه ذكر في رسالته «الرسالة المذهبية» خلاف ما ذكر ههنا فقال فيها بعد ذكر الصلوات الخمس:

«أولهن الظهر وهي دليل على محمد ﷺ وعلى آله، وهو صاحب الشريعة . . . وأما صلاة العصر . . . وهي دليل على القائم المنتظر صاحب سيف التأويل . . . والمغرب دليل على آدم أبو البشر» (٦٥).

وهذا عكس ما ذكره في «الدعائم»، وإن دلّ هذا الاختلاف الصادر من شخص واحد فإنما يدلّ على أن التأويل الاسماعيلي الباطني ليس له قواعد

(٦٤) أيضاً ص ١٧٨، ١٧٩.

(٦٥) انظر الرسالة المذهبية للنعمان بن محمد المغربي ص ٣٢، ٣٣. من «خمس رسائل اسماعيلية».

(٦٦) «الرسالة المذهبية» للنعمان بن محمد المغربي ص ٣٤، ٣٥، أيضاً «كتاب الكشف» لجعفر ابن منصور اليماني ص ١٢٨، أيضاً «المجالس المستنصرية» للداعي علم الاسلام ثقة الإمام ص ٤٨، ٤٩ أيضاً «كتاب الافتخار» لأبي يعقوب إسحاق السجستاني ص ١٢٠ ط بيروت.

ثابتة، وأسس منضبطة يرجعون إليها في التأويل، بل يقول كل واحد ما يحويه، وما يمليه عليه فكره وخياله.

هذا، ثم أول القوم أركان الصلاة وأجزائها من التكبير، وقراءة الفاتحة، والركوع والسجود، والقيام، والقعود، والتسليم بتأويلات لا علاقة لها بالظاهر ولا بالمنطوق إلا ما يريدون بها إثبات دعاويهم الباطلة، وصرف الناس عن العمل والتكاليف الشرعية، فمثلاً يقولون:

«إن التكبير بمعنى تلاوة العلم، ومعنى الركوع حد الأساس، ومعنى السجود حد الناطق لأن الأساس بمنزلة الأنتى والناطق بمنزلة الذكر، وللذكر مثل حظ الانثيين، فإذا كان الركوع مرة واحدة فالسجود مرتين، والتحميد بمعنى الحدود العلوية لأنه تمجيد لهم وهو جالس، والتسليم هو درجة الإجلال، أو تسليم المرء نفسه وماله إلى إمام عصره وزمانه»^(٦٦).

فهذه هي تأويلاتهم للصلاة، اختصرناها اختصاراً شديداً عما ذكروها في كتبهم الباطنية والتأويلية بإسهاب وإطناب، ولو أننا قد ذكرنا بعض التفاصيل التي نحذفها هنا عند ذكر التكاليف الشرعية الأخرى لإعطاء الباحث والقارئ صورة تعمق الاسماعيلية في هذا الخصوص.

تأويل الزكاة

وأما الزكاة فيقول في تأويلها الداعي الاسماعيلي إدريس عماد الدين نقلاً عن علي رضي الله عنه أنه قال:

«إيتاء الزكاة هي الإقرار بالأئمة من ذريتي»^(٦٧).

وقال المؤيد الشيرازي:

«زكاة المال تطهيره بإخراج حق الله منه إذا بلغ حداً محدوداً، واستوفى

(٦٧) «زهر المعاني» لادريس عماد الدين ص ٧٤ من «المنتخب» لايوانوف.

مدة معلومة، وكمثل ذلك يجب في العلم الذي هو المال الحقيقي أن يخرج إلى مستحقه عند وجوبه» (٦٨).

وبمثل ذلك قال أبو يعقوب السجستاني (٦٩).

وقال في كتاب آخر:

«إن إيتاء الزكاة هو إطاعة الناطق ثم الأساس» (٧٠).

وقال «ثقة الامام علم الاسلام»:

«إن الزكاة هي الفريضة الرابعة من فرائض الاسلام وهي مثل علي أول من دعا إليه وهو الرابع من أصحاب الشرائع موسى الكليم عليه السلام بقول الله تعالى: إذهب إلى فرعون إنه طغى فقل هل لك إلى أن تزكي» وفروضها السبعة التي ذكرناها مثل علي أئمة دوره على السلام وسنها الاثنتا عشرة هم اثنتا عشرة اسباطا، إنما مثل على حجج زمانه الاثني عشر الذين قال الله تعالى فيهم «وقطعناهم اثنتي عشرة اسباطا أمما» وفجر لهم من الحجر اثنتي عشرة عينا» (٧١).

وفصل القول في تأويلها النعمان بن محمد حسب عادته فقال:

«الزكاة في الظاهر إخراج ما يجب على الأغنياء في أموالهم ودفعه إلى الأئمة الذين تعبد الله جل وعز الناس بدفع ذلك إليهم وتعبدهم بصرفها في الوجوه التي أمرهم الله بصرفها فيها وجعلها طهراً للمؤمنين الذين يدفعونها، فقال جل من قائل لنبيه محمد ﷺ «خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها» وأجمع المسلمون على أن ذلك لم يزل الواجب فيه بزوال الرسول ﷺ

(٦٨) «المجالس المؤيدية» للمؤيد الشيرازي، المجلس السادس والعشرون من المائة الثانية ص ٢١٤ الملحق «بالمجالس المستنصرية».

(٦٩) انظر «كتاب الافتخار» ص ١٢٢.

(٧٠) «إثبات النبوات» للسجستاني ص ٦ ط المطبعة الكاثوليكية، بيروت.

(٧١) «المجالس المستنصرية» ص ٦٧.

وعلى آله الذي آمن بقبضه وأوجبوا دفع ذلك إلى الأئمة من بعده فالواجب دفع ذلك على من وجب ذلك عليه إلى إمام زمانه أو إلى من أقامه لقبضه على ما افترضه الله جل ذكره وبينه رسوله ﷺ فهذا هو الواجب في الظاهر في الزكاة. وتأويل الزكاة أن الزكاة في لغة العرب التي نزل القرآن بها الطهارة وقال أصحاب اللغة: وزكاة المال تطهيره إذا زكى الرجل ماله أي أخرج منه ما يجب عليه فيه من الزكاة فقد طهر وحل له ما بقي عنده منه، وإذا لم يفعل ذلك كان المال غير مطهر وكان غير حلال، ومن ذلك قول الله عز وجل: «والذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم» ومعنى إنفاقها في سبيل الله إنفاق ما وجب فيها من الزكاة، وقال رسول الله ﷺ: ما أخرجت زكاته فليس بكنز، والكنز ما خبيء وما ستر، فإما ما أخرج الواجب فيه فقد أظهر وعرف مقداره بمعرفة ما أخرج منه فلم يستر، والزكاة أيضاً في اللغة الصلاح، يقال منه رجل صالح زكي، والصلاح لا يكون إلا مع الطهارة ولا يكون الرجل صالحاً إلا وهو طاهر من الذنوب ولا طاهر من الذنوب إلا وهو صالح، فالزكاة في اللغة تقع على الطهارة وعلى الصلاح وهي أيضاً في اللغة الزيادة، يقال منه زكا الشيء يزكو إذا زاد ونما، والزكاة في التأويل تجري على هذه الوجوه كلها تكون في موضع طهارة، وفي موضع صلاحاً، وفي موضع زيادة ونمواً على قدر ما يوجبه المراد بالخطاب فيها كما يجوز ذلك في ظاهر اللغة التي نزل القرآن بها، وقد قال الله جل وعز: «قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها» فالتزكية ما ذكرناه وقوله «دساها» خلاف ذلك. ونقيضه فيما ذكر أهل المعرفة باللغة، وقد قال جل وعز: «خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم» فيحتمل أن يكون أراد وهو أعلم بما أراد تطهرهم وتصلح أمرهم أو تزيد فيهم وتنميههم وقد يجوز أن يريد بذلك لظاهرة لأن العرب تكرر اللفظ إذا اختلف ظاهره، واتفق معناه، ويكون قول الله عز وجل: «وأقيموا الصلاة» يعني بباطن ذلك إقامة دعوة الحق وآتوا الزكاة أي أعطوا الواجب الذي تزكون به أي تتطهرون وتطهرون أموالكم به وتزيدون من الفضل بإعطائه يكونون بذلك صالحين عدولاً، كما يقال للرجل زكا إذا عدل وبلغ مبلغ العدول كذلك يبلغ مبلغ ذلك من تزكى بماله

وتكون الزكاة أيضاً المزكى الذي يزكي الناس ويظهرهم والعرب تسمى الشيء باسم ما صحبه ولازمه وكذلك جاء في بعض التأويلات أن مثل الصلاة مثل النطقاء، والأئمة الذي يقومون بإقامة الدعوة، ومثل الزكاة مثل الأسس والحجج الذين يطهرون الناس ويصلحون أحوالهم وينقلونهم في درجات الفضل بما توجه أعمالم فيكون على هذا قوله لا صلاة إلا بزكاة يعني أنه لا تقوم الدعوة إلا بمعرفة الأسس الذين هم أوصياء النبيين. والحجج الذين هم أوصياء الأئمة فهذه جملة من القول في تأويل الزكاة^(٧٢).

تأويل الصوم

وأما الصوم فقالوا:

«إن الصوم هو الستر والكتمان، ألا ترى إلى قول مريم: «إني نذرت للرحمن صوماً فلن أكلم اليوم إنسيا»^(٧٣).

ويمثل ذلك قال الحمدي عند ذكر أسماء الأئمة حيث ذكر:

«إنهم يمثلون شهر الصيام الذي هو الستر والكتمان، وهم الأئمة المستورون»^(٧٤).

ولقد أفصح في هذا السجستاني بعض الإفصاح حيث قال:

«الصوم هو الصمت بين أهل الظاهر، وكتمان الأسرار عنهم . . . وصوم شهر رمضان هو ستر مرتبة القائم . . . ومن شهد منكم الشهر فليصمه» أي من أدرك زمان الإمام فليلزم الصمت^(٧٥).

(٧٢) «تأويل الدعائم» للنعمان المغربي ج ٢ ص ٨٧، ٨٨.

(٧٣) «الرسالة المذهبية» للنعمان القاضي ص ٥٧.

(٧٤) انظر «كنز الولد» لابراهيم الحامدي ص ٢٠٨.

(٧٥) انظر «كتاب الافتخار» للسجستاني ص ١٢٦، ١٢٧ ط بيروت - لبنان.

وذكر الداعي الاسماعيلي الآخر مبيناً معنى قوله صلى الله عليه وآله وسلم:

«الخلوف فم الصائم أطيب عند الله من رائحة المسك»:

«إن الصائم مثل الكاتم لدينه وعلمه عمن لا يستحقه، والخلوف هو ما يطلع على الانسان من بخار المعدة ولتعطلها عن الطعام، فأشار بذلك إلى ما يكون عند الحدود من الصمت عن الكلام فيما لم يؤذن لهم به ولم يحضر أهله وإن كان مكروهاً لعدم الفائدة كما تكره رائحة الخلوف لتغير ريحه، فإن ذلك الإمساك أحب إلى الله تعالى من إبدائه إلى غير أهله وفي غير وقته، وشبهه لديه تعالى برائحة المسك الذي هو أطيب المشمومات لفضل الكتمان عنده» (٧٦).

وقال النعمان القاضي:

«الصوم في الباطن كتمان علم باطن الشريعة عن أهل الظاهر والإمساك عن المفاتحة به ممن يؤذن له في ذلك كما جاء في اللغة أن الصوم هو الإمساك عن الكلام والوقوف عن الأعمال، والنهار مثله مثل الظاهر وأهله، والليل مثله مثل الباطن وأهله، ولذلك كان الصوم في النهار دون الليل، ليصح ذلك ظاهراً وباطناً ويطابق بعضه بعضاً، ويظهر القول فيه ويصح معانيه، كذلك المفاتحة في الباطن لا يجوز لأهل الظاهر وتجاوز لمن يطلق له من أهل الباطن وفي حد ذلك ومكانه وقول الصادق جعفر بن محمد صلوات الله عليه: صوم شهر رمضان فرض في كل عام، فشهر رمضان شهر من شهور السنة معروف، والسنة اثنا عشر شهراً، فمثل السنة في التأويل الباطن مثل الناطق صاحب الشريعة، وهو في شريعة الاسم محمد النبي صلى الله عليه وآله وقيل ذلك لأن الناطق صاحب الشريعة وهو يسن الحكمة ويأتي

(٧٦) «مسائل مجموعة من الحقائق العالية» ص ٦٨ من «أربعة كتب اسماعيلية» تحقيق شتروطمان ط المجمع العلمي غونتنيغن.

من قبل الله عز وجل بعلم الشريعة، ولأن جماع أمر الشريعة له وهو يدبر ما فيها ويحكمه كما تدور السنة على كل ما يجري فيها في دورها، فكذلك الناطق الذي هو صاحب الشريعة، مثل شهور الاثني عشر مثل نقباء صاحب الشريعة الاثني عشر، ومن ذلك قول الله عز وجل: «وبعثنا منهم اثني عشر نقيباً» وكذلك كان نقباء موسى عليه السلام، كذلك أيضاً نقباء عيسى عليه السلام اثنا عشر، وهم الخواريون واحد النقباء يكون أساساً لصاحب الشريعة. يوصي إليه في حياته ويكون ولي أمر أمته بعد وفاته، فمثل شهر رمضان في دور محمد رسول الله صلى الله عليه وآله مثل علي بن أبي طالب عليه السلام وهو وصيه في حياته ولي أمر أمته من بعده، والي الوصي يصير أمر الدعوة المستورة وعلم التأويل الباطن المستور، فنص الله عز وجل بذلك عليه، وكان الصوم الذي ذكرنا أن مثله مثل الكتمان والتأويل في الشهر الذي هو مثله في الباطن، وقال جل من قائل: «ولتكمّلوا العدة» فكمال عدد أيام شهر ثلاثون يوماً، ويكون تسعة وعشرين يوماً، فنص الله عز وجل على شهر رمضان بكمال العدة فكان ذلك كامل الأيام أيامه ثلاثون يوماً لا تنقص أبداً ما دامت الشهور تجري، ومثل الأيام كما تقدم البيان مثل أولياء الله القائمين بأمر دينه لعباده، ومنه قوله جل ذكره: «قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله» وكان بين المهدي وبين علي صلوات الله عليهما عشرة أئمة وعشرة حجج وعشرة أبواب، وهؤلاء مثل أيام شهر رمضان التي أمر الله عز وجل بصومها، وذلك في التأويل كتمان أمرهم وما يلقونه من التأويل إلى من عاملوه إلى أن يأذنوا في ذلك لمن يرويه» (٧٧).

ثم بين النعمان هذا معنى القول المنسوب إلى جعفر أنه قال:

«لا صيام لمن عصى الإمام، ولا صيام لعبد أبى حتى يرجع إلى مولاه، ولا صيام لامرأة ناشزة حتى تتوب، ولا صيام لولد عاق حتى يبر. تأويل ذلك أن مثل العبد الأبى مثل الزائل من إمام زمانه النازع عن الكون في جلته،

(٧٧) «تأويل الدعائم» للنعمان المغربي ج ٣ ص ١٠٨، ١٠٩.

ومثل المرأة الناشزة مثل المستفيد المنقطع عن يفيده والمتخلف عن الإتيان إليه لالتماس الحكمة من قبله، ومثل الولد العاق مثل الجاني على داعية أو على بابه اللذين هما أدنى أبويه إليه فمن فوقهما من حدود أولياء الله على ما قدمنا شرحه إلى ناطق زمانه وحجته وإلى صاحب شريعته وأساسه بما يكون منه إلى أحد منهم من قول أو فعل يعق به بحسب ما يكون في الظاهر من الولد إلى والديه عقوقاً، فمن فعل ذلك ظاهراً وباطناً وصام في الظاهر والباطن لم يتقبل منه صيامه، لما تقدم القول به من أن الولاية مثلها مثل النية، وأنه لا يقبل منه عمل إلا بنية ولاية، ومن عصى إمامه أو رغب عنه أو عك أحداً من حدوده الذين هم الأسباب فيما بينه وبينه وهم في الباطن آباؤه فقد خرج من ولايته، ولا يقبل له عمل مادام على ذلك حتى يرجع عنه إلى ما خرج منه بالتوبة والرجوع إلى أمر الله وأمر أوليائه، فهذا تأويل قول الصادق عليه السلام أنه لا صيام لمن عصى الإمام، ولا صيام لعبد أبى حتى يرجع ولا صيام لامرأة ناشزة حتى تتوب، ولا صيام لولد عاق حتى يبر، وبيان ذلك ظاهراً وباطناً^(٧٨).

تأويل الحج

والحج لا يختلف أمره عن العبادات الأخرى فإن القوم جعلوه غرضاً لتأويلهم الباطني الفاسد مثل ما فعلوا بدعائم الاسلام الأخرى فقال قائلهم في الحج، وهو أحد بناء مذهبهم وداعي الدعاة للإمام الاسماعيلي المعز لدين الله، جعفر بن منصور اليمن مبيناً معنى الحج في قول الله عز وجل: «ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً».

«أمر جل وعلا باتباع الإمام صلوات الله عليه الذي من يختاره نجا وفاز، فالحج هو الإقرار بالولي المأمود عليه السلام «من استطاع إليه سبيلاً»

(٧٨) «تأويل الدعائم» ص ١١٠، ١١١

فالعباد كلهم فيهم استطاعة غير أنهم ممنوعون التوفيق ، والسبيل لهم بين وهو الداعي إليه سبيل الله جل وعلا ، وهذه الصفة تقع على حجة الإمام ووصي الرسول فالحجة سبيل الإمام الذي يدعو به الناس إلى الله عز وجل كما قال الله عز وجل : « قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين » الذين أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً ، أي أشركوا بأمر الله في الإمام صلوات الله عليه أهواء أنفسهم واختيار كبرائهم الذين أضلوهم السبيل فجعلوا مع الإمام غيره من لم يجعله الله ولا رسوله ممن ليس له حق ولا يهدى إلى صراط مستقيم لا جعلنا الله فيهم ولا من أعدادهم هو على ذلك قدير فالسبيل واضح بين ولكنهم قد جعل على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا وإن تدعهم إلى الهدى فلن يهتدوا إذاً أبداً . ما أبين هذا الخطاب لمن كان له بصر حديد ، ألا تنظر أيها المستفيد إلى غير ما أمر به فقال ومن كفر فإن الله غني عن العالمين ، ولولا أنه جل وعلا علم أنهم يستطيعون وقد أقام لهم السبيل وأبان لهم الدليل لما قال لمن خالف أمره ومن كفر فلولا أنه قد أعطاهم استطاعة السعي وحاسة الطلب لما ألزمهم اسم الكفر ولكنه جل وعلا لم يمنعهم من رشدهم شيئاً فأوقع عليهم إسم الكفر عند خلاف أمره وترك فرضه ، ثم أبان جل وعز أنه غني عن العالمين يعني بذلك دعائه أنه غني عنهم وهو الذي أعانهم وأغناهم وملكهم وملك بهم وجعلهم ملائكة مكرمين وأولياء مخلصين جعلنا الله منهم ومعهم ولا قطع بنا عنهم إنه سميع بصير» (٧٩) .

وقال في موضع آخر مفسراً قول الله عز وجل : « وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق » .

بيان هذا أنه لا بد من إمام يدعو ويشير إلى الإمام وإلى الناطق فالأذان مثل الإمام المتم ، والإقامة مثل الناطق ، وكذلك الأذان بالحج ، فالحج مثل الناطق والأذان مثل الإمام الذي يدعو ويشير إلى الناطق فمعنى قوله : « وأذن

(٧٩) «كتاب الكشف» لجعفر بن منصور اليمن ص ١٥٣ ، ١٥٤ .

في الناس بالحج يأتوك رجالاً يعني : أقم في الناس الإمام يدعو إلى الناطق وكذلك مقام إبراهيم في مسجد مكة عنده يقوم الذي يؤم الناس في الصلاة ويتوجه إلى البيت ، فمقام إبراهيم في ذلك الموضع مثل الإمام الذي تجرى الدعوة من قبله وبطاعته واتباعه للناطق عم ، فمعنى هذا القول أن الأذان صاحب الدعوة وأنه يستحق أن يكون في مقام إبراهيم ، فما أبين هذا الخطاب لتعلم أن الباري عدل في جميع الأشياء ظاهرها وباطنها ، وإنما طلب الناس بالموجود لا بالمعدوم ، وأقام لهم مؤذناً يؤذنه إلى معرفة الله سبحانه ويبين لهم مكنون سره ، فمن أجاب ذلك المؤذن والناطق فقد سعد ، فالمؤذن لا بد منه لأنه بأذانه طوبى العباد وبه أبصر الناس وإلى دعوته أتوا من أقاصي البلاد وأدانيها ، وهذا معنى في الباطن لطيف خفى لمن كان له جوهر لطيف ولم يكن له جسم كثيف بلا جوهر لطيف» (٨٠).

وقال المغربي مفسراً هذه الآية :

«البيت دليل على الإمام ، والاستطاعة هي التأيد ، والسبيل دليل على العلم» (٨١).

وبمثل ذلك قال السجستاني :

«حج البيت هو قصد إمام الزمان مفترض الطاعة والغرض من حج البيت معرفة الأئمة والمراد من الزاد والراحلة في الحج هو العلوم ، ودليل معرفة الإمام والإحرام هو اعتقاد معرفة الإمام» (٨٢).

وأما بعض التفصيل فإليك من كتاب «تأويل الدعائم» الذي لم يصنفه النعمان بن محمد المغربي إلا لهذا الغرض ، النعمان الذي عاشر أربعة من الأئمة الاسماعيلية من المهدي إلى المعز ، وعين أول قاض للاسماعية في بلاد

(٨٠) أيضاً ص ١١٠ ، ١١١ .

(٨١) «الرسالة المذهبية» للنعمان بن محمد ص ٣١ .

(٨٢) انظر «كتاب الافتخار» للسجستاني .

مصر وغيرها من البلاد التي تسلط عليها الاسماعيليون بعد دخول المعز فيها واستيلائه عليها. فهذا هو النعمان الذي وضع أكبر عدد من الكتب الاسماعيلية يقول مبيناً معنى الآية :

«فالزاد في الظاهر هو ما يتزوده من يريد الخروج إلى الحج في الظاهر من مطعم ومشرب، ومثل ذلك في الباطن ما قد تقدم القول به من أن مثل الطعام والشراب في الباطن مثل العلم والحكمة اللذين بهما حياة الأرواح الدائمة، كما بالطعام والشراب حياة الأجسام، الراحلة في الظاهر الدابة التي يرتحلها من أراد الحج لركوبه وحمل زاده، ومثلها في الباطن ما قدم تقدم القول به من أن الدواب من الإبل والخيول والبغال والحمير التي أخبر الله سبحانه في كتابه أنه خلقها لركوب العباد، البشريين وحمل أثقالهم وجعلها زينة لهم، أمثالها في الباطن أمثال أولياء الله وأسبابهم الذين يحملون أثقال العباد ديناً ودنياً، ومن ذلك قول الله عز وجل لمحمد نبيه صلى الله عليه وآله : «إنا سنلقي عليك قولاً ثقیلاً» فهم ومن أقاموه من أسبابهم ولحمل الخلق على سبيل الحق أمثال ما يرتحل ويحمل عليه في الظاهر. وقد بينا فيما تقدم أمثال كل جنس من الدواب ومن مثله في الباطن من أولياء الله وأسبابهم، فإذا وجد من وقف لطلب معرفة إمام زمانه من أسباب أولياء الله والدعاة إليهم من يدلّه عليه ويعرفه به ويفاتحه من العلم والحكمة بما يشهد لصحة قوله، ويبين له ما دعاه إليه فذلك في الباطن وجود الزاد والراحلة، وأما أمن السبيل فمثله في باطن التأويل أن يكون دليله على ذلك وحامله عليه وهاديه إليه ومفيده من العلم والحكمة ما يثبت ذلك عنده مأموناً غير متهم بالكذب وسوء المذهب ولا معروفاً بذلك وأما ما يخلفه لأهله، فظاهر ذلك عنده مأموناً غير متهم بالكذب وسوء المذهب ولا معروفاً بذلك وإماماً يخلفه لأهله، فظاهر ذلك أنه من أراد الحج في الظاهر ولم يكن عند إلا قدر ما تحمله لزاده ومركبه، ولم يجد غير ذلك مما يقوت به عياله لم ينبغ له أن يدعهم يهلكون بعده ويذهب إلى الحج بما عنده، لأنه قد جاء عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال : «كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يعول» فإذا كان تضييع العيال إثماً لم ينبغ له أن يرتكب الإثم ليعفى به الثواب، وقد جاء هذا

القول أيضاً عن الأئمة عليهم السلام، وتأويل ذلك في الباطن أن عيال الرجل أمثالهم في الباطن أمثال المستفيدين منه من كان ممن علا قدره أو سفّل، حتى يكون الانسان مفيد زوجته وولده وخادمه، وكذلك جاء الأمر عن الله عز وجل في ظاهر قوله: «وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها» وقوله: «وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكن عند ربه مرضياً» وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «كلكم أمير، وكلكم مسئول عن رعيته، والسلطان أمير على من أمر عليه، ومن أمره السلطان كذلك على قوم فهو أمير عليهم ومسئول عنهم، والرجل أمير على عياله ومن في بيته ومسئول عنهم، والمرأة أميرة على ما في بيت زوجها ومسئولة عن ذلك، والعبد أمير على ما فوضه إليه مولاه ومسئول عنه»، وقال النبي صلى الله عليه وآله: «إن العبد الصالح ليؤدب أهله وولده وأهل بيته بالأدب الصالح حتى يولجهم الجنة كلهم فلا يفقد منهم صغيراً ولا كبيراً ولا عبداً ولا حراً، وإن الرجل السوء ليؤدب أهله بالأدب السوء حتى يولجهم النار فلا يفقد منهم صغيراً ولا كبيراً ولا حراً ولا عبداً، فعلى من وجد ما قدمنا ذكره من المفيد والعلم الذي يحمله لطلب إمام زمانه أن يبتغي مثل ذلك لأهله، ولا يدعهم في ضلال وعمى وينفرد دونهم في ذلك بنفسه، بل عليه أن يرشدهم وينصح لهم ليهدي الله عز وجل منهم من يهديه ويحق القول على من عند عنه واعتاص عليه، فهذا جماع القول في وجود الزاد والراحلة وأمن السبيل وقوت العيال لمن أراد الحج ظاهراً وباطناً، فمن وجد ذلك وأمكنه كان عليه طلب أمام زمانه حتى يصل إلى معرفته كما يطلب الحاج في الظاهر البيت الحرام الذي ذكرنا أن مثله في الباطن مثل إمام الزمان، حتى يصل إلى معرفته ويتقلد عهده ويدخل في جملة، ومن وجد ذلك فلم يقبل عليه ولم يطلبه كان ممن تواعده الله عز وجل بالوعيد الذي ذكره الله في كتابه على لسان رسوله وألسنة أوليائه الذي قدمنا ذكره، ووصف بما وصف به من الكفر وترك شريعة من شرائع الاسلام، وإنه إن فعل ذلك فليمت يهودياً أو نصرانياً» (٨٣).

(٨٣) «تأويل الدعائم» ج ٣ المجلس لسابع من الجزء الثالث ص ١٤٣، ١٤٤، ١٤٥.

وأما الحج رجالاً وعلى كل ضامر:

فمثل من يمشي على رجلين ممن يقصد الحج مثل من يفسر برسول الله
وبعلي وصيه صلوات الله عليهما، ومثل من يحج على راحلته مثل من عرف
الإمام والوصي والحجة (٨٤).

وأما أقسام الحج الثلاثة فمعناها:

«ومن أفرد الحج كان مثله مثل من أفرد طلب معرفة الإمام، ومن أفرد
العمرة كان مثله مثل من أفرد طلب معرفة حجة الإمام، وهو الذي يقيمه في
حياته ويصير الأمر إليه من بعده، ومن قرنها معاً كان مثله مثل من طلب
معرفة الإمام والحجة جميعاً، وذلك الذي جاء أن فيه الفضل ظاهراً
وباطناً» (٨٥).

وأما أشهر الحج أي شهران، والأيام التسعة فقالوا:

مثل الشهرين اللذين يفرض فيهما الحج مثل الإمام والحجة لأنه كما
ذكرنا في طلب معرفتهما يفرض الحج، والتسعة الأيام مثلها مثل السبعة
النطقاء ومثل السبعة الأئمة أيضاً الذين بين كل ناطقين، وقد تقدم البيان
عنهم ومعرفة الداعي وبابه اللذين بهما يوصل إلى معرفة ذلك فذلك تسعة
حدود على عدد الأيام التسعة، ومن طلب معرفة الإمام والحجة فلا بد له من
معرفة هؤلاء التسعة ففرض الحج في الباطن إنما يكون في طلب معرفة
هؤلاء (٨٦).

وأما الإحرام فانه مثل الإحرام في الباطن إيجاب طلب معرفة الإمام
والحجة ومواقيت الإمام في الظاهر حدود المواضع التي يوجب فيها
ذلك (٨٧).

(٨٤) أيضاً ج ٣ ص ١٤٥، ١٤٦.

(٨٥) «تأويل دعائم الاسلام» ج ٣ ص ١٥١.

(٨٦) أيضاً ص ١٥١.

(٨٧) أيضاً ص ١٥٧.

وجعل المواقيت خمسة: «هي أيضاً مثل الصلوات الخمس» وكذلك الذين ينصبون أمثالها في الباطن وهم الحدود الذين نصبهم أولياء الله إعلماً للناس خمسة لا ينصب ذلك إلا نبيّ أو وصي أو إمام أو حجة أو مستخلف فهؤلاء هم الذين ينصبون للناس الأعلام الذين يهتدون بهم الذين هم أمثال المواقيت، فهؤلاء الأعلام أيضاً هم خمسة أصناف الحجج وأبواب الحجج، والنقاء وأبواب النقاء والدعاة، فمن أراد معرفة إمام زمانه الذي يكون مثله في الظاهر مثل من أراد الحج أو معرفة حجة زمانه الذي يكون مثله مثل من أراد العمرة لم يلتمس ذلك ويطلبه إلا من قبل من يليه من أهل هذه الأصناف الخمسة، وهم أمثال المواقيت الخمسة التي وقتها رسول الله صلى الله عليه وآله للناس بظاهر حجهم وعمرتهم، وأن يأتي أهل كل ناحية عند ذلك إلى ميقاتهم، كذلك يأتي من ابتغى معرفة إمام زمانه أو حجته إلى من يلي مكانه من هؤلاء فيلي أمره في ذلك ويدله على إمام زمانه أو حجته على ما قدمنا وذكرنا فيما تقدم، أو أمثال الشهور الاثني عشر أمثال نقباء أصحاب الزمان الاثني عشر، وهم أصحاب الجزائر لكل جزيرة من جزائر الأرض نقيب فهم وأسبابهم على ما ذكرنا أعلام ومواقيت في التأويل» (٨٨).

وأما الطواف والنحر فينبهما بقوله:

«إن مثل الحج في الظاهر مثل قصد إمام الزمان في الباطن، والمجيء من كل أفق إليه للدخول في جملة وبيعته والكون معه وحيث يأمر بالكون فيه وجعل حج البيت في الظاهر مثلاً لذلك دليلاً عليه، وإن مثل العمرة كما تقدم القول بذلك مثل قصد حجة ولي الزمان وهو ولي عهده الذي يقيم في حياته ويصير إماماً من بعده، وقد ذكرنا أنه متى لم يقمه بعد فمثل القصد إلى الإمام إذا كان وحده ولم يقم بعد حجته مثل الحج المفرد في الظاهر، فإذا أقام إمام الزمان حجته كان القصد إليهما معاً من الواجب على جميع الناس، وذلك في الظاهر مثله مثل من يخرج ليقضي الحج والعمرة في سفر واحد، فإن

ساق معه هدياً ليقربه فإنما الواجب أن ينحر الهدى أو يذبحه بمنى بعد الوقوف بعرفة ومزدلفة، فمن كان معه هدى فصار إلى مكة بدأ بالعمرة فطاف لها وسعى، وذلك قضاء واجب العمرة ويبقى محرماً على سبيل ما كان حتى ينتهي إلى منى وينحر هدية فيحل لأن الاحلال من الاحرام حلق الرأس وغير ذلك مما يحرم وسيأتي ذكره وقد قال الله سبحانه: «ولا تحلقوا رؤوسكم حتى يبلغ الهدى محله» وأمثال الهدايا والضحايا في الباطن أمثال المخالفين ومثل سوقهم إلى المنحر يوم النحر بمنى، فمثل يوم النحر في الباطن كما تقدم القول بذلك مثل خاتم الأئمة وهو صاحب القيمة وإليه يساق المخالفون الذين لم يستجيبوا لمن قبله من أئمة الحق، فمن اهتدى إليه وأجاب دعوته قبل ارتفاع الدعوة كان مثل ذلك مثل ذبح الهدى ونحره في الظاهر الذي يتقرب به إلى الله جل وعز، كما تقدم القول بأن مثل الذبح مثل أخذ العهد، وقد مضى بيان ذلك وتام شرحه فيما تقدم، ومن تخلف عنه إلى أن يقوم بالعقوبة في اليوم الذي ذكر الله عز وجل: «إنه لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً» فمن لم يعرفه قبل ظهوره حقيقة معرفته ويستجيب لمن يدعو إليه وينذر به ولم ينفعه إيمانه به إذا قام لأن قيامه هو القمة التي لا يقبل فيها عمل، وأمثال الذين يسوقون الهدى أمثال القائمين بدعوة الحق على مقادير منازلهم فيها والذي يساق من الهدى ثلاثة أصناف الابل والبقر والغنم، وقد ذكرنا أمثالهم فيما تقدم، وأن أمثال الابل أمثال النطاء، وأمثال البقر أمثال الجحجج وأمثال الغنم الدعاة فمن دونهم من المؤمنين، فكل ذي حد منهم يقيم صاحب الحد الذي هو دون حده فالامام يقيم حجة يكون إماماً بعده ومثل ذلك الذي يقرب البدنة من الابل وهو أعلى الهدى وأفضله وكذلك الامام أعلى الخلق وأفضلهم ومثل تقريبتها مثل إقامة الامام من يكون إماماً بعده يتقرب بذلك إلى الله جل ذكره إذا كان ذلك من الفرض عليه أن يسلم الأمر الذي هو بيده إلى من يقوم به من بعده ولا يخل بذلك عليه ولا يصرف عنه، ومثل الذي يقرب البقرة مثل الناطق يقيم حجته فيكون أساساً بعده، والأساس وهو وصي الرسول يقيم حجته فيكون إماماً بعده، والإمام كذلك إذا أقام حجته يكون إماماً بعده، ومثل

الذي يقرب الشاة مثل الحجة يقيم الداعي ، ومثل الذي لا يجد قرباناً يقربه فيقتصر يكتفي على ذبح الدجاجة وأشباهها من الحيوان الذي لا يجوز به الأضحية ولا يكون نسكاً مثل الداعي الذي لم يطلق له أن يقيم داعياً فيقيم من يجب له أن يقيمه من المأذونين وليسوا في حال دعاة ، وإنما سبيل المأذونين الكسر على المخالفين فإذا استجابوا لدعوة الحق قرب من يستجيب منهم إلى الداعي الذي يقيمه ليأخذ العهد عليه ، فمن كان عاملاً في دعوة الحق فمثله كما ذكرنا مثل سائق الهدى ، لأنه يأخذ على من استجاب له ويدفع من لم يستجب له إلى أن يبلغوا إلى خاتم الأئمة ، فإذا قصد أحد من العاملين في دعوة الحق إلى حجة زمانه واتصل به اتصل بإمام الزمان في حده ذلك من غير أن ينتقل منه إلى غيره ولا يتصل بالإمام إلا بعد اتصاله بالحجة ، لأنه باب الإمام الذي يؤتي منه إليه ، فإذا نصبه الإمام لم يأخذ أحد إلا من قبله ، وذلك مثل البدء بالعمرة قبل الحج ومثل اتصال العاملين في دعوة الحق بإمام زمانهم بعد اتصالهم بحجته في حدهم ذلك مثل قران سائقي الهدى بين الحج والعمرة من غير أن يحلوا إحرامهم» (٨٩) .

وأما التلبية فهو قصد إمام كل زمان ووفده استجابة لدعوته وقرباً منه طاعة له ومعنى تكرار التلبية أربع مرات وهو قوله : لبيك اللهم لبيك الخ هو أن يعتقد المستجيب طاعة الله وطاعة رسوله وطاعة إمام زمانه وطاعة حجته في الظاهر والباطن والسر والاعلان (٩٠) .

وأما الرفث والفسوق والجدال :

تأويل ذلك في الباطن أن من فرض الحج في الباطن لم يجز له أن يفتح أحداً بعلم الباطن لأن مثله مثل المفاتحة قبل الجماع ، والفسوق الخروج من إطاعة الله وطاعة أوليائه والجدال لا ينبغي لمن سعى يطلب إمام زمانه وتمسك به أن يجادل أحداً حتى يؤذن له في ذلك ويعرف ما يجادل به ،

(٨٩) أيضاً ص ١٧٢ ، ١٧٣ .

(٩٠) أيضاً ص ١٨١ .

فأما قتل المحرم الصيد فمثله في الباطن مثل من فاتح بعلم الباطن وهو محرم»^(٩١).

وقال جعفر بن منصور اليمني :

«المراد من الرفث والفسوق والجدال، أبو بكر وعمر وعثمان»^(٩٢).

وحلق الرأس فإن مثل الرأس مثل الرئيس الذي يأخذ من دونه عنه أمر دينه ومثل الشهر مثل ظاهر العلم ومثل حلقة عن الرأس قبل كشف الباطن بإزالة علم الظاهر عنه، ومثل ذلك منكشف الباطن لغيره وهو محرم في الباطن ممنوع من ذلك وأما الفدية فمثل ذلك في الباطن إن من كشف أمر رئيس في الدين الذي يستفيد منه علم التأويل كان عليه أن يسعى في إرقاء ثلاثة من المؤمنين إلى حد السر والكتمان، وذلك الملاعن على حد الكتمان عند ما يفتحون من يجب كتمانه من تأويل الباطن»^(٩٣).

إلى آخر ذلك من الخرافات .

وأما مثل بيت الله الحرام فيقول :

«وبني البيت مربعاً ولذلك سمي كعبة، والكعبة في اللغة المربع، ومثل أركانه الأربع مثل لموسى وعيسى ومحمد والقائم من ولده صلوات الله عليهم الذي هو سابع النطقاء، وقد قدمنا البيان على ذلك من أمره وشأنه وهو خاتم الأئمة، ثم أدار الحجر على الركنين من أركان البيت الأربعة وجعل ذلك مثلاً لانقطاع النبوة عن ولد اسحاق بعد الناطقين من ذريته اللذين هما موسى وعيسى عليهما السلام، وهما مثل الركنين حجر الحجر عليهما، والحجر في اللغة المنع وذلك مثل المنع بعد نبوة محمد ﷺ من التمسك بشريعتهما، ولذلك لا يطاف بهما وإنما الطواف من وراء الحجر ويطاف بالركنين الباقيين الركن الذي فيه الحجر الأسود والركن اليماني، ويستلمان في كل شوط يجوز

(٩١) أيضاً ص ١٨٤.

(٩٢) «كتاب الكشف» لجعفر بن منصور اليمني ص ١٢٥.

(٩٣) «تأويل الدعائم» ج ٣ ص ١٨٨.

الطائفتين بهما فيه، ومثل الركن الذي فيه الحجر مثل محمد النبي ﷺ والحجر كما ذكرنا مثل الأوصياء من ذريته، ومثل الركن اليساري مثل القائم من ولده خاتم الأئمة لا حجر فيه، ومثل ذلك أنه لا وصي له ولا إمام من بعده يتلوّه، وهو صاحب القيمة صلوات الله عليه، فمن أجل ذلك وإن الله سبحانه جعل ملة محمد نبيه قائمة لا تنسخها ملة، وشريعته ثابتة لا تزيلها شريعة، وجعل السابع من ذريته وعلى ملته وشريعته ودعوته، ونسخ بشريعته شرائع من مضى من قبله، كان مثل ذلك في الظاهر الطواف بركني البيت واستلامهما دون الركنين الآخرين اللذين حجر عليهما» (٩٤).

وأما الصفا والمروة فقال:

«مثلها في الباطن لأهل كل حد من حدود المعرفة مثل مفيدهم الذي يستفيدون منه ومثل مفيدة الذي يستفيد هو منه، فمثل المفيد الأعلى مثل الصفا، ومثل الذي يستفيد منه ويفيد من دونه من أهل الطبقة التي هو مفيدها مثل المروة، فوجب على كل من قصد إمام زمانه أو اتصل به وبحجته ألا ينقطع عن مفيدة الذي كان يفيد منه، بل يتصل به ويقبل عليه ويأخذ عنه، ويتصل كذلك اتصال إقرار ومعرفة بمفيد حتى يصير إلى حد من يستفيد منه، وذلك مثل السعي بين الصفا والمروة في ظاهر الحج» (٩٥).

وقد جمع هذه المعاني كلها الداعي الاسماعيلي شمس الدين بن أحمد بن يعقوب الطيبي في كتابه (الدستور ودعوة المؤمنين للحضور) حيث يقول:

«وأما الحج فهو القصد إلى صحبة السادة الأئمة من أهل البيت، بيت العلم والحكمة وقطع النظر عن سواهم، والزاد والراحلة الاستمداد للوقوف في عرفات، والمزدلفة الوقوف على قوانين الحكمة والمعرفة، وأما معنى النحر والخلق فإزالة الباطل، وإظهار الحق ورمي الحجر الأسود قبول الدعوة من الناطق المؤيد، والطواف بالأركان والمقام وزمزم هي دعوة الباطن، والسعي

(٩٤) أيضاً ص ٢١١.

(٩٥) أيضاً ص ٢٢٠.

بين الصفا والمروة تتميم الدعوة والوفاء، وإتمام الحج بالعمرة الكاملة هي الاستجابة للمأذنين في الدعوة الشاملة»^(٩٦).

ونذكر هنا ما قاله هذا الداعي أيضاً في تأويل الحلال والحرام والصلاة والصوم والزكاة فيقول:

«وأما الحلال الواجب إظهاره وإعلانه، والحرام الواجب ستره وكتمانه، فهو الطاعة والدخول في عند إمام الزمان، والثاني المعصية والميل لأئمة الضلال والعدوان، وأما الصلاة فهي صلة الداعي إلى دار السلام بصلة الأبوة في الأديان إلى الأمام، والزكاة إيصال الحكمة إلى المستحق، وإرشاد الطالب لمنهج الحق، والصوم الامساك عن كشف حقائق النواميس الشرعية لغير أهلها في دور الكشف، والستر هو استتار الإمام بحججه واختفاؤه بدعائه - والنهار دليل على دور الكشف، والافطار ظهور الإمام من وراء حجابيه، وإظهار السرائر المكنونة، والعلوم المخزونة»^(٩٧).

فهذه هي التأويلات الباطنية للعبادات والتكاليف الشرعية أثبتناها من كتب القوم أنفسهم» ونريد أن نضيف إليها بعض التأويلات الأخرى لأهم الأشياء التي ورد ذكرها في القرآن والسنة، قبل أن نذكر تأويل بعض السور والآيات القرآنية، ليكمل البحث في هذا الموضوع.

(٩٦) ص ٧١ من الكتاب المذكور من مجموعة «أربع رسائل اسماعيلية».

(٩٧) أيضاً ص ٧٠، ٧١.

العرش

ونبدأ بعرش الرحمن الذي ورد ذكره كثيراً في كلام الله الخالد في القرآن الكريم مضافاً إلى رب السموات والأرض «إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش»^(٩٨).

وأيضاً: «سبحان رب السموات والأرض رب العرش عما يصفون»^(٩٩).

وأيضاً: «الله لا إله إلا هو ربّ العرش العظيم»^(١٠٠).

وأيضاً «فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم»^(١٠١).

وأيضاً: «هو الغفور الودود ذو العرش المجيد»^(١٠٢).

وأيضاً: «الرحمن على العرش استوى»^(١٠٣).

وأيضاً: «ثم استوى على العرش يدبر الأمر»^(١٠٤).

(٩٨) سورة الأعراف الآية ٥٤.

(٩٩) سورة الزخرف الآية ٨٢.

(١٠٠) سورة النمل الآية ٢٦.

(١٠١) سورة المؤمنون الآية ١١٦.

(١٠٢) سورة البروج الآية ١٥.

(١٠٣) سورة طه الآية ٥.

(١٠٤) سورة يونس الآية ٣.

وغيرها من الآيات الكثيرة الكثيرة.

فقالوا: إن المراد من العرش هو العقل أو العلم أو الابداع، أو الناطق السابع وغير ذلك كما ذكر ذلك الداعي الاسماعيلي أبو يعقوب السجستاني:

«إن المراد من العرش والكرسي العقل والنفس» (١٠٥).

ويقول السجستاني أيضاً:

«إن المبدع لم يوجد أول الخلقة غير العقل وحصر في جوهره صورة المبدعات كلها، ويضاف إلى العقل اسم (القلم) لأن بالقلم تظهر نقوش الخلقة منذ الابتداء إلى الانتهاء، وقال للعقل (العرش أي أنه مقر لمن جلس عليه وبجلوسه عليه تعرف جلالته عن من هو منحط دونه، ويقال للعقل (الأول) ومعناه الأولية التي ظهرت منها المخلوقات يعني كل ما هو موجود وما هو مطبوع عليه أسبوع لقبول آثار الحكمة قبل سائر الحدود لقربة منها واتحاده بها وهي العلم والأمر اللذان هما بمعنى واحد، وقد يجوز أن العقل فعله سبق قوته. ولم توجد هذه الفضيلة في موجود سواء لأن جميع الحدود دونه قواتهم سابقة أفعالهم وهذه الفضيلة للعقل خاصة ليكون بها تاماً كاملاً» (١٠٦).

وبمثل ذلك قال الداعي الاسماعيلي الآخر:

«إن العرش ينصرف على وجوه كثيرة حقيقتها الابداع وما حصل عنده من المادة الأزلية قد صار هو هي، وهي هو التي علم بها ما كان وما سيكون، ومن اتصل به من ذلك قسط من عالم الابداع وعالم الدين، فهو عرش لما دونه» (١٠٧).

(١٠٥) انظر «كتاب الافتخار» للسجستاني ص ٤٠.

(١٠٦) نقلاً عن مقدمة «تأويل الدعائم» للحسن الأعظمي الاسماعيلي ج ٢ ص ١٨، ١٩.

(١٠٧) مسائل مجموعة من الحقائق العالية والدقائق والأسرار السامية» ص ٩١ من «أربعة كتب اسماعيلية» جمع شروطمان ط المجمع العلمي غوتنبغ.

وقال أيضاً في جواب سائل سألته عن معنى (خلق الله العرش بالكلمات السبع).

«إعلم أن الكلام في هذه المسألة كلام عال جداً والجواب عنه لا يصلح أن يكون إلا لمن أذن له لكني لما أثرته من إفادتك أكتب إليك بذلك واستغفر الله تعالى من سطره وهو أمانة عندك، لا نسخته، ولا أوقفت عليه أحداً إلا من يأمرك موصل ذلك إليك بإيقافه عليه قوله خلق الله العرش يعني بالعرش في هذا الموضع قائم كل قيامه وبالكلمات السبع بعضها حجب لبعض عقول عالم الإبداع التي بين التالي والعاشر ويعني بخلقه خلق الدين وقوله على الماء، فالماء إشارة إلى العلم يريد الله أنه صورة علمية وقوله معروشاً بالعلم والقدرة فالمعروش هو المرفوع وعني بالعلم ههنا والقدرة المادة، والتأييد الذي طرقة من دار القدس فارتفع به عن جميع من في عالم الطبيعة وقوله وجعل كلماته آياته إلى آخر القول، فهذه سبعة أشار بها إلى النطقاء والسبعة الأئمة الكائنين في ذلك المجمع الأشرف» (١٠٨).

وبمثله قال علي بن الوليد:

«كما حكي القرآن الكريم، وأخبر الرسول صلى الله عليه وآله، من صفة العرش واستواء الرب عليه، ومجيئه في ظلل من الغمام والملائكة للمجازاة والمحاسبة، والاثابة والمعاقبة. فكان ذلك يصح ظاهره في قائم القيامة على ذكره السلام، المستوفى قوى السموات والأرض، الستة الذين هم النطقاء الستة في مدة أدوارهم الستة، المكنى عنه بخلق السموات والأرض في ستة أيام، وكان معنى إستوائه على العرش في اليوم السابع هو أنه على ذكره السلام محيط بهم إحاطة العلم، مالك لأمرهم ملكاً.

وكالتصرف ومجيئه في ظلل من الغمام والملائكة، بروزه على ذكره السلام، بمن في ضمنه من الصور القدسانية، والهياكل النورانية، لكافة

الخلق، يوم فصل القضاء، والمحاسبة لهم على سوابق أفعالهم، والمجازاة لهم على سواف مقدماتهم» (١٠٩).

وقال المؤيد الشيرازي ما معناه إن المراد من العرش هو العقل الذي هو المبدع الأول» (١١٠).

وقد ذكر المؤيد الشيرازي اختلاف الفرق في العرش وحمة العرش في ديوانه وعرض على كل طائفة، وشنع على كل فرقة بقوله:

«وقائل يقول عرش يحمله	وهو يظ تحته إذ يشقله
وإن في معنى على العرش استوى	مبتدعاً كل وركاب الهوى
فواحد بالاستواء قالاً	وواحد قال وقد أحالا
معنى استوى استولى وهذي مكنته	وحوله من دينه وقوته
فكان حيناً لم يكن مستولياً	يا من غدا عن الهدى موليا
وهو الذي قد حرف الكتابا	عن وجهه وجانب الصوابا
يثبت شيئاً ليس فيه فيه	وحكم أي أحكمت ينفيه» (١١١)

ويقول الداعي ادريس:

«العرش هو العلم الباهر والنور الزاهر، والثمانية الذين يحملون العرش هم أساساً آدم هابيل وشت، وأساس نوح سام بن نوح، وأساساً إبراهيم إسماعيل وإسحاق، وأساساً موسى هارون ويوشع، وأساس عيسى شمعون الصفا، فهؤلاء ثمانية حملة العرش لأن الخطاب متوجه إلى محمد وذلك الذي حملوه هو علم على المنتقل من أول الأدوار ومبتدأ الأعصار. وحمة العرش في دور محمد فاطمة والحسن والحسين وزين العابدين والباقر والصادق وإسماعيل

(١٠٩) «جلاء العقول وزينة الحصول» لعلي بن محمد بن الوليد ص ١٤٣ من «منتخبات إسماعيلية» ط مطبعة الجامعة السورية دمشق ١٩٥٨ م.

(١١٠) انظر «المجالس المؤيدية» ج ٢ ص ٥٧.

(١١١) «قصيدة الدوحة» للمؤيد الشيرازي ص ٤١ من «ثلاث رسائل إسماعيلية» أيضاً ديوان المؤيد» القصيدة الأولى.

ومحمد بن إسماعيل، فهم حملة السر الخفي الذي لا يظهره الله لأحد من خلقه إلا لهم خاصة» (١١٢).

وبذلك قال أيضاً الداعي حاثم بن إبراهيم:

«إعلم أن كل ما ارتفع هو عرش، والعرش المذكور هو العلم، وهو مانزل على أول نطقاء دور السر الذي هو آدم» (١١٣).

ويقول الكرمانى في أسلوبه الخاص:

«وكان الفلك الأعلى هو الموجود الأول منها، قلنا عليه من جهة ما هو محرك الذي يتصل بالكلام على الملائكة المقربين إنه لما كانت الحركة في الجسم المتحرك لا بما به كونه جسماً ولا كانت مما نعهده في حده فيكون الجسم طويلاً عريضاً عميقاً متحركاً، كأن وجود الحركة فيه لا من ذاته، وإذا كانت الحركة لا من ذاته كانت من غيره، فالغير الذي هو منه الحركة لا جسم بكونه غيراً، وإذا كان الغير لا جسماً فلا يخلو أن يكون في تحريكه الجسم إما داخله وإما خارجه، ويمتنع أن يكون خارجاً بامتناع كون الجسم متحركاً من محرك يحركه من خارجه وهو غير ذي جسم لحاجته في تحريكه إياه إلى أجزاء من جنس ما يحركه الذي هو الجسم بما يلقاه بذاته فيحركه، وهوليس بذي أجزاء، ولا بذي جسم جملة بكونه غير جسم، وإذا امتنع بكون ما هو خارج عنه غير جسم ولا ذي أجزاء أن يكون متحركاً، وكان الفلك الأعلى الذي هو نهاية الأجسام جسماً متحركاً لزم أن تكون حركته من محرك هو داخله، وأن يكون هذا المحرك لا جسماً، فالمحرك للفلك الأعلى المعرب عنه في السنة الإلهية بالكروسي هو المحرك الأول للجسم بكونه فيه، وهو المتحرك الأول بحركة ذلك الجسم المعرب عنه في السنة الإلهية بالعرش، ولذلك يقال عند حد الطبيعة إنها مبدأ حركة وسكون في الشيء الذي هو فيه بالذات، وذات هذا المحرك هي الحياة السارية عن عالم الربوبية المعرب عنها بالصورة التي

(١١٢) «زهر المعاني» نقلاً عن مقدمة ديوان المؤيد الشيرازي لمحمد كامل حسين ص ١١٧.

(١١٣) «الشموس الزاهرة» لحاتم بن إبراهيم نقلاً عن مقدمة «ديوان المؤيد» ص ١١٧.

وجودها بالإنبعاث من عالم الإبداع مع الهيولي على النسبة الموجبة وجودهما على ذلك بأن تكون إحداها فاعلة والأخرى مفعولة فيها على النظام الموجود عليه حال الموجود الأول الذي هو الإبداع على ما عليه طبيعة النسبة بكونها مفعولاً وذاته لا كذات العقول في التجرد من المواد صوراً محضة، بل هي من شيئين بهما وجوده: أحدهما الهيولي والأخرى الصورة، سنأهما عالم الدين الكرسي والعرش»^(١١٤).

وقال جعفر بن منصور اليماني في تفسير الآية: «وأتمناها بعشر».

«فتم الحجاج من أحمد إلى محمد ثمانية وهم حملة العرش، والعرش هو العلم، والعلم هو التأويل»^(١١٥).

وأخيراً ننقل ما ذكره النعمان القاضي، فيقول:

«إن العرش دين الله الذي تضمنته دعوة الحق، والدعوة في ذاتها عرش لأنها الدين الخالص، فدين الله هو قوام الأمر، وبه تكون الحياة الدائمة في الدار الآخرة ويستظل وإليه يلجأ» فترك المشبهون أعداء الله معنى العرش في كتابه، واقتصروا على أن العرش سرير، وأن الله جالس عليه كما يصفون المخلوقين، تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً.

وقد جاء في الظاهر عن الصادق عليه السلام أن رجلاً من شيعته سألته عن قول الله عز وجل: «الرحمن على العرش استوى» وقوله: «ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية» فقال له: ما يقول هؤلاء الملاعين؟

قال: يقولون: إن الله خلق عرشه ثم استوى عليه، فضرب جبهته بيده ثم قال: لا إله إلا الله، من زعم أن الله يحمله شيء من خلقه فقد زعم أن الذي يحمله أقوى منه، ثم قال للسان: فما يقولون في قوله تعالى: وكان عرشه على الماء؟

(١١٤) «راحة العقل» المشرع الرابع من السور الخامس ٢٩٥، ٢٩٦.

(١١٥) «كتاب الكشف» لجعفر بن منصور اليماني ص ١٦ نشر شتروطنان ط دار الفكر العربي القاهرة.

قال : يقولون : إن العرش كان على الماء والرب فوقه ، فقال : كذبوا ، عليهم لعنة الله ، إن الله حمل دينه على الماء وهو عرشه ، والماء العلم عرشه على أوليائه ، فالعرش في التأويل ما ذكرنا ، وظله ما ستر المؤمنين العاملين به من عذاب الله وسخطه واستظلالهم به وركونهم إليه ، وكونهم في دعوة الحق مع أهلها أولياء الله فلا يكون يوم القيامة ملجأ يلجأ إليه غيرهم» (١١٦) .

فهذه هي التأويلات المتباينة المخالفة الكثيرة الكثيرة التي أولوا بها العرش ، وصدق الله عز وجل :
«ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً» (١١٧) .

وأما معنى الاستواء فنورد فيه عبارة واحدة من المفسر الاسماعيلي ضياء الدين ما قاله في تفسيره في قول الله عز وجل : (الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش) :

«يعني ربنا أهل النسبتين في هياكل الستة الأتماء بتسليمه لهم إلى محمد ابن اسماعيل «الرحمن» هو مقامه الأنزعي الذي رجعوا إليه «فاسأل به خبيراً» يعني اسأل عن مقامه مقيمك الخير به» (١١٨) .

(١١٦) تأويل الدعائم ج ١ ص ٢٥١ ، ٢٥٢ .

(١١٧) سورة النساء الآية ٨٢ .

(١١٨) «مزاج التنسيم» سورة الفرقان ص ٣٩٢ .

السموات والأرض

إن الاسماعيلية اختلفوا في تأويل السماوات والأرض فمنهم من يقول: إن السماء كناية عن النطقاء، والأرض عن الأسس والأئمة كما ذكر ذلك المؤيد الشيرازي في مجالسه تحت قول الله عز وجل: إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض» (١١٩).

ويمثل ذلك قال السجستاني في كتابه «الافتخار» (١٢٠) الكتاب الذي جعله مفخرة للاسماعيلية لتضمنه على التأويلات التي لا توجد عند غيرهم. وبذلك قال قبله ابن حوشب الملقب بمنصور اليمن حيث فسّر خلق السماوات بخلق النطقاء والأرض بالوحي فيقول: «يوم خلق السماوات» أي يوم بعث النطقاء» (١٢١).

وأيضاً «وأنزلنا من السماء ماء» فالماء «العلم» والسماء «الرسول» (١٢٢). والأرض «الوحي والحجة» (١٢٣).

-
- (١١٩) انظر «المجالس المؤيدية» للمؤيد الشيرازي، المجلس الثالث بعد المائتين.
(١٢٠) انظر ص ١٠٤.
(١٢١) «كتاب الرشيد والهداية» ص ٢٠٣ في آخر كتاب (المنتخبات) لايوانوف.
(١٢٢) أيضاً ص ٢٠٤، ٢٠٥.
(١٢٣) أيضاً ص ٢٠٩.

وبذلك قال الداعي الاسماعيلي في قصيدته المسماة بالشافية :

«والأرض بالنديين أساس الناطق سام محل العلم والحقائق
ودعوة الله هي السفينة بها رجوع الأنفس الآمنة
وناطق يتلوها السماء الصافية منها نفوس المؤمنين السامية» (١٢٤)

«إن استقرار السفينة على الأرض معناه في التأويل الاسماعيلي الباطني استقرارها على أساس الناطق أي حجته لأن الأرض بالتأويل أساس الناطق الذي يرسل المطر إلى الأرض، والمطر هو علم الحقيقة الذي يحیی كل شيء عليها. . . . وإن الناطق مثل السماء الصافية التي ترسل الغيث إلى الأرض، والسماء مثل الناطق الذي يرسل العلم الحقيقي إلى الأساس، فيوزعه ويحيي به جميع المولودات والكائنات سواء من نبات أو معدن أو حيوان فيدب فيها الحياة، كما أن العلم يحيي النفوس الميتة من أثر الجهل، الغارقة في بحر الضلال» (١٢٥).

وعلى ذلك فسّر الداعي الاسماعيلي السجستاني أبو يعقوب إسحاق قوله تعالى: «الذي خلق سبع سموات طباقاً» بقوله: «أقام النطقاء السبعة الذين بينهم مطابقة لم تتفاوت أوضاعهم من التأيد الجاري لهم من الأصليين، ولا من التأويل الذي يجري من قبل الأسس بعدهم» (١٢٦).

وإن الكرمانی أحمد حمید الدین يؤول مرة «السموات والأرض» في قوله تعالى «في خلق السماوات والأرض» بالأنبياء والأوصياء» (١٢٧).

وفي قوله «الله نور السماوات والأرض» (١٢٨).

(١٢٤) انظر «العقيدة الشافية» ط المطبعة الكاثوليكية، بيروت، لبنان.

(١٢٥) «القصيدة الشافية» الهوامش ٢٩٧، ٢٩٩.

(١٢٦) انظر كتاب «إثبات النبوءات» الفصل السادس من المقالة الأولى ص ٢٧ ط المطبعة الكاثوليكية.

(١٢٧) انظر «راحة العقل» ص ٥٦٤.

(١٢٨) انظر ص ٥٧٦.

ومرة يؤولها بالدعوة الظاهرة وأهلها، والأرض بالدعوة الباطنة وما فيها من العلوم التي تستقر عليها العقول» (١٢٩).
ومثل ذلك أيضاً قال النعمان المغربي القاضي (١٣٠).

المصطلحات الاسلامية وتأويلاتها

وهناك أمور ومصطلحات وأشياء أخرى يؤولها الاسماعيلية حسب أهوائهم وأغراضهم وأهدافهم بتأويلهم الخاص بهم، ولقد جمعها أحد الدعاة الاسماعيلية في كتابه نذكر البعض منه، ويأتي ذكر البعض الآخر في تأويل السور والآيات القرآنية عند الاسماعيلية، فيقول الداعي شمس الدين ابن أحمد بن يعقوب الطيبي :

«واعترف أن لا ظاهر إلا وله باطن، ولا صورة إلا ولها معنى كامل، ولا قشر إلا وله لب، ولا مدينة إلا ولها باب، ولا نور إلا وله حجاب، ولا شريعة إلا ولها طريقة، ولا طريقة إلا ولها حقيقة، ولا حقيقة إلا ولها تنزيل، ولا تنزيل إلا وله تأويل للعلماء الراسخين، ولا راسخ إلا من المتأولين، فقولنا الله تأويل الكلمة، وتأويل العلم مظهر العظمة، والحدوث تأخر المعلول عن العلة، وسبقها عنه ببراهين وأدلة، وأما الامكان فهو نفس الافتقار، وحصول دوران الدائر على المدار، والواجب بالذات استحالة العدم، وثبوت المعنى في الأزل والقدم، وتقديس واجب الوجوب لذاته، وتنزيهه عن صفاته، وأن يسلب عن جميع ما خطر بأذهاننا، ونبت في

(١٢٩) انظر كلام الكرماني في كتابه «راحة العقل» تحت قوله عز وجل «يوم تكون السماء كالمهل» ص ٥٧٩.

(١٣٠) انظر «الرسالة المذهبية» للنعمان للقاضي ص ٨٤ من «خمس رسائل اسماعيلية» ط دار الانصاف، بيروت.

أفهامنا، وأعلى من أن تصل إليه أفهامنا وأوهامنا، فصفاته السلبية تخرجنا من حيز الأفكار والتعطيل، وتخلصنا من قيد التشبيه والتمثيل، وأمّا النبوءة والرسالة فهي ظهور الكلمة بالحجاب، وتنصيب الدليل والمرشد والباب، إلى منهج الحق وطريق الصواب، والنبى فهو المخبر عن الأصول، والداعى إلى ما يدعو إليه الرسول، وهو الناطق الداعى إلى الأصلين السابق والتالى والفروع الثلاثة والخمسة العلوية الحاملة للكمال، وأمّا الصحيفة والكتاب، وتبيان جزيل الخطاب، فهو اتصال التأييد من السابق إلى الناطق وهدايته إلى التأليف، وإعانتة على التصنيف، وأمّا الملائكة المقربون^(١٣١) فهم القوى العاملة في العوالم العالية والسافلة، وتسبيحهم في الليل والنهار، وإمدادهم أهل الإيمان بالاستغفار، ودوامهم على ترتيب ونظام الأمور، وإظهار خواصها في مقامها المعلوم بلا فتور . . . وأمّا الأديان والشرائع فهي موضوعات العقول الإلهية لإصلاح الأجسام الأرضية، وتكميل علوم النفوس البشرية، وهي ستة بين السبعة على عدد أيام الجمعة . . . والنفور والجهاد دحض حجة أركان العناد، وإبطال أقوالهم بالبراهين العقلية، والحجج القطعية، وأمّا الزنا فهو اتصال المستجيب من غير شاهد، والفتح قبول اختبار المعاهد، والربا الرغبة في الإكثار، وطلب الخطام، وإفشاء الأسرار، والفحشاء ذكر المحامد للطغاة المتمردين، والمحاسن لأهل العناد المعتدين، والمنكر تبديل العالم بالجاهل، والبغي تقديم المفضول على الفاضل، والعدل ترك الناقص مع وجود الكامل، والإحسان إحاطة العلم بالإمام، وقدرته على ما بطن وظهر تجلى واستتر، وإيتاء ذي القربى محبة الرسول، وولاية أولاد البتول، وتفضيل الهاشميين، والقول بإمامة الفاطميين، والظلم وضع الإمامة في غير آل محمد، والإعراض عن العالم الحى، والاقتداء بالجاهل الميت، والقتل بغير حق هو المجادلة بغير بيان،

(١٣١) وقال القاضي النعمان عن الملائكة: «الملائكة هم الحجج وأرباب دعوته القائمون بها، وهم الدعاة الأخذون عهده على المستجيبين (الرسالة المذهبة للنعمان القاضي الاسماعيلي ص ٨٤ من «خمس رسائل اسماعيلية» وقال الكرمانى: «الملائكة هم حدود الدعوة» (انظر «راحة العقل» ص ٥٨٢).

والمكاثرة بغير برهان، والملاهي علم الحشوية، ومعتقدات الظاهر التي تلهي النفوس عن الحقائق، ولا تمر في الدقائق، والمناهي متابعة سنة الجاهلين، وموافقة الأضداد الجاحدين المنكرين، والمسكر الحرام ما يصرف العقل عن التوجه إلى طلب معرفة الإمام، ومشاهدة أنواره المحيطة بالخاص والعام، ومطالعة إشارته البسيطة على المعاني والأجسام، وأما الجن (١٣٢) فهم المستورون عن أعين الأغيار الناشرون أجنحة الرحمة على أهل الأمصار، والعاريت هم أصناف الجاحدين والمعاندين.

وأما إبليس فهو المخصّص لمعاداة إمام الزمان (١٣٣).

قصص الأنبياء

وإن البحث في التأويل الباطني الاسماعيلي لا يكمل بدون ذكر تأويل القوم لقصص الأنبياء والسور القرآنية وآياتها، وقد ذهب القوم فيه مذاهب شتى، وأجالوا الفكر في متاهاته وأركزوا الخيل في ميادينه حتى ابتعدوا كل البعد عن منطوق الكلام ومدلوله، وجاؤوا بأشياء لاعلاقة لها بالكلام من قريب أو بعيد.

ولقد ذكر تأويل قصص الأنبياء كل من جعفر بن منصور اليمن، والنعمان القاضي، والمؤيد الشيرازي، وحاتم بن إبراهيم الداعي، والداعي صاحب (العقيدة الشافعية)، ومحمد بن علي بن الحسن الصوري وغيرهم الكثيرون ولكن امتاز من بينهم داعي الدعاة الاسماعيلي جعفر بن منصور

(١٣٢) قال الحارثي البيهقي في تأويل الجن: «إنهم أرواح المخالفين تلوذ إلى المواضع المظلمة والبوابع المنتنة والحشوش الموحشة، وهذه الصور تمازج امرأة أو صبياً فيقول العامة: خالطه الجان (انظر «الأنوار اللطيفة» ص ١٣٦، ١٣٧).

(١٣٣) انظر «الدستور ودعوة المؤمنين للحضور» ص ٦٨ وما بعد من «أربع رسائل».

اليمن، وقاضي القصصة الاسماعيلي النعمان، فإن جعفر بن منصور اليمن خصص لذلك كتابين مستقلين (أسرار النطقاء) و(سرائر النطقاء) كما أن النعمان القاضي خصص كتاباً لتأويل قصص الأنبياء باسم (أساس التأويل).

والجدير بالذكر أن المؤيد الشيرازي، ومحمد بن علي الصوري والداعي الاسماعيلي صاحب (القصيدة الشافية) استعملوا النظم لبيان تأويل قصص الأنبياء، حيث الآخرون ذكروه في النثر، وإننا - متجنبين الإطالة - نذكر نموذجاً من تأويلهم في تلك القصص.

ومن الملاحظ أن التأويل الاسماعيلي يختلف الآراء فيه والأقوال - فإن واحداً من الدعاة يقول كذا، والآخر يقول عكس ذلك، فمثلاً يقول المؤيد الشيرازي إن الشجرة المذكورة في قصة آدم التي منع من قربها الرب تبارك وتعالى بقوله «ولا تقربا هذه الشجرة» هي رمز بحد عال لا قبل له بتناوله والوصول إليه، وهي الشجرة التي مثلها الله في كتابه بالكلمة التي يقال إنها كلمة الشهادة فقال عز وجل: (ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة) وهي كلمة الشهادة... فمعنى قوله: (ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين) أي لا تمنياً لكم مكاناً لا تنالونه، وشأوا لا تلحقانه، فتكونا واضعين الشيء في غير موضعه» (١٣٤).

ولكن الداعي حاتم بن إبراهيم يقول عكس ذلك تماماً حيث قال:

«إن الشجرة المنهي عن أكلها كان هابيل بن آدم حيث جعله أبوه وصياً له مع كونه أصغر من قابيل، فأخبر عن ذلك إبلس الذي هو الحارث بن مرة بعد تضرعه إليه ثم تقدم إلى قابيل وقال له: إن أباك قد عزم على إقامة أخيك هابيل وصياً له وأنت الكبير وأحق بالأمر منه ثم أمره بادعاء المنزلة، فتكبر قابيل، وحسد أخاه، وقتله ظاهراً وباطناً وادعى منزلته، فكان هابيل الشجرة المنهي عن أكلها، وهي المنهي عن كشف مرتبته، فكانت هذه خطيئة

(١٣٤) «المجالس المؤيدة» للشيرازي ج ١ ص ٢٢ نقلاً عن ديوان المؤيد.

آدم، فأمر بأخذ العهود والمواثيق من ذلك اليوم على حفظ أسرار أولياء الله» (١٣٥).

هذا في حين أن قاضي القضاة الاسماعيلية النعمان بن محمد يقول غير ما قاله المؤيد وما قاله حاتم بن إبراهيم، فإنه يجعل الشجرة المنهي عنها في قوله تعالى: «لا تقربا هذه الشجرة» رفع العمل ووضع التكليف فيقول: «لا تقربا هذه الشجرة، جعل الشجرة التي نهاه أن يقربها ومنعه منها وحرمها عليه مثلاً لحد قائم الزمان الذي هو صاحب القيامة، والذي يكون التكليف في حده مرفوعاً . . . ويتجرد حينئذ الباطن، ويسقط الظاهر، ويكون الباطن ظاهراً على خلاف ما هو في حدود الرسل قبل ذلك، لأنه في حدودهم مدفوع إلى حججهم، مستور عندهم، محمول من واحد إلى واحد، وهو معجزة لهم وعلم يستضاء حتى يصل إلى صاحبه أي صاحب القيامة، فيظهره ويجرده، وذلك محظور ممنوع قبله، فمنع الله عز وجل آدم في ابتداء الأمر من ذلك لتجربة سنة الله التي لا تبدل لها عليه، وسأل إبليس إنظاره إلى يوم الوقت المعلوم، وعني باليوم صاحب القيامة . . . فاستزل إبليس اللعين آدم وحواء بقوله لهما: «ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين» أي زين لهما حتى حد الاباحة فيما حذرهما الله عز وجل منه، وقال لهما: إن حد العمل بالفرائض هو حد التعب والنصب، ولو تركتماها لصرتما في حد الروحانيين اللطيف، وتجردتما عن العالم الجسماني الكثيف، ولكنتما ملكين خالدين فيما تشتهيان، وذلك قوله تعالى: «فدلاهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سواتهما» أي فجاوزا حدود النطقاء التي أبيحت لهما إلى حد صاحب القيامة إلى ما ليس لهما، فتناولا منه وأكلا من الشجرة فوقعا في الخطيئة والمعصية (١٣٦).

وأما جعفر بن منصور اليمني وهو داعي الدعاة للمعز لدين الله الإمام الاسماعيلي والمعاصر لقاضي القضاة للمعز يقول في هذه القصة بتعبير آخر

(١٣٥) «الشموس الزاهرة» للداعي حاتم بن إبراهيم - قصة آدم.

(١٣٦) «أساس التأويل» ص ٦٢، ط دار الثقافة، بيروت.

غير تأويل النعمان، وحاتم، والمؤيد. فيقول: إن الشجرة المنهي عنها كان إبليس، وهذه هي عبارته:

«إن الجنة التي أسكنها آدم فهي دعوة إمام العصر، وإن الحارث بن مرة أي إبليس قد خدم فيها وكان من أحد دعااتها، فلما اصطفى صاحب الوقت آدم وارتضاه وقربه منه وأناله أعلى مراتب الدعوة وأطلعه على جميع حدودها وأسرارها وأعلمه ما لم يعلم به أحد من حدوده فأقرهم إليه لموضع ترافعهم عليه، وأمرهم بطاعته والأخذ عنه، وأباح لآدم أن يعلمهم إلا الحارث لأنه أبي أن يطيعه ويخضع له، وكان إبليس هو الشجرة المنهي عن المفاتحة بالعلوم السرية إذ كان حده قبل إبلاسه كحدّ الدعاة، فلما امتنع من الطاعة سقطت منزلته وانقطعت مادته فشيطن وأبلس، وحسد آدم فأخذ في غوايته لكي يقع به العصيان فيقطع مواده ويسقط مرتبته، فجعل يغويه بالكلام ويظهر له أنه ناصح وعليه مشفق وأخذ يقسم له بالله حتى استقر في نفس آدم أن جميع ما يأتي به حق، فأطلعه آدم على حد القائم ومرتبته إذ هي نهاية المراتب وأعلاها فلما أظهر أمر الله لعدو الله بغير أمر من الله أخرجه من جنته أي قطعه الإمام من دعوته» (١٣٧).

ومن الطرائف أن النعمان القاضي نفسه أوّل الشجرة بتأويل آخر في كتابه الآخر غير (أساس التأويل) حيث يقول في جواب سائل سأله:

«وسألت عن معنى ما أتت به الرواية أن آدم وحواء والحية وإبليس هبطوا إلى الأرض فالأرض ههنا دليل على من نصب الدعوة وهبوط آدم وحواء إليها وإقرارهما في إقامة الدعوة وإبليس والحية مثل على الضد وحجته المنصوبتان بإزاء الولي ما لم يختلف طرفاها فاستدارت الحية بالدائرة التي لا يخلق طرفاها فإذا دخلت طرف الضد فذلك قوله لتركن طيقاً عن طبق فما لهم لا يؤمنون وأما الشجرة التي هبطوا إلى الأرض من أجلها فهي الدعوة وعلم التأويل التي أمر في سترها ونهى عن الكلام عنها وعرف أنها منزلة

(١٣٧) «أسرار النطقاء» - نسخة خطية.

مدخرة لولده إلى أوان الظهور يعني ظهور القائم فأغواه إبليس من طريق الحيلة والتليس وذكره بوعد الله إياه في ولده فأبدى ما استكنتم وملك لغير ملك وكان قبيحاً فعله وقوع العداوة بين ولديه» (١٣٨).

فهذه هي التأويلات الاسماعيلية الباطنية في قصة آدم، المتعارضة بعضها مع بعض المتناقضة تماماً، وكل في فلك يسبحون، وإنهم في كل واد يهيمون، وليس لهم في تأويلاتهم قواعد ثابتة، وأصول راسخة مع ادعائهم أنها مأخوذة من المعصوم الذي لا يغلط ولا يخطيء ولا يضل ولا ينسى.

وبعين هذا الأسلوب، وهذه التناقضات والتعارضات أولوا قصص أولي العزم من الرسل وغيرهم من الأنبياء التي ورد ذكرها في القرآن، وتفاخروا بها على غيرهم من المسلمين نعرض عن ذكرها تجنباً للإطالة ولكن تأتي صورتها في تأويلات الاسماعيلية في الآيات القرآنية.

السور والآيات

نبدأ تأويل الآيات من ابن حوشب الملقب بمنصور اليمن، فلقد كتب كتاباً خاصاً في التأويلات، وأورد فصلاً منه ايوانوف في آخر كتابه «المنتخبات» ذكر فيه الحروف المقطعة بقوله:

«أول القرآن «بسم الله الرحمن الرحيم، ف «بسم الله» سبعة أحرف يتفرع منها اثنا عشر، ويتلوها اثنا عشر حروف «الرحمن الرحيم» والسورة سورة الحمد، وهي سبع آيات، فالسبع التي هي «بسم الله» تدل على النطقاء السبعة، ويتفرع منها اثنا عشر تدل على أن لكل ناطق اثني عشر نقيباً: ثم الاثنا عشر التي هي «الرحمن الرحيم» يتفرع منها تسعة عشر: فدل ذلك على

(١٣٨) الرسالة المذهبة ص ٧١، ٧٢ من «خمس رسائل اسماعيلية».

أن النطقاء يتفرع منهم بعد كل ناطق سبعة أئمة واثنًا عشر حجة فذلك تسعة عشر.

والسبع آيات التي هي سورة الحمد أمثال لمراتب الدين السبع، فسورة الحمد يستفتح بها كتاب الله، كذلك مراتب الدين يستفتح بها أبواب علم دين الله» (١٣٩).

وفي الحروف المتقطعة في أوائل السور يقول:

«وفي القرآن أحرف من حروف المعجم في أوائل السور ليس لها ظاهر معناها كما في أول سورة البقرة وشبهها، فالألف فيها تدل على الناطق، واللام على الوصي، والميم على الإمام، هذا فيما كان أوله «الم».

وأول سورة الأعراف «المص» فالألف تدل على الناطق، واللام على الوصي، والميم على الإمام المتم، والصاد على حجة الإمام. وأول سورة يونس «الر» فالألف واللام يدلان على الناطق والوصي، والراء تدل على الإمام المتم. وكذلك ما كان أوله الراء. وأول سورة الرعد «المر»... لأن العجمتين فوق القاف ظاهرتان. والقاف والنون أيضاً دلائل النطقاء والأئمة، والعجمة التي فوق النون واحدة مثل المؤمن، لأنه يظهر الولاية وحدها، وهي ظاهر على الإمام، ولا يتكلم المؤمن بشيء من باطن علمه، وكذلك العجمة فوق ظاهرها مستقرها النون، لأن النون المستور وهو الباطن. فهذه دالاتها فإذا اجتمعت المعجمات الخمس مع الأحرف الأربعة عشر صارت تسعة عشر، فصارت فيها دلالة أخرى على التسعة عشر: الأئمة السبعة والحجج الاثنا عشر» (١٤٠).

وأما ابنه أو حفيده جعفر الملقب بابن منصور اليمن فهو من المكثرين في هذا الباب والمبالغين فيه، فانه ألف كتاباً مستقلاً في تأويل آي القرآن سماه

(١٣٩) انظر «الرشد والهداية» ص ١٩٠ الملحق بالمنتخبات للجمعية الاسماعيلية بومبي ط برل
ليدن هولندا.

(١٤٠) أيضاً ص ١٨٩.

(كتاب الكشف) كما خصص كتابين لتأويل قصص الأنبياء والرسل ، ونورد
ههنا بعض تأويلاته للآيات القرآنية من (كتاب الكشف) فيقول في تفسير
الآية (يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبائعينك على أن لا يشركن بالله شيئاً
ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين ببهتان يفتريه بين أيديهن
وأرجلهن ولا يعصينك في معروف فبائعهن واستغفر لهن الله ، إن الله غفور
رحيم) يقول في تفسيرها :

«يعني بالنبي ههنا الحجة الذي ينبيء المؤمنين بعلم الباطن ويعني
بالمؤمنات ههنا المؤمنين الذين قد رفعت درجاتهم وأراد الحجة أن يأذنهم في
الدعوة فيقول الله سبحانه هذا للحجة يعني إذا جاءك هؤلاء المؤمنون
يأخذون منك العهود ليبائعوا بها الإمام «على أن لا يُشركنَ بالله شيئاً» على أن
لا يدعوا إلى غير الإمام الذي اختاره الله فإنه من دعا إلى غير إمام يختاره الله
فقد أشرك بالله إذ جعل له في إمامة دينه شريكاً يختار غير خيرة الله لخلقه ،
وإمام الحق الذي هو باختيار الله تعالى من أشار إليه إمام قبله وصحت له
إشارات الإمامة من لدن وصي الرسول الذي أشار إليه الرسول إماماً بعد
إمام حتى انتهت الإمامة إليه «ولا يسرقن» يعني ولا يُطلعوا على علم الدين
الباطن من لم يؤخذ عليه العهد ، فالداعي إذا فعل ذلك فقد سرق والمؤمن
المحرم إذا تعلم بما لم يؤذن له أن يتكلم به أو أفشى ما سمع عند أهل الظاهر
فقد سرق وأسرق «ولا يزنين» يعني ولا يأخذوا العهد على أحد بغير إذن ولا
إطلاق من الإمام «ولا يقتلن أولادهن» يعني ولا يحرموا أحداً من المؤمنين ما
يستحقه من حدود الدين سعيه ولا ينقضوه عند الإمام بطعن عليه ظلماً «ولا
يأتين ببهتان يفتريه بين أيديهن وأرجلهن» يعني ولا يدعوا إلى منكر من أمر
الدين ولا مقام إمام ولا حجة يقولونه من عند أنفسهم بغير أمر من الإمام .
والأيدي الأبواب والأرجل المؤمنون الدعاة المأذون لهم ، لا يفترون هذا
البهتان بين الأبواب والمؤمنين ينسبونه إلى الأبواب ويخدعون المؤمنين فيظلموا
أنفسهم يعني الأبواب والمؤمنين «ولا يعصينك في معروف» يعني ولا
يعصونك في مقام الإمام المعروف مقامه ولا أمر من الدين معروف الحق

واضح مبين «فَبَايَعْنَهُ» يعني فأشروط عليهم ذلك وأطلق لهم الدعوة ومرهم بمبايعة أمير المؤمنين عليه السلام» (١٤١).

وقال في موضع آخر:

قال الله تعالى جل وعلا «الله نور السماوات والأرض»، فنوره في السماوات هداة، ونوره في الأرض الأئمة الذين بهم يهتدي «مَثَلُ نُورِهِ» في أرضه «كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ» المشكاة بلغة الحبشة «الكُوَّةُ التي لها مَنْقَذٌ وضربها مثلاً لفاطمة الزهراء بنت محمد صلى الله عليه وعليها ليس لها عيب «فِيهَا مِصْبَاحٌ» يعني الحسين عليه السلام. «المِصْبَاحُ فِي رُجَاجَةٍ» يعني حين كان في بطنها «الزجاجاة كأنها كَوَكَبٌ دُرِّيٌّ» يعني فاطمة صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهَا في صفاتها كالزجاجاة وفي شرفها على النساء كالكوكب الدرّي يعني النير . . . «يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ» يعني يكاد الحسين صلى الله عليه في بطنها ينطق بالإمامة قبل أن تلده وهو قوله «وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ» يقول ولو لم يقمه إمام: «نُورٌ عَلَى نُورٍ» يقول في ذكائه ووفره هادٍ مهتدٍ بإمامه «يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ» من خلقه يقول يهديهم بالولاية له لولاية الأئمة من ولده» (١٤٢).

وقال أيضاً:

«قال الله عز وجل «فَلَا أَقْسَمُ بِالْخَنَسِ الْجَوَارِ الْكُنَسِ» قال أمير المؤمنين: «الأوصياء مني وأنا منهم نخسن أنفسنا ونجري ونكنس من عدونا إلى الدردور، وهو سيف القائم» (١٤٣).

وقال صاحب «المجالس المستنصرية» في تأويل بسم الله الرحمن الرحيم: «بسم الله سبعة أحرف إشارة إلى السبعة الأئمة» الرحمن الرحيم «اثنا عشر حرفاً مثل على الحجج الاثني عشر» (١٤٤).

(١٤١) كتاب الكشف لجعفر بن منصور اليمن ص ١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٦٧ .

(١٤٢) أيضاً ص ١٧ ، ١٨ .

(١٤٣) أيضاً ص ١١ .

(١٤٤) «المجالس المستنصرية» ص ٣٥ .

وبذلك قال الداعي قيس بن منصور الداديجي: (١٤٥).

وأما ما ذكره الداعي حاتم بن عمران في تأويل بسم الله الرحمن الرحيم فهو مخالف لما سبق، فيقول في رسالته (الأصول والأحكام):

«إن حروف بسم الله الرحمن الرحيم هم مثل على محمد وعلى والحسن والحسين وفاطمة لأنهم تسعة عشر حرفاً وحروفهم مثلها، وهم أيضاً مثل على عدد الملائكة الكبار الشداد الذين لا يعصون الله ما أمرهم به» (١٤٦).

وأول الداعي إبراهيم بن الحسين الحمدي ليلة القدر بأنها لية يرى فيها جميع الخلق القائم (١٤٧).

وأما النجم والقمر والشمس في قصة إبراهيم عليه السلام فيؤولها مؤلف (القصيدة الشافية) بقوله:

«والنجم في التأويل حد الداعي لأنه للمؤمنين راعي
وبعده الحجة وهو القمر بنوره لفائض تجلو الفكر
والشمس حد النطق والرسالة لأنها مرتبة الجلالة» (١٤٨).

ويؤولون «السفينة» في قصة نوح عليه الصلاة والسلام بالدعوة» (١٤٩).

ويقول النعمان القاضي مبيّناً تأويل الخمر في قوله تعالى:

«إنما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون».

«الخمر ههنا باطل في صورة حق، ألا ترى قوله في قصة يوسف عليه السلام أما أحدكما فيسقي ربه خمراً» أراد به أن ينصب المكائد ليصدّه عن

(١٤٥) انظر «رسالة الأسابيع» ص ١٥٨ من «خمس رسائل اسماعيلية».

(١٤٦) انظر «الأصول والأحكام» ص ١١١ من «خمس رسائل اسماعيلية».

(١٤٧) انظر «كنز الولد» للحمادي ص ٢٦٩ ط دار الأندلس بيروت.

(١٤٨) «القصيدة الشافية» ص ٥٤ ط المطبعة الكاثوليكية بيروت.

(١٤٩) انظر «أجزاء عن العقائد الاسماعيلية»، جمع المستشرق كويارد ص ٣٤.

الهدى، وليقطعه عن أولياء الله فهناك عن هذه الحالة وعن اتباعها» (١٥٠).

وقال السجستاني:

«محمد رسول الله يعني هو الذي نال الرسالة والذين معه يعني علي بن أبي طالب الذي قارنت عينه ميمه حتى نال مرتبة المعية كما شرحنا: ﴿أشداء على الكفار﴾ وهو - الحسن بن علي - لأنه أشد من الكفار قيامه بالإمامة لما علموا أن الإمامة قد حصلت له ولأهل بيته فلذلك كفى الله عنه بالإمامة في الجماعة رحماً بينهم وهو - الحسن بن علي - ومن قبله ومن بعده من الانتماء ينالون التأييد في الستر من الأصلين بقوة الجسد المهور لهم من خالقهم، تراهم ركعاً وهو - علي بن الحسين - الذي انحنى ظهره من المحنة سجداً وهو - محمد بن علي - الذي استقر عليه أمر الإمامة يبتغون فضلاً من الله وهو - الصادق - ورضواناً وهو - المبارك - سيماهم في وجوههم من أثر السجود يعني به القائم وهو الذي به يظهر أثر دين جده محمد بن المصطفى صلى الله عليهما إذ شرح عن كل جليل ودقيق ذلك مثلهم في التوراة والانجيل كزرع وهو الأساس الذي زرع زرعه الناطق لأمة لدين هو إليه ملتزمين منه البيان والتأويل كما أن مرجع الخلق إلى الزرع لمصلحة أبدانهم والظفر بغذائهم أخرج شطئه وهو - الحسن بن علي - إذ لم يكن له صلب من نظيره فأزره، أراد - بن الحسين بن علي - الذي بقيت الإمامة في عقبه فاستغلظ أراد - علي بن الحسن - الذي استغلظ على المفاتحة واجترأ على أعدائه فاستوى أراد - محمد بن الباقر - الذي استوى به أمر الدعوة في العالم بعد انقطاعها ورثها على نبوته أراد به - الصادق - الذي سبقت الإمامة في عقبه يعجب الزارع وهو - المبارك - لما سلم الصادق إليه الإمامة أعجب أولاده بذلك إذ كانوا يتمنونها ليغيظ بهم الكفار وهو القائم سلام الله على ذكره الذي به وبذكره يتميز غيظ الكافرين الجاحدين به وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات مغفرة يعني وعد الله الذين صدقوا بالأولياء وكذبوا

(١٥٠) «الرسالة المذهبية» ص ٦٦، ٦٧.

بالأعداء أن ينالوا من هؤلاء المسمى بيان الحقائق المستودعة في الأوضاع والشرائع الخفية فيها وأجرأ عظيماً يعني وثوباً عظيماً» (١٥١).

وقال الكرمانى:

«إذا السماء انفطرت» قالوا في التفسير: انشقت، يقول: تبطل أحكام الشرائع «وإذا الكواكب انتثرت» يقول: تبطل مقامات الحدود في دين الله. «وإذا البحار فجرت» يقول: وتظهر السنن المتقدمة في الأديان ويقام ذكر حدود الله في دينه وعلومهم بالتأويل عن الشرائع. «وإذا القبور بعثرت» يقول: وتظهر الحكم والعلوم في العالم وتكثر الخيرات. «علمت نفس ما قدمت وأخرت» يقول: إذا كان ذلك وقام حكم الإعتقادات بالفعل فحينئذ تعلم النفس ما فعلت من خير وتحس بالضرر فيما فعلت من تأخير الفضلاء وتقدير المفضولين. وقال تعالى: «إذا الشمس كورت» يقول: تذهب آثار شرائع الأنبياء التي هي كالضوء من الشمس «وإذا النجوم انكدرت» قالوا في التفسير: تسقط النجوم على وجه الأرض حتى لا يبقى نجم في السماء إلا وهو على وجه الأرض، يقول: تسقط مراتب الحدود حتى لا يبقى لها أثر بالمشفع وإزالة الرسم بقيام القيامة. «وإذا الجبال سيرت» يقول: استخدم الجبارين في الأرض فيكون كلهم طائعين لصاحب القيامة. «وإذا العشار عطلت» يقول: وأبطل التعليم بإزالة الحدود من رتبهم «وإذا الوحوش حشرت» يقول: وجمع جميع من على وجه الأرض على الطاعة فيكون كلهم تحت الأمر «وإذا البحار سجرت» يقول: وأقيمت حدود ظاهري الشريعة وأعيدت إلى ما كان محذوفاً عنها من كلام المبتدعين والأبالسة، وذلك يكون في الوقت المعلوم وأمثاله في الدور السابع. «وإذا النفوس زوجت» يقول: وجمع كل إلى قرينه وشبيهه من المنافقين والمجرمين. «وإذا الموءودة سئلت» يقول: وبأي ذنب قتلت» وسئلوا بأي حجة آخر من آخر من حدود الله عن مراتبهم وقدم عليهم غيرهم. «وإذا الصحف نشرت» يقول: وأظهرت مساويء

(١٥١) «إثبات النبوءات» لأبي يعقوب إسحاق السجستاني ص ١٩٠.

المذاهب والإعتقادات. «وإذا السماء كشطت» يقول: وذكر أئمة الضلال من القلوب بإبطال دورهم وانتهاء الأمر إلى يوم القيامة وانقضاء الأدوار وبصير الأمر للواحد القهار، «وإذا الجحيم سعرت» يقول: أقيمت آية وعيد الله للمعاندين لأمره من جهة صاحب القيامة، «وإذا الجنة أزلفت» يقول: أقيمت مواعيد الله للمتقين في الدنيا والآخرة، «علمت نفس ما أحضرت» يقول: حينئذ تعلم الأنفس حقائق ما جاءت به الرسل ويبقى الموحدون ما دامت السموات والأرض، ولا تزال تنحل عنهم على مضي الأيام المعالم الدينية إلى ألا يبقى شيء فيرجع العلم إلى القوة لعدم أهله، ويظهر الجهل بكثرة أهله، ويظلم العالم بوحشية الجهل، كما قال الله تعالى: «لا تبين فيها أحقاباً» إلى قوله: «وغساقاً» ثم يفعل الله ما يشاء ويحكم ما يريد على ما تقتضيه حكمته، وهذه الأمور كلها له بكونها نهاية ثانية للموجودات التي نهايتها الأولى الإبداع الذي هو المبدع الذي هو الموجود الأول» (١٥٢).

وبهذا نكمل البحث في هذا الخصوص ظانين بأننا أوردنا من تأويلات القوم ما فيه الكفاية لمن أراد البحث والنظر في هذا الموضوع، وهذا القدر من التأويلات يعطي صورة واضحة لمنهج القوم المعوج للتلاعب بأي القرآن والشريعة السماوية حسب أهواء القوم وأغراضهم.

ويظهر من هذا أن جميع الفرق الضالة المنحرفة من البابية، والبهائية، والقاديانية أخذوا تأويلات أي القرآن الكريم من هؤلاء الباطنية لنشر عقائدهم الباطلة وأضاليلهم الخبيثة.

الاسماعيلية ونسخ شريعة محمد صلوات الله عليه

ان الغزالي أبا حامد ذكر في كتابه (فضائح الباطنية) أو كتاب (المستظهري) تحت عنوان (الطرف الخامس في اعتقادهم في التكاليف الشرعية):

«والمنقول عنهم الاباحة المطلقة، ورفع الحجاب، واستباحة المحظورات واستحلالها وإنكار الشرائع. إلا أنهم بأجمعهم ينكرون ذلك إذا نُسب إليهم. وإنما الذي يصح من معتقدهم فيه أنهم يقولون: لا بد من الانقياد للشرع في تكاليفه، على التفصيل الذي يفصله الإمام، من غير متابعة الشافعي وأبي حنيفة وغيرهما؛ وإن ذلك واجب على الخلق والمستجيبين إلى أن ينالوا رتبة الكمال في العلوم. فإذا أحاطوا من جهة الإمام بحقائق الأمور، واطلعوا على بواطن هذا الظواهر انحلت عنهم هذه القيود، وانحطت عنهم التكاليف العملية، فإن المقصود من أعمال الجوارح تنبيه القلب لينهض لطلب العلم. فإذا ناله استعدّ للسعادة القصوى، فيسقط عنه تكليف الجوارح. وإنما تكليف الجوارح في حق من يجري بجهله مجرى الحُر التي لا يمكن رياضتها إلا بالأعمال الشاقة. وأما الأذكياء والمدركون للحقائق فدرجتهم أرفع من ذلك. وهذا فن من الاغواء، شديد على الأذكياء. وغرضهم هدم قوانين الشرع، ولكن يخادعون كل ضعيف بطريق يغويه ويليق به. وهذا من الاضلال البارد، وهو في حكم ضرب المثال كقول

القائل في الاحتماء عن الأطعمة المضرة إنما يجب على من فسد مزاجه؛ فأما من اكتسب اعتدال المزاج فليواظب على أكل ما شاء أي وقت شاء. فلا يلبث المصغي الي هذا الضلال أن يمعن في المطعومات المضرة إلى أن تتداعي به إلى الهلاك»^(١).

وردّ عليه الداعي الاسماعيلي عليّ بن الوليد في كتابه الذي كتبه خصيصاً للردّ على كتاب الغزالي (دامغ الباطل وحفّ المناضل):

«ان كلام هذا المارق في هذا الفصل ينقض آخره أوله، ويبطل أوله آخره وذلك انه زعم ان من ذكرهم يرون بالاباحة واستباحة المحظورات، وانكار الشرائع، ثم قال: والذي يصح من معتقدهم فيه انهم يقولون لا بد من الانقياد للشرائع على ما يفصله الامام، فيالله وبالعباد الله أيكون في التناقض والتحامل اظهر مما ابداه هذا المارق الملحد؟ وفي العناد، والاصرار على الباطل اعظم مما قال به هذا الشيطان المتمرد، ومتى يصح أحد قوله بطل الثاني، واذا تعين في ذلك ما هو باد من التناقض انهدم من كليهما المباني، ومن كان لا يشعر بتنافي الكلام الذي يسرده، ان له الاستطاعة بالاطلاع على ما يضمّر سواه ويعتقده، فاما اتباع شرع رسول الله صلوات الله عليه أخذاً له عن خليفته المعصوم، وتلقياً له منه خالصاً غير مشوب من زيادة أو نقصان، من ذوي القياسات المبتدعة، والآراء المتبعة، المورثة حيرة للحاكم بها، وللمحكوم له، ونحصنه عن اتباع الشافعي، وابي حنيفة، فالله قائل ذلك، لقد مال عن فخاخ ابليس المنصوبة، ومدارج الشيطان المزورة، برواء الانتفاء الادعاء لاستعمال الشريعة المتلفعة بها، المحجوبة المفضية بسالكها إلى مهاوي الفجار، الرامية بهم إلى أسفل درك من النار، متحيز إلى فئة الابرار الاخيار، معتصماً بحبل الله المنجي من تمسك به من الهلاك والدمار، راكباً سفينة النجاة الفاطمية ليسلم من عطب طوفان الضلال والبوار، مستكشفاً بالانوار العلوية حقائق الرموز وزبد الاسرار، مقتفياً من

(١) «فضائح الباطنية» لأبي حامد الغزالي ص ٤٦ ٤٧ ط مؤسسة دار الكتب الثقافية - الكويت.

الشرائع المحمدية تلك الموضوعات الشريفة، والأثار، ليرد بالكون في زمريهم إلى ما أعدَّ الله لهم من جنات وانهار، مفارقاً للعصب التيمية والعدوية الاشرار، مجانياً للشجرة الملعونة في القران الاموية المجتشة من فوق الارض مالها من قرار، والفئة الدعية العباسية متبرئاً من كل ظالم جبار. . .

وأما قوله: فان ذلك واجب على الخلق، والمستحسن إلى ان ينالوا رتبة الكمال في العلوم، فإذا أحاطوا من جهة الإمام بحقائق الامور، واطلعوا على بواطن هذه الظواهر. انحلت عنهم هذه القيود، وانحطت عنهم التكاليف العملية، فان المقصود من اعمال الجوارح تنبيه القلب لينهض لطلب العلم، فإذا ناله استعد للسعادة القصوى، فيسقط عنه تكليف الجوارح، وانما تكليف في حق من يجري بجهله مجرى الحمر التي لا يمكن رياضتها الا بالاعمال الشاقة، وأما الأذكياء والمدركون للحقائق فدرجتهم ارفع من ذلك، وهذا فنّ من الاغواء شديد على الاذكياء، وغرضهم هدم قوانين الشرع، ولكن يخادعون كل ضعيف بطريق تغويه وتليق به، وهذا من الاعتلال البارد، وهو في حكم ضرب المثال، كقول القائل ان الاحتماء عن الاطعمة المضرة انما تجب على من فسد مزاجه، فأما من اكتسب اعتدال المزاج فليؤاظب على أكل ما شاء، أي وقت شاء فلا يلبث المضغي إلى هذا الضلال ان يمين في المطاعم المضرة إلى ان يتداعى به الهلاك، هذا قوله. نقول في جواب ذلك: انا قد اوضحنا في الباب الثالث من كتابنا هذا كون ما يحكيه هذا المارق من اطراح أعمال الشريعة الغراء صلوات الله على صاحبها، هو مقال فرقة من فرق الغلاة، يزعمون ان من علم المعاني استغنى بمعرفتها عن الاعمال، وأوردنا من البراءة منهم واللعن لهم، والاحتجاج على ابطال مقالاتهم، ما بنا غنية عن اعادته هاهنا، اذ ليس يلزمنا تكرير الحوار، اذا كرر هذا الملحد القول بالتشنيع، ونسب أهل الحق إلى مذهب أهل الباطل، القبيح الفظيع، الا انا نورد لمعة زيادة في الاحتجاج على من يزعم انه اذا علم سقط عنه العمل، فنقول: قال الله تعالى: ﴿أَمَّا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ فواجب الخشية للعلماء، والخشية هي شدة الخوف، ومن عظمت مخافته فواجب منه ملازمة الطاعة، اذا العلماء أكثر عملاً بأوامر الله العظيم لخشيته لله، ولذلك ما كانت

الانبياء والأوصياء والائمة واتباعهم الأفاضل العلماء عليهم جميعاً الصلوات والتسليم، يلزمون انفسهم من اعمال العبادة الشرعية اكثر مما يأمر به سواهم، ابتغاء للأفضل، وخشية من الله، وقياماً بالشكر ممن قد وثق منهم بمغفرة الله، وكفى بهذا نقضاً لما قاله اعداء الله»^(٢).

وكان الغزالي محقاً في قوله، صادقاً في كلامه، مع أنه لم يحصل على كتب الاسماعيلية السرية، ولذلك صرح: «أنهم بأجمعهم ينكرون ذلك اذا نسب إليهم».

وكان الداعي الاسماعيلي كاذباً في إنكاره عليه، وتنكره على ما قلّه عنهم، مع تحمسه الشديد، وبذاءة شتمه وسبابه. غير صادق في تبرئه من يقول بتلك المقولة، ويعتقد بمثل ذلك الاعتقاد لأن الشواهد والأدلة تخالف ذلك، ونصوص الاسماعيلية تصرح وتخبر بعكس ما يقوله هذا الداعي الاسماعيلي الذي لم يستعمل في رده على الغزالي إلا الاستهجان والاستخفاف من القول، ولم يستند الا إلى التقية، ولم يجرؤ على ذلك الا لظنه بأن كتب الاسماعيلية الباطنية لا تصل إليها ايدي المخالفين لهم والمنكرين عليهم، والآ فلهذه حقيقة ثابتة ناصعة بأن الاسماعيلية يقولون برفع التكاليف العملية عن الذين نالوا رتبة الكمال، وأدركوا الحقائق، بل أكثر من ذلك يقولون بنسخ شريعة محمد صلوات الله وسلامه عليه.

ولقد مرّ ذكر ذلك سابقاً بأن الاسماعيلية يقولون بالنطقاء السبعة في دور الستر، وهم: آدم، ونوح، وابراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد، وقائم الزمان^(٣).

(٢) دامغ الباطل وحفّ المناضل للداعي علي بن الوليد ج ١ ص ١٧٣ وما بعد ط مؤسسة عز الدين بيروت - لبنان ١٤٠٣هـ.

(٣) انظر أساس التأويل للنعمان القاضي الاسماعيلي المتوفي ٣٦٣هـ ص ٣١ و ٥١ ط دار الثقافة بيروت، أيضاً الأنوار اللطيفة للحارثي البهائي ص ١٣٠، وكنز الولد ص ٢٠٧، أيضاً كتاب الايضاح لشهاب الدين أبي فراس ط المطبعة الكاثوليكية بيروت، وغيرها من الكتب.

فهذا هو مذهبهم الأصلي ومعتقدهم الحقيقي يخفونه عن الآخرين، ويردّون على من ذكر هذا ونسبه إليهم بشدة وحماس ظاهري، والآ فالحقيقة عكس ذلك.

وأكبر دليل على ما قلناه هو دعاء المعز لدين الله الامام الاسماعيلي الرابع في دور الظهور، الذي له منزلة كبيرة في أعين الاسماعيلية حيث أنه هو الرابع من الظهور، والسابع من محمد بن اسماعيل، والسابع هو متم الدور، وله منزلة عالية ودرجة سامية في الفلسفة الاسماعيلية، وكذلك أنه هو الرابع من المهدي الاسماعيلي، وللرابع مكانة كبيرة أيضاً لدى الاسماعيلية، اضافة إلى أنه هو الذي فتح مصر، وأقام فيها الدعوة الاسماعيلية والمذهب الاسماعيلي، ونشر هذا المذهب من مصر إلى أطراف الأرض وأكنافها، كما أن المعز هذا صرح نفسه، بأنه يسبق جميع من تقدمه من الأئمة والوصى، وحتى الناطق محمد صلوات الله وسلامه عليه^(٤).

يقول المعز هذا، في دعاء يوم السبت، من أدعية الأيام السبعة:

«اللهم صل على أينما آدم الذي شرفته وكرّمته... وصل على بابه ووصيه شيث بن آدم، وعلى أئمة دوره وهم ستة... اللهم صلي على رسولك نوح... الذي شرفته وكرّمته، وعطلت به ظاهر شريعة آدم، وجعلته ثاني النطقاء... اللهم صل على خليلك ابراهيم بن تارخ الذي شرفته وكرّمته، وعطلت به ظاهر شريعة نوح، وجعلته ثالث النطقاء... اللهم صل على نجيّك موسى بن عمران الذي شرفته وكرّمته، وعطلت به ظاهر شريعة ابراهيم، وصيرته رابع النطقاء... اللهم صل على روحك المسيح عيسى بن مريم الذي شرفته وكرّمته، وعطلت به ظاهر شريعة موسى، وصيرته خامس النطقاء... واخصص اللهم محمد بن عبد الله من ولد اسماعيل الذي شرفته وكرّمته، وعطلت به ظاهر شريعة عيسى، وصيرته سادس النطقاء... وعلى القائم بالحق والناطق بالصدق، التاسع من جده

(٤) انظر المجالس والمسائرات للنعمان ص ١٠٧ الجزء الثالث ط تونس.

الرسول، والثامن من أبيه الكوثر، السابع من آبائه الأئمة من البرة... الذي شرفته وعظمته وكرّمته، وختمت به عالم الطبائع، وعظمت بقيامه ظاهر شريعة محمد ﷺ وتعلّأ به الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وخبطاً كالذي قال النبي: المهدي منا أهل البيت رجل أشم الأنف أفنى أكحل، يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً وخبطاً، وهو مترجم القرآن ومفسره ومظهر بيانه ومنوره، وهو قائم يوم القيامة والفصل والتغابن والبعث والنشر: يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم... وصل على الخلفاء الراشدين الذين يقضون بالعدل وبه يعدلون»^(٥).

وذكر المعز هذا في دعاء يوم السبت لأنه دليل على القائم، كما أن يوم الأحد دليل على آدم، والاثنين على نوح، والثلاثاء على إبراهيم، والأربعاء على موسى، والخميس على عيسى، والجمعة دليل على محمد صلوات الله عليهم^(٦).

وعبارات هذا الدعاء صريحة في معناها، ظاهرة في مفهومها لا تحتاج إلى توضيح وبيان بأن محمد بن اسماعيل نسخ شريعة محمد رسول الله الذي جعله الله خاتم النبيين، وأكمل به الدين كما أن محمداً صلوات الله وسلامه عليه نسخ بمجيئه شريعة عيسى عليه السلام، وكما أن عيسى نسخ شريعة من قبله.. وهلم جرا.

واستعمل المعز - وهو امام معصوم لدى الاسماعيلية لا يخطيء ولا يلحن، ولا ينطق عن الهوى إن هو الاوحى يوحى - نفس العبارة، وعين

(٥) «أدعية الأيام السبعة» للمعز لدين الله الامام الاسماعيلي الرابع عشر، دعاء يوم السبت، أيضاً (زهر المعاني) للداعي ادريس ص ٥٦ من (المنتخب) لايوانوف ط مطبعة أجمل بريس بومبي، وكذلك (الأنوار اللطيفة) الباب الثاني من السراوق الثالث الفصل الخامس ص ١٣٠.

(٦) انظر (رسالة الأصول والأحكام) للداعي حاتم بن عمران ص ١١٦ من (خمس رسائل اسماعيلية) ط بيروت ١٩٥٦ م.

الألفاظ لمحمد بن اسماعيل، التي استعملها لمحمد بن عبدالله وغيره من النطقاء الخمسة الذين نسخوا شريعة من قبلهم من الأنبياء والنطقاء.

فهل بعد هذا شك لشاك وريب لمرتاب، ومجال لقائل بأن الاسماعيلية يؤمنون بكل ما يؤمن به المسلمون، وهم طائفة من طوائفهم، «ولم يعملوا على طرح الأديان وابطال العبادة كما وهم الكتاب والمؤرخون الذين تحدّثوا عن الفاطميين... وان الفقه الاسماعيلي لا يكاد يختلف عن فقه أهل السنة»^(٧).

وأيضاً: «ومن عجب أن يذهب المؤرخون أن الفاطميين كانوا يدينون بالاباحة وتعطيل الشرائع»^(٨).

ولا أدري، ولست اخال أدري كيف يستسيغ بعض الناس أن ينصبوا أنفسهم للدفاع عن قوم لم يدافعوا عن أنفسهم، بل قالوا بأكثر مما ينقل عنهم مخالفوهم والمتقدون عليهم.

ولقد رأينا كثيراً من الناس مسلمون - ولا نشك في اسلامهم - وهم يدافعون عن الكفرة دفاعاً مميّتا، ويقاتلون دونهم قتالاً ربما لم يقاتل المتهم عن نفسه مثل قتاله وجداله، وما أكثر هؤلاء الناس، فبعضهم أصحاب أغراض وأطماع، والبعض الآخر جهلة غير عارفين، ولكن الدكتور محمد كامل حسين لم يكن من هذين القسمين - حسب ظننا - فغفر الله له هذا التسامح.

ثم إن هذا لم ينقل عن المعز وحده، ولو كان منه وحده لكان كافياً للحجة والتدليل لأنه إمام معصوم حسب زعم القوم، وحائز على مرتبة الألوهية والربوبية كما مرّ بيانه في مبحث الإلهيات، ومبحث الإمامة، بل وصرح بهذه الحقيقة الآخرون أيضاً، كما أنه لم يورد ولم ينقل في كتاب واحد،

(٧) انظر كتاب (في أدب مصر الفاطمية) للدكتور محمد كامل حسين ص ٣٠ ط دار الفكر العربي - القاهرة.

(٨) انظر مقدمة (كتاب الهمة في آداب اتباع الأئمة) للدكتور محمد كامل حسين ص ٢٤ ط دار الفكر العربي - القاهرة.

ولا من كتاب واحد، بل ورد هذا الدعاء في الكتب الكثيرة الاسماعيلية .

هذا ولقد ذكر هذه الحقيقة كثير من الدعاة الاسماعيلية وأثبتوها في كتبهم الباطنية بأساليب متعددة وطرق مختلفة .

فيقول الداعي إدريس عماد الدين المتوفي سنة ٨٧٢هـ :

«وقام محمد بن اسماعيل صلوات الله عليه وهو سابع الأئمة وقائمهم مقابل لجده على أمير المؤمنين تمام الدور الروحاني، والخلق الآخر الذي هو نفس الشيء وروحه ومعناه، وهو تمام الدور الأول، ومنه ابتداء الدور الثاني . . . فقام محمد باللسان وصمت عنه السيف إلى بلوغ الكتاب أجله، فأظهر العلوم، وبين الحقائق، وكشف خلفائه منها السر المكتوم، فظهرت منه حقائق معجزات ودلائل وآيات لم تظهر في الأئمة من قبله، ولا قام أحد منهم كمثله لأنه السابع صاحب القوة والظهور، والضياء والنور، ومبين العلم المستور .

وكان محمد بن اسماعيل متم الدور المنتهية إليه، غاية الشرائع المختومة به، المشتمل على مراتب حدودها، المحيط بعلومهم، وهو قائم بالقوة، صاحب الكشف الأولى، لأن القائم بالفعل هو القائم الكلي الذي هو صاحب الكشف الأخرى، والبطشة العظمى، وقائم القيامة الكبرى، لأن القيامات كثيرة . . . وإنما وقع عليه (محمد بن اسماعيل) إسم الناطق السابع لنطقه بالأمر الإلهي، وجمعه للفضل الذي هو إليه متناهي، وليس بتم ولا رسول، بل هو منفرد برتبة الوحدة، وقد تم التمام واتسق النظام .

وإنما خص محمد بن اسماعيل بذلك لانتظامه في سلك مقامات دور السر لأنك إذا عدت آدم ووصيه وأئمة دوره كان خاتمهم الناطق وهو نوح عليه السلام . . . وإذا عدت عيسى ووصيه وأئمة دوره كان محمد ﷺ متسلماً لمراتبهم، وهو الناطق الخاتم للنطقاء، وكان وصيه عليه السلام بالفضل منفرداً، وإذا عدت الأئمة في دوره كان محمد بن اسماعيل

سابعهم، وللسابع قوة على من تقدّمه، فلذلك صار ناطقاً وخاتماً للأسبوع وقائماً، وهو ناسخ شريعة صاحب الدور السادس»^(٩).

فالعبرة صارخة بمدلولها، ناطقة بمنطوقها ومفهومها لا تحتاج إلى توضيح وتبيين.

وقال أيضاً في الباب السابع عشر من هذا الكتاب:

«إسماعيل بن جعفر خاتم الأتماء، والخلق الآخر» ولنده محمد ﷺ قد كان ظهر شخصه، وبان رسمه، وهو في رتبة القائم سابع النطقاء ﷺ روح الحياة»^(١٠).

وبمثل ذلك قال داع اسماعيلي أقدم منه وهو طاهر بن ابراهيم الحارثي المتوفي سنة ٥٨٤ هـ:

«ولما قام الناطق السادس الذي هو محمد ﷺ بالأمر، وأعلن بالشهادتين وأقام دعوته الظاهرة دون الباطنة أسلم له من أسلم، وجاهد معه من جاهد ... فلما كملت فاطمة زوجها أبوها أمير المؤمنين ﷺ بأمر الله تعالى ووحيه، فتمّ التمام، واتسق النظام، وازدوج الإيمان والاسلام، وجرت الدعوة الظاهرة على حالتها، والدعوة الباطنة في ضمنها، واستمر أمرها إلى أن استخرج من الدعوة الظاهرة الحسن، ومن الدعوة الباطنة الحسين، وكانت الدعوة الظاهرة قسط الناطق، والدعوة الباطنة قسط الوصي ... وانساق الأمر بعد مولانا الحسين (عليه السلام) كذلك في باقي الأئمة المتمين إلى أن انتهى الأمر إلى مولانا محمد بن اسماعيل فكان محمد بن اسماعيل متم الدور وخاتم الرسل المنتهية إليه غاية الشرائع المختومة به، المشتمل على مراتب حدوده، المحيط بعلومهم، وهو القائم بالقوة، صاحب الكشف الأولى ... وإنما وقع عليه اسم الناطق السابع لنطقه بالعلم الإلهي، وقوله أنا لأنه غير

(٩) (زهر المعاني) للداعي الاسماعيلي المطلق ادريس عماد الدين - الذي له العصمة الكبرى مثل الامام - ص ٥٣ وما بعد من (المنتخب) لايوانوف.

(١٠) أيضاً ص ٤٧.

منتظم في مسلك نطقاء دور الستر، إذ هو بخلافهم، وليس له متم ولا رتب بحدوده، ولا هو برسول بل هو منفرد برتبة الإلهية، وإنما مولانا محمد بن اسماعيل المخصص بذلك لانتظامه في سلك مقامات دور الستر ونطقائه، فإذا اعددت آدم (عليه السلام) ووصيه ومتمي دوره السبعة كان سابعهم ناطقاً . . . وإذا عددت محمداً ووصيه، ومتمي دوره الستة كان سابعهم ناطقاً، وهو محمد بن اسماعيل . ومتمي دوره الستة الثلاثة الأئمة المستورون وأبوابهم الثلاثة، الذي أمر كل إمام بابيه الذي هو أخذ عنه هذه الثلاثة الأبواب أن يتسمى بالإمام لهذا المعنى، إذ بقيامه تمام الدور الستر، واعتقاد دور الكشف، ونسخ شريعة الرسول السادس»^(١١).

وهل هناك أكثر من ذلك؟

نعم، هناك أكثر من ذلك وأصرح. يقول الداعي الاسماعيلي الآخر في كتابه (مسائل مجموعة من الحقائق العالية والدقائق والأسرار السامية، التي لا يجوز الاطلاع عليها إلا بإذن من له العقد والحل) في هذا الكتاب، العريض العنوان، يقول في جواب سائل سأله في المسألة الحادية والعشرين عن معنى تسليم الرسول:

«ولما كان محمد بن اسماعيل عليهما السلام سابع الأئمة وخاتم دور الأئمة، وكان كل سابع يقوم مقام الناطق إن أوجب الوقت ذلك كان ناطقاً، وإلا كان حافظاً لرتبته، وقد قيل: إن شهادة رسول الله لمحمد بالرسالة إشارة بها إلى محمد بن اسماعيل صلوات الله عليهما، وذلك معنى تسليمه إليه»^(١٢).

(١١) (الأنوار اللطيفة) لطاهر بن ابراهيم الخارثي اليماني الفصل الرابع والخامس من الباب الثاني من السراقد الثالث ص ١٢٨، ١٢٩، ١٣٠.
(١٢) (مسائل مجموعة من الحقائق العالية) ص ٩٩ من (أربعة كتب اسماعيلية) جمع ونشر شتروطن ط المجمع العلمي غوتنغن - ألمانيا.

هذا ولقد عقب الداعي المذكور جوابه هذا بعدما لاحظ فيه التعقيد والاجمال، فقال:

«بقي من معاني هذه الألفاظ ما لا يسطر في القراطيس . . . وهذا سؤال يمتنع جوابه لكونه لا يتحقق ما يشير إليه من أعلى الله قدسه لاتساع المعاني، وكثرة الفنون فيها وفيما ورد من الأجوبة مقنع إن شاء الله» (١٣).

ولكن الداعي الاسماعيل الآخر القديم كان أصرح منه وأوضح في كلامه حين قال:

«وتسليمه (أي رسول الله ﷺ) لمحمد بن اسماعيل شهادته له بالأذان عند قوله: أشهد أن محمداً رسول الله لأن شهادته لنفسه غير جائزة، وإنما كانت شهادته لمحمد بن اسماعيل عليه السلام — ما أصرحه وأقبحه — وأما شهادة الأئمة وسائر المسلمين فهي له (أي لرسول الله) لأنه الناطق السادس، وكون الشهادة مثناة في الأذان لما كانت الشهادة الأولى له، والثانية لمحمد بن اسماعيل الذي هو متم دوره، وهو سابع الرسل، وإليه أشار مولانا المعز في دعائه يوم السبت إذ هو الناطق السابع» (١٤).

ولا أظن أنه خفي المعنى والمطلوب بعد هذا التصريح والتوضيح، الصراحة التي بلغت حد الوقاحة.

وإن كان هناك إشكال لبعض المندفعين جاً وولاء للإسماعيلية، والمتبلدين المتجاهلين الذين يصرّون على جعل الاسماعيلية طائفة من طوائف المسلمين مكابرين الحق، ومعاندين أهله فإليهم ولهم أورد عبارة أخرى من الداعي الاسماعيلي الآخر، ومن كتابه الذي يعدّ من أهم الكتب في الحقيقة وأعظمها، ألا وهو إبراهيم الحامدي المتوفي سنة ٥٥٧هـ في كتابه (كنز الولد) الذي قلما يؤذن بالاطلاع عليه للاسماعيلية أنفسهم، يقول ذلك في كتابه.

(١٣) أيضاً ص ١٠٠.

(١٤) (الأنوار اللطيفة) للحارثي البياني المتوفي سنة ٥٨٤هـ ص ١٦١ الفصل الثاني من الباب الخامس من السراشق الرابع.

«وأما محمد بن اسماعيل فهو متم شريعته وموفيها حقوقها وحدودها، وهو السابع من الرسل، وبيان ذلك في أدعية مولانا المعز السبعة، وهو الذي يشهد له وللقائم محمد بن عبدالله المهدي، لأنه قائم القيامة الوسطى، وقائم القيامة الأولى مولانا أمير المؤمنين عليه السلام وقائم القيامة الكبرى صاحب الكشف عليه السلام في أذانه بقوله: أشهد أن لا إله إلا الله مرتين، وأشهد أن محمداً رسول الله مرتين، لأن الخلق يشهدون برسالته، وهو يشهد لتمام دوره وشريعته ومنهاجه، وهو منسوب إلى عبدالله بن ميمون في التربة»^(١٥).
وقال مثل ذلك علي بن الوليد في كتابه (الذخيرة في الحقيقة)^(١٦).

يعني أن محمد بن اسماعيل ليس برسول فحسب مثل عيسى وموسى، بل هو المعني بمحمد رسول الله في الأذان، ويشهد برسالته خاتم النبيين الذي ختم به النبوءات والرسالات بقول الله عز وجل: «ما كان محمد أباً أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليماً»^(١٧).

وجعل دينه آخر الأديان: اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً^(١٨).

وأيضاً: «ان الدين عند الله الإسلام»^(١٩).

وأيضاً: «ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين»^(٢٠).

وأتمته آخر الأمم، والذي قال:

(١٥) (كتر الولد) ص ٢١١ ط در الأندلس بيروت ١٩٧٩م.

(١٦) انظر ص ٩٠ و ٩١ ط دار الثقافة بيروت ١٩٧١م.

(١٧) سورة الأحزاب الآية ٤٠.

(١٨) سورة المائدة الآية ٣.

(١٩) سورة آل عمران الآية ١٩.

(٢٠) سورة آل عمران الآية ٨٥.

«أنا خاتم النبيين لا نبي بعدي»^(٢١).

وقال: «أنا آخر الأنبياء وأنتم آخر الأمم»^(٢٢).

قال: «مثلي ومثل الأنبياء كمثل قصر أحسن بنيانه إلا موضع تلك اللبنة فكنت أنا سدّدت موضع اللبنة، ختم بي البنيان، وختم بي الرسل»^(٢٣).

ومقولات الرسول في هذا كثيرة جداً.

فهذا النبي الخاتم يكذبون عليه أنه هو الذي يشهد برسالة محمد بن اسماعيل، مع أن شهادته لكل من يدّعي النبوة والرسالة بعده ثابتة موجودة، لا بنبوته ورسالته، بل بدجله وكذبه كما قال عليه الصلاة والسلام:

«لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون دجالون كلهم يزعم أنه رسول الله - وفي رواية - أنا خاتم النبيين لا نبي بعدي»^(٢٤).

وقال مخاطباً أباذر: «يا أباذر، أول الأنبياء آدم، وآخرهم محمد»^(٢٥).

ولكن الاسماعيلية يقولون عكس ذلك مكذّبين صريح القرآن والسنة:

«الرسالة مشتركة بين سبعة نفر، وهم: آدم، ونوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد، والقائم صلوات الله عليهم»^(٢٦).

ويقولون أكثر من ذلك «أن كل خلف، يكون أفضل من كل سلف. فنوح أفضل من آدم، وإبراهيم أفضل من نوح، إلى أن تهباً ظهور من هو أفضل من إبراهيم وهو موسى، ثم ظهر من هو أفضل من موسى وهو عيسى

(٢١) أخرجه أبو داود والترمذي.

(٢٢) رواه ابن ماجه والحاكم.

(٢٣) أخرجه البخاري ومسلم.

(٢٤) أخرجه أبو داود والترمذي.

(٢٥) رواه ابن حبان في صحيحه، وأبو نعيم في الحلية وصححه ابن حجر في الفتح.

(٢٦) (اثبات النبوءات) للسجستاني ص ١٣١ ط عارف تامر المطبعة الكاثوليكية - بيروت

١٩٦٦م.

إلى أن تهباً ظهور من هو أفضل من عيسى وهو محمد، إلى أن تهباً ظهور من هو أفضل من محمد وهو القائم» (٢٧).

ويقول ابراهيم الحامدي مبينا فضل القائم على سبعة من الأنبياء والرسل: «النطقاء السبعة أولهم آدم عليه السلام مثله مثل السلالة لأنه كان ابتداءؤه ضعيفا، ونوح مثله مثل النطفة، وإبراهيم مثله مثل العلقة، وموسى مثله مثل المضغة، وعيسى مثله مثل العظام، ومحمد ﷺ وآله وسلّم مثله مثل اللحم، والقائم مثله مثل إنشاء خلق آخر، فتبارك الله أحسن الخالقين على إتقان الروحانيين والجسمانيين بأمره ووحيه وكلمته. فدل ذلك أن الولد التام في الحقيقة هو صاحب القيامة، لأن الله سبحانه قد بين بقوله: ﴿ثم أنشأناه خلقاً آخر﴾ غيرهم، لأنه قد خرج من حد القوة إلى حد الفعل، ومن تقدمه من النطقاء هم بالقوة إلى أن يدور عليهم ما دار عليه من المراتب مع النفس الكلية وبذلك كملت فيه جميع القوى التي كانت لمن تقدمه، وهو أصل الحلقة الروحانية وعلّة الحلقة الجسمانية بواسطة الحدود الروحانية الذين مثلهم مثل الكواكب الذين بهم تتم خلقة المولود في بطن أمة بتأثير الكواكب السبعة والطبائع والبرزخ، فإذا وقفت النطفة في المعدن والقرار المكين تدور بها الكواكب السبعة وكل كوكب ينقلها من حال إلى حال حتى تتم خلقتها، ومثل ذلك في ترتيب الدين الروحاني والجسماني. أي السبعة الحدود يتحد كل واحد بنطاق من النطقاء بمادة إلهية، ويصل إليه من المادة والقوة على قدر حاله ومنزلته واحتماله حتى يكمل في حده كذلك إلى آخرهم حتى يجتمع جميع ذلك كله في قائم القيامة على ذكره السلام ويصير في حد الكمال والتمام، فمن ذلك إنا قلنا إنه الولد التام، فإذا ظهر القائم في هذا العالم عند تمام الأسابيع والأئمة بجسده ويراها جميع الخلق بعد إنذار حجته التي تقوم قبله، وهي التي قال الله تعالى سبحانه ﴿ليلةُ القدرِ خيرٌ من ألف شهر﴾ وهو صاحب الجزاء

(٢٧) انظر كتاب (الايضاح) لأبي فراس ص ٤٣ وما بعد ط عارف تامر المطبعة الكاثوليكية بيروت.

إن خيراً فخير، أو شراً فشر، وهي بداية دور آخر يمهده حدان عظيمان لم يمدا من قد مضى من النطقاء وحدودهم.

فالقائم منه السلام وعلو درجته بأن النطقاءهم أجزاء لنفس الكل، ولا بد للجزء أن يصير يوماً كاملاً فلا آدم جزء من النفس، ولنوح عليه السلام جزءان، ولإبراهيم عليه السلام ثلاثة، ولموسى عليه السلام أربعة، ولعيسى عليه السلام خمسة، ولمحمد صلى الله عليه وآله وسلم ستة، وللقائم علينا سلامه سبعة أجزاء. فإذا اجتمعت فيه الأنوار السبعة التي قلنا إنها أجزاء صار بمنزلة النفس وقابلها وأخذ منها بغير واسطة ووصلت إليه المادة من الأول بتوسط العلة فقام مقام النفس وارتقت النفس إلى حد العقل، وهي درجة سدرة المنتهى التي عندها جنة المأوى، وأيضاً إذا انتقل القائم على ذكره السلام من هذا العالم إلى العالم الروحاني بعد استقرار ما قرره وتدير ما تدبره، أمر ونهي من أمور ما يحتاج إليه كيف يشاء. لأن كوره طويل وليس إلى صفته سبيل، ولا يجوز أن نذكر ما كان بعده إلا رمزاً أو إشارة دون التصريح، وفي هذا المقدار كفاية لمن عنده علم من الكتاب^(٣٨).

وهناك نصوص أخرى كثيرة في هذا المعنى قد ذكرنا بعضها منها فيما مر ذكره في المبدأ والمعاد.

وبعد هذا ننظر إلى الاسماعيلية . . . ماذا يقصدون من نسخ شريعة محمد صلوات الله وسلامه عليه، ويظهر لكل باحث ومتحرر للحقيقة أنهم لا يقصدون من نسخ الشريعة الا تعطيلها، ورفع التكاليف، واسقاط الظاهر. وهاهي النصوص من كتب القوم أنفسهم.

يقول القاضي النعمان المغربي وهو أكثر الاسماعيلية تحفظاً واحتياطاً، وحتى في كتبه السرية، يقول:

(٢٨) (كنز الولد) للحامدي ص ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧٠ ط دار الأندلس بيروت ١٩٧٩ م.

«قائم الزمان الذي هو صاحب القيامة، والذي يكون التكليف في حده مرفوعاً. . . ويتجرد حينئذ الباطن، ويسقط الظاهر، ويكون الباطن ظاهراً على خلاف ما هو في حدود الرسل قبل ذلك، لأنه في حدودهم مدفوع إلى حججهم، مستور عندهم، محمول من واحد إلى واحد، وهو معجزة لهم، وعلم يستضاء به حتى يصل إلى صاحبه صاحب القيامة، فيظهره ويجرده، وذلك محظور ممنوع قبله» (٢٩).

وبمثل ذلك قال معاصر النعمان، والذي يفضل له قيامه مقام داعي الدعاة الاسماعيلية، وهو أكبر منزلة يحصل عليها واحد من الاسماعيلية بعد الامام، وقد ذكرنا فيما سبق تقدمه على النعمان المذكور، يقول الداعي الاسماعيلي هذا:

«وفي عصر القائم يظهر التأويل محضاً، والامام الذي قبله يقول بظهر الشريعة وباطنها، ولم يكن عمل قبل آدم، كما لا يكون عمل بعد القائم» (٣٠).

وقال أيضاً:

«القائم لا شريعة له، بل هو يزيل الشرائع وينسخها باقامة التأويل المحض» (٣١).

وأيضاً: «القائم المهدي دوره دور علم بلا عمل، والذهب من أمثال القائم المهدي صاحب دور الجزاء وخاتم الدنيا وفتاح باب الآخرة، وانما مثل بالذهب لأنه صاحب الظهور ومبطل الشرائع كلها، ومسقط ظاهر النطق والعمل به» (٣٢).

(٢٩) «أساس التأويل» للنعمان بن محمد بن حيون المغربي المتوفي سنة ٣٦٣ هـ ص ٦٢ ط دار الثقافة بيروت.

(٣٠) «تأويل سورة النساء» لجعفر بن منصور اليميني نسخة خطية ص ٦٠.

(٣١) «تأويل الزكاة» لجعفر بن منصور اليميني نسخة خطية ص ١١٩.

(٣٢) أيضاً ص ٦٢.

وقال الداعي الاسماعيلي أبو يعقوب اسحاق السجستاني :

«إذا ظهر القائم عليه السلام، وتخلص المؤمنون من الستر والكتمان،
وقدروا على كشف مذاهبهم وجب رفع هذه الشريعة التي هي سمة الستر
والكتمان» (٣٣).

وقال الداعي الاسماعيلي الآخر وهو يذكر قيام القائم :

«وأما الشرائع فتحط عنهم التكليفات كالصلاة والزكاة والصوم والحج
والجهاد، ويبقى معهم الشرائع العقلية التي هي عقد النكاح والطلاق
والمواريث والأموال، ودفن الموتى، وغسلهم الأجسام بالماء، وما شاكل ذلك
من الشرائع العقلية» (٣٤).

ونقل هذا الداعي أيضاً عن الكرمانى في كتابه (كتاب الرياض) :

«إن الشرائع لا ينسخ منها إلا التكاليف، فأما الشرائع العقلية مثل
ملك الأموال، وعقد النكاحات، ودفن الموتى، وما أشبه ذلك فلا
ينسخ» (٣٥).

ولم ينطق الدعاة الاسماعيلية بمثل هذه الأقوال إلا لأنهم سمعوها من
أئمتهم الحائزين على مرتبة العصمة الكبرى مع كونهم أنفسهم كالمعصومين
أيضاً.

فها هو الإمام الاسماعيلي السابع الثانى من محمد بن اسماعيل، المعز
لدين الله يقول بمثل ما قال دعائه لفظاً وحرفاً :

«التكرار في الأذان مرة بعد مرة مثل على الظاهر والباطن، ودليل على
أنها دعوة بعد دعوة قد تقدمت والآخر الذي يكون في القيامة، وهو قول (لا

(٣٣) «اثبات النبوءات» للسجستاني ص ١٨٣.

(٣٤) «مسائل مجموعة من الحقائق العالية» ص ١٠ من «أربعة كتب اسماعيلية» نشر
شروطمان.

(٣٥) أيضاً ص ٩١.

إله إلا الله) مرة دليل على القائم ينسخ بشريعته كل شريعة قد تقدمت، ولا يحدث شريعة، وإنما يأتي بباطن الشرائع والصحف محضاً مجرداً، فلذلك كانت دعوته ولا تكرير فيها ولا تثنية، ومن كرر الدعوة الأخيرة ذهب إلى أن القائم له حد في الجسمانية، وحد في الروحانية» (٣٦).

ويؤيد ذلك ما رواه المؤرخون عن المهدي الأسماعيلي وأولاده عندما استولوا على المغرب وبلاد مصر، وتسلبوا عليها أبطلوا الشريعة، وأباحوا المحرمات، وسبوا الأنبياء، وقتلوا المسلمين. فيذكر الإمام الذهبي المتوفي سنة ٨٤٨هـ نقلاً عن القاضي عبد الجبار المتكلم:

«إن القائم أظهر سب الأنبياء، وكان مناديه يصيح: العنوا الغار وما حوى، وأباد عدة من العلماء، وكان يناصر قرامطة البحرين ويأمرهم بإحراق المساجد والمصاحف» (٣٧).

وقتلوا خلقاً من المسلمين كما ذكر أبو زيد الدبّاغ في كتابه (معالم الإيمان)، والذهبي، وأبو الحسن القاسبي صاحب الملخص:

«إن الذين قتلهم عبيد الله وبنوه أربعة آلاف في دار النحر في العذاب من عالم وعابد ليردّهم عن الترضي عن الصحابة فاختاروا الموت، فقال سهل الشاعر:

وأحل دار النحر في أغلاله من كان ذا تقوى وذا صلوات
ودفن سائرهم في المونستير، وهو في لسان الفرنج المعبد الكبير» (٣٨).

ولما رأى المسلمون ذلك أفتوا بارتدادهم وزندقتهم كما قال القاضي عياض:

(٣٦) «تأويل الشريعة» للمعز لدين الله - نسخة خطية ص ٥.

(٣٧) انظر «سير أعلام النبلاء» ج ١٥ ص ١٥٢، أيضاً «البيان المغرب» ج ١ ص ٢١٦.

(٣٨) «معالم الإيمان» للدبّاغ ج ٣ ص ٣٤ ط المكتبة العتيقة - تونس، أيضاً «سير النبلاء» للذهبي ص ١٤٥ ط مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٨٣م واللفظ له.

«أجمع العلماء بالقيروان أن حال بني عبيد حال المرتدين والزندقة» (٣٩).

كما أفتى العلماء بعدم الدخول في مذهبهم ولو أكرهوا، واختاروا القتل ولم يقبلوا مذهبهم وسبب ذلك أنهم يعطلون الشرائع كما ذكر القاضي عياض في ترجمة أبي محمد الكستراني أنه سئل عمن أكرهه بنو عبيد على الدخول في دعوتهم أو يقتل؟

فقال: «يختار القتل ولا يعذر، ويجب الفرار - وسبب ذلك؟ - لأن المقام في موضع يطلب من أهله تعطيل الشرائع لا يجوز» (٤٠).

وأفتى العلماء بوجوب الجهاد ضد هؤلاء الاسماعيلية، واجتمع أهل السنة تحت راية أبي يزيد مغلد الذي كتب على رايته: (اللهم انصر وليك على من سب نبيك) وقد ذكر هذا كله الإمام الذهبي، والمراكشي صاحب (البيان المغرب) وأبو زيد الدبّاغ صاحب (معالم الإيمان) وغيرهم، وينقل عبارة الإمام الذهبي لتبيين الحقيقة، وكشف النقاب عن معتقدات الاسماعيلية الأصلية، ووجهة نظر علماء ذلك الزمان تجاههم. فالعبارة للذهبي:

«وقد أجمع علماء المغرب على محاربة آل عبيد لما شهروه من الكفر الصراح الذي لا حيلة فيه. وقد رأيت في ذلك تواريخ عدّة، يصدق بعضها بعضاً.

وعُوتِبَ بعضُ العلماء في الخروج مع أبي يزيد الخارجي، فقال: وكيف لا أخرجُ وقد سمعتُ الكفر بأذني؟ حضرتُ عقداً فيه جمعٌ من سنة ومشاركة، وفيهم أبو قضاة الدّاعي، فجاء رئيسٌ، فقال كبيرٌ منهم: إلى هنا يا سيدي ارتفع إلى جانب رسول الله يعني: أبا قضاة، فما نطق أحد.

ووجد بخط فقيه. قال: في رجب سنة ٣٣١هـ قام المكوكب يُقذِفُ

(٣٩) «ترتيب المدارك» ج ٤ ص ٧٢٠، أيضاً «سير أعلام النبلاء» ج ١٥ ص ١٥١.

(٤٠) «ترتيب المدارك» ج ٤ ص ٧١٩، أيضاً «سير أعلام النبلاء» للذهبي ج ١٥ ص ١٥١.

الصَّحَابَةِ، وَيَطْعُنُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَعُلِّقَتْ رُؤُوسُ خَمِيرٍ وَكِبَاشٍ عَلَى الْحَوَانِيتِ، كُتِبَ عَلَيْهَا أَنَّهَا رُؤُوسُ صَحَابَةٍ.

وَخَرَجَ أَبُو إِسْحَاقَ الْفَقِيهَ مَعَ أَبِي يَزِيدَ، وَقَالَ: هُمْ أَهْلُ الْقَبِيلَةِ، وَأُولَئِكَ لَيْسُوا أَهْلَ قَبِيلَةٍ. وَهُمْ بَنُو عَدُوِّ اللَّهِ، فَإِنْ ظَفِرْنَا بِهِمْ، لَمْ نَدْخُلْ تَحْتَ طَاعَةِ أَبِي يَزِيدَ، لِأَنَّهُ خَرَجَنِي.

قَالَ أَبُو مَيْسَرَةَ الضَّرِيرُ: أَدْخَلَنِي اللَّهُ فِي شَفَاعَةِ أَسْوَدَ رَمَى هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ بِحَجَرٍ.

وَقَالَ السَّبَّائِي: أَيُّ وَاللَّهِ نَجْدٌ فِي قَتْلِ الْمُبْدَلِ لِلدِّينِ.

وَتَسَارَعَ الْفُقَهَاءُ وَالْعُبَادُ فِي أَهْيَةِ كَامِلَةٍ بِالطُّبُولِ وَالْبُنُودِ. وَخَطَبَهُمْ فِي الْجُمُعَةِ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي الْوَلِيدِ، وَحَرَّضَهُمْ. وَقَالَ: جَاهِدُوا مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ وَزَعَمَ أَنَّهُ رَبٌّ مِنْ دُونِ اللَّهِ، وَغَيْرَ أَحْكَامِ اللَّهِ، وَسَبَّ نَبِيَّهِ وَأَصْحَابَ نَبِيِّهِ. فَبَكَى النَّاسُ بَكَاءً شَدِيدًا. وَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّ هَذَا الْقَرْمِطِيُّ الْكَافِرُ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ عُبَيْدٍ اللَّهِ، الْمَدْعَى الرَّبَوِيَّةَ، جَاثِدٌ لِنِعْمَتِكَ، كَافِرٌ بِرَبِّهِ وَطَاعَتِهِ عَلَى رُسُلِكَ، مَكْذِبٌ بِمَحَمَّدٍ نَبِيِّكَ، سَافِكٌ لِلدَّمَاءِ. فَالْعَنَهُ لَعْنًا وَبَيْلًا، وَآخِرُهُ خَزْيًا طَوِيلًا، وَاغْضَبْ عَلَيْهِ بِكَرَّةٍ وَأَصِيلًا. ثُمَّ نَزَلَ فَصَلَّى بِهِمُ الْجُمُعَةَ.

وَرَكِبَ رِبْعَ الْقَطَّانِ فَرَسَهُ مُلْبَسًا، وَفِي عُنُقِهِ الْمُصْحَفُ، وَحَوْلَهُ جَمْعٌ كَبِيرٌ، وَهُوَ يَتْلُو آيَاتِ جِهَادِ الْكُفْرَةِ. فَاسْتَشْهَدَ رِبْعٌ فِي خَلْقٍ مِنَ النَّاسِ يَوْمَ الْمَصَافِ. وَكَانَ غَرَضُ هَؤُلَاءِ الْمَجُوسِ بَنِي عُبَيْدٍ أَخَذَهُ حَيًّا لِيُعَذِّبُوهُ.

قَالَ أَبُو الْحَسَنِ الْقَاسِمِيُّ: اسْتَشْهَدَ مَعَهُ فَضْلَاءٌ، وَأَثَمَةٌ وَعُبَادٌ.

وَقَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ فِي بَنِي عُبَيْدٍ:

الْمَاكِرُ الْغَايِرُ الْغَاوِي لَشَيْعَتِهِ	شَرَّ الزُّنَادِقِ مَنْ صَخِبَ وَتُبَّاعَ
الْعَابِدِينَ إِذَا عَجَلَا يَخَاطِبُهُمْ	بِسِحْرِ هَارُوتَ مَنْ كُفِّرَ وَإِدْعَا
لَوْ قِيلَ لِلرُّومِ أَنْتُمْ مِثْلُهُمْ لَبَكُّوا	أَوِّلِ الْيَهُودِ لَسَدُّوا ضَمْنَخَ أَسْلَاحِهِ ^(٤١) .

(٤١) «سير أعلام النبلاء» للذهبي ج ١٥ ص ١٥٤، ١٥٥، ١٥٦.

وهذه كلها شهادات تنطق على ما كان عليه الاسماعيلية حقيقة، وعلى ما كان شائعاً معروفاً لدى العلماء المعاصرين من تعطيل الشرائع، وإباحة المحظورات، وبغض الاسلام، وعداوة المسلمين، وإهانة الأنبياء والرسل، وغير ذلك من الأمور التي تظهر جلياً بأن القوم يعتقدون بتعطيل الشريعة ورفعها وإبطالها، وسقوط التكاليف عن معتنقيهم.

ويؤيد ذلك أيضاً رسالة المعز لدين الله إلى القرمطي حسن الأعصم حيث يقر فيها آباءه وأسلافه على ما كانوا عليه من القتل والفتنة وإباحة المحظورات، وقلع الحجر الأسود، ونهب الحجاج وغير ذلك من الأمور العظام التي ارتكبوها، كما أقر فيها نسبتهم إليه وإلى آبائه، وإلى الاسماعيلية، كما أن عبارات الأئمة الاسماعيلية وتصريحاتهم الخاصة، وادعاءاتهم الربوبية والألوهية، واتصافهم بأوصاف الخالق والرب، ورضا بعضهم على تأليهه، وتأنيده المخفي لمن يؤلهه ويدعو الناس إلى ألوهيته، وتشجيع الناس على قبول مثل هذه الدعوات، وكتابتهم الشتائم والسباب على منابر المساجد ومحاريبها وغير ذلك من الأمور الكثيرة الكثيرة تدل على ما يكنه القوم في القلوب، ويكتمونه في الصدور.

زيادة على ذلك مجاهرة بعض الدعاة الاسماعيلية الكبار بالباطل من تعطيل الشريعة، واستحلال المحارم، واستباحة المحظورات، وإتيان الفواحش والمنكر علناً، وعلى رؤوس الأشهاد في كل عصر من العصور المختلفة، ومكان من الأمكنة وجد فيها الاسماعيلية كما أقر بذلك المؤيد، الشيرازي في مجالسه بقوله:

«استعينوا بالله سبحانه من قوم يقولون بأفواههم أنهم شيعة، وهم من طلائع الكفر والإلحاد شرّ طليعة، يستوطنون مركب الإباحة، ويميلون ميل الراحة، ويحتجون بكون الصلاة إشارة إلى حد من حدود الدين، فإذا عرف سقطت الصلاة، وأن الزكاة إشارة مثله فإذا عرف بطلت الزكاة، وأن الصوم هو السكوت عن إفشاء سرهم إلى غير أهله، فإذا هم سكتوا لم يبق بهم حاجة إلى الصوم واحتماله كله، وإن النهي عن شرب الخمر معناه الكف عن

موالاة بعض الأضداد، وإذا كفوا كان شربها حلالاً سهل القياد، فلا يزالون كذلك حتى يحلّون من فروض تكاليف الشريعة كل عقد، ويردون من مهاوي الهوى في تحليل المحرمات شرّ ورد، وهؤلاء أضّرّ بالدين وبالمؤمنين من شهر سيفه، وشرع رحمه، إلى أئمتهم بالبغضاء، وركب الأبلق مجاهرة لهم بالكفاح واللقاء» (٤٢).

وأقرّ المعزّ لدين الله الإمام الاسماعيلي بأن دعائه كانوا يحلّون المحارم، ويرخصونها للناس (٤٣).

كما أنكر على بعض دعائه ولعنه (٤٤).

ولم يكن التنكير والعقوبة على هؤلاء لارتكابهم المحارم، والعمل بالباطن المحض، بل لأنهم أظهروا ما أخذ الميثاق عليهم في إخفائه وكتبانه.

وكذلك الثبوت عن الأئمة الاسماعيلية أنفسهم بارتكاب الفضائح واقرارهم المهالك، وأمر الاسماعيلية بعدم الاعتراض عليهم كما نصّ على ذلك القاضي النعمان في كتاب (الهمة في آداب اتباع الأئمة).

فهذه كلها شواهد ثابتة، وحجج قطعية، وأدلة واقعية على معتقدات القوم الخفية، واعتقاداتهم الأصلية.

وأما بناؤهم المساجد ومشاركتهم في بعض الطقوس الدينية الاسلامية فلم يكن إلا تعمية على الناس عامة الذين كانوا ضد مذهبهم ومعتقداتهم، وتأليفاً لقلوبهم، وتوطيداً لسلطتهم، وحفاظاً على ملكهم وسلطانهم، لا رغبة، بل رهبة من الشعب الذين لم يرضوا باعتراف ديانة الحكام الاسماعيليين مع تحملهم صنوفاً من العذاب وأنواعاً من الظلم وألواناً من الاضطهاد والجبر والقهر. وهذا ما لا يستطيع إنكاره أحد من الذين لهم إلمام بالتاريخ الاسماعيلي أيام تسلّطهم على مصر وجاراتها.

(٤٢) «المجالس المؤيدية» لهبة الله المؤيد الشيرازي ص ٣٠٩، ٣١٠.

(٤٣) أنظر «المجالس والمسائرات» للنعمان القاضي ص ٤٠٨ ط تونس.

(٤٤) انظر أيضاً ٤٠٧ من «المجالس والمسائرات».

وخاصة بعد ما جربوا عصيان الشعب المغلوب على أمرهم للتخلي عن عقائدهم، والاعتناق بمبادئهم في أوائل أيام تسلطهم على المغرب كما ذكرناه آنفاً.

فإخماداً للثورات، وإطفاء لنار البغض العقائدي الذي كان يضطرم في قلوب المسلمين المؤمنين ضدهم، وتحبياً إلى الناس، وإرضاء للناس عنهم كانوا يبنون المساجد، ويقىمون بعض الرسوم الاسلامية، ويأتون الطقوس الدينية. وإلا فعقائدهم كانت ولا زالت تختلف عن عقائد الاسلام والمسلمين.

وها هو الاسماعيلي المعاصر الذي كتب كتباً عديدة في العقائد الاسماعيلية والتاريخ الاسماعيلي - ولو أنها كلها سرقات على سرقات، وجهالة على جهالات - يقرّ بذلك ويصرح بأن الاسماعيلية يعتدون بنسخ شريعة محمد صلوات الله وسلامه عليه، ويرفع التكليف، فيقول:

«ويعتبر الإمام محمد بن اسماعيل أول الأئمة المستورين، والناطق السابع لأن إمامته حسب ترتيب الدعوة الاسماعيلية الفلسفي السابع، والإمام السابع له اعتبار خاص فهو صاحب نشرة علمية انتقالية، وناسخ عهد، وفاتح عهد، ويجمع بين النطق والإمامة، فهو صاحب شريعة وحقيقة، لذلك نراه ينادي بالتأويل، ويهتم بالباطن»^(٤٥).

ويقول:

«ويعتبر الإمام محمد بن اسماعيل أول الأئمة المستورين، والناطق السابع وتمام الدور، لأن إمامته كانت بداية دور جديد في تاريخ الدعوة الاسماعيلية، فقام بنسخ الشريعة التي سبقتها، وبذلك جمع بين النطق والإمامة، ورفع التكليف الظاهرة للشريعة، ونادى بالتأويل، واهتم بالباطن»^(٤٦).

(٤٥) مقدمة «راحة العقل» مصطفى غالب الاسماعيلي ص ٢٣.

(٤٦) «تاريخ الدعوة الاسماعيلية» ص ٣٤ أيضاً.

وعلى ذلك فالاسماعيلية النزارية اليوم، وهم ورثة الاسماعيلية القدامى الحقيقيون، لا يصلّون، ولا يزكون، ولا يصومون، ولا يحجون، ولا يبنون المساجد، ولا يأتون بأي عمل من أعمال التكليف من شريعة محمد صلوات الله وسلامه عليه، وهم المسمون بالأغاخانية، وأئمتهم يقامرون، ويشربون الخمر، ويمرحون ويسرحون ليلاً ونهاراً، وسراً وجهاراً، وقد خصصنا لذكرهم مفصلاً المجلد الثاني لهذا الكتاب.

فالحاصل أن الاسماعيلية في باطنهم لا يعتقدون إلا ذلك الاعتقاد، وهو رفع الشريعة وتعطيلها، ونسخها من قبل محمد بن اسماعيل لأنه هو السابع من الأئمة، وله مقام النطق ومرتبة الرسالة.

وقد أظهروا هذه الحقيقة في كتبهم السرية التي يسمونها كتب الباطن أو كتب الحقائق، التي لا يطلع عليها إلا من يصل المراتب العليا في الدعوة الاسماعيلية، وأطمأن إليه، وأخذ منه الميثاق المغلظ بالعق والطلاق، والتخلي عن جميع الممتلكات، واستباحة ماله وعرضه ودمه، والتي نقلنا منها بعض النصوص آنفاً فيما مرّ.

وشهد بذلك أي الإباحة والتعطيل عند الاسماعيلية، وإقرارهم برسالة محمد بن اسماعيل كل من اعتنى بالردّ عليهم، أو كتب في الفرق، من أعلام أهل السنة، والزيدية، والشيعة وغيرهم، حتى المستشرقين، لاشتهار ذلك عنهم بين الناس، وتسرب أسرارهم إليهم^(٤٧).

وأما إنكار بعض الاسماعيلية نسخ الشرائع وتعطيلها، وخاصة شريعة محمد صلوات الله وسلامه عليه، وإظهار البراءة منهم، ونقل تبرّي الأئمة الاسماعيلية منهم أيضاً ليس إلا إنكاراً للحق الثابت الصريح المكشوف، كما أن هذا الانكار لا يوجد إلا في كتب الظاهر، وقد أثبتنا فيما سبق أن القوم ينكرون شيئاً في الكتب الظاهرية، ويثبتون عين ذلك الشيء في الكتب السرية، ينكرون عن أئمتهم اتصافهم بأوصاف الرب جل مجده وعزّ شأنه،

(٤٧) راجع كتب الفرق.

ثم يصفونهم بالأوصاف التي لا تليق إلا بالله عز وجل، سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

وكذلك أشياء كثيرة وأمور عديدة لكونهم أهل الباطن، وإخفاؤهم مبادئهم وعقائدهم عن أهل الظاهر والعامه — حسب تعبيراتهم —.

والأ فأي شيء ينكرونه؟

رسالة محمد بن اسماعيل وكونه ناطقاً؟

أم انقضاء دور محمد صلوات الله وسلامه عليه، ونسخ شريعته؟

أو رفع التكاليف والعمل بالظاهر، والاكتفاء بالباطن المجرّد المحض؟

وثبوت واحد من هذه الأمور يكفي لمعرفة القوم وحقيقة مذهبهم والحكم عليهم بأنهم لا علاقة لهم بالدين الحنيف الذي جاء به محمد صلوات الله وسلامه عليه الذي لا نبي فيه بعد محمد عليه الصلاة والسلام، ولا رسالة بعد رسالته، ولانسخ لشريعته، ولا انقضاء لدوره، وهو القائل ﷺ: لو كان موسى حياً لما وسعه إلا اتباعي» (٤٨).

كما أنه لا غناء لأحد عن العمل مهما بلغ شأنه ومكانه، وعلت مكانته، وارتفعت منزلته ورتبته حسب تعليمه وإرشاده: «يا فاطمة بنت محمد، اعلمي، اعلمي فاني لا أغني عنك من الله شيئاً، ويا صفية عمة رسول الله، سليني من مالي ما شئت، اعلمي، اعلمي فإني لا أغني عنك من الله شيئاً» (٤٩).

وهو صلوات الله وسلامه عليه مع كونه سيد الخلق وإمام الأنبياء والمرسلين كان قائم الليل وصائم النهار، عابداً لله خاشعاً، ذاكرةً لله آناء الليل وآناء النهار، ساجداً متخشعاً، وكان يطيل القيام في جناب الله في الليالي حتى أنزل الله أمره في كتابه شفقة عليه: يا أيها المزمّل قم الليل إلا

(٤٨). مشكاة المصابيح.

(٤٩). أيضاً.

قليلاً، نصفه أو انقص منه قليلاً، أوزد عليه ورتل القرآن ترتيلاً. إنا سنلقي عليك قولاً ثقیلاً. إن ناشئة الليل هي أشد وطأً وأقوم قبلاً. إن لك في النهار سبحاً طويلاً» (٥٠).

كما كان يطيل سجوده وقعوده إلى أن ورمت قدماه فداه أبواي وروحي، وكان يبكي في صلواته ودعائه وفي خلواته في بطون الليالي والناس نيام، ينادي ربه ويناديه، ويسمع الصوت منه كأنه صوت القدر (٥١).

والذي جعل الصلاة حداً بين الكفر والاسلام، والزكاة والحج والصوم كلاً منها ركناً من أركان الاسلام، وعموداً من أعمدته، الذي بني الاسلام عليها، ولا إسلام بترك واحد من هذه الدعائم.

نعم، فلننظر ماذا ينكره الاسماعيليون من تلك الأمور الثلاثة التي ذكرناها عن رسالة محمد بن اسماعيل، أو انقضاء الشريعة التي جاء بها محمد ﷺ، أو ارتفاع التكليف الشرعية، والاكتفاء بالعلم والباطن؟.

ونحن قد أثبتنا كل هذه الأمور من كتب الاسماعيلية أنفسهم بأنهم يؤمنون بهذه الأمور الثلاثة ويعتقدونها، بذكر العبارات والصفحات والمجلدات.

وإضافة إلى ما ذكرناه نورد بعض النصوص الأخرى حول هذه الأمور الثلاثة من أهم الكتب الاسماعيلية السرية زيادة للعلم والمعرفة والبصيرة لمن أراد أن يتعلم ويتعرف ويتبصر.

وأما الذين أشربوا في قلوبهم العجل فأمرهم إلى الله، الذي نهى في محكم كتابه نبيه وصفيه محمداً ﷺ أن يكون للخائنين خصيماً بقوله: «... ولا تكن للخائنين خصيماً * واستغفر الله...» (٥٢).

(٥٠) سورة المزمل الآية ١ إلى ٧.

(٥١) الحديث.

(٥٢) سورة النساء الآية ١٠٥.

يقول داعي الدعاة الاسماعيلي القديم جعفر بن منصور اليماني الذي يعدّ أحد المؤسسين للديانة الاسماعيلية، والواضعين لها الأصول والأسس يقول في كتابه الباطني الكبير مبيّناً معنى البيوت في قول الله عز وجل (في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال) يقول:

فمن زعم أن الله بيوتاً غير هذه البيوت التي بينت الشرائع، وأظهرت الودائع، وبانت بالمعجزات، وعلت بالصفات، وقال: أنه يقع التغيير والزوال كان ممن ألد في آيات الله جلّ وعلا، ودعا إلى غير شرائعه وأبلس من رحمته، بل هي البيوت المؤذنون بالشرائع في كل عصر وزمان الذين هم رفع الله جلّ وعلا أمرهم باتباعهم فبهدهم اقتده، وجعلهم قدوة، وأمر بالافتداء بهم، وطلب الهداية من عندهم، بيان هذا أن هذه البيوت إنما هي النطقاء الذين ينطقون بالتنزيل والشرائع.

«فهم آدم، ونوح، وإبراهيم، وموسى، ومحمد وهو أحمد، ومحمد المهدي الناطق السابع صلوات الله عليهم أجمعين، فهم بيوت وحي الله تبارك وتعالى إلى كل واحد منهم في عصره بحكم الله وأمره» (٥٣).

ثم بين هذا الداعي منزلة هذه البيوت ومكانتها، كما يوضح أن في البيوت السبعة هذه بيتاً أعظم وأكبر من البيوت كلها، فمن هو يا ترى؟ يقول بكل صراحة ووقاحة:

«فكل قائم في عصره هو اسم الله الذي يدعي به في ذلك العصر كما قال الله عز وجل: والله الأسماء الحسنى فادعوه بها... ليعلم عباده أنه لا يقبل عبادتهم إلا من وجه واحد يختاره دون الوجوه، وحد يختاره دون الحدود، وموضع يختاره دون المواضع، وسبيل يختاره دون السبل، واضطرهم إلى هاد يهديهم، ورسول إليه يدعوهم ويعرفهم أن ذلك الذي يهديهم لا يكون إلا واحداً، ولا يقبل العبادة إلا به، ولا يقبل اختيارهم

(٥٣) «كتاب الكشف» لجعفر بن منصور اليماني ص ١٠٤ نشر شروطين ط دار الفكر العربي - القاهرة.

لأنفسهم دون اختيار الله لهم من يصطفيه ويختاره، فدين الله عز وجل متصل من آدم ﷺ على أيدي النطقاء والأئمة صلوات الله عليهم حتى يكمل الله دينه وأمره بالناطق السابع المهدي صلوات الله عليه - وأكثر من ذلك؟ نعم أكثر وأشنع - فهو الذي إليه دعت الدعاة وإلى معرفته نذبت الرسل عليه الصلاة والسلام، وبشريعته تمت الشرائع، وهو صاحب إظهار الأمر كله، وعلى يديه يختم، وبه عبد الله عز وجل من عبد، وبأذانه طالب الله العباد . . . فهو أذان لقول الله عز وجل: وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر: يريد الأكبر أنه لا شيء أكبر منه ولا مثله فيدانيه، وهو أكبر البيوت، وأعظم البيوت، وأعظم الحجب، ونهايتها، وهو ظهور حجاب الله الأعظم» (٥٤).

فهل هناك كفر بعد هذا الكفر؟

« وخروج عن الاسلام الاسلام بعد هذا الخروج؟

وجرأة على تكذيب الله عز وجل، وتكذيب كلامه المحكم، والاستهزاء بآيات الله البينات؟

والتحريف في كلمات الله المحكمات؟ الذي يقصر عنه تحريف اليهود المغضوبين عليهم المذمومين في كتاب الله عز وجل بقوله جل وعلا: «يحرفون الكلم عن مواضعه» (٥٥).

وهل هناك صراحة فوق هذه الصراحة، وبيان فوق هذا البيان بأن الدين لم يكمل بدين الاسلام؟

وأمر الله لم يتم بخاتم النبيين وسيد المرسلين؟

وشرائع الله لم تتم بالشرعة التي جاء بها الصادق الأمين؟

(٥٤) انظر «كتاب الكشف» ص ١٠٩، ١١٠.

(٥٥) سورة المائدة الآية ١٣.

ووعده الله لم يصدق فيه بأنه أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله؟

ووحى الله لم ينقطع به ولم يختتم؟

بل هناك أعظم منه وأكبر وأجل وأفضل، «يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون»^(٥٦).

هذا وكتابه (كتاب الكشف) هذا كله، وكتبه الأخرى السرية الباطنية - وجميع كتبه في الباطن - مليئة من مثل هذه التصريحات والبيانات مثل: «الناطق السابع هو صاحب الظهور، وكشف المستور، وخاتم الأعصار والأزمنة والدهور»^(٥٧).

وهو: الأول والآخر، وهو الظاهر على جميع أنبيائه ودعاته ورسله، وهو الباطن الذي بطن الأشياء فلا تدرك إلا من عنده، وهو بكل شيء عليم»^(٥٨).

وقال تحت قول الله عز وجل: (هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم): «الرسول الناطق الذي يكون بعد محمد هو المهدي الذي أشار إليه محمد»^(٥٩).

وقال:

«سابع النطقاء هو متمم دور المصطفى»^(٦٠).

وأيضاً: إن أول الأدوار دور آدم . . . والدور السادس دور محمد . . .

(٥٦) سورة التوبة الآية ٣٠.

(٥٧) انظر ص ١١٤ من «كتاب الكشف».

(٥٨) أيضاً ص ١٣٨.

(٥٩) أيضاً ص ١٦٨.

(٦٠) «كتاب الفترات والقرانات» ص ٣ نسخة خطية.

والدور السابع دور القائم محمد بن اسماعيل الذي تحتتم به الدنيا، وتفتح الآخرة» (٦١).

ويقول أبوه أو جدّه - على اختلاف في الأقوال - ابن حوشب الملقب بمنصور اليمن: «وأما بنعمة ربّك فحدّث، والنعمة الرسول، فذلك اسمه في الباطن حيث كانت في كتاب الله كما قال الله لنبيه محمد ﷺ وأما بنعمة ربّك فحدّث، يعني بالرسول الناطق الذي بعدك من ولدك» (٦٢).

ويمثّل ذلك يقول داعي الدعاة الاسماعيلي عليّ بن حنظلة المتوفى سنة ٦٢٦ هـ في نظمه بعد ذكر النطقاء الستة:

«الناطق السابع روح العالم وصفوة المجموع منذ آدم
غاية فعل عالم الطبائع وغرض الباري القدير الصانع
من أجله حرّكت الأفلاك وأجريت في ضمنها الأملاك
على يديه الفوز والحساب لأهله والخسر والعقاب» (٦٣).

وقال الداعي الاسماعيلي الأجلّ الذي قلّمًا يضاهيه أحد من الاسماعيلية في كتاباته الفلسفية أحمد حميد الدين الكرمانى في رسالته (أسبوع دور الست):

فلله الحجة البالغة على خلقه . . . واصطفى بتبليغ حكمته وإبلاغ
عرشه وهو على عرش التنزيه صفوة من الأمم، ساهم المرسلين وهم
المبشرون والمنذرون والمهدون، فكانت أولاً شريعة آدم صاحب يوم الأحد
. . . ثم أعقبه النور . . . ثم نسخ شريعة إبراهيم صاحب يوم الثلاثاء
المتوّج بالبقاء ثالث النطقاء . . . ثم انبثق النور الرابع . . . وهو موسى
صاحب يوم الأربعاء . . . ثم ظهر جوهر الأب المتعالى من صفات البريّة
بظهور الأب الأقدس المسيح النفيس صاحب يوم الخميس . . . ثم ظهر

(٦١) كتاب «الأدلة والشواهد» نسخة خطية.

(٦٢) «كتاب الرشده والهداية» من كتاب أيوانوف (COLECTENA) ط الجمعية الاسماعيلية
بريل - ليدن - هولندا.

(٦٣) «سمط الحقائق» لعلي بن حنظلة ص ٤١، ٤٢ ط المعهد الفرنسي - دمشق ١٩٥٣ م.

الأمر الإلهي ، والفيض المحمدي ذو العلا والرفعة صاحب يوم الجمعة محمد ... أتى أمر الله فلا تستعجلوه سبحانه وتعالى عما يشركون وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً.

واستقرّ الوقت لصاحب يوم السبت القائم في الأرض مقام العقل في عالمه، محطّ رجال حملة النور، في سالف الدهور، ومقصد الراحة، وعنده تكون الاستراحة، ذو الكلمة المصونة، والجوهرة المكنونة، التي أنارت الكواكب، فمن أنوارها انتثرت، وغارت في البحار.

هل ينظرون إلّا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربّك أو يأتي بعض آيات ربّك يوم يأتي بعض آيات ربّك لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً قل انتظروا إنا منتظرون.

سيأتي إلى الناس في حقبة يبلغ فيها معاني الحكم وعنه غداً تظهر المعجزات ويظهر من أمره ما كنتم وتملأ له الأرض عدلاً كما ملئت من قبل جوراً وظلم وينجز وعد الإله القدير بديع السماء وباري النسم^(٦٤).

ويقول: الداعي الاسماعيلّي الآخر حاتم بن عمران وهو يبين الأيام ومدلولاتها فيقول:

«فأولها يوم الأحد وهو الابتداء، وله من النطقاء آدم الذي هو المبعوث الأول. وثانيها يوم الاثنين وهو يدل على نوح الناطق الثاني. وثالثها يوم الثلاثاء وهو يدل على إبراهيم الناطق الثالث. ورابعها الأربعاء وهو يدل على موسى الناطق الرابع. وخامسها يوم الخميس وهو يدل على عيسى الناطق الخامس. وسادسها يوم الجمعة وهو يدل على محمد الناطق السادس، وأما السبت فهو دليل على القائم الذي هو سابع أيام الأسبوع»^(٦٥).

(٦٤) «رسالة دور أسبوع السترة للكرماني ص ٤٢ وما بعد من (أربع رسائل اسماعيلية) ط دار مكتبة الحياة لبنان - ١٩٧٨ م.

(٦٥) «الأصول والأحكام» ص ٢١٦ من (خمس رسائل اسماعيلية).

ويقول النعمان القاضي :

«إن كل ناطق يبشر بالناطق الذي يأتي من بعده وينذر قومه من أئمة دوره، وكذلك عيسى عليه السلام وأئمة دوره بشروا برسول الله محمد ﷺ، وذلك فيما يقرأه أهل التوراة والانجيل في توراتهم وأناجيلهم على ما قرأوا به بعد أن حرقوا وغيروا كما قال الله عز وجل، وكذلك بشر محمد بالقائم من بعده صلوات الله عليهما، وبالمهدي من قبله وأنذر من التكذيب به وإنكاره، ومن ذلك قوله تعالى : إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً» (٦٦).

وقال أيضاً في كتابه الآخر :

«إن القائم صلوات الله عليه هو متمم النطقاء» (٦٧).

وقال :

«إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم» فجعل صفوة الصفوة من العالمين النطقاء السبعة، هم : آدم، ونوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد، والقائم صلوات الله عليهم، وجعلهم أصحاب شرائع وأحكام وحلال وحرام» (٦٨).

ويقول الداعي محمد بن سعد تحت قول الله عز وجل : حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة :

يعني بذلك الناطق السابع صاحب الكشف القائم في هذا الوجه إذا بلغ أشده واكمل أمره أتى إليه الجميع عندما يظهر بالقوة والفعل معاً» (٦٩).

(٦٦) «أساس التأويل» للنعمان المتوفي ٣٦٣ هـ ص ٣١٨، ٣١٩.

(٦٧) «الرسالة المذهبية» للنعمان ص ٥٦ من (خمس رسائل اسماعيلية).

(٦٨) «أساس التأويل» للنعمان القاضي.

(٦٩) «الكافية» لمحمد بن يعقوب بن داود الرفعة ص ٢٩ من (ثلاث رسائل اسماعيلية) ط دار الأفاق الجديدة بيروت.

وقال قيس بن منصور:

«والقائم هو المتمم للجميع والقاضي لديون آبائه: (٧٠).

فهذا هو الناطق السابع، حكمه حكم النطقاء الستة الآخرين الذين سبقوه، وشأنه شأنهم أصحاب النبوءات والرسالات، بل هو يفضلهم ويحوز على مقام وشرف لم يفز به الأولون، ولم يحزه السابقون كما صرح بذلك القوم ونقلنا عنهم بالعبارات الصريحة، والنصوص الظاهرة المكشوفة، الآن، وفي بداية الكلام.

وإثبات هذا وحده كاف لإخراج القوم من الطوائف الاسلامية، وحتى الضالة المنحرفة، لأن كل من يعتقد بنبوة أحد بعد نبوة محمد ﷺ فهو كافر بالاتفاق، لاخلاف في ذلك بين علماء الاسلام وفقهاء المسلمين، وقد نقل القاضي عياض الاجماع على ذلك كما قال:

«من ادعى نبوة أحد مع نبينا ﷺ أو بعده كاليسوية من اليهود القائلين بتخصيص رسالته إلى العرب، وكالخرمية القائلين بتواتر الرسل، فهؤلاء كلهم كفار مكذبون للنبي ﷺ لأنه أخبر أنه ﷺ خاتم النبيين لا نبي بعده، وأخبر الله عنه أنه خاتم النبيين، وأنه أرسل إلى الناس كافة، وأجمعت الأمة على حمل هذا الكلام على ظاهره، وأن مفهومه المراد دون تأويل وتخصيص، فلا شك في كفر هؤلاء قطعاً وإجماعاً وسمعاً» (٧١).

وأما معتقد الاسماعيلية بانقضاء دور محمد صلوات الله وسلامه عليه، ونسخ شريعته بعده بمجيء القائم أوردنا فيه أيضاً النصوص الصريحة، والعبارات الناطقة، والتصريحات القاطعة في الموضوع من أهم كتب الاسماعيلية.

(٧٠) «رسالة الأسابيع» ص ٦٤ من (خمس رسائل اسماعيلية)، أيضاً «شجرة اليقين» للداعي عبدان ص ٩٠.

(٧١) كتاب «الشفاء» للقاضي عياض.

ونضيف إليها بعض العبارات الأخرى إكمالاً للبحث، وتتمياً للفائدة
كي يعلم أن هذا الأمر موضع اتفاق لدى القوم كافة ولو لم يتظاهروا به في
كتب الظاهر مع عدم استحقاق أحد ممن ينتسب إلى الاسماعيلية أن يردّ كلام
إمامه المعصوم، وقد ورد من أئمتهم والدعاة المطلقين الذين هم كالمعصومين
صراح بأن شريعة محمد ﷺ عطلت، ونسخت بمحمد بن اسماعيل:
وها هي بعض النصوص الأخرى:

يقول الاسماعيلي المعاصر عارف تامر وهو ينقل مذهب أخوان الصفاء
تحت قول الله عز وجل: (يوم نظوي السماء كطيّ السجل للكتب كما بدأنا
أول خلق نعيده وعدا علينا إنا كنا فاعلين):

«ففي التأويل الاسماعيلي أن السماء هي الشريعة العائدة للناطق،
وتأويل الآية أنه عند ظهور القوائم السابع المنتظر ستطوي جميع الشرائع
وعدهم عدد السموات أي ست شرائع، وهي لآدم ونوح وإبراهيم وموسى
وعيسى ومحمد كما يطوي السجل، ويضيف إليهم الشريعة السابعة التي
تلغي جميع ما قبلها، وعندئذ يبدأ عهد جديد» (٧٢).

وقال إخوان الصفاء أيضاً:

«إذا كان وقت قيام القوائم السابع بالأمر الجديد لا ينفع نفساً إيمانها لم
تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً، والخير هو المعرفة به قبل
قيامه» (٧٣).

ويقول الداعي أبو يعقوب إسحاق السجستاني:

«إذا ظهر القوائم سلام الله عليه، وانقاد الخلق له، وقهرهم بالقوة
المنونة عليه فقد انقطع طمع المخترعين عن إضافة المراتب إلى أنفسهم

(٧٢) انظر «جامعة الجامعة» لأخوان الصفاء ص ٥٨ المقدمة لعارف تامر ط مكتبة الحياة
بيروت.

(٧٣) «جامعة الجامعة» لأخوان الصفاء ص ١٣٨.

وإدعوا ما ليس من شأنهم إذ الرئاسة إنما تكون لمن قدرها الله له وهو القائم
سلام الله على ذكره، ويجب أيضاً رفع هذه الشريعة» (٧٤).

ويقول جعفر بن منصور اليماني:

«إذا ظهر السابع وجب عليهم طاعته وترك الأمر الأول الذي قامت
الشريعة به» (٧٥).

وأيضاً: وإن السابع هو القائم بتبديل الشريعة لمن عرف ذلك
وعقل (٧٦).

ويقول النعمان القاضي:

«وسألت عن اتخاذ موسى السبت عيداً، وعيسى الأحد، ومحمد الجمعة
وكل هؤلاء صلوات الله عليهم أشاروا إلى القائم عليه السلام لأنهم أرادوا
الحكمة مستورة وقد أشاروا بها رمزاً إلى من أشرقت به المنازل، فأشار موسى
عليه السلام إليه لأنه سابع الأيام، وأشار عيسى إلى الأحد لأنه رجع إلى
محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وعرف أن له المنزلة وفي دوره تتم منزلة
عيسى، وأشار محمد إلى الجمعة لأن حده اشتمل على حدود من تقدمه،
فالجمعة للقائم لأنه نسخ جميع الشرائع . . . واعلم أن القمر مثل على القائم
ما دام للمثاني سبعة بأزاء سبعة. وقد ظهرت علة الخلق ووقعت محنة الكسوف
وغيبه الهلال أيضاً للثمانية وعشرين وبمقدار غيبته واستتاره الليلتين ويومين
ثمانٍ وأربعين ساعة. فهذه هي عدد الحدود التي بين الناطق والقائم، وهي
القيامة الكبرى، فإذا تمت ظهرت الآيات وانكشفت المستورات، وفطر
المؤمنون من صياهم» (٧٧).

(٧٤) «إثبات النبوءات» المقالة الخامسة ص ١٧٩.

(٧٥) «سرائر النطقاء» لجعفر بن منصور اليماني ص ١٠٧ نسخة خطية.

(٧٦) أيضاً ص ٩٥.

(٧٧) «الرسالة المذهبية» للقاضي النعمان ص ٧٠ و ٧١ من (خمس رسائل اسماعيلية).

وقال «الداعي الاسماعيلي الأجل، أحمد حميد الدين الكرمانى فى كتابه الباطنى الكبير وهو يذكر انقضاء دور محمد صلوات الله وسلامه عليه بابتداء دور القائم، فيقول بأسلوبه الباطنى المعقد الخاص به تحت قول الله عز وجل:

«وإذ أسر النبى إلى بعض أزواجه حديثاً، إلى قوله: والملائكة بعد ذلك ظهير، فخشي أن يظهر النبى منعاً عن اتباعه وقبول قوله اعتباراً بما كان يفعله النبى صلى الله عليه وسلم وآله فى الملة من الأمر بالشىء والنهى عن ضده جميعاً فيفتضح بعد أن كان قد بشر قومه وعشيرته أنه هو المقدم من دون غيره، فتمنى أنه لو ترك أمره على مطاويه لما حرم تلك الرتبة ولم يؤهل لها، فسأل النبى الإنظار فيما وعد به من قبل، مما كان أحد الذنوب المغتفرة للنبى ليكون له ذكراً إلى يوم القيامة عوضاً عما حرم من رتبة الوزارة فلا يضيع سعيه وخدمته وذلك قوله تعالى: «إلى يوم يبعثون» فعلم النبى صلى الله عليه وآله أن الذى قدر سيكون، ولن يكون إلا ما جرى به القلم الذى توجبه الحكمة، وأن انتهاء أمر القائمى فى الأمر بعده للأمر والأخبار من الله إلى الوقت المعلوم فيه أن تكون النفس الزكية، وهو تمام الدور، ففعل أو لم يفعل فلا بد من قيام القائمى ووقوع الخلاف والإختلاف بعده بقلة مساعدة الزمان، وأعلمه أن ذكره يبقى إلى يوم الوقت المعلوم حتى يكون إلى أيام ظهور القائم عليه السلام، فيوم لفظة غير معرفة هو على الخاتم للدور الكبير السادس وكأنه يقول: أيامك أيام أتباعك فى عقد الرياسة والمخالفة ممتدة إلى يوم الحد الأول من الدور السابع الذى هو الوقت المعلوم فى استفاضة التأيد فى الحدود، وتعليم الأمور، كالبحران الذى هو الوقت المعلوم فى ظهور قوة نفس العليل وفعلها وتغييرها أمره، وعلى رأسه تظهر القوة فيؤثر كل قائم منهم بالأمر تأثيراً يظهر مناره ويبقى فى الناس آثاره بسطاً لمعالم الشريعة وأعلامها وتمييزاً لكلمة التوحيد وأحكامها، وطياً عن القلوب ذكر الأبالة المضلين ومذاهبهم وسننهم إلى دونها كما طووا ذكر أولياء الله القائمى مقامه عن قلوب الأمة على طول المدة والأيام، وقلة مساعدة الزمان لأولياء الله تعالى على الثبات فضلاً عن التغيير والإلزام.

وهو اليوم الذي وعد الله تعالى به بقوله: «يوم نظوي السماء كطي السجل للكتب» يقول: إن ذلك الحد الذي هو من أيام الله تعالى لا كما قال: «وذكرهم بأيام الله» الذي يرد الأمور إلى قوانينها الأولى في أيام الناطق، ويطوي ذكر أئمة الضلال الذين هم كالسما العالية على ما دونها كما طووا ذكر أئمة الحق من قلوب الأمة بالغلبة واليد. وقال تعالى: «يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين» إلى قوله: «هباء منثوراً» «يوم يرون الملائكة» إشارة إلى ما يكون في الدور السابع، يقول: إن الملائكة الذين هم أصحاب الدعوة الذين هم كالملائكة في الآخرة القائمين بالعبادتين يوبخون المقصرين والتاركين أمر الله تعالى على تعلقهم من أديانهم بما تعلقوا به فيمنعونهم عن أن يكونوا من أهل الجنة المستجيبين إلى إقامة الطاعات «ويقولون حجراً محجوراً» يقول: إنهم: يعلمونهم أنه محذور عليهم بإغلاقهم باب التوبة من أن يكونوا من المؤمنين» (٧٨).

ويقول الداعي الاسماعيلي: «إن الدور الصغير السابع يعني به الأسبوع الذي يلي دور القائم عليه السلام، وبه يتم دور النبي صلى الله عليه وعلى آله الذي هو الدور الكبير السادس» (٧٩).

ويقول الداعي الاسماعيلي طاهر بن ابراهيم الحارثي:

«ولما كان مولانا محمد بن اسماعيل قائماً بالقوة وجب تجديد الشريعة والالتزام بها إلى الوقت المعلوم والأجل المحدود» (٨٠).

ويقول الكرمانى وهو يوضح بأن العاشر من الناطق يكون ناطقاً أيضاً، ويأتي بشريعة جديدة، كما أن الناطق لا يكون إلا صاحب شريعة وأمر جديد خلاف الأول كما يصرح:

(٧٨) «راحة العقل» للكرمانى ص ٥٨٠، ٥٨١، ٥٨٢.

(٧٩) «مسائل مجموعة من الحقائق العالية» ص ١٠٠ من (أربعة كتب اسماعيلية) ط المجمع العلمي غونتيغن.

(٨٠) «الأنوار اللطيفة» الباب الثالث الفصل الخامس ص ١٧٦.

«إن الموجود في الدور من الحدود عشرة أولها الناطق والوصي وسبعة من الأتماء الذين يتمون الأدوار الصغار، والعاشر هو الذي يقوم مقام الناطق في دوره، ثم يظهر بأمر جديد في دور جديد»^(٨١).

ويكتب المصحح الاسماعيلي تحت هذا:

«الدور الصغير يعني الفترة التي تقع بين كل ناطق وناطق فيها سبعة أئمة. أما الدور الكبير فيبتدىء من عهد آدم إلى ظهور القائم المنتظر الذي يسمى دوره بالدور السابع ويكون بنفس الوقت متماً لعدد النطقاء الستة. والدور يتألف من إمام مقيم وناطق وأساس له وسبعة أئمة يكون سابعهم متم الدور»^(٨٢).

ونذكر أخيراً ما قاله أحد بناء هذه الديانة وهو الداعي الاسماعيلي ابن حوشب الذي أرسل إلى اليمن وفتحها، وسمي بمنصور اليمن، ومن ولده جعفر المشهور، يقول هذا ابن حوشب:

«وفي سور القرآن دلالة أيضاً وذلك أنّ بين كل ناطق وناطق سبعة متمين.

وكذلك القرآن، فأول السور دلالة على محمد لأنه الناطق بها، ثم بعدها سبع سور، وبعد السبع ذكر محمد، وكذلك بعد كل سبع إلى آخر القرآن، فالسبع من السور تدلّ بعددها على تمام السبعة المتمين بين الناطقين.

ويدل بما فيها على سابع النطقاء، الذي يأتي بفرض من الله سبحانه وأمر حادث يدلّ على الناطق الذي بعد محمد»^(٨٣).

(٨١) «راحة العقل» للكرماني ص ٢٤٢.

(٨٢) أيضاً.

(٨٣) «كتاب الرشيد والهداية» لابن حوشب الملقب بمنصور اليمن في آخر كتاب (COLLECTANEA) لأيوأوف ط ليدن.

ويقول أيضاً في هذا الكتاب :

«فإذا حسبت التي فيها ذكر محمد ﷺ فهي دلالة النطقاء وهي أربع عشرة سورة، فسور النطقاء التي هي لهم مفردة تدل عليهم، وسور المتمين تدل عليهم بتمام السبعة، وفيها ذكر سابع النطقاء، ففيها دالتان يدل ذلك على أن لكل ناطق شريعة لم يشرعها من قبله، وأن كل مُتمِّم إنما يتم شريعة ناطق قبله» (٨٤).

وهذه العبارة نص في الموضوع.

فهذا هو الأمر الثاني أي انقضاء دور محمد ﷺ ونسخ شريعته، وقد أضفنا إلى النصوص والعبارات التي أوردناها أولاً نصوصاً وعبارات أخرى.

فيقول جعفر بن منصور اليمن :

«القائم لا شريعة له، بل هو يزيل الشرائع وينسخها بإقامة التأويل المحض» (٨٥).

ويقول :

«وفي عصر القائم يظهر التأويل محضاً، والإمام الذي قبله يقوم بظاهر الشريعة وباطنها لم يكن عمل قبل آدم، كما لا يكون عمل بعد القائم» (٨٦).

ويقول معاصره النعمان القاضي :

«إن الصلوات عديدة، فالأول الصلوات الخمس . . . والثاني صلاة الكسوف . . . والثالث صلاة العليل والغريان . . . والرابع صلاة الخوف . . . والخامس صلاة الاستسقاء . . . والسادس صلاة الجنائز . . . والسابع الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فأمثال الستة الأضراب من

(٨٤) أيضاً ص ٩٧.

(٨٥) «تأويل الزكاة» لجعفر بن منصور اليمن ص ٣١ نسخة خطية.

(٨٦) «تأويل سورة النساء» لجعفر بن منصور اليمن ص ٦٠ - نسخة خطية.

الصلاة أمثال لدعوة الستة النطقاء كما ذكرنا أن مثل الصلاة مثل الدعوة ضروبها مختلفة المعاني وكلها فيها أعمال .

كذلك دعوة كل ناطق من النطقاء الستة الذين قدّمنا ذكرهم، وهم : آدم ونوح وإبراهيم وموسى عيسى عليهم الصلاة والسلام ومحمد ﷺ كلها مأمور فيها بالعمل والشرائع والأعمال فيها مختلفة كما قال تعالى : (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً) ، والصلاة السابعة التي هي الصلاة على النبي ﷺ وهي قول بلا عمل مثل لدعوة آخر الأئمة وخاتمهم ، وهو صاحب عصر القيامة لأنه إذا قام رفع العمل وقامت القيامة » (٨٧) .

وهل هناك احتياج للإيضاح أكثر، وهل بعد هذا شك لشاك، وريب لمرتاب بأن الاسماعيلية يقولون برفع التكاليف؟

ونحن لا نورد العبارات ، ولا نتعب أنفسنا إلاّ توفيراً على الباحثين من المعاناة التي قاسيناها في إخراج الأدلة الواضحة والشواهد القاطعة والبراهين الساطعة من بطون الكتب بعد قراءتها كلمة كلمة، ولفظاً لفظاً، وحرفاً حرفاً، وقطعاً على من يتعلل بأن القائل بمثل هذه المقولات الأحاد من القوم .

فيقول الداعي أبو يعقوب السجستاني في كتابه (النصرة) :

«أما القائم عليه السلام فإنه يرفع الشرائع» (٨٨) .

ويقول الداعي أبو فراس شهاب الدين وهو يذكر النطقاء السبعة :

«فآدم صاحب التطوع، ونوح صاحب التطوع والشرعة، وإبراهيم صاحب التطوع والشرعة والمناهي، وموسى صاحب التطوع والشرعة والمناهي والحدود التي هي عقوبات الدنيا، وعيسى صاحب التطوع والشرعة والمناهي والحدود والتقية والمعرفة وعقوبات الدنيا والآخرة، ومحمد صاحب

(٨٧) «تأويل» الدعائم» للنعمان القاضي ج ١ ص ١٨٢ ط دار المعارف مصر .

(٨٨) «كتاب النصر» للسجستاني نقلاً عن «كتاب الرياض» للكرماني ص ٢٠١ ط دار الثقافة بيروت .

التطوع والشرعة والمناهي والحدود والتقية والمعرفة وعقوبات الدنيا والآخرة جميعاً.

وأما القائم سلام الله على ذكره فهو صاحب التأويل الذي هو مجمع جميع شرائع النطقاء وأعمالهم، وهورب يوم الكشف^(٨٩).

ويقول الداعي الاسماعيلي محمد بن علي الصوري في منظومته في العقائد:

ثم يقوم الولد النفس والسيد المؤيد الرئيس
ذاك الإمام قائم القيامة لا شك في ذاك ولا ملامة
ويقتل الخنزير كلب الروم وليس بغداد حليف اللوم
إلى أن يقول:

ويرجع الدين بالعلم المحض والدين في الحس كفصن غض
ويبطل التركيب والتكليف حين يجيء الرب والصفوف^(٩٠)

وقبل أن نسرّد نصوصاً أخيرة من الإمام الاسماعيلي المعصوم السابع الثاني المعز لدين الله نريد أن نذكر ههنا أن الاسماعيلية لا يقولون برفع التكليف بعد الناطق فحسب، بل يقولون برفعها قبل قيام الناطق السابع والقائم للخاصة، فيقول طاهر بن ابراهيم الحارثي:

«أهل الولاء المتعلقون بشيء من العلوم الدينية والحكم الإلهية التاركون للعبادة الظاهرة، الممتدة أيديهم إلى شيء مما حظرت الشريعة فيكون ولاؤهم وما علموه من علم، غير ضائعين»^(٩١).

(٨٩) «كتاب الإيضاح» للداعي الاسماعيلي شهاب الدين أبي فراس ص ٨ ط المطبعة الكاثوليكية ١٩٦٤م. أيضاً «شجرة اليقين» للداعي عبدان ص ١٢ ط دار الأفق الجديدة - بيروت.

(٩٠) أنظر «القصيدة الصورية» لمحمد بن علي الصوري ص ٧٠ ط المعهد الفرنسي للدراسات العربية - دمشق ١٩٥٥م.

(٩١) «الأنوار اللطيفة» للحارثي الباني ص ١٣٣.

ويقول بعدما يذكر أن للإمام ستا وعشرين حجة:

«فهم اثنا عشر حجج الليل واثنا عشر حجج النهار، والباب، والحجة . . . وهذه الحجج الذين هم حجج الليل، هم أهل الباطن المحض، المرفوع عنهم في أدوار الستر التكاليف الظاهرة لعلو درجاتهم، وهم أفضل الستة والعشرين بعد المقام، والباب السابق عليهم السلام^(٩٢).

ويؤيد هذا ما ذكره المفضل بن عمر الجعفي عن جعفر بن محمد الباقر أنه قال تحت قول الله عز وجل: ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات:

قلت (أي المفضل الجعفي): يا مولاي، هل علينا معرفة هذه الدرجات؟

قال الصادق: نعم، من عرف هذا الباطن فقد سقط عنه عمل الظاهر، وما دام لا يعرف هذه الدرجات، ولا يبلغها بمعرفته، فإذا أبلغها وعرفها منزلة منزلة، ودرجة درجة فهو حينئذ حرّ قد سقطت عنه العبودية، وخرج من حدّ المملوكية إلى حدّ الحرية باشتهاه ومعرفته.

قلت: يا مولاي، فهل ذلك في كتاب الله؟

قال: نعم، أما سمعت قوله تعالى: ﴿وَأَن إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَىٰ﴾.

فإذا عرف الرجل ربه فقد انتهى للمطلوب ولا شيء أبلغ إلى الله من الوجدانية والمعرفة، وإنما وضعت الأصفا والأغلال على المقصرين.

وأما من قد بلغ وعرف هذه الدرجات التي قرأتها لك فقد أعتقه من الرق، ورفعت عنه الأغلال والأصفا وإقامة الظاهر^(٩٣).

وبعد هذا نرجع إلى موضوعنا، وننقل ما قاله الإمام الاسماعيلي المعز لدين الله في هذا الموضوع، وكلام الإمام إمام الكلام، فيقول:

(٩٢) أيضاً الفصل الأول الباب الثاني السراقد الثاني ص ١٠٢.

(٩٣) «كتاب الهفت الشريف» للمفضل الجعفي ص ٤١، ٤٢ تحقيق مصطفى غالب الاسماعيلي ط دار الأندلس الطبعة الثانية ١٩٨٠م.

«التكرار في الأذان مرة بعد مرة مثل على الظاهر والباطن، ودليل على أنها دعوة بعد دعوة قد تقدمت والآخر الذي يكون في القيامة وهو قول لا إله إلا الله مرة دليل على القائم ينسخ بشريعته كل شريعة قد تقدمت، ولا يحدث شريعة، وإنما يأتي بباطن الشرائع والصحف محضاً مجرداً» (٩٤).

وأيضاً:

سئل الإمام المعز عن القائم على ذكره السلام وهو يبطل الشرائع كلها وكيفية سيرته في الدين والشريعة؟

فقال: يأتي بالتأويل المجرد فيتأول جميع صحف الأنبياء، ويأتي تأويل شرائعهم مجرداً كما قال (يوم يكشف عن ساق) والساق هي الحقيقة التي قام الظاهر بها، وبها قامت الدعوة الظاهرة، إن القائم بالتأويل المجرد يرفض ظاهر العمل ولا يرفض العقلية، قالوا: زدنا شرحاً لهذه الإشارات، فقال: الرموزات (٩٥).

وأيضاً:

سئل الإمام المعز عن قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ﴾؟ فقال: «هو دور القائم على ذكره السلام، تسقط فيه الحدود والمراتب» (٩٦).

وهذا آخر ما أردنا اثباته في هذا الباب.

وقد ثبت من هذه النصوص والتصريحات والعبارات الواضحات أن الاسماعيلية يعتقدون بالأمور الثلاثة كلها، الأمور التي كل واحد منها موجب للكفر، ومخرج للإنسان عن الملة الإسلامية الحنيفية البيضاء، أعني:

- ١ - الاعتقاد بإتيان رسول بعد خاتم الأنبياء سيد المرسلين.
- ٢ - وانقضاء دوره، ونسخ شريعته بشريعة أخرى.
- ٣ - ورفع التكاليف الشرعية، والاكتفاء بالباطن المحض.

(٩٤) «تأويل الشريعة» من كلام الإمام المعز ص ٥ - نسخة خطية.

(٩٥) أيضاً ص ٤٨.

(٩٦) «تأويل الشريعة» ص ١٨٥ - نسخة خطية.

فكيف وقد تجتمع هذه الأمور الثلاثة كلها في طائفة واحدة، وهي تدين وتؤمن بها كلها.

فهل هناك كفر فوق هذا الكفر؟

وهل بعد هذا الاعتقاد خروج على الإسلام ومعتقداته وتعاليمه؟

وكان هذا شائعاً مشهوراً عنهم بين المسلمين من قديم الزمان، ولذلك حكم عليهم علماءهم وفقهاؤهم ومؤرخوهم بالكفر والزندقة، وسموهم الالباحين المعطلين.

ولم يكن انكار علي بن الوليد في كتابه (دامغ الباطل وحف المناضل) على كتاب الإمام الغزالي (فضائح الباطنية) إلا إنكار التقية أو إنكار المجادل المكابر.

كما أن تبرئة الاسماعيلية من قبل الدكتور محمد كامل حسين ومن حذا حذوه عن تعطيل الشريعة ونسخها ليس إلا تبرئة مبنية إما على جهل بالعقائد الاسماعيلية الحقيقية، مثل رميه شيخ الإسلام ابن تيمية بانكار حديث (أول ما خلق الله العقل) مع وروده في البخاري الذي يجعل الإنسان يشك في علمه ومعرفته بعلم الحديث (٩٧).

(٩٧) ذكر الدكتور محمد كامل حسين في مقدمة ديوان المؤيد الشيرازي في هامش صفحة ٩٢ بعد ذكر هذا الحديث (أول ما خلق الله العقل) فقال له: أقبل فأقبل، ثم قال له: أدبر فأدبر، ثم قال: فبعتي وجلالي، ما خلقت خلقاً أجل منك، بك أنيب وبك أعاقب).

فعلق عليه بتعليقة رقم ٣:

«نلاحظ أن هذا الحديث أخرجه البخاري، واعتبر ابن تيمية في كتابه (منهاج السنة) أن هذا الحديث موضوع، بينما نرى ابن سينا أخذ به في رسالته (معرفة النفس)». ثم أعاد نفس الكلام بعد تعديل يسير في مقدمة كتاب (المهمة في آداب اتباع الأئمة) للنعمان القاضي في تعليقة رقم ٢ بعد ذكر هذا الحديث نفسه:

«ورد هذا الحديث في صحيح البخاري، وأنكره عدد من العلماء وعلى رأسهم ابن تيمية الذي وضع رسالة في هذا الحديث» (أنظر مقدمة الكتاب المذكور ص ٢٦) وذكر ذلك كذلك في كتابه (في أدب مصر الفاطمية).

أو أنه هو وأمثاله تجاهلوا عن عمد وقصد لغرض لا يعلمه إلا الله ، أو هم أنفسهم .

ومما يؤيد هذا أن كل من كتب في الفرق ومقالاتهم ، سَمَّوهم معطلين وإباحيين .

كما أن المؤرخين الذين اعتنوا بتاريخ الاسماعيلية ذكروا نفس هذه العقائد الاسماعيلية والمعتقدات الباطنية في كتبهم .

وإن الشريف أخا محسن من ولد محمد بن اسماعيل والمعاصر للاسماعيلية وقت تغلبهم على مصر ، ذكر مثل هذه المعتقدات عن الاسماعيلية ، من كون محمد بن اسماعيل ناطقاً ورسولاً ، ونسخ الشريعة ، ورفع التكليف .

وهذا هو النويري وهو من كبار مؤرخي مصر ومن مصر ، وكذلك المقريزي وهو أيضاً من مصر ، ومن الموالين للاسماعيلية المصريين وغيرهم أوردوا عند ذكر صفة الدعوة الرابعة الاسماعيلية فقالوا :

مع أن الدكتور لا يعرف بأن هذا الحديث لم يورده البخاري ، لا في صحيحه ولا في غيره إطلاقاً . إن يقصد من البخاري الإمام البخاري .

ثانياً : إن علماء الحديث تكلموا في هذا الحديث كثيراً ، وعدّوه في الموضوعات كما هو مبين ومصرح في كتب هذا الفن .

ثالثاً : ما وجه المقارنة في تصحيح الحديث بين ابن تيمية وابن سينا حيث يقول :

«إن ابن تيمية يحكم عليه بالوضع بينما ابن سينا يأخذ به»؟

مع معرفة كل من له أدنى المام بالعلم أن ابن سينا لا علاقة له قريية ولا بعيدة بهذا العلم الشريف ، قطع النظر أن يستدل بأخذه حديثاً وتركه إياه مقابل ابن تيمية شيخ الإسلام ، والبصير المدقق ، والماهر المحقق في هذا العلم الشريف ومثيلاته .

رابعاً : إن هذا الحديث لا شك في كونه موضوعاً كما ذكره شيخ الاسلام ، والملا علي قاري وغيرهما من الكثيرين الكثيرين .

اعلم أنَّ الدعوة الرابعة أن تقرّر عند المدعو بأن عدد الأنبياء الناسخين للشرائع المبدلين لها أصحاب الأدوار وتقليب الأحوال الناطقين على الأمور سبعة بعدد الأئمة سواء، كل واحد منهم له صاحب يأخذ عنه دعوته، ويحفظها على أمته، ويكون معه ظهيراً في حياته وخليفة له من بعد وفاته، إلى أن يؤديها إلى آخر، يكون سبيله معه سبيله هو مع نبيّه الذي هو تابعه، ثم كذلك لكل مستخلف خليفة، إلى أن يمضي منهم على تلك الشريعة سبعة، ويسمّون هؤلاء السبعة الصامتين، لثباتهم على شريعة اقتفوا فيها أثر واحد هو أولهم، ويسمّون صاحب الأول سوسه، وربما عبّروا عنه بغير ذلك.

ثم يزعمون أنه لا بد عند انقضاء هؤلاء السبعة واستنفاد دورهم بشرعهم من استفتاح دور ثانٍ، ينسخ به شرع من قبله، ويكون خلفاؤه بعده يجري أمرهم كأمر من كان قبلهم، ثم يأتي بعدهم ناسخ، ثم اتباع سبعة صمت أبداً إلى أن يأتي السابع، فينسخ لجميع ما قبله، ويكون صاحب الزمان الأخير الناطق.

٨] ثم يرتبون هؤلاء بالتسمية لهم والأوصاف، فيقولون: أوّل هؤلاء النطقاء آدم، وصاحبه وسوسه شِيث، ويقال بابه في موضع سوسه ويسمّون بعده تمام سبعة صمتوا على شريعة آدم، ثم نوح فإنّه ناطق ناسخ وسام سوسه، ثم تمام السبعة، ثم الثالث إبراهيم وسوسه إسماعيل، ثم تمام السبعة، ثم الرابع موسى وسوسه هارون، ثم مات هارون في حياته فصار سوسه يوشع بن نون، ثم تمام السبعة بعده، ثم الخامس المسيح عيسى بن مريم أخذها عن يحيى، وهو أحد السبعة قبله، وهو أقامه ونصبه، ولهم في هذا ما سيأتي ذكره، وسوس المسيح شمعون الصفا، ثم تمام السبعة بعده، ثم السادس محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم، وسوسه علي بن أبي طالب رضي الله عنه ثم ستة ثم السابع قائم الزمان محمد بن إسماعيل بن جعفر، وهو المنتهى إليه علوم من قبله، والقائم بعلم بواطن الأمور وكشفها، وإليه تفسيرها، وإلى أمره أجرى ترتيب سائر من قبله، في أمور سيأتي ذكرها إن شاء الله تعالى.

فهذه درجة أخرى قرّرها الداعي عند المدعو نبوة نبيّ بعد محمد صلى الله عليه وسلم، وسهّل بها النقل عن شريعة، وأخرج بها المدعو إليها عما هو معلوم عند كل سامع لدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم من أنّ من دينه وما علم من مذهبه ونحلته أنّه خاتم الرسل وأنّه لا نبي بعده، وأن دولته مبقاة وشريعته مفترضة أبداً إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فالعلم بذلك من ديانته وما عرف من مذهبه، وأنّ أمته بلغت عنه ذلك وفهمته؛ وأنّ من مفهوم شريعته أنّه لم يكن يجوز لأحد نبوة غيره، في وقته ولا فيما بعده، فكانت هذه الدعوة أوّل ما أخرج الداعي بها المدعو عن شريعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأدخله في جملة الكفار المرتدّين عن شريعته، وهو مع هذا لا يعلم ما خرج منه ولا دخل فيه^(٩٨).

وهذا عين ما ذكرناه من كتب الاسماعيلية أنفسهم وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

(٩٨) أنظر «نهاية الأرب في فنون الأدب» للنويري المتوفي ٧٣٣هـ ج ٢٥ ص ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٧ ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٤م. «الخطط، للمقرئ ص ٣٩٣، ٣٩٤ ط دار صادر - بيروت.

الباب السابع

الاسماعيلية : ماهية الدعوة ونظامها

إن للاسماعيلية نظاماً خاصاً بهم، وللدعوة إلى مذهبهم السري هيئتها الخاصة بها، والمخصوصة بهم، لا يوجد لاحد غيرهم إلا ما ينقل عن الماسونية ومجالسها ما هيئتها ونظامها، أو كما يوجد للنصارى نظام كهنوت ومراتب الدعاة ونظامهم، إلا أن الاسماعيلية في تنظيم الدعوة والدعاة وماهية هذا النظام وهيئته يشبه أكثر ما يشبه بالماسونية، ووجه الشبه الكبير بينهما أن كليهما مذهب سرى يخالف جميع المذاهب الموجودة والقيم الروحية، ويقوم على الانحلال والتحلل والاباحة، واستعمال جميع الوسائل لنيل الأغراض والأهداف، وتشكيك الناس في عقائدهم ومعتقداتهم واستخدام الحيلة والمكر والخداع لادخال الناس في مذهبهم، واستدراجهم في دعوتهم على مراحل ومراتب، وتقسيمهم في طبقات ومنازل، وكذلك محاولة الهدم والتدمير والقضاء على الموجود، وكل هذا لا يحصل إلا بالسر والكتمان والاختفاء الشديد، والنظام المحكم المستحكم والطاعة العمياء، وإعطاء الناطم، والمشف والمدير، والرئيس، صبغة قدسية وانه ما فوق البشر، واتصافه بأوصاف ربانية، وتحليته بحلى ملكوتية وإحاطته بالعصمة والطهارة، مع الهيبة والجلال، وكونه لا يسئل عمل يفعل وهم يسألون.

وعلى ذلك لابد للباحث أن يتعرف على نظام الدعوة الاسماعيلية وماهيئتها لأنه بدون ذلك لا يمكن له أن يعرف عقائد هؤلاء الناس وأفكارهم المنبثقة من هذا النظام، وكذلك مراتب رجالها وشخصياتها ومكانتهم في

المذهب، ومنزلتهم عند الاسماعيليين، وكذلك شان أقوالهم ومَقولاتهم، ومرتبة الاجتجاج والاستناد بها.

وهذا مع أنه لا يمكن لأحد أن يتعرّف على مصطلحات الاسماعيلية الكثيرة دون التعرف على ذلك النظام.

فنظام الدعوة الاسماعيلية مبنيّ على رئيس، هو مدار الدعوة وقطبها وعليه يدور رحي المذهب والديانة، فرئيس الدعوة يكون أحياناً الناطق، وأحياناً الأساس، والوصي، وفي حين آخر صاحب الزمان وهو الامام، وقد ذكرنا أوصاف كل واحد منهم ونعوته، ومقامه ومنزلته. والشروط التي تلزمه فيما سبق في باب العقائد مفصلاً، نعرض عن ذكره ههنا، وتدرج إلى ذكر نظام الدعوة ومن دون هؤلاء ممن يلزمهم، ويحيط بهم، وينوب عنهم ويعينهم على بث الأفكار ودعوة الناس إليها، وإدخالهم في إطاعتهم والردّ على مناوئتهم، والمناظرة مع مخالفهم، كما نذكر ههنا بدء الدعوة حسب المعتقدات الاسماعيلية وتسلسلها وهيئتها ونظامها، فيقول الاسماعيلية: إن المبدع لما أبدع عالم الابداع، وأوجد صوراً كثيرة كانت صورة من تلك الصور المبدعة بمبدعها بدون تعليم معلم وإلهام ملهم، وهي المسمّى بالعقل الأول، والمبدع الأول والقلم، ثم لحقت العقل الأول صورتان أخريان باعتراف المبدع والاقرار به، وسمّيتا بمنبعثين، فأخذ العقل الأول السابق منها باباً له وحجاً وبوساطته بدأت الدعوة إلى توحيد المبدع يخاطب منه من دونه، وهو المسمى بالنفس الكلية، والمنبعث الأول واللوح، والعقل الثاني، وتأخر المنبعث الثاني لعدم اعترافه بسبق الأول، ومن هناك كان بدء الدعوة الاسماعيلية في العالم الروحاني^(١).

(١) ملخص ما ذكره الحسين بن علي بن الوليد في كتابه «رسالة المبدأ والمعاد» ص ١٠٢ وما بعد من «سه رسالة اسماعيلي» نشر هنري كربين ط طهران، انستيتيوت إيران وفرنسا ١٩٦١م، وكذلك الأنوار اللطيفة في فلسفة المبدأ والمعاد لطاهر بن ابراهيم الحارثي المتوفي سنة ٥٨٤هـ ص ٨٣ وما بعد من كتاب «الحقائق الخفية» للأعظمي ط مؤسسة الهيئة المصرية ١٩٦٠م.

ويذكر الحامدي هذا بقوله :

«احتجب المبدع الأول القائم بالفعل بالمنبعث الأول، كاحتجاب المتعالى سبحانه به، وذلك لتمامه وكماله وعلوه وجلاله، وفعله في التزامه بحده، وتقديسه وتمجيده، وشهادته لمن شهد له بما شهد به، واتحد به المبدع بمعنويته .

ثم وضعت الدعوة لذلك العالم به، فاجاب البعض بالتلبية والانابة والتسبيح، والتقدیس، والتمجيد له، ولمن دعاهم إليه، ودلهم عليه، لكونه قد صار غيباً لا يدرك لما احتجب به، وتقاطر الذين اجابوا فئة بعد فئة، سبع فئات»^(٢).

وأما في العالم الجسماني فكان بدء الدعوة من صاحب الجثة الابداعية الذي ذكرنا ظهوره وخلقته في مبحث المبدأ في باب العقائد الاسماعيلية مفصلاً، وخلاصة القول أنه لما ظهر آدم الأول وصاحب الجثة الابداعية من مغارات سرانديب على اختلاف الأقوال من بين الثمانية والعشرين شخصاً، علم بغير معلّم ولا ملهم مبدعه فأقرّ به مثل العقل الأول، ثم أقبل على السبعة والعشرين الذين ظهوروا معه فدعاهم إلى الإقرار بمبدعهم والاعتراف له بالالوهية فأجابوا إلى ذلك وأيدوه في دعوته وشهدوا بما شهد به، فسموا حدوده أي المؤيدين لدعوته والمعيّنين عليها، والناصرين له، وهم أركان الدعوة^(٣).

ثم وزّع صاحب الجثة الابداعية، أو آدم الأول، أو الشخص الفاضل كما يسميه الاسماعيلية على هؤلاء السبعة والعشرين أعمال الدعوة وفوض اليهم أمورهم، وربّهم على مراتب، ونصب لهم مناصب، فيقول الداعي

(٢) «كنز الولد» لابراهيم بن الحسين الحامدي المتوفي ٥٥٧ هـ ص ٦٨ الباب الثالث ط دار الاندلس، بيروت ١٩٧٩ م.

(٣) ملخص ما نقله الحسين بن علي بن الوليد في كتابه «رسالة المبدأ والمعاد» ص ١١١ الفصل الثاني وما بعد وكذلك «الأنوار اللطيفة» لطاهر بن ابراهيم الحارثي الباب الثاني من السراشق الثاني ص ١٠١ وما بعد.

الاسماعيلي طاهر بن ابراهيم الحارثي اليماني مبيّن دعوته، وهذه المراتب والتقسيمات: إن المتحد بالعقل العاشر الذي «أشرفت ذاته إشراقاً كلياً، ونطق بالحكمة والموعظة الحسنة واطلع من المنغيبات والمحاضرات على جميع الفنون، وعلم ما كان وما سيكون، وقام في عالم الجسم مقام العقل الأول في عالم العقل، ومقام العقل العاشر في مقامه منفرداً برتبة الوحدة، ومقام العظمة، موسوماً بالابداع في هذا العالم، فدعا تلك الاشخاص السبعة والعشرين إلى توحيد الله تعالى، وتنزيهه وتجريده، فأجابوه مسرعين، ولّبوا دعوته مهتطين، وأخذ عليهم العهود المؤكدة، والمواثيق المغلظة المشددة، وعلمهم ما اصل به وإليه من المتحد به، واطلعهم عليه من العلوم الغيبية، والأسرار الملكوتية، بعد أن أوضح لهم الحلال والحرام، وعلمهم القضايا والاحكام، وقنن لهم قوانين العبادة، وأفادهم جميع ما يحتاجون إليه من الافادة، وأمرهم أن يشعروا العالم نكاح تلك الاناث على حسب ما سنّه لهم من السنة، ومنّ عليهم من المنّة، وأودعهم جميع ذلك وأوزعهم ما هنالك واختار منهم ستة عشر شخصاً أقام أفضلهم باباً، والثاني حجة، وداعيين أحدهما داعي بلاغ، والثاني داعي مطلق، واثنان عشر جعلهم حجج الليل، وتركهم بحضرته لايفارقونه، وفرّق أحد عشر شخصاً وهم الباقون في جزائر الأرض الاحدى عشرة، والثاني عشر هو الكائن معه في جزيرته التي هو فيها، ورتبهم محفوظة في جميع الجزائر إلى الآن، وإلى آخر الزمان. وأمر كل واحد منهم بالدعوة له في جزيرته التي جعلها إليه، ويقال لهم حجج النهار الاثنا عشر، فقامت الدعوة له كما أمر جميع أهل الجزائر عما نهى وزجر، وهذه الحجج الذين هم حجج الليل، هم أهل الباطن المحض، المرفوع عنهم في أدوار الستر التكاليف الظاهرة لعلو درجاتهم وهم أفضل جميع الثانية والعشرين بعد المقام، والباب السابق عليه الكلام، وحجج النهار هم القائمون بالظاهر والباطن جميعاً^(٤).

(٤) «الأنوار اللطيفة» الباب الثاني من السراقد الثاني ص ١٠٢ ومثل ذلك في رسالة «المبدأ والمعاد» ص ١١٣ وما بعد من «سه رسالة اسماعيلي».

فمن هنا بدأت الدعوة في العالم الجسماني، كما كان بدء الدعوة من العقل الأول في العالم الروحاني، ومن آدم الأول أخذت هيئة الدعوة، وعلى أساسها قام نظامها حسب زعم الاسماعيليين على اختلاف بينهم في عدد حدود الدعوة وأركانها وأسائهم ومراتبهم كما نحن في صدد بيانها، ولكن الاسماعيليين نصّوا على أن الامام لا يكون إلا في سلالة صاحب الجثة الابداعية، ولا تتسلسل الامامة إلا في عقبه دون أخلاف الحدود الآخرين وأعقابهم^(٥).

هذا، ويذكر النعمان القاضي حدود الدعوة في العالم الجسماني، والذي يسمى أيضاً عالم الدين، والعالم السفلى أيضاً بعد ذكر الحدود العلوية:

«والحدود السفلية هم الأسس، والأئمة، والحجج، والنقباء أصحاب الجزائر، والأجنحة وهم الدعاة، والسادس من الحدين هو القنابل، وصار ابليس عدواً لآدم وضده، وكل من وإلى الله تعالى من ناطق وصامت وإمام وحجة وتولاهم وائتم بهم فهو من حزب آدم الذي هو حزب الله تعالى، وكل من عادى أولياء الله وناصبهم وبعد عن أمرهم أو ادعى مقامهم فهو من حزب ابليس الذي استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله^(٦).

وقد فصل القول في موضع آخر من كتابه هذا عن حدود الدعوة مبيناً تأويل قوله تعالى: «وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الأرض ولا يصلحون» فقال:

فباطن المدينة حد حرم الباطن، ورهط الحرم تسعة اصناف فكان بازاء كل صنف منهم رهط من أضدادهم يفسدون حدود الدعوة، فأول صنف من رهط الحرم النطقاء، والثاني الأسس، والثالث الأئمة، والرابع الحجج،

(٥) انظر «الأنوار اللطيفة» الفصل الثالث من السرايق الثالث من الباب الثالث ص ١٠٨.

(٦) «أساس التأويل» للنعمان القاضي المتوفى سنة ٣٦٣هـ - ص ٧٠، ٧١ ط دار الثقافة بيروت.

والخامس النقباء، والسادس الأيادي، والسابع الأجنحة، والثامن المأذونون، والتاسع المستجيون»^(٧).

ثم بين عمل كل واحد من هؤلاء الحدود ومرتبته فقال :

«ان الناطق يقوم بظاهر الشريعة، والحجة يقوم بباطنه... إن علم الناطق قد قسم بين حجته وعامة أهل دعوته، فهو يفيد أهل الدعوة بظاهره ويفيد حجته بباطنه وحجته يفيد اللواحق، واللواحق يفيدون الأجنحة والأجنحة يفيدون المؤمنين»^(٨).

هذا وقد ذكر الحدود وأسماءهم وأعمالهم الموزعة عليهم ومراتبهم، الداعي الاسماعيلي أحمد حميد الدين الكرمانى المتوفى ٤١١ هـ بأسلوبه الفلسفي بقوله :

«وكانت مراتب الحدود المؤثرة في الأنفس ما يفيدها كما لها الذي فيه تمامها وانتقالها إلى درجة العقول خروجاً إلى الفعل من حد القوة وحصولاً في حيز البقاء والأزل عن البركة الممنون بها عليهم في عالم الوضع الذي هو مجمع السنن الالهية عشراً، إن المراتب العشر ثلاث منها كلية، وسبع منها تابعة، فالثلاث الكلية هي الرسالة التي هي اضافة البركة بتأسيس قوانين العبادة العملية الظاهرة بالتنزيل والشريعة التي هي اشياء كثيرة بها تصير الأنفس إلى الوجود وتنال الكمال الأول، ثم الوصاية التي هي قبول البركة بكليتها والقيام بها بجميع التنزيل وتأسيس قوانين العبادة العلمية الباطنية بالتأويل الذي يجمع اشياء كثيرة بها تتصور الأنفس بالصورة الابدائية وأنال كمالها الثاني. ثم الامامة التي هي الأمر وسياسة الأمة كافة على سنن الدين، تجمع اشياء كثيرة بها يتعلق عمارة الحرث والنسل ظاهراً وباطناً، وجذب الأنفس إلى الوجود، وبذلك ساهم الله تعالى : «أولى الامر» والسبع التابعة هي أولاً : فصل الخطاب الذي يتعلق بالباب . وثانياً. الحكم في ترتيب

(٧) أيضاً ص ١٠٤ ، ١٠٥ .

(٨) انظر «أساس التأويل» أيضاً ص ١٠٣ .

المراتب وازتضاء الآراء والاعتقادات على موازنة الخلق وإظهار تأويل الكتاب الذي يتعلق بالحجة، ولذلك قال الله تعالى إخباراً عن منته على داود: ﴿وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخُطَابَ﴾ إذا كان حجة فعلت درجته فنال المنة بالبابية،، وثالثاً: الاحتجاج بالبرهان في إثبات الحدود العلوية ومراتبها في وجوداتها وتعريف المعاد الذي يتعلق بداعي البلاغ. ورابعاً: تعليم العبادة العلمية ونشر التأويل وتعريف الحدود الذي يتعلق بالداعي المطلق. وخامساً: تعليم مراسم العبادة العلمية وتعريف الحدود السفلية وأدوارها صغاراً وكباراً الذي يتعلق بالداعي المحصور. وسادساً: أخذ العهد والميثاق وتعريف رسوم الدين، وآداب الدين الذي يتعلق بالمأذون المطلق. وسابعاً: المكاسرة والهداية إلى الحق والاعتصام بالحبل الذي يتعلق بالمأذون المحصور. وإن كل مرتبة من هذه المراتب العشر مالكة لما دونها، ثم لا تنعكس كالناطق الذي يملك مادونه من المراتب، والوصي الذي يملك ما دونه ولا يملك ما فوق، فالأعلى للأسافل جزئية، مترتب كله على ما صورناه ليعاين.

المراتب السافلة للأعلى
جزئية بمعنى أنها لا تنعكس
ولا يستحق التحتاني ما فوقه

الناطق
الأساسي
الإمام
الشيخ
داعي
الداعي المطلق
المأذون المطلق
المأذون المحصور
الكاسر

المراتب العالية الكلية كما نقول كل ناطق ناطق وأساس وإمام وغير ذلك إلى آخر
المراتب وكل أساس أساس وإمام وحجة وداعي وغير ذلك إلى آخر
المراتب، وكذلك كل عالي مرتبة على من دونه ولا ينعكس
فلا يجوز أن نقول إن كل أساس ناطق
وكل إمام أساس

وإنه لما كان الناطق جامعاً للركة محتوياً على مراتبها كلها، وكان له
 التنزيل والتأويل والأمر وفصل الخطاب، والحكم والابلاغ وتعريف الحدود
 العلوية وتعريف الحدود السفلية وأخذ العهد والهداية واختص منها بالتنزيل
 الجامع للشيعة الذي هو بعض منها، وأقام الأساس دونه للتأويل كان كونه
 كذلك شاهداً في ميزان الديانة بأن الابداع الذي هو المبدع الأول ذو مراتب
 عشر يختص منها بالتصوير الذي هو تكوين الصور التي هي أعيان المبادئ في
 الوجود عموماً والفلك الأعلى خصوصاً، ولذلك سماه الله في كتابه المصور
 وأن يترتب عنه دونه بالانبعاث غيره ثانياً، وكان كون الأساس جامعاً
 للمراتب واختصاصه منها بالتأويل الذي هو بعض منها واقامة الامام دونه
 شاهداً بأن الموجود الثاني الذي ترتب دون الأول بالانبعاث مالك للمراتب
 ويختص منها بالبرء الذي هو اعطاء ما حصل في الوجود من الصور أليق شيء
 به على ما يوجبه نظم الحكمة عموماً والفلك الثاني خصوصاً ولذلك سماه الله
 تعالى الباري، وان يترتب عنه دونه غيره ثالثاً، وكان كون الامام جامعاً
 للمراتب واختصاصه منها بالأمر والسياسة للامة التي هو بعض منها، واقامته
 دون الباب شاهداً بأن الموجود الثالث المترتب دون الثاني بالانبعاث جامع
 للمراتب، ويختص منها بالخلق الذي هو التركيب عموماً والفلك الثالث
 خصوصاً، ولذلك سماه الله تعالى في كتابه الخالق، فجمع المراتب الثلاث في
 آية واحدة، ونسبها إلى الأول فقال: ﴿هو الله الخالق الباري المصور له
 الاسماء الحسنى﴾ أي له المراتب التي دون ذلك، وأن يترتب عنه دونه
 بالانبعاث غيره رابعاً، وكان كون الباب جامعاً لما دونه واختصاصه من
 مراتب البركة بفصل الخطاب الذي هو بعض منها واقامته دون الحجة شاهداً
 بأن المترتب الرابع الذي هو دون الثالث جامع للمراتب دونه يختص منها
 ببعض مابه يوجد الموجودات في دار الجسم عموماً وبالفلك الرابع خصوصاً،
 وان يترتب عنه دونه بالانبعاث غيره خامساً، وكان كون الحجة جامعاً
 للمراتب التي دونه واختصاصه منها بالحكم الذي هو بعض البركة، واقامته
 داعي البلاغ شاهداً بأن الموجود الخامس المترتب دون الرابع له المراتب التي
 دونه ويختص منها ببعض ما يوجد به المواليد في دار الجسم عموماً وبالفلك

الخامس خصوصاً، وان يترتب عنه دونه بالانبعاث غيره سادساً، وكان كون الداعي قائماً بالبلاغ ودونه غيره مترتب شاهداً بأن الموجود السادس المترتب دون الخامس له المراتب التي دونه ويختص منها ببعض ما يوجد به المواليد في دار الجسم عموماً وبالفلك السادس خصوصاً وان يترتب عنه دونه بالانبعاث غيره سابعاً، وكان كون الباقيين من الحدود على ذلك، واختصاصهم بما قد اختصاصوا به وترتب من يقوم دون كل منهم إلى العاشر بحسب المذكور في كيفية الانبعاث من وجود الموجودات شاهداً بأن يترتب عن كل واحد منهم غيره دونه، ويختص بسما إلى العاشر الذي صار تماماً لعالم الانبعاث وتأثيره يختص بما دون فلك القمر من الاجسام المستحيلة والمتولدة على ما عليه حال الحد العاشر الذي هو المكاسر في تأثيره في الأنفس واختصاص فعله يجذبها إلى طريق الحق.

والجدول الآتي صورة جامعة لذلك تقريباً:

الحدود العلوية		الحدود السفلية	
الموجود الأول هو المبدع الأول	الفلك الاعلى	الموجود الأول هو الناطق	رتبة التنزيل
الموجود الثاني هو المنبعث الأول	الفلك الثاني	الثاني هو الاساس	رتبة التأويل
الموجود الثالث	الفلك الثالث (زحل)	الثالث هو الإمام	رتبة الأمر
الموجود الرابع	الفلك الرابع (المشتري)	الرابع الباب	رتبة فصل الخطاب (الذي هو الملك)
الموجود الخامس	الفلك الخامس (المريخ)	الخامس الحجة	رتبة الحكم فيما كان حقاً أو باطلاً
الموجود السادس	الفلك السادس (الشمس)	السادس داعي البلاغ	رتبة الإحتجاج وتعريف المعاد
الموجود السابع	الفلك السابع (الزهرة)	السابع الداعي المطلق	الحدود العلوية والعبادة الباطنية
الموجود الثامن	الفلك الثامن (عطارد)	الثامن الداعي المحدود	رتبة تعريف الحدود السفلية والعبادة الظاهرة
الموجود التاسع	الفلك التاسع (القمر)	التاسع المأذون المطلق	رتبة أخذ العهد والميثاق
الموجود العاشر	ما دون الفلك من الطبائع	العاشر المأذون المحدود الذي هو المكاسر	رتبة جذب الانفس المستجيبة

وقد يوجب ميزان الديانة وزناً آخر يؤيد ما قلناه، وهو أن يجعل مكان الحدود دون النبي والوصي والأئمة السبعة في الدور ليكون كل منهم في عالم الدين بازاء عقل موجود في عالم الأبداء فيكون عاشرهم القائم الذي يتم الدور ويقوم بنفسه في مرتبته يحكم في الأنفس كلها، ويملك عالم الطبيعة ويحكم فيها، ويكون هو الذي لا يترتب بعده مرتبة أخرى لكونه النهاية الثانية على ما تقدم من تصويره فقد بان بذلك أنه العاشر من الحدود السفلية لكونه نهاية لدوى المراتب التي عنها وبجميعها تكون المواليد الروحانية ولم يترتب دونه مرتبة، وأنه ليس له إلا العناية بالأنفس في دار الطبيعة وجذبها إلى بيت العبادة لترتقي في الدرجات. وظهر بكون ذلك كذلك أن العاشر من الموجودات في عالم العقل هو نهاية العقول المنبعثة الصادرة عنها القوى في الأجسام لتكون عنها المواليد الجسمانية ولكونه نهاية وقف الانبعاث عنده، وأنه ليس له إلا العناية بعالم الكون والفساد، ومواصلة ما يتهاى منه للقبول ومراقبته كالعاشر من الحدود السفلية الذي ليس له بالأنفس وجذبها إلى العبادة والطاعة. ثم نقول إنه معلوم من المقدمات أنها إذا كانت مثل شيء، وذلك الشيء مثل شيء آخر، فذلك شيء، الآخر مثل المقدمات، وإذا كان ذلك كذلك، وكان نظام ترتيب الحدود السفلية في عالم الدين مثل نظام الموجود في ترتيب الأجسام العالية، وكان نظام الأجسام العالية بكونه معلولا عن عالم الأبداء نسبياً للنظام الموجود فيه ومثلاً، كان الموجود من الحدود السفلية مثل الموجود من العقول العلوية في عالم الأبداء والانبعاث مثلاً بمثل»^(٩).

هذا ولقد ذكر هبة الله الشيرازي أسماء الحدود وترتيبهم كالآتي:

«النبي، الوصي، الإمام، الحجة، الداعي، المأذون، المستجيب»^(١٠).

(٩) «راحة العقل» ص ٢٥٢ - ٢٥٧، أيضاً «تحفة القلوب» لحاتم بن إبراهيم الحامدي. نسخة خطية ص ١٤٤.

(١٠) انظر «المجالس المؤيدية» المجلس الثالث من المائة الثانية نقلاً عن كتاب «المجالس المستنصرية» تحقيق محمد كلهم حسين - ط: دار الفكر العربي القاهرة.

وأما الداعي الاسماعيلي أبو يعقوب أسحاق السجستاني فلقد ذكر حدود الدعوة أيضاً، وبين مهمة كل واحد ومعنى الاسم الذي يطلق عليه ولكن بشيء من التبديل والتغيير في الأسماء والعدد، فيقول وهو يذكر أركان الدعوة في العالم الجسماني بعد ذكر أركان الدعوة في العالم الروحاني :

«وأما الحدود الجسمانية الذين جعلهم الله تعالى وسيلة بينه وبين عباده فأولهم الرسول ويسمى ناطقا، فمعنى وقوع اسم الناطقية عليه إضافة إلى قوته وغلبته ونصرته إلى النطق، لا إلى شيء من أسباب الجسد وهيئاته مثل الشجاعة والجود والعشرة، وإن قدرته على تسخيره الأمة وغلبته على الحق إنما هو من أجل نطقه وصفوة نفسه إذ ليس من آثار النفس عندنا أظهر من النطق فقل له من أجل ذلك ناطق، يعني قاهر أمته بالنطق ثم الوصي، ويقال للوصي اسم الأساس فمعناه أنه أساس المؤمنين لبناء آخرتهم بما يقفون به على بيان الوحي، فاشتق للوصي اسم الأساس ويقال له أساس الأئمة واللواحق، وأساس دور الكشف، ويقال للرسول والوصي بكلمة واحدة «الأساسان» على أن ما ورد من التنزيل والتأويل كان لدينهما ودنياهما وأولاهما وعقباهما، إذ بالتنزيل عصمة الرجل وماله، كما أن بالتأويل حياة روحه ونجاة نفسه ومن الحدود الجسمانية الإمام، ويقال له المتم، فمعنى المتم أن بالائمة تتم أدوار النطقاء على أن لكل أمام متما حظه ونصيبه من دور ناطقه ليلبغ الأمر من الأول إلى الثاني وبعد الامام الحجة، ويقال له لاحق فمعنى اسم الحجة هو أن الامام لا يمكن أن يقيم حجته على أهل زمانه من نفسه وذلك لطول الأرض وعرضها، فقسم الأرض بأقسام الفلك على اثنتي عشرة جزيرة بازاء برج من بروج السماء وسبعة أقاليم ازاء السبعة الأفلاك، فجعل في كل اقليم حجة وفي كل جزيرة لاحقا ليدعو الخلق إلى دين الله وتكون حجته على الخلق قائمة، وأما معنى اللاحق فانه مشتق من اللحق ولما كان التأييد إذا جرى مجرى الخصوص لا يتعدى من واحد في كل زمان لتكون رئاسة العلم خالصة لذلك الواحد ولم يمكنه إقامة الحجة على الخلق بنفسه كما ذكرنا من ما ول الأرض وعرضها فأمر بنصب

اللواحق في الجزائر لكل لاحق منهم خليفة هذا المخصوص وله قسط من تاييده ليتمكنه بقوته وسياسته في جزيرته فهو لاحق له ويقال إلى الجماعة للاحق ويقال للامام والحجة بلفظة واحدة (الفرعان) فمعنى الفرع أنه مضاف إلى الأصل فوجب أنه إذا قلت للفرع وجب به الأصل، ومعناه أن الامام والحجة فرعان من الأصلين قاما في العالم الجسماني مقام الأساسين، وفي العالم الروحاني مقام الأصلين ثم (اليد) ومعنى اليد أن كل لاحق لابد له من واحد يعتمد عليه ويثق به ويستقيم إليه ليقوم مقامه ويحدث به أمر يصلح وأسبابه وأسباب من قلده أمرهم، فوجب من أجله أن يكون عدد الأيادي عدد اللواحق وأما (ذو الامتصاص) فإنه ربما اتفق لبعض المختارين صفوة يتهيأ له بصفوته مص ما يترجمه بلسانه مما وقع له من الخلاوة والدراية مما لا يشك فيه أنه ليس بالتفكير ممكن الوصول إليه فعلم أن صاحبه قد مص من العالم البسيط المصة الشرعية، ثم (الداعي) ويقال له (الجناح) فمعنى الجناح وإضافته إلى الداعي هو أنه معتمد على اللواحق في الدعوة، لأعلى الدعاة وهم الذين يطهرون في نشر الدعوتين ظاهراً وباطناً ومرتبة الأجنحة تسليم صقع مذكور معروف على الحدود إلى واحد منهم ويتهيأ له أن ينصب من تحت يده جماعة من المأذونين لطوال صقعه وعرضه بعد أن يتوهم فيهم الخير والصلاح والصفة والامانة ثم (المأذون المطلق) وهو من نصبه (الجناح من نواحي صقعه وأطلق له يجري الدعوة فيمن أحب من صقعة ثم (المأذون المحدود) وهو من أذن له الافادة لواحد أو لاثنين أو ثلاثة أو أربعة وهو محدود في مكانه لا يتعدى إلى غيره.

ثم (المؤمن) وهو من عرف صاحب زمانه باسمه ونسبه ومسكنه وبيعته ووقف على مجاري الأدوار والأكوار ومراتب الأسابيع التي تلمع في كل دور وكور ووقف على كيفية البعث والثواب والعقاب ثم (المستجيب) وهو على من استجاب لدعوة الحق وانقاد لمعرفة التوحيد ومعرفة الحدود العلوية والسفلية ومعرفة متشابهات التنزيل والشرعية فهذه جملة أسامي الحدود وما لكل واحد منهم من الخواص والسمات، فإذا وقف المستجيب على هذه الأسامي وحفظها ووقف على معانيها كان التذاه يصونه عند قدح الطاعنين

وغمز الغامزين وعيب العائنين» (١١).

هذا ولقد ذكر الداعي الاسماعيلي حاتم بن عمران بن زهرة من الحدود السفلية الناطق، والأساس، والحجة، والداعي، وجناح، وملحق، وداعي، ومأذون، وصامت، ومستوجب، ومحرم، ومستجيب، ومستعيز (١٢).

ولقد ذكر الداعي الاسماعيلي ابراهيم بن الحسين الحامدي في كتابه الهام «كنز الولد» حدود الدعوة في مواضع عديدة، فذكر في موضع منه أنهم: الرسول، ثم الامام، ثم الباب، ثم الحجة، ثم الداعي، ثم الداعي المطلق، ثم المكاسر، ثم المؤمن، وان الباب هو اقربهم إلى الامام (١٣).

ومرة ذكر: الامام، ثم الحجة، ثم الباب ثم داعي البلاغ، ثم الداعي المطلق، ثم المأذون المحصور (١٤).

ومرة أخرى نقل عن ابي يعقوب السجستاني الترتيب هكذا:

الرسول، الامام، الحجة، اللاحق، المجتهد، المستبصر، المستجيب» (١٥).

وأما جعفر بن منصور اليمنى، وهو أحد بناء هذا المذهب وداعى دعائه فانه يذكر أسماء أخرى، كما يقدم على باب الامام منصبين آخرين، مع أن الباب يقال عنه:

هو من حدود الصفوة والباب، فهو أفضل الحدود، وهو حد العصمة، ولا ينتهي إلى ذلك إلاّ الأحاد والأفراد، وهو باب صاحب الزمان الذي يؤق

(١١) «تحفة المستجيبين» للداعي الاسماعيلي أبو يعقوب السجستاني ص ١٥١، إلى ١٥٤ من

«خمس رسائل اسماعيلية» جمع عارف تامر ط دار الانصار دمشق ١٩٥٦ م.

(١٢) انظر رسالة «الاصول والاحكام» ص ١١١ من «خمس رسائل اسماعيلية».

(١٣) انظر «كنز الولد» ص ٢٤١ و ٢٤٣.

(١٤) أيضاً ص ١٦٣.

(١٥) «كنز الولد» ص ٢٥١.

منه إليه وحجته على الخلق، وحامل علمه، وصاحب دعوته» (١٦).

ولكن جعفر بن منصور اليمنى كما قلنا يذكر ترتيب أركان الدعوة وحدودها على النحو الآتى :-

”الامام، الحجة، ذومصة، الباب، الداعى، المكلف، المؤمن“ (١٧).

فعلى كل، وعلى اختلاف فى القول هؤلاء هم أركان الدعوة الاسماعيلية غير الحجج الليلية والحجج النهارية الأربعة والعشرين حيث أنهم يوفقون بين جهاز الدعوة وبين النظام الفلكي ودورته، فجعلوا العالم مثل السنة الزمنية، فالسنة مقسمة إلى اثنى عشر شهراً، والعالم مقسم إلى اثنى عشر قسماً، ويطلق على كل قسم جزيرة (١٨).

وهي : العرب، والترك، والبربر، والتنج، والحبشة، وخزر، والصين، والفارس، والروم، والهند، والسند، والصقالبة (١٩).

فلكل جزيرة من هذه الجزر داع ويسمى بحجة الجزيرة أو داعى الدعاة، ثم إن الشهر ثلاثون يوماً، فعلى ذلك يجب أن يكون فى كل جزيرة ثلاثون داعياً يساعدون داعى الدعاة أو حجة الجزيرة، ثم إن لكل يوم أربعاً وعشرين ساعة، منها اثنتا عشرة بالنهار واثنتا عشرة بالليل، فلذلك جعل لكل داع أربعة وعشرون داعياً المسمون بالحجج الليلية والحجج النهارية، فحجج الليل يحضرون فى حضرة الامام ولا يفارقونه، ويتولون أمور الدعوة الباطنية، وحجج النهار يرسلون إلى الجزر الاثنتى عشرة، وهم يقومون بالدعوة الظاهرة (٢٠).

(١٦) نقلا عن «أدب مصر الفاطمية» لمحمد كامل حسين ص ٣٩ ط دار الفكر العربى.

(١٧) «كتاب الشواهد والبيان» لجعفر بن منصور اليمنى ص ١٣٠ - نسخة خطية.

(١٨) ويقصدون من الجزيرة القسم، لا الجزيرة الحقيقية.

(١٩) Rise of Thefatimids by Ivanow P. 20

(٢٠) انظر «الشواهد والبيان» لجعفر بن منصور اليمنى، و«المجالس المؤيدية» للمؤيد فى الدين هبة الله الشيرازي.

ثم يقولون : إن المحيط من الأفلاك مثل على مرتبة الناطق المحيط بجميع مراتب حدود الدين إحاطة المحيط بالأفلاك ثم كان في ضمن المحيط فلك البروج، وهي فيه مقسومة إثني عشر قسما، كل قسم منها برج، كان ذلك مثلاً على مرتبة الوصي الكائن جميع الحدود صغيرها وكبيرها في ضمنه، وهو جامع بحجج الجزائر الاثنتي عشرة المستولى كل واحد منها على من في جزيرته من الحدود والمؤمنين كجمع فكل البروج للبروج الاثني عشر، وكل برج منه يستولى على عدة من النجوم صغارها وكبارها.

وكان في ضمن فلك البروج فلك زحل. وهو مثل على مرتبة الإمام القائم بعد الوصي والنبى، الخالف لهما في مقامهما العالى السنى، المحيط بما دونه من الأفلاك الجرماني إحاطة الامام عليه السلام بما دونه من الرتب الدينية.

وكان في ضمن فلك زحل فلك المشترى. وهو مثل على مرتبة الباب، القائم بين يدى الامام لفصل الخطاب، المكنى عنه بالحجاب، الكائن مركزاً لاهل الثواب، ككون الامام عليه افضل السلام من تلقائه وقع مخالفيه في أليم العقاب. وكذلك الباب لا يعرفه إلا أهل الطاعة والثواب. والامام ظاهر لكافة الخلق، فمعصيتهم له إلى العذاب أقوى الأسباب.

وكان في ضمن فلك المريخ فلك الشمس. وهو مثل على مرتبة داعي البلاغ القائم عن أمر الحجة في أهل دعوته بالابلاغ.

وكان في ضمن فلك الشمس فلك الزهرة، وهو مثل على مرتبة داعي المطلق، وهو الذي قام بإبلاغ أمر داعي البلاغ وحقق، وكان في ضمن فلك الزهرة فلك عطارد وهو مثل على مرتبة داعي الاحرام، المنفذ لما يأمر به داعي المطلق من القضايا والأحكام.

وكان في ضمن فلك عطارد فلك القمر. وهو مثل على مرتبة المأذون المطلق، في نشر ما علم من علم داعي الاحرام وحقق.

وكان في ضمن فلك القمر الطبيعة السارية في عالم الكون الفساد وهي مثل على مرتبة المكاسر المقام في أهل الظاهر بالجهد، الساري فيهم للأرقاء لمن قبل منهم، والاصعاد المؤثر فيهم، بقبولهم ربع الكون، وبعضيانهم خسران الفساد، والجاذب لمن أطاعه منهم إلى دائرة الوجود الحقيقي بالهداية والإرشاد.

وهذه المقابلة بهذه الأفلاك لرتب هؤلاء الحدود لأشخاصهم، وهي الأفلاك دون الكواكب السيارة فيها» (٢١).

وبمناسبة ما ذكرناه من الداعي الاسماعيلي الكبير علي بن الوليد أركان الدعوة وحدودها ومراتب هؤلاء الدعاة مقابل البروج، نريد أن نذكر الأعمال الخاصة بهم أيضا وتنقلهم من مرتبة إلى مرتبة وترقيهم من درجة إلى درجة من هذا الداعي الاسماعيلي الذي يبين كل هذا في تفسير باطني لقول الله عز وجل «ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين» الخ قبل انتقالنا إلى مراتب الدعوة وبيانها، فيقول:

ولما كان الشخص الإنساني الذي هو آخر المواليد الجسمية لا يخرج إلى حد كماله إلا بعد تنقله في سبعة أحوال، وهي التي ذكرها الله بقوله: «ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم جعلنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين»، كان إنتقال المولود الديني لذلك في أحواله إلى أن ينتهي إلى كماله في بطن أمه المتولية لحضائه، وتلك دعوة الوصي في عصره، ودعوة حجة كل إمام في وقته، المعنى بقول النبي صلى الله عليه وسلم: «أنا وأنت يا علي أبوا المؤمنين» وبقوله: «الأرض أمكم وهي بكم برة» في أصول سبعة بها يحصل كماله الثاني.

(٢١) «جلاء العقول وزبدة المحصول» لعلي بن الوليد ص ١١١، ١١٢ من «منتخبات اسماعيلية» تحقيق الدكتور عادل العواء، ط: مطبعة الجامعة السورية. دمشق ١٩٥٨م.

وذلك أن أول الحدود كما سبق القول به هو المكاسر . فهو يستخرج من أهل الشريعة الغراء بمكاسرته وإلقاء إحتجاجة وحسن عبادته بمرافدة حدود لدين العالمين عليه ، وسواري موادهم المتصلة إليه ، من أصغى وأجاب ، وقبل المواعظ وأناب فيعقد عليه العهد الكريم ، ويلزمه ولاء ذوى التسليم ، ويوقفه في حد الاستجابة القريب ، ويروض نفسه بالتقويم له والتأديب ، ويغذيه بخلص التأويل ، ويضرب له الأمثال المطابق محسوسها للمعقول ، فيكون نفس المستجيب في هذا الحد سلالة دينية مقابلة ومماثلة للسلالة الجسمية التي قد حصلت في الرحم .

وقد وقع على هذه السلالة الدينية اسم الوجود ، وحصلت في حيز الحرم الكريم ، ودخلت في أول أبواب جنة النعيم ، ورقت أول درج سلم النجاة ، وفارقت أهل البغي والمداجاة فمتى أكمل المستجيب هذه الرتبة بالمواظبة على ما يندب إليه من الأوامر ، والإنتهاء عما ينهى عنه من النواهي والزواجر ، وجب على من في أفقه نقله إلى رتبة المكاسر ، لتخلفه في فلك فيتولى ما كان حده مستويا من الهداية والإرشاد ، ويقوم بما كان قائما به من تخليص من أجابه من عالم الكون والفساد ، فيكون نفس المؤمن في رتبة نظفة دينية مقابلة للنطف الجسمية ، ممتازة عن السلالة بمرتبة العلمية .

فإذا ادعى فيما أقسم فيه حق الواجب ، وقام بالعرض والأرب ، وتبين منه حدة صفاء وإخلاص واستوجب منه بذلك إصطفاء وإختصاصا ، نقله إلى مرتبة المأذون المطلق ، فأطلق له ما كان قبل ذلك فيه محصوراً ، وأجيز له من التصرف في الدعوة الهادية سلام الله على صاحبها ما كان فيه ممنوعاً ومحصوراً . وهذه المرتبة للنفس مرتبة العلقة الدينية ، مقابلة للعلق الجسمية .

ولها بانتقالها فيها على من دونها المرتبة بحق الخدمة فيها صرف أمره إليها ، وتبذل الجهد في العناية والتقويم لمن كان عهد تخليصه عليها ، حتى إذا وقف مستأجرها حق الأجرة في ربح اعناه وقامت بما أقامها له حق قيامه ، استحققت منه نقلتها إلى مرتبة الداعي المحصول ، فقامت في تلك المرتبة كافلة لما كلفها من الأمور ، وهي في هذه المرتبة مضغة دينية مقابلة للمضغة

الجسمية، بصقال الصور النفسية بالفوائد، وجلالها ملية بازائها في رتب المعارف الحقيقية، واعلائها، حتى إذا سلمت فيما إستودعته حق الإمانة، واستَحَفَظَتْهُ من الخيانة، نقلها عن الحصر إلى الإطلاق، وذكت بسوابق عملها، وعطف مولاها عليها، من أسر الوثاق، فنقلها إلى مرتبة الداعي المطلق في الإصدار والإيراد، والإقامة لمن شاء من حدود الدين والاقعاد. وهي في عذة المرتبة حائزة رتبة العظام الدينية مقابلة لمرتبة العظام الجسمية، فتقوم في تلك المرتبة خالفة لمولاها، شاكرة لما أنعم به عليها وأولاها، مبسوبة إليه في أهل جزيرتها، مملكة الاعطاء والمنع في دائرتها.

حتى إذا بلغت مراد مقيمها في نشر أعلام الهداية، ورعت أمانته فيها، إسترعاهها حق الرعاية واستوجبت نقلها إلى مرتبة الكمال والبلاغ فتكون في مرتبة اللحم الدينية المقابلة لمرتبة اللحم الجسمية، فتولى تلك المنزلة أحسن الولاية، وينال من الشرف والرفعة بها أبلغ الغاية إذا وفّت خدمتها في فلکها، ونصحت في سرها وجهرها لوليها ومالكها، إستحقت النقلة إلى مرتبة الحجة العظام التي هي الباب الأكبر، والمقام الأنور، والجمع الداني المستحق أن يكون الإمام الثاني. وهو تحقيق قول الله تعالى: «ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين» فتستقر في ضمن فلک الدائر، حصل لها المرتبة المقابلة من الخلقة الجسمية للخلق الآخر، فيصير الإنسان بالفعل قد حاز حد الكمال الثاني، وفارق العالم الداني الفاني، كمفارقة الجسم عند الولادة لضيق الاحشاء والأرحام، وقيامه بوفاء الخلقة والتمام.

ولما كان المولود الجسيمي بعد كماله في سبعة الأحوال ينتقل إلى كماله المشاكل فيه لأبويه غير هذا الانتقال، وذلك أنه ينتظر به أوان البلوغ واستكمال المادة الجسمية برهة حتى يستكمل، وحينئذ يستأنف ما تولاه أبواه من إيجاد مثله، ويستقبل كذلك الإنسان الحقيقي، والشخص الفاضل الديني، الذي هو زبدة العوالم وصفوها، وخلاصتها وليها، عند اجتماع أجزائه وكماله واستعلاء رتبته وجلالها وكونها قد حازت الخلق الآخر،

وسكنت سكّون الغنى عن حركة الحاجة، فلم يبق لها إلا حركة الحامد الشاكر، فإنها تلبث برهة لتمام بلوغ الميقات، ثم يبرز مقاما اماميا مليا بتدبير أراضى الدعوة الهادية، والملة النفسانية والسموات، فيعطف مستقبلا لإستخراج مثله من صفو أرض الكتاب والشرية، ومرقيا له بسواري فيض أنواره في درجات الحدود الرفيعة، حتى يحصل في افقه مائلا، وينال الغرض الذي كان له أملاً، ويصير سنبل زرعه الحكمى حاصلاً فسيستخلفه في عماله كما استخلفه الذي قبله مستخرجاً لزبد أهل الإيمان، ويرقى هو إلى جوار الملك الديان، ماكثاً في البرزخ العالى إلى يوم يبعثون، وحائزاً مرتبة رجال الأعراف التي فيها إلى بلوغ الميقات يبعثون» (٢٢).

فهذا هو نظام الدعوة عند الإسماعيلية، وهذه هي هيئتها، وهؤلاء هم أركانها المعبر عنهم عند القوم بالحدود.

ولا يكون الشخص مؤمناً حقيقياً إلا بعد ما يؤمن بهؤلاء الحدود مع إيمانه بالإمام والأساس والناطق، ولا تصح طاعته إلا بطاعتهم كما يقول الداعي الإسماعيلي الحسن بن نوح الهندي :

«إن طاعة المستجيب لا تصح لله تعالى إلا بطاعة المأذون. وطاعة المأذون لا تصح لله تعالى إلا بطاعة الداعي. وطاعة الداعي لله لا تصح إلا بطاعة الحجة. وطاعة الحجة لله تعالى لا تصح إلا بطاعة الباب. وطاعة الباب لله لا تصح إلا بطاعة الإمام عليه السلام. وطاعة الإمام لا تصح لله تعالى إلا بطاعة من نص عليه وهلم جرا إلى الوصي إلى النبي عليهما السلام». (٢٣)

وأما أشهر الدعاة الإسماعيلية وأبواب الأئمة وحججهم فهم: ميمون القداح، وعبدالله بن ميمون القداح، وهرمز، وابن حوشب بن زاذان

(٢٢) رسالة «الأصول والأحكام» ص ١٣٠ إلى ١٣٣ من منتخبات إسماعيلية.

(٢٣). «كتاب الأزهار ومجمع الأنوار» لحسن بن الهندي البهروجي ص ١٨٥ من منتخبات إسماعيلية لعادل العوا.

الملقب بمنصور اليمن، وأبو عبدالله الشيعي، وفيروز، وأبو عفير، وأبو سلامة، وأبو الحسن الترمذي، وأبو محمد الكوفي، وجعفر بن منصور اليمن، والنعمان القاضي، وأبناؤه وأحفاده، وأحمد أبو يعقوب إسحاق السجستاني والمؤيد في الدين الشيرازي، وناصر خسرو وغيرهم الكثيرون الكثيرون الذين يرد ذكر البعض منهم المشهورين المعروفين في الباب الأخير من هذا الكتاب «زعماء الاسماعيلية وفرقها» كما مر ذكر البعض فيما سبق من الأبواب.

والجدير بالذكر أن هذا النظام كان للأسماعيلية القدامى، وأما الاسماعيلية الجدد أي النزارية والمستعلية، أو الأغاخانية والبهرة فلقد أوجدوا فيه بعض التعديلات وغيروا وبدلوا، أعرضنا عن ذكرها لبيانها في القسم المستقل بهم في الجزء الثاني من هذا الكتاب.

الدعوة الاسماعيلية : أسلوبها ومراتبها

هذا كان بيان الدعاة وأركان الدعوة وأعضاؤها ومراتبهم والأعمال الموكولة إليهم ولا بد لنا أن نذكر بعد هذا، الدعوة الإسماعيلية ومراتبها، والأساليب التي كانت تستعمل لبثها ونشرها بين الناس، وجلب القلوب وجذب النفوس إليها، وخير سبيل لمعرفة هذه الأساليب حكاية يسردها الاسماعيلية أنفسهم عن إدخال منصور اليمن في الدعوة الاسماعيلية كما حكاها قاضي القضاة الاسماعيلية النعمان بن محمد المغربي الملقب بأبي حنيفة الاسماعيلي وغيره من المؤرخين الاسماعيلية ونحن نذكرها بالفاظ النعمان لمكانته السامية لدى القوم، وكونه أقدم من كتب في هذا الموضوع، فيقول القاضي النعمان :

وكان ابتداء أمر أبي القاسم صاحب دعوة اليمن فيما أخبرنا به أهل العلم والثقة من أصحابه، أنه كان من أهل الكوفة من أهل بيت علم

وتشيع، وكان قد قرأ القرآن وقومه وطلب الحديث والفقه. وكان ممن يذهب إلى مذهب الإمامية الإثني عشرية أصحاب محمد بن الحسين بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد الذين كانوا يرون أنه المهدي، وأنه يظهر، ويكون من أمره ما يكون على ما جاءت به الأخبار عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، فنحلوه ذلك، وتولوه، ولم يروه وزعموا أنه تغيب عنهم ثم بطل ذلك في أيديهم. وكانت له أخبار طويلة وحماقة عجيبة.

قال أبو القاسم: فعرضت لي الفكرة يوماً في ذلك وذكرت قول الفهرى، شعراً:

ألا يا شيعه الحق	ذوى الإيمان	والبر
أنتمكم نصره الله	على التخفيف	والزجر
فلا تدعوا إلى الداعية	ن أهل النكث	والغدر
فلو قد فقد العاش	ر أو زيد	على العشر
لدارت عصب الصبر	على الدائر	بالشر
فعند الست والتسع	ن قطع القول	والعذر
لأمر ما يقول النا	س بيع الدر	بالبعر
وصار الجوهر المخز	ن علقا غير	ذي قدر
يتيم كان خلف البا	ب فانفض	على الوكر

قوله في اليتيم ههنا رمز على المهدي (صلوات الله عليه)، وكان بحسب ما كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال الله: «أَلَمْ يُجِدْكَ يَتِيماً فَآوَى».

قال أبو القاسم: فرأيت الوقت قد قرب على ما قاله الفهرى وجالت خواطري في ذلك، واشتغل به فكري. فخرجت إلى الفرات - أو قال إلى دجلة - وإنى لأمشي على النهر إذ حضر وقت الصلاة فتوضأت، وصليت، وجلست مفكراً فيما كنت فيه. ثم أخذت في قراءة القرآن فافتتحت سورة الكهف، فإني لأقرأ فيها إذ أقبل شيخ ومعه رجل لا والله ما نظرت عيني قبل ذلك الشيخ إلى أحد ملاً قلبي هيبة منه. ونزل ناحية، وجلس الرجل بين

يديه بعيدتين مني . فقطعت القراءة لهيئته ، وبقيت أنظر إليه إذا أقبل غلام
 يمرح في مشيته . فقرب مني ، فانكرت ذلك عليه إجلالا للشيخ ، فلم يلو على
 فقلت : من أنت فقال : حسيني . فاستعبرت . قلت : بابي الحسين (صلوات
 الله عليه) المضرح بالدماء . الممنوع من هذا الماء . فرأيت الشيخ نظر إلي عند
 ذلك . وتكلم الرجل الذي بين يديه كلاما لم أفهمه . فقال لي الرجل : تقدم
 إلينا رحمك الله ! فقممت إليه حتى جلست بين يدي الشيخ ، فرأيت دموعه
 تسيل على لحيته - أظنه عند ذكرى الحسين (صلوات الله عليه) وقال لي : من
 أنت الذي تذكر الحسين بما ذكرته؟ قلت : رجل من الشيعة . قال : ما
 اسمك؟ قلت : الحسن بن فرح بن حوشب . قال : أعرف أباك من الشيعة
 الإثني عشرية . قلت : نعم . قال : فأنت على ذلك؟ فسكت ، قال : تكلم !
 فأنا من إخوانك قلت : كنت فيمن كان على ذلك إلى أن بطل أمر في أيدينا ،
 وما أخرجني إلى هذا المكان إلا ضيق صدري بذلك ، وذكرت له ما عرض
 لي ، قال : أرى فيك نباهة ، وقد سمعتك تقرأ فلم قطعت القراءة؟ قلت :
 والله - أيدك الله - ما اسكتني إلا هيئتكم قال : فاقرا كما كنت تقرأ . فابتدأت
 من حيث وقفت حتى بلغت : (فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ) فأومى بيده
 إلى أن أسكت . فسكت فقال : أنت ممن يقول بالعدل والتوحيد؟ فقلت :
 نعم ، هو مذهبي ، قال فمن أي وجه العدل أن تقتل نفس زكية بغير نفس -
 الآية إلى قوله (فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا) فسكت قال : قل . فقلت :
 ماذا أقول؟ والله لكانني ما قرأتها قط وإنني إلى علم الوجه في ذلك لفقير ، فإن
 رأيت تعريفي ذلك فعلت قال : دون ذلك ستر رقيق . قلت : ترى كشفه لي
 جعلت فداك ! قال : يكون ذلك إذا أمكن إن شاء الله وأخذوني في غير ذلك
 حتى إذا وقف منه على مكان الجواب فيه أخذ في غيره ، وأنا كل ذلك أسأله
 الجواب فيه ، فيقول مثل ما قال . ثم تحرك للقيام ، فقلت . يا سيدي أحب
 أن أعرف المنزل ، قال : لماذا؟ قلت : لإقتضاء وعدك فتبسم وقال : لعلنا أن
 نجتمع ههنا من غد إن شاء الله ومضى وتركني .

فلما غاب عني ندمت إذ لم أكن تبعته حتى أعرف مكانه ، وعظم موقع
 كلامه من قلبي ، وشغل ما سمعت منه ذهني ، وعدت من غد إلى المكان ،

وأقمت به إلى الليل فلم أر أحداً . فاختلفت كذلك وأنا من الغم بما فاتني منه فيما لا أصفه ، حتى إذا كنت في حد اليأس منه ، مرّ الرجل الذي كان معه ، فنهضت إليه ، وسلمت عليه وقلت : ما فعل الشيخ - حفظه الله - وقد كان وعدني بالإجتماع من غد يوم لقيته معك ههنا ، وإني لمتردد من يومي ذلك إلى وعده؟ قال : لو وعدك ما أخلفك ، ولكن لم يكن في مخرج قوله وعد ثابت . قلت : فأين لي به؟! فوالله لقد شغل قلبي ما سمعت منه . قال لي الرجل : إجلس نتحدث قليلاً . فجلسنا فإذا الرجل معه علم كثير . فطارحت عليه وأراد القيام والمسير ، فقلت : والله لا أفارقتك أو تكشف لي هذا الأمر . فهازلنا حتى أخذ على العهد ، وعرفني أن الشيخ هو إمام الزمان ، وفتح لي من المعرفة كثيراً وعرفني الموضوع وجمع بيني وبين الإمام وكان يخصني ويقربني ويرمز بقرب الأمر ، ودنو العصر ، ويقول في كثير من كلامه : «البيت يمانى والركن والدين يمانى والكعبة يمانية ولن يقوم هذا الدين ويظهر أمره إلا من قبل اليمن» .

- قال : ثم قال لي يوما : يا أبا القاسم ، هل لك في غربة في الله؟ قلت : يا مولاي ! الأمر إليك ، فما أمرتني به أمثلته ، قال : إصبر كافي برجل قد أقبل إلينا من اليمن وما ليمن إلا أنت ، فقلت : أستعين بالله على ما يرضيك .

- وكان الرجل من أهل جيشان ، مدينة باليمن ، شاب جميل من أهل بيت تشيع ونعمة ويسار ، يقال له أبو الحسن على بن الفضل قد خرج حاجا من جيشان في جماعة من أهلها ، في حملة أهل اليمن سنة ست وستين ومائتين . فلما قضى حجه خرج إلى قبر الحسين (صلوات الله عليه) زائرا له ، في جماعة من أهل اليمن ممن شهد الموسم من الشيعة . فلما انتهوا إليه أصابوه معصورا بالشيعة . فجعل على بن الفضل هذا يبكي عنده ، وينتحب ويعدد مناقب الحسين (صلوات الله عليه) ويذكر فضله ورجل من الدعاة يراعيه كل يوم على ذلك . فلما رأى نيته وإجتهاده ، خلا به ، وبسطه ، وفتح له شيئا من العلم ، وألقى إليه بعض المسائل ، فركن على بن الفضل إليه ولازمه ، ويبحث عما عنده ، فقال له الرجل يوما في حديثه : رأيته لو أدركت صاحب

هذا القبر الذي تبكى عنده، وتذكر فضائل صاحبه ما كنت صانعا في أمره؟ قال كنت والله أضع خدي، وأقبل الأرض التي يطأها، وأتبرك بفضل وضوئه وأكون لو شهدت مصرعه أول صريع بين يديه. قال: فإذا قد فاتك فما عندك؟ قال: ما ترى من الأسف والحزن عليه. قال: فكأنك ترى أن الله قطع أمره بإنقطاعه، ورفع حجته عن خلقه بموته؟ قال: كلا! ولكن كيف لي ذلك؟ فسكت الرجل، وجعل على بن الفضل يلح عليه ويقول: والله مارميت لي بمارميت إلا وعندك أثر منه، فإهدني إليه. وجعل يلزمه وهو متوقف عنه، ويطارح عليه وهو ينقبض منه، إلى أن حضر انصراف أصحابه، فودعهم وكتب إلى أهله وتخلف عن الرحيل.

فانصرف الرجل إلى موضعه، فاتبعه، فقال له: أين تريد؟ قال: معك، والله لا أفارقك أو تدلني على من أشرت إليه، وسار معه. فلما دخل المدينة التي فيها الإمام، أتى به إلى مسجد، فقال له: إجلس ههنا حتى أتيك فجلس ومضى عنه. وأقام أربعين يوما وعلى في ذلك المسجد لا يبرحه إلا لحاجة الإنسان، والرجل يتفقده من حيث لا يراه.

فلما رأى قوة عزمه ونيته أتاه. فلما رآه وثب إليه وقال: يا سيدي! ما هذا الفعل الذي قطعت بي، وتركتني؟ قال: وانك لههنا! قال: واين كنت أذهب؟ وأنت تقول لي: إجلس ههنا حتى أتيك. قال: فلو لم أتك، ما كنت صانعا؟ قال: إذن والله لا أبرح حتى أموت، فאלقى الله معذورا. فذهب به إلى موضعه، وأخذ عليه، وأوصله إلى الإمام. فلما رآه واختبر حاله قال لأبي القاسم: يا أيها القاسم هذا الذي كنا ننتظره، فكيف رأيك في الذي عرضت عليك من أمر اليمن؟ قال: يا مولاي أنا على ما قلت لك والأمر إليك. قال اعزم على اسم الله، فوالله ليظهرن الله أمرك ولتصدرن الدعاة إلى آفاق الأرض عنك. ودعا بعلى بن الفضل، فسأله عن أخبار اليمن، وأحواله، وملوكه، فأخبره بما أراد من ذلك، فقال: أتعرف عدن لاعة؟ قال: يا مولاي! عسى أن تكون أردت عدن أبين؟ قال لا! إلا عدن لاعة. قال: ما أعرفها. قال لأبي القاسم إلى عدن لاعة فاقصد، وعليها فاعتمد.

فمنها يظهر أمرنا وفيها تعز دولتنا ومنها تفرق دعائنا . وقال لعلي بن الفضل :
إني مرسل أخاك هذا داعياً إلى اليمن وأنت معه ، وتقدم إلى كل واحد منها
ناحية وأوصاه .

- وأعطى أبا القاسم كتاباً ، فيه أصول ورموز ، كان افتتاحه «باسمك
الله الرحمان الرحيم من أب المسلمين ، وأمير المؤمنين ووارث الوارثين ، سماء
الطارقين ، وشمس الناظرين ، وقمر المستضيئين ، وقبلة المسلمين ، وأمان
الخائفين وقاتل إبليس اللعين ، وركن الإسلام ، وعلم الأعلام ، وقلم
الأقلام ، ويوم الأيام ، ونور التمام ، رسالة عبد مسكين ، يعمل في البحر منذ
سنين ، ولعل سفينته تنجو من الغرق فينجو من ينجو فيها من العطب» . ثم
افتتح الكلام الذي أصله ، والمعنى الذي أراده ، وقال له فيما عهده إليه : إن
لقيت من هو ألحن بالحجة منك ، فانغمس له في الباطن ، قال : وكيف ذلك ؟
قال : تقطع الكلام ، وتريه أن تحت ما تريد الجواب به باطناً لا يمكنك ذكره ،
فتحتجز بذلك منه ، إلى أن يتهياً الحجة عليه . وأوصاه بعلي بن الفضل خيراً
وقال : هو شاب قريب عهد بالأمر ، فانظر كيف تسوس أمره وتقدم إلى على
ناحية وأوصاه ، وقال له : إن هذا الرجل الذي نبعث به معك بحر علم ،
فانظر كيف تصحبه وودعهما ، ودعاهما ، وإنصرفا عنه متوجهين إلى
اليمن . » (٢٤)

فهذه الحكاية تعطي صورة واضحة لأسلوب الدعوة الإسماعيلية حيث
الزرق ، والتفرس والتأنيس ، ثم التشكيك ، ثم التعليق ، والربط ،
والتدليس ، والتلبيس .

وكذلك التهرب ممن هو أعلم بالدليل ، وأقرع بالحجة وأقوى حيث قال
الإمام الاسماعيلي لمنصور اليمن فيما قاله له :

(٢٤) «افتتاح الدعوة» للقاضي النعمان المتوفى سنة ٣٦٣هـ ص ٣ إلى ١٢ تحقيق فرحات
الدشراوي ط الشركة التونسية للتوزيع ١٩٧٥م ومثله في «عيون الأخبار» و«فنون الآثار»
للداعي الاسماعيلي إدريس عماد الدين القرشي - السبع الرابع ص ٣٩٧ وما بعد ط دار
الأندلس - بيروت .

«ان لقيت من هو ألحن منك بالحجة فانغمس له في الباطن، قال:
وكيف ذلك؟»

قال: تقطع الكلام، وتريه أن تحت ما تريد الجواب به باطناً لا يمكنك
ذكره» (٢٥)

وهناك رواية أخرى عن حمدان قرمط أحد الدعاة الإسماعيلية القدامى
ذكرها كل من المقريري والنويري وغيرهما تشابه رواية منصور اليمى في
أسلوب الدعوة وتبين طريقتها فيذكر كل من المقريري والنويري.

«لما صار الأمر إلى أحمد بن عبد الله بن ميمون بن ديصان بعد أبيه -
وأحمد هذا هو جد عبيد الله الملقب بالمهدي - بعث - وهو بسلمية - الحسين
الأهوازي داعية إلى العراق، فلقى حمدان بن الأشعث قرمطاً بسواد الكوفة
ومعه ثور ينقل عليه، فقال له الحسين الأهوازي: كيف الطريق إلى قس
بهرام؟ فعرفه حمدان أنه قاصد إليه، وسأله الأهوازي عن قرية تعرف ببانورا
من قرى السواد، فذكر أنها قرية من قريته وكان حمدان هذا من قرية تعرف
بالدور على نهر هد من رستاق مهروسا من طسوج فرات بادقلى، قال:
فتأشيا ساعة، فقال له حمدان: إني أراك جئت من سفر بعيد، وأنت معي
فاركب ثورى هذا، فقال له الحسين: لم أؤمر بذلك، فقال له حمدان: كأنك
تعمل بأمر أمر لك؟ قال نعم، قال: ومن يأمرك وينهاك؟ قال: مالكي
ومالك ومن له الدنيا والآخرة، قال: فهت حمدان قرمط مفكراً، وأقبل ينظر
إليه ثم قال له: يا هذا ما يملك ما ذكرته إلا الله تعالى! قال: صدقت، والله
يهب ملكه لمن يشاء قال له حمدان فما تريد فى القرية التي سألتني عنها؟ قال:
دفع إلى جراب فيه علم سر من أسرار الله تعالى، وأمرت، أن أشفى هذه
القرية وأغنى أهلها وأستنقذهم وأملكهم أملاك أصحابهم.

وابتدا يدعوهم فقال له حمدان: يا هذا نشدتك الله! ألا دفعت إلى من

(٢٥) انظر «افتتاح الدعوة» ص ١٢، و«عيون الأخبار» السبع الرابع ص ٤٠٠، وأيضاً «كتاب
المهمة فى آداب أتباع الأئمة» للفاضل النعمان ص ٥٥ ط دار الفكر العربى، القاهرة.

هذا العلم الذي معك وانقذتني ينقذك الله!! قال له: «لا يجوز ذلك أو آخذ عليك عهداً وميثاقاً أخذه الله تعالى على النبيين والمرسلين وألقى عليك ما ينفعك، قال: فما زال حمدان يصرع إليه حتى جلسا في بعض الطريق وأخذ عليه العهد، ثم قال له: ما اسمك؟ قال: قرمط، ثم قال له قرمط: قم معي إلى منزلي حتى تجلس فيه، فإن لي إخواناً أصير بهم إليك لتأخذ عليهم العهد للمهدى، فصار معه إلى منزله، فأخذ على الناس العهد هناك» (٢٦).

وعلى ذلك ذكر كل من آبن النديم المتوفى سنة ٣٨٥هـ تقريباً (٢٧).

والهمداني عبد الجبار بن أحمد قاضي القضاة المتوفى سنة ٤١٥هـ (٢٨).

والبغدادي عبد القاهر المتوفى سنة ٤٢٩هـ (٢٩).

والحمادي محمد بن مالك المتوفى حوالي سنة ٤٥٠هـ (٣٠).

والإسفرائيني المتوفى ٤٧١هـ (٣١).

والغزالي أبو حامد المتوفى سنة ٥٠٥هـ (٣٢).

والشهرستاني عبد الكريم (٣٣).

والديلمي محمد بن الحسن المتوفى سنة ٧١٥هـ تقريباً (٣٤).

والنويري المتوفى سنة ٧٣٣هـ (٣٥).

(٢٦) أنظر «نهاية الأرب» للنويري ج ٢٥ ص ١٨٩، ١٩٠.

(٢٧) أنظر «الفهرست» لابن النديم ص ٢٢٨.

(٢٨) أنظر «تثبيت دلائل النبوة» لعبد الجبار الهمداني ج ١ ص ٥٩٥ وما بعد.

(٢٩) أنظر «الفرق بين الفرق» للبغدادي ص ٢٩٤ وما بعد.

(٣٠) أنظر «كشف أسرار الباطنية» للحمادي ص ٢١ وما بعد.

(٣١) أنظر «التبصير في الدين» للإسفرائيني ص ١٢٦.

(٣٢) أنظر «فضائح الباطنية» للغزالي ص ٢١ وما بعد.

(٣٣) أنظر «الملل والنحل» للشهرستاني ص ٣٣ على هامش «الفصل»

(٣٤) أنظر «بيان مذهب الباطنية ويطلانه» للديلمي ص ٢٦ وما بعد.

(٣٥) أنظر «الخطط» للمقرئزي ص ٣٩١ وما بعد.

والمقريري المتوفي سنة ٨٤٥هـ

وغيرهم الكثيرون الكثيرون، ذكروا أساليب الدعوة الاسماعيلية الخداعة وترتيبها لإستدراج الناس إلى الدعوة وإدخالهم فيها.

ونختار لبيان ذلك عبارة الغزالي لاختصارها وشمولها على جميع جوانبها، فيقول أبو حامد في الباب الثالث في الفصل الأول تحت عنوان «في درجات حيلهم».

«وقد نظموها على تسع درجات مرتبة، ولكل مرتبة إسم. أولها الزرق والتفرس ثم التأنيس ثم التشكيك، ثم التعليق، ثم الربط، ثم التدليس، ثم التلبيس، ثم الخلع ثم السلخ.....

أما الزرق والتفرس فهو أنهم قالوا: ينبغي أن يكون الداعي فطنا ذكياً صحيح الحدس صادق الفراسة متفطناً للبواطن بالنظر إلى الشرائع والظواهر، وليكن قادراً على ثلاثة أمور:

(الأول) وهو أهمها: أن يميز بين من يجوز أن يطمع في إستدراجه ويوثق ببلين عريكته لقبول ما يلقي إليه على خلاف معتقده. فرب رجل جهود على ما سمعه لا يمكن أن ينتزع من نفسه ما يرسخ فيه، فلا يضيعن الداعي كلامه مع مثل هذا. وليقطع طمعه منه، وليلتمس من فيه إنفعال وتأثر بما يلقي إليه من الكلام. وهم الموصوفون بالصفات التي سنذكرها في الفصل الذي يلي هذا الفصل. وينبغي أن نتقى، بكل حال، بث البذر في السبخ، والدخول إلى بيت فيه سراج يعني به الزجر عن دعوة العباسية، إرغاماً لأنوف أعدائها، فإن ذلك لا ينغرس ابد الدهر في نفوسهم، كما لا ينغرس البذر في الأرض السبخة بزعمهم. ويزجرون أيضاً عن دعوة الأذكياء من الفضلاء وذوي البصائر بطرق الجدال ومكامن الاحتيال، وبه يعنون الزجر عن بيت فيه سراج.

(الثاني) أن يكون مشتعل الحدس، ذكي الخاطر في تعبير الظواهر وردّها إلى البواطن إما إشتقاقاً من لفظها، أو تلقياً من عددها، أو تشبيها لها بما

يناسبها. وبالجملة فإن لم يقبل المستحيب منه تكذيب القرآن والسنة فينبغي أن يستخرج من قلبه معناه، الذي فهمه، ويترك معه اللفظ منزلاً على معنى يناسب هذه البدعة، فإنه لو شافهه بالتكذيب لم يقبل منه.

(الثالث) من الزرق والتفرس: ألا يدعو كل أحد إلى مسلك واحد، بل يبحث أولاً عن معتقده وما إليه ميله في طبعه ومذهبه. فأما طبعه فإن رآه مائلاً إلى الزهد والتقشف والتقوي والتنظف دعاه إلى الطاعة والإنقياد وإتباع الأمر من المطاع وزجره عن اتباع الشهوات وندبه إلى وظائف العبادات، وتأدية الأمانات: من الصدق وحسن المعاملة والأخلاق الحسنة، وخفض الجناح لذوي الحاجات، ولزوم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وإن كان طبعه مائلاً إلى المجون والخلاعة قرر في نفسه أن العبادة بلة وأن الورع حماقة، وأن هؤلاء المذنبين بالتكاليف مثالهم مثال الحمر المعناة بالأحمال الثقيلة. وإنما الفطنة في إتباع الشهوة ونيل اللذة وقضاء الوطر من هذه الدنيا المنقضية التي لا سبيل إلى تلافي لذاتها عند انقضاء العمر. - وأما حال المدعو من حيث المذهب فإن كان من الشيعة فلنفاتحه بأن الأمر كله في بغض بني تميم وبني عدي وبني أمية وبني العباس وأشياعهم، وفي التبري منهم ومن أتباعهم، وفي تولي الأئمة الصالحين وفي إنتظار خروج المهدي. وإن كان المدعو ناصبياً ذكر له أن الأمة إنما اجمعت على أبي بكر وعمر، ولا يقدم إلا من قدمته الأمة. حتى إذا إطمأن إليه قلبه ابتدأ بعد ذلك بيبث الأسرار على سبيل الاستدراج المذكور بعد. وكذلك إن كان من اليهود والمجوس والنصارى حاوره بما يضاها مذهبهم من معتقداته، فإن معتقد الدعاة ملتقط من فنون البدع والكفر، فلا نوع من البدعة إلا وقد اختار منه شيئاً، ليسهل عليهم بذلك مخاطبة تلك الفرق على ما سنحكي من مذهبهم.

أما حيلة «التأنيس» فهو أن يوافق كل من هم بدعوته في أفعال يتعاطاها هو ومن تميل إليه نفسه وأول ما يفعل الأنس بالمشاهدة على ما يوافق إعتقاد المدعو في شرعه. وقد رسموا للدعاة والمأذونين أن يجعلوا مبيتهم كله ليلة عند واحد من المستجيبين، ويجتهدون في استصحاب من له صوت طيب في قراءة

القرآن ليقرأ عندهم زماناً، ثم يتبع الداعي ذلك كله بشيء من الكلام الرقيق وأطراف من المواعظ اللطيفة الأخذة بمجامع القلوب. ثم يردف ذلك بالطعن في السلاطين وعلماء الزمان وجهال العوام، ويذكر أن الفرج منتظر من كل ذلك ببركة أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم! - وهو فيما بين ذلك يبكي أحياناً ويتنفس الصعداء. وإذا ذكر آية أو خبراً ذكران لله سرا في كلماته لا يطلع عليه إلا من اجتبه الله من خلقه وميزه بمزيد لطفه. فإن قدر على أن يتهدج بالليل مصلياً وباكياً عند غيبة صاحب البيت بحيث يطلع عليه صاحب البيت، ثم إذا أحس بأنه أطلع عليه عاد إلى مبيته واضطجع كالذي يقصد إخفاء عبادته، وكل ذلك ليستحکم الأنس به ويميل القلب إلى الاصغاء إلى كلامه. فهذه هي مرتبة التأنيس.

وأما حيلة «التشكيك» فمعناه أن الداعي ينبغي له بعد التأنيس أن يجتهد في تغيير إعتقاد المستجيب بأن يزلزل عقيدته فيما هو مصمم عليه. وسيله أن يبتدئه بالسؤال عن الحكمة في مقررات الشرائع وغوامض المسائل وعن التشابه من الآيات وكل ما لا ينقدح فيه معنى معقول. فيقول في معنى التشابه: ما معنى «الر» و«كهيعص» و«حم عسق»، إلى غير ذلك من أوائل السور؟ ويقال: «أترى أن تعيين هذه الحروف جرى وفاقاً بسبق اللسان، أو قصد تعيينها لأسرار هي مودعة تحتها لم تصادف في غيرها؟ وما عندي أن ذلك يكون هزلاً وعبثاً بلا فائدة» - ويشكك في الأحكام: ما بال الحائض تقضي الصوم دون الصلاة؟ ما بال الاغتسال يجب من المنى الطاهر ولا يجب من البول النجس؟ ويشككه في اخبار القرآن فيقول: ما بال أبواب الجنة ثمانية، وأبواب النار سبعة؟ وما معنى قوله: «وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةَ» وقوله تعالى: «عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ» افترى ضاقت القافية فلم يكمل العشرين، أو جرى ذلك وفاقاً بحكم سبق اللسان، أو قصداً لهذا التقييد ليخيل أن تحتة سرا، وأنه في نفسه لسر ليس يطلع عليه إلا الأنبياء والأئمة الراسخون في العلم؟ ما عندي أن يخلو عن سر وينفك من فائدة كامنة والعجب من غفلة الخلق عنها لا يشمرون عن ساق الجد في طلبها. - ثم

يشككه في خلقه العالم وجسد الأدمي ويقول: لم كانت السموات سبعا دون أن تكون ستا أو ثمان؟ لم كانت الكواكب السيارة سبعة والبروج إثني عشر؟ ولم كان في رأس الأدمي سبع ثقب: العينان والأذنان والمنخران والفم - وفي بدنه ثقبان فقط؟ ولم جعل رأس الأدمي على هيئة الميم ويدها إذا مدها على هيئة الحاء، والعجز على هيئة الميم والرجلان على هيئة الدال بحيث إذا جمع الكل يشكل بصورة محمد؟ افترى ان فيه تشبيها ورمزا؟ ما أعظم هذه العجائب! وما أعظم غفلة الخلق عنها! ولا يزال يورد عليه هذا الجنس حتى يشككه وينقدح في نفسه أن تحت هذه الظواهر أسرار سدت عنه وعن أصحابه، وينبعث منه شوق إلى طلبه.

وأما حيلة التعليق فبأن يطوى عنه جوانب هذه الشكوك إذا هو استكشفه عنها، لا ينفس عنه أصلاً، بل يتركه معلقاً ويهول الأمر عليه ويعظمه في نفسه ويقول له: لا تعجل فإن الدين أجل من أن يعث به، أو أن يوضع في غير موضعه ويكشف لغير أهله، هيهات هيهات!

جنتمانى لتعلمنا سر سعدى تجدانى بسر سعدى شحيحا

ثم يقول له: لا تعجل! إن ساعدتك السعادة سنبت إليك سر ذلك، أما سمعت قول صاحب الشرع: «إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق، فإن المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى».

وهكذا لا يزال يسوقه ثم يدافعه حتى إن رآه أعرض عنه واستهان به وقال: مالي ولهذا الفضول، وكان يحيك في صدره حرارة هذه الشكوك - قطع الطمع عنه، وإن رآه متعطشاً إليه وعده في وقت معين، وأمره بتقديم الصوم والصلاة والتوبة قبله، وعظم أمر هذا السر المكتوم. حتى إذا وافى الميعاد قال له إن هذه الأسرار مكتومة لا تودع إلا في سر محصن، فحصن حرزك، واحكم مداخله حتى أودعه فيه. فيقول المستحيب: وما طريقه؟ فيقول: أن آخذ عهد الله وميثاقه على كتمان هذا السر ومراعاته عن التضييع فإنه الدر الثمين والعلق النفيس. وأدنى درجات الراغب فيه صيانتة عن التضييع. وما

أودع الله هذه الأسرار أنبياءه إلا بعد أخذه عهدهم وميثاقهم ، وتلا قوله تعالى : « وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح » الآية ، وقال تعالى : « من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه » ، وقال تعالى : « ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها » وأما النبي صلى الله عليه وسلم فلم يفشه إلا بعد أخذ العهد على الخلفاء وأخذ البيعة على الأنصار تحت الشجرة . فإن كنت راغباً فأحلف لي على كتمانها ، وأنت بالخيرة بعده : فإن وفقت لدرك حقيقته سعدت سعادة عظيمة ، وإن اشمأزت نفسك عنه فلا غرو ، فإن كلا ميسر لما خلق له . ونحن نقدر كأنك لم تسمع ولم تحلف ، ولاضير عليك في يمين صادقة . فإن أبي الحلف خلاه ، وإن أنعم وأجاب فيه وجه الحلف واستوفاه .

وأما حيلة الربط فهو أن يربط لسانه بإيمان مغلفة وعهود مؤكدة ، لا يجسر على المخالفة لها بحال

وأما حيلة التدليس فهو أنه بعد اليمين وتأکید العهد لا يسمح ببث الأسرار إليه دفعة ، ولكن يتدرج فيه ويراعى أموراً :

(الأول) أنه يقتصر في أول وهلة على ذكر قاعدة المذهب ويقول : منار الجهل تحكيم الناس عقولهم الناقصة وآراءهم المتناقضة ، وإعراضهم عن الإتياع والتلقي من أصفياء الله وأئمتهم وأوتاد أرضه ، والذين هم خلفاء رسوله من بعده فمنهم الذين أودعهم الله سره المكنون ودينه المخزون ، وكشف لهم بواطن هذه الظواهر وأسرار هذه الأمثلة ، وإن الرشد والنجاة من الضلال بالرجوع إلى القرآن وأهل البيت . ولذلك قال عليه السلام لما قيل : ومن أين يعرف الحق بعدك؟ فقال : « ألم أترك فيكم القرآن وعترتي؟ » - وأراد به أعقابهم ، فهم الذين يطلعون على معاني القرآن .

ويقتصر في أول وهلة على هذا القدر ، ولا يفصح عن تفصيل ما يقوله الإمام .

(الثاني) أن يحتال لإبطال المدرك الثاني من مدارك الحق وهو ظواهر القرآن. فإن طالب الحق أما أن يفزع إلى التفكير والتأمل والنظر في مدارك العقول، كما أمر الله سبحانه به، فيفسد نظر العقل عليه بإيجاب التعلم والاتباع، أو يفزع إلى ظواهر القرآن والسنة. ولو صرح له بأنه تلبس ومحدث، لم يسمع منه. فليسلم له لفظه، ولينتزع عن قلبه معناه بأن يقول: «هذا الظاهر له باطن هو اللباب، والظاهر قشر بالإضافة إليه يقنع به من تقاعد به القصور عن درك الحقائق، حتى لا يبقى له معصم من عقل ومستروح من نقل».

(الثالث) ألا يظهر من نفسه أنه مخالف للأمة كلهم، وأنه منسلخ عن الدين والنحلة، إذ تنفر القلوب عنه، ولكن يعتزى إلى أبعد الفرق عن المسلك المستقيم وأطوعهم لقبول الخرافات، ويتستر بهم، ويتجمل بحب أهل البيت، وهم الروافض.

(الرابع) هو أن يقدم في أول كلامه أن الباطل ظاهر جلي، والحق دقيق بحيث لو سمعه الأكثرون لانكروه ونفروا عنه، وإن طلاب الحق والقائلين به من بين طلاب الجهل أفراد وآحاد، ليهون عليه التميز عن العامة في إنكار نظر العقل وظواهر ما ورد به النقل.

(الخامس) إن رآه نافراً عن التفرد عن العامة، فيقول له: إني مفش إليك سرّاً، وعليك حفظه» فإذا قال: «نعم» - قال: «إن فلاناً وفلاناً يعتقدون هذا المذهب ولكنهم يسرونه» - ويذكر له من الأفاضل من يعتقد المستجيب فيه الذكاء والفتنة. وليكن ذلك المذكور بعيداً عن بلده، حتى لا يتيسر له المراجعة، كما جعلوا الدعوة بعيدة عن مقر إمامهم ووطنه، فإنهم لو أظهروها في جواره لافتضحوا بما يتواتر من أخباره وأحواله.

(السادس) أن يمينه بظهور شوكة هذه الطائفة وإنتشار أمرهم وعلو رأيهم وظفر ناصريه بأعدائهم واتساع ذات يدهم ووصول كل واحد منهم إلى مراده حتى تجتمع لهم سعادة الدنيا والآخرة، ويعزّو بعض ذلك إلى

النجوم، وبعضه إلى الرؤيا في المنام إن أمكنه وضع منامات تنتهي إلى المستجيب على لسان غيره.

(السابع) ألا يطيل الداعي اقامته ببلد واحد، فإنه ربما اشتهر أمره وسفك دمه. فينبغي أن يحتاط في ذلك فيلبس على الناس أمره، ويتعرف إلى كل قوم باسم وآخر، وليغير في بعض الأوقات هيئته ولبسته خوف الآفات ليكون ذلك أبلغ في الاحتياط.

ثم بعد هذه المقدمات يتدرج قليلاً قليلاً في تفصيل المذهب للمستجيب وذكره له على ما سنحكي من معتقده.

وأما حيلة التلبس - فهو أن يواطئه على مقدمات يتسلمها منه مقبولة الظاهر مشهورة عند الناس ذائعة، ويرسخ ذلك في نفسه مدة. ثم يستدرجه منها بنتائج باطلة كقوله: إن أهل النظر لهم أقاويل متعارضة الأحوال متساوية، وكل حزب بما لديهم فرحون. والمطلع على الجوهر: الله. ولا يجوز أن يخفى الله الحق، ولا يوجد أحداً (.....) كل الأمر إلى الخلق يتخبطون فيه خبط العشواء ويقتحمون فيه العمياء، إلى غير ذلك من مقدمات (.....) مستعصية.

وأما حيلة الخلع والسلخ وهي هما متفقان، وإنما يفترقان في أن الخلع يختص بالعمل، فإذا أفضوا بالمستجيب إلى ترك حدود الشرع وتكاليفه يقولون وصلت إلى درجة الخلع. - أما السلخ فيختص بالإعتقاد الذي هو خلع الدين. فإذا انتزعوا ذلك من قلبه دعوا ذلك سلخاً، وسميت هذه الرتبة: البلاغ الأكبر. فهذا تفصيل تدرجهم الخلق واستغوائهم» (٣٦).

هذا ويؤيد أن ما قاله الغزالي عن الاسماعيلية وكيفية دعوتهم وترتيب مدارجها، حق وضواب هو اعتراف الداعي الاسماعيلي الكبير والحائز على منصب الداعي المطلق علي بن الوليد المتوفى سنة ٦١٢ هـ في كتابه الذي رد

(٣٦) «فضائح الباطنية» للغزالي ص ٢١ - إلى - ٣٢ ط مؤسسة دار الكتب الثقافية، الكويت.

به على الغزالي المذكور المسمى «دامغ الباطل وحتف المناضل» فإنه خصص الباب الخامس من كتابه هذا للرد على الباب الثالث من كتاب «فضائح الباطنية» للغزالي بعنوان (الباب الخامس يتضمن الرد عليه في بابه الثالث عما ذكره في بيان درجات حيلهم في التليس والكشف عن سبب الاغترار بحيلهم بزعمه) فإنه بعد تحمسه، وتغليظه في القول وتكثيره الشتائم والسباب مثل .

«إن ذكر هذا المارق لهذه المراتب التسع وتعداده لها، مما لم يحكه أي الفرق في تصنيف، ولا ذكره أحد من العلماء في وضع ولا تأليف، ولو كانت مقالات القائلين بها لظهرت عنهم قبل إبتداع هذا المفترى لها، وانتشرت، ولما اغفلت العلماء الديانون ذكرها فيما سطرت ولما كانت كما ذكرنا قبل استحداث هذا المارق لها، جارية في مضمار العدم، لم يحكها أحد من الأمم، صح أنها من جملة الأكاذيب التي ابتدعها، والإفتراءات التي لعظيم شقوته إخترعها، ويكفيه خزيا يذهب به إلى أسفل درك النار مع الداهيين، قول الله تعالى : (لعنة الله على الكاذبين) وأما تسميته لما ذكره بالحيل، فهو بهذه السمة أحق وبتوجيه مذمتها إليه أجدر وأليق. فهو إذن المحتال بخبيث فعله، الكائن من جملة حيل إبليس اللعين ورجله، والقول بالحيل رأى من تعصب هذا المارق لهم من أئمة الضلال» (٣٧).

بعد هذه السباب والشتائم بدأ يقرّ كل ما قاله الغزالي مثل ما قال عن الزرق والتفرس .

«نقول في جواب ذلك : ليت شعري ! أي هذه الشبائل التي ذكرها هذا الملحد ينكر ويدّم» (٣٨).

(٣٧) «دامغ الباطل وحتف المناضل» ص ٩٥، ٩٦ للداعي على بن الوليد الإسماعيلي بتقديم

مصطفى غالب الإسماعيلي ط مؤسسة عز الدين، بيروت، لبنان ١٩٨٢ م.

(٣٨) انظر ص ٩٦ من «دامغ الباطل» .

ثم قال في فصل آخر رداً على الغزالي في كون الداعي مميزاً من يطمع في استدراجه ومن لا يطمع ، فقال بعد كلام كثير :

«حبذا ما استعمل مما يفيد ثناء جيلاً في المعالجة وشكراً وثواباً جزيلاً في الآخرة» (٣٩).

ثم قال في سبيل الرد على الغزالي عن منع وضع البذرة في أرض سبخ ، قال في جوابه :

«نقول في جوابه : حبذا ما أمر به قائل ذلك من الأعراض عن كل مصرّ مستكبر» (٤٠).

هذا ولقد ورد عين ما ذكره الغزالي في سجلّ إسماعيلي من قبل الإمام الإسماعيلي إلى داعي دعائه ، ذكر فيه ما ذكر :

«ولا تلقى الوديعه إلّا لحفاظ الودائع ، ولا تلق الحب إلّا في مزرعة لا تكدي على الزارع ، وتوخ لغرسك أجل المغارس ، وتوردهم مشارع ماء الحياة المعين ، وتقربهم بقربان المخلصين ، وتخرجهم من ظلم الشكوك والشبهات ، إلى نور البراهين والآيات ، واتل مجالس الحكم التي تخرج إليك في الحضرة على المؤمنين والمؤمنات ، والمستجيبين والمستجيبات ، في قصور الخلافة الزاهرة ، والمسجد الجامع بالمعزية القاهرة ، وصن أسرار الحكم إلّا عن أهلها ، ولا تبذلها إلّا لمستحقها ، ولا تكشف للمستضعفين ما يعجزون عن تحمله ، ولا تستقل أفهامهم بتقبله ، واجمع من التبصر بين أدلة الشرائع والعقول ، ودل على اتصال المثل بالمثول ، فإن الظواهر أجسام والبواطن أشباحها والبواطن أنفس والظواهر أرواحها ، وإنه لا قوام للأشباح إلّا بالأرواح ، ولا قوام للأرواح في هذه الدار إلّا بالأشباح ، ولو افترقا لفسد النظام ، وانتسخ الإيجاد بالإعدام . واقتصر من البيان ، على ما يغرس في

(٣٩) أيضاً ص ٩٧.

(٤٠) أيضاً ص ٩٨.

النفوس صور الإيمان، ويصون المستضعفين من الافتنان، وانهم عن الإثم
ظاهرة وباطنه، وكامنه وعالنه» (٤١).

ثم يذكر على بن الوليد حيلة التأنيس ويرد عليه بقوله:

نقول في جواب ذلك: إنّ هذه الغيرة التي ذكرها، والأحوال التي
وصفها عن فاعلها لا مطعن بها على فاعلها» (٤٢).

ويقول عن تعليل الإسماعيلية الناس بالفرج المنتظر:

«نقول في جواب ذلك: أما انتظار الفرج فلا على فاعله من حرج، إذا
هو من علامات ذي التقى والزهد» (٤٣).

ثم يجيب على ما ذكره الغزالي من حيلة التشكيك بأن الغزالي قال:

«وأما حيلة التشكيك فمعناه أن الداعي بعد التأنيس ينبغي أن يجتهد في
تغيير اعتقاد المستجيب، بأن يزلزل عقده فيما هو مصمم عليه، هذا قوله.
نقول في جواب ذلك: إن كان المستجيب الذي ذكره هذا المارق أجاب داعي
ضلاله فعقيدته متغيرة قبل الإجابة لضعفها عن أن يتحصن عن الانخداع
لداعي الضلال، وبعده عن الحق، لقبوله ما يلقيه إليه من الترهات
والمحال، فقد سبق إلى عقيدته التغيير وحسبه ما إليه يصير، وإن كان
المستجيب أجاب داعي الهدى فلا غرو أن يغير اعتقاده الأول إجلاء طراوة
عقله، عما لبسها من الصدا.» (٤٤)

ثم قال رداً عليه بأنه قال الغزالي:

«فيقول الداعي في المشابة: ما معنى «المر» و«كهيعص» و«خمسق» إلى
غير ذلك من أوائل السور الخ.

(٤١) انظر «صبح الأعشى» للقلقشندي ج ١٠ ص ٤٣٦، ٤٣٧.

(٤٢) «دامغ الباطل» ص ١٠٣.

(٤٣) انظر ص ١٠٥.

(٤٤) أيضاً.

نقول في جواب ذلك : إن إيراد الداعي ما يورده على مستجبيه من أي الكتاب وقدح زناد ذكائه تنبيهها له لمن طوى عليه لفظه من المعاني واللباب هو ما ندب إليه من التدبر له والتذكير فيه» (٤٥).

وأما قول الغزالي :

ثم الداعي يشكله في خلقة العالم وجسد الأدمي ويقول : كانت السماوات سبعة دون أن تكون ستا أو ثمانية الخ .

نقول في جواب ذلك : إن سؤال الداعي لمستجبيه عن الكواكب وسائر الخلق لم يفعل إلا ما أمر الله تعالى به عباده وحضهم عليه وما أخبر به رسول الله صلى الله عليه وآله فكيف يطعن هذا الضال الملحد على من يقول بما نصه الله تعالى في كتابه ، وأمر به رسوله صلى الله عليه وآله ، لولا مروقه عن الاسلام وانسلاخه عن هداة» (٤٦).

وأما حيلة التعليق بأن يطوى عن المستجيب جواب هذه الشكوك الخ ، فيردّ عليه حسب زعمه بقوله :

نقول في جواب ذلك : إن كتمان سرّ الحكمة عن طالبها في مبدء الطلب ، واختباره بضروب الامتحانات ليظهر منه آثار الاستحقاق ليس ببديع ولا أمر فظيع» (٤٧).

وأما أخذ العهد والمواثيق وحيلة الربط فقال في جواب ذلك :

«نقول في جواب ذلك : إن العهد الكريم والميثاق مكرر ذكر في الكتاب العزيز تكراراً مقدر واجب فرضه فيه تكرير فلا مغمض على قائله ، ولا مطعن على آتيه وفاعله وان الاستيثاق من الناس إنما وجب في دين الله تعالى» (٤٨).

(٤٥) أيضا ص ١٠٧ .

(٤٦) أنظر ص ١٠٨ .

(٤٧) أنظر ص ١٠٩ .

(٤٨) انظر ص ١١٠ .

وأما ما ذكره الغزالي من حيلة التدليس يقول الداعي الاسماعيلي بصدد الرد عليه :

«نقول في جواب ذلك : إن قول هذا المارق ليس ذلك بمنكر في العقول ولا في الرسوم بل فيه الاحتياط والصيانة للحكمة التي هي باب العلوم» . . .

ثم استدل بقول المسيح عليه السلام : لا تنثروا القدس بين أيدي الكلاب ، ولا تلقوه إلى الخنازير ، وقال عليه السلام : لا تعلقوا يواقيتكم على قردتكم ، ولا تلقوا بقدسكم إلى خنازيركم فإن القردة لا علم لها بما علقت ، ولا الخنازير بما طعمت ، وقد تقدم من الاحتجاج في فصل من هذا الباب على كون الاختبار والامتحان لمن يراد إلقاء سر الحكمة إليه واجب» (٤٩)

فهذه هي خلاصة الرد من قبل الداعي المطلق الاسماعيلي علي بن الوليد على الغزالي فيما ذكره من مدارج دعوتهم وترتيبها ، فإن يسمّى هذا الرد ردًا ، الذي ليس إلّا إقراراً محضاً ، واعترافاً خالصاً بأن ما قاله الغزالي عنهم حق ثابت لا مردّ له ، اللهم إلّا تبريراً لما يعملون ، وتجويزاً لما يفعلون ، ولا أدري لما ذا كانت الشتائم والسباب ؟

ولما ذا كان الإندفاع والتحمس في بداية الكلام لو لم يكن بعد ذلك كله إلا إثباتاً لما قاله وتوثيقاً لما كتبه عنهم ؟

اللهم إلّا ما أنكره من صيغة العهد والمواثيق التي ساقها الغزالي ، ولا عبرة لصيغة دون صيغة مادامت الأيمان المؤكدة ، والعهود الموثقة موجودة ثابتة لمن أرادوا إدخاله في الديانة الاسماعيلية .

ولقد أطلنا الكلام في هذا لأننا قد أوجبنا على أنفسنا بأن لا نتكلم عن فئة ومعتقداتها ، وطائفة وعقائدها ، ونحلة وأفكارها ، وديانة وآرائها إلّا من كتب أصحابها ومعتنقيها لأنها أثبت للحجة والزم للخصم .

وبما أننا اضطررنا أن نود في هذا البحث مدارج الدعوة وكيفيتها بترتيب صحيح اضطررنا أن نلجأ لبيان ذلك إلى كتب غير الاسماعيلية، ولكننا لم نرد أن نكتفي بإيرادها من كتب الغير مهما كثرت وتظافرت وتواتر فيها الأخبار إلاّ مدعمة موثقة من كتب الاسماعيلية أنفسهم، فالحمد لله أقمنا الدليل وأوضحنا الحجة وبرهناً على الذي تصدّى بالردّ عليها بالعناد والاستكبار، ولكنه لم يجد بدءاً من الاقرار والاعتراف لأن كل ما قيل في ذلك حق ثابت لا مهرب منه ولا مفر، ولو أنه اختلق لها المبررات والمجيزات، وما لنا في ذلك من إيراد واعتراض، بل كل ما أردناه هو إثبات هذه الهيئة للدعوة الاسماعيلية وترتيبها.

ولد أمر بمثل ذلك التدرّج والترتيب أقدم قاضٍ اسماعيلي في دور الظهور، ألا وهو النعمان القاضي في كتابه «الهمة في آداب اتباع الأئمة» في فصل خاص حيث ذكر بعد كلام طويل نعرض عنه تجنباً للتكرار:

«ولتثبت أمر أولياء الله حدود وشرائط وآداب ودرجات يرتقى فيها الداخل في ذلك، فإذا لم يقف على ذلك أولاً فأولاً ويرتقيه درجة درجة ووصل إليه منه الشيء قبل وصول ما يجب أن يصل إليه قبله هلك، كما أن الطفل لو حمل عليه الطعام في حين ولادته هلك، ولهذا نظائر وأمثال يطول بها الكتاب، ولذلك كان علم أولياء الله غير مطلق إلاّ لمن أطلقوه له لأنه لو كان مطلقاً لأهلك بعض الناس به بعضاً كما يهلك الطفل لو حمل عليه الطعام في حين ولادته، والجنين لو استخرج قبل أن ينتهي إلى حد التمام، فلهذا ولا متحان العباد أسر أولياء الله ذلك وأخفوه»^(٥٠).

ويقول في فصل آخر تحت عنوان (ذكر ما ينبغي أن يستعمله الدعاة إلى الأئمة في دعائهم إليهم):

(٥٠) «كتاب الهمة في آداب اتباع الأئمة» للنعمان القاضي، الفصل السابع ص ٥٥ ط دار الفكر العربي القاهرة.

ثم ينبغي للداعي اختبار أمر من يدعوه وتعرف أحوالهم رجلاً رجلاً، وتميز كل امرئ منهم ومعرفة ما يصلح له أن يؤتى إليه ويحمله عليه من أمر الله وأمر أوليائه، ومقدار ما يحمله من ذلك وقدر قوته وطاقته ومتى يوصل ذلك إليه وكيف يغدوه به، وامتحان الرجال وتعرف الأحوال، ومقدار القوى ومبلغ الطاقات، وعلم ذلك هو أفضل ما يحتاج إليه الدعاة في باب السياسات والرياضيات، فكثير ما فسد أمر الداعي من جهله بهذا الباب - وفسدت دعوته منه، وقد يعتري من يجوز عليه التضييع من الدعاة وينفق عنده منهم وتجاوز عليه الحيل من الفساد في أمره والخلل في دعوته ما يطول القول بذكره» (٥١).

والجدير بالذكر أن رسائل إخوان الصفاء وهي في زعم الاسماعيلية رسائل إمام إسماعيلي في دور السر - ذكر فيها مثل هذا التدرج والترتيب في الدعوة، كما ذكر فيها أن الداعي يثير شكوك المستمع حول بعض الآيات وبعض الأخبار لإثارة الشكوك والشبهات وجلب الناس إلى الدعوة، وهام إخوان الصفاء يذكرون نفس المراتب في الدعوة، والأساليب التي ذكرها الغزالي عنهم، فيقولون لدعاتهم:

«إن شيعتنا وإخواننا المتفرقين في البلاد، وسائر من ينسب إلينا، فهم في أحوالهم ومراتبهم على منازل ثلاث: طائفة منهم خواص وعقلاء، متدينون أخيار فضلاء، وطائفة منهم أغبياء أشرار أردياء، وطائفة بين ذلك متوسطون. ولكل طائفة منهم آراء ومذاهب هم فيها مختلفون، وأقارب مقننة هم بها مشغوفون، وأخلاق وسجايا هم بها متغايرون. ولهم، مع ذلك، أفعال وأعمال هم لها معتادون، فنريد أن نذكر كل طائفة منهم بأوصافهم وندل عليهم بعلاماتهم، حتى إذا دخلت مدينة أو بلدًا من البلدان، ولقيت منهم أحداً، تبينتهم بعلاماتهم وعرفتهم بسيماهم، فلقيتهم بالتحية والسلام، وداخلت كل طائفة منهم بالطف ما تقتدر عليه من الرفق

والمداواة، وذاكرتهم من علمنا بحسب ما تقبله قلوبهم، وألقيت إليهم من أسرارنا حسبما تحتمله عقولهم وتتسع له نفوسهم، وتبلغ إليه همهم، وتتصوره أفهامهم وتكون في كل ذلك كمثّل الطبيب الحكيم الرفيق الذي ذكرت قصته في أول الرسالة لإخوان الصفاء.

إن من خواص إخواننا الفضلاء أنهم العلماء بأمور الديانات، العارفون بأسرار النبوات، المتأدّبون بالرياضيات الفلسفية، وإذا لقيت أحداً منهم وأنست منه رشداً، فبشره بما يسره، وذكره باستئناف دور الكشف والانتباه، وإجلاء الغمة عن العباد بانتقال القرآن من برج مثلثات النيران إلى برج مثلثات النبات والحيوان، في الدور العاشر الموافق لبית السلطان وظهور الاعلام.

وأعلم أن من أخواننا وأهل شيعتنا طائفة أخرى بوجودنا شاكون، وفي بقائنا متحIRON فيما يعتقدون من موالاةنا، وطائفة أخرى موقنون ببقائنا لكنهم غافلون عن أمرنا، غير عارفين بأسرارنا، وكلهم منتظرون لظهور أمرنا، مستعجلون لمجيء أيامنا، مشتّهون نصرّة أمرنا، فإذا لقيت منهم أحداً فبشره بما يسره، وأقرّ عينه بما يظنه بعيداً عما يومله، وعرفه أن ما يرجوه غير بعيد، وذكر من وثقت بهم من إخواننا بما ألقينا إليك من عملنا، وأطلعته على ما أطلعناك عليه من أسرارنا، كيما تطمئن نفوسهم فيما يعتقدون فينا، ويتبين لك صدق ما هم مقرّون به من أمرنا، أخرج إليهم من رسائلنا ما ترغب نفوسهم فيه وترتاح إليه وليكن ذلك على النظام والترتيب كما بينّا لك» (٥٢).

فهذه هي العبارة الناطقة بأحقية ما قيل عن الاسماعيلية في ترتيب دعوتهم وكيفيتها ونظامها.

(٥٢) «رسائل إخوان الصفاء» ج ٤ ص ١٤٥، ١٤٦، الرسالة السابعة من العلوم الناموسية والشرعية في كيفية الدعوة، ط: دار صادر بيروت.

وأما التشكيك فيقول إخوان الصفاء : إن الداعي ينبغي أن يلقي على
المستمع والمستجيب الأسئلة هذه :

«طس»، أو أشباه هذا من سُور
عن ظاهر بين رُعاع كالحُمُر
واستَحَوِّذُوا منها بما قد غَمِر
كانا مُعِينَيْنِ لإِبْلِيسَ الخَيْر؟
آدَمُ من بين النَّبَاتِ والخَضِر؟
مَوَاتُهُ، وَكَانَ قَبْلُ مُسْتَتَر؟
«قَابِيلُ» ذَنَّا لأَخِيهِ إِذْ حَضَرَ؟
الْخَلِيلُ إِبْرَاهِيمَ بَرْدًا إِذْ شَكَر؟
لَهُ الْإِلَهُ بَعْدَ مَوْتِ إِذْ صَبَرَ؟
سَفِينَةُ الْأَلَوَاحِ فِيهِ وَالْدُّسْر؟
وَالدَّمُ، إِذْ جِيءَ بِإِفْكِ مُشْتَهَر؟
وَالْحَبْسُ إِذْ قَدْ خَصَّ بِمَا مِنْهُ بَهْر؟
بِالْثَّمَنِ الْبَخْسِ وَبِالشَّيْءِ النَّزْر؟
عِنْدَهَا السَّجَنُ مُرَادِي فَصَبَرَ؟
عَلَى قَمِيصٍ كَانَ قَدْ مِنْ دُبُر؟
فِيهِ شِفَاءٌ لِأَبِيهِ مُدْخَر؟
الْصُّفْرَاءُ حَيْثُ قَتِيلًا فِي الْبَقَر؟
لِمَنْ عَلَيْهِ، لَا عَلَى الْمَاءِ اقْتَصِر؟
دَهْرًا، وَأَرْضُ التَّيْبِ كَالدُّرِّ صَغِير؟
يَشْهَدُهُ مَنْ غَابَ مِنْهُمْ وَحَضَرَ؟
«خَاتَمُهُ» وَمَا «الْعَصَا» سَاعَةَ خَر؟
وَالرِّيحُ إِذْ تَجْرِي بِهِ وَتَنْسُجِر؟
لَهُ عَلَيْهِ جَسَدًا لَمَّا اخْتَبِر؟

هذا، وما «طه» وما «حم» أو
وما أمورٌ أَخْفِيَتْ أَنْبَاءُهَا
مِنْ قِصَّةِ الْجَانِ الَّذِينَ أَقْسَدُوا،
وما هي «الحية» و«الطاووس» إذ
وما هي الحِنْطَةُ إِذْ حَذَرَهَا
وكيف لَمَّا ذَاقَهَا بَدَتْ لَهُ
وكيف تَعْلِيمُ «الْغُرَابِ» أَوَّلًا
وما هي النَّارُ الَّتِي كَانَتْ عَلَى
وما هي «الطير» الَّتِي أَنْشَرَهَا
وما هو «الطوفان» إِذْ غَمَّ، وما
وما قَمِيصُ يَوْسُفَ وَذَيْبُهُ،
و«الْجُبُّ» إِذْ أُلْقِيَ فِي غَيْبَتِهِ،
وكيف بَاعُوهُ عَلَى مُبْتَاعِهِ،
وما هو الْبَرْهَانُ، إِذْ أَبْصَرَ قَالَ
وشَاهَدُ مِنْهُ قَدْ اسْتَشْهَدَهُ
وكيف كَانَ، بَعْدَ ذَا، قَمِيصُهُ
وما هو الْعَجَلُ الَّذِي خَارَ، وما
وما دَمٌ فَاضَ فَصَارَ شَرْفًا
وكيف تَاهَتْ أُمَّةٌ عَظِيمَةٌ
و«الْجِبِلُّ» الْمَرْفُوعُ فِيهِمْ ظِلُّهُ،
وخرُّ ذِي الْمُلْكِ سَلِيمَانَ، وما
وما هي الطير، وما مَنْطِقُهَا،
وما هو الْكُرْسِيُّ فِي إِنْقَائِهِ

والعرشُ إذ أحضَرَهُ عَالِهِ
ويونسُ إذ قد بلَعَهُ حَوْتُهُ،
وما المسيحُ الروحُ، والمَهْدُ الذي
وضَلَبَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ، وما
ونومُ أهل الكهفِ والبعثُ لهم،
وسَدُّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، ومن
وكيف سَوَّاهُ حِجَاباً مُوثِقاً
وكيف إذ يَنْقَرِبُ الوعدُ لهم،
وما طلوعُ الشمسِ من مغربِها،
وكيف بعدَ نورِها تَكْوِيرُها،
وما هو «الدَّجَالُ» إذ حُدِّرَ مِنْهُ
وكيف يَجْرِي عن جَنَابِي جَيْشِهِ
فالجَبَلُ البَصْرِيُّ فِيهِ جَنَّةٌ
والأَصْفَهَانِيُّ عَلَيْهِ أبدأُ الذي
وذاك لا يَعْلَمُهُ إِلَّا الذي
وكان في خَلْقِ السَّمَوَاتِ العُلَى والأُ
فالحَمْدُ لله الذي أَشْهَدَنَا

قَبْلَ ارتدادِ طَرَفِهِ كَمَا ذَكَرْ؟
فشَاهَدَ الأَنْجَمُ فِيهَا واعتَبَرَ؟
كَلِمَ فِيهِ النَّاسُ في وقتِ صَغَرِ؟
يُعَلِّمَانِ النَّاسَ مَنْ قد سَحَرَ؟
وكلُّهُمْ سَابِعُهُمْ حَسْبَ الخَبَرِ؟
يَلْحُسُهُ مِنْ زُمَرٍ بَعْدَ زُمَرِ؟
نَفْخُ المَعِينِينَ، وإفْرَاقُ القَطْرِ؟
تَشْخَصُ أَبْصَارُهُمْ إِذَا انْقَعَرَ؟
مَا بَيْنَ قَرْنِي مَارِدٍ لَا يَنْزَجِرُ؟
وَالْأَنْجَمُ الزُّهْرُ عَلَيْهَا تَنْكَدِرُ؟
هَ كُلُّ خَلْقٍ وَهُوَ شَخْصٌ ذُو عَوْرٍ؟
مِنَ الجِبَالِ شَاغِحَاتٍ فِي الكِبَرِ؟
مُثْمَرَةٌ، ذَاتُ رِيَاضٍ وَزَهْرٍ
نَارٌ تَلْظِي وَدُخَانٌ مُنْعَكِرُ
أَشْهَدُ خَلْقَ نَفْسِهِ فِيهَا عِبْرُ
رَضٍ قد عُوضَدَ أَوْ كَانَ خَيْرُ
مَا لَمْ نَكُنْ نَعْلَمُ إِلَّا بِالْخَبَرِ

ثم يقولون: ولا ينبغي لأحد من إخواننا أن يجيب أحداً إذا سئل عن هذه المسائل إلا لمن قد هذب نفسه وأصلح أخلاقه لأن صدأ النفس ورداءة أخلاقها ممتنع من فهم معاني هذه» (٥٣).

وهل بعد هذا شكٌ لشاك، أو ريب لمرتاب بأن الاسماعيلية لا يلتجئون إلى مثل هذه الحيل لإيقاع السذج من الناس في شراكمهم وحبائلهم، ولا يستعملون لبث دعوتهم ونشر أفكارهم تلك الوسائل التي ذكرها الغزالي وغيره.

(٥٣) أيضاً، الرسالة السادسة من العلوم الناموسية والشرعية ص ١٤٢، ١٤٣، ١٤٤.

وأما صيغة العهد والميثاق فلقد أوردناها فيما مرّ في الأبواب السابقة وفي مقدمة هذا الكتاب من مختلف الكتب، ونورد ههنا صيغة أخرى في مثل هذه المواثيق والعهود لم نذكرها من قبل من رسالة إسماعيلية كتبت خصيصاً لهذا الغرض، وهي من رسالة «الدستور ودعوة المؤمنين للحضور، ولن أراد الدخول في الدعوة الاسماعيلية، والحضور إلى الجنة مع الولدان والخور تحت أكناف الستور» يبيّن فيها الداعي الاسماعيلي شمس الدين بن أحمد بن يعقوب بعد ذكر مقولات الداعي والنقيب عند إدخال أحد في الدعوة الاسماعيلية بعد امتحاناته:

«إذا فرغ النقيب من هذا المقال وشهدت الجماعة يجلس كما يجلس في الصلاة ويقرأ:

بسم الله الرحمن الرحيم. (وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الإيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً، إن الله يعلم ما تفعلون).

ثم يقسم المستجيب فيقول: أقسم بالله، الذي لا إله إلا هو، الحي الجبار القهار، عالم الغيب والشهادة، والنقص والزيادة، القائم على كل نفس بما كسبت، القوي الشديد الأخذ لها بما أظهرت واضمرت، العليم بما في الضمائر، الخبير بمكنون السرائر، الذي لا تخفى عليه خافية في الأرض، ولا في السماء، ولا تفوته غوامض الأشياء، الذي من أقسم به كاذباً واستشهده باطناً، استحق الخزي والخذلان، وحلّ في مقام السخط والهوان. وأقسم به ثانياً وثالثاً ورابعاً، كما أقسمت به أولاً، وأقسم بجميع أسمائه الحسنی، وصفاته العليا، وأشهد ملائكته المقربين، وأرواح أنبيائه المرسلين، ونفوس الصادقين والصالحين من عباده العارفين، أنني طالب راغب في المذهب الاسماعيلي من خالص اعتقادي، وصميم فؤادي، اعتقاداً لا يشوب باطنه الدنس ولا الشك ولا الريب ولا الشبهة في الإيمان، وليس قصدي في هذه الرغبة إلا تحقيق أمر الدين، وطلب معرفة حقيقة اليقين، وتصحيح الاعتقاد، والدخول مع الفرقة الناجية، من الطغيان والفساد، ومعرفة مولانا

صاحب الوقت، وامام الزمان. وإنّ إذا فهمت أمراً، وعرفت سرّاً، اكنمه وأخفيه عمن لا يعتقد بمعتقدك، ولا أظهره لأحد من الخلائق لا بقول وبنية ولا إشارة ولا عبارة، ولا تكتبه يداي، ولا ينطق به لساني، وإن أضمرت خلاف ما أنطق به، أو كنيته أو تخلّيت أو تفكرت أو توهمت، أكون كافراً بالله وبرسله وأوليائه وملائكته وكتبه، وأكون محارباً لهم، منكراً أمرهم، ومخالفاً قولهم، وذابحهم وشارب دمائهم، وبريئاً منهم في الدنيا والآخرة، وخارجاً من دين الإسلام والمروءة والإيمان. والله على ما أقول وكيل وشهيد». (٥٤)

ولقد ذكر الدكتور زاهد علي الاسماعيلي في كتابه زيادة على هذا:

«فمن نكث منكم . . . فهو بريء من الله . . . قولوا نعم وجميع ما يملكه وحوته يده من مال أو أثاث أو عقار أو متاع أو عرض أو جوهر أو زرع أو ضرع أو سائمة أو عمولة أو ركوبة أو رقيق أو كسب من جميع مكاسب الدنيا فهو صدقة على مساكين المسلمين غير مرتجع من ذلك بشيء إليه . . . قولوا نعم وكل ما أفاده في باقي عمره من فائدة يقل خطرها أو يجلب فهي محرمة عليه لا يفكه من ذلك إلا الوفاء بما عاهد عليه قولوا نعم وكل مملوك يملكه ذكراً أو أنثى أحرار لوجه الله لا سبيل له ولا لأحد بسببه عليه قولوا نعم وكل امرأة له أو يتزوجها في باقي عمره فهن طوالق ثلاثة البتة طلاق الحرج والسنة عند كل حيضة تطليقه لا رجعة له في ذلك ولا مثوبة قولوا نعم - وعليه المشي إلى بيت الله العتيق ثلاثين حجة خافياً راجلاً لا يقبل الله منه إلا بالوفاء قولوا نعم وعليه لعنة الله التي لعن بها إبليس وحرم عليه الجنة . . . وهو بريء من حول الله وقوته . . . والزمتم أعناقكم عهد الله الكريم . . . والحمد لله . . . العلي العظيم» (٥٥).

(٥٤) الرسالة المذكورة من «أربع رسائل اسماعيلية» جمع عارف تامر الاسماعيلي ص ٥٤، ٥٥ ط دار مكتبة الحياة بيروت ١٩٧٨ م.

(٥٥) «همارى اسماعيلي مذاهب» ص ٣٢٦، ٣٢٧.

وقال :

يقسم بهذا العهد والميثاق في الثامن عشر من الحجة يوم عيد الغدير من كل سنة ، ونقل مثل ذلك أيضا عن جعفر بن منصور اليمن باب الأبواب للإمام الإسماعيلي المعز لدين الله . (٥٦)

وهذا عين ما أورده الغزالي في كتابه ، وكذلك النويري في (نهارية الأرب) (٥٧) . والمقرئزي في خطه (٥٨) . وغيرهم بشيء من التبديل والتغيير ببعض الألفاظ دون المعنى والمفهوم .

ولولا خوف الإطالة لنقلنا ههنا ما ذكره كل من النويري والمقرئزي عن مدارج الدعوة التسعة ومنازلها مفصلة واحدة بعد الأخرى ولكننا نرى أن ما ذكرناه فيه الكفاية ، ومن أراد الاستزادة فليرجع إلى كتابيهما (٥٩) .

مجالس الدعوة

إن الدعوة الاسماعيلية كانت تذايع وتنشر سرأ في دور الستر، ولكن بعد استيلاء الاسماعيلية على بلاد المغرب أولاً، ثم بلاد مصر ثانياً، أقيمت لالقائها مجالس خاصة يلقي فيها الإمام الإسماعيلي الدعوة أحياناً أو بابه الذي عرف بعد ذلك بداعي الدعاة، في أكثر الأحيان نيابة عن الإمام كما ذكر ذلك النعمان المغربي القاضي أن المعز الإسماعيلي الرابع من الأئمة الإسماعيلية في دور الظهور كان يتكلم في مجلس من مثل هذه المجالس كلاماً في الموعظة إلى أن وقف الخادم قائلاً :

(٥٦) انظر ص ٣٢٨ .

(٥٧) انظر ج ٢٥ ص ٢١٧ تحقيق محمد جابر عبد العال ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٤ م .

(٥٨) انظر «المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار» للمقرئزي المتوفي ٨٤٥ هـ .

(٥٩) «الخطط» للمقرئزي ج ١ ص ٣٩١ و «نهاية الأرب» للنويري ج ٢٥ ص ١٩٥ وما بعد .

«قد قرب وقت الصلاة يا أمير المؤمنين فقال : وما ذلك؟ إن حضر وقتها صليت بإخواننا، وما عسى أن نقوم عنه إليه إلا وما نحن فيه أفضل منه، والله مألذي إلا فيما أنا فيه، ومن لي أن أقوم على ذلك أيام حياتي لو قد وجدت من يأخذ عني، ويفهم مني، وينتفع بما سمع، ويعي ما أقول» (٦٠).

وأما إلقاء الدعوة عن نائبه في الدعوة وهو داعي الدعاة أو الباب فقد ورد ذكر ذلك أيضاً في كتاب (المجالس والمسائرات) للنعمان القاضي حيث يذكر بأن المعز لدين الله هذا أمر بعض دعائه أن يقرأ كتاب (دعائم الإسلام) في مجلس من مجالس قصره. (٦١)

وهذا كان هو الأكثر والمعمول به بأن أحد الدعاة كان يلقي دروس الدعوة في مثل هذه المجالس بعد موافقة الإمام الإسماعيلي وتوقيعه أحياناً على محاضراته ودروسه التي يريد إلقاءها على المستمعين المستجيبين باسم الإمام الإسماعيلي.

وكانت هذه المجالس تعقد أحياناً في أماكن ثلاثة، أولاً: القصر، ثانياً: المساجد، ثالثاً: في دور العلم المعروفة بدور الحكمة أيام الإسماعيلية.

فأما القصر فلقد ذكر ذلك النعمان القاضي أيضاً حيث ذكر عن المعز الإسماعيلي أنه قال لبعض الأولياء:

ما تنظرون اليوم في شيء تنتفعون؟ ما تقرأون شيئاً؟ فسكتوا.

وكنت قبل ذلك قد سمعت بعضهم يحرض بعضاً في الاجتماع لقراءة كتاب «دعائم الإسلام» الذي بسطه المعز لدين الله (صلى الله عليه وسلم) لهم وجعله في مجلس من مجالس قصره، وأباح لهم متى أحبوا استماعه وقراءته وانتساخه والتعلم منه والتفقه فيه» (٦٢).

(٦٠) «المجالس والمسائرات» للقاضي النعمان ص ٢٢٤ ط المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية ١٩٧٨ م.

(٦١) انظر الجزء الرابع عشر من هذا الكتاب ص ٣٠٦.

(٦٢) «المجالس والمسائرات» للنعمان القاضي ص ٣٠٦.

ويذكر أيضاً:

«ولما فتح المعز لدين الله (صلى الله عليه وسلم) للمؤمنين باب رحمته وأقبل عليهم بوجه فضله ونعمته، أخرج إلى كتبنا من علم الباطن وأمرني أن أقرأها عليهم في كل يوم جمعة في مجلس في قصره المعمور بطول بقائه. فكثرت ازدحام الناس وغص بهم المكان وخرج احتفالهم عن حد السماع وملاؤا المجلس الذي أمر باجتماعهم فيه، وطائفة من رحبة القصر، وصاروا إلى حيث لا ينتهى الصوت إلى آخرهم». (٦٣)

ولقد ذكر ذلك مؤرخ مصر والاسماعيلية، المقرئ في خطه عن عبدالظاهر تحت عنوان (المحول) حيث يقول:

«المحول هو مجلس الداعي ويدخل إليه من باب الريح وبابه من باب البحر ويعرف بقصر البحر وكان في أوقات الاجتماع يصلى الداعي بالناس في رواقه. وقال المسيحي: وفي ربيع الأول يعنى من سنة خمس وثمانين وثلثمائة جلس القاضي محمد بن النعمان على كرسي بالقصر لقراءة علوم آل البيت على الرسم المعتاد المتقدم له ولأخيه بمصر ولأبيه بالمغرب فمات في الزحمة أحد عشر رجلاً فكفهم العزيز بالله». (٦٤)

وينقل أيضاً عن ابن الطوير أنه قال وهو يذكر داعي الدعاة:

«وأما داعي الدعاة فإنه يلي قاضي القضاة في الرتبة ويتزيا بزيه في اللباس وغيره ووصفه أنه يكون عالماً بجميع مذاهب أهل البيت يقرأ عليه ويأخذ العهد على من ينتقل من مذهبه إلى مذهبهم وبين يديه من نقباء المعلمين إثنا عشر نقيباً وله نواب كنواب الحكم في سائر البلاد ويحضر إليه فقهاء الدولة ولهم مكان يقال له دار العلم والجماعة منهم على التصدير بها أرزاق واسعة وكان الفقهاء منهم يتفقون على دفتر يقال له مجلس الحكمة في كل يوم اثنين

(٦٣) الجزء الثامن عشر ص ٣٨٦.

(٦٤) الخطط. للمقرئ ج ١ ص ٣٩٠، ٣٩١.

وخميس ويحضر مبيضا إلى داعي الدعاة فينفذه إليهم ويأخذه منهم ويدخل به إلى الخليفة في هذين اليومين المذكورين فيتلوه عليه إن أمكن ويأخذ علامته بظاهره ويجلس بالقصر لتلاوته على المؤمنين في مكانين للرجال على كرسى الدعوة بالايوان الكبير وللنساء بمجلس الداعي وكان من أعظم المباني وأوسعها، فإذا فرغ من تلاوته على المؤمنين والمؤمنات حضروا إليه لتقبيل يديه فيمسح على رؤوسهم بمكان العلامة أعنى خط الخليفة وله أخذ النجوى من المؤمنين بالقاهرة ومصر وأعمالهما لاسيما الصعيد ومبلغها ثلاثة دراهم وثلاث فيجتمع من ذلك شيء كثير يحمله إلى الخليفة بيده بينه وبينه أمانته في ذلك مع الله تعالى فيفرض له الخليفة منه ما يعينه لنفسه وللنقباء وفي الاسماعيلية الممولين من يحمل ثلاثة وثلاثين ديناراً وثلاثي دينار على حكم النجوى وصحبة ذلك رقعة مكتوبة باسمه فيتميز في المحول فيخرج له عليها خط الخليفة بارك الله فيك وفي مالك وولدك ودينك فيدخر ذلك ويتفاخر به وكانت هذه الخدمة متعلقة بقوم يقال لهم بنو عبد القوي أبا عن جد آخرهم الجليس» (٦٥).

ويذكر المقرئ أيضاً عن المسيحي :

«وكان الداعي يواصل الجلوس بالقصر لقراءة ما يقرأ على الأولياء والدعاوى المتصلة فكان يفرد للأولياء مجلساً وللخاصة وشيوخ الدولة ومن يختص بالقصور من الخدم وغيرهم مجلساً ولعوام الناس وللطارئين على البلد مجلساً وللنساء في جامع القاهرة المعروف بالجامع الأزهر مجلساً وللحرم وخواص نساء القصور مجلساً وكان يعمل المجالس في داره ثم نفذها إلى من يختص بخدمة الدولة ويتخذ لهذه المجالس كتباً يبيضونها بعد عرضها على الخليفة وكان يقبض في كل مجلس من هذه المجالس ما يتحصل من النجوى من كل من يدفع شيئاً من ذلك عينا وورقا من الرجال والنساء ويكتب أسماء من يدفع شيئاً على ما يدفعه وكذلك في عيد الفطر يكتب ما يدفع عن الفطرة

(٦٥) أيضاً.

ويحصل من ذلك مال جليل يدفع إلى بيت المال شيئاً بعد شيء وكانت تسمى مجالس الدعوة مجالس الحكمة وفي سنة أربعمئة كتب سجل عن الحاكم بأمر الله فيه رفع الخمس والزكاة والفطرة والنجوى التي كانت تحمل ويتقرب بها وتجري على أيدي القضاة وكتب سجل آخر بقطع مجالس الحكمة التي تقرأ على الأولياء يوم الخميس والجمعة» (٦٦).

وإن المجالس كانت تعقد في القصر في كل خميس وجمعة كما ذكر ذلك المقريري عن المسيحي، وكما ذكر النعمان أيضاً أن المعز خصص له بقراءة العلوم الحكمة (الاسماعيلية) يوم الجمعة بعد الصلاة كما يذكر وهو يخاطب المعز:

والله يا أمير المؤمنين لقد كنت إذا قرأت على الناس ما أمر أمير المؤمنين بقراءته عليهم من الحكمة يوم الجمعة وذكر أنه كان هذا بعد الصلاة حيث يقول وجلس في الحلقة بعد الصلاة يستمع المسائل» (٦٧).

ويظهر من المؤيد الشيرازي الداعي الاسماعيلي الكبير بأن يوم الخميس كان مختصاً للخاصة كما يذكر في إحدى قصائده:

يا صباح الخميس أهلاً وسهلاً	زادك الواحد المهيمن فضلاً
أنت عيد للمؤمنين عتيد	جمع الدين منهم فيك شملاً
نحن نجنى ثمار جنات عدن	كلما أقبل الخميس وولى
من رياض أنهارها جاريات	وبها الخور في المقاصر تجلى
تتروى الأرواح منها بماء	هو أشفى من الزلال واحلى
رتبة خصناها صاحب العصر	أمين الإله عز وجللاً
حجة الله، كعبة الله عين الله	خير الأنام فرعاً واصلاً

(٦٦) أيضاً.

(٦٧) كتاب «المجالس والمسائرات» الجزء العشرون ص ٤٣٤، ٤٣٥.

والمقام المحمود، والحاضر المو جود مفنى الطفلة بالسيف قتلا
الامام العدل الولى معد نجل من كان للنسبة بعللا^(٦٨)

وأما المساجد فكانت تلقى فيها أيضاً دروس الدعوة الاسماعيلية كما ذكر
المقريزي عن المسيحي بأن الداعي كان يفرد للنساء بجامع القاهرة المعروف
بجامع الأزهر مجلساً^(٦٩).

وأيضاً إن حفيد النعمان المغربي القاضي عبدالعزيز بن محمد أيضاً قرأ
على الناس في الجامع الأزهر كتاب جده (اختلاف أصول المذاهب)^(٧٠).

ويذكر القلقشندي عن المسيحي أيضاً أنه قال :

«إن الوزير أبا الفرج يعقوب بن كلس سأل العزيز بالله في حمله رزق
جماعة من العلماء، وأطلق لكل منهم كفايته من الرزق، وبني لهم داراً
بجانب الجامع الأزهر، فإذا كان يوم الجمعة حلّقوا بالجامع بعد الصلاة
وتلّكّموا في الفقه وأبو يعقوب قاضي الخندق رئيس الحلقة والملقى عليهم إلى
وقت العصر، وكانوا سبعة وثلاثين نفراً.»^(٧١)

وأما دار العلم أو دار الحكمة فيذكر القلقشندي :

«كان بجوار القصر دار تعرف «بدار العلم» خلف خان مسرور، كان
داعي الشيعة يجلس فيها، ويجتمع إليه من التلامذة من يتكلم في العلوم
المتعلقة بمذهبهم، وجعل الحاكم لها جزءاً من أوقافه التي وقفها على الجامع
الأزهر وجامع المقس وجامع راشدة، ثم أبطل الأفضل بن أمير الجيوش هذه
الدار لإجتماع الناس فيها والخوض في المذاهب خوفاً من الإجتماع على

(٦٨) انظر «ديوان المؤيد الشيرازي» القصيدة الحادية والعشرون ص ٣١٤ ط دار الكاتب
المصري ١٩٤٩ م.

(٦٩) انظر «الخطط» للمقريزي ج ١ ص ٣٩٣.

(٧٠) «رفع الأصر عن قضاة مصر» لابن حجر العسقلاني ص ٧٣.

(٧١) «صبح الأعشى» للقلقشندي ج ٣ ص ٣٦٧ ط المطبعة الأميرية القاهرة ١٩١٤ م.

المذهب النزاري ، ثم أعادها الأمر بواسطة خدام القصر بشرط أن يكون متوليها رجلاً ديناً والداعي هو الناظر فيها» (٧٢).

وذكره المقرئ أيضاً حيث قال :

«وفي يوم السبت هذا يعني العاشر من جمادى الآخرة سنة خمس وتسعين وثلثمائة فتحت الدار الملقبة بدار الحكمة بالقاهرة وجلس فيها الفقهاء وحملت الكتب إليها من خزائن القصور المعمورة ودخل الناس إليها ونسخ كل من التمس نسخ شيء مما فيها ما التمسه وكذلك من رأى قراءة شيء مما فيها وجلس فيها القراء والمنجمون وأصحاب النحو واللغة والأطباء بعد أن فرشت هذه الدار وزخرفت وعلقت على جميع أبوابها وممراتها الستور وأقيم قوام وخدام وفراشون وغيرهم وسموا بخدمتها وحصل في هذه الدار من خزائن أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله من الكتب التي أمر بحملها إليها من سائر العلوم والآداب والخطوط المنسوبة ما لم ير مثله مجتمعاً لأحد قط من الملوك وأباح ذلك كله لسائر الناس على طبقاتهم ممن يؤثر قراءة الكتب والنظر فيها فكان ذلك من المحاسن الماثورة أيضاً التي لم يسمع بمثلها من إجراء الرزق السني لمن رسم له بالجلوس فيها والخدمة لها من فقيه وغيره وحضرها الناس على طبقاتهم فمنهم من يحضر لقراءة الكتب ومنهم من يحضر للنسخ ومنهم من يحضر للتعليم وجعل فيها ما يحتاج الناس إليه من الحبر والأقلام والورق والمحابر وهي الدار المعروفة بختار الصقلي قال وفي سنة ثلاث وأربعمائة أحضر جماعة من دار العلم من أهل الحساب والمنطق وجماعة من الفقهاء منهم عبد الغني بن سعيد وجماعة من الأطباء إلى حضرة الحاكم بأمر الله وكانت كل طائفة تحضر على انفرادها للمناظرة بين يديه ثم خلع على الجميع ووصلهم ووقف الحاكم بأمر الله أماكن في فسطاط مصر على عدة مواضع وضمنها كتاباً ثبت على قاضي القضاة مالك بن سعيد وقد ذكر عند ذكر الجامع الأزهر وقال فيه وقد ذكر دار العلم ويكون العشرون العشر

(٧٢) «صبح الأعشى للقلقشندي ج ٣ ص ٣١٦ ، ٣٦٧ .

لدار الحكمة لما يحتاج إليه في كل سنة من العين المغربي مائتان وسبعة وخمسون ديناراً من ذلك لثمن الحصر العبداني وغيرها لهذه الدار عشرة دنائير ومن ذلك لورق الكاتب يعنى الناسخ تسعون ديناراً ومن ذلك للخازن بها ثمانية وأربعون ديناراً ومن ذلك لثمن الماء اثنا عشر ديناراً ومن ذلك للفراش خمسة عشر ديناراً ومن ذلك للورق والحبر والأقلام لمن ينظر فيها من الفقهاء اثنا عشر ديناراً ومن ذلك لمرمة الستارة دينار واحد ومن ذلك لمرمة ما عسى أن يتقطع من الكتب وما عساه أن يسقط من ورقها إثنا عشر ديناراً ومن ذلك لثمن لبود للفراش في الشتاء خمسة دنائير ومن ذلك لثمن طنافس في الشتاء أربعة دنائير» (٧٣).

وذكر أيضاً أن داعي الدعاة كان هو الذي يشرف على سير الدراسة فيها، وهو الذي يرتب لها الدعاة والأساتذة طبقاً لما يرسم لها من الخطط والغايات» (٧٤).

وقد ذكر أبو المحاسن جمال الدين بن تغرى بردى الاتابكي أن دار العلم هذه أنشأها الإمام الإسماعيلي الحاكم بأمر الله سنة أربع مائة من الهجرة فقال تحت حوادث السنة الرابعة عشرة من عهد الحاكم:

«وأمر بعمارة دار العلم وفرشها، ونقل إليها الكتب العظيمة» (٧٥).

ولكن عبدالله المرتضى الاسماعيلي يذكر في كتابه «الفلك الدوار» أن دار العلم أو دار الحكمة هذه أنشئت سنة ٣٩٥ هـ، فيقول وهو يبين غرض إنشائها أيضاً:

إن دار الحكمة التي أنشأها الحاكم سنة ٣٩٥ بجوار القصر الغربي بالقاهرة كانت من أجسم المؤسسات العلمية وأرقاها ووقف لها أماكن جمة

(٧٣) «الخطط» للمقريزي ج ١ ص ٤٥٨.

(٧٤) أيضاً.

(٧٥) «النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة» ج ٤ ص ٢٢٢ ط وزارة الثقافة والإرشاد القومي.

ينفق عليها من ريعها ففرشوها وزخرفوها حتى أصبحت جنة في تقانتها، والغرض من دار الحكمة لخدمة الناس في المطالعة والدرس والتأليف وهي طريقة القدماء في تعليم الناس إذ يتعذر إلا على الأغنياء اقتناء الكتب الكثيرة نظراً لغلائها فمن أحب تعليم رعيته أنشأ مكتبة جمع فيها الكتب وفتح أبوابها للناس.

وكان الإمام الحاكم يستحضر العلماء إلى الدار المذكورة إلى ما بين يديه ويأمرهم بالمناظرة، ،

أجل إن المراد الأسمى في إنشاء دار الحكمة لتكون ذات مراتب ثلاث كما نفصلها:

الأولى:

جعلت لاستيعاب الكتب كما ذكر للتمدن الإسلامي والمطالعات والمحاضرات بين العلماء والفقهاء وأرباب المناصب الكبرى في المملكة من سياسة وقضاء وهلم جرا والأخرى أنه يقال عنها (دار المبرات) أو (ميدان السباق العلمي) لما كان خريجوها يدهشون العالم في سعة علمهم وكثرة إطلاعهم كالحسن بن عبدالله اليازوري وأبو سعيد التستري والجرجاني وعلى ابن فلاح وزير الوزراء والسيد حمزة بن علي الفارسي.

الثانية:

جعلت لتثقيف القضاة وتدريبهم على شئون القضاء وكان منهم الذين يتولون مناصب القضاء لكن لا يخول لطالب أن يتمرن في هذه الدار إلا أن يتثقف في الأزهر سيما وقد كانت وضعيتها تمثل صفة محكمة فيتقاضون أولئك ويرافعون أمام بعضهم ليتدربوا على القضاء وبالاختصار أنها كانت (مقر التدريب القضائي) لأن منصب القضاء عند الخلفاء الفاطميين وخصوصاً الإمام الحاكم كان من أروع المناصب وأجل الوظائف وكان القاضي عندهم أرفع الموظفين لديهم قدراً وأعلامهم شأنًا ومن شاء الاستيضاح التام عما ذكرنا فليراجع تاريخ (صبح الأعشى صحيفة ٤٨٦ في الجزء الثالث).

الثالثة:

كان شأنها تعليم موظفي الدعوة الإسماعيلية الدينية الصحيحة. الذين كان يعهد إليهم بالدعوة للمذهب الإسماعيلي (كالوزراء والدعاة والمأذونين) وكان هؤلاء يتلقون علومهم في النحو والفلسفة والمنطق والنجوم وأصول الفقه في الأزهر وحينما يبلغون فيه أشدهم العلمي يغادرونه إلى دار الحكمة حيث تلقى عليهم أصول القيام بمهام شئون المذهب كيلا يوشكوا بعثرات أثناء مهمتهم التي سندلى إليهم وان هذا القسم من دار الحكمة يدعى إذ ذاك (ب مائدة الرشد) أو الأخرى (ب قبة الهدى) لأنها كانت تتفجر منها ينابيع الحكمة ويسطع منها نور الهدى وقد كان لوزراء الدين والدعاة والمأذونين رتبة سامية في الدعوة وجاء على ذكرهم «صبح الأعشى في الجزء الثالث صحيفة ٤٨٧»، ما يدل على سمو مقامهم فقال: «إن رتبة داعي الدعاة تلى مقام الوزارة ورتبة قاضي القضاة وكان يتزيا بزي القضاة في اللباس وغيره وموضوعه عندهم أنه يقرأ عليهم مذهب أهل البيت» «أي آل محمد صلى الله عليه وسلم» بدار تعرف بدار العلم ويأخذ العهد على من ينتقل إلى مذهبهم» (٧٦).

فهذه هي الأماكن التي كانت تلقى فيها محاضرات الدعوة الإسماعيلية ودروسها، وفيها كان يلقي علوم هؤلاء الناس وعقائدهم ويرسخ أفكاره ومعتقداته، ثم انتقلت المجالس بعد انقضاء الدولة الإسماعيلية في مصر إلى قلاع حسن بن صباح في الموت وغيرها للنزارية ثم إلى اليمن والهند للمستعلية، وسيأتي ذكرها وهيئتها عند ذكرهم في الجزء الثاني من هذا الكتاب.

(٧٦) «الملك الدوار» لعبدالله المرتضى الإسماعيلي ص ٦٣، ٦٤، ٦٥ ط سوريا.

الباب الثامن

الاسماعيلية مجموعة تعارضات وتناقضات

إنَّ الإسماعيلية يدَّعون بأنهم لم يأخذوا تعاليمهم وعلومهم إلا من الأئمة المعصومين^(١) الذين لا يخطئون ولا يغلطون، ولم يبنوا عقائدهم ومعتقداتهم إلا على أفكارهم ومروياتهم، ولم يستقوا إلا من منابعهم وينابيعهم، ولم يذهبوا إلا مذهبهم، ولم يسلكوا إلى مسالكهم، ولم ينهجوا إلا مناهجهم دون الآخرين، فإنهم اتبعوا غير المعصومين الذين يخطئون ويغلطون.

ومن لوازم العصمة عدم التعارض والتناقض، كما أنَّه من نتائج عدم العصمة وثمراته وقوع الأخطاء والاختلاف ”... ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً“.

وقد رووا في ذلك روايات كثيرة، منها ما رووها عن جعفر بن محمد الباقر أنه قال يوماً لبعض شيعته :

”إنَّ الناس قد أخذوا من ههنا وههنا، وأخذتم من حيث أخذ نبيَّ الله“^(٢).

(١) وعصمتهم كعصمة الأنبياء والرسل بل وأعلى منهم وأفضل كما ذكرناه مفصلاً في الباب الرابع.

(٢) ”المجالس المستنصرية“ للداعى علم الاسلام ثقة الامام ص ٧٤ المجلس الرابع عشر ط دكتور محمد كامل حسين، دار الفكر العربي، القاهرة.

هذا، ولقد استكبر النعمان بن محمد المغربي قاضي القضاة الإسماعيلية، وتبجح كثيراً في كتبه أن الإسماعيلية هم الوحيدون في الدنيا الذين يقتدون بالمعصومين ولا يتبعون المخطئين، وأتباع من يجوز عنهم صدور الخطأ بسبب الخلاف والفرقة، لاختلافهم في فهم القضية واستنباط الأحكام واستخراج المسائل لتعدد الأفهام وتنوع المعلومات، عكس أشياع المعصومين فإنهم مع تعددهم لا يكونون إلا واحداً لاتحادهم في المصدر والمرجع ولسلامتهم عن الهفوة والزلة في النقل والأداء، فيقول في كتابه الذي كتبه خصيصاً للرد على جميع الطوائف غير الإسماعيلية (إختلاف أصول المذاهب) تحت عنوان ” ذكر علّة الإختلاف “.

” وقد سئل أبو عبد الله جعفر بن محمد، عن علّة إختلاف النّاس بعد رسول الله، وكيف يختلفون بعد رسول الله ؟ وما هي الأسباب ؟ فقال السّائل : هل يختلفوا في حياة رسول الله ؟ قال : وكيف يختلفون ورسول الله معهم ؟ يبين لهم ما يختلفوا فيه، فيرجعون إليه، قال : صدقت ! وكذلك لولى الأمر من بعده من يعلم ما يسأل عنه، فإذا سألوه أجابهم عما يختلفوا فيه، ولكن من ولى الأمر بعده لا يعلم بكل ما ورد عليه فيه، فكان الإختلاف من أجل ذلك، ولو سلموا لولى الأمر، وأخذوا عنه لما اختلف منهم اثنان في دين الله تعالى، كما لم يختلفوا في حياة رسول الله، فهذا ما روى في الإختلاف، في بدء الأمر. وأمّا ما كان بعد ذلك فإنه ولى أمور النّاس من بنى أميّة، وبنى العباس، من لا علم لهم بحلال الله وحرامه، ولا لهم بغية في إقامة ذلك، وأنما كان ابتغاؤهم وهمتهم، طلب حطام الدنيا. فلما ظفروا، أقبلوا عليه، وأعرضوا عما سواه، وسلموا أمر الدين للمتفقهين من العوام، (بزعمهم) فكان ذلك مما أرضوهم به، واستمالوهم بسببه، إلى بغيتهم، على ما لا يعلمونه فيهم، وخلوا بأنفسهم وتنافسوا في رئاستهم، وكثروا، وتشعبت بهم الأهواء، وخالفت بينهم الآراء فانفرد المتغلبون الذين تعبدوا الله ومن جلسوا مجالسهم بإقامة الدين إلى من بايع لهم، وتسلم لأمرهم وتولاهم وتسموا بالعلماء والفقهاء، وتنافسوا في المراتب وكثروا

وترأسوا في الناس، واختلفوا إذ عجزوا عن علم الكتاب والسنة، فاستنبطوا أحكاماً من ذات أنفسهم للأمة عندما أنفوا من ردّ ما اختلفوا فيه إلى الذي أمرهم الله بالرد إليه، حرصاً على رئاستهم، وحتى لا ينسب العجز عند من ترأسوا عليه إليهم، فيعدلوا عنهم، وفي هذه جملة من القول في سبب اختلافهم، إلى أن قام مهدي الأمة من أهل بيت الرحمة، الذي جاءت الأخبار عن رسول الله بالبشرى بقيامه وذكر ما يكون من إقامة دين الله علي يديه وفي أيامه، ما يطول شرحه ويخرج عن حد هذا الكتاب، منها قوله : ” المهدي من ولدي، يحى سنتي، ويتمّ أمرى، ويطلب بشار أهل بيتي، ويمسك الأرض عدلاً وقسطاً، كما ملئت ظلماً وجوراً وخبطاً ” فقام المهدي فأحى السنن، وأمات البدع، وأسكت المبطلين المختلفين في الدين، فأقام مناره، ونصب أعلامه، وشرّع شرائعه، وقوّم أحكامه، وحمل الأمة للسير على منهاجه وقطع الأحداث والبدع منه، والإختلاف فيه والتغاير. ولقد دسّ إليه بعض الملحدين، رقعة كالتنصح له، من غير أن يظهر له نفسه، يقول : ” لو أن أمير المؤمنين أخذ العامة بمذهب زيد، الذين أكثرهم يذهبون إليه في الموارد، لدفع إلى بيت المال من ذلك ما لا عظيماً، فلما وقف علي قوله استشاط غيظاً، وأمر بطلبه والفحص عنه، ليعاقبه عقوبة من كان مثله فلم يجده وخفى أمره، إذ لم يكن يبدى نفسه، وإنما دسّ رقعته، فقال المهدي : أراد هذا الفاسق، أن يرى الناس أننا خلفنا حكم الله بعرض من أعراض الدنيا، إنما تعبدنا الله بإقامته، والحكم بالحق بين عباده، ولم يقمنا للجمع من حطام الدنيا من غير حلتة ووجهته وحقه، ونحى سنة جدنا نبيّه، وأمر بأن لا يلتقى اثنان على مفاوضته، لا في حلال ولا في حرام، إلا ما أقامه من مذهب الحق على كتاب الله وسنة نبيّه محمد، وتابعه على ذلك أمراء المؤمنين من ولده، فأخذ الناس به من بعده، فعاد الدين على ابتدائه، وانتظم في نظام أوليائه ” (٣).

(٣) كتاب ” اختلاف أصول المذاهب ” للنعيمان بن محمد القاضي ص ٣٢ - إلى ٣٥ الباب الأول ط دار الاندلس، بيروت ١٩٨٣ م.

وقال أيضاً في الباب الثالث من هذا الكتاب متبجحاً على مذهبه لعدم إمكان وقوع الخلاف فيه :

” فنحن لا نقلد من لم يأمر الله بتقليده كما قلّدتم أنتم من قلّدتموه، ولا أخذنا عن أئمتنا امرا كانوا يجهلون فاستنبطوه كما فعل من أخذتم أنتم ذلك عنهم، وإنما قلنا ما آثروه لنا ورووه، وحملوه ولم يبتدعوه، ولا تقولوه كما فعل ذلك من أخذتم أنتم عنهم “^(٤).

هذا، ومثل هذا كثير في كتب القوم من المتقدمين والمتأخرين، فيظنّ الباحث والقارئ بعد ما يقرأ هذا ويسمعه لأول وهلة أن الإسماعيلية لا اختلاف بينهم ولا تعارض ولا تناقض في ديانتهم لبنائها على أسس أسسها المعصومون، وقواعد رسمها الذين لا يخطئون، وأصول قررها الوحي، ولكنه عندما يسبر غورة كتبهم، ويتفحص في رسائلهم، ويعن النظر في عقائدهم، ويتعمق في معتقدهم، ويبحث في تعاليمهم وأفكارهم ويتقّب في آرائهم ونظرياتهم ليجد الأمر مقلوباً والحال معكوساً بأن الإسماعيلية مجموعة عقائد متعارضة، وآراء متخالفة، وأفكار متضاربة، وقواعد متناقضة، وأسس غير ثابتة كاد أن لا يتفق القوم في مسألة واحدة وقضية متفردة.

ومن كثرة ما وقع الخلاف بينهم في مسائل كثيرة بدأ يضيق أحد الكتاب المادحين لهم والمدافعين عنهم بكل قوة وحماسة، وينظر إلى أن يقول بعد الإطلاع على اختلافاتهم الكثيرة الكثيرة :

” من ذلك نستطيع أن ندرك كثرة الاختلافات التي كانت بين الدعاة، كما لا نستطيع أن نعلّل وجود هذا الخلاف في حين أن الفاطميين صرحوا أن علمهم مأخوذ من الإمام المعصوم الذي أودعه الله أسرار دينه وأسرار خلقه “^(٥).

(٤) أيضاً، الباب الثالث ص ٧٧.

(٥) مقدمة ” ديوان المزيّد في الدين الشرازي ” لمحمد كامل حسين ص ٩٧ ط دار الكتاب

المصري، القاهرة ١٩٤٩ م

وأجبرت هذه الاختلافات الشديدة، الكاتب الإسماعيلي المعاصر على أن يقرّ ويعترف :

” من المعلوم أن العقائد الإسماعيلية لا يمكن دراستها وبحثها على أنها عقائد ثابتة لفرقة موحدة، ذلك أنها عقائد تطورت حسب البيئات والأزمان، فاختلفت باختلافها وتشعبت آراؤها ونظرياتها حتى أصبح من الصعب أن تبلور هذه العقائد أو أن تصهر في بوتقة واحدة“.

وبمثل ذلك قال أيضاً الباحثان الآخران :

” ونحن نعلم أن العقائد الإسماعيلية لا يمكن بأية حال من الأحوال أن تدرس على أنها عقائد ثابتة لفرقة موحدة، بل هي عقائد تطورت حسب البيئات والأزمان، لكل بيئة عقائدها، وتطورت العقائد في كل بيئة بمرور الزمن، فاختلفت العقائد الإسماعيلية باختلاف البيئات وتشعبت آراء الإسماعيلية بحيث أصبح من الصعب العسير أن نلم بأطراف العقائد الإسماعيلية طول تاريخها“ (٧).

وها نحن نضع النقاط على الحروف لبيان ذلك وإيضاحه بالإختصار.

(٦) مقدمة ” كنز الولد “ لمصطفى غالب الإسماعيلي ص دار الاندلس ١٩٧٩ م.

(٧) مقدمة ” سيرة الأستاذ جودر “ لمحمد كامل حسين والدكتور محمد عبد الهادي شعيره ص ١٧ ط دار الفكر العربي.

رجوع النص القهقري

من المعلوم أن الاختلاف حصل في الشيعة فيمن يلي الإمامة بعد جعفر بن محمد الباقر.

فقال قوم : إن الإمام بعده موسى الكاظم.

وقال قوم : عبد الله الأفتح.

وقوم قالوا بإمامة محمد الديباج.

والآخرون بأقوال وآراء ذكرناها مفصلة في الباب الأول من هذا الكتاب.

فعارض الإسماعيلية هؤلاء الجميع وقالوا : إن الإمام بعده إسماعيل ابنه الأكبر ولو أنه مات في حياته ولكن النص لا يرجع القهقري، وبقيت الإمامة في عقبه فصار الإمام بعده محمد بن إسماعيل.

وهذا معنى قول الله عز وجل "وجعلها كلمة باقية في عقبه" فلا ينتقل النص من أخ إلى أخ بعد الحسن والحسين. (٨).

(٨) انظر "زهر المعاني" ص ٥٠ من "المنتخب" لايوانوف، أيضاً "اسرار النطقا" لجعفر بن منصور اليميني ص ٨١ وما بعد من "المنتخب" أيضاً "غاية المواليد" ص ٣٦ من "المنتخب" أيضاً "عيون الأخبار" السبع الرابع ص ٣٣٥ وغيره من الكتب الكثيرة الكثيرة.

فعلى هذا الأساس والأصل كَوْنُوا فرقتهم، وقام مذهبهم، بل هو أصل الأصول، وأساس الأسس، الذي يميّز الإسماعيلية عن الشيعة الآخرين، لولاه لما كان لهم الوجود، ولذلك أكثروا فيه القيل والقال، وشنعوا على الطوائف الأخرى الشيعية لإعراضهم عن هذا الأصل وإهمالهم إيّاه، وقد سَوَدُوا صفحات كثيرة لكتبهم في هذا الموضوع.

ولكنّه من الغرائب والعجائب أن الأئمة الإسماعيلية بعدئذ لم يراعوا هذا الأصل، وحاولوا نقضه ومخالفته، ومن المدهش أن المعز الإسماعيلي وهو الإمام الإسماعيلي الرابع في دور الظهور نقضه فعلاً وعارضه، وخالفه، ورماه خلف ظهره غير آبه ولا مكترث عندما مات ابنه عبد الله في حياته، الذي جعل النص فيه أولاً وأعلن ولاية العهد له بعده، ثم نقل النص إلى أخيه العزيز ابنه الأصغر دون نقله إلى ابن عبد الله مثلاً صار في ابن اسماعيل^(٩).

وهكذا هدم ذلك المبدأ الأساسي الذي قام عليه المذهب الإسماعيلي والديانة الإسماعيلية ولا أدري كيف يستسيغ الإسماعيلية بعد ذلك أن يردّوا على الشيعة الإثني عشرية والزيدية والآخرين من الإدارسة والحسينيين ما دام انهدم دعامة مذهبهم الأصلية من نقل الإمامة في الأعقاب، وعدم رجوع النص القهقري؟

وكيف يحقّ لهم اثبات إمامة محمد بن اسماعيل دون الآخرين من أعمامه من ولد جعفر بن محمد الباقر؟

وأحواله تتشابه تماماً مع العزيز بن المعز.

وهذا التناقض والتعارض وحده كاف للقضاء على المذهب الإسماعيلي والحكم عليه بالبطلان.

(٩) انظر "سيرة الاستاذ جواد" ص ١٣٩، و ١٤٣، أيضاً "اتعاظ الخفاء" ج ١ ص ٢٠٣ أيضاً "سير أعلام النبلاء" ج ١٥ ص ٣٦٤، ٣٦٥ "ديوان تميم بن المعز" ص ١٤٧ ط دار الثقافة ١٩٧٠ م، أيضاً "الخطط" ج ١ ص ٣٥٣.

وقد أثار تصرف المعزّ هذا وقضاؤه على المبدأ الإسماعيلي الهام ونقضه أصلاً من أصول المذهب استغراب واندعاش الدكتور محمد كامل حسين، والدكتور محمد عبد الهادي شعيرة المحققين لكتاب (سيرة الأستاذ جوذر) حتى قالوا :

”ومن الموضوعات التي وردت في هذا الكتاب وتلفت نظر الباحثين في الدراسات الإسماعيلية أن المعزّ لدين الله نص على ولي عهده عبد الله، ثم توفي عبد الله في حياة أبيه، ثم رأينا العزيز بالله يخلف أباه المعزّ لدين الله في الإمامة. هذه المسألة تشبه تماماً ما كان عليه الأمر في حياة جعفر الصادق الذي نص على ولي عهده ابنه إسماعيل، ومات إسماعيل في حياة أبيه، فانقسم أتباع جعفر إلى فرقتين : فرقة قالت بأن النص لا يرجع القهقهرى فلا بد أن ينتقل النص إلى ابن إسماعيل وهؤلاء هم الإسماعيلية، والفرقة الثانية قالت بأن النص انتقل إلى موسى الكاظم وهؤلاء هم الإمامية الإثنا عشرية، وإذن فالأساس الذي قامت فرقة الإسماعيلية عليه وظهرت في الوجود بموجبه هو أن النص لا يرجع القهقهرى ولا ينتقل النص من أخ إلى أخ بعد الحسن والحسين، بل لا بد أن ينتقل في الأعقاب، وبذلك أولوا الآية القرآنية ”وجعلها كلمة باقية في عقبه“ بأن النص لا يكون إلا في الأعقاب، ومع هذا المبدأ الأساسي لفرقة الإسماعيلية نرى المعزّ لدين الله يخالف هذا المبدأ بأن جعل النص أولاً إلى عبد الله ثم نقل النص بعد وفاة عبد الله إلى العزيز. فكيف تسنى له أن يفعل ذلك مع أن رجال الدعوة في عصر المعزّ ظلوا يؤيدون مبدأ الدعوة الأساسي الذي نقضه المعزّ ودافعوا أمام هجمات الإثني عشرية والزيدية“ (١٠).

وأيضاً :-

”توفي الأمير عبد الله بعد ذلك بقليل ورثاه أخوه الأمير تميم بقصيدة مطلعها

(١٠) مقدمة كتاب ”سيرة الأستاذ جوذر“ ص ٢٣، ٢٤.

كل حى إلى الفناء يصير والليالى تعله وغرور

وكانت وفاته في حياة أبيه . وكان المفروض أن يتولى الإمامة بعد المعز حفيده ابن عبد الله جريا على عقيدة الإسماعيلية في تسلسل الإمامة وجريا على سابقة وفاة اسماعيل في حياة أبيه جعفر الصادق . ولكن المعز لم يقم وزنا لهذه العقيدة الإسماعيلية الأساسية في نشأة المذهب وكيانه ، فاختر ابنه الآخر نزارا الذي تلقب بالعزيز ليكون وليا للعهد وإماماً من بعده . وبذلك هدم المعز الأساس الأول من أسس الدعوة^(١١) .

وأخيراً نريد أن نثبت ههنا ما قاله داعى الدعاة الإسماعيلي إدريس عماد الدين ردّاً على الفرق الشيعية الأخرى غير الإسماعيلية في هذه المسألة ، فيقول :

” تشّتت شيعته وتمزقت ، وقالت كل فرقة منها . . . بإمامة واحد من آلّه ، فزلت عن سفينة النجاة ! وفي طوفان جهلها غرقت ، سوى من اعتقد إمامة اسماعيل بن جعفر ، ومحمد بن اسماعيل (عليه السلام) وعلمت أن محمداً بعد أبيه وجده هو الإمام .

وقد روت الشيعة وغيرها عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال : إن الإمامة مخصورة في ولده دون ولد الحسن والحسين (عليه السلام) لأن الإمامة صارت للحسين بعد الحسن صلوات الله عليهما ، وهى في ولد الحسين أصلية تمشى قدماً قدماً ، ولا تمشى إلى الوراء ، ولا ترجع القهقري ، وهى بالنص من إمام على إمام .

وهذا حديث عن الصادق (عليه السلام) رواه الخاص والعام ، وأورده نشوان بن سعيد الحميرى في كتابه المعروف (بشمس العلوم) الذي ألفه في علم اللغة فوضح بقول الصادق (عليه السلام) أن الإمامة لا تمشى إلى الوراء ولا تعود القهقري ، فلم ترجع عن اسماعيل بن جعفر (عليه السلام) بعد أن

(١١) أيضاً، تعليق رقم ١٣٤ على الوثيقة رقم ٨٢ ص ١٨٨ .

صارت إليه ووقع النص عليه، بل جرت في عقبه وثبتت في الإمام محمد بن اسماعيل^(١٢).

وكذلك نريد أن نذكر ما قاله حميد الدين الكرمانى حجة العراقيين في كتابه (المصابيح) يثبت إمامة اسماعيل وبعده محمد بن اسماعيل فيقول :

” وكان جعفر نص على إسماعيل (صلى الله عليه وسلم) واختلفت الشيعة فيه بما قالت من موته قبل جعفر (صلى الله عليه وسلم). وإشارة جعفر بعد ذلك إلى بعض أولاده وقوله ” ما بدا الله بداله كما بدا له في اسماعيل، كان لا يخلو الأمر بعد نص جعفر بن محمد بن علي (عليه السلام) على اسماعيل فيما يدعى من نصه بعد موت اسماعيل على بعض أولاده من وجوه ثلاثة :

أما انه نص على بعض أولاده بعد موت اسماعيل كما يقال ولا إسماعيل ولد. أو نص ولم يكن لإسماعيل ولد. أو لم ينص على أحد بعد ما تقدم من نصه على اسماعيل أولاً. فإن كان قد نص ولا إسماعيل ولد كان جعفر (عليه السلام) حاكماً بغير ما أنزل الله حيث أعطى ميراث إسماعيل مع كون ولد له إخوته من غير علة سالبة لولده كما سلبت ولد الحسن، وأوجب لولد الحسين عليه السلام، وتوهم مثل ذلك في جعفر غير جائز لصحة إمامته وعصمته.

وإذا لم يكن جائزاً كان من نسب إليه من نصه (عليه السلام) على بعض أولاده بعد تقدم النص على إسماعيل باطلاً، وإذا كان باطلاً كانت الإمامة لولد إسماعيل ثابتة.

وإن كان... عليه السلام قد نص... ولم يكن لإسماعيل عليه السلام ولد وكان في علم الله وتقديره أن يكون منقطع النسل وجب من حيث علم الله وتقديره أن يكون النص لا يجوز فيمن ينقطع نسله مع كون الإمامة محفوظة في العقب أن لا ينص جعفر على إسماعيل.

(١٢) ” عيون الاخبار ” السبع الرابع، ص ٣٤٩.

ولما كان وجدناه قد نص عليه، كان منه العلم بأنه غير منقطع النسل والعقب، وإذا كان غير منقطع النسل والعقب فالإمامة له ولنسله ثابتة، وإن كان (عليه السلام) لم ينص على أحد بعد نصه على إسماعيل (عليه السلام) فالإمامة لإسماعيل. فإذا ثبت إمامة إسماعيل ثبت نسله. إذ لا يستحق الإمامة من لا يكون له عقب بكونها محفوظة في العقب، وإذا ثبت نسله فالإمامة لنسله ثابتة.

وإن كان (عليه السلام) لم ينص على أحد بعد نصه على إسماعيل، فالإمامة لإسماعيل. فإذا ثبت إمامة إسماعيل ثبت نسله، إذ لا يستحق الإمامة من لا يكون له عقب بكونها محفوظة في العقب، وإذا ثبت نسله، فالإمامة لنسله ثابتة، وكان إذا كان لا يخلو من ثلاثة أوجه، فأوجب الوجود الثلاثة كون الإمامة لإسماعيل وذريته، فالإمامة ثابتة لإسماعيل وولده - إذ الإمامة في إسماعيل وذريته.

البرهان الثاني : نقول : إن الإمامة لما كانت في عقب جعفر (عليه السلام)، وكان الإمام لا ينص على من يجعله إماماً إلا بعد أن يعلم أنه يصلح لها، وكان أول ما يستصلح للإمام في إمامته أن يكون لا عقيماً، ثم وجود عقبه ونسله. إذ من كان لا عقب له لا يستحق الإمامة، وكان الإمام جعفر نص على إسماعيل، كان من ذلك الحكم بأن لإسماعيل ولداً وعقباً، وإلا كان لا ينص عليه، وإذا كان له عقب، فعقبه أحق بالإمامة من أعمامه. إذ الإمامة لإسماعيل ولعقبه من دون غيرهم.

البرهان الثالث : لما كان الإمام معصوماً لا تسبق منه زلة، وكان لو لم يكن لإسماعيل عقب ولا ذرية نص جعفر عليه زلة، وجب من حيث كون عصمة الإمام أن يكون لإسماعيل ما نص عليه عقب وذرية، وإذا كانت له ذرية وعقب، فعقبه بالإمامة أولى من أعمامه، إذ الإمامة بعد إسماعيل لولده وعقبه من دون غيره^(١٣).

(١٣) "المصباح في إثبات الإمامة" المصباح السادس من المقالة الثانية ص ١٢٩ الى ١٣٢.

فهل من مجيب عن هذه الأدلة التي هي عين الدلائل ضد تصريح الإمامة عن ابن عبد الله بن المعز المنصوص عليه أولاً إلى العزيز بالله ؟

وهل من مدافع عن المعز وعصمته حسب براهين الكرمانى ؟

ومن الطرائف أن هذه الحادثة تكررت في ابن المعز، العزيز بالله نزار حيث أنه ولد له ولد قبل الحاكم فنص على إمامته ولكنه مات في حياته فنقل النص في ابنه الثاني^(١٤) مع أن الكرمانى نص في مصباحه أن الإمام لا ينص بالإمامة فيمن لا يستحقها كما مر ذكره.

تنحية الابن الأكبر عن الإمامة

وهناك مسألة خطيرة أخرى وهي أن الشيعة الإثني عشرية، والإسماعيلية أيضاً يرون أن الإمامة في الولد الأكبر للإمام، وهو الذي يرثها دون الآخرين من إخوته، ولهم في ذلك روايات كثيرة عن أئمتهم المعصومين، وبها تمسكوا لإثبات إمامة أئمتهم وأحقيتهم لها.

ولقد بحثنا هذه القضية بشيء من التفصيل في كتبنا عن الشيعة الإثني عشرية^(١٥) عند نقضهم هذا الأصل ومخالفتهم إياه في إمامة موسى الكاظم دون عبد الله الأفطح الإبن الأكبر لجعفر بن محمد الباقر من بين الموجودين بعد موت إسماعيل بن جعفر، ولقد نرى نفس هذا النقص والمخالفة عند الإسماعيلية أنفسهم، وأكبر مثال ذلك هو المعز الإسماعيلي نفسه الذي عارض هذا الأصل ونقضه وخالفه أيضاً.

فان المؤرخين من الإسماعيلية وغير الإسماعيلية أجمعوا قاطبة على أن الولد الأكبر للمعز كان الأمير تميم وبه كان يكنى ولكنه حرمه عن ولاية العهد

(١٤) انظر " نهاية الارب " الجزء الخاص بالإسماعيلية.

(١٥) انظر، خصيصاً لذلك كتبنا " الشيعة والتشيع، فرق وتاريخ ".

والإمامة بعده وجعلها في ابنه الثاني الأمير عبد الله أولا ثم بعد موته في العزيز ابنه الثالث معرضا عن تميم، ومعارضا الأصل الكبير للديانة الإسماعيلية، وأن الوثيقة الهامة التي تخبر عن كون الأمير تميم أكبر أبناء المعز، وحرمانه عن الإمامة، وجعلها في الإبن الأصغر هي ما أثبتها أبو علي المنصور العيزي الجوزي كاتب المعز والعزيز في كتابه (سيرة الأستاذ جوذر) المتولّي أمور الإسماعيلية في أيام الثلاثة من أئمتهم، ونحن ننقل هذه الوثيقة بتمامها، وهي الوثيقة رقم ٨٢، يقول الجوزي :

” وقد تقدم ذكرنا في كتابنا هذا ما كان من إكرام القائم بأمر الله صلوات الله عليه وتشريفه للأستاذ بافراده واختصاصه بأخذ العهد عليه للمنصور بالله صلوات الله عليه وأن الأستاذ كتم ذلك سبع سنين ثم فعل به ذلك الإمام المعز لدين الله صلوات الله عليه بأن أخذ عليه للأمير عبد الله مفرداً بالمهدية في السفارة التي حل المال فيها فكتم الأستاذ ذلك عنه حسب ما أمر به سبعة أشهر، ثم إن مولانا صلوات الله عليه أخذ بعد سبعة أشهر، على غيره مثل محمد بن علي ومحمد بن الحسن وعسلوج وغيرهم، واستكتمهم ذلك، وكان الأستاذ إذا تقرر عنده علم ولى العهد لم يلتفت بعد الإمام إلا إليه حتى كان يقول في كثير من الأوقات من حيث يسمعه الإمام في عصره : ”إنما هو الله عز وجل ومولانا المفترض الطاعة ومن أشار إليه من ولده وجعله ولى عهده والباقي لهم المؤدة في القربى لا غيرها ” فلما خرج مولانا عليه السلام إلى المهدية لشد ما بالخزائن من الأمتعة ثم رجع مولانا عليه السلام إلى دار ملكه واحتاج الأستاذ أن يتحرك من المهدية أمر مولانا صلوات الله عليه أولاده وإخوته بالخروج للقائمة وجميع رجال الدولة، ولم يحدد مولانا عليه السلام للأستاذ كيف يسلم على الأمراء أولاده ولا من يقدم ولا من يؤخر، وكان مولانا عليه السلام مشغول الضمير في كيف يكون سلامه عليهم وكانت أعين العوام ذلك الوقت تنظر إلى ولد مولانا عليه السلام الأكبر وهو تميم، فلما قرب منهم الأستاذ عمل في نفسه على إقامة الحق وإفراد من خصه الله به، فقصده الأمير عبد الله صلوات الله عليه فقبل

الأرض بين يديه ثم قبل ركابه . وكان من حنق الأمير عليه ما كاد أن يسقطه عن سرجه ثم ركب قلم يلتفت إلى غيره ولا سلم على أحد سواه، ف وقعت على قلوب أولئك خجلة، ونظر الناس من هذا إلى أمر عظيم، فمنهم من يصوب رأيه فيما فعله ومنهم من يخطئه، فلما اتصل بمولانا عليه السلام فعله وما كان منه من ذلك سر سروراً عظيماً وقال :

” لم يزل جوذر موفقا مذ كان “ (١٦).

هذا، وقد نقض هذا الأصل وأهمل هذا الأساس في المرة الثانية أيضاً عند ما حرم الولد الأكبر الإمام الإسماعيلي الثامن في دور الظهور المستنصر بن ظاهر وهو نزار، وجعل الإبن الأصغر له المستعلى إماماً للإسماعيلية التاسع، وحصل الخلاف بين الإسماعيلية وقتئذ فانقسموا إلى طائفتين : النزارية والمستعلية، وقد ذكرنا هذا فيما مرّ. (١٧).

فهذه هي حقيقة الأسس المتينة والأصول الثابتة للديانة الإسماعيلية.

والجدير بالذكر أن الإسماعيلي المعاصر قد اعترف بأن إمامة الإبن الأكبر من القواعد الإمامية للمذهب الإسماعيلي بقوله :

” ومن أصول ومرتكزات العقيدة الإسماعيلية ضرورة وجود الإمام المعصوم، المنصوص عليه، من نسل على بن أبي طالب، والنص على الإمام يجب أن يكون من الإمام الذي سبقه، بحيث تتسلسل الإمامة في الأعقاب، أي أن ينص الأب على إمامة ابنه الأكبر، ولا تزال الإمامة المحور الذي تدور على العقائد الإسماعيلية وفلسفتها، لأن الإمامة ركن أساسي لجميع أركان الدين “ (١٨).

(١٦) ” سيرة الاستاذ جوذر “ لابي على منصور العزيري الجوذري ص ١٣٩، ١٤٠.

(١٧) انظر الباب الثاني من هذا الكتاب.

(١٨) ” تاريخ الدعوة الإسماعيلية “ لمصطفى غالب ص ٣٩، ٤٠ ط دار الاندلس بيروت

١٩٧٩ م.

هذا ومن الطرائف أن السابقين من الأئمة الإسماعيلية أيضاً لم يراعوا هذا الأصل فلقد ذكر الداعي الإسماعيلي إدريس عماد الدين بأن الإمام عبد الله بن محمد بن اسماعيل وهو الثامن من أئمتهم الذي استتر بعد أبيه محمد وجده اسماعيل ولد له أول ولد فسماه عليا وهو الملقب بالليث، وكان فارساً شجاعاً سخياً وديناً، وكان له ابن المسمى بأحمد فصيحاً متكلماً شجاعاً مثله ولكن عبد الله بن محمد بن إسماعيل حرم عليا عن الإمامة (بدون عاهة وعذر شرعي) وجعلها في ابنه الأصغر أحمد الذي ولد في قرية أشناس بقرب الديلم^(١٩).

إضافة إلى ما ذكرناه ذكر الإسماعيليون أنفسهم بأن جلا من الأئمة الإسماعيلية في دور الظهور أرادوا تحويل الخلافة من أبنائهم الكبار إلى الصغار وحرمانهم منها، مثل المهدي حينما أراد تنحية القائم وجعل الإمامة في ابنه الأصغر أحمد بن المهدي^(٢٠).

وكذلك أراد القائم تنحية ابنه المنصور من الإمامة كما ذكر النعمان القاضي في مجالسه^(٢١).

وهناك نص في " المجالس " أيضاً أخطر بكثير حيث يروى المعز بنفسه بأن القائم لم يكن يريد إمامة ابنه المنصور، وكان يريد تنحيته منها وجعلها فيه فيقول النعمان بن محمد :

" سايرت المعز لدين الله (عليه السلام) في بعض أسفاره فذكر القائم (عليه السلام) واختصاصه إياه ومحبة له وقربه منه وما كان امتحن به المنصور (عليه السلام) من طول ستر أمره وتركه إظهاره إلى أن قرب وقت انتقاله .

(١٩) انظر " عيون الاخبار وفنون الآثار " للداعي إدريس ص ٣٤٩ وما بعد ط دار الاندلس بيروت.

(٢٠) أنظر " المجالس والمساربات " ج ٢ ص ٦٢ نسخة خطية، أيضاً " سيرة الاستاذ جوزر " ص ١١٥، أيضاً " البيان المغرب " ج ١ ص ١٩٣.

(٢١) أيضاً ص ٤٤٨، ٤٤٩ ط تونس.

فقال المعز (عليه السلام) دخلت إليه بعد أن يظهر المنصور (عليه السلام) ونصبه للناس بعد مدة اثنتي عشرة سنة من يوم أفضى إليه بذلك وذلك قبل وفاته (عليه السلام) بثلاثة أيام، وعنده بعض حرمه، فأمرها فتنحت عنه، ثم أدناى من نفسه، وضمنى إلى صدره، وقبل بين عيني، بكى فبكيت لبكائه ولا أدري ما أبكاه. ثم قال لى : يا بنى انّ مولاك محبّك مفارقتك بعد ثلاث. وعقدها بيده.

قلت : بل يبقى الله أمير المؤمنين ويمد في عمره ويقدمنا قبله.

قال : اسمع ما أقول لك : إنّ أخوف ما أتخوفه عليك من أيبك، ما علمه من إثارى إياك وإيثارك أمرى على أمره، وميلك إلى دونه، وما أعلمه من ميله إلى أمهات إخوتك. فأخشى خشية المشفق عليك أن يعدل بهذا الأمر عنك إلى غيرك منهم. وكلا لا يفعل الله ذلك إن شاء الله ! ولكن متى رأيت منه أثره عليك أو ميلا عنك فاصبر صبر من أحله الله محلك، وأقامه مقامك. فأنت والله صاحبها، ولو لا صغر سنك اليوم ما عدتكَ^(٢١).

وفي مقام آخر قال :

” لو لا صغر سنك لجعلت هذا الأمر إليك “^(١٣).

ولقد استغرب الأساتذة المحققون لهذا الكتاب هذا الأمر فعلقوا على العبارة المذكورة.

” يظهر من كلام القائم أن تعيين ولى العهد موكلول إلى الإمام وحده، وأنه في ذلك قد يتجاوز ابنه إلى حفيده، وهذا مخالف للمبادئ الإسماعيلية التي تنص على أن الإمامة تكون في الولد الأكبر بعد والده، ولا تنقل من الإمام إلى أخيه، باستثناء السابقة الفريدة في الحسن والحسين.

(٢١) ” المجالس والمسايرات ” الجزء الثاني والعشرون ص ٤٦٨ ، ٤٦٩ .

(٢٢) انظر ” المجالس والمسايرات ” ص ٩٤ ، ٩٥ ، أيضاً ” عيون الاخبار ” السبع الخامس ص ٢٢٩ .

وقد خالف المعز هذا المبدأ حين عين لولاية العهد ابنه الثاني عبد الله فتجاوز ابنه الأكبر تيمياً، كما في سيرة الأستاذ جودر، أو عزله، كما في أخبار ملوك بني عبيد لابن حماد ص ٤٧ .

وخولف المبدأ أيضاً فيما بعد حين تنازع الأخوان نزار والمستعلي ابنا المستنصر الفاطمي، فتولي الإمامة المستعلي - وهو الإبن الأصغر - فانشقت الإسماعيلية إلى نزارية ومستعلية^(٢٣).

وخالف هذا المبدأ أيضاً النزاريون كما خالفه المستعليون حين حرم آغا خان الثالث سلطان محمد شاه الإمام الإسماعيلي النزاري الثامن والعشرون ابنه الكبير "علي" الذي جعل ولاية العهد فيه سنة ١٩٢٧ م^(٢٤) فصرّفها إلى حفيده كريم شاه بقوله :

نظرا للظروف التي تغيرت تغيراً أساسياً في العالم، في السنوات الأخيرة، ونظرا للتغيرات الكبرى التي وقعت، ومن بينها اكتشاف العلوم الذرية، فاني على يقين أن مصلحة الطائفة الإسماعيلية تقتضي أن يخلفني شاب نشأ وترعرع في السنوات الأخيرة وسط هذا العصر الحديث، وأن تكون له نظرة جديدة للحياة عند تولي زعامة الطائفة الإسماعيلية لذلك : أختار حفيدي "كريم" ليكون خليفة لي، وزعيماً للطائفة من بعدى - ١^(٢٥).

فصار إماماً للإسماعيلية النزارية بعد وفاة جدّه في اليوم الرابع عشر من يوليو ١٩٥٧ م بدل أبيه علي خان وهكذا استوت طائفتان إسماعيليتان من النزارية والمستعلية في مخالفة هذا المبدأ الأساسي الكبير والأصل الثابت المقرر الهام.

(٢٣) انظر تعليق رقم ١ على صفحة ٩٥ من "المجالس والمسايرات" للمحققين الحبيب فقي، وإبراهيم شيوخ، ومحمد اليعلاوي.

(٢٤) انظر "الملك الدوار" لعبد الله المرتضى الإسماعيلي ص ٢٦٨، وكذلك "تاريخ الدعوة الإسماعيلية" لمصطفى غالب الإسماعيلي ص ٣٧٩.

(٢٥) "تاريخ الدعوة الإسماعيلية" ص ٣٨٨.

تسلسل الإمامة في الأعقاب

وهناك عقيدة ثابتة راسخة أخرى عند الإسماعيلية، وهي أن الإمامة لا تكون إلا في الأعقاب واحداً بعد واحد، وإلى مولود بعد والد^(٢٦).

ولكن الإمام الإسماعيلي السادس المعصوم - حسب زعم القوم - الحاكم بأمر الله قد خالف هذه العقيدة وداسها بالنعال جهراً عندما جعل ولي عهده عبد الرحيم بن الياس بن أحمد بن المهدي واحداً من بني عمومته :

” وفيه (أى سنة أربع وأربعمئة) جمع سائر الناس على اختلافهم بالقصر وقرىء عليهم سجل بأن أبا القاسم عبد الرحيم بن الياس بن أبي عليّ بن المهدي بالله أبي محمد عبيد الله قد جعله الحاكم بأمر الله وليّ عهد المسلمين في حياته والخليفة بعد وفاته ، وأمر الناس بالسّلام عليه وأن يقولوا له في سلامهم عليه : السلام على ابن عم أمير المؤمنين وولي عهد المسلمين ، وتعيّن له محل يجلس فيه من القصر . ثم قرىء السجل على منابر البلد

(٢٦) انظر ” عيون الاخبار ” السبع الرابع ص ٢٣٥ ، ” راحة العقل ” للكرمانى ص ٢٤٠ ، ” المجالس والمسايرات ” ص ٩٤ ، ” منتخبات اسماعيلية ” ص ١٦٢ ، ” الأصول والأعلام ” لأبي المعالي ص ١٢٧ من ” خمس رسائل ” .
” المجالس والمسايرات ” للقاضي النعمان ص ١٢٤ ، ” راحة العقل ” للكرمانى ص ٢٤٠ ، ” سيرة الاستاذ جوذر ” ص ٨٢ .

وبالإسكندرية، وبعث بذلك سجلاً إلى إفريقية، فقرأه بجامع القيروان وغيره، وأثبت اسمه مع اسم الحاكم في البنود والسكة والطراز، فعظم ذلك على نصير الدولة أبي مناد باديس وقال: ولولا أن الإمام لا يعترض عليه في تدبير لكاتبته ألا يصرف هذا الأمر عن ولده إلى بني عمه وضرب على السكة اسم عبد الرحيم ولي عهد المسلمين^(٢٧).

والجدير بالذكر أن ابنه عليا الذي تلقب بالظاهر بعدئذ كان موجوداً حيث كانت ولادته سنة ٣٩٤ هـ ولكن آباه لم يجعل الإمامة فيه أي في عقبه حسب المذهب الإسماعيلي بل جعلها في غير العقب. وهكذا نقض بدوره أصلاً آخر من أصول الإسماعيلية، . . . وخالفه وعارضه جهاراً دون أن يعطي له أيّ بال وأية أهمية.

متى يصير الإمام إماماً ؟

إن الإسماعيلية يعتقدون فيما يتفقون أن الإمام لا يكون إماماً إلا بعد انتقال الإمام الذي قبله من الدنيا ظاهراً وباطناً، كي لا يكون في الدنيا إمامان في وقت واحد، وأيضاً أن علوم الإمامة لا تنتقل في وارث الإمامة إلا في اللحظة الأخيرة من حياة الامام المنتقل، ولقد صرح بهذه القاعدة جعفر بن منصور اليمن باب الأبواب للمعز لدين الله الإمام الإسماعيلي، فيقول:

”إنما سمى الإمام اليتيم لأنه قد غاب أبوه، وأبو الإمام الذي أقامه، ولا يكون الإمام إماماً ويسمى باسم الإمامة حتى يغيب الإمام الذي أفضى

(٢٧) ”اتعاظ الخفاء“ للمقريزي ج ٢ ص ١٠٠، ١٠١ ط القاهرة ١٩٧١ م، أيضاً ”الخطط“ للمقريزي ج ٢ ص ٢٨٨، ”النجوم الزاهرة“ ج ٤ ص ١٩٣ و ٢٣٥ ”سيرة أعلام النبلاء“ ج ١٥ ص ١٨٤ مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٨٣ م.

إليه بالإمامة فكون الإمام في عصره أيهما كان في ذلك العصر وقع عليه اسم
اليتيم^(٢٨).

ويمثل ذلك قال النعمان بن محمد معاصر الأربعة من الأئمة الاسماعيلية
من المهدي إلى المعز وقاضى قضاتهم وداعبهم الأجل :

”واليتامى هم في الباطن الأئمة، وسموا يتامى لأن كل واحد منهم في
عصره فرد منقطع القرين لا مثل له فيه ومن ذلك قيل للدرة التي لا نظير لها
من الدرر اليتيمة، وقيل لهم أيضاً يتامى لأن آباءهم وهم الأئمة من قبلهم
في الظاهر والباطن قد نقلوا من الدنيا ولا يكون إماماً في الدنيا وأبوه
حي^(٢٩).

وهذا لأنه لا ينتقل علوم الإمام الماضي إلى الذي يخلفه في آخر دقيقة
تبقى من حياته كما نقل ذلك الداعي الإسماعيلي حاتم بن إبراهيم عن محمد
الباقر أنه قال :

”إذا مات الإمام ضلّ كل من على وجه الأرض إلا من عرف الخلف منه
في ذلك الوقت.

ف قيل له : متى يفيض إلى الإمام علم من كان قبله؟
قال : في آخر دقيقة تبقى من عمر الأول^(٣٠).

ويمثل ذلك نقل النعمان القاضي عن المعز الإسماعيلي أنه قال :
”إن الله (عج) ينقل ما كان عند الماضي من الأئمة إلى التالي منهم في
آخر دقيقة تبقى من نفس الماضي^(٣١).

(٢٨) ”كتاب الكشف“ لجعفر بن منصور اليماني ص ٥٤ ط شروطينان، دار الفكر العربي،
القاهرة.

(٢٩) انظر كتاب ”تأويل الدعائم“ للنعمان بن محمد المغربي ج ٢ ص ١٠٥، ١٠٦ ط دار
المعارف مصر ١٩٦٩ م.

(٣٠) ”تحفة القلوب“ لحاتم بن إبراهيم الحامدي ص ٩٢ نسخة خطية.

(٣١) ”المجالس والمسائرات“ الجزء الثاني عشر ص ٢٦٥، ومثله أيضاً في ص ١٣١.

وقال القاضي مفسراً ما قاله المعزّ :

”إنما ينتقل إلى الباقي في آخر دقيقة تبقى من نفس الماضي : إنما ذلك في إكمال الأمر واستحقاق الإمامة ووجوب الطاعة، لأن ذلك لا يكون في اثنين، باقين“ (٣٢).

فمن المضحكات أن هذه القاعدة لم تراعى أيضاً عند تكوين الديانة الإسماعيلية حيث جعلوا الإمامة في اسماعيل بن جعفر وأبوه جعفر حتى يرزق ؟

ولا أدري أبقى مذهب القوم بعد التمسك بهذه القاعدة الأصولية ولم يؤسسوه إلا على أن اسماعيل كان إماماً في حياة أبيه، ولذلك توارث ابنه الإمامة بعد موته معه وجود جده جعفر.

فماذا يقول المنصفون؟؟

تناقض آخر

وأقوال الإسماعيلية هذه معارضة تماماً لما قالوه في إثبات إمامة اسماعيل بن جعفر في حياة أبيه : بأن جعفر خلى من الإمامة وصفر بعد نصبه اسماعيل إماماً كما صرح بذلك النعمان القاضي (٣٣)، والحسن بن نوح الهندي (٣٤)، والداعى الإسماعيلي صاحب كتاب (التراتب) (٣٥)، وغيرهم (٣٦).

(٣٢) أيضاً ص ٢٦٧.

(٣٣) في كتابه «الرسالة المذهبية» ص ٨٣ من «خمس رسائل إسماعيلية».

(٣٤) في كتابه «كتاب الأزهار ومجمع الأنوار» ص ٢٢٩.

(٣٥) ص ١٣٥، ١٣٦.

(٣٦) أنظر لذلك ما كتبناه مفصلاً في الباب الأول من هذا الكتاب.

وبناء عليه قالوا : إن النص لا يرجع القهقري لأن أمر الإمامة خرج من أيدي الناس .

ولكن السؤال إذن كيف خرج من يد جعفر ولم يخرج من يد المعز ؟
وكيف خلى الأول من الإمامة ، وصفرت يداها عنها ولم تصفر يدا الثاني ؟
فهل من موفق يوفق بينهما ؟ وهل من مجيب يجيب ؟
وقد صدق الله عز وجل : ” ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافًا كثيرًا “ (٣٧).

وأمر نبيه أن يقول : ” لا يضلّ ربّي ولا ينسى “ (٣٨).
كما أخبر عن نبيه صلى الله عليه وسلم ” وما ينطق عن الهوى ، إن هو الا وحى يوحى “ (٣٩).

شرط دفن الإمام الماضي

ولقد ذكر جوذر مستودع سرّ القائم والمنصور والمعز ، وقائم مقام القائم على المغرب :

خصني بفضيلة آثري بها على جميع العالمين ، وأفردني بها من بين جميع الدعاة والمؤمنين ، وذلك لما أراد دفن المهدي بالله صلى الله عليه . أحضرنى دون جميع العالم ، وقال لي وليس إلا أنا وهو على حافة القبر الذي يريد انزال المهدي بالله صلى الله عليه - فيه :

(٣٧) سورة النساء الآية ٨٢ .

(٣٨) سورة طه الآية ٥٢ .

(٣٩) سورة النجم الآية ٣ .

«يا جوذر، إنه لا يحل للحجة بعد الإمام أن يدفن الإمام حتى يقيم حجة لنفسه، ولم يحل لي ذلك حتى أقيم حجتي، وقد ارتضيتك لهذه الإمامة دون جميع الخلق، وتلا هذه الآية من قول الله عز وجل «انا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً».

ثم قال :

«إذن مني».

فدنوت منه فقال :

«هات يدك».

فبسطت يدي وأنا خائف وجل من الهيبة التي ركبها الله عز وجل له في قلبي حتى كأنه ليس هو المولى الذي كنت أدل عليه خطاف وغيره أيام حياة المهدي بالله صلى الله عليه، فقال لي :

«أنا آخذ عليك عهد الله وغلظ ميثاقه أنك تكتم عني ما أظهره وأكشفه لك» فقلت :

«نعم يا مولانا صلى الله عليك».

فقال :

«ولدي اسماعيل هو حجتي وولي عهدي فاعرف له حقه، واكتم أمره أشد كتمان حتى أظهره بنفسه في الوقت الذي يشاء الله ذلك ويختاره».

ثم دفن المهدي بالله صلى الله عليه، وواراه في قبره صلى الله عليه^(٤٠) فهذه هي القاعدة الاسماعيلية الجليلة الأخرى، قد أقر بها وأعلن الإمام الاسماعيلي المعصوم - القائم بن المهدي ويعلق عليها معلق الكتاب ومقدمه :

«هذا رأي لم نقرأه من قبل فيما قرأناه من كتب الاسماعيلية الأولى التي وقعت بين يدي، حقيقة أجد أن على الإمام أن ينص على صاحب الأمر من

(٤٠) «سيرة الأستاذ جوذر» ص ٣٩، ٤٠، مثله في «زهر المعاني» الباب السابع عشر ص ٧٢ من «المنتخب» لايوانوف.

بعده من ولده، فهذه عقيدة أساسية في عقائد الاسماعيلية، فالنص ركن من أركان الإمامة عندهم، أما أن «لا يحل للحجة بعد الإمام أن يدفن الإمام حتى يقيم حجة لنفسه» فهذا هو الأمر الغريب ولا أظن أن أحداً من الأئمة بعد القائم نفذ هذه العقيدة التي أشار إليها القائم فيها هو المعز لدين الله لم يقم حجته (ولي عهده) عبد الله قبل أن يدفن أباه المنصور، وإنما صرح بالنص على ولي عهده لجوزر فقط عندما كان المعز يتهاى للانتقال إلى مصر أي بعد عشرين سنة من وفاة المنصور، وها هو العزيز بالله بن المعز الذي توفي أبوه المعز سنة ٣٦٥هـ ولم يولد ولي عهده الحاكم إلا سنة ٣٧٥هـ أي بعد عشر سنوات من وفاة الإمام، وكذلك نقول عن الحاكم بأمر الله الذي توفي أبوه العزيز وهو في الحادية عشرة من عمره وهو الأمر الذي لا يتأتى معه أن يقيم لنفسه حجة قبل دفن الإمام، فهذا كله إن دل على شيء فإنما يدل على أن العقيدة التي قال بها القائم لم تطرد مع الذين جاءوا بعده من الأئمة، ولا أدري على وجه التحقيق من أين جاء بها القائم»^(٤١).

ونضيف إلى ذلك أن الظاهر قتل أبوه الحاكم ولم يتزوج بعد.
وتوفي الظاهر هذا وابنه المستنصر لم يتجاوز السابعة من عمره.
وكذلك المستعلي بن الظاهر لما مات كان ابنه الأمر طفلاً، له من العمر خمس سنين.
وأما الأمر فقد مات بلا عقب، أو عقب لم يتجاوز الواحدة من العمر^(٤٢).

وأكثر من ذلك وأخطر أن محمد بن اسماعيل الذي عليه يدور رحي مذهب الاسماعيلية لم يكن قد بلغ الحلم عند وفاة أبيه اسماعيل بن جعفر دون أن يكون له ولد يقيمه حجة له.

(٤١) مقدمة كتاب «سيرة الأستاذ جوزر» ص ١٩، ٢٠ تحقيق الدكتور محمد كامل حسين ومحمد عبد الهادي شعيرة.

(٤٢) أنظر التفاصيل لذلك وذكر المصادر والمراجع في الباب الثاني من هذا الكتاب.

«وذلك ما روي عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام المصدق الأمين في تسليمه الأمر إلى ولده اسماعيل بن جعفر، وغية اسماعيل وولده محمد بن اسماعيل في حد الطفولية، ولم تكن الإمامة ترجع القهقري منه كما لم ترجع من غيره، فأودع حجته المنصوبة بين يديه ميمون القداح مقامه لولده وأقامه ستراً عليه وقدمه بين يديه واستكفله إياه إلى بلوغه أشده سلام الله عليه» (٤٣).

معرفة الإمام

من العقائد الاسماعيلية المشهورة التي يعتقدون بها، والمعتقدات التي يتمسكون بها هي أنه من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية (٤٤).

وقد نسب النعمان بن محمد المغربي هذه الرواية إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رواية عن جعفر أنه قال:

«من مات لا يعرف إمام دهره مات ميتة جاهلية، فقال (عليه السلام): إماماً حياً؟

قيل له: لم نسمع حياً.

قال (يعني جعفر): قد قال والله ذلك يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم» (٤٥).

هذا من جانب ومن جانب آخر خالفوا هذه العقيدة ونقضوها بقولهم إن

(٤٣) «غاية الموالي» ص ٣٦ من «المنتخب» لايوانوف.

(٤٤) «المجالس المؤيدية» للشيرازي ص ١١٩ ط دار الأندلس بيروت «رسالة الأسابيع» لقيس بن منصور ص ١٧٨ من «خمس رسائل اسماعيلية»، «هفت باب أبو اسحاق» فارسي ص ٢٦ «الرسالة في الإمامة» لأبي الفوارس أحمد بن يعقوب ص ٣.

(٤٥) «دعائم الإسلام» ج ١ ص ٢٧ ط دار المعارف مصر ١٩٦٣ م بتحقيق آصف فيضي.

الأئمة الاسماعيلية في دور الستر لم يكن أحد يعرفهم إلا دعائهم المقربون^(٤٦).

وحتى الدعاة المقربون لم يكونوا يعرفون بهم كما ذكر في كتاب (استتار الإمام).

وكما صرح المؤرخ الاسماعيلي وداعي دعائهم ادريس عباد الدين في «عيونه» أكثر من مرة في مواضع متعددة، والآخرين في كتبهم المختلفة.

وأيضاً لا يعرف الاسماعيلية المعتقدون بإمامة المستعلي بن المستنصر ثم الأمر بن المستعلي بعده من هو إمامهم من بعد الأمر إلى يومنا هذا.

ومن الطرائف أنهم شنوا الهجوم على الشيعة الاثني عشرية لاعتقادهم في الغائب، فيقول جعفر بن منصور اليمنى:

«وإذا كان الإمام مفقود العيان منتظر الرجعة فما منفعة من بعده به، وإلى من يرجعون في أمر حلالهم وحرامهم وفرائضهم وأحكامهم، ومن يقيم فيهم حدود الله ويفرق بينهم في الأحكام، وأنا متى فقدنا الموجود رجعنا إلى عباده ونسينا الباري جل وعز إلى الظلم، وإنه أحالنا على عدم، ومتى اختلفنا في حكم من الأحكام رجعنا إلى الرأي والقياس، وليس هذا من فعل الحكيم أن يأمرنا بالسمع والطاعة لشخص مفقود، ولو جاز لنا ذلك لأمرنا بعبادة من لم يلد لنكون نتظره حتى يلد كما ينتظر الغائب»^(٤٧).

وأيضاً:

«والحسن مذ مات إلى وقتنا هذا مائة وعشرون سنة، والناس يعبدون عدماً افترى أن الله جل وعز يسألني عن ظلم الخلق لما أحالهم على معدم الشخص، وقد بطل قول رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلّم، من مات ولا يعرف إمام عصره مات ميتة جاهلية، وقول الصادق عليه السلام

(٤٦) كما ذكرناه مفصلاً في الباب الأول من هذا الكتاب.

(٤٧) «أسرار النطقاء» لجعفر بن منصور اليمنى ص ٨٥ من «المنتخب» لإيوانوف.

من مات ولم يعرف إمام عصره حياً مات ميتة جاهلية، فلا قول الرسول حفظتم ولا قول الذرية أخذتم، فمن إمامكم الذي تدعون به وإلى من ترجعون، إن التأت علىكم شيء من أمر دينكم، إنما أنتم مع العدم، مرة تقولون: إنه في جبال رضوى، ومرة يقيم في الصحراء، ومرة ساكن في الماء مستعد للخروج إلى الدنيا للفصل بين الأموات والأحياء، وإنها لا تعمي الأبصار ولكن تعمي القلوب التي في الصدور» (٤٨).

وقال الداعي الاسماعيلي الكبير حميد الدين الكرمانى مبيناً ضرورة الإمام واحتياج الناس إليه:

«لما كانت الحاجة إلى الإمام إنما كانت لأن يكون حافظاً رسوم الشريعة وعين الكتاب من أن يزداد فيها أو ينقص منها، وداعياً إلى الإسلام بالترغيب والترهيب، ووافداً بالمسلمين على ربهم يوم الحساب، ومخرجاً إياهم من اختلاف ما فيه يختلفون بعلمه وتفسيره، وقاضياً فيما يحدث من الحوادث بينهم بما أنزل الله، ومستغفراً لهم، ومصلحاً بهم، ومطهراً لهم بأخذ ما أمر الله بأخذه عنهم على ما يراه، ومقيماً عليهم الحدود، ومجيباً عما يراد إليه مما يراد معرفته من أمور الدين، ومبلغاً إلى الأمة ما قاله الرسول، وساداً مسده في جميع ما كان يتعلق به من طلب مصالح الأمة، وكان لولا هذه الأسباب لا يحتاج إلى إمام، وكان من لا يكون حافظاً رسوم الشريعة، ولا مخرجاً للناس من اختلافهم إذا ردوا إليه، ولا قاضياً، ولا قائماً بجميع ما ذكرناه مقام الرسول بأمره فليس بإمام» (٤٩).

وأيضاً:

«لما كانت العلة التي لأجلها وجب وجود الإمام وجوب حفظ الشريعة والكتاب من أن يزداد فيهما أو ينقص منها بعد ما كان ممكناً الزيادة فيهما

(٤٨) أيضاً ص ٩٢.

(٤٩) «المصاييح في إثبات الإمامة» لحميد الدين الكرمانى المتوفى ٤١١ هـ ص ١٣٦ ط بيروت ١٩٦٩ م.

والنقصان منها، والدعوة إليهما وإلى الإسلام بالترغيب والترهيب، وحاجة الأمة إلى من يصلي بهم، ويعلمهم معالم دينهم، ويخرجهم مما يختلفون فيه، ويقضي فيما بينهم بما أنزل الله، ويستغفر لهم، ويطهرهم، ويقم عليهم الحدود، ويحبب عما يرد إليه من المسائل، ولبيلغهم الرسول صلى الله عليه وسلم، ويأخذ منهم حقوق الله على ما يراه، ويسد مسد النبي صلى الله عليه وسلم فيما بين ظهرانيهم بأمره صلى الله عليه وسلم، فكان من كان حافظاً للكتاب والشرعة على رسومها ويدعو إلى الإسلام وإليهما، ويذب بالترغيب والترهيب عنهما، ويصلي بالناس، ويعلمهم معالم دينهم، ويخرجهم مما يختلفون فيه إذا رجعوا فيه إليه، ويقضي بما أنزل الله، ويستغفر الله لمن يستغفره، ويطهرهم، ويقم عليهم الحدود، ويحبب عما يرد إليه من المسائل، ولبيلغهم ما قال الرسول صلى الله عليه وسلم على صيغته ويأخذ منهم حقوق الله وينفقها في وجهها، ويسد مسد النبي صلى الله عليه وسلم فيما بين الأمة بأمره بنص القائم مقامه، فهو إمام» (٥٠).

هذا، ويمثل ذلك قال القاضي النعمان في كتابه (اختلاف أصول المذاهب).

وغيره في غيره.

ومعنى هذا كله أن الناس يحتاجون إلى إمام يقوم بينهم بهذه الأعمال التي ذكرها الاسماعيلية.

فمسائل القوم: هل أئمتهم في دور الستر كانوا يقومون بهذه الأعمال، ويؤدون هذه الواجبات؟

وكذلك الآن هل يعرف الاسماعيلية الطيبية أو المستعلية أو البهرة إمام زمانهم من اليوم الذي قتل الأمر إلى يومنا هذا؟

وهل قاموا ويقومون بالأعمال التي عدّها كبارهم وقادتهم؟

(٥٠) أيضاً ص ١٤٦، ١٤٧.

وهناك أسئلة أخرى، وإيرادات أوردها الاسماعيلية على مخالفهم من الشيعة الاثني عشرية وغيرهم على اعتقادهم بالغائب المنتظر - الموهوم المعلوم - حيث ترد عليهم نفس الإيرادات، وتطرح عليهم نفس الأسئلة ولكن لها موضعها ومحلها في الجزء الثاني من هذا الكتاب^(٥١).

عمر الإمام

وهناك قاعدة أخرى من القواعد الاسماعيلية التي اخترعوها للطعن والتشنيع على مخالفهم غير عاملين بأن الله يوماً من الأيام يرد كيدهم إلى نحورهم - وكلهم في سوء المعتقد وبطلان ما يؤمنون به ويعتقدون سواء.

وهي القاعدة التي ذكرها باب أبواب المعز - وهو كالمعصوم عند القوم - فيقول ردّاً على الاثني عشرية الذين يقولون بإمامة محمد الملقب بالجواد بن علي الملقب بالرضا:

«وقد قامت فرقة بعده على ولده محمد بن علي، وادعت فيه الإمامة وكان علي لما صار إلى المأمون خلفه بالمدينة طفلاً صغيراً في حجراته، ومات خلفه ابن خمس سنين إلى العشرة لا يجري عليه الحكم ولا يجوز شهادته ولا يرضى عقله، وإنه لا يجوز شهادته من لم تجب الصلاة خلفه ولا تؤكل ذبيحته ولا رأينا أحداً من الملوك المتقدمة من اليهود والنصارى وغيرهم قدم مثل هذا ولا رضي به... وأنتم تقولون: إنه أوصى إليه قبل أن يفارقه، وكيف يوصي إلى من لا يجوز عليه الحكم، والوصية عندنا وعندكم بأمر الله ووحيه إلى السلف ينصب الخلف كما تقدّم القول به بشهود عدول، وهل يجوز لأحد في ظاهر

(٥١) حيث يكون ذلك الجزء مختصاً في البحث عن النزارية، والمستعلية، والداوذية، والسليمانية، والأغاخانية إن شاء الله.

أمره أن يوصي ولدأ له إذا كان لم يجر عليه الحكم، وهل يجوز أن يسلم إلى وصي يوصيه بولده ويستخلفه عليه أن يسلم إليه ماله حتى يشهد عليه عدول يقبل شهادتهم المنصوب للقضاء» (٥٢).

وذكر مثل هذا الآخرون.

فإجماع الشيعة على أن الإمام لا يكون إماماً إلا عندما يكتمل شبابه، ويبلغ الحلم وسنّ الرشد، فمن لا تجوز شهادته، ولا يرضى عقله، ولا تجب الصلاة خلفه، ولا تؤكل ذبيحته ولا يجوز عليه الحكم لا يكون إماماً.

نعم! هذا هو الأصل، لكن لا أدري كيف يعارضونه ويخالفونه عندما يشتون إمامة محمد بن اسماعيل بعد اسماعيل بن جعفر وكان عمره يوم ذاك ثلاث سنين كما صرح بذلك الداعي ادريس عماد الدين في كتابه الباطني:

«فسلمه أعني مولانا محمد بن اسماعيل إلى ميمون بن غلان فرباه وأخفى شخصه صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث سنين مع ميمون القداح وهو كفيل له ومستودع أمره» (٥٣).

وكذلك الحاكم بأمر الله الذي يحكي عن نفسه بأنه يوم وفاة أبيه وتوليّه الخلافة كان يلعب «فدعاني أبي وضمني وقبلني وهو عريان، وقال: أمض فالعب، فأنا في عافية».

قال: ثم توفي، فأتاني برجوان، وأنا على حميزة في الدار، فقال: انزل ويحك، الله الله فينا، فنزلت، فوضع العمامة بالجواهر على رأسي، وقبل الأرض ثم قال: السلام عليك يا أمير المؤمنين، وخرج بي إلى الناس، فقبلوا الأرض، وسلموا علي بالخلافة» (٥٤).

(٥٢) «أسرار النطقاء» لجعفر بن منصور اليمني ص ٨٩، ٩٠ من «المنتخب» لايوانوف.

(٥٣) «زهر المعاني» ص ٤٧ من «المنتخب» لايوانوف.

(٥٤) «سير اعلام النبلاء» للذهبي ص ١٧٣، «النجوم الزاهرة».

وكذلك المستنصر بن الظاهر الذي لم يتجاوز السابعة من عمره يوم أقاموه إماماً للاسماعيلية^(٥٥).

فاستبدت بالإمامة أمّه وأودعتها في اليهود حتى إن شاعراً من شعراء ذلك العصر ابن بواب اضطر أن ينظم هذه الأبيات:

يهود هذا الزمان قد بلغوا غاية آمالهم وقد ملكوا
العز فيهم والمال عندهم ومنهم المستشار والملك
يا أهل مصر قد نصحت لكم تهودوا قد تهود الفلك^(٥٦)

وكذلك الأمر بن المستعلي لم يكن قد بلغ السادسة من العمر^(٥٧).

وأما الطيب فحاله حال ابن الحسن العسكري المولود المعدوم أو الموهوم الموجود. ويضاف إلى هؤلاء محمد القائم^(٥٨) على رأي بعض الاسماعيلية الذين لا يعدونه ابن المهدي الاسماعيلي الحقيقي، ويجعلون المهدي كفيلاً له ومستودع أمره^(٥٩).

فماذا يقول الاسماعيلية عن هذا التعارض الصريح والتناقض الشنيع؟ وكيف يثبتون إمامة أئمتهم مع اتفاق الشيعة على تلك القاعدة التي ذكرها باب أبواب المعز وداعي الدعاة الاسماعيلية جعفر بن منصور اليمن، وفي ضوئها وحسب مقتضياتها ومتطلباتها لا يثبت إمامة واحد من هؤلاء المذكورين.

(٥٥) «اتعاظ الحنفاء» ج ٢ ص ١٨٢ «الخطط» للمقريزي ج ١ ص ٣٥٥ أيضاً «الكامل» لابن الأثير. ج ٨ ص ١٠ «وفيات الأعيان» لابن خلكان ج ٥ ص ٢٢٩ «تاريخ ابن إياس» ج ١ ص ٢١٥.

(٥٦) «حسن المحاضرة» للسيوطي ج ٢ ص ١١٦.

(٥٧) أنظر ج ٥ ص ١٥٣، «الخطط» ج ٢ ص ١٩٠ «تاريخ ابن إياس» ج ١ ص ٢٢١ «اتعاظ الحنفاء» للمقريزي، «تاريخ ابن خلدون»، «وفيات الأعيان» ج ٥ ص ٣٠١.

(٥٨) الإمام الثاني الاسماعيلي في دور الظهور.

(٥٩) «غاية السواليد» ص ٣٧ من «المنتخب»، «زهر المعاني» ص ٦٦ من «المنتخب» لياونوف.

عمر محمد بن اسماعيل

وما دمنا لا زلنا في ذكر اختلاف الاسماعيلية وتناقضاتهم حول أئمة الدور الأول من اسماعيل ومحمد بن اسماعيل بناء هذا المذهب ومؤسسي هذه الديانة، نريد أن نذكر ههنا الخلاف الكثير والتناقض الكبير في عمر محمد بن اسماعيل عند وفاة أبيه فيقول جعفر بن منصور اليمن: إن عمره كان أربع عشرة سنة حيث يقول ردّاً على المخالفين:

«فصار اسماعيل باب الله ومحراه وبيت نوره والسبب بينه وبين خلقه، واجتمعنا نحن وأنتم على ذلك، فلما غيَّب شخصه في حياة أبيه سرّاً من أعدائه ومحنة لأوليائه . . . لم يغب عن الدار حتى خلف ولداً كاملاً، وأن الأمر قد رجع إليه بأمر الله ووحيه إليه، وإنه لما حضره ما أَراده الله من أمره أوحى إليه أن يسلم الأمر إلى ولده محمد، دعا نقباءه وخواص أصحابه وسلم إليه بمحضر من خاصّته سترّاً عليه كما فعل هرون (هارون) بيوشع بن النون إذ جعله خليفة على ولده إلى أن تمّ أمره، وقد كان هذا رجلاً كاملاً له أربع عشرة سنة، وصاحب هذا العمر جائز القول مقبول الشهادة»^(٦٠).

فهذا ما قاله داعي الدعاة الاسماعيلية وباب أبواب الإمام «المعصوم» الذي هو كالمعصوم أيضاً.

(٦٠) كتاب «أسرار النطقاء» لجعفر بن منصور اليمن ص ٨١، ٨٢ وكذلك ص ٩٩ من «المنتخب» لايوانوف ط أجمل بريس، بومبي.

وقال داعي البلاغ الاسماعيلي الذي له أيضاً العصمة كالإمام، خطاب ابن الحسن في كتابه (غاية المواليذ): إن محمد بن اسماعيل كان وقت وفاة أبيه في حد الطفولية^(٦١).

هذا وقال ادريس عماد الدين الداعي المطلق للاسماعيلية، الذي هو كالمعصوم أيضاً في كتابه السري المشهور (زهر المعاني):

ولما آن لاسماعيل الأجل تلبساً على الضد لشدة حسده وبغيه وحرصه في إطفاء نور الله والله متمّ نوره بما فعله إن شاء الله، وأوصى إسماعيل والده الصادق عم الأمين أن يقيم لولده حجاً ومستودعاً كما أوصى هارون موسى أن يقيم لولده كفيلاً فأقام له يوشع بن النون سترأً عليه وحجاباً له، فسلمه، أعني مولانا محمد بن اسماعيل، إلى ميمون بن غيلان بن بيدر بن مهران بن سلمان الفارسي قدس الله روحه، وربّه وأخفى شخصه صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث سنين مع ميمون القداح قدس الله روحه وهو كفيل له مستودع أمره، وميمون من أولاد سلمان وسلمان من أولاد اسحاق بن يعقوب أهل الاستيداع والقائمين بالبلاغ والابلاغ^(٦٢).

ومن المعارضات الفاضحة والمناقضات القبيحة أن الداعي المطلق هذا نفسه يناقض ما قاله ههنا ويخالف في كتاب آخر مشهور في التاريخ الاسماعيلي حيث ذكر:

«وكان الإمام محمد بن اسماعيل (عليه السلام) حيث قبض أبوه ابن ست وعشرين سنة، وأخوه علي بن اسماعيل رجل بالغ الحلم، له من العمر ثمان عشرة سنة فبقيا عند جدّهما الإمام الصادق (عليه السلام)^(٦٣). ما أجهل هذا المعصوم وما أبلهه !

(٦١) أنظر «غاية المواليذ» الباب الرابع ص ٣٦ من «المنتخب» لايوانوف، وقد أثبتنا النص فيها مرّاتاً في هذا الباب استغنياً به عن إيراده مرة أخرى.

(٦٢) «زهر المعاني» ص ٤٧ من «المنتخب» لايوانوف.

(٦٣) أنظر «عيون الأخبار» للداعي المطلق ادريس عماد الدين، السبع الرابع، ص ٣٥١ ط دار الأندلس بيروت.

وما أكبر هفوته وزلته، وأفحش خطأه وغلطته !

وهناك مؤرخ اسماعيلي آخر من سوريا عبد الله المرتضى يقول في كتابه (الفلك الدوار في سماء الأئمة الأطهار) بقول آخر، وهو:

«ولد للإمام جعفر الصادق عليه السلام ستة أولاد ذكور وهم اسماعيل ومحمد واسحاق وعبد الله وموسى وعلي ويقد عهد لابنه اسماعيل بالإمامة على مسمع خواص شيعته الاسماعيلية حسب الناموس الالهي وشروط الوصاية وأحكامها ومبانيها فساق الاسماعيليون الإمامة في اسماعيل وجعفر حياً؟ فما لبث اسماعيل بعد النص عليه بالإمامة سوى زمن وجيز حتى توفي فترك زوجته حاملاً (بمحمد الحبيب) ولقد ألقى على هذا الإمام المصون وهو لا يزال في (زجاجته الدرية) سر الإمامة الدقيق وفيضها العذب الأنيق إمام بضعة من الدعاة والحدود» (٦٤).

فهذه هي بعض الأقوال في عمر إمام اسماعيلي واحد، الإمام الذي يعدّونه سابع النطقاء، ناسخ شريعة محمد صلوات الله وسلامه عليه، وحول إمامته حصل الخلاف بين الطوائف الشيعية، وتفرقت الفرق، وتكونت الاسماعيلية من الذين تمسكوا بإمامته وآمنوا بولايته.

ثم الخلاف في ذلك ليس بخلاف يسير، بل الخلاف في أنه لم يكن مولوداً، وكان مولوداً وعمره ست وعشرون سنة.

وأطرف من ذلك أن كل القائلين بهذه المقولات «معصومون لا ينطقون عن الهوى».

ولا أدري كيف كان حجمه إذ حصل بين غير المعصومين؟

فهذه بعض الأمثلة القليلة للاختلافات الكثيرة الكثيرة حول محمد بن اسماعيل، واسماعيل أبيه، وعليها تقاس كثرة الخلافات والتعارضات والتناقضات بين القوم في المسائل والقضايا الأخرى التي

(٦٤) «الفلك الدوار» لعبد الله المرتضى ص ١٢٥ ط سوريا.

اختصّوا بها من التوحيد، والمبدع، والابداع، والولاية، والتأويل، وبدء الخليفة، والمعاد. وكذلك في النبوة، والوصاية، والولاية، والإمامة وغيرها من الأشياء الكثيرة الكثيرة لو نذكرها بتمامها لخرج الكتاب عن حده.

وإننا قد لمّحنا وألمّنا إليها في الأبواب الماضية عند ذكر معتقدات القوم وأفكارهم أثناء الكلام عنها، ولم نرد في هذا الباب إلا توجيه الباحثين والقراء إلى أن دعواهم بأن علمهم مأخوذ من المعصومين هذه حقيقته.

وسنورد بعض الأمثلة الأخرى بتعارضاتهم وتناسقاتهم واختلافاتهم في قضية واحدة بالاختصار والإيجاز دون التطويل والاطناب اتِّماماً للفائدة، وكمالاً للبحث، فمثلاً يختلف الاسماعيلية في أول الخليفة ما هو؟

فقال الأكثرون: إن أول ما خلق الله تعالى العقل قال به إخوان الصفاء^(٦٥) والمؤيد الشيرازي^(٦٦) وأبو يعقوب السجستاني^(٦٧) ثم ساقوا حديثاً عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: أول ما خلق الله العقل فقال له: أقبل فأقبل ثم قال له: أدبر فأدبر ثم قال عز وجل: بعزّي وجلالي بك أئيب وبك أعاقب^(٦٨).

ولكن النعمان بن محمد المغربي قال بعكس ذلك، وهو:
«أول ما خلق الله الحروف، وبالحروف علت الأسماء، وبالأسماء عرفت الأشخاص^(٦٩)».

ثم تخط في نفس الكتاب فقال:
«أول ما خلق الله القلم»^(٧٠).

(٦٥) أنظر «إخوان الصفاء» ج ٣ ص.

(٦٦) «المجالس المؤيدية» المائة الأولى ص ٦.

(٦٧) «تحفة المستجيبين» ص ١٣ من «ثلاث رسائل اسماعيلية» ط دار الآفاق، بيروت.

(٦٨) «المجالس المؤيدية» للشيرازي، المائة الأولى ص ٦ ط بيروت.

(٦٩) «أساس التأويل» للنعمان بن محمد القاضي ص ٣٦، ٣٧ ط دار الثقافة، بيروت.

(٧٠) أيضاً ص ٣٩.

ولكن الداعي الاسماعيلي الكبير أبا حاتم الرازي المتوفى سنة ٣٢٢ هـ يقول خلاف ما قاله هؤلاء فقال:

«أول ما خلق الله اسماً، بالحروف غير منسوب، وباللفظ غير منطوق، وبالشخص غير مجسّد، وبالتسمية غير موصوف، وباللون غير مصبوغ، منفى مبعد منه الحدود، محجوب عنه حس كل متوهم، مستتر غير مستور... الخ» (٧١).

ثم أراد المؤيد الشيرازي التوفيق بين من يقوله: القلم، وبين من يقوله: العقل، فقال:

«إنّ العقل هو القلم» (٧٢).

ولكن الكرمانى حميد الدين عارضه في ذلك وقال:

«إن المنبعث الثاني من العقل الأول المسمى بالقلم موجودتان، وأنه في الكمال كالأول» (٧٣).

يعني بذلك أن العقل هو الموجود الأول والانبعث هو الموجود الثاني، وهو المعبر بالقلم.

هذا من جانب، ومن جانب آخر قال ابراهيم بن الحسين الحامدي، والحسين بن علي بن الوليد وعلي بن حنظلة وطاهر بن ابراهيم، واللفظ للأخير:

«إن الله تعالى أبدع عالم الابداع المكنى عنه بعالم الأمر، وعالم العقل، وعالم القدس، وعالم الصفا، وعالم اللطافة، والعالم الروحاني، جميعاً معاً، دفعة واحدة من غير شيء تقدمهم، فيكون لهم هيولى أولى، ولا مع شيء صاحبهم، فيكون مائثلاً لهم ومشاكلاً، ولا على شيء أقلهم، فيكون لهم

(٧١) أنظر «كتاب الزينة» لأبي حاتم الرازي ج ١ ط فيض الله الهمداني، ط مطبعة الرسالة القاهرة، مصر ١٩٥٧ م.

(٧٢) «المجالس المؤيدية» ج ١ ص ١٠٩.

(٧٣) «راحة العقل» للكرمانى. ص ٢١٧.

مكان أول، واخترعهم عالم وجود من عدم غير موجود تفضلاً منه وجوداً، إذ من شيمة الكريم القادر التفضل، ومن سجية العزيز العليم الجود والتطول، لا محتاجاً إليهم، ولا عابثاً بهم، إذ هو متعال متكبر عن ذلك أوجدهم أشباحاً صورية محضة نورانية، ذوات قامات ألفية، كالقامات الإنسانية البشرية، مباينة لأنفسها الهيولانية، وأجسامها اللحمية الدموية، إذ هي كثافة ظلمانية وتلك لطائف روحانية قدسانية، فوجد تلك الأشباح النورانية متساوية في الكمال الأول، الذي هو الوجود، والحياة، والقوة والقدرة، لا تخالف فيها ولا تفاضل ولا تباين بينها ولا تمايل» (٧٤).

ومثله في «المبدأ والمعاد» (٧٥).

فهذه هي التعارضات والتناقضات والاختلافات الكثيرة التي لا يمكن التوفيق بينها في المبدع الأول وحده.

ثم هناك اختلاف بين القائلين بأن العقل هو الموجود الأول، هل هو أول موجود فاض من الباري أم عن طريق الابداع، فقال إخوان الصفاء: العقل هو أول موجود فاض من الباري تعالى عن طريق الفيض» (٧٦).

ولكن المؤيد الشيرازي قال:

«فالعقل وجد عن الله سبحانه إبداعاً» (٧٧).

ويمثل ذلك قال الكرمانى (٧٨).

ثم اختلفوا في العقل اختلافاً آخر هل فوق العقل الأول شيء؟ فقال الكرمانى والسجستاني ليس فوق العقل الأول شيء» (٧٩).

(٧٤) «الأنوار اللطيفة» الباب الثاني، الفصل الأول ص ٨٣.

(٧٥) «المبدأ والمعاد» ص ١٠٢، ١٠٣ من «رسالة اسماعيلي».

(٧٦) أنظر «رسائل إخوان الصفاء» ج ٣ ص ٢٥٦.

(٧٧) «المجالس المؤيدية» نسخة خطية.

(٧٨) «راحة العقل» للكرمانى ص ١٥٨.

(٧٩) حميد الدين الكرمانى نقلاً عن «أربعة كتب اسماعيلية» ص ٤٧، «كتاب الينايع»

للسجستاني ص ٢٥ «رسالة اسماعيلي».

ونقلوا عن بعض الحدود أنه قال :
 «إن فوق العقل ثلاثة حدود روحانية»^(٨٠) .
 ثم اختلفوا فيه اختلافاً آخر هو: ما هو العقل الأول؟
 فقال قوم: العرش هو العقل^(٨١) .
 وقال الآخرون: جبريل هو العقل^(٨٢) .
 ثم اختلفوا في العرش فقال قوم: إن العرش هو العقل^(٨٣) .
 وقال قوم: إن العرش هو العلم كما قال الداعي ادريس:
 «العرش هو العلم الباهر والنور الظاهر»^(٨٤) .

وبمثل ذلك قال حاتم بن ابراهيم:
 «والعرش المذكور هو العلم، وهو ما نزل على أول نطقاء دور الستر
 الذي هو آدم»^(٨٥) .

وبمثل ذلك قال جعفر بن منصور اليمن^(٨٦) .
 ولكنه نفسه قال في موضع آخر من الكتاب: إن العرش هو
 الملك^(٨٧) .

وقال الداعي الاسماعيلي الآخر:
 «إن العرش والكرسي هما الفلك المحيط وفلك البروج»^(٨٨) .

(٨٠) «مسائل مجموعة من الحقائق العالية» ص ٤٧ من «أربعة كتب اسماعيلية» ط شتروطمان غوتتينغن .

(٨١) أنظر «تأويل الدعائم» للقاضي النعمان ج ٢ ص ١٩ .

(٨٢) أنظر «كنز الولد» للحامدي ص ١٦٥ .

(٨٣) أنظر «المجالس المؤبدية» ج ٢ ص ٥٧ .

(٨٤) «زهر المعاني» لإدريس عماد الدين، نسخة خطية .

(٨٥) «الشموس الزاهرة» لحاتم بن ابراهيم، نسخة خطية .

(٨٦) أنظر «كتاب الكشف» ص ١٦ .

(٨٧) أيضاً ص ٤٣ .

(٨٨) أنظر «مسائل مجموعة من الحقائق العالية» ص ١١٩ من «أربعة كتب اسماعيلية» .

وقال النعمان القاضي :

«إن العرش هو دين الله الذي تضمنته دعوة الحق ، والدعوة في ذاتها عرش لأنها الدين الخالص» (٨٩).

وقال الآخر :

«خلق الله العرش» يعني بالعرش في هذا الموضوع قائم كل قيامة (٩٠).
ثم اختلفوا في جبريل أيضاً ، فقال البعض : إنه هو العقل كما مرّ بيانه .

وقال السجستاني :

«جبريل كناية عن ثقة الله الذي لا يجاوزه ولا يعدوه» (٩١).

وقال الداعي طاهر بن إبراهيم الحارثي اليماني :

إن أبي بن كعب هو المكثي عنه بجبريل (٩٢).

ثم نفسه يخالف ما قاله أولاً فيقول :

«أبو طالب هو بلسان الشريعة جبرئيل» (٩٣).

ولكن الداعي الاسماعيلي المطلق ادريس عماد الدين يروي رواية أخرى

عن جبرئيل ، التي تنبئ أنه لم يكن إلا ملكاً وهي :

«كان عليّ يسمع وقع جناح جبريل على السطح إذا نزل بالوحي» (٩٤).

فهذه حقيقة دعواهم بأن علمهم مأخوذ من المعصومين ، وأنه وقف عليهم من عند الله ، وهذا مثال آخر من الأمثلة الكثيرة للتعارضات والتناقضات اللا محدودة واللا معدودة ، وهذا إن دلّ على شيء دلّ على أن الديانة الاسماعيلية مجموعة من العقائد غير الثابتة ، والقواعد المتعارضة

(٨٩) «تأويل الدعائم» ج ١ ص ٢٥١ ط دار المعارف مصر.

(٩٠) «مسائل مجموعة» ص ٦٧ من «أربعة كتب اسماعيلية».

(٩١) «كتاب الافتخار» للسجستاني ص ٤٤ ط ، بيروت.

(٩٢) أنظر «الأنوار اللطيفة» ص ١٢٧ ط الهيئة المصرية العامة ١٩٧٠ م.

(٩٣) أنظر «الأنوار اللطيفة» الفصل الثالث من الباب الثاني من السراشق الثالث ص ١٢٨.

(٩٤) «عيون الأخبار» السبع الرابع ص ١٩٦.

المتناقضة، ولا توجد مسألة من مسائلها إلا وتضاربت فيها آراء القوم، ولا قضية من قضاياهم إلا وقد اختلف فيها الاسماعيليون اختلافاً كثيراً.

وكذلك ليس لها اسس ولا أصول قائمة دائمة فالأسس التي اخترعوها، والأصول التي اختلقوها، نقضوها أنفسهم وعارضوها وخالفوها.

وخير دليل على ذلك (كتاب النصر) و (كتاب الاصلاح) ثم (كتاب الرياض) للدعاة الاسماعيلية الثلاثة الكبار، لا يقول في كتابه أحد شيئاً إلا ويعارضه الآخر، ولذلك استغرب الباحثون هذه الخلافات الكبيرة مع ادعائهم ما يدعون من نزول الوحي على أئمتهم، وكونهم من المحفوظين عن الخطأ والزلل، وحصول دعائهم على العصمة والصيانة عن السهو والنسيان والغلط.

«أنظر كيف يفترون على الله الكذب وكفى به اثماً مبيناً» (٩٥).

و «كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً» (٩٦).

و«يقولون هو من عند الله، وما هو من عند الله، ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون» (٩٧).

(٩٥) سورة النساء الآية ٥٠.

(٩٦) سورة الكهف الآية ٥.

(٩٧) سورة آل عمران الآية ٧٨.

الباب التاسع

زعماء الاسماعيلية وقرقها

إن الاسماعيلية وليدة أفكار وآراء لأشخاص ساهموا في نشأتها وتكوينها، وإبرازها من العدم إلى الوجود، مبنية على أسس شيعية وقواعد باطنية من الحاقدين الحانقين على الأمة المحمدية وأسلافها، وخاصة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعلى رأسهم خلفاؤه الراشدون الثلاثة، وأزواجه أمهات المؤمنين، ومن سلك مسلكهم واهتدى بهديهم وتبعهم، على مر الزمان وكرّ الدهور، فحاولوا القضاء على الخلافة الإسلامية، والدولة المسلمة آنذاك، وإقامة مملكتهم وسلطنتهم على أنقاضها وأسلاتها، وهدم شريعة الإسلام التي جاء بها محمد رسول الله صلوات الله وسلامه عليه، شريعة العمل والجد والجهد والجهاد، شريعة تأمر اتباعها بإتيان المعروف وتنهاهم عن الفحشاء والمنكر، ووضع شريعة جديدة بدلها تنسخ تلك الشريعة، وتضع عن معتنقيها إصر العمل، وأغلال الجهد، وثقل التقيد بالأوامر والإرشادات، وإطلاق الحريات لهم بكل ما يريدون ويشتهون.

فاشترك الكثيرون الكثيرون لبناء عمارة هذه الديانة وبنیان هذا المذهب، كل بقدره وإمكاناته وقوته وطاقته، بالكتابة والخطابة والرأي والفكر، ووضع القواعد والمعتقدات، واختلاف العقائد والآراء.

فمن هذه المجموعة والأفكار تكوّن المذهب، وهؤلاء هم الذين اختلقوه وبنوه، ولذلك يرى القاريء والباحث التناقض الظاهر والتعارض البين في

مسألة واحدة لدى الاسماعيلية، مع ادعائهم أن مذهبهم مأخوذ عن المعصوم الذي لا يخطيء ولا يغلط، وقد صدق الله عز وجل، «ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً»^(١).

وعلى ذلك نريد أن نذكر بعض الأشخاص البارزين الذين لهم دور كبير في تكوين هذه النحلة وتأسيس قواعدها، وترسيخ أصولها وأسسها، ونشر أفكارها ومعتقداتها، غير الذين ذكرناهم في الباب الأول والثاني، من أئمة القوم وواضعي بذرتها الأوائل.

فمنهم: أبو حنيفة النعمان بن محمد بن منصور بن أحمد بن حيون التميمي المغربي نسبة إلى بني تميم، ويسميه الاسماعيلية القاضي النعمان تهرباً من أن يلتبس اسمه بإسم أبي حنيفة النعمان بن ثابت المشهور، وقد اختلف في ولادته، فقيل إنه ولد سنة ٢٥٩هـ^(٢). وقيل سنة ٢٩٣هـ^(٣). ولد في القيروان كما يذكر الزركلي^(٤). في بيئة إسماعيلية من أبوين إسماعيليين^(٥). لا كما يقوله ابن خلكان بأنه كان مالكيّاً، ثم انتقل إلى الاسماعيلية^(٦)، ولا ائناً عشريّاً كما يقوله النوري الطبرسي^(٧)، ولا حنفيّاً كما ذكره أبو المحاسن^(٨).

بل إن أباه كان من دعاة الاسماعيلية «الذين تلقوا البذرة الاسماعيلية الأولى على أيدي الحلواني وأبي سفيان»^(٩).

(١) سورة النساء الآية ٨٢.

(٢) أنظر مقال المستشرق 1907 J.A.O.S (Gotthell).

(٣) أنظر مقال آصف فيضي الاسماعيلي «القاضي النعمان» في مجلة (J.R.A.S) ١٩٣٤ م.

(٤) «الاعلام» للزركلي.

(٥) «اختلاف أصول المذاهب» المقدمة لمصطفى غالب الاسماعيلي، أيضاً آصف فيضي مقال المذكور.

(٦) «وفيات الأعيان» لابن خلكان ج ٢ ص ١٦٦.

(٧) «مستدرك الوسائل» للنوري الطبرسي ج ٣ ص ٢١٣ ط قدیر طهران.

(٨) «النجوم الزاهرة» ج ٤ ص ١٠٧.

(٩) أنظر مقدمة «اختلاف أصول المذاهب» لمصطفى غالب ص ١٠.

وعبارة ابن خلكان نقلاً عن ابن زولاق تشعر ذلك :

«أبو حنيفة النعمان بن محمد الداعي» فعبارة الداعي قد تعني الوالد أيضاً^(١٠) ويؤيد ذلك وصوله لدى المهدي الاسماعيلي في سن مبكرة، وتقربه إليه، ومأموريته على الجاسوسية حيث يذكر النعمان هذا بنفسه في مجالسه :

وخدمت المهدي بالله صلوات الله عليه من آخر عمره تسع سنين وشهوراً وأياماً، والإمام القائم بأمر الله من بعده صلى الله عليه وسلم أيام حياته في إنهاء أخبار الحضرة إليهما في كل يوم طول تلك المدة إلا أقل الأيام . وكان لهما صلوات الله عليهما من النعم والفضل عليّ في ذلك ما لا أحصيه عدداً ولا أقوم ببعض شكره أبداً : أقل ذلك تعمّد الزلزل مني والصفح عما يأتيهما عني، وأنا أعلم، وإن اجتهدت وتحفظت واحترست، إني لا أسلم من ذلك . فما أتاني عن أحد منهما طول هذه المدة إنكار علمته ولا انتقاد شيء جهلته»^(١١).

وعلى كل، كان النعمان عريقاً في إسماعيليته، مغالياً في مذهبه، خادماً لأئمتّه، عاملاً في مصالحهم، موصلاً إليهم أخبار ما يجري في البلاد، محبباً إليهم، مقرباً لديهم إلى أن وصل منصب القضاء بعد الخدمات العديدة التي أدّاها لكل من المهدي والقائم والمنصور من نقل الأخبار وجمع الكتب وانتساخها أيام المنصور لا أيام القائم كما يظنه محمد كامل حسين^(١٢).

ويذكر كل هذا النعمان بنفسه :

وكنّت أخدم المنصور بالله صلوات الله عليه بعض أيام المهدي بالله صلوات الله عليه وأيام القائم صلى الله عليه وسلم كلها، وكانت له عليّ من النعم والآلاء ما لا أحصى عددها . وكانت خدمتي إياه في جمع الكتب له وانتساخها . فلما قبض القائم صلوات الله عليه، استقضاني قبل أن يظهر

(١٠) مقدمة كتاب «المجالس والمسائرات» ص ٧ .

(١١) «المجالس والمسائرات» الجزء الثاني ص ٧٩ ط تونس .

(١٢) أنظر مقدمة «كتاب الهمّة» ص ٧ أيضاً في أدب مصر الفاطمية ص ٦٥ .

أمره وكنت أول من استقضاه من قضائه وأعلى ذكرى ورفع قدرى ، وأنعم عليّ من النعم بما لو أخذت في وصفه لقطع بطوله ما أردت ذكره .

فلم يكن في أيامه أحد أعز عليّ منه ولا أعظم قدراً ولا أجلاً في قلبي خطراً . وكنت إذا تمنيت كان أفضل ما أتمناه أن أموت في أيامه وعلى رضاه^(١٣) .

فولاه المنصور على قضاء طرابلس أولاً^(١٤) ، ثم على المنصورية ثانياً بعد انتقال الخلافة من المهدية إليها سنة ٣٣٧ هـ ، ثم جعله قاضياً على أفريقية كلها كما يذكر كل هذا :

« أول لفظة سمعتها من أمير المؤمنين المعز لدين الله صلوات الله عليه يوم قدمت من مدينة طرابلس وكان المنصور بالله استقضاني عليها ، ثم نفذ إلى أمره بالقدوم فقدمت »^(١٥) .

وقال :

« ولما استقضاني المنصور بالله صلوات الله عليه على المنصورية أمرني بالجلوس للنظر بين الناس في سقيفة قصره وقال لي : لو اتسع لي أن أجلسك بين يدي في مجلس داخل قصري لكان ذلك أعجب إلي . فإذا كان ذلك لا يمكن فأجلس في سقيفة قصري فإنه أحق موضع أقيمت فيه الحقوق ونفذت فيه الأحكام »^(١٦) .

وأما توليته على قضاء أفريقيا كلها فيذكرها بقوله :

(١٣) أيضاً في ٨٠ ، ٨١ .

(١٤) وإنني لأظن بأن الدكتور محمد كامل حسين لم يلتبس عليه أمر قضاء النعمان أيام القائم إلا من توليته قضاء طرابلس حيث ظن خطأ بأن الذي ولاه عليه هو القائم ، مع أن القائم كان قد مات قبل ذلك سنة ٣٣٤ هـ ، ولكن المنصور ابنه لم يعلن وفاته آنذاك خوفاً من ثورة أبي يزيد محمد بن كيداد ، وبعد انتهائه منه سنة ٣٣٦ أعلن موت أبيه ، وخلافته وفي هذه الفترة ولاه قضاء طرابلس ، ولم يكن ولاه القائم كما التبس على الدكتور الأمر .

(١٥) « المجالس والمسائرات » ص ٥١ .

(١٦) « المجالس والمسائرات » ص ٦٩ .

«ولما أرحلني المنصور بالله (صلى الله عليه وسلم) عن مدينة طرابلس إلى الحضرة المرضية وافق وصولي إليها غداة يوم جمعة فخلع على يوم وصولي وقلدني، وأمرني بالسير من يومي إلى المسجد الجامع بالقيروان وإقامة صلاة الجمعة فيه والخطبة إذ لم يكن يومئذ بالمنصورية جامع، وأمر بجماعة من خاصة بوابي القصر الأعصم بالمشي بين يدي بالسلاح إلى أن صليت فانصرفت.

ثم خرج توقيع من غد إلى ديوان الرسائل بأن يكتب لي عهد بالقضاء بمدن المنصورية والمهدية والقيروان وسائر مدن أفريقية وأعمالها، فذكر ذلك وانتشر في الناس (١٧).

وكان مع هذه المكانة والمنصب يسجد للمنصور مع منعه إياه، ويذكر هذا أيضاً في مجالسه:

«ولما استقضاني المنصور بالله (ﷺ) بالمنصورية وأقامت بها كنت إذا وقفت للسلام عليه، قبلت الأرض بين يديه تعظيماً له وإجلالاً لمكانه. فقال لي مراراً كثيرة: لا تفعل مثل هذا يا نعمان! وأنا كل ذلك أفعله وأرى أن نهيه ذلك ليس بنهي كراهية إذ كان المعز صلوات الله عليه يومئذ يفعله ومن دونه من الخاصة وسائر الناس خلا من يجهل حقه من الرعاع الذين لا يعقلون. فكرهت الدخول والكون في ذلك معهم إلى أن خرج صلوات الله عليه يوماً لبعض ما كان يخرج إليه، وخرج المعز معه بحسب ما كان يخرج إليه. فقَبَلْتُ الأرض بين يدي المنصور بالله (ﷺ) فقال لي بقول مغلظ منكر: قد نهيتك عن هذا مراراً ثم لا أراك تنتهي عنه! فجاءني من ذلك ما تحيرت به واغتممت له ولم أدر كيف الوجه فيه؟ فقصدت حينئذ إلى المعز عليه السلام وهو بين يدي الموكب وراء ظهره فذكرت له ما كان منه إليّ، ورأى أثر الغم من ذلك عليّ، فتبسم (ﷺ) في وجهي وقال: لا يغمك ما سمعت من أمير

(١٧) أيضاً ص ٣٤٨.

المؤمنين عليه السلام ولا يصرفك ذلك عما كنت تفعله، ودم عليه ولو نهاك عن ذلك ألف مرة»^(١٨).

وكان من الغالين في أثمته إلى حد كان يقول:

«إنك إن رأيت الامام بعينيك يزني ويشرب الخمر ويأتي الفواحش... أنك لا تنكر ذلك بقلبك ولا بلسانك، ولا يخالجك الشك فيه انه صواب وحق»^(١٩).

وكان يأمر الناس:

«ينبغي لمن عرف الأئمة أن يخافهم كما يخاف ربه، ويتقيهم كما يتقى الله»^(٢٠) ومن أقواله في هذا الأمر مسفها للعقول، مبلدا للأفهام حيث يقول:

«فمن سمع شيئا من كلامهم (أي الأئمة الاسماعيلية) فلم يجد له من ذلك مخرجا فليعلم أنه اغما أتى في ذلك عن تخلفه في الفهم، وعدم التوفيق، ونسأل الله الهداية ونشهد لأوليائه بالعلم والحكمة والولاية»^(٢١).

فمثل هذا الرجل المخلص المغالي قلما وجد للمتغلبين على بلاد المغرب ومصر من بعدها من الأئمة الاسماعيلية، فقرّبوه إليهم، وشددوا الوثاق بينه وبينهم.

وعلى ذلك لما مات المنصور قال له المعز المتخلف من بعده:

«يانعمان، ليحسن عزائك ويجمّل صبرك ! فمولاك مضى، ومولاك بقى، وأنت واجد عندنا ما كنت واجدا عنده ونحن كنا سبيك عنده ولن ينقطع ذلك السبب لدينا لك ان شاء الله تعالى، فطب نفسا وقرّ عيننا

(١٨) أيضاً ص ٥٧.

(١٩) «كتاب الهمة في آداب اتباع الأئمة» للنعمان القاضي ص ١٣١.

(٢٠) أيضاً ص ٧٨.

(٢١) «المجالس والمسائرات» ص ٧٥.

وليحسن بنا ظنك وتسكن إلى ما تحبه لدينا نفسك! (٢٢).

وتوالت عليه نعمه وهداياه واحساناته، ثم أمره المعز الإمام الاسماعيلي بدوره أن يضع كتباً للمذهب الاسماعيلي في العبادات والمعاملات لكي تؤسس عليها الديانة الاسماعيلية الظاهرة، وتبني على قواعدها وأسسها وأصولها، فألف كتباً كثيرة استقاهها من الفقه الشيعي ووضعها للدولة الاسماعيلية آنذاك كما يقول:

«امرني الإمام المعز لدين الله (عليه السلام) بتأليف شيء من العلم وقفني على جميع معانيه، وأصل لي أصوله، وألقى إلى جملة من القول فيه. ولم أكن قبل ذلك تقدمت في تأليف شيء منه، ولا اتسع علمي فيه اتساعاً يوجب أن اتقدم في تصنيفه. فلما فتق لي المعنى فيه، ولخصه لي، وأوضح لي معانيه، وأمرني بتأليفه وبسطه، تقدمت في ذلك تقدم واثق بعون الله به، إذ كان عن أمره (عليه السلام) وتهيب أمره ولم أرني أبالغ فيه، ولم انته منه إلى ما يرضيه.

فابتدأت منه جزءاً ورفعته إليه (عليه السلام) ولم افرغ منه إلا عن مشقة شديدة، وأنا أرى أني مقصرٌ فيما وليت منه، ورفعت معه رقعة وصفت فيها بعض ما اعتراني فيه.

فوقع إلى في أسفلها صلوات الله عليه: يانعمان، وقفت على الكتاب الذي عملته فرأيت أنه قد جاء حسناً ما بعده أحسن، فتهاد على عملك فيه، أحسن الله عونك، وأجزل أجرك!.

فوالله ما هو إلا أن قرأت توقيع هذا بخطه (عليه السلام) وقبلته ووضعت على صدرى فكان الله تعالى أوصل إلى قلبي في ذلك مادة من المعونة التي دعا لي بها (عليه السلام) فتحت ما كان انغلق على من معاني ما بدأت به، وقدرت أنه يأتي قليلاً، فانفتح لي من معانيه ووجوه أجناسه ما جاءني منه فوق ما أملت وأضعاف من توهمته، وبدأت في الذي يلي منه ما رفعته، فكان أيسر شيء

(٢٢) أيضاً ص ٨٢.

على وأسهله، فرأيت تعجيل إجابة دعوته لي (ﷺ) بحسن المعونة فيه» (٢٣).
أيضاً:

«أمرني المعز لدين الله صلوات الله عليه بجمع شيء لخصه لي. وجمعه وبسط لي معانيه وسطر لي جملته، فابتدأت منه شيئاً ثم رفعتة إليه واعتذرت عن الإبطاء فيه لما أردته من إحكامه ورجوته من وقوع ما جمعتة منه بموافقتة (ﷺ)، فطالعتة في مقداره.

فوقع إلى: يا نعمان لا تبال كيف كان القدر مع إشباع المعنى في إيجاز، فكلما أوجزت في القول واستقصيت المعنى فهو أوفق وأحسن. والذي خشيت من أن يستبطأ في تأليفه، فوالله لولا توفيق الله (عز وجل) إياك وعونه لك لما تعتقده من النية ومحض الولاية، لما كنت تستطيع أن تأتي على باب منه في أيام كثيرة، ولكن النية يصحبها التوفيق» (٢٤).
وذكر أيضاً:

«وذكر لي يوماً - وأنا أسايره - شيئاً رآه في بعض ما ألفته في الاحتجاج على من خالف مذهب أهل البيت (ﷺ) من العامة، واستجاد القول فيه (ﷺ) ثم أفادني شيئاً كنت أغفلته، وقال: يجب أن تدخل مثل هذا فيه لتقطع به مقال من عسى أن يقول شيئاً فيه، فإن أعداء الله قد يسمعون من حجة الله لنا عليهم ما لا يشكون فيه ولا يمترون في أنه الحق فيسكتون عنه حتى إذا مربهم شيء يدخل منه بعض الشبهة عليهم تنبهوا له وتكلموا فيه، وموهوا من أجله» (٢٥).

ومثل ذلك أيضاً ما ذكره في مجالسه:

«وجدت كتاباً في الفقه عن الأئمة الطاهرين من أهل بيت رسول

(٢٣) أيضاً ص ٥٤٥.

(٢٤) أيضاً ص ٤٠١.

(٢٥) أيضاً ص ٤٣٠.

الله (ﷺ) فرأيت أنه لا يصلح لي العمل به ولا يحل لي الفتيا والقضاء بما فيه ولا انتحاله إلا بعد أن يصححه امام الزمان فرفعته إليه (ﷺ) مع كتاب وقع إلي، فيه روايات عن أهل البيت فوقف على ما فيها ووقع إلي في الكتاب الذي جمعته: هذا كتاب مستملح عند العالم قريب من فهم الجاهل، فجزّته ليكون أقرب وأسهل على السامع لانه لا يبتدىء البادىء في جزء منه إلا وقد اشتهى النظر فيه، وإن طال عليه، ملّه» (٢٦).

ومن أهم مؤلفاته كتاب «دعائم الإسلام»، «تأويل الدعائم»، «أساس التأويل». الأرخوزة المختارة. افتتاح الدعوة. اختلاف اصول المذاهب. الرسالة المذهبية. شرح الأخبار. المجالس والمسائرات. كتاب الاقتصار.

وهذه كلها مطبوعة، وهناك كتب أخرى تنسب إليه وهي غير مطبوعة. والجدير بالذكر أن الطبع الغالب على كتب النعمان أنها كتب الظاهر، وحتى الكتب التي ألفها في التأويل يغلب عليها التقية والتحرز والاحتياط الشديد، وسبب ذلك أنه ألفها أيام المعز الاسماعيلى، ودور المعز كان دور الفتوحات والتسلط على البلاد السنية فكان الحكم يخاف من إثارة الشكوك في نفوس الشعب تجاههم، وخاصة بعد ما حصل الاصطدام الشديد أيام المهدي الاسماعيلى وابنه القائم والمنصور أيضاً من اصطدامات عنيفة مع الشعب السنّى المسلم، وبعد ما قامت المذابح في الأبرياء الذين لم ينتقم منهم هؤلاء إلا لأنهم كانوا على مذهب السلف الصالح وعلى حب أصحاب النبي واتباعهم.

ولذلك يرى القارىء والباحث الاختلاف الشديد بين تعاليم النعمان ومعاصره جعفر بن منصور اليمن الذي كان باب الأبواب وداعي الدعاة للمعز الاسماعيلى.

وليس معنى هذا أن النعمان كان على معتقد غير ما يعتقدّه الآخرون من

الدعاة، بل المقصود منه أنه كان متحفظاً ومتحزباً أكثر مما كان تحرز هؤلاء وأولئك، مع أن النعمان نفسه لا يكتف حقه وغله تجاه أهل السنة وأسلاف هذه الأمة من الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين وأئمة هذا الدين، لكنه لم يكن يظهر المغالاة التي أظهرها الآخرون في كتبهم السرية، ولذلك تعدّ جميع كتبه في العقائد من كتب الظاهر، لا كتب الباطن، والقارىء قد لاحظ فيما سبق الفروق الواضحة الظاهرة بين كتاباته وكتابات الآخرين في مختلف المباحث التي مضت وسبقت، وكما سنذكر بعضاً منها عند ذكر ابن منصور اليمن.

نبذة من تعاليم القاضي النعمان

إن من تعاليم القاضي النعمان أنه كان يعتقد بتحريف القرآن الكريم، ولقد صرح بهذه العقيدة في كتابه «أساس التأويل» حيث قال:

«لما جمع على القرآن وجاءهم به فقالوا: حسبنا ما معنا من كتاب الله ولا حاجة لنا إلى ما معك فأخذه وانصرف عنهم ولم يجد له ناصراً ولا معيناً واشتدّت عليه المحنة وكثر أذاهم له حتى هموا بقتله في صلاته لأن الضد الأول أمر خالد بن الوليد إذا صلى عليه السلام معهم في الصف الأول وقال له: إذا سلمت فاضرب علياً وهو في الصلاة في تسبيحه فاقتله وتكون فيها سيّداً، فلما صلى تفكر في قوة بني هاشم وقال: ربما لا يتم لخالد قتله فيختلف عليه الناس ويرجعوا عن بيعته فيقتل، فأطال جلوسه قبل التسليم حتى كادت أن تطلع فعندئذ قال: لا يفعل خالد ما أمرته به برفيع صوته ثم سلم فقال على صلوات الله عليه لخالد: ويلك أو كنت تفعلها؟ ومدّ يده إلى طوقه ومسكه فما قدر أحد على خلاصه من يده حتى أقسموا عليه بمحمد (صلى الله عليه وآله) فأقسموا عليه فخلّاه من يده» (٢٧).

(٢٧) «أساس التأويل» للقاضي النعمان ص ٣٦١، ٣٦٢ ط دار الثقافة بيروت.

كما أنه كان يعتقد بتكفير الصحابة وتفسيرهم ولعنهم، وقد مر ذكر عقيدة الاسماعيلية في الصحابة فيما سبق من هذا الكتاب، ونكتفي هنا بذكر عبارة واحدة صرح فيها النعمان هذا بعقيدته في خلفاء النبي الثلاثة الراشدين رضى الله عنهم حيث سماهم بابليل، وقابيل، والسامرى، فيقول في تفسير قول الله عز وجل:

«قل أرأيتم إن كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله فأمن واستكبرتم ان الله لا يهدي القوم الظالمين».

«تأويل ذلك: قل أرأيتم بأصحاب محمد وحججه إن كان نصب هذا الوصي من عند الله بأمره وكفرتم به يعني سترتم منزلته التي اجتباها الله له واختارها وقد شهد موسى على مثله فأمر بني اسرائيل فأقروا بمن استخلفه عليهم ثم تداخلهم الحسد واتخذوا عجلاً جسداً له خوار واخوار مالا حقيقة له ولا يثبت في العقول، ولما غاب رسول الله سترتوا مرتبة أساسه صلوات الله عليه وكنتموا نص الرسول ويبعته التي بايعوه بغدير خم واتبعوا ابليس، وقابيل، والسامرى حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة وجلسوا مجلسه وتسموا باسمه وادعوا منزلته من الخلافة وإمرة المؤمنين وتعلقوا بالظاهر وصرفوه فأقام الاساس صلوات الله عليه عليهم الحجة بالقرآن» (٢٨).

وكان يعتقد بنسخ شريعة محمد صلى الله عليه وسلم بمجيء القائم وقد بينا هذا فيما مر فليرجع الباحث إلى ذلك.

وغير ذلك من العقائد المنحرفة الباطلة. فهذه هي بعض عقائد قاضي الاسماعيلية وتعاليمه.

ولقد انتقل النعمان مع المعز إلى مصر عند انتقاله إليها وشارك في القضاء مع أبي طاهر الذهلي الذي كان على قضاء مصر قبل استيلاء المعز عليها.

وكان النعمان من بناء هذا المذهب كما ذكر الفيضى نقلا عن الداعي الاسماعيلي عماد الدين أن النعمان كان مشرعا، وإنه كان دعامة من دعائم المذهب الاسماعيلي، وأضاف الفيضى الاسماعيلي بأنه فيما أحسبه وصل إلى رتبة الحجّة. (٢٩).

ويقول المؤيد الشيرازي: إن الوزير الاسماعيلي اليازورى قاله عند تعيين أحد اولاده قاضيا على البلاد:

«إن النعمان بني هذا الأمر، وإن أحق الناس بمكانه أبنائه» (٣٠).

وبقى النعمان معظمها مكرما لدى الامام الاسماعيلي المعز حتى كان هو خلفه في أول عيد صلى في مصلى القاهرة، الذي بناه جوهر، وكان يبلغ عنه التكبير» (٣١).

كما كان المعز عندما ركب إلى المقس وأشرف على أسطوله مع جوهر ووجوه أهل البلد» (٣٢).

في سنة ثلاث وستين وثلاثمائة في أول رجب منها توفي النعمان.

«فخرج المعز يبين الحزن عليه، وصلى عليه، وأضجعه في التابوت ودفن في داره بالقاهرة» (٣٣) عن ولدين اثنين: أبي الحسين علي، وأبي عبدالله محمد.

١ - فأبو الحسين علي ولد بالقيروان سنة ٣٢٨ هـ، وقدم مصر مع أبيه عندما ارتحل إليها مع المعز الاسماعيلي، وتولّى القضاء بعد وفاة أبيه واستقالته

(٢٩) انظر مقال الفيض، القاضي النعمان في مجلة J.R.A.S (المجلة الآسيوية الملكية) ١٩٣٤م ص ١٢.

(٣٠) السيرة المؤيدية ص ٩١ ط دار الكاتب المصري ١٩٤٩م.

(٣١) انظر «اتعاظ الحنفاء» ج ١ ص ١٩٠.

(٣٢) أيضاً ص ١٩٢.

(٣٣) أيضاً ص ٢٠٢.

أبي طاهر القاضي سنة ٣٦٦هـ، ومات أيام العزيز بالله سنة ٣٧٤هـ،
وصلى عليه العزيز.

٢ - وبعد وفاة علي بن النعمان ولي القضاء بعده أخوه محمد بن النعمان،
وكان في حياته ينوب عنه في القضاء، فكتب إليه العزيز بالله :
«إن القضاء لك من أخيك، ولانخرجه عن هذا البيت» (٣٤).

وكان ولادته بالمغرب أيضاً سنة ٣٤٥هـ، وقدم مصر مع والده عند قدومه
إليها، ومات هذا أيام الحاكم بأمر الله سنة ٣٩٩هـ. وصلّى عليه الحاكم.

٣ - ثم ولي القضاء بعد محمد بن النعمان ابن أخيه حسين بن علي بن النعمان
المولود بالمهدية سنة ٣٥٣هـ.

وولى مرتبة داعي الدعاة أيضاً، ثم صرف عن القضاء سنة ٣٥٤هـ بأمر
الحاكم، واعتقل وفي أوائل سنة ٣٩٥هـ ضربت عنقه بأمره.

٤ - ثم ولي القضاء بعده ابن محمد بن النعمان عبدالعزيز المولود سنة
٣٥٥هـ.

وكان من كبار علماء الدعاة الاسماعيلية، وإليه ينسب كتاب «البلاغ
الأكبر والناموس الأعظم» الذي رد عليه القاضي أبو بكر الباقلاني،
ولكنه لم ينبج من نظرات الحاكم فعزل عن القضاء سنة ٣٩٨هـ، ثم
اعتقل سنة ٣٩٩هـ، ثم أفرج عنه وأعيد إلى رئاسة ديوان المظالم،
وأخيراً قتل سنة ٤٠٣هـ (٣٥).

٥ - وبعد عبدالعزيز ولي القضاء ابنه القاسم سنة ٤١٨هـ، ثم عزل عنه
بعد عام، ثم أعيد إليه القضاء سنة ٤٢٧هـ، كما عين داعي الدعاة،
وعزل مرة أخرى سنة ٤٤١هـ. ثم عين نائباً للمؤيد الشيرازي في
الدعوة، وعند كبر سنه أنيب عنه ابنه محمد بن القاسم، وبعده انتهى

(٣٤) «وفيات الأعيان» لابن خلكان ج ٢ ص ١٦٧.

(٣٥) انظر ابن خلكان ج ٢ ص ٢١٩ وما بعد.

دور أسرة النعمان، الذين خدموا الدولة الاسماعيلية أكثر من قرن ونصف.

جعفر بن منصور اليمـن

ومن أهمّ بناء المذهب الاسماعيلي وزعماء الديانة الاسماعيلية وقادتها جعفر^(٣٦) الذي هو ابن الحسن بن فرج بن حسن بن حوشب بن زاذان الكوفي، الداعي الاسماعيلي المشهور الذي أرسله الامام الاسماعيلي المستور قبل ظهور ابنه المهدي الاسماعيلي في المغرب.

ولد جعفر في بيت هذا الداعي الاسماعيلي الكبير، وشبّت فيه العقيدة الاسماعيلية وحبها، وحب نشرها بين الناس، وكان مع أبيه عند استيلائه على اليمن، ولما مات أبوه سنة اثنتين وثلاثمائة «استخلف على أهل دعوته

(٣٦) ومن الغرائب أن بعض الباحثين الذين كتبوا عن الاسماعيلية ما استطاعوا أن يفرقوا بين جعفر وبين أبي القاسم الملقب بمنصور اليمن، فخلطوا بين هذا وذاك لعدم التمكن والتعمق في الموضوع، ولعدم وجود مصادر كافية ومراجع وافية في تراجم رجال الاسماعيلية وسيرهم وأحوالهم، فمثلاً إن الأستاذ طه الولي مؤلف كتاب «القرامطة أول حركة استراكية في الإسلام ط: دار العلم للملايين، بيروت» خلط بين الأب والابن ولم يفرق بين سيرة هذا ومؤلفات ذاك، ومثل هذا كثير حتى لدى الاسماعيلية أنفسهم من الكتاب المحدثين مثل مصطفى غالب الاسماعيلي ومحمد حسن الأعظمي وغيره الذين لم يؤلفوا ما ألفوا إلا على السلب والنهب وسرقات جهود الآخرين حيث ينقلون القطعات الكبيرة والمقتطفات الطويلة بدون ذكر من اقتبسوا منه واقتطفوا عنه، ولا أظن أن أحداً من الدارسين للمذهب الاسماعيلي قد جدّ جدّه واجتهد مثل الحمدانيين والفيضي وزاهد على الاسماعيليين، ومحمد كامل حسين من غيرهم، مع أخطاء وأوهام كبيرة وكثيرة، التي لا يحلو ولا ينجو منها كاتب ومؤلف، وخاصة في مثل هذه المواضيع العويصة. وأما البيروتيون فحسبنا الله عليهم، لا يفترسون إلا الأموات ولا يقعون إلا على صيد الغير.

رجلاً يقال عبدالله بن عباس الشاوري، وإلى ولده أبي الحسن المنصور شقيق جعفر الأكبر هذا، ووصاهما بطاعة المهدي» (٣٧).

ولكن حصل الخلاف بين الشاوري وبين أبي الحسن بن منصور اليمن، الذي أدى أخيراً إلى الإطاحة بالشاوري وقتله، وتسلب أبي الحسن على اليمن (٣٨).

وكان جعفر بن منصور اليمن هذا دائماً يمنع أخاه الأكبر من الاختلاف والتنازع مع الشاوري، ويقبح عليه فعله ويزجره بقوله:

«أنت تعلم أنه غرس أبينا وأنه لا يقدم علينا سوانا في هذا الأمر قال والله لا تركته يتنعم في ملك عني به غيره ونحن أحق به منه فقال له أخوه جعفر: إن أمرنا إذن يتلاشى ويزول ملكنا وتفترق هذه الدعوة ويذهب الناموس الذي نمسناه على الناس فلا تحدث نفسك بهلاكه فتهلك» (٣٩).

ولما رآه غير ممتنع، ومصرّاً على خلافه معه، ثم قتله إياه وتسلبه على اليمن، وإعلانه التسنن فارقه وهرب إلى المغرب إلى المهدي الاسماعيلي:

«فوجد الخليفة المهدي قد توفي وقام بعده القائم سنة ٣٢٢هـ» (٤٠).

«وسكن في ظل الدوحة العلوية، وانتهى إلى أن بلغ مبلغاً عظيماً عند الأئمة صلوات الله عليهم وفضل الدعاة، وبلغ إلى مراتب أبواب الفائزين بعلوم الدرجات» (٤١).

ولقى الحفاوة الكاملة لدى الأئمة الاسماعيلية، ومن كل من القائم

(٣٧) انظر «كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة» لمحمد بن مالك الحمادي البستاني المتوفي في أواسط المائة الخامسة للهجرة، ص ٣٩ ط: مطبعة الأنوار ١٩٣٩م.

(٣٨) انظر أيضاً «كشف الأسرار» ص ٤٠، وأيضاً «السلوك» للجندي ص ١٠.

(٣٩) «كشف أسرار الباطنية»، ص ٤٠.

(٤٠) «السلوك» للجندي ص ١٥١.

(٤١) «عيون الأخبار وفنون الآثار» للداعي ادريس عماد الدين السبع الخامس ص ٤٤ ط دار الأندلس - بيروت.

والمنصور: إلى أن ذكره جوذر الاسماعيلي خادماً المهدي الاسماعيلي، ونائب القائم وكاتب المنصور:

«وكان محلّ جعفر بن المنصور صاحب اليمن من الدولة وقربه من مولانا عليه السلام المحل القريب، ومكانه من الأستاذ المكان الأدنى الوكيد في الدين، وكان يسكن داراً بالمنصورية بجوار علي بن الجنان، فسأله علي في بيع الدار فلم يفعل، ثم احتاج إلى أن اقترض دنائير واسترهنه الدار إلى أجل معلوم، فلما حان الأجل ولم يجد المال طالبه بالخروج من الدار، واتصل ذلك بالأستاذ فرفع الخبر إلى مولانا عليه السلام، فصرفه إليه الجواب، وهو:

«والله يا جوذر! لقد كثر تعجبنا منه، وذلك أن علياً أوقفنا على الصك المكتوب عليه منذ يومين، فقد جاءنا من ذلك خلاف ما كنا نظنّ به الرجاجة والكمال وأنه لمحقوق بما ناله وأضعافه إذ أقام نفسه مقام من يجعل ذمامه بيد من لا رحمة له. فان كان إنما ذهب في طي هذا عنا مذهب التخفيف عنا في المسألة فمن الواجب كان عليه أن يتصور ماهو فيه، وإن الذي كلّفنا الآن أعظم من سؤال الفضل (إذ كنا لا نبخل عليه) بأضعاف هذا المال الملعون ولا يقيم نفسه مقام الشئانة لئلا يتصل بالقريب والبعيد إن ولياً وابن أجل أوليائنا المسعود برضى الله ورضى مواليه السابق في الخير كل من جاره يكون على بابنا وهو عندنا في أجل الرضا محجاً إلى ارتهان مسكنه الذي يحاورنا فيه، ولو كان أحسن مسكن، هذه ورطة نحن نخرجه وننقذه منها فلا يعود إلى مثلها فتسلمه إلى حوله وقوته، فقرر عنده ذلك إن شاء الله» (٤٢).

وأما أيام المعز فبلغ أعلى درجة في الدعوة لم يبلغها أحد آخر، وهي درجة باب الأبواب أو الحجة، فجعله المعز باب أبوابه الذي له مرتبة العصمة وفصل الخطاب، وبدأ يرجحه على كافة دعاة وقضاته، حتى النعمان القاضي أحد بناء هذا المذهب ومتشرعيه، وكان المعز ينصح النعمان أن يجعل

(٤٢) «سيرة الأستاذ جوذر» لأبي علي منصور الغريزي الجوذري بتقديم الدكتور محمد كامل حسين والدكتور محمد عبد الهادي شعيبة ص ١٢٦، ١٢٧ ط: دار الفكر العربي.

جعفر سيده ومولاه. كما كان النعمان يقبل رجلي جعفر بن المنصور لعلو منزلته، وسمو مكانه، وعظم شأنه، كما تدل عليه هذه الرواية التي سردها الداعي الاسماعيلي إدريس عماد الدين «أن القاضي النعمان اعتل بعلّة، فزاره جميع الدعاة وأولياء الدولة وقوادها . . . ولما زالت علته أتى إلى الامام المعز فسأله عن زاره، فقال: كلهم زارني إلا جعفر ابن منصور، فأخذ أمير المؤمنين في حديثه، ثم أمر بكتب فأحضرت إليه. ففتح كتاباً منها، وقال للنعمان: أنظر في هذا الكتاب. فلما تصفحه قال الإمام. ما تقول في هذا؟ قال: ما عسى أن أقول في قولكم. فقال الإمام: هذا تأليف مولاك جعفر . . . ولما رأى النعمان جعفرأ لم يتمالك أن وقع على رجله يقبلهما اعترافاً له بالفضل» (٤٣).

فهذا كان هو جعفر في نظر الأئمة الإسماعيلية والاسماعيليين أنفسهم من يقع على قدميه ويقبل رجله واضع فقههم، وقاضي قضاتهم، ودعامة من دعائمهم.

ولماذا كانت له هذه المكانة العظيمة وهذا الشأن الرفيع؟

لأنه هو أحد الواضعين الحقيقيين للمذهب الاسماعيلي الباطني الأصلي المبني على التأويل المحض والباطن المجرد، ولذلك لا يتناول كتبه إلا المخلصون المتعمقون في الاسماعيلية، ولا تصل إليها إلا أيدي المأذونين الذين يسمح لهم بتناولها والقراءة فيها.

وعلى ذلك فإن جعفر بن منصور اليمن هو أول من وضع كتب التأويل والمؤلفات في الباطن من الاسماعيلية، كما أن النعمان هو أول من وضع كتب الفقه والمصنفات الظاهرية.

فكتب النعمان ولو أنها تبحث في التأويل لا تعدّ من الكتب السرية الباطنية، ولا يمنع من النظر فيها أحد من الاسماعيلية إلا البدائيين، وأما

(٤٣) «عيون الأخبار» للداعي إدريس السبع السادس ص ٣٩ نسخة خطية.

كتب جعفر فإنها كلها سرية باطنية لا يحويها إلا من يؤذن له، ولا يقرأها إلا من يسمح له، وحتى النعمان القاضي مع منصبه ومرتبته لم يكن لديه كتب جعفر حتى أحضرت إليه بأمر من الإمام الإسماعيلي المعز لدين الله، وأعطاه هو بنفسه ليقراً فيها.

وإن لجعفر بن منصور اليمن كتباً كثيرة، منها:

«كتاب الفرائض وحدود الدين». و«كتاب الشواهد البيان». و«أسرار النطقاء». و«سرائر النطقاء». و«تأويل الزكاة». و«كتاب الكشف». و«كتاب الفترات والقرانات». و«رسالة في تأويل سورة النساء». و«رسالة في الرضاع في الباطن».

وغيرها من الكتب الكثيرة نشر بعضها، وبعض منها لم ينشر بعد، ولها نسخ خطية موجودة لدى كثير من الباحثين.

ومات في أواخر الستينات من القرن الرابع من الهجرة.

تعاليمه

من أهم تعاليمه أنه يعتقد بالوهمية الأئمة والحلول والتناسخ والغيبة والرجعة وتكفير الصحابة والظعن في أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم وتشديد القول فيهم وتكفير كل من لا يؤمن بولاية علي، ونسخ شريعة محمد صلوات الله وسلامه عليه بقيام القائم ونزول جبريل عليه وجعل العبادات كلها رموز أو إشارات على الباطن، ويغلب على كتاباته الغلو والمبالغة والإغراق، وأيضاً عدم المبالاة والاحتياط والتحفظ غير ما يوجد في كتابات النعمان القاضي لأننا كما قلنا إن كتابات النعمان تعد من الظاهر بينما تعد كتابات جعفر من الباطن.

ولقد ذكرنا هذه التعليقات فيما مرّ من المباحث في العقائد، ونورد بعض المقتطفات مما لم نوردناها سابقاً، وخاصة في أصحاب رسول الله ﷺ، فيقول مفسراً «الرفث والفسوق والجدال»:

«وقد بينا الرفت والفسوق والجدال وهم أيضاً في الباطن مذمومون لعنهم الله وهم أبوبكر وعمر وعثمان فإنهم طعنوا على الحجة عليه السلام ومنعوا حقه في الظاهر وأخذوا (فدكا) منه ومن زوجته فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليهما وعليهم أجمعين، والحجة رسول الله صلى الله عليه وهو علي بن أبي طالب فادعى عليّ مقامه وأخذ ميراث زوجته في الظاهر، وفي الباطن أنه رفت بخروجه عن طاعته وكفره بمقامه واتباعه أمر عمر وهو شيطان زمانه الفاسق عن أمر ربه» (٤٤).

ويقول تحت قول الله عز وجل «يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً» يعني ويقول أبوبكر: «يا وليتي ليتني لم اتخذ فلاناً خليلاً لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني «يعني رسول الله ﷺ» وكان الشيطان للإنسان خذولاً» يعني بالشيطان عمر، وبالإنسان: الأول» (٤٥).

ويقول أيضاً:

إن القائم عندما يخرج يدخل المدينة:

«فيصعد المنبر بالهبة والوقار وهو شاب حديث سنة، كثير حلمه، مصفر لونه، عليه درع رسول الله صلى الله عليه ومتعمم بعمامة السحاب، متقلد بسيفه ذي الفقار، وحوله شيعته من المؤمنين قلوبهم أشد من زبر الحديد يكبرون تكبيرة واحدة يرعدون قلب كل منافق ومناصب في جوفه والعزة يومئذ لله ولرسوله وللمؤمنين فيخطبهم بخطبة من صلاة الغداة إلى الظهر ثم يقوم فيصلّي الصلاتين بأذانين وإقامتين ثم يصل إلى القبر فيهدم الحائط حتى يترك القبر حده فيقوم

هنالك يخسر المبطلون وهنالك يكون فيه الناس جميعاً فيضع السيف ولا يبقى شيء من أمورهم كان إلّا صار مكشوفاً، ولا بدعة من

(٤٤) كتاب الكشف لجعفر بن منصور اليمن ص ١٢٥ ط: دار الفكر العربي نشر شتروطمان.

(٤٥) أيضاً ص ٣٠.

البدع إلا أطفئت ومحقت وبرد الحق إلى أهله حتى يعود الإنسان كما ولد
ويعلم أهل الولاية ما كانوا فيه» (٤٦).
هذه ومثل هذه الخرافات لكثيرة.

أحمد حميد الدين الكرمانى :

ومن الدعاة الاسماعيلية الكبار الذين صاغوا دعوتها في قالب الفلسفة،
وأصبغوها بصبغة منطقية، وقدّموها إلى الناس في قوالب الأفلاطونية
الحديثة، أحمد حميد الدين بن عبدالله الكرمانى، ويظهر أنه ولد في كرمان في
فارس، وانتقل في بداية حياته إلى البصرة، ومنها كان يتردد على بغداد، وكان
يلقي فيها دروسه الباطنية ومحاضراته التأويلية التي جمعت فيما بعد في كتابين
«المجالس البغدادية» و«المجالس البصرية» (٤٧).

ويقال : إنه كان في البصرة أيام ما كان فيها إخوان الصفاء، الذين يقال
عنهم بأنهم كانوا من الاسماعيلية (٤٨).

ويذهب الدكتور محمد كامل حسين إلى إنه كان واحداً من الإخوان،
كما كان أحد المشاركين في وضع الرسائل حيث أن كتابه «راحة العقل» وكتبه
ورسائله الأخرى لها نفس الأسلوب والمنهج الذي استعمل في رسائل إخوان
الصفاء (٤٩).

ونحن لانرى ذلك حيث أن أسلوب الكرمانى يختلف تماماً عن الأساليب
التي استعملت في الرسائل، لأن أسلوبه في كتاباته فلسفي معقد وناشف
نوعاً ما، مقارناً بالأساليب التي استعملت في الرسائل فإنها أساليب سهلة

(٤٦) أيضاً ص ٣٤، ٣٥.

(٤٧) انظر (A guide to Ismaili literatur By IVANOW p. 46).

(٤٨) انظر لويس ماسنيون Sut la date de la Composition de rasil Ikhuwan Al Safa vol. 4 p. 324.

(٤٩) انظر مقدمة «الرسالة الواعظة» لمحمد كامل حسين ص ٤.

جزلة، وعباراتها واضحة صريحة في معناها غير غامضة وغامقة مثل عبارات الكرمانى .

أما وجود بعض الفقرات من الرسائل فى كتاب الكرمانى «راحة العقل» وغيره فليس بدليل قوى من حيث لا يمنع أن يقتبس بعض العبارات من الرسائل ويقتطفها، وخاصة عند من يعد الإخوان من الإسماعيلية .

وكذلك لا نوافق من يقول بأن الكرمانى تثقف على أبى يعقوب اسحق السجستانى الداعى الإسماعيلى المعروف وتلمذ عليه^(٥٠) .

لأنه لم يدرك السجستانى . نعم ! إنه تأثر بأفكاره كثيراً، وانتهج منهجه وسلك مسلكه فى تصيغ الدعوة الإسماعيلية بصيغة فلسفية، وتلويها بلون منطقى، وتحليطها بالأفلاطونية الحديثة، فهو قد طوّر تلك المحاولات التى حاول بها السجستانى فى هذا الخصوص .

ولكنه كان أمهر من السجستانى وأحزم، كما كان محتاطاً ومتحفظاً أكثر بكثير منه ومن غيره، لوجوده فى بيئة معارضة تماماً لما يعتقد ويؤمن به ويتبناه، ولأجل ذلك لا يوجد عنده الانفتاح والانطلاق والتصريح الذى يوجد عند ابن منصور اليمن وغيره من الدعاة الكبار فى زمانهم، وعلى كلّ يعدّ الكرمانى من كبار الفلاسفة الإسماعيلية وأشهر دعايتها حتى جعل داعى الدعوة للعراق، وكان يلقب بحجة العراقيين أى رئيس الدعوة الإسماعيلية فى فارس والعراق، ومن ثم بلغ صيته إلى القاهرة مقر الأئمة الإسماعيلية، وإلى الحاكم بأمر الله الإمام الإسماعيلى حتى استقدمه داعى دعائه وباب أبوابه ختكين الضيف، والملقب بالصادق الأمين من قبل الحاكم بأمر الله، وهذا فى سنة ٤٠٨ هـ عند ظهور دعوة تأليه الحاكم كما يذكر ادريس عماد الدين :

(٥٠) انظر «القرامطة» لطة الولي ص ١٩٢، ومحمد كامل حسين «راحة العقل» مقدمة ص ١٧ .

«حتى ورد إلى الحضرة الشريفة النبوية الإمامية، ووفد إلى الأبواب الزكية الحاكمة باب الدعوة الذي عنده فصل الخطاب، ولسانها الناطق بفصل الجواب، ذو البراهين المضيئة، والدلائل الواضحة الجليلة، مبين سبل الهدى للمهتدين، حجة العراق أحمد عبدالله الملقب بحميد الدين الكرمانى قدس الله روحه ورضي عنه . . . مهاجراً عن أوطانه ومحلّه، ووارداً كورود الغيث إلى المرعى بعد محله، فجلى ببيانه تلك الظلمة المدهمة، وأبان بواضح علمه ونور هداة فضل الأئمة»^(٥١).

ولقد ذكر الكرمانى نفسه ووروده في القاهرة وأحوال الدعوة فيها آنذاك بقوله :

«فإني لما وردت الحضرة النبوية مهاجراً، وللسدة العلوية زائراً، ورأيت السماء قد أظلت بسحاب عميم، والناس تحت إبتلاء عظيم، والعهد في الرسوم السالفة قد نقض، وعن أولياء الدين بما كسبت أيديهم قد أعرض، والرسم في عقد مجلس الحكمة جرياً منهم بالإحسان قد رفض، والعالي قد اتضع، والسافل منهم قد ارتفع، وشاهدت أولياء الدعوة الهادية بسط الله أنوارها، والناشئين في عصمة الإمامة وأولى أوليائها قد حيرهم ما يطرأ عليهم من هذه الأحوال التي تشيب لها النواصي، وبهرهم ما تجدد لهم من الأسباب التي لا يهلك بها إلا أولوا النفاق والمعاصي، وهم يومئذ يمجج بعضهم في بعض ويرمي كل منهم صاحبه بفسق ونقض تتلاعب بهم الأفكار الرديّة وتتداولهم الوسوس المردية، ثم لا يعلمون ما أظلمهم من الدخان الممين، ولما ألم بهم من الإمتحان المستبين، فصار البعض منهم في الغلو مرتقين إلى ذراه، والبعض في النكص على أعقابهم تاركين عصمة الدين وعراه، والقليل منهم قد تزعزع أركان اعتقادهم وما قبلوه من الدين بإختيارهم وإرتيادهم، وهم على شفا انحلال وحوول وإختلال وأعناق أولى الطرفين من الأبالسة إلى

(٥١) تنظر «عيون الأخبار» السبع السادس» ص ٥٦ خطية.

إختلاسهم ممتدة، وهمها في اصطيادهم محتدة»^(٥٢).

وكتب هناك عدة رسائل منها، «الرسالة الواعظة»^(٥٣) وغيرها من الرسائل.

مع أن الفرق بين تعاليمه التي بثها ونشرها في كتبه، وتعاليم من يدعو إلى تأليه الحاكم ليس إلا فرقاً لفظياً حيث أن الكرمانى نفسه كان يصفه ويصف آباءه بالأوصاف التي هي خاصة بالرب تبارك وتعالى.

وأطرف من ذلك أن الحاكم نفسه كان يدعم تلك الحركة الداعية إلى تأليهه كما ذكرناه سابقاً في الباب الثاني من هذا الكتاب.

ومن الطرائف أن الكرمانى هذا ألف رسالة مستقلة في إثبات أن الحاكم بأمر الله هو المبشر به في الكتب السماوية التي نزلت على أنبياء الله ورسله وسماها «مباسم البشارات بالإمام الحاكم»^(٥٤).

ولا يعرف وقت موته بالضبط إلا أنه مات بين ٤٠٨هـ و٤١٢هـ بعد بلوغه المراتب العليا في الدعوة الإسماعيلية، التي تدل عليها عبارة الداعي ادريس عماد الدين حيث يقول عنه:

«الداعي حميد الدين أحمد بن عبدالله هو أساس الدعوة التي عليه عمادها، وبه علا ذكرها، واستقام منارها، وبه استبان المشكلات، وانفرجت المعضلات»^(٥٥).

وله مؤلفات عديدة يظهر عليها التعمق في التفلسف والإلمام التام

(٥٢) رسالة «مباسم البشارات» للكرمانى، المدرجة في «طائفة الدروز» لمحمد كامل حسين ط دار المعارف مصر.

(٥٣) نشر هذه الرسالة الدكتور محمد كامل حسين.

(٥٤) وقد نشرها الدكتور محمد كامل حسين ضمن كتابه «طائفة الدروز» من ص ٥٥ إلى ص ٧٥.

(٥٥) «عيون الأخبار» لادريس عماد الدين السبع السادس - خطية.

بالأفلاطونية الحديثة، كما يغلب عليه التحفظ والاحتياط، والستر والكتمان الشديد، ومن أهم مؤلفاته :

«راحة العقل» و«المصاييح في إثبات الإمامة». و«كتاب الرياض في الحكم بين الصادين أي كتاب الاصلاح وكتاب النصر»، و«مباسم البشارات»، و«ثلاث عشرة رسالة». و«تنبيه الهادي والمستهدي»، وهناك كتب أخرى غير مطبوعة.

ومن أهم تعاليمه أنه يوفق بين العالم الروحاني ودورة الفلك، والعالم الجسماني وعالم الدين، ويؤمن بتأثير الأفلاك والكواكب.

المؤيد في الدين هبة الله الشيرازي :

ومن الدعاة المشهورين الإسماعيلية الذين ساهموا في نشر مذهبهم ودينهم بين الناس، وقدموا له الجهود الجبارة، وتحملوا له العناء والمشقة، ولعبوا في توسيع نطاقه دوراً هاماً، هبة الله بن موسى بن داود الشيرازي.

ولد في شيراز سنة ٤٠٠هـ كما ذكر الدكتور حسين همداني^(٥٦).

ولكن الدكتور محمد كامل حسين استدل من أبياته بأنه ولد سنة ٣٩٠هـ^(٥٧).

وكان أبوه من كبار رجال الدعوة الإسماعيلية في فارس كما يذكره المؤيد في سيرته :

إن والدي كان في هذا البلد متسماً بهذا الاسم، مرتسماً بهذا الرسم، وكان له من المكنة واليد والقدرة ما كان يغنيه أن يطأ عتبة باب، أو يقاسي ذل حجاب، وكان الوزير أبو غالب الواسطي الملقب بفخر الملك وزير الوزراء، الذي كان ما كان باتساع مكنته وإنبساط يده، نازلاً في هذه الدار التي

(٥٦) انظر المجلة «الملكية الآسيوية البريطانية» سنة ١٩٣٢ ص ١٣٠.

(٥٧) انظر «ديوان المؤيد الشيرازي» المقدمة ص ٢١، ٢٢.

تنزلها، فلم يعهد والذي قط داخلًا إليه ولا مسلماً عليه، ووجد ذلك غير دفعة يزوره ليلاً في بيته ويغشاه في منزله» (٥٨).

وكان أبوه قد كتب إلى الحاكم بأمر الله أن يعين أحد ولديه في الدعوة مكانه ولكن الحاكم الإمام الإسماعيلي رفض طلبه هذا وزجره على هذا الطلب» (٥٩).

فولد المؤيد في مثل هذه البيئة المتعمقة في الإسماعيلية، وتلמד على أبيه والآخرين من الدعاة الإسماعيليين، ونشأ مفعماً بالحب والولاء للمذهب الإسماعيلي ونشره وترويجه بين الناس، وتولى رئاسة الدعوة في شيراز بعد أبيه، وكان أكثرية أهل شيراز مخالفين في منهجه، ومعارضين في مذهبه ودعوته فضايقوه كثيراً، ولما صلى باتباعه عيد الفطر سنة تسع وعشرين وأربعمائة قبل المسلمين بيوم ثارت ثورتهم فطالبوا السلطان أبا كاليجار بوساطة وزيره بهرام بن مافنة أن يطرده من البلاد ويبعد عنه (٦٠) وبعد أخذ وردّ أبعد من البلاد بعد ما حاول إثارة الفتن فيها بتأليب الديالة الشيعة على الوزير وأمره (٦١).

ولكنه مع ذلك أبعد من شيراز وتوجه إلى بسا فبنى هناك مشهداً للإسماعيلية (٦٢).

وهناك استطاع أن يؤكد علاقته مع السلطان أبي كاليجار، وأخيراً سكن في الأهواز ولكنه بعد مدة طرد من الأهواز أيضاً حتى اضطر إلى أن يهرب إلى مصر بين سنة ٤٣٠ إلى ٤٣٩ على اختلاف في القول (٦٣).

(٥٨) «السيرة المؤيدية» ص ١٥. ط دار الكاتب المصري.

(٥٩) انظر رسالة «مباسم البشارات» للكرماني، الفصل الثاني.

(٦٠) انظر «السيرة المؤيدية» ص ٥، ٦.

(٦١) أيضاً ص ٩، ١٠.

(٦٢) أيضاً ص ١٢.

(٦٣) يقول أبوانوف بأنه وصل إليها سنة ٤٣٩، والحمداني يقول إنه وصل إليها سنة ٤٣٠ هـ والدكتور محمد كامل حسين يقول إنه لم يصل إليها إلا سنة ٤٣٦ هـ.

وبقي مدة هناك، لم يستطع الوصول إلى الإمام الإسماعيلي المستنصر بالله، وكان المتسلط على البلاد آنذاك أبو سعيد التستري، وكان داعي الدعاة قاسم بن عبد العزيز بن محمد بن النعمان القاضي، فوصفهما وأحوالهما في سيرته بقوله:

«وقيل إن ها هنا يهودياً يكنى أبا سعد التستري — يحل منه الوزير الذي دخلت عليه محل اللفظ من المعنى، وهو لأمر هذه المملكة كلها الأساس والمبنى — فاجعل غداة غد نوبة لقائه، فتوجهت إليه في غد على ما مثل لي، فرأيت منه اهتزازاً لرؤيتي واهتشاشاً، واحتاشني وفور قبوله وحفاوته احتشاشاً، وخرجت من عنده بثياب ودنانير خرجت لي من خزانة السلطان — خلد الله ملكه — على يده. وتوجهت بعد ذلك إلى المرسوم بالقضاء والدعوة، الذي كان باب حطتنا ونحن بالبعد، والواسطة بيننا وبين مجلس الإمامة، وهو يومئذ القاسم بن عبد العزيز بن محمد بن النعمان رحمه الله وإيانا، فرأيت رجلاً يصول بلسان نسبه في الصناعة التي وسم بها دون لسان سبيه، فارغاً مثل فؤاد أم موسى عليه السلام، وفيه جنون يلوح من حركاته وسكناته، وهو مع ذلك موتور مني بما أوحى إليه بعض شياطين الإنس من أني ربما زاحمت في مكانته، بما لي من تنبيه في الأمر الذي هو في غمرة منه مع توسمه وإنتحاله له. ولما كان في يوم تأدية وقد حضر القصر الشريف ورأيت استوى على كرسيه لقراءة ما يقرأه على المؤمنين، ذكرت قول الله تعالى حكاية عن الهدهد «إني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم» (٦٤).

ومكث مدة طويلة ينتظر الدخول على الإمام إلى أن دخل عليه، ويذكر ذلك اللقاء الأول في سيرته بقوله:

«فدخلت إلى مجلس الخلافة في آخر يوم من شعبان سنة تسع وثلاثين وأربعمائة.

(٦٤) انظر «السيرة المؤيدية» ص ٨١، ٨٢.

وكننت في مسافة ما بين السقيفة الشريفة، والمكان الذي المسح فيه أنوار
الطلعة الشريفة النبوية، كما قال المتنبي عن رسول الروم عند دخوله إلى ابن
حمدان، وإن كان بين الجهتين فرق ما بين التراب إلى الحساب :

وأقبل يمشي في البساط فما درى إلى البحر يمشي أم إلى البدر يرتقى

فلم تقع عيني عليه إلا وقد أخذتني الروعة، وغلبتني العبرة، وتمثل في
نفسي أنني بين رسول الله وأمير المؤمنين صلى الله عليهما ماثلاً، وبوجهي إلى
وجهيهما مقابل، واجتهدت عند وقوعي إلى الأرض ساجداً لولي السجود
ومستحقه، أن يشفعه لساني بشفاعه حسنة بنطقه، فوجدته بعجمة المهابة
معقولاً، وعن مزية الخطابة معزولاً، ولما رفعت رأسي من السجود، وجمعت
على أثوابي للعود، رأيت بناناً يشير إليّ بالقيام لبعض الحاضرين في ذلك
المقام، فقطب أمير المؤمنين - خلد الله ملكه - وجهه زاجراً، على أنني ما
رفعت به رأساً ولا جعلت له قدراً، ومكثت بحضرته ساعة لا ينبعث لساني
بنطق، ولا يهتدي لقول، وكلما استطرد الحاضرون مني كلاماً ازدادت
إعجاباً، ولعقة العي اقتحاماً وهو - خلد الله ملكه - يقول: «دعوه حتى
يهداً ويستأنس» ثم قمت وأخذت يده الكريمة فترشفتها وتركتها على عيني
وصدري وودعت وخرجت. فهذه قصتي في أول يوم» (٦٥).

ولكنه لم يعين داعي الدعاة كما يتمناه ويتوقعه، فبقي مدة طويلة في
مصر يتقلب في مختلف المناصب والراتب إلى أن أرسل للعراق لقلب نظام
الخلافة العباسية هناك مع المؤامرة مع بعض الشيعة والباساسيري بالذات ضد
طغرل بك السلجوقي العدو للددود للشيعة وكاسر شوكتهم وقوتهم، فذهب
مؤيداً بالمال والمنال ومكث مدة طويلة في الشام والعراق يحيك خطوط المؤامرة
ولكنه لم ينجح في ذلك، مع بذل الأموال وبذر النفاق، واتهم هناك
باختلاس بعض الأموال التي كانت ترسل من مصر إلى المتأمرين، وسلبها

وغضبها، وبعد فشله في هذه المؤامرة رجع إلى مصر، وعين داعي الدعاة للإمام الإسماعيلي المستنصر سنة ٤٥٠هـ (٦٦).

ولو أن المؤرخين يختلفون في شأنه هل كان هو داعي الدعاة أو نائباً عنه، وعلى كل أدى المؤيد الشيرازي خدمات جليلة للدولة الإسماعيلية في مصر من استمالة بعض الأمراء العباسيين، وزرع بذور الفتنة ضدهم ومحاولة قلب نظام الحكم هناك في صالح الدولة الإسماعيلية.

ومات في سنة ٤٧٠هـ حسب قول ايوانوف (٦٧).

أوسنة ٤٩٠هـ حسب ما ذهب إليه الحسن بن نوح الهندي في «كتاب الأزهار»، ويرى الدكتور محمد كامل حسين أنه مات قبله بمدة (٦٨) لأن المستنصر الإمام الإسماعيلي صلى عليه، وقد مات المستنصر سنة ٤٨٧هـ، ودفن في دار العلم (٦٩).

بعد ما خلف كتباً عديدة، منها «المجالس المؤيدية»، و«ديوان المؤيد»، و«سيرة المؤيد في الدين».

وهذه مطبوعة، وكتب أخرى، ولكن أهم كتبه «المجالس المؤيدية» وهذا الكتاب يشتمل على محاضرات ودروس ألقاها في مجالس الدعوة الإسماعيلية حول المذهب الإسماعيلي والتأويل الباطني، كما أن ديوانه يعد من أهم الكتب الإسماعيلية لأنه يشتمل على أهم معتقداتهم.

ومن الغرائب أن المؤيد الشيرازي مع ادعائه المذهب الإسماعيلي وزعامته المبني على عصمة الأئمة وتنزيههم عن كل عيب وخطأ انتقد في سيرته المستنصر الإمام الإسماعيلي بنقد لاذع، وكان يسخر به (٧٠).

(٦٦) انظر «تاريخ مصر» لابن ميسر ص ١٠.

(٦٧) انظر (guide to Ismaili literatur By IVANOW p. 43).

(٦٨) أنظر «ديوان المؤيد»، ص ٤٩.

(٦٩) انظر المقرئ «اتعاظ الخفاء» ج ٣ ص ١١.

(٧٠) انظر «السيرة المؤيدية» ص ٨٤، ٨٥.

أبو يعقوب إسحاق السجستاني

ومن الدعاة المشهورين الذين وضعوا أسس الديانة الاسماعيلية، وأرسخوا قواعدها، وأعطوها صبغة فلسفية أبو يعقوب إسحاق بن أحمد السجستاني أو السجزي وكان يلقب بدندان، ويقولون: إنه تتلمذ على الداعي الاسماعيلي ببخاري أبي عبدالله بن أحمد النسفي، ومما لا شك فيه أنه كان من أنصاره وأنصار آرائه وأفكاره حيث أنه كتب كتابه المشهور «النصرة» تأييداً لكتاب النسفي «المحصول» ضد كتاب الرازي «الاصلاح»، انتصر فيه لأراء أستاذه النسفي، كما استدرك عليه بعض الملاحظات.

وكان السجستاني هذا من معاصري الأئمة الاسماعيلية الأوائل في دور الظهور، وحاول نشر دعوتهم في سجستان وبلاد ما وراء النهر، وكتب كتباً كثيرة، منها «إثبات النبوءات» و«كتاب الينابيع» و«كتاب الافتخار» و«تحفة المستجيبين»، و«كشف المحجوب».

وهذه كلها مطبوعة، وله كتب أخرى «تأويل الشرائع» و«سوسن النعم» و«أسرار المعاد» وغيرها من الكتب، لازالت مخطوطة موجودة.

وقيل: إنه قتل سنة ٣٣١هـ في طبرستان، لكن الأصح أنه كان حياً إلى سنة ٣٦٠هـ كما يظهر من كتابه «الافتخار» حيث أنه قال إنه وضعه سنة ثلاثمائة وستين.

أبو عبدالله النسفي

أبو عبدالله النسفي أستاذ السجستاني كان تلميذاً للداعي الاسماعيلي بخراسان الحسين بن علي المروزي، وحاول نشر الدعوة الاسماعيلية في بلاد

خراسان وما وراء النهر، واستطاع هذا الداعي الاسماعيلي أن يوقع في فخه وشراكه نصر بن أحمد الساماني، ويحصل منه على تأييده للمهدي الاسماعيلي الذي ظهر في بلاد المغرب آنذاك^(٧١).

ولكنه استدرك أخيراً ما كان يهدف إليه النسفي، وبعد موت نصر بن أحمد خلفه في الحكم ابنه نوح، فجمع فقهاء المسلمين لمناظرته فلم يستطع النسفي الاجابة على ما أوردوه من الإيرادات والاعتراضات على الديانة الاسماعيلية، وأفحم في مقابلهم فقتله نوح بن نصر، كما قتل كثيراً من رؤساء الدعاة ووجوههم الذين دخلوا في المذهب الاسماعيلي^(٧٢).

ومن أهم مؤلفاته كتاب «المحصول» الذي رد عليه اسماعيلي آخر أي الرازي، وأيد آراءه وأفكاره تلميذه السجستاني، ثم جاء بعده الكرمانى فحاكم الكتب الثلاثة في كتابته «الرياض» وقد ذكر البغدادى هذا الكتاب في كتابه «الفرق بين الفرق»^(٧٣). كما ذكر قتله على ضلالته سنة ٣٣١هـ.

وقد صنف النسفي كتباً غير هذا الكتاب «عنوان الدين» و«أصول الشرع» وغيره.

أبو حاتم الرازي

وكان من الدعاة الاسماعيلية القدامى أبو حاتم أحمد بن حمدان بن أحمد الورسامي، وقد ذكره الحافظ ابن حجر في (لسان الميزان) بقوله:

«ذكره أبو الحسن بن بابويه في تاريخ الري، وقال: كان من أهل الفضل والأدب والمعرفة باللغة، وسمع الحديث كثيراً، وله تصانيف، ثم

(٧١) انظر «سياسة نامه» لنظام الملك طوسي ج ٢ ص ٢٧٨ وما بعد.

(٧٢) الفهرست لابن النديم.

(٧٣) انظر ص ٢٨٣.

أظهر القول بالإلحاد وصار من الدعاة الاسماعيلية، وأضل جماعة من الأكابر، ومات في سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة» (٧٤).

وذكر الأسفرائيني أبا حاتم، والسجستاني، والنسفي كلهم تحت ذكر الباطنية بقوله:

«ثم خرج سعيد بن الحسين بن عبدالله بن ميمون بن ديسان القداح إلى المغرب وغير اسمه ونسبه فقال: أنا عبيدالله بن الحسين بن محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق وأجابه جماعة من أهل المغرب، ثم خرج منهم رجل كان يدعى أبا حاتم إلى أرض الديلم فأجابه منهم جماعة ودخل في دعوتهم من أهل خراسان الحسين بن علي المروزي في الوقت الذي كان يتولى هراة ومروزد، ولما قتل قام بدعوته فيما وراء النهر محمد بن أحمد النسفي المعروف بالبزدوي. وأبو يعقوب السجزي أقام دعوته بناحية سجستان. وهذا البزدوي صنف لهم كتاباً سمى واحداً منها كتاب: «المحصل»، وآخر كتاب «أساس الدعوة»، وآخر كتاب «كشف الأسرار»، وآخر كتاب «تأويل الشريعة» (٧٥).

وذكره البغدادي بقوله:

«ودخل أرض الديلم رجل من الباطنية يعرف بأبي حاتم. فاستجاب له جماعة من الديلم منهم أسفار بن شرويه» (٧٦).

ويظهر من ذلك أن الرازي لم يكن من هذه البلاد، بل كان طارئاً عليها.

فهذا هو أبو حاتم الداعي الاسماعيلي الذي حاول نشر الدعوة الاسماعيلية في هذه البلاد وجذب قلوب أمراء البلاد وحكامها إليها، وربطهم بالمهدي الاسماعيلي في المغرب.

(٧٤) انظر «لسان الميزان» ج ١ ص ١٦٤ رقم ٥٢٣ ط حيدر آباد - دكن ١٣٢٩ هـ.

(٧٥) انظر «التبصير في الدين» ص ١٤١ ط عالم الكتب، بيروت.

(٧٦) «الفرق بين الفرق» للبغدادي ص ٢٨٣ ط القاهرة.

من أهم كتبه «أعلام النبوة» وكذلك «كتاب الزينة»، وقد طبعا، كما أنه كتب كتاب «الإصلاح» رداً على بعض معتقدات النسفي، وله كتب أخرى.

فهؤلاء هم أعلام وزعماء الاسماعيلية، البارزون أيام ظهورهم غير أئمتهم وخلفائهم الذين ذكرناهم في الباب الأول والثاني من هذا الكتاب، وغير الدعاة والقادة الذين اشتهروا بعد انقراض الدولة الاسماعيلية وسندكرهم في الجزء الثاني من هذا الكتاب عند ذكر الدور الجديد للدعوة الاسماعيلية.

ونتطرق الآن إلى ذكر أهم فرقها وطوائفها التي خرجت عن الاسماعيلية وتفرعت عنها. وهي:

الدروز، البديعية، النزارية، المستعلية، البهرة والآغاخانية.

الدروز

إن الباحث لا يستغرب بعد ما يدرس المذهب الاسماعيلي دراسة متعمقة أن ينشأ فيه طوائف، وأن يخرج منه فرق تدين بالوهية الرجال، وترك الأعمال، وإلغاء الشرائع، واستباحة المحظورات، مثل الدروز، والبديعية، لأن الديانة الاسماعيلية لم تبني إلا على مثل هذه المعتقدات، ولم تروج إلا نظير هذه الأفكار كما بسطنا القول فيها في الأبواب السابقة، ولكن الفرق بينها وبين هذه الفرق المتفرعة عنها أنها حافظت على خفاياها وبواطن أمورها وصانت أسرارها، وكتمت حقيقتها، وأخفت أصليتها في ألفاظ وعبارات فلسفية غامضة، وإصطلاحات أفلاطونية معقدة، حيث أن هؤلاء جاهرُوا بمعتقداتهم، وأعلنوا عقائدهم أمام الملأ بدون تحفظ وتورع، وبدون حزم واحتياط، ودون لجوء إلى الألفاظ المنمقة والعبارات المزورة.

فإن حمزة بن علي الزوزني، والحسن بن حيدرة الفرغاني الأخرم، ومحمد ابن اسماعيل الدرزي بناة المذهب الدرزي، لم يكونوا إلا من دعاة

الاسماعيلية البارزين ، والمقربين إلى الإمام الاسماعيلي الحاكم بأمر الله ، والمدعين منه هو ، وما قالوا فيه ، وما أظهروا من الآراء إلا ما أخذوها من الديانة الاسماعيلية نفسها ، وبإيعاز من الإمام الاسماعيلي «المعصوم» وتأيد منه ، بل وبتحريضه وتشجيعه إياهم كما ذكره المؤرخون وصرّحوا به . فهؤلاء هم المؤرخون يذكرون هؤلاء الدعاة وعلاقتهم بهم ، فيقول ابن المحاسن وهو يذكر الحسن الفرغاني المعروف بالأخرم :

«ثم عنّ له (أي للحاكم) أن يدعى الربوبية ، وقرب رجلاً يعرف بالأخرم ساعده على ذلك ، وضم إليه طائفة بسطهم للأفعال الخارجة عن الديانة . فلما كان في بعض الأيام خرج الأخرم من القاهرة راكباً في خمسين رجلاً من أصحابه ، وقصد مصر ودخل الجامع راكباً دابته ، ومعه أصحابه على دوابهم وقاضي القضاة ابن أبي العوام جالس فيه ينظر في الحكم ، فنهبوا الناس وسلبوهم ثيابهم وسلّموا للقاضي رقعة فيها فتوى ، وقد صدرت باسم الحاكم الرحمن الرحيم . فلما قرأها القاضي رفع صوته : منكراً ، واسترجع وثار الناس بالأخرم وقتلوا أصحابه وهرب هو . وشاع الحديث في دعواه الربوبية ، وتقرب إليه جماعة من الجهال ، فكانوا إذا لقوه قالوا : السلام عليك يا واحد يا أحد يا محمى يا مميت ، وصار له دعاة يدعون أوباش الناس ، ومن سخف عقله إلى اعتقاد ذلك ، فمال إليه خلق كثير طمعاً في الدنيا والتقرب إليه . وكان اليهودي والنصراني إذا لقيه يقول : إلهي قد رغبت في شريعتي الأولى ، فيقول الحاكم : افعل ما بدا لك ، فيرتد عن الاسلام . وزاد هذا الأمر بالناس» (٧٧).

ويذكر الأمام الذهبي أن حسن بن حيدرة الفرغاني المعروف بالأخرم لما بدأ يدعو الناس إلى ما كان يدعو إليه من التناسخ والحلول والوهية الحاكم استدعاه الحاكم ، وخلع عليه ، وأركبه فرساً مطهماً ، وسيره في موكبه ، وأولاه عطفه ورعايته ، ولما قتله أحد من المسلمين السنة غضب الحاكم لذلك أيما

(٧٧) «النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة» ج ٤ ص ١٨٣ .

غضب، وأمر بإعدام القاتل في الحال، وكفنه الحاكم بأكفان من القصر، ودفن في حفل رسمي، وحمل أهل السنة صاحبهم، ودفنوه مكرماً وهرع الناس أياماً لزيارة قبره ولكن القبر نبش بعد أيام واختفت جثته بأمر من الحاكم» (٧٨).

وأما الدرزي فيذكره أبو الحسن نقلاً عن الإمام الذهبي أيضاً في تاريخه:

«إن رجلاً يعرف بالدرزي قدم مصر، وكان من الباطنية القائلين بالتناسخ، فاجتمع بالحاكم وساعده على ادعاء الربوبية وصنف له كتاباً ذكر فيه أن روح آدم عليه السلام انتقلت إلى علي بن أبي طالب. وإن روح علي انتقلت إلى أبي الحاكم، ثم انتقلت إلى الحاكم فنفق على الحاكم وقربه وفوض الأمور إليه، وبلغ منه أعلى المراتب، بحيث أن الوزراء والقواد والعلماء كانوا يقفون على بابه ولا ينقضي لهم شغل إلا على يده. وكان قصد الحاكم الانقياد إلى الدرزي المذكور فيطيعونه. فأظهر الدرزي الكتاب الذي فعله وقرأه بجامع القاهرة فثار الناس عليه وقصدوا قتله، فهرب منهم، وأنكر الحاكم أمره خوفاً من الرعية، وبعث إليه في السر مალأ، وقال: اخرج إلى الشام وانشر الدعوة في الجبال، فإن أهلها سريعو الانقياد. فخرج إلى الشام، ونزل بوادي تيم الله بن ثعلبة، غربي دمشق من أعمال بانياس فقرأ الكتاب على أهله، واستألمهم إلى الحاكم وأعطاهم المال، وقرّر في نفوسهم الدرزي التناسخ، وأباح لهم شرب الخمر والزنا، وأخذ مال من خالفهم في عقائدهم وإباحة دمه، وأقام عندهم يبيع لهم المحظورات إلى أن انتهى» (٧٩).

وأما المقرئزي المتعاطف مع الاسماعيلية، وفاطمي النزعة كما يسميه

(٧٨) ملخص ما ذكر الذهبي في «مرآة الزمان» المجلد الحادي عشر ج ٣ ص ٣٠٤ نقلاً عن

«الحاكم بأمر الله» لمحمد عبدالله عنان ص ١٩٩.

(٧٩) «النجوم الزاهرة» ص ١٨٤.

البحاث الكبير محمد عبدالله عنان فقد أقر اتصال الدرزي بالحاكم حيث كتب:

«قدم مصر داع عجمي اسمه محمد بن اسماعيل الدرزي، واتصل بالحاكم فأنعم عليه، ودعا الناس إلى القول بإلهية الحاكم فأنكر الناس عليه ذلك»^(٨٠).

ثم ظهر داع آخر اسمه حمزة بن أحمد، وتلقب بالهادي، وأقام بمسجد تبر خارج القاهرة، ودعا إلى مقالة الدرزي، وبث دعائه في أعمال مصر والشام، وترخص في أعمال الشريعة، وأباح الأمهات والبنات ونحوهن، وأسقط جميع التكليف في الصلاة والصوم ونحو ذلك. فاستجاب له خلق كثير، فظهر من حينئذ مذهب الدرزي ببلاد صيدا وبيروت وساحل الشام»^(٨١).

وذكره المؤرخون الآخرون الكثيرون، منهم ابن عذارى المراكشي، والذهبي، والخزرج المصري، وابن سعيد الانطاكي، والمكين بن عميد وغيرهم.

فأما ابن عذارى المراكشي فيقول وهو يذكر نزار أبا المنصور، وبعده الحاكم بأمر الله:

«ثم ولي بعده الحاكم فأظهر أكثر مذهبهم، ثم إنه ادعى الربوبية من دون الله، وجعل داعياً يدعو الناس إلى عبادته، وسماه المهدي. فكتب داعيه الكتاب، وكان اسمه حمزة، وذلك في سنة ٤١٠، وقرىء بحضرة الحاكم - لعنه الله - على أهل مملكته، ذكر فيه - تعالى الله عن إبطال المبطلين علواً كبيراً - «الحمد لمولاي الحاكم وحده! باسمك اللهم الحاكم بالحق» ثم تمادى، فقال «توكلت على إلهي أمير المؤمنين - جل ذكره! وبه نستعين في

(٨٠) «اتعاظ الحنفاء بإخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء» للمقرئ ج ٢ ص ١١٣ بتحقيق

د - محمد حلمي محمد ط القاهرة سنة ١٩٧١ م.

(٨١) أيضاً.

جميع الأمور» ثم طول في الكتاب بالتخليط : فمرة يجعله أمير المؤمنين، ومرة يجعله الإله، وقال فيه : «وأمرني بإسقاط ما لا يلزمكم اعتقاده من الأديان الماضية، والشرائع الدارسة . «وذكر أشياء يطول ذكرها . وكانت له راية حمراء تحت قصره، فاجتمع إليه خلق نحو خمسة عشر ألف رجل فيما قيل» (٨٢) .

وأما البقية فلخص أقوالهم محمد عبدالله عنان بقوله :

«إن حمزة بن علي عكف مدى حين علي بث دعوته سراً، ولم يجاهر بها إلا في أواخر سنة ٤٠٧ هـ أو أوائل سنة ٤٠٨ هـ، وعندئذ يبدو على مسرح الحوادث الظاهرة، ويلزم الجلوس في مسجد ريدان (أو مسجد تبر) بظاهر باب النصر، ويدعو جهراً إلى عبادة الحاكم، وينادي بالتناسخ في الأديان والشرائع وبالحلول، ويزعم أن الحاكم ليس بشراً، وإنما هو رمز حل فيه الإله، فاجتمع إليه طائفة كبيرة من غلاة الشيعة الاسماعيلية، وتلقب بهادي المستجيبين، ولقب الحاكم بقائم الزمان وبث دعائه في أنحاء مصر والشام ورخص في أحكام الشريعة، وأباح الأمهات والبنات وسائر المحارم، وأسقط جميع التكاليف في الصلاة والصوم وغيرهما، فاستجاب له كثير من الكافة، وكثر جمعه وذاع أمره، وكان الحاكم حين يمرّركبه بالمسجد، يخرج إليه حمزة ويحادثه طويلاً على انفراد، ولم يلبث أن أولاه الحاكم رعايته بصورة ظاهرة، وبعث إليه وإلى أتباعه بالسلاح ليدافعوا عن أنفسهم وقت الحاجة، إذا كانوا يوجسون سراً من الكافة، ثم تهادى حمزة في مشروعه فاتخذ له بطانة قوية من الدعاة والرسل، ولقب أحدهم وهو اسماعيل بن محمد التميمي «بسفير القدرة» وكان ينفذه لأخذ البيعة من الرؤساء والكبراء للحاكم في صفته الجديدة التي أسبغها عليه حمزة وشيعته، أعني باعتباره «قائم الزمان» فكان

(٨٢) «البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب» ج ١ ص ٢٨٦ ط المكتبة الأندلسية أوفست دار الثقافة بيروت الطبعة الثالثة ١٩٨٢م بتحقيق المستشرقين كولان وليفي برونفسال.

الكثير منهم يضطر إلى التظاهر بالقبول خوفاً من البطش والانتقام» (٨٣).

فهؤلاء هم مؤسسو المذهب الدرزي وبناة هذه النحلة، وهذه هي علاقتهم بالإمام الاسماعيلي المعصوم (حسب زعم القوم) الحاكم بأمر الله.

ولقد ذكر المؤرخون أن عزم الحاكم على إحراق مصر، وهتك أعراض الناس، وخطف نسائهم وبناتهم، ونهب أموالهم، وسفك دمائهم لم يكن إلا نقمة منه عليهم بأنهم لم يقبلوا ادعاءاته السخيفة، ولم يؤمنوا بألوهيته المزعومة، ولم يصغوا إلى دعاته المجاهرين بربوبيته والطائفين حول قصره بإرادة الحج، فنكل بهم وبأهلهم، وعمل بهم ما لم يعمل طاغية الروم في الروم.

وأما علاقة الديانة الدرزية بالديانة الاسماعيلية فإنها علاقة متصلة وثيقة، وليس في الدرزية ما لا يوجد في الاسماعيلية، بل إنها هي عينها ببعض الفروق الزمنية وفرق الجراة والمجاهرة بالمعتقدات طالما خفيت وكتمت عن الآخرين، ولقد صدق الدكتور محمد كامل حسين حيث عنون بابه الثالث في كتابه «طائفة الدروز» بعنوان «عقيدة الفاطميين أساس عقيدة الدروز» ثم كتب تحته:

«إن الباحث في عقيدة الدروز يجب أن يكون ملماً إماماً تاماً بعقيدة الشيعة الفاطمية، ولذلك رأيت أن أوجز هنا الحديث عن عقائد الفاطميين التي اعتبرها الأساس الأول لعقيدة الدروز. فالمصطلحات المذهبية الفاطمية تكاد تكون هي المصطلحات المذهبية عند الدروز، وأحياناً نرى الذين وضعوا عقيدة الدروز يستعملون مصطلحات الفاطميين لدلولات جديدة

(٨٣) انظر الحاكم بأمر الله، لمحمد عبدالله عنان ص ١٩٧، ١٩٧ ط مكتبة الخانجي القاهرة نقلاً عن «تاريخ الأنطاكي» ص ٢٢٠ و ٢٢٣، والمكين ابن العميد ص ٢٦٤ و ٢٦٥، والمقريري في اتعاظ الخفاء (المخطوط) لوحة ١٦٩، وراجع أخبار الدول المنقطعة (المخطوط) وأورده فستفليد في «تاريخ الفاطميين» ص ٢٠٥ و ٦٠٢.

كل الجدة، ومع ذلك كله فهي ليست بعيدة كل البعد عن آراء الفاطميين»^(٨٤).

وكان بدء هذه الدعوة كما تشير الرسائل الدرزية سنة ٤٠٠ هـ ولكن لم يجهر بها حسب ما ذكره المؤرخون إلا سنة ٤٠٨ هـ، أو سنة ٤٠٧ هـ.

ومن الطرائف أن الدرزي وحمزة اختلفا فيما بينهما على غنيمة ألوهية الحاكم وثمرتها، وهي النبوة، وأراد كل واحد منهما أن يكون هو نبياً ورسولاً للآله الجديد، وكفر كل واحد منهما الآخر^(٨٥).

وإن الدروز اليوم ينسبهم إلى الدرزي، بل إنهم يكفرون الدرزي ومن والاه، ولا يتبعون إلا حمزة وتعاليمه، ويسمّون أنفسهم بالموحدين ولكنهم لم يعرفوا في التاريخ الطويل إلا بهذا الاسم واقتنعوا به.

مع الملاحظة أن تعاليم الدرزي وتعاليم حمزة لا تختلفان في جوهرها، بل إنها متفقة تمام الاتفاق، اللهم إلا ما أراد كل واحد منهما من احتكار الزعامة والقيادة لنفسه.

مذهب الدروز

وتتلخص عقيدة الدروز في:

- أ ألوهية الحاكم.
- ب التناسخ والحلول.
- ج الغيبة والرجعة.
- د إبطال الشرائع وأصول الاسلام.
- ه نبوة ورسالة حمزة بن علي.

(٨٤) «طائفة الدروز» الدكتور محمد كامل حسين ص ٨٦ ط دار المعارف مصر ١٩٦٢م.

(٨٥) انظر رسائل حمزة والدرزي.

فأما ألوهية الحاكم فيقول فيه حمزة بن علي بن أحمد الزوزني:

«فالحذر الحذر، أن يقول واحد منهم بأن مولانا جل ذكره: ابن العزيز، أو أبو علي، لأن مولانا سبحانه هو في كل عصر وزمان يظهر في صورة بشرية وصفة مرئية كيف يشاء حيث يشاء . . . إلى أن يقول: وهو سبحانه لا تغيره الدهور ولا الأعوام ولا الشهور، وإنما يتغير عليكم بما فيه صلاح شأنكم، وهو تغيير الاسم والصفة لا غير، وأفعاله جل ذكره تظهر من القوة إلى الفعل كما يشاء «كل يوم هو في شأن» أي كل عصر في صورة لا يشغله شأن عن شأن.

وأما من قال واعتقد بأن مولانا جل ذكره سلم قدرته ونقل عظمته إلى الأمير علي، أو أشار إليه بالمعنوية فقد أشرك بمولانا سبحانه، غيره وسبقه بالقول . . . فمن منكم يعتقد هذا القول فليرجع عنه ويستقل منه ويستغفر المولى جل ذكره وتقديس اسمه من ذلك . . . ولا يجوز لأحد يشرك في عبادته ابناً ولا أباً، ولا يشير إلى حجاب يحتجب مولانا جل ذكره فيه إلا بعد أن يظهر مولانا جل ذكره أمره، ويجعل فيمن يشاء حكمته، فحينئذ لا مردّ لقضائه ولا عاصياً لحكمه . . .

وما أدراك ما حقيقة الحاكم؟ ولم تسمى بالحاكم في هذه الصورة؟ دون سائر الصور؟ ومولانا جل ذكره غير غائب عن ناسوته، فعله فعل ذلك المحجوب عنا في نطقه ذلك النطق، لا يغيب اللاهوت عن الناسوت إلا إنكم لا تستطيعون النظر إليه، ولا لكم قدرة بإحاطة حقيقته.

وأراد بالحاكم، أي يحكم على جميع النطقاء والأسس والأئمة والحجج ويستبعدهم تحت حكمه وسلطانه، وهي عبيد دولته وممالك دعوته الحاكم بذاته . . . وترك الاعتراض فيما يفعله مولانا جل ذكره، ولو طلب من أحدكم أن يقتل ولده لوجب عليه ذلك بلا إكراه قلب، لأن من فعل شيئاً هو غير راض به لم يثب عليه، ومن رضي بأفعاله وسلم الأمر إليه، ولم يراء إمام زمانه، كان من الموحدين الذين لا خوف عليهم.

واعلموا أن الشرك خفى المدخل، دقيق الستر والمسبل، وليس منكم أحد إلا وهو يشرك ولا يدري، ويكفر وهو يسري ويجحد وهو يزدي، وذلك قول القائل منكم: بأن مولانا سبحانه صاحب الزمان، أو إمام الزمان، أو ولي الله أو خليفته، أو ما شاكل ذلك من قولكم: الحاكم بأمر الله، أو سلام الله عليه، أو صلوات الله عليه» (٨٦).

هذا وقد ورد في مصحف الدروز العهد الذي يقولون: إن الحاكم بأمر الله أمر بكتابته على جميع الموحدين الذين آمنوا به، فيقول المؤمن به:

«آمنت بالله، ربي الحاكم، العلي الأعلى، رب المشرقين، ورب المغربين وإله الأصلين والفرعين، منشيء الناطق والأساس، مظهر الصورة الكاملة بنوره، الذي على العرش استوى، وهو بالأفق الأعلى، ثم دنا فتدلى، وآمنت به، وهو رب الرجعي وله الأولى والآخرة، وهو الظاهر والباطن».

وآمنت بأولي العزم من الرسل، ذوي مشارق التجلي المبارك حولها وبحاملي العرش الثمانية، وبجميع الحدود، وأومن عاملاً قائماً بكل أمر ومنع ينزل من لدن مولانا الحاكم وقد سلمت نفسي وذاتي وذواتي، ظاهراً وباطناً، علماً وعملاً، وأن أجاهد في سبيل مولانا، سرّاً وجهراً بنفسي ومالي وولدي وما ملكت يداي، قولاً وعملاً، وأشهدت على هذا الإقرار جميع ما خلق بمشارقي ومات بمغاري.

وقد التزمت وأوجبت على هذا نفسي وروحي بصحة من عقلي وعقيدتي، وإني أقر بهذا، غير مكره أو منافق، وإنني أشهد مولاي الحق الحاكم، من هو في السماء إله وفي الأرض إله، وأشهد مولاي هادي المستجيبيين، المنتقم من المشركين المرتدين، حمزة بن علي بن أحمد، من به أشرقت الشمس الأزلية، ونطقت فيه وله سحب الفضل: إني قد برئت وخرجت من جميع الأديان والمذاهب والمقالات والاعتقادات قديمها

(٨٦) «رسالة البلاغ والنهاية والتوحيد» لحمزة بن علي الزوزني.

وحدثها، وآمنت بما أمر به مولانا الحاكم الذي لا أشرك في عبادته أحداً في جميع أدواري .

وأعيد فأقول : إنني قد سلمت روحي وجسمي وما ملكت يداي وولدي لمولانا الحاكم جل ذكره، ورضيت بجميع أحكامه لي أو عليّ، غير معترض ولا منكر منها شيئاً، سرتي ذلك أم ساءني، وإذا رجعت أو حاولت الرجوع عن دين مولانا الحاكم جل ذكره، والذي كتبته الآن وأشهدت به على روحي ونفسي، أو أشرت بالرجوع إلى غيري، أو جحدت أو خالفت أمراً أو نهياً من أوامر مولاي جل ذكره ونواهيه .

كان مولاي الحاكم جل ذكره بريئاً مني واحترمت الحياة من جميع الحدود، واستحقت على العقوبة في جميع أدواري من بارئ الأنام جل ذكره، وعلى هذا أشهدك ربي ومولاي، من بيدك الميثاق، وافر فاجعطني من الموحدين الفائزين الذين جعلتهم في أعلى عليين، ثلة من الأولين، وقليل من الآخرين، مولاي إن تشاء آمين» (٨٧) .

وأما الحلول والتناسخ فيقولون : إن الجسد لا يرجع بعد الموت ولكن النفس تحل في جسد آخر، فنفس الموحد تنتقل إلى موحد، ونفس المشرك إلى مشرك، ولا تتغير الأنفس ولكنها تغير قحصانها أي أشكالها الخارجية» (٨٨) .

وقال الأستاذ عبدالله نجار الدرزي نقلاً عن الرسالة الموسومة «من دون قائم الزمان والهادي إلى طاعة الرحمان» :

«إن البشر، وهم عالم السواد الأعظم - سواء في العالم العلوي . أعني الفلك وما فيه من المدبرات والنيرات والاستقصات، أم في العالم السفلي، لم يتناقصوا ولم يتزايدوا، من حيث الأرواح التي هي معدودة من أول الأدوار.

(٨٧) مصحف الدروز ص ١٠٧، ١٠٨ .

(٨٨) انظر «رسالة الأسرار ومجالس الرحمة للأولياء والأبرار» من رسائل الدروز.

تظهر بظهورات مختلفات الصور على مقدار اكتسابها من خير وشر» (٨٩).

ويقولون: إن اللاهوت ظهر في صورة الناسوت فظهر أول ما ظهر العلي، ثم الباري، ثم أبي زكريا، ثم علياً، ثم المعل، ثم القاسم، ثم المنصور، ثم المعز، ثم العزيز، ثم الحاكم» (٩٠).

وكلهم نفس واحدة.

«وكان الحاكم هو الظاهر فيهم جميعاً» (٩١).

وأما الغيبة والرجعة فيقولون بغيبة الحاكم ورجعته في آخر الزمان كما ذكر ذلك حمزة في رسالته المعنونة «بنسخة السجل الذي وجد معلقاً على المشاهد في غيبة مولانا الإمام الحاكم» كتب في آخره:

«فقد غضب الله تعالى ووليه أمير المؤمنين سلام الله عليه من عظم إسراف الكافة أجمعين، ولذلك خرج من أوساطكم . . . فإذا أطلت عليكم الرحمة خرج ولي الله أمامكم باختياره راضياً عنكم ظاهراً في أوساطكم» (٩٢).

أما إبطال الشرائع ونسخ الأديان فقد ذكرناه سابقاً، وكما ذكر المؤرخون أن الحاكم بأمر الله نفسه أبطل بعض الشعائر الدينية، مثل الجمعة وغيرها، وكان يريد إبطال الصوم وغيره من العبادات ولكنه قتل قبل ذلك، وقد ذكر الاستاذ محمد عبد الله عنان ملخصاً لمذهب الدرود بقوله:

” فهم على ما دعا إليه حمزة منذ أكثر من تسعة قرون ينكرون الألوهية في ذاتها، ويعتقدون في ألوهية الحاكم بأمر الله وفي رجعته آخر الزمان، ولهم

(٨٩) انظر «مذهب الدرود والتوحيد» للأستاذ عبد الله نجار ص ٥٦ ط دار المعارف، مصر ١٩٦٥ م.

(٩٠) أيضاً ص ٩٥، ٩٦.

(٩١) رسالة «السيرة المستقيمة» للدرزية.

(٩٢) انظر السجل المذكور ضمن رسائل حمزة المدرج بكامله في آخر كتاب «الحاكم بأمر الله ص ٣٩٧ وأيضاً «مذهب الدرود والتوحيد» لعبد الله نجار ص ١١٩، ١٢٠.

في تصويرها أقوال معرقة أشرنا إليها من قبل . وينكرون الأنبياء والرسول جميعاً، وينكرون أصول الاسلام والنصرانية واليهودية، بيد أنهم يتسبون ظاهراً إلى الاسلام، ويتظاهرون أمام المسلمين بأنهم مسلمون، وأمام النصارى بأنهم نصارى، ويبغضون في الباطن جميع أبناء الأديان الأخرى ولا سيما المسلمون، ويستبيحون دماءهم وأموالهم عند المقدرة، ويعتقدون أن الشياطين هم باقى الملل، وأن العقلاء أو خيارهم هم الملائكة، ولا يأخذون بشيء من أصول الاسلام كالصوم والصلاة والزكاة والحج، بل ينكرون أصول الاسلام جميعها والشرعة الاسلامية كلها. والألوهية البشرية، وهى لب مذهبهم، عندهم منة المنن ونعمة النعم^(٩٣).

وأما نبوة حمزة ورسالته فيقول صاحب كتاب "النقط والدوائر" الدرزى وهو يذكر حمزة :

"فهو صلوات الله عليه النور الكلى، والجوهر الأزلى، والعنصر الأولى، والأصل الجلى، والجنس العلى، فيه بدأت الانوار، ومنه برزت الجواهر، وعنه ظهرت العناصر، ومنه تفرعت الأصول، وبه تنوعت الاجناس . . . إلى أن يقول : فهو الامام، والدليل على عبادة الله، والداعى إلى توحيد الله والناطق بحق الله، والبرهان على الله، والرسول الذى أرسله الله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون"^(٩٤).

وهذا آخر ما أردنا ايراده في هذا الموضوع راجين الله أن يوفقنا لكتابة كتاب مستقل عن هذه الطائفة بعد توفر المراجع والمصادر^(٩٥).

(٩٣) "الحاكم بامر الله" ص ٣١٦.

(٩٤) "النقط والدوائر" ص ١٢ نقلاً عن "عقيدة الدرور" للخطيب ص ١١٠.

(٩٥) ويعرف القارىء لكتبنا أننا لا نكتب في موضوع إلا بعد ما يجتمع لنا المصادر الممكن الوصول إليها. والمراجع الكافية لاثبات الحجة وإقامة البرهان، وأننا إذ نشكر الله عز وجل على أنه وفقنا للكتابة عن كثير من الفرق الضالة المنحرفة والرد على عقائدهم ومعتقداتهم، وإقامة الحجة عليهم من كتبهم وعباراتهم أنفسهم ندعو الله مخلصين له الدين أن يمن علينا باكمال هذه المهمة كى لا تبقى طائفة منحرفة عن جادة الحق =

البديعية

والفرقة الثانية التي تفرعت عن "الاسماعيلية" وأسست قواعدها عليها هي فرقة "البديعية" التي أنشأها القصاران أي الغسالان بركات القصار وحيد القصار. وقد ذكر هذه الفئة المقريزي في كتابه، ننقلها ملخصاً :

«كان بركات القصار وحيد القصار يجتمعان في دار العلم مع جماعة يعرفون بالبديعية، فاعتمد بركات من جملتهم أن استفسد عقول جماعة وأخرجهم عن الصواب فأمر للوقت بغلق دار العلم والقبض على بركات، فهرب واختفى عند رجلين ممن قبلوا مذهبه، فمضى بركات ومات، فعرفاً أن احدي عجائزهما قد توفيت، ولكن علم فيما بعد بحيلتهما فطلبهما أبو عبد الله بن فاتك، واستدعى كذلك كل من كان تحت الحوطة من أصحاب بركات فكل من تبرأ منه ولعنه أطلق سبيله، وبقي من الجماعة ممن لم يتبرأ منه خمسة نفر وصي فأمر بضرب رقابهم، ثم أمر بفتح دار العلم في عهد الأمر بأحكام الله، وعاد حيد القصار وظهر، وسكن مصر يدق الثياب بها ويطلع إلى دار العلم، وأفسد عقل استاذ وخياط وجماعة وادعى الربوبية، فنفي دفعة واعتقل أخرى، ثم هرب بعد ذلك وكان قصيرا دميم الخلق وادعى مع ذلك الربوبية وكان لديه فنون من السحر.

واعتقل القصار بعد مدة مع أصحابه فصلبوا على الخشب وضربوا بالنشاب فماتوا لوقتهم.

والصواب وخارجة على ما أنزل الله في كتابه وبما أرسل به رسوله محمدا صلوات الله وسلامه عليه إلا أن نبين حقيقتها للمسلمين، ونميط اللثام عن وجهها المستور وراء اقنعة الزور، وحجب الخداع والمكر من كتبها وعباراتها ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة. وما ذلك على الله بعزيز.

وذكر أن بعض أصحاب هذا القصار كان يشتري الكافور ويسرميه بالقرب من خشبته التي هو مصنوب عليها فيستقبل رائحته من سلك تلك الطريق ويقصد بذلك أن يربط عقول من كان القصار قد أضله، ثم أمر بأن يحطوا عن الخشب ويدفنوا متفرقين حتى لا يعرف قبر القصار من قبورهم، وكان قتلهم في سنة سبع عشرة وخمسةائة، وابتداء هذه القصة سنة ثلاث عشرة وخمسةائة» (٩٦).

المستعلية والنزارية

وبعد وفاة المستنصر الإمام الإسماعيلي افترقت الإسماعيلية إلى فرقتين كبيرتين متحاربتين متضاربتين : النزارية والمستعلية.

وقد ذكرنا سبب الاختلاف في الباب الثاني من هذا الكتاب، وخلاصة ذلك عند ما مات المستنصر كان من المتوقع أن يخلفه ولده الأكبر نزار حسب المقرر عند الإسماعيلية ولكن الأفضل شاهنشاه بن أمير الجيوش بدر الجمالي وزير المستنصر بادر إلى ابنه الأصغر أبي القاسم أحمد، لكونه ابن أخت له، وأجلسه على عرش الخلافة ولقبه بالمستعلي وطلب نزارا وعبد الله وإسماعيل أولاد المستنصر ليبايعوه فاستمهل كل واحد منهم وفرّ نزار، وتوجه خفية إلى الاسكندرية، وبايعه هناك وإلى الاسكندرية نصر الدولة بن افتكين التركية والقاضي أبو عبد الله العمار وأهل الاسكندرية، وتلقب بالمصطفى لدين الله، وكانت بينهما محاربات أدت إلى انهزام نزار والقبض عليه، ويقول المقرئزي :

(٩٦) انظر "الخطط" للمقرئزي ج ١ ص ٤٥٨، ٤٥٩ دار صادر بيروت.

” ثم الأفضل سلم نزارا لأهل القصر من أصحاب المستعلى وأنه منع عليه حائط فمات ”^(٩٧).

ولكن الأمر لم ينته بانتهاء نزار بل قد ثبت بعض الدعاة وبعض الأمراء على ولاء نزار وأحقيقته بالخلافة، وكان على رأسهم الحسن بن صباح أحد دعاة الإسماعيلية الشرقيين ورئيس الطائفة الباطنية، ومن أصحاب المستنصر الذين صاحبوه وعاشروه، فخرجوا على المستعلى، ولم يؤمنوا بإمامته، ولم يستسلموا له، فتسلطوا على كثير من قلاع إصبهان وأسسوا هناك دولة نزارية مستقلة على ولاء للنزار بن المستنصر والإيمان بإمامته وزعامته، وسموا بالنزارية حيث أن الآخرين استسلموا لشاهنشاه أفضل حيث أخبرهم أن المستنصر قد جعل ولاية العهد في ابنه المستعلى بالله، وآمنوا به، وسموا المستعلية، وقام بين هاتين الفتن من الإسماعيلية حروب نتج عنها القتل والفتك راح ضحيتها الأمر بن المستعلى والدولة الفاطمية من مصر أيضاً كما يقول المقرئ :

” وفي أيامه (أي المستعلى) افرقت الإسماعيلية فصاروا فرقتين : نزارية، تعتقد إمامة نزار وتطعن في إمامة المستعلى، وترى أن ولد نزار هم الأئمة من بعده يتوارثونها بالنص، والفرقة المستعلوية، ويرون صحة إمامة المستعلى ومن قام بعده من الخلفاء بمصر، وبسبب ذلك حدثت فتن وقتل الأفضل فيما يقال وقتل الأمر ”^(٩٨).

وأخيراً انتقل المستعلويون من مصر إلى اليمن في كنف الصليحيين، وبعد زوال دولتهم افرقوا أيضاً فرقتين : الداودية والسلبيانية، ثم انتقل مركز الداودية وهم الأكثرية من المستعلية إلى الهند، وسموا في التاريخ بالبهرة.

(٩٧) انظر ” اتعاظ الخفاء ” للمقرئ ط المجلس الاعلى للشئون الاسلامية - القاهرة - ١٩٧٣ م.

(٩٨) ” اتعاظ الخفاء ” للمقرئ ج ٣ ص ٢٧.

وأما النزارية فتقبلوا في تقلبات عديدة إلى أن أجلوا من قلاعهم في إصبهان وشردوا في العالم، ثم تجمعوا تحت زعامة آغاخان المحلاق، وعرفوا في التاريخ الحديث بالآغاخانية ولما كنا خصصنا لبيان معتقدات هؤلاء وتاريخهم قسماً خاصاً وجزءاً مستقلاً نكتفى ببيان هذا القدر منه.

فهذه هي الفرق المشهورة للإسماعيلية التي تفرعت منها، وهي تتمسك بأرائها ومعتقداتها إما ظاهراً أو باطناً.

بسم الله الرحمن الرحيم

كتب الاسماعيليين

- «إثبات النبوءات» لاسحاق أبي يعقوب السجستاني.
- «إثبات الامامة» لأحمد بن ابراهيم النيسابوري.
- «أجزاء عن العقائد الاسماعيلية» جمع المستشرق كويار.
- «اختلاف اصول المذاهب» للقاضي النعمان.
- «أدعية الأيام السبعة» للمعز لدين الله.
- «الأدلة والشواهد» لجعفر بن منصور اليماني، نسخة خطية.
- «أربع رسائل اسماعيلية» بتحقيق عارف تامر.
- «أربعة كتب اسماعيلية» بتحقيق المستشرق الألماني شتروطمان.
- «الأرجوزة المختارة» للقاضي النعمان.
- «أساس التأويل» للقاضي النعمان.
- «الأسابيع» لقيس بن منصور.
- «أسبوع دور الست» لأحمد حميد الدين الكرمانلي.
- «استتار الامام» نشر ايوانوف.
- «الاسرار ومجالس الرحمة للاولياء والابرار» للداعي الاسماعيلي.
- «اسرار النطقاء» لجعفر بن منصور اليماني.
- «اسلام ميرى مورثون كا مذهب» (اردو) لاغاخان.
- «اسماعيلي تعليمات» (اردو).

- «الاصول والأحكام» لحاتم بن عمران .
- «اضواء على مسلك التوحيد» للدكتور سطمى نسيب .
- «اعلام الاسماعيلية» لمصطفى غالب .
- «اعلام النبوة» للرازي .
- «افتتاح الدعوة» للقاضي النعمان .
- «الاقوال الذهبية» للكرماني .
- «ام الكتاب، المنشور في اسماعيلية» لايوانوف .
- «امام شناسي» (اردو) لنصير الدين .
- «الأنوار اللطيفة» لطاهر بن ابراهيم الحارثي اليماني .
- «الايضاح والتبيين في كيفية تسلسل ولادة الجسم والدين» لعلي بن الوليد .
- «بركات دعاء» (اردو) اسماعيلية ايسوسي ابشن .
- «بعض از تاويلات كلشن راز» (فارسي) محمود شبستري .
- «البلاغ والنهاية والتوحيد» لحمزة بن علي الزوزني .
- «بنديات جوانمري» (فارسي) .
- «البيزرة» لابي عبدالله الحسن .
- «بير ناصر خسرو» (اردو) لنصير الدين .
- «تاج العقائد» لعلي بن محمد الوليد .
- «تاريخ أئمة اسماعيلية» (اردو) لديدار علي .
- «تاريخ الدعوة الاسماعيلية» لمصطفى غالب .
- «تاريخ العلويين» لمحمد أمين غالب .
- «تاريخ فاطميين مصر» للدكتور زاهد علي .
- «تأويل الدعائم» للقاضي النعمان .
- «تأويل الزكوة» لجعفر بن منصور اليمن، مخطوط .
- «تأويل الشريعة» للمعز لدين الله، نسخة خطية .
- «تحفة القلوب» لحاتم بن ابراهيم .
- «تحفة المرتاد وغصة الأضداد» لعلي بن محمد الوليد .
- «تحفة المستجييين» للسجستاني .

- «تذكرة أعلى» (فارسي).
- «تصورات» (فارسي) لخواجه طوسي.
- «تنبيه الهادي والمستهدى» لأحمد حميد الدين كرمانى.
- «الثائر الحميري» لمصطفى غالب.
- «ثبوت امامت» (اردو) لنصير الدين.
- «جامعة الجامعة» لآخوان الصفاء.
- «جلاء العقول وزبدة المحصول» لعلي بن الوليد.
- «الجمعيات السرية» لعمر أبي النصر.
- «جواهر حقائق» (اردو) اسماعيلية ايسوسى ايشن.
- «جواهر حكمت» اسماعيلية ايسوسى ايشن.
- «الحركات الباطنية في الإسلام» لمصطفى غالب.
- «حسن بن صباح» (اردو) جواد مسقطى.
- «الحقائق الخفية» للأعظمى.
- «الحقائق العالية» لمؤلف مجهول.
- «حقيقة إخوان الصفاء» لعارف تامر.
- «حقيقى ديدار» (اردو) لنصير الدين.
- «خاتون دائجست».
- «خزينة جواهر» (اردو) لأغاخان.
- «ال خليفة المعز لدين الله» للصحفى.
- «دامغ الباطل وحف المناظر» لعلي بن الوليد.
- «الدروز» لمحمد علي الزعبي.
- «الدستور ودعوة المؤمنين للحضور» لشمس الدين أبي الطيب.
- «دستور المنجمين».
- «دعاء» (اردو).
- «دعائم الإسلام» للقاضي النعمان.
- «الدوحة» لهبة الله الشيرازي.
- «ديوان ابن هانى» بتحقيق الدكتور زاهد علي.

- «ديوان تميم بن المعز لدين الله» لمحمد أبي الفضل .
- «ديوان المؤيد في الدين الشيرازي» . لمحمد كامل حسين .
- «الذخيرة في الحقيقة» لعلي بن الوليد .
- «ذكر الهي» لتنصير الدين .
- «راحة العقل» للكرماني .
- «رسائل اخوان الصفاء» لـ اخوان الصفاء .
- «رسالة الاسم الأعظم» لداع اسماعيلي .
- «رسالة امامت» (فارسي) للطوسي .
- «رسالة در حقيقت دين» (فارسي) لشهاب الدين .
- «الرسالة في الامامة» لأبي الفوارس أحمد بن يعقوب .
- «الرسالة الصورية» لمحمد بن علي الصوري .
- «الرسالة الكافية» لمحمد بن سعد .
- «الرسالة المذهبة» للقاضي النعمان .
- «الرسالة الواعظة» للكرماني .
- «الرسائل الاسماعيلية المختصرة» جمع شتروطمان .
- «الرشد والهداية» لابن حوشب منصور اليمـن .
- «الروضة البهية في سلاطين الفاطمية» لذاكر حسين جعفر .
- «زاد المسافرين» (فارسي) ناصر خسرو .
- «زهر بذر الحقائق» لحاتم الحامدي .
- «زهر المعاني» لادريس عماد الدين .
- «السجلات المستنصرية» توقيعات وسجلات المستنصر بالله .
- «سرائر النطقاء» لجعفر بن منصور اليمـن .
- «سفر نامه ناصري خسرو» لناصرى خسرو .
- «سلمان باك» فارسي .
- «سمط الحقائق» لعلي بن حنظلة .
- «سى وشش صحيفة» (فارسي) لسهراب ولي .
- «سيرة الاستاذ جوذر» لابي علي منصور العزيزي الجوذري .

- «سيرة جعفر الجاجب» نشر ايوانوف .
«السيرة المستقيمة» للدرزية .
«السيرة المؤيدية» لهبة الله الشيرازي .
«سيف بردين» لحاجي عمر .
«شجرة اليقين» لعبدان .
«شرح الأخبار» للنعمان القاضي . نسخة خطية .
«شرح العقيدة الشافية» لداع مجهول .
«الشعاع الشائع» لحמיד بن محمد .
«الشموس الزاهرة» لحاتم بن ابراهيم .
«الشواهد والبيان» لجعفر بن منصور اليمى . مخطوط .
«الصليحيون والحركة الفاطمية» للهمذاني .
«عالم اسلام» (اردو) لأغاخان .
«عبقرية الفاطميين» لمحمد حسين الاعظمي .
«العسجد المسبوك فيمن ولي اليمن من الملوك» لعلي بن الحسن الخزرجي .
«عيون الأخبار وفنون الآثار» لادريس عماد الدين .
«عيون المعارف» لشرف علي .
«غاية المواليد الثلاثة» لعلي بن الوليد .
«الفرائض وحدود الدين» لجعفر بن منصور اليمى . مخطوط .
«فلسفة دعا» اسماعيلية ايسوسى ايشن .
«الفلك الدوار» لعبدالله بن المرتضى .
«في نسب الخلفاء الفاطميين» بتقديم حسين بن فيض الله .
«القرامطة بين المد والجزر» لمصطفى غالب .
«القصيدة الثائية» لداع اسماعيلي .
«قصيدة الدوحة» للمؤيد الشيرازي .
«القصيدة الشافية» لداع مجهول .
«القصيدة الصورية» لمحمد بن علي الصوري .
«الكافية» لمحمد بن سعد بن داود .

- «كتاب الافتخار» للسجستاني .
- «كتاب الاقتصار» للقاضي النعمان .
- «كتاب الأزهار» لحسن بن نوح الهندي .
- «كتاب الايضاح» لشهاب الدين .
- «كتاب التراتيب» لداعي مجهول .
- «كتاب الرضاع» لجعفر بن منصور اليمن مخطوط .
- «كتاب الرياض» للكرماني .
- «كتاب الزينة» لابي حاتم الرازي .
- «كشائش ورهائش» (فارسي) .
- «كتاب الكشف» لجعفر بن منصور اليمن .
- «كتاب الشيخ ابراهيم» لداعي مجهول .
- «كتاب الفترات والقرانات» لجعفر بن منصور اليمن . مخطوط .
- «كتاب النصر» للسجستان .
- «كتاب الينايع» للسجستاني .
- «كلشن راز» لمحمود شبستري .
- «كنز الولد» لابراهيم الحامدي .
- «مباسم البشارات» محمد حميد الدين الكرماني .
- «المبدأ والمعاد» للحسين بن علي بن الوليد .
- «مجالس حاتم الحامدي» لحاتم بن ابراهيم الحامدي .
- «المجالس المستنصرية» لداعي ثقة الإسلام .
- «المجالس والمسائرات» للقاضي النعمان بن محمد المغربي .
- «المجالس المؤيدية» لهبة الله الشيرازي .
- «مذكرات آغا خان» لآغا خان .
- «مذكرات داعي الدعاة» لهبة الله الشيرازي .
- «مذهب الدروز والتوحيد» للاستاذ عبدالله النجار .
- «مزاج التسنيم» لضياء الدين الاسماعيلي .
- «مسائل مجموعة من الحقائق العالية» لداع مجهول .

- «مشارك أنوار اليقين» لرجب البرسى .
- «المصباح في اثبات الامامة» للكرمانى .
- «مصحف الدروز» .
- «مطالع الشمس في معرفة النفوس» لشهاب الدين .
- «مقال آصف فيضى في المجلة البريطانية الآسيوية الملكية» .
- «المنتخب» لايوانوف .
- «موسم بهار» (كجراتى) لميان محمد على .
- «النقط والدوائر» مخطوط .
- «نهر النور الشعشعاني لابي محمد طاهر سيف الدين» .
- «نور مبين» لاي ج جنارا .
- «الهادي الدائم» (اردو) لقاسم على محمد جعفر .
- «الهداية الآمرية» تحقيق آصف على فيضى .
- «هفت أبواب» لحاجي قدرت الله .
- «هفت باب أبو اسحاق» (فارسي) لابي اسحاق .
- «الهفت والاطلة» للعضل الجعفي .
- «همارب اسماعيلي مذاهب» للدكتور زاهد على .
- «الهمة في آداب اتباع الأئمة» للقاضي النعمان .

كتب لغير الاسماعيليين

- «القرآن الكريم».
- «أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ» دكتور ابراهيم شعوط.
- «أدب مصر الفاطمية» للدكتور محمد كامل حسين.
- «اتعاظ الحنفاء» للمقرئزي.
- «أخبار الدول وآثار الأول» للقرماني.
- «أخبار الدولة المنقطة» لعلي بن ظافر الدرزي.
- «أخبار القرامطة» للدكتور سهيل زكار.
- «إخوان الصفاء» للدكتور جبور.
- «إخوان الصفاء» لعمر فروخ.
- «إخوان الصفاء» عمر الدسوقي.
- «الاستفتاء» لعبيد الله.
- «إسلام بلا مذهب» لمصطفى الشكعة.
- «أصول الاسماعيلية» لبرنارد لويس. ترجمة خليل أحمد جلو وجاسم محمد الرجب.
- «اعتقادات فرق المسلمين والمشرّكين» للراوي.
- «الاعلام» للزركلي.
- «الاعلام بالتوبيخ» للسخاوي.

- «الافحام لافئدة الباطنية الطغام» ليحيى بن العلوى .
- «البداية والنهاية» لابن كثير .
- «بيان مذهب الباطنية وبطلانه» للديلمى .
- «البيان المغرب فى أخبار المغرب» لابن عذارى المراكشى .
- «تاريخ الأنطاكي» .
- «تاريخ ابن اياس» لمحمد بن أحمد بن اياس .
- «تاريخ أخبار القرامطة» لثابت بن سنان الصابى من مجموعة «أخبار القرامطة» .
- «تاريخ أفريقيا والمغرب» لامير عز الدين بن باديس .
- «تاريخ الدولة الفاطمية» لحسن ابراهيم .
- «تاريخ الطبري» للطبري .
- «تاريخ جهانكشاه» ترجمة عربية بقلم الدكتور محمد سعيد .
- «التاريخ العباسي والفاطمي» لأحمد مختار .
- «تاريخ الفاطميين» دكتور حسن ابراهيم حسن .
- «تاريخ مصر» لابن ميسر .
- «التبصير فى الدين» لابي المظفر اسفرائيني .
- «تثبيت دلائل النبوة» للقاضي عبد الجبار الهمداني .
- «ترتيب المدارك» .
- «تعزية أهل القيروان بما جرى على البلدان من هيجان الفتن وتقلب الزمان» لابي عبدالله محمد بن سعدون .
- «التنبية والرد على أهل الأهواء والبدع» للملطي .
- «تهذيب التهذيب» لابن حجر العسقلاني .
- «الجامع للترمذي» .
- «جامع التواريخ» (فارسي) .
- «جمهرة أنساب العرب» للحافظ ابن حزم .
- «الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية» للدكتور محمد عبدالله عنان .
- «حركات الشيعة المتطرفين» للدكتور محمد عبد الجابر العال .

- «حسن بن صباح، باني دولت اسماعيلية» (اردو) اسماعيلية ايسوسى ايشن .
«حسن المحاضرة» للسيوطي .
«الحيوان» للجاحظ .
«الخطط والآثار» للمريزي .
«خلافة الفاطميين وسقوطها لعبد المنعم ماجد .
«الخليفة المعز لدين الله الصوفي القديم» (ح) .
«الخوارج والشيعة» ليوليوس وهوزن ترجمه عن الالمانية الدكتور عبدالرحمن بدوي .
«داودية بوهرون كي تاريخ» (اردو) لمحمد نجم الغني .
«دبستان مذهب» (اردو) لمحسن فاني تشميري .
«الدولة الاسماعيلية في ايران» للجويني .
«الدولة الفاطمية في مصر» لمحمد جمال الدين سرور .
«دولة النزارية» لابي عبدالله الحسن .
«رجال الشيعة في الميزان» .
«رفع الاصر عن قضاة مصر» لابن حجر .
«سنن ابن ماجه» .
«سنن النسائي» .
«سنن ابي داود» .
«سياسة الفاطميين الخارجية» لمحمد جمال الدين سرور .
«سياست نامه» لنظام الملك طوسي .
«سير اعلام النبلاء» للذهبي .
«سير البيه المقدسة» نقلا عن «الحاكم بامر الله» لمحمد عبدالله عنان .
«سيرة الهادي إلى الحق» لعلي بن محمد بن عبدالله .
«شخصيات قلقة عن الإسلام» للدكتور عبدالرحمن بدوي .
«صبح الاعشى» للقلقشندي .
«صبح البخاري» .
«صبح مسلم» .

- «الضوء اللامع» للسخاري .
- «الطائفة الاسماعيلية» لمحمد كامل حسين .
- «طائفة الدروز» لمحمد كامل حسين .
- «طائفة النصيرية» الدكتور سليمان الحلبي .
- «ظهر الإسلام» لأحمد أمين .
- «عبدالله المهدي» للدكتور حسن ابراهيم حسن وطه أحمد شرف .
- «عقد الجواهر في أحوال البواهر» (اردو)، لابي ظفر ندوى .
- «الفاطيون في مصر» الدكتور حسن ابراهيم حسن .
- «فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية» .
- «فتح الفاطميين للشام» للنخيلي .
- «فجر الإسلام» لأحمد أمين .
- «الفرق بين الفرق» للبغدادي .
- «فرقة اسماعيلية» (فارسي) لمارشل كت .
- «الفصل في الملل والنحل» لابن حزم .
- «فضائح الباطنية» للغزالي .
- «في أدب مصر الفاطمية» للدكتور محمد كامل حسين .
- «في تاريخ الأغاخانية والبهرة» (فارسي) لمحمد كريم تبريزي .
- «في التاريخ العباسي والفاطمي» لأحمد مختار .
- «القرامطة» لابن الجوزي .
- «القرامطة» لطفه الولي .
- «قيام الدولة الفاطمية» لعادلة علي الحمد .
- «الكامل» لابن الاثير .
- «كتاب السلوك» للجندي .
- «كتاب الشفاء» للقاضي عياض .
- «كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر» لابن خلدون .
- «كشف أسرار الباطنية» لمحمد بن مالك اليماني .

«كينان آغا خان» .

«لسان الميزان» للامام الذهبي .

«مار آستين» (اردو) لزكريا رازي .

«المجلة الملكية الاسيوية البريطانية» .

«مجموعة الوثائق الفاطمية» للدكتور جمال الدين شيال .

«مذهب أور باطني تعليم» (أردو) لمرزا محمد سعيد .

«مذهب الدروز وأصولهم» لعبد الله نجار .

«مشكلة المصاييح» للتبريزي .

«معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان» لأبي زيد عبد الرحمن بن محمد الأنصاري .

«المعز لدين الله» لحسن ابراهيم .

«معزز مهبان» (أردو) طارق عزيز .

«مقالات الإسلاميين» للأشعري .

«مقدمة ابن خلدون» لابن خلدون .

«الملل والنحل» للشهرستاني على هامش الفصل لابن حزم .

«المنتظم في تاريخ الملوك والأمم» لابن الجوزي .

«موسم بهار» باللغة الكجراتية .

«ميزان الاعتدال» للذهبي .

«ناتھواني ربورت» (أردو) ناتھواني .

«النجوم الزاهرة» لابن تغري بردی الأتابكي .

«نظم الحكم» بمصر . لعطية مصطفى .

«النفوذ الفاطمي في جزيرة العرب» للدكتور محمد جمال الدين سرور .

«النفوذ الفاطمي في بلاد الشام والعراق» للدكتور محمد جمال الدين سرور .

«النفوذ الفاطمي في مصر» للدكتور محمد جمال الدين سرور .

«نهاية الارب» للقلقشندي» .

«نهاية الارب» للنويري .

«الوثائق السياسية والادارية في الدولة الفاطمية» لمحمد ماهر حماده .

«وفيات الاعيان» لابن خلكان .
«يتيمة الدهر» . للشعالبي .

كتب الشيعة

«الارشاد» للمفيد .
«اعلام الوري» للطبرسي .
«الافحام لأفئدة الباطنية الطغام» ليحيى بن حمزة العلوي .
«تنقيح المقال» للمامقاني .
«جامع الرواة» لمحمد بن علي الحائري .
«الحجة من الكافي» للكليني .
«الروضة من الكافي» للكليني .
«رجال الطوسي» للطوسي .
«الشافى» للمرئضى .
«شرح نهج البلاغة» لابن ابي الحديد .
«عمدة الطالب في انساب آل أبي طالب» لابن عنبه .
«فرق الشيعة» للنوبختي .
«كشف الغمة» للاربلى .
«كمال الدين وتمام النعمة» لابن بابويه القمى .
«الكنى واللقاب» للعباس القمى .
«مستدرك الوسائل» للنوري الطبرسي .
«مقاتل الطالبين» للاصفهانى .
«المقالات والفرق» لسعد بن عبدالله القمى .
«معرفة الناقلين عن الأئمة الصادقين» لابي عمرو بن عبدالعزيز .
«منهم المقال» للاسترابادي .
«نهج البلاغة» بتحقيق الدكتور صبحي صالح .

ENGLISH BOOKS

1. A Creed of the Fatmids / Ikonow.
2. A Guide to Ismaili Literature / Ikonow.
3. Aga Khan /
4. Aly /
5. A Brief History of the Aga Khan by Naorojji. Dumasia.
6. An Ismailitic Work / Ikonow.
7. Brief Survey of Ismailism / Shahab.
8. Bombay Advocate General of Bombay
9. Cyclical Time and Ismaili Gnosis by Henry Corbin.
10. Collectance / Ikonow.
11. Ever Living Guide
12. Fargaments Doctring
13. Free Will / Ikonow.
14. Fatmids Caliphs / Husayin.
15. Glimpses of Islam / Aga Khan.
16. Ginans of Ismaili Pirs by Huzur Vazir.
17. History of the Assassins / Brömpin.
18. His Highness The Aga Khan / Aga Khan.
19. Ismaili Litatur / Ikonow.
20. Ibn Ali Qaddah / Ikonow.
21. Ismailiya or Rodatuttaslom / Ikonow.
22. Ismailitica / Ikonow.
23. Ismaili Manuscripts by Muizz Goriawala.
24. Ismaili Contributions to Ismaili Culture by Seyyed Hossein Nasr.
25. Memoris of Aga Khan / W. Somerst.
26. Meaning of God / Ismass.
27. Message of Aga Khan /
28. Mul Arak Farmans
29. Prince Aga Khan / S. Iqbal.
30. Rawns in Game / Willian.
31. Problems in Nasir-i-Khusraans / Ikonow.
32. Rise of the Fatmids / Ikonow.
33. Six Cheaptrs / Ikonow.
34. Speceks of Aga Khan /
35. Schedule I.
36. Studies in Early Perisiar Ismailism / Ikonow.
37. The Origin of Ismaileism / Birnard.
38. Truth Warshippers / Goyard.
39. True Meeting of Riligion / Shahab.

40. The Order of Assassins / Marshal.
41. The Aga Khan by Sirdar Ikbāl Ali.
42. The Muslim World by Aga Khan.
43. The Memoris of Aga Khan.
44. The Bhras by Asghar.
45. The History of the Assassins by Von Hammer.
46. The Nizriismali by Azim.
47. The Alleged Founder of Ismailism / Iyonow.
48. Tasawwurat Rawdatu't Taslim / Toosi.
49. The Fatmids / Abbashamdani.
50. The Fatimid Theory of State / P.J. Vatikiotis.
51. The Political Doctrine of the Ismailis by Sami Nasib.

الفهرس

ص ٥	مقدمة
٣١	الباب الأول : الاسماعيلية ومنشؤها
٣٩	حركة الشيعة
٤٦	أبو الخطاب
٥٦	اسماعيل بن جعفر
	وميمون القداح
	وميمون القداح
	وابنهما
٨٥	دور الستر
٩٣	دعاة هذه الدور
١٠١	الباب الثاني
	الأئمة الاسماعيلية في دور الظهور
١٢١	القائم : الامام الاسماعيل الثاني
١٢٨	اسماعيل المنصور : الامام الاسماعيلي الثاني
١٣١	معد بن اسماعيل المعز الامام الاسماعيلي الرابع
١٣٦	العزیز بالله نزار
١٥٠	أبو على المنصور الحاكم بأمر الله
١٥٣	المستنصر أبو تميم معد بن الظاهر
١٥٨	أبو القاسم أحمد بن المستنصر المتلقب بالمستعلی
١٦١	أبو على المنصور المتلقب بالأمر
١٦٧	الباب الثالث
١٦٧	نسب الأئمة الاسماعيلية
١٨٦	مؤيدو النسب الفاطمي للمهدی الاسماعيلي من السنة

٢١١	آراء الاسماعيلية في نسب المهدي
٢٢٢	التعارض والتناقض
٢٢٨	النقد والتحليل
٢٥١	آراء المستشرقين
	الرأى الأخير
٢٦٧	الباب الرابع
٢٦٧	عقائد الاسماعيلية
٢٧٣	الفصل الأول
٢٧٣	عقيدتهم في الله
٢٣١	الفصل الثاني
٣٢١	معتقدهم في النبوة والنبي
٣٤٥	المقام الأول
٣٤٦	المقام الثاني
٣٤٧	المقام الثالث
٣٤٩	الفصل الثالث
٣٤٩	معتقدهم في الوصاية والوصي
٣٦٧	الفصل الرابع
٣٦٧	معتقدهم في الامام والائمة
٣٩٥	الفصل الخامس
٣٩٥	المبدأ والمعاد
٤١٨	المعاد
٣١٩	إلى أين يصير الانسان بعد الموت
٤٢٦	الحلول والتناسخ
٤٤١	القيامة
٤٤٧	من هو الناطق السابع ؟
٤٤٩	إلى القائم يكون الحساب ومنه يكون الجزاء والعقاب
٤٥٣	التواب والعقاب والجنة والنار
٤٧٣	الباب السادس

٤٧٣	الاسماعيلية والتأويل الباطني
٤٨٣	نظرية المثل والمثول
٤٨٥	تأويل كلمة الشهادة
٤٩٩	تأويل الصلاة ومتعلقاتها
٥٠٥	تأويل الزكاة
٥٠٨	تأويل الصوم
٥١١	تأويل الحج
٥٢٣	العرش
٥٣٠	السموات والأرض
٥٣٢	المصلحات الاسلامية وتأويلاتها
٥٣٤	قصص الأنبياء
٥٣٨	السور والآيات
٥٤٦	الاسماعيلية ونسخ شريعة محمد صلوات الله عليه
٥٩٣	الباب السابع
٥٩٣	الاسماعيلية : ماهية الدعوة ونظامها
٦١٣	الدعوة الاسماعيلية : أسلوها ومراتبها
٦٤٠	مجالس الدعوة
٦٥١	الباب الثامن
٦٥١	الاسماعيلية مجموعة تعارضات وتناقضات
٦٥٦	رجوع النص القهقري
٦٦٢	تنحية الابن الأكبر عن الامامة
٦٦٨	تسلسل الامامة في الأعقاب
٦٦٩	متى يصير الامام إماماً
٦٧١	تناقض آخر
٦٧٢	شرط دفن الامام الماضي
٦٧٥	معرفة الامام
٦٧٩	عمر الامام
٦٨٢	عمر محمد بن اسماعيل

٦٩١	الباب التاسع
٦٩١	زعماء الاسماعيلية وفرقها
٧٠٠	نبذة من تعاليم القاضي النعمان
٧٠٠	جعفر بن منصور اليمن
٧٠٤	جعفر بن منصور اليمن
٧١٠	أحمد حميد الدين الكرمانى
٧١٤	المؤيد في الدين هبة الله الشيرازى
٧١٩	أبو يعقوب اسحاق السجستانى
٧١٩	أبو عبد الله الفسقى
٧٢٠	أبو حاتم الرازى
٧٢٢	الدروز
٧٢٨	مذهب الدروز
٧٣٤	البديعية
٧٣٥	المستعلية والتزارية
٧٣٩	كتب الاسماعيليين
٧٤٦	كتب لغير الاسماعيليين
٧٥١	كتب الشيعة